سيرة الظاهر بيبرس



المجلد الأول

أدب الحرب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

سيرة الظاهر بيبرس

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. سمير سرحان

رئيس التحرير:
جمال الغيطانى

أشرف على هذه الطبعة:
خيرى عبد الجواد

الغلاف للفنان: **محمد بغدادى**

مقدمة

أخيراً..

هاهى ملحمة الظاهر بيبرس.

أخيراً تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب الملحمة الشعبية، العربية، المصرية الخالصة، فى نصها الأتم بعد أن أختفى لعقود طويلة من المكتبات وأصبح العثور عليه صعباً، بل مستحيلاً، المطبوع والمخطوط صارا إلى ندرة أكيدة، لا أبالغ إذا قلت أننا نستردها من العدم، فمن كان سيقدم على إعادة هذا النص الضخم مرة أخرى مع إرتفاع تكلفة الكتاب، لولا إقدام الهيئة المصرية العامة للكتاب على تلك الخطوة التى أعتبرها حدثا ثقافيا هاما.

تعرفت على هذا العمل الروائى. الملحمى، الإبداعى، الجميل الفذ فى سن مبكرة، عندما كانت الطبعات الشعبية من تلك الملاحم متاحة لزوار منطقة مولانا وسيدنا وإمامنا الحسين عليه السلام. والأزهر، أذكر أننى قرأت أجزاء منها وأنا دون الثالثة عشر، وأذكر أننى كنت أحفظ سطورا منها، وخلال حوارى مع الأخرين تتسرب جمل كاملة من سطورها بتركيباتها العتيقة إلى حديثى، كانت تجسد المناخ القاهرى إجتماعيا وعمرانيا ونفسيا، فالملحمة مصرية خالصة، تدور أحداثها فى مصر، وأبطالها مصريون، البطل الرئيسى وهو الظاهر بيبرس يعتبر الحاكم الوحيد فى تاريخ مصر منذ الفتح العربى

وحتى العصر الحديث الذى تحول فى وجدان الشعب إلي بطل شعبى، أسطورى، وهذا أمر نادر الحدوث فى تاريخنا، إذ كانت العلاقة بين الشعب وحكامه شديدة التعقيد، ولنتأمل أضرحة المماليك العظمى التى أقاموها وشيدوها ودفنوا داخلها، لنتأمل برودتها وضوائها، وعدم وقوف أى إنسان من أفراد الشعب لزيارتها أو قراءة الفاتحة، بينما تقام الموالد لمجهولين بسطاء، وتوقد من أجلهم الشموع، عرفوا بتقواهم وصلاحهم.

الظاهر بيبرس إستثناء، وإستثناء وحيد، تحول من حاكم إلى بطل تُتلى سيرته فى المقاهى التى تخصص بعضها فى السيرة وصار يعرف بها «الظاهرية»، كما كانت مقاهى أخرى متخصصة فى «الهلالية» أو «ألف ليلة وليلة» و«سيف بن ذى يزن» الظاهر بيبرس فى التاريخ ولد فى كبجاق عام ٦٢٠هـ (١٢٢٣م)، جلبه تاجر الرقيق حيث بيع فى دمشق، وأحضره السلطان الصالح أيوب إلى مصر. وسرعان ما بدأ نبوغه وظهوره، وترقى فى درجات الوظائف، وأبلى بلاءً حسنا فى عين جالوت، وشارك فى أغتيال قطز أثناء خروجه إلى رحلة صيد. إنتخبه قواد الجيش سلطانا على البلاد، سرعان ما بدأ سلسلة معارك ضد الصليبيين، إنتزع منهم أنطاكية بعد أن هاجمها سبع مرات، وكسر شوكة أشرس فرسانهم من الداوية، ويهزم المغول هزيمة نهائية حاسمة فى سهل صوفى من صحراء البلستين سنة ٦٧٥هـ، ويغزو سيس لتأديب الأرمن، كان الظاهر بإختصار رجل جهاد، وفارس شجاع، ورجل دولة من الطراز الرفيع، ومن شاء الإستزادة من سيرته يمكنه الرجوع إلى السيرة التاريخية المعروفة بتاريخ الملك الظاهر، تأليف عز الدين بن على بن إبراهيم بن شداد، ويمكن للدارسين أن يقوموا بالمقارنة بين السيرة التاريخية، والسيرة الشعبية الموجودة بين أيدينا الآن، وصورة الظاهر فى كل منهما، ويمكن للدارسين أن يتوقفوا عند اللغة العامية المستخدمة فى الزمن المملوكى، أما الأدباء والمبدعين فليتأملوا معنا طرائق السرد والحكى، ولنتأمل جميعا دقة التصوير وجرأته.

خلال السنوات العشرين الأخيرة لاحظت إختفاء سيرة الظاهر، وسيرة عنترة، وسيرة الأميرة ذات الهمة، وسيرة سيف بن ذى يزن، وسائر هذه النصوص القصصية الكبرى، لقد أغلقت معظم المكتبات المجاورة لمسجد مولانا الحسين أبوابها، وما تبقى منها فى شارع الصناديقية توقف تماما عن إعادة طبع هذا التراث الفنى.

منذ سنوات أخبرنى الصديق بييرنارد مؤسس وصاحب دار سندباد أنه عثر على مخطوط نادر لسيرة الظاهر بيبرس فى دمشق، وانه سوف يبدأ مشروعا لترجمته ونشره بالفرنسية، وسوف يكون النص أكبر رواية فى تاريخ الأدب، إذ سيصل عدد الصفحات إلى أكثر من ثلاثين ألف صفحة، وقدر لظهورها ربع قرن، وبالفعل بدأ، وظهر من الترجمة الفرنسية سبعة أجزاء قوبلت بترحيب كبير، ونفذت جميع نسخها، ولكن القدر لم يمهل برنارد، إذ أدت ظروفه الأقتصادية إلى تعثره، إلى توقف دار سندباد وإغلاق أبوابها، وقبل تصفيتها سقط فريسة لمرض عضال، وحجبه الاطباء فى المستشفى، ولم ير نهاية مشروعه بعينيه ويعلم الله وحده مصير المخطوط النادر لسيرة الظاهر والذى حاولت الحصول على صورة حتى منه لكننى فشلت.

كنت أشعر بحسرة وأنا اتأمل الاجزاء السبعة بالفرنسية، وأتساءل.. هل من المعقول أن تظهر السيرة كاملة فى لغة أخرى، وتظل بمنأى عن أيدى القراء العرب. إلى ان طرحت فكرة نشرها فى سلسلة أدب الحرب كاملة، وتحمس الدكتور سمير سرحان، وافق على الفور، وهنا قدم الصديق الأديب خيرى عبد الجواد نسخته الخاصة، الكاملة، النادرة، وقبل مشكورا أن يشرف على تنفيذ مراحل إعادة طبع السيرة، إستقر رأينا على تصوير النص القديم المطبوع الذى يقع فى خمسة مجلدات ضخمة، وبذلك نقدم النص الكامل للسيرة من جديد إلى القارىء العربى، وهكذا ننقذ قطعة عزيزة، غالية، من أدبنا وتراثنا وتاريخنا، وجوهر وجداننا.

جمال الغيطانى

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء الاول

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ — ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)
بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر
لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحق المبين . المحسن البر الامين . السلام الذي سلم عن العقب والزوجة والبنين . الذى آمن به كل شيء . وجعل الخلق من سطوته خائفين . القائل تعالي فى محكم كتابة المبين : ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين له الدين . سبحانه وتعالى واشكره واتوب اليه واستغفره من كل ذنب ظاهر أو كمين . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين . شهادة تنجي قائلها فى القيامة يوم الدين وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وحبيبه وخليله الصادق الوعد الامين الذي جاهد بسيفه حتى أقام الدين ونصر المؤمنين واخذل المشركين اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واصحابه وازواجه وآل بيته الكرام الطيبين الطاهرين صلاتا وسلاما دائمين متلازمين في كل وقت وحين وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى جعل سير الاولين عبرة للآخرين وموعظة للجاهلين وتنبيها للغافلين يتعظم بذلك أصحاب العقول الكاملين . ويعلمون ان الجهاد فرض على المؤمنين وانى قد استخرت الله العظيم فى كتابة هذا الكتاب حيث رأيته محتوياً على نصرة الاسلام وخذل الكفرة اللئام وبحثت فى غيره من السير فما وجدنا أصدق قولا منه ولا

أقوى برهان ولا أفصح بيان من سيرة الملك الظاهر بيبرس ابى الفتوحات الموعود من الله بالنصر والتأييد من ابتدئها . الي انتهائها وما سيذكر من ناصيتها الغريبة وامورها المطربة العجيبة وألفاظها الحسنة ونظومها المستحسنة وسنذكر فروعها واصولها فى خمسة بحور لتسمع أهل الفجور تأليف السادات الكرام المشهورين بالعلم وعلو المقام نبراس الافهام الديناري ووافقه على ذلك الدويداري وهما بذلك أعظم دارى ثم ناظر الجيش وكاتم السر والصاحب فكل من هؤلاء له بحر فيها وما يخصها من معانيها ومبانيها وما أرخوه وما شاهدوه وما نقلوه عن السادة من اخوانهم الذين يعتمدون من كلام الصدق عليهم وما عاينوه من كرمات الاولياء ومعجزات الانبياء وسنذكر كل شيء في مكانه بعون الله وسلطانه (قال الراوي) وهو الديناري رحمة الله تعالي انه كان من قديم الزمان وسلف العصر والاوان بعد ان توفى الى رحمة الله تعالى المعتصم بالله وتولى الخلافة بعده الواثق بالله ولده ومات الى رحمة الله وتولي المقتدي بالله وهو شعبان المقتدى بارض بغداد وكان له وزيرا يقال له العلقمي وكان هذا العلقمى له ولد ابراهيم العلقمى وكان يهوي الحمام وله شجية كثيرة في غية وكان لامير المؤمنين المقتدي بالله ولدين أحدهما يقال له ابراهيم والاخر يقال له أحمد وكان ابراهيم أيضاً يهوى الحمام ويغويه وله محبة فيه فلما ان كان يوم من بعض الايام تلاعبوا الاثنين مع بعضهم بعضاً بالحمام ووقعت بينهم الشروط على أن كل من غلب يأخذ حمام الاخر وتقرر بينهما ذلك ومن الامر المقدر والقضاء المبرم غلب حمام ابراهيم العلقمى ابن الوزير حمام ابراهيم بن شعبان المقتدى بالله تعالى (فقال) ابراهيم العلقمى هذا الحمام قد صار حقي وانه من رزقي فقال ابراهيم المقتدي هذا لا يكون وما أنت الا مجنون ثم تشاجر أحدهما مع الاخر ووقع بينهما الشر فقال ابراهيم المقتدى لا بد أن أسير على أبي واخبره بذلك ثم ترك له الحمام ومضي الى أبيه وأخبره الخبر واطلعه علي جلية الاثر

فقال شعبلن المقتدى بالله هذا الامر ياولدي لاينبني الحكومة فيه فابطل الامر ومعانيه ثم أنه صاح على الغلمان الذين حوله وقال لهم امضوا فى ذلك الوقت والحين واذبحوا حمام الاثنين (قال الراوي) فلما سمع الغلمان ذلك تجاروا على حمام الاثنين وذبحوا حمام ابن الوزير جميعه وحمام بن السلطان ذبحوا منه البعض وتركوا البعض لما أن رأوه يبكي واليهم من محبته الى الحمام يشكي وقد قصدوا بذلك الرحمة له واطاعة لامر أبيه (فلما نظر الي ذلك ابن الوزير صعب عليه وكبر لديه وصار الي عند أبيه وقال له يا أبي الملك المقتدي أمر بذبح حمامنا وقد جري من الامر ما هو كذا وكذا ثم أخبره بالقصة من أولها الي آخرها فاطلعه علي باطنها وظاهرها فلما سمع الملقمى ذلك من كلام ولده اغتاظ غيظا شديدا ماعليه من مزبد وقال فى فى نفسه كيف ان الملك يهين ولدى ويكرم ولده ولكن لابد ان أستطع له شيئاً يذهب به ملكه ويفني به عزه وسوف أحرض عليه الملوك وكل غني ومملوك ثم أن الوزير صار يدبر امره في ذلك وانه يريد أن يسقى الملك كاس المهالك ياسادة فهذا ما جري هاهنا واما ماكان من أمر أمير المؤمنين شعبان المقتدى فانه بات ليلته ولم يكن عنده خبر مما دبر الوزير . فلما ان كان عند الصباح نزل الي الديوان وجلس على كرسي مملكته واحدقت به ارباب دولته ورؤوس عشيرته والوزير محمد الملقمى الى جانبه يتمنى له الهلاك ويريد أن يوقعه من سوء الارتباك ثم ان الخليفة شعبان المقتدي نظر الى الوزير فأخفى عليه حاله وما هو عليه من أحواله ونظر منه عين الغدر وهو ناوى له على الشر فالتفت اليه وقال له ياأبراهيم ما لي أراك معبس الوجه وأظن انه قد صعب عليك من حيث أمرت بذبح الحمام فقال ياامير المؤمنين أمرك مطاع وجميع ماشرطته يستطاع فالامر أمرك ولا نقدر نخالف مقالك فانت خليفة الله فى الارض ذات الطول والعرض ثم شكره واثنى عليه ودعا له فأمر له الخليفة شعبان المقتدي بخلعة

تسره واعطاه اياها وطيب خاطره وضاحكه وباسطه وجعل يتحدث معه كل هذا والوزير محمد الملقمى لايزداد الا غيظا ويطلب للخليفة الشر فلما نظر الخليفة الى ذلك خاف على روحه وقال فى نفسه لاشك أن هذا غدار وربما فعل معي فعل الاشرار ويخاطب أحدا من الملوك ويحرضهم عليّ وانا لاآمن منه ثم انه صبر باقى ليلته الى أن تنصف الليل وجمع ارباب الدولة وقال لهم امسكوا ابواب بغداد وفتشوا كل من خرج منها بجواب والداخل فلا لكم عليه سبيل فقالوا سمعا وطاعة هذا وقد نزلت المفتشين بأمر أمير المؤمنين المقتدي

(قال الراوي) فهذا ما كان من أمر السلطان واما ما كان من أمر الوزير محمد الملقمى فانه سار يدبر الحيل ويتقن العمل الى أن أعياه الامر ولم يقدر أن يرسل مكاتبه الى أحد من الملوك لاجل الحراس الذين على الابواب فلما ان كان في بعض الليالى دعا بمملوك عنده يقال له جابر وصاح عليه وقال له ياجابر انا لي عندك حاجة وما أريد قضاها الا منك فقال له ياسيدى وما تكون اخبرنى بها وانا أقضيها ولو شربت من اجلها كأس المنون قال له انى أريد أن ارسل معك رسالة الى الملك منكتم ولك بعد ذلك عندي خمس مائة دينار وخلعة سنية وأنت فيما بعد ذلك حر لوجه الله تعالى فماذا أنت قائل اخبرنى ان كان قلبك لي مائل فقال له جابر ياسيدي روحى لك الفدا من كل سوء وردا ولكننى لم أقدر أخرج من مدينة بغداد بالرسالة لانك تعلم أن الحرس شديد والامر عتيد فقال له الوزير الامر أقرب من ذلك ثم انه أخذ موسا وحلق به رأس المملوك وأخذا الابر وكتب بها على رأسه جواب سنذكره فى مكانه بعون الله وسلطانه وقال له سيروا قطع البرازى وعد الى بالجواب واطلعني على الخطاب فقال له الغلام سمعا وطاعة ثم انه صبر في بعداد عشرة أيام الى أن انكست رأسه بالشعر وخفيت الكتابة

فقال له الوزير اذهب الآن الى بلاد العجم فقال له نعم ثم انه خرج من بغداد وفتشوه الحراس الذين على باب المدينة فما وجدوا معه حاجة فقالوا له امض الى سبيلك فعند ذلك سار الغلام يقطع فى البرارى والاكام قال فهذا كله يجرى وأمير المؤمنين لم يكن عنده خبر بما فعله الوزير من المكائد وما دبره من النكائد

(قال الراوى) وأما الغلام فانه سار يجد المسير وسرعة الجد والتشمير الى أن وصل الى بلاد العجم ودخل على الملك منكتم وسلم عليه وقبل الارض بين يديه فرحب به الملك وقال له من أنت ومن أين اقبلت ومن الذي تريد فقال له يامولاى انا من مدينة بغداد دار السلام من عند الوزير محمد العلقمى وزير خليفة المسلمين شعبان المقتدي فقال له ما معك من الاخبار فقال له معى سرا أريد أن اطالعك عليه بيني وبينك (فلما) سمع الملك منكتم ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام فأخذه ودخل به الى مكان في جانب القصر وقال له ارنى ما معك قال معي رسالة وهي مكتوبة على رأسى فعند ذلك حلق رأسه فظهرت الكتابة وقراها يجد فيها خطابا من الوزير محمد العلقمي الى بين ايادى الملك منكتم الذى نعلمك به أن أمير المؤمنين خامر علينا وتكبر وظلم وتجبر وأنت احق منه بالسلطنة لانها من قديم الزمان لجدك الملك كسرى انوا شروان فحال وصول المملوك اليك تحضر ركبة كبيرة وتنزل بها علي بغداد وانا املكك الارض والبلاد واكون انا مقيما من داخلها وأنت من خارجها والقوم بيننا متوسطين ونفنيهم اجمعين ونملك الارض والبلاد وتطيعنا كل العباد وتعمل على قتل حامل الرسالة من غير اطالة ليكون السر بيننا ولا أحدا يطلع عليه غيرنا وهذا ما أخبرتك به واطلعتك عليه والسلام

(قال الراوي) فلما سمع الملك منكتم ذلك الامر فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وحط يده على الحسام وضرب به ذلك الغلام أطاح رأسه عن الهام فمات شهيد فى طاعة الملك العلام لانه ما يعلم باطن هذه الامور

الاحكام قال وكان هــذا اللعين منكتم فارس جبار . وبطل مغوار . لايعدله على جار وهو فارسٌ شديد . ربطل صنديد . وشيطان مريد . وكان يعبــد النار . دون الملك الجبار . وعنده عسا كر بعدد قطر البحار . وكلهم منكبين على عبادة النار . ليلا كان أو نهار . وقد كان له ولدين ملعونين أحدهما يقال له هــلاون . والآخر يقال له كلب يزيد فأمر باحضارهما بــين يديه فلمـا حضرا قال لهما اعلموا انه قد جري من ما هو الامر كذا وكــذا ثم انه أخبرهم بالقصــة من أولها الى آخرها وكشف لهم عن باطنهــا وظاهرها فلما سمعو أولاده منه ذلك الـكلام سجدوا بين يديه شكرا للنار . ذات الاضطرام وقالوا له لابد أن نركب على بلاد المسلمين ونملـكها بهمتنا العالية وما نترك منهم بقية ثم تقرر بينهما الامر على أنْ أحــد أولاده يســير الى بغداد ويملك البلاد ويقتل العباد وبعد ذلك أمر بدفن المملوك الذي قتله فدفنوه وواروه التراب ثم أن للملك منكتم أمر بتجهيز العسا كر فركبت العسا كر وكان عندهم ستين ألف فارس من كل بطل مداعس وقال لولده هلاون خذ هؤلاء العسا كر والاجناد وارحل بهم الى أرض بغداد وأنزل عليها وأنا لاحق بك وعلى مابين يديك أعاونك قال فسار الملعون هلاون فى ستين ألف من الفرسان وكلهم يعبدون النيران . دون الملك الديان راكبين خيول مثل الغزلان وساروا يقطعون البراري والوهاد . طالبين أرض بغداد . ياساد واما الملك منكتم فانه بعد مســير ولده بثلاثه أيام جهز ركبة ثانية وهى ثمانين ألف فارس ليوث عوابس مامنهم من يهز العرش بكلمة التوحيد بل الجميع يعبدون النار . دون الملك الجبار . ونحن نقول . لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لولده كلب يزيد سير ياولدى على أثر أخيك عن يقين وعاونه على قتال المسلمين فأجابه ولده بالسمع والطاعة وسار يجد الميسر من وقته والساعة

ياساد وبعد مسيره جهز ركبة أخرى بشنيار كامل عدتها مائة ألف وسار خلفهم وقد تبع أثرهم

قال الراوى فهذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من أمير المؤمنين شعبان المقتدر بالله فانه ماعنده خبر بما دبر الوزير من الآثام وأنه يريد ان يسقيه كأس الحمام بينما هو جالس في يوم من بعض الايام واذا بغبار قد ثار وعلى وسد الاقطار فأرسل الخليفة من يكشف له الاخبار فسارت جماعته وعادوا اليه وقالوا يا أمير المؤمنين قد أقبلت جيوش الاعجام وهم ستون ألف عنان وفي أولهم هلاون ابن الملك منكتم الملعون وهم طالبون أرض بغداد ويريدون لنا العناد معولين على الحرب والجلاد (قال الراوى) فلما سمع الخليفة ذلك قال انا لله وانا اليه راجعون ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولكن لاى شيء أتت هذه الفرسان وما الذي يريده من الامر والشأن ياوزير الزمان فقال الوزير محمد الملقمى لا أدرى شيئا من ذلك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين فعند ذلك جمع الخليفة دولته ورؤوس عشيرته واطلعهم على ذلك الامر وشاروهم فيما يعمل وما الذي يصنع فقالوا يا أمير المؤمنين اعلم ان الآن لم يكن عندنا عساكر كثيرة وأن الرأي الصواب مالنا غير الحصار على الاصوار الى ان يأتينا الفرج من الله العزيز الغفار فقال الخليفه هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب ثم أنه امر بغلق ابواب بغداد فأغلقوها وصمدت الرجال على الاصوار وأخذوا يصلحون عددهم ويتجملون باسلحتهم هذا وقد أقبل الملعون هلاون وحط على بغداد ونزلت حولها عباد النار واحتاطوا بها من سائر الاقطار كما يختاط النيل بالبلاد أوالبياض بالسواد فصاحت الابراور موهم بالاحجار والصخور الكبار ودام انحصار ذلك النهار حتى أقبل الليل التفت الخليفة الي وزيره العلقمي فقال يا وزير والله اني متعجب من قدوم هؤلاء الملاعين الينا وتجريتهم على بلادنا واني أريد منك أن تنزل في غداة الي هؤلاء

الملاعين وتنظر ماهم طالبين وماهم عليه معولين فقال له الوزير ياملك الاسلام ومولانا الانام ان هذا احتقار بقدر الدولة العباسية والرعايا المحمدية والرأى عندي ان تنزل أنت فى عساكرك ومن عنـدك من الرجال وتكون بالسلاح وآلة الحرب والكفاح وانا اكون من خلفك اعين العساكر الذى معك فان انزلت وفتحت ابواب البلاد فاخرج الي القوم اللئام ولاتبالى فان الله ناصر الاسلام وبهذا يكون اهيب لنا وارهب لاعدائنا اذاراؤك وقد خرجت اليهم وربما وقعت هيبة الاسلام فى قلوبهم فينكسرون عن آخرهم فلما سمع الخليفة ذلك الخطاب ظن انه صواب ومايعلم ان الوزير اراد هلاكه ثم انهم باتوا تلك الليلة ولما ان كان من الغـد نهض الخليفة ونزل برجاله وأهل دولته وفتحت ابواب بغداد وخرج الخليفة طالب اهل العناد ومعه العساكر والاجناد

قال الراوي فهذا ماكان من الخليفـة وأما ماكان من الوزير العلقمى فانه بعد أن خرج الخليفة من بغداد أمر الوزير بغلق أبواب المدينة فى ظهره خوفا من الوزير لانهم يعرفوه أنه كثير الشر فلما أن عاين الخليفة ذلك علم أن الحيلة قد تمت والرذية عمت وعلم أن كل ما قد صـار من الامور بامر الوزير فقال أسلمت أمري الي اللطيف الخبير ثم ان الامام صاح بملء رأسه ياعصبة الاسلام احملوا الآن على القوم اللئام وابذلوا فيهم الحسـام فمن عاش منكم عاش سعيد ومن انتقل الى الله بالوفاة فهو شهيد فاتركوا الدنيا خلفكم واجعلوها من وراء ظهوركم وأقبلوا على الآخرة بوجوهكم تفوزوا بالشهادة وتسكنوا جنة ربكم وأنا أول من يجاهد أمامكم فقد قال عز من قائل (وجاهـدوا في الله) الآية ثم انه بعد ذلك صاح الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر بدين محمد وحمل على الـكفار وتبعه اثناعشر الف من الابرار وعمل البتار وطلع الغبـار وقدحت حوافر الخيل الشرار وقصرت الاعمـار وكشفت الاستار وراحت الاسرار وصارت الدماء مثل الانهار ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل

ونار الحرب تشعل الى أن ولي النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال وقد كانت سواعد أمير المؤمنين ومن معه من الرجال المجاهدين وكأن عدتهم كما ذكرنا اثني عشر الف فارس لكنهم أبطال أشاوس والقوم اللئام في ستين الف من الاعجام فاحتاطوا جميعا بالاسلام وكان قد أسر في ذلك اليوم من عساكر الاسلام أربعة آلاف فارس وجرح أكثرهم ثم أضرموا النيران وتحارس الفريقان الى ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح فركب امير المؤمنين ومن معه من العساكر المسلمين وركبت ايضا الكافرين واختلطت الطائفتان وحان الحين وزعق غراب البين وعمل القتال واختلفت الاقوال وكثر الزلزال وعملت النصال وكثر على المسلمين المدد وزاد المدد ولم تزل نار الحرب دائمة والقيامة قائمة الي وقت العصر وقد سطت الكافرون على المؤمنون واخذوهم يسري عن بكرة ابيهم وفي الجملة امسير المؤمنين شعبان المقتدي واوثقوا الجميع كتافا وقووا منهم السواعد والاطراف هنالك دقت الشنايير وضربت الكوسات والمزامير وصاحت اللئام الكفار يا للنار ذات الشرار فلما سمع الوزير العلقمي بذلك النداء علم ان الاسلام لسروا والكفار نصروا فأمر بفتح ابواب المدينة وخرج في جماعة من رجاله وتلقا الملك هلاون وهناه بالنصر على الاسلام وقال له ما انت الا بطل همام وأسد ضرغام فشكره الملك هلاون واثني عليه ودخل هلاون فى بعض رجاله الى بغداد وقد ترك أمير المؤمنين فى القيود والاصفاد هو ومن معه من الاجنادو وكل جماعة من قومه هذا وقد دخل الوزير وفى صحبته الملك هلاون الى أن صعدوا الى القلعة واجلس الوزير هلاون على كرسى بغداد وقال له أنت احق بهذا من شعبان المقتدر (فلما) سمع هلاون ذلك التفت اليه وقال له ياعلقمى أما أنت مسلم قال نعم انا مسلم قال له الخليفة ما هو مسلم قال نعم هو مسلم فقال له وما السبب الذي حملك على ما فعلت وكيف انك دبرت على هلاكه وعزله من مكانه فعند

ذلك اعاد عليه ماجرى من أول الامر الى آخره واطلعه على ظاهره وباطنه

قال الراوي وهو الديناري رحمه الله فلما سمع هلاون ذلك قال له ياويلك اذا كنت أنت فعلت فى من هو من دينك لاجل حمامة فتهلكنا نحن الآخرين من أجل ذبابة وأنت لم يكن فيك خيرا في دينك وأهل ملتك وكيف يكون لك خير فينا ولا بد أن نجازيك على فعالك وماعملت من اعمالك ثم أن هلاون صاح على رجاله وقال لهم خذوه وعلى باب المدينة اصلبوه ففى الحال قبضوا هو وولده وصلبوهما على باب المدينة بغداد واسقوهما أشد العذاب (ياساده) وبعد ذلك ادعى الملك هلاون بالاساري فحضروا اليه وصاروا بين يديه وكان من جملهم أمير المؤمنين شعبان المقتدر فلما وصل الخليفة الى المدينة نظر واذا به رأي الوزير وهو مصلوب هو وولده فتعجب من ذلك وقال الحمد لله الذي ايدنى بنصره المبين واوقعك فى بغيك وجازاك على فعلك ولقد صدق من قال هذه الابيات

متي أرى عدوى ميتاً وفي الحرير مكفنا
وارفص برجلي قبره وأقل له ها من أنا
من عاش بعد عدوه يوماً فقد بلغ المني

قال ثم سار الخليفة هو ومن معه من الرجال وهو يحجل فى السلاسل والاغلال حتي انه وقف بين يدى اللعين هلاون فلما رآه ارتعدت فرائصه وخاف منه وامر في الحال بسجنه ولم يكلمه كلمة واحدة وذلك هيبة من الله تعالى فعند ذلك اخذوه بعض الرجال وادخلوه الى السجن هو ومن معه من الرجال وفى ارجلهم القيود الثقال وفي اعناقهم السلاسل والاغلال فلما رأي أمير المؤمنين نفسه على ذلك الحال قال كلمة لايخجل قائلها (لاحول ولاقو الا بالله العلى العظيم) ثم انه بكا وأن واشتكى وانشد يقول

اسلمت امري لرب السماء قدير على تيسير كل عسير

رب المشارق والمغارب كلها رازق الانام وصنعه التدبير
به استعنت حقاً على العـدا وجعلته خبير ونعم بصير
لهى توسلت اليك باجـدا تكن لي نصيرا يااعـز نصير
واطلق صراحى ممـا حل بى ونجي من حرقتي وزفـير
وجدلي بالخلاص على رغم العدا فقد كان منك الوعد والتقدير
ثم الصلاة على الحبيب محمدا نبى الهدى والسراج المنير

قال الراوى فهذا ماكان من الخليفة وأما ما كان مني العين هلاون فانه جلس على كرسى بغداد وحوله عساكره والاجناد وبات تلك الليلة في اهناء ما يكون من البيت ولما ان كان من الغد جلس على الكرسى وحوله أرباب الدولة وصار يحكم فى العساكر قدر ساعة زمانية فبينما هو كذلك اذا دخل عليه من باب القصر خمسة وسبعون من الاكراد وعليهم آثار العبادة وهم متقلدين بسيوف من خشب وهم ينادون لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رآهم اجمين اللعين هلاون قال لمن حوله ماهؤلاء فقالوا له (اعلم) يا ملك الزمان حفظتك النيران ان هؤلاء من فقراء المسلمين وأظنهم انهم ما أتوا الي هاهنا الا يهنوك بسلامتك ويطلبوا احسانك وهم يذكرون الله تعالى ويذرون فى الارض ويأكلون من رزق الله ويطوفون البلاد ويحبونهم كل العباد (قال فلما) سمع الملك ذلك قال يا قوم انى أريد أن أنظر الى ذكرهم وكيف انهم يذكرون ربهم فعنـد ذلك أمرهما بالذكر فقام المقدم عليهم ونصب حلقة من الذكر في داخل القصر فلما رأى اللعين هلاون ذلك قال وحق النار ما هذا الا جنون وأي جنون ثم انه صاح على من حوله يا ويلكم أضربوهم وعن هذا المكان أخرجوهم فعند ذلك صاحت الاكراد بعلو أصواتهم ونادوا ألله اكبر الله اكبر فتح الله ونصر وأخذل من كفر فأجابهم من خارج القصر سبعون ألفا من الاكراد وهم ينادون يا كريم يا جواد انصرنا على أهل العناد والشرك والفساد وكان المقدم على تلك

الاكراد رجل يقال له يوسف صلاح الدين فقام على حيله وماقصد الا السجن الذي فيه أمير المؤمنين وضرب باب السجن بلده فانكسر الباب باذن مسبب الاسباب ثم انه أشار على من كان داخله من المؤمنين الاسرى فتساقط الحديد من أعناقهم وخلصوا مما هم فيه من الاثقال فخرجوا وبأيديهم السيوف الصقال وصاحوا على أهل الكفر والضلال وأسقوهم شراب الوبال يا سادة ثم أن الاكراد حروا سيوفهم ملى خشب قابلوا الكفار بالويل والعطب وما كانت الا ساعة من ساعات النهار حتى شرب الكفار كاس البوار وما نجا منهم لا كبار ولا صغار الا انهم فنوا بقوة الجبار وقد نصر الله المؤمنين الابرار على عبادة النار وما هرب الا اللعين هلاون وصحبته اثنين لا يزيدون وقد هج على وجهه فى الفلاة وهو لا يصدق بالنجاة من شرب كاس الوفاة

(قال الراوي) وكان السبب فى مجىء هؤلاء الاكراد الايوبية سبب عجيب وحال غريب وسنذكره ان شاء الله على الترتيب بعد الصلاة والسلام على النبي الحبيب وذلك انه كان بين وادي بكر وبين بغداد قبيلة من جملة قبائل العربان وكانت تنسب بقبيلة الاكراد وكانوا هؤلاء من نسل الاشراف من قريش يقال لهم الاكراد الايوبية ينسب الي حبيب النجار رضى الله عنه وان هذا حبيب كان له سر عجيب وكان السبب انهم سموه حبيب النجار لانه كان ينجر الخشب بالخشب فسبحان من أعطى ووهب (يا سادة) وكان له كرامات لم تخفى على سائر المخلوقات قال ولما يريد الله تعالى من انفاذ حكمه وجري مشيئته ان قد أخذ تلك الاكراد وجاءها سيل أعاق زرعها ونزل الثلج فقتل مزارعها وأخربت الارض وقد أعياهم الامر في ذلك وأيقنوا الجميع بشرب كاس المهالك فذهبوا الى كبيرهم وكان يقال له يوسف صلاح الدين الكردي وشكو اليه حالهم والذي أصابهم وقالوا له يا سيدنا قد خربت الارض وقل متاعنا ولم يبق لنا فيها معاش فانظر لنا أرضا خصبة غير هذه الارض فقال لهم يوسف صلاح

الدين لما سمع ذلك الخطاب لهذا هو الصواب والامر لا يعاب ثم انه قام من ساعته وأحضر رؤوس أهل عشيرته وقد جمع من الاكرادسبعين الفا وقال لهم سيروا بنا الى عند أمير المؤمنين لنشكي له ما قد حل بنا من العذاب المهين فلعل أن يعطينا أرضاً خصبة نقيم بها فقالوا له شأنك وماتريد ونحن عن أمرك لا نحيد (يا سادة) ثم انهم تهيئوا للمسير وسرعة الجد والتشمير وصاروا يقطعون القفار بلا معرفة الى أن وصلوا الى الطريق وبينماهم سائرون وقد لاح لهم شخص فى البرية يوحد رب البرية وله وجه كأنه القمر اذا اكتمل فى ليلة أربعة عشر وهو يسبح الله تعالى ويذكر سيد البشر فخر ربيعة ومضر وما زال فى ذكره الى أن تقربنا اليه وتقدم يوسف صلاح الدين وقبل يده وقد فعلوا قومه كفعله فقال لهم الشيخ الى أين تريدون ياكرام هداكم رب العباد ودلكم الى طرق الرشاد فقالوا له نريد مدينة بغداد لان أرضنا أجدبت علينا نريد أن نسير الي أمير المؤمنين يعطينا أرضا غيرها فقال لهم الشيخ نعم ما رأيتم وما به أشرتم ولكن اتبعوني حتى قول لكم ما تفعلون وما أنتم تقدمون فقالوا له سمعا وطاعة ثم سار الاستاذ وسار الجميع من خلفه الي ان اقبل الي مغارة وقال لهم اقلعوا ما عليكم من الملابس والبسوا هذه الازلاق وتحملوا بالسيوف الخشب والاتراس الجميز فوعزة الله تعالي انهم يقومون مقام السيوف واسقوا الاعداء كاس الخوف واني قد سألت الله سبحانه وتعالي ان يلبسكم الولاية انتم وذرياتكم ويعطيكم الهداية والرعاية وتدركم العناية من رب البراية فقبلوا الجميع يده وقالوا رضينا بما اشرت به ثم انهم خلعوا ما عليهم من الملابس ولبسوا الازلاق وتقلدوا بالسيوف الخشب والاتراس الجميز وقد البسهم الله الولاية وشرفهم بالهداية فقال لهم الاستاذ الان صرتم من عباد الله الصالحين فيجب عليكم نصرة اخوانكم المؤمنين فاذهبوا الآن الى بغداد دار السلام وخلصوا الامام ومن معه من الاسلام فانه فى القيود والضر وقد

عمـل عليه الوزير ودبر عليه التدبير ورد الله كيـده في نحره وهو اللطيف الخبـير انه على كل شيء قدير فاذا وصلتم الى هناك فجردوا سلاحكم ونادوا بالتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير فتعجب من صنع اللطيف الخبير ثم أن الاستاذ تودع منهم وانصرف عنهم بعد مادعالهم وكان هذا الاستاذ حبيب النجار رحمه الله تعالى فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر الاكراد فانهم ساروا وجدوا المسير وهم يذكرون الله من غير تقصير الى أن دخلوا مدينـة بغداد ورأتهم كل العباد وقد طلعوا الديوان وجرى ما جري من ذلك الامر والشأن وقتلوا الكفار عن آخرها كما وصفنا

(قال المؤلف) وعدنا الى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على خير ربيعة وقريش الذى انشق له القمر فان الخليفة شعبان المقتدر بالله لما قتلت الكفار أقبل على الاكراد بنفسه وصار يقبل ايديهم ويشكرهم ويثني عليهم ثم انه جلس على تخت بغداد وقد علامراتب الاكراد واجزل لهم العطايا بالازدياد وافرد لهم مكانات ودورو قصور ورتب لهم الطعـام وزاد لهم في الاكرام وقال لهم لا بد من أكل ضيافتي ولا تبرحوا من عندى الابعد تسعين يوما فقالوا سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين كان الله لك معين وحافظا وشاكرا وأمين بجاه سيد المرسلين ثم أقاموا الاكراد على كرسي مملكته ودارت به أرباب دولته ورؤوس قبيلته وجلست الاكراد من حوله وقد هنوه بسلامته وجعلوا له وزيرا من الاكراد على ميمنته وآخر على ميسرته فدعا أن استقر الملك في جلوسه سألته الاكراد عن سبب هذه الفتنة ومن فعل تلك المحنة فأخبرهم بما جري من أول الامر الي آخره واطلعهم على باطنه وظاهره ثم أنه بعد ذلك بكا من شدة الفرح وازالة الهم والترح وقد تذكر ماجري عليـه مق قصته وما اعـتراة من بليته فانشد كل ذلك في قصته وجعـل يترنم ويقول

لقــد كنت سابقــا فى أمانى ... ولم يـكن لى ضد ولا ممـان

وكنت أظن النــاس خــيرا ... وأرى الجميع بالعدل والاحسان

واطلب العز من رب الهـدي ... لجميـع العـالمـين والاخوان.

واطلب لهم السلامة كل وقب ... وارجوا من الله منــة واماى

وكنت فى عز مهـابا مؤيـدا ... وحكمى نافذ على الثقــلان

فبالامر المقدر من رب السما ... جـاء دهــري عليّ وارمان

وأغار على الوزير ظلمــا ... وبغيــا وحدا منه ثم عادان

واقام جيوش الكافرين جمعا ... واعن أهوان وري بهتــان

فساروا الى الجميـع باسرهم ... وراموا قتالي وضرب طعان

وقد وقعت فى الاشراك حتما ... وأسلمت أمري للعلى الديان

وجازاة الله حقــاً بفعــله ... ولقــاه كل مضرة وهــوان

وارسل لي الصـالحين عبادة ... فيانعم الصالحين اولى الامان

كسروا جيوش الكفر وماحوي ... وما نجا منهم غير اثنان

ولقد كنت آيست من البقاء ... فاحياني رب الانام وهنان

ورد على ملـكى تفضـلا ... ورفعـنى ربي اعز مــكان

وإني اليوم سابق عبد رفكم ... وانتم بغيتى ومنيتى واماں

وصل ياإله علي المصطفي ... احمد المبعوث الهاشمى العدنان

قال الناقل فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك الشعر والنظــام وماقاله من ذلك الـكلام وطرب كل من كان قدامــه وشكرته الا كراد على فصــاحته وبلاغته فشكرهم واثنى عليهم ولما ان كان ثاني الايام أمـير المؤمنين وأجلس يوسف صلاح الدين وكيلا عنه فى بغداد وقال له ياأخى اعلم اني أريد ان آخذ معى جماعة وأطلب البر لاجل الصيد والقنص واغتنام اللذات والفرص فقال له الامر اليك يامولاي افعل ما تريد فما نحن لا من جملة العبيد ثم ان الخليفة

شعبان المقتدر أخذ معه مائة من الرجال الفرسان وترك الاكراد فى الديوان ونزل طالب الصيد هو والمائة فارس الذي معه وقدصاروا الى الخلوات وتوطنوا في الفلوات وغابوا ثلاثة أيام وصادوا شيئاً كثيراً وعادوا في اليوم الرابع ولما ان دخلوا الي بغدادوسار امير المؤمنين في شوارعها ونظر الي قصورها واذا به قد وجد عقدا من الجوهر معلقا على دكان واحد جواهرجى فتأمله واذا به عقدا من عقود السلطنة وكان الملك شعبان المقتدر اعطا ذلك العقد لابنته وسنذكر كل شيء في موضعه

قال الراوي وكان لهذا العقد سبب عجيب بعد الصلاة على النبى الحبيب وهو ان الملك شعبان المقتدر بالله كان عديم الخلف من ذرية البنات وكان لم يرزق بهن فى تلك السنوات وهو يحبهن اكثر من الغلمان وكان متولع بهن فقام ليلة من الليالي وسأل الله تعالى بعد أن صلى ركمتين في جوف الليل ودعا الله أن يرزقه ذرية من البنات فاستجاب الله دعاءه ورزق ببنت كأنها القمر اذا بدر ليلة أربعة عشر فسماها فاطمة ولما تمت الرضاع ومشت وتكامل لها من العمر سبع سنوات فمن محبته لها قد فصل لها بدلة من الدر وألبسها اياها وجعل العقد في عنقها وقد رآها بعد خروجه من السجن وانها قد أتت اليه وقبلت يده وسلمت عليه وهنته بسلامته فقال لها أهلا وسهلا ومرحباً ياسيدتي فاطمة يا بنتي أنت الآن مثل شجرة الدر كفاك الله شر كل بؤس وضر فكنيت بشجرة الدر من تلك الساعة وبعد ذلك سار الى الصيد والقنص كما ذكرنا والسيدة فاطمة بعد مسير أبيها جلست فى شباك قصرها في يوم من الايام وكان تحت القصر رجل سائل وهو يقول هنيئاً الى فاعل الخير تصدقوا ترزقوا خير المعاطي ما كان لله فلما أن سمعت السيدة فاطمة شجرة الدر ذلك رق قلبها وحنت أعضاؤها وقالت في نفسها خير ما عندي هذا العقد ثم انها انتزعت

العقد من عنقها ورمته الى السائل فلما رآه السائل فرح به وأخذه وسار من ساعته وهو فرحان ولـكنه ما يعلم له ثمن (يا ســادة) ثم سار به الى السوق وصار ينادي عليه فأخذه منه رجل جواهرجى بمائة ذهب وفرح بذلك السبب وقال له الجواهرجي من أين لك هــذا فقال له يا مولاي انهم تصدقوا به علي أهل الخير كفاهم الله الشر والضير فالله يصل من أوصلنى الى هذا ثم انه أخذ المائة الذهب وفرح بذلك الامر والسبب وسار الى حال سبيله فلما عاد المقتدر ونظر الى ذلك العقد عرفه فأقبل على الدكان وقال للجواهرجي أخبرنى بالصحيح ودع عنك التلويح من الذي باعك ذلك العقد المليح فقال يا سيدي رجل سائل باعه لي وقد ذكر لي وقال لي ان أهل الخير تصدقا به علي (فلمــا) سمع المقتدر ذلك من الجواهرجى تعجب وقال في نفسه لا بد أن السيدة فاطمة شجرة الدر طلت من شباك القصر فانفك العقد من عنقها وسقط الى الارض غصباً عنها فأخذه هذا الرجل وســار به الى هنا وباعه الى ذلك الجواهرجى قال ثم ان المقتدر التفت اليه وقال له ياهذا بكم اشتريت العقد من السائل فقال له يامولاي اشتريته بخمسة آلاف دينار فقال له الخليفة اعلم ياهذا لا بد لي من أخذ العقد وأزيدك على ثمنه ثم انه أخذ العقد منه وأمر له الخليفة بعشرة آلاف دينار ثم أن المقتدر أخذ العقد وجعله داخل جيبه وسار الى أن وصل الى سرايته وصعد الى زوجته وجلس في قصره على مرتبته فأقبلت فاطمة شجرة الدر اليه وقبلت يديه فنظر الخليفة الى عنقها فلم ير عقدها فقال لها يا فاطمة أين العقد الذي معك ما هو الآن فى رقبتك فقالت له يا سيدي هو عقدي في ربعيتي واني محترسة فيه غاية جهدي وقوتى فقال لها لأى شى تركتيه ومن عنقك قلعتيه فقالت له من شدة الحر لانه من الجواهر (يا سادة) وكان المقتدر بالله يحب فاطمة شجرة الدر حباً شديداً ما عليه من مزيد لانه ماعنده غيرها وهو مشفق بمحبتها ويقال انها ليست ابنته وانما هي بنت الكامل بالله وهو والده

وهي أصغر منه سناً وقد أحبها محبة شديدة وقيل انها بنت جارية بيضاء رقيقته وأخذهامنهاوجعلها ابنتها ولكن الاصح انها ابنته من ظهره بلا محال وانما ذكرنا ذلك لاجل اختلاف الاقوال

(قال الراوي) فلما سمع الخليفة المقتدر منها ذلك قال لها يا بنتي قومي الآن والبسيه سريع والا ضربتك الضرب الوجيع فقالت له يا أبي السمع والطاعة وقامت من وقتها وساعتهاودخلت وهي خجلانة الى خزانتهاوقدوقع بهاالخوف الشديد من والدها وخافت أن يعدمها وبكت وعظم احراقها وكثر شكواها وأنينها وقد حارت في أمرها فبينما هي باكية واذا قد أقبل عليها رجل من داخل المكان وهو يقول يا رحيم يا رحمن ثم انه تقدم اليها وقال لها لا تخافي ولا تحزني فأنا الرجل الفقير الذي أخذت العقد منك وقدعاملت ربك في الوسع وهو قد عاملك فى الضيق فافتحي الربعة ترين العجب من ذلك الامر والسبب واذا سرت الى عند والدك وذهب عنك الهم والقهر فتمني عليه أرض مصر فانك تنال بذلك العز والنصر فقالت له ياسيدي أنت من تكون من عباد الله الصالحين زادك الله التوفيق والبنين فقال لها أنا الرجل الفقير الراجي رحمة القدير عبدالله بن عطاءالله ثم انه دعا لها بخير وانصرف الاستاذ الى حال سبيله قال وأماالسيدة فاطمة شجرة الدرفانها فتحت الربعة واذاالعقد فيها فأخرجته وفي عنقها لبسته وخرجت به الى عند أبيها والعقد مضيء في رقبتها فلما أن رآها كذلك تعجب ومد يده لينظر العقدالذي معه فلم يجده فزادعليها غضبه وتخيل له ان ذلك سحر منها ثم انه صاح عليها وقال لها يافاجرة نحن مسلمون ومتوكلون على رب العالمين وما نعرف الاسحار فمن الذي علمك هذا السحر والاثار وأنا قد وجدت العقد عند الجواهرجي وأتيت به معي وأمرتك انك تأت به من خزانتك فذهبت من حينك وخرجت به أنت فأخبريني ما السبب في هذه الاموروالاحكام والاضربت عنقك بهذا الحسام وأسقيتك كاس الحمام

قال فلما سمعت ابنته منه ذلك الكلام و نظرت بعينها الحسام أخبرته بالخبر من أوله الي آخره وكشفت له عن باطن الامر وظاهره فلما تحقق منها ذلك قال لها أنت محبوبة لله تعالى ولأوليائه الصالحين تمني تعطى يافاطمة فقالت تمنيت على الله ثم على جانب أبي أرض مصر تكون لي وباسمى فلما سمع الخليفة مقالها أجابها الى مرادها وقال لها ان الله أعطاك وبلغك مناك ثم انه كتب حجة من وقته وساعته بذلك الذي طلبته فأخذتها عندها وجعلتها في خزانتها وقد فرحت بما نالها وشكرت ربها على ما أعطاها وكيف ان مصر صارت لها وكان ليس فى زمانها مثلها ولا في فصاحتها فأنشدت تقول

سأحمد ربى فى كل ساعة ... على نعمة لم أقدر أمضيها
قد منّ عليّ الكريم بفضله ... وبلغنى من الدنيا أمانيها
وعزني رب الانام بعزه ... واعطانى معاطى لم اقدر اكافيها
فله الحمد شكرا ومنة ... على وهبه مصر اياي ومافيها

(قال الراوي) فهذا ما كان من امر السيدة فاطمة شجرة الدر وأما ما كان من امر الخلية المقتدر بالله فانه لما سمع منها مقالها قبل رأسها و نزل الى الديوان وجلس على كرسى مملكته ودارت به أرباب دولته والحجاب والنواب واقفين في خدمته وكان الاكراد عنده في ضيافته كما ذكرنا في أول الديوان كما قدمنا ثم ان الخليفة قد زاد لهم في الاكرام وزاد لهم في الطعام فلما ان كان يوم من بعض الايام والخليفة جالس على سريره واذا بغبار قد ثار وعلى وسد الاقطار وانكشف الغبار وبعد ساعة ظهر اللعين عبد يزيد ومعه عسكر جرار كأنه البحار وهم مقبلون مثل الظلام فقابلهم القوم الكرام واذا بهم القوم اللئام عبادة النار الاعجام ياساده ان الملك منكتم لما ارسل ولده هلاون كما ذكرنا وأرسل أخيه على أثره كما قدمنا وجاء أخيه الى بغداد وجرى عليه من الامر ماقد وصفنا وهرب اللعين هلاون وفى صحبته اثنان فساروا يجدون المسير ليلا ونهارا يقطعون البرارى والقفار

ولم يأخذهم هدو ولا قرار مدة ستة أيام ولما ان كان في اليوم السابع فبينما هم سائرين وفى سيرهم مجدين واذا بأخيه قد أقبل بالكفرة الملاعين وصحبته ثمانين ألف من المشركين فلما رأى الملعون هلاون اخاه عرفه وقد اطمأن قلبه وآمن على نفسه وسار اليه وسلم عليه فقال له أخيه عبدبزيد مالك وما الذى جرى عليك وأين العساكر والفرسان مالي لا أرى معك ولا انسان فقال له يا أخى قتلت الرجال وهلكت الابطال وجرى علينا من الامر ما هو كذا وكذا ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها واطلعه على ظاهرها وباطنها فلما سمع أخيه مقاله قال له سر معي حتى أريك العجب وأبلي المسلمين بالويل والعطب لان شيخ النار قد دعالي ثم انهم ساروا يقطعون البراري والوهاد الى ان اشرفوا على مدينة بغداد فقال الخليفة ياقوم اغلقوا باب البلد كفانا الله شر اهل النكد فقال له الامير يوسف صلاح الدين الكردى ياأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين لا تفعل ذلك القصة فنحن لهم كفاية وحق رب البرية فلا تغلق أبواب ديارك طيب الله أحوالك فقال الخليفة افعل ماتريد ونحن لك ولاصحابك من جملة العبيد

قال الراوي فعند ذلك نهض الامير يوسف صلاح الدين من ساعته وكذلك اهله وعشيرته وركب كل واحد جواده وقد خرجوا من بغداد وقد جردوا السيف الخشب والخليفة ودولته والاجناد متقلدين بالسيوف الحداد معتقلين بالرماح المداد راكبين على الخيول الجياد فلم يلحق كلب يزيد أن ينصب الوطاقات حتى لعب السيف فيهم من سائر الجهات وسأل الدم مثل الفوارات وصاحت المسلمين عن لسان واحد الله اكبر الله اكبر وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير نخيل للمشركين أن السماء عليهم قد وقعت والارض من تحت أرجل خيولهم قد خسفت وارياقهم نشفت والاراضى تزلزلت والعقبان عليهم حامت والقتلا تمددت والاعين بالعما تكحلت والارض من الدما قد تطينت وطلع الغبار وعمل القفار وقدحت حوافر الخيل الشرار

وقل الاصطبار وقصرت الاعمار وكشفت الاستار وباحت الاسرار وفاضت الدما مثل الانهار وقتلت الكفار ولم يزالو على ذلك العيار الى أن تنصف النهار حتى هلكت الكفار والملعون هلاون واخيه اشرفا على الاثار وأيد الله الاسلام الابرار بتوحيد الملك الغفار

قال الراوي ولما أن هديت نار الحرب وبطل الطعن والضرب أمر الخليفه شعبان المقتدر بالله العساكر بلم الاسلاب فلموها والخيول الشاردة فجمعوها وارادوا الدخول الى المدينة واذا بغبار قد ثار وسد الاقطار وكان هذا الجيش المقبل من العجم والمقدم عليهم الكلب الاكلب والذئب الاجرب الملعون منكتم وصحبته مائة الف فارس كرار يعبدون النار وعلى رأسه الثنيار (ياسادة) ولما قدم اللعين ونظر محل القتال ورآى اصحابه ممدودة علي الرمال صعب عليه وكبر لديه وصاح ياللنار ذات الشرار ساطعة الانوار عليهم بارفاظ وأمر بهز الشنيار فجردت اللئام سيوفها واعتدلت على خيولها واقبلت الى المعركة بصدورها وهو يعوي عواء الكلاب ينادون ياللنار ذات الالتهاب فتلقتهم المسلمين الابرار بكل سيف بتار وهم ينادون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وجردوا السيف في اعناق الكفار وانسلبت منهم الارواح وحجب الغبار ضوء الشمس حتي غاب وناح الغراب واكلت من لحومهم السباع والكلاب وعشش في اذانهم الناموس والذباب وقد صاحت الاسلام ولعب الحمام في هؤلاء اللئام وغلق الهام وانقطع الكلام وزاد الزحام وعلى الغبار ونما وطلع الي عنان السماء وتكحلت الاعين بمراود العما وتحسرت الاكباد على شربة من بارد الماء ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال وأرادوا الانفصال القوم اللئام فما مكنتهم من ذلك عصبة الاسلام بل حملوا عليهم ومكنوا السيف في اعناقهم ولله در الاكراد وما فعلت من الفعال بل انهم زادوا في القتال وكثر النزال وبطل القيل والقال وعمل

البتار وقل الاصطبار وقصرت الاعمار الى أن ولي الليل واقبل عليهم النهار وقد مات من العجم خلق كثير وجمع غزير وأراد الملعون منكتم الراحة فما مكنه من ذلك الامير يوسف صلاح الدين بل أنه صاح على اكراد الايوبية دونكم وعباد النار الحمية واتركوا هـذه الدنيا الدنية وأرضوا بقتالكم رب البرية فعندها حملت الاكراد وعساكر بغداد وجميع أمراء بغداد والاجناد وكثر العناد وزاد عدد القتلى على الارض أزواجا وافراد ولم يزلوا القوم فى ضرب الحسام وكثرة الصدام ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع كثر في الكفار المعاطب وحملت العسكرين وتقابلت الطائفتين وحان الحين وزعق غراب البين وقد قصد الامير يوسف صلاح الدين الى منكتم اللعين وأشار عليه بيده اليمين فأخذه ذليل مهين ولما أن رأت العساكر الى اسر ملكهم انحلت عزائمهم فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وقد لعب فيهم السيف من جميع الاقطار ولا نجا منهم لا كبار ولا صغار وشربوا الجميع شراب البوار ونصر الله المؤمنين الابرار على المشركين الكفار (ياسادة) وبعد ذلك أمر الخليفة بجمع ما خلفوه هؤلاء الكلاب من خيول واثقال واسلاب فكانت هذه غنيمة عظيمة لكثرة مافيها من الاموال والخيام والخيول والبغال وخرج الخليفة شعبان المقتدر بتلك الاموال وهو يشكر الملك المتعال وأمر أن تزين مدينة بغداد وقد شكر الخليفة المقتدر بالله الشيخ يوسف صلاح الدين الكردي وما فعل من فعاله وكيف اباد الكفار بحربه ونزاله فطفح الشعر على باله فأنشد يقول

لقد نالنى خطب جسيم ومحنـة ... وغاروا على الكافرون بجهلهم
وأرادوا بنا كيدا وسوء مذلة ... فـرد الله كيـدهم فى نحرهم
وتفرقت فرسانهم وسط الفلا ... وتاهـوا في بحـار لجاجهم
وبعـد الضيق عني تفرجت ... كل الامور وضاقت بهم
وأرسل لى ربى حقيقاً جنده ... فيا نعم مولاي زين دونهم

ايدنا الله فى كل موقع وافنا الحسام كل جموعهم
فلم تراهم الا كل هالك حرام عليهم أن يعودوا لحيهم
واسرنا رئيس القوم ثم عياله بعد ما فنيت اللئام وحيهم
وعادمليك القوم أسيرقيودنا وشرفنا الرحمن على الانام باسرهم
وجاء النصر من رب السماء لنا مع الاشراف ونسلهم
على يدمن قد اتانا ننصحه ينسب الى الاشراف أميرجيوشهم
صلاح الدين حقا لقبه يدعى بيوسف عند الانام كبيرهم
من حاز مجداً عظيما ورفعة أيده الرحمن على العداة بجمعهم
وعصبته والله لقد نصحوا أهل المكارم صغيرهم وكبيرهم
وشرفهم رب الانام وعزهم وفي الكون قداشتهر فضلهم
وفعلوا معنا الجمايل كلها ولست انسى والله جميلهم
فالحمد لله الذى قد خصنا بنصره الاسلام على يدهم
وله الشكر دائما سر ندا ما دامت الفرسان فى حيهم
صلى عليك الله ياعلم الهدى ما هب رياح الصبا ومسالهم

قال الراوى فلما فرغ الخليفة من ذلك الشعروالنظام وما قاله من الكلام طربت الرجال الكرام وشكره يوسف صلاح الدين الكردي واثني عليه ودعا له ولدولته بالعز والدوام على ممر الليالى والايام فلما سمع الخليفة دعاءه قربه وادناه واوهبه وأعطاه وكذلك رفقاه ثم أنهم دخلوا بغداد وكان يوم مثل يوم الاعياد وجلس الخليفة على كرسى مملكته ومن حوله أرباب دولته ولما استقر الخليفة بالجلوس أمر باحضار الكفار الذي اسروا اليه فحضروا في الحال وصاروا بين يديه وكان في أولهم الملعون منكتم وأولاده الاثنين فلما راهم الخليفة أمر بضرب رقابهم فانتدب السياف على رؤوسهم وهم يصيحون بالنار ذات الشرار هذا والسياف قد امتطى سيفه وضرب اللعين منكتم بالحسام أطاح رأسه عن الهام وعجل الله بروحه الي النار وبئس القرار

قال الراوي فلمانظروا أولاده الى ذلك الحال اخذهم الانهذال وصاحوا بعلو رؤوسهم نحن في غيمة الامام يوسف صلاح الدين البطل الهمام فمند ذلك نهض يوسف صلاح الدين وقبل الارض بين يدي أمير المؤمنين وقال له أيها الملك اللهاب وحاكم على العجم والاعراب وابن عم النبى الاواب اعلم أن عمار الارض خيرمن الخراب ونحن نبيع هؤلاء الكلاب أنفسهم بالمال والجواهر العوال لان قتلهم مافيه فائدة للاسلام وأخذمالهم احب ممانسقيهم كأس الحمام فقال له الخليفة شأنك وما تريد فنحن عن أمرك لانحيد فعند ذلك التفت يوسف صلاح الدين الى هلاون واخيه كلب يزيد وقال لهم سمعتم ماقلته للامام قالوا نعم الأمر نا بما تريد من الاحكام فقال عليكم عشرة خزائن من المال كل خزنة مائة الف ريال فقالوا السمع والطاعة فقال لهم وعليكم الخراج في كل عام عشرة آلاف ريال فقالوا علينا ما تحب ونختار فقال يوسف صلاح الدين للخليفة يا أمير المؤمنين ان القوم الاعجام اجابوا بما قلنا من المرام وان يدفعوا الخراج والمال والانعام فقال الخليفة هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ولكن نجعلهم في السجن حتى يأتي المال ونبلغ ما نريد من الامال فقال الامير يوسف وعزة الله المتعال انا الضامن لك جميع الاموال فدعهم يمضون الي حال سبيلهم وما يغيب عنك المال الا بقدر وصولهم وانا قادر ان آخذ رؤوسهم من تحتهم وهم فى ارضهم وبلادهم بقدرة الله ربي وربهم فامر الخليفة بأطلاقهم من وقتهم وساعتهم بعد أن رد عليهم خيولهم وسلاحهم وانصرفوا الي حال سبيلهم فساروا طالبين اوطانهم

فقال الروي ثم ان الخليفة شعبان المقتدر بالله جلس على كرسى بغداد واطاعته اهل البلاد وارضي العباد واتت اليه أهل القري والبلدان يهنونه بالسلامة على أهل الشرك والطغيان وهو يخلع ويهب ويفرق الفضة والذهب فدعت له أهل البلدان بدوام العز والبقاء والامان مدة يسيرة من الزمان وبينما

هو جالس وإذ بغبار قد ظهر فقال الخليفة ياقوم اكشفوا لنا الخبر واعلموني بجلية الاثر لئلا يكون أحد من أهل الشر فبينما وهو يحدث قومه بمثل ذلك الكلام واذا برجل يقبل الارض بين يديه ودعا وترحم واحسن ما به تكلم فقال له الخليفة ماحالك فقال له ياسيدي نجاب وحامل كتاب فقال له الخليفة من اين والى اين قال من بلاد العجم من عند سيدي كلب مزيد وأخيه الملك هلاون الي ابين ايادى امير المؤمنين ثم انه ناوله الكتاب فاخذه وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا مكتوب في أوله ياالنار ذات الشرار خطاب من عند هلاون وأخيه كلب يزيد الي بين ايادى ملك الاسلام اعلم ان الواصل لكم صحبة الكتاب عشرة خزائن مال التي اشترينا بها انفسنا وفدينابها ارواحنا وعشرين الف ريال عشرة خراج هذا العام وعشرة لسيدى يوسف صلاح الدين شكرا للنار ساطعة الانوار فما قرأ الخليفة اسبح الملك التواب ومزق الجواب ورماه وارسل من عنده جماعة يتلقوا المال الذى مقبل من تلك الجبار فماكان الاقليل حتى حضر المال بين يديه فرآه مال كثير ومن جملة ذلك خيول وبغال وجواهر واحمال وجوار وعبيد ففرح الخليفة بذلك وامر للقوم الذين أتو مع المال بالضيافه والاكرام مدة ثلاثة ايام ولما كان فى اليوم الرابع أحضرهم اليه فحضروا وقبلوا الإرض بين يديه فامر أن يخلعوا على القوم الخلع السنية واعطاهم أوفى عطية وردهم الي بلادهم وصرفهم الي حال سبيلهم

قال الراوى ثم أن الخليفة شعبان المقتدر بالله تفرغ بعد ذلك الى ضيافة الأكراد الايوبية وزاد في اكرامهم وهو يحادثهم ويكرمهم الى ان تمت الضيافة فلما ان كان اليوم التسعين وجلس الخليفة على الكرسي ودارت به الوزراء والامراء وقد قرب يوسف صلاح الدين وقال له يا سيدي انت احق بهذا التخت مني لانك نصرت الاسلام وأقمت الشعائر والاحكام وهذه الفعال فعال الكرام فلا اجازيك الا بهذا التخت لانك الآن احق به واولى فاجلس ملكا وسلطان على

ممر الليالى والازمان واحكم على سائر البلدان القاصي منها والدان وانا وعسكرى لك من العبيد والخدام قال فلما سمع يوسف صلاح الدين ذلك الكلام قام قائماً على الاقدام وقال ياأمير المؤمنين وخادم للنبي الامين انت ابن عم سيد المرسلين فلا ينازعك أحد فى السلطنه جعلها الله بين يديك ممكنة وكان ذلك أبدا ولا شمتت بك الاعداء فقال له الخليفة اذا لم ترض بذلك فتمنى على أي شيء تريده مني حتى ابلغك اياه وتنال ما تتمناه فقال له يوسف صلاح الدين أنا تمنيت على الله ثم على جناب أمير المؤمنين ارضاً غير ارضنا التى نحن فيها لانها ياأمير المؤمنين قد اجدبت علينا وهلكت أكثر رجالنا وهذا ما نتمني على أمير الاسلام وخادم البيت الحرام ومهلك الكفرة اللئام ثم أن يوسف صلاح الدين اشار الى الخليفة يقول صلوا على الرسول

سيدى اجـدبت علينا ارضنا فصرنا حيارى من شدة الجدب
وماتت منا رجال كثيرة من عدم المرعي والكلا والعشب
فقلنـا عن ارضـنا نرتحـل الى ارض عليهـا خصب
قالوا الكرام لنا سيروا الى شجرة الجود والعـطا والوهب
طيب اصلال والفرع منه زكي كريم الحسب والفخر والنسب
فسرنا اليـك بكل جموعنا لننال منـك مانرجوه من طلب
فامنن علينا سيدي بمسيرها فقـد تعبنـا والله أعظم التعب

(قال الراوي) فلما سمع الخليفة ذلك الكلام وما قاله من الشعر والنظام فقال في نفسه والله لاعطيتهم اشياء يفتخروا بها على سائر الافاق وأحسن من أرض العراق فقال الخليفة أيها الامير الهمام اني قد اعطيتك انت وقومك ارض مصر والشام ولك الخطبة ولك السكة ولك العزل والتولية وان أردت شيئاً غير ذلك اعطيتك اياه فلما سمع يوسف صلاح الدين من الخليفة ذلك الكلام دعا له بطول العمر والدوام وفرح الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد

وأخذ يمدح الخليفة ويقول هذه الابيات

أدام الله عزك والسرور — وعشت مؤيداً اطول الدهور
وزادك المولي الكريم مهابة — ونصراً وتأييداً ولطفاً صهور
وأيدك الاسلام دهرا — وأمدك دهر في الدهور
ولا زلت منعما في مساء — بحين تصبح للبكور
ولا زالت لك الايام بيضا — من مواهب المنان والملك الغفور

(قال الراوى) فلما سمع الخليفة ذلك النظام شكره واثني عليه وأمر ان يخلعوا عليه وعلى قومه الخلع السنيه واعطاهم اوفى عطيه هذا وقدا نكتبت الحجج بما قر الامر بينهما وفرح كل منهما وبعد ذلك ودع الامير يوسف صلاح الدين الخليفة ونزل من الديوان وصحبته سبعون الفاً من الاكراد وعولوا على الارتحال من بغداد وخرج الخليفة وكبار الدولة لوداعه يوم كامل وارادوا أن يسير وامعه اليوم الثاني فخلف عليهم يوسف صلاح الدين وودعهم الي بلدهم وسار بمن معه من الاكراد حتى أتي الي عزبة وأخذ الاكراد عيالهم وماهم وأمرهم بالمسير الى أرض مصر فأجابوا الجميع بالسمع والطاعة راجدوا في تجهيز شملهم من وقتهم ولم يمض عليهم اكثر من ثلاثة أيام حتي قضوا شغلهم وحملوا احمالهم وساروا طالبين ديار مصر وقد زال عنهم الهم والقهر ولم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين الى ان وصلوا الي أرض حلب فنزل عليها الامير يوسف صلاح الدين وهو علي هيئته المعروفه وشجاعته الموصوفه وصحبته اولاد عمه وكان بها حاكم يقال له عبدالله ابن سعيد وكان فارس شديد وبطل صنديد فلما سمع بوصول يوسف صلاح الدين اليه خرج الى ملتقاه ومعه رجاله وفرسانه وأبطاله فلما التقيا سلما على بعضهما بعضاً وأخذه وادخله البلد وأخرج لهم الضيافات والطوقات والاقامات وزاد لهم في الاكرام مدة ثلاثة أيام ولما ان كان في اليوم الرابع عرض يوسف صلاح الدين الحجة التي معه على نائب حلب فأجابه ونزل عن نيابته لوقته وساعته

وولى عليها حاكما من طرفه يقال له اعط وضم اليه الف كردي من الا كراد وبعد ذلك أمر الا كراد بالمسير وسرعة الجد والتشمير ومازال سائر الى أن وصل دمشق الشام فنزل عليها فخرج صاحبها الى ملتقاه واستقبله وحياه فاعرض عليه الحجة فنزل عنها وولى عليها حاكما من رفقته يقال له شرف الدين وارتحل الى ان وصل الى غزة فولى عليها حسان الكردي ثم انه سار الى ان وصل الى بحر النيل فولى على دمياط الاقمراوى وولى على رشيد اسماعيل الكردي ولم يزل يولي على اقطاع مصر والشام وكل بلد كانت تحت حكمه حتى اتى الى مصر فخرج صاحبها الى ملتقاه ومعه فرسان ومماليك وغلمان وكان قد سمع بما جرى على البلدان وان هذا يوسف صلاح الدين هو الذي نصر أمير المؤمنين فخرج وقد جمل له موكب عظيم وكفله أهل مصر وفرحوا به الفرح الشديد ودخل الي البلد وهو بهذه الملابس والترس الجميز والحسام الخشب ولم يزل سائراً والعساكر حوله ودائرة به حتى انه صعد الي قلعة الجبل وجلس على الكرسي وجلست حوله أولاد عمه وأقاربه وصار يحكم ويعدل وقد جمع العلماء وعرض عليهم المكاتبات فأجابوا الي ما أراد من تلك الاشارات ودعوا له على المنابر وتهيأت المعاملة المصرية بختمه عليها وقد أطاعته مصر والشام ودعت له بسائر الانام وحكم وعدل وقد رزقه الله بولدين أحدهما يقال له العادل والآخر يقال له الكامل وقد زينت له أرض مصر ثلاثين يوماً وبطل التعب واللوم

قال الراوي ثم ان الملك يوسف صلاح الدين أمر باحضار خراج الارض والبلاد من النياب الذين ولاهم وأرسل يطلب منهم المال فاجابوه الجميع الى ذلك في الحال فلما حضر عنده الخراج أحضر البنايين والمهندسين وأمرهما أن يبنوا له قصرا عاليا شاهقا في العلو ويكون بقلعة الجبل ويسموه باسمه فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم صاروا يتعاطون الاشغال ليلا ونهاراً ولم يزالوا كذلك

الى أن فرغ بناء القصر وكتبوا على بابه هذا قصر خليفة الله يوسف الكردي أدام الله بقاه قال ولما فرغ بناء القصر عمل فيه الختمات والليالى الفاخرات وأنم على أهل العمارات فدعوا له الجميع الرفيع منهم والوضيع وانصرف كل أحد الي مكانه وراح الى حال سبيله وقد فرش ذلك القصر من أنواع الحرير الفاخر الملون من أحمر وأصفر وجعلوا فيه اواني من الذهب الاحمر وقد فرح به الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد قال فلما كان يوم من الايام جلس الملك على كرسي قلمة الجبل يوحد الملك الازل ويذكر الله عز وجل وقد تكامل الديوان وجلست العساكر والفرسان الى أن تعالي النهار وأراد الملك أن يتعاطى الاحكام ويحكم بين الخاص والعام واذا قد أقبل عليه سائر ومعه كتاب وهو يقول أمير المؤمنين أزادك الله عزا وتمكين وأنشد يقول

سلامى على ذا المقام وذا الحمى . مقام به كرسي الخلافة قد نما
بعم النبي الكريم وآله وكل من تناسل من احداهما
حتى أمير المؤمنين بجيشه وقد حفت الكرسي ملائكة السما

قال الراوى فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ذلك الكلام وما أبداه من الشعر والنظام قال له من أين والى أين فقال له يا مولاي من الشام فقال له مامعك من الاخبار فقال يا مولاي كتاب فاخذ منه الكتاب وناوله للقاضى فاخذه منه وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام المتقين خطابا من أهل الشام الى بين أيادي مالك الاسلام نعلمك أن يوم تاريخه توفى الى رحمة الله شرف الدين وأنه قد خلف غلاما صغيراً يقال له عيسى الناصر والوكيل على الشام رجل من الاشراف يقال له حسن الاقواسى وهو الذى أرسل اليك هذا الكتاب بحضرة علماء أهل الشام لاجل أن تولي من تريد على الشام والسلام على نبي تظلله الغمام

قال الراوي فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ذلك الكلام قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون فاين ولدي العادل فقال له لبيك يا أبتاه فقال له انى وليتك على أرض الشام واياك والظلم على الانام بين الخاص والعام والوزير لك حسن الاقواسي حتى تبلغ رشدك وشدبه ركنك (يا ساده) ثم انه البسه ولاية الشام وأرسل معه الف فارس كرام وأرسلهم صحبة النجاب سيار وقد ساروا يقطعون البراري والآكام الى أن وصلوا الى الشام يا ساده وأما الملك يوسف صلاح الدين فانه بعد ما توجه ولده الى الشام امر القاضي ان يكتب كتاب الى الخليفة المقتدر بالله فكتب فى أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الانام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العليم العلام خطاب من نائب أمير المؤمنين الهادى الى الطريق القويم المقتدي بالله السميع العليم عبد الله يوسف صلاح الدين الي بين ايادي امير المؤمنين الذي نعلمك به باننا أقمنا في مصر ورضاك معنا في كل وقت وعصر وانكتت السكة والخطبة باسمنا وقد بنينا قصرنا واردنا ان نعلم بذلك أمير المؤمنين زاده الله نصرا وتمكين لاجل ان يطمئن علينا ويدعى لنا والسلام ختام على نبي شيد اركان الاسلام وقد ضمن الكتاب بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

قد كتبت كتابا للامير ابث فيه الشوق والتقصير
واقرا الخليفة مني سلاما مزجته بالمسك والدمع الغزير
ولو اني شرحت ما بقلبي الى المشاق لفاض فيضاً كثير
ولكن قلبي اليك رسولا يترجم عنه لديك بشمري
يخبر بان لديك شوق فاجبر سيدي لكسر الكسير

قال الراوي فلما فرغ القاضى من كتابة الكتاب قرأه على الملك يوسف صلاح الدين فاعجبه وعلم عليه وختمه واعطاه للسيار واركبه هجين وقال له

عليك ببغداد دار السلام وهات الي رد الجواب فركب السيا وأخذ معه الكتاب وركب وسار يقطع في البراري والقفار ليلا ونهارا الى ان توسط الطريق وكان ذلك وقت الظهر فنزل الي أسفل شجرة لاجل الراحة وقد أخرج شيئا يأكله ويطعم الهجين فبينما هو كذلك واذا قد اقبل عليه من كبد البر هجان آخر ومال الى ذلك الشجرة فقال له السلام عليك ياأخى فقال له وعليك السلام من أين والى اين فقال له انا من مصر وطالب بغداد فقال وانا الاخر من بغداد وطالب مصر فقال له أنا قاصد أمير المؤمنين المقتدر بالله تعالى فقال له وانا الاخر طالب الى الامير يوسف صلاح الدين فقال له أخبرني عن السبب فقال له اعلم يا أخي ان المقتدر بالله قد انتقل بالوفاة بعد مسير يوسف صلاح الدين من عنده بسنة كاملة وتولوا أولاده من بعده الخلافة وهما أحمد وابراهيم وجلسا مكانه وقد ارسلوا كتابا الى مصر للامير يوسف صلاح الدين يطلبون منه الدعا والرضا فقال له ياأخى اعلم ان رجوعي معك أحسن من رواحى الى بغداد (يا سادة) ثم انهم ركبوا الاثنين وعادوا الى مصر مسرعين الي أن وصلوا اليهـا ودخلوا على الملك يوسف صلاح الدين وسلما عليه وقبلا الارض بين يديه فرد عليهما السلام وقال للسيار مالك عدت فى مدة قريبة هل انت وصلت الي دار السلام فقال لا يامولاى ولـكن قد التقانى هذا السيار وانا سائر في البرار وذكر ان المقتدر انتقل الي رحمة الله ومعه كتاب من عند اولاده وهما أحمد وابراهيم فلما سمع الخليفة ذلك قال للسيار الذى اتي من بغداد احق ما يقول قال نعم ثم ناوله كتاب اولاد الخليفة شعبان المقتدر بالله فاخذه وحله وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا به يجد خطابا من ابراهيم المتوكل واحمد أخيه أولاد المقتدر بالله الماضى الى رحمة الله الذي تعرف به امير المؤمنين يوسف صلاح الدين ان والدنا انتقل بالوفاة وجلسنا نحن على بغداد وتداقت لنا البلاد وأطاعتنا العباد وقد كتبنا لك هذا الجواب فعند اطلاعك عليه تحضر من تتولاه وترسل الينا ونحن نسلمه

الامانة ونعطيه المخلفات التي تحت يدنا لتكون عندك محفوظة لاننا نخاف أن يفور عليها هلاون وأخيه كلب يزيد أولاد اللعين منكم ونحن من قبلك مثل ثياب على سكاك الارض والبلاد وان شئت أرسلنا لك الخراج ولا بد من أخذ الامانة التي عندنا والسلام على من تظلله الغمامة وفى آخر الكتاب شعر

سلاما عليكم ياسادتي ... سلاما جزيلا متوسلا
يعم الارض اشرقها ومغربها ... مثل سيل يعم ويهطلا
أنتم السادات حقا لانكم ... حماة النبي المرسلا
فارحموا ضعفاء قوم قد أتوا ... لجنابكم خاضعين معولا
قد مات والله سيد عزهم ... أمير المؤمنين الخليفة لافضلا
وسار رديم الثرا وهو باليا ... وعدنا حيارى من بعده نتذللا
وما خوفنا الامن فجاة عدونا ... أهل الخيانة والملامة والبلا
فعينوا وارحموا قوما لاذوا بكم ... ودخلوا فى حماكم باجمعهم اولا
وانتم الآن صرتم عزنا ... وما نذل قط وانتم فضلا
ثم الصلاة على النبي المصطفى ... النبي المختار الشفيع المرسلا

(قال الراوي) فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ما فى الكتاب هطلت دموعه مثل قطر الميزان وبكى بكاء شديد ما عليه من مزيد حتى غشى عليه وبكت لبكائه جميع الاكراد التي حوله ولما أفاق الملك من غشوته قال كلمة لا يخجل قايلها الاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم أشار بهذه الابيات يقول

لقد كان فينا خلاموا فيا ... وكان لدين الله نعم المحاميا
وكان والله ابن عم نبينا ... عليه أزكى صلاة واوفى سلاميا
وكان يحب الال والصحب كلهم ... وكان يكرم من كان آتيا
وقد اعطاني فضلا ونعمة ... وأوهبنى اجزا المعطايا

ولكن حكم الله لاشك نافذ نعاه مولانا ونعم القاضيا
فاختاره رب العباد خليفة وأعطاه فى الفردوس قصراً عاليا
وعدنا حيارى والله بعده وانهدم من الاسلام ركنا ناميا
فيارب اعطى خير عطية كما أعطيت الانبيا والاصفيا

قال الراوى ولما فرغ الملك يوسف صلاح الدين من نظامه وماقاله من كلامه أمر أن يكتبوا كتابا فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على زين النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين خطابا من عبد الله يوسف صلاح الدين الى ما بين أيادى أولاد أمير المؤمنين وأننا قد وصلنا جوابكم وفهمنا خطابكم وأعلموا أن كل من عليها فان ولا يدوم ولا يبقى الا وجه الملك الديان فاجلسوا مكان ابيكم ولا تخافوا من اعدائكم وأنا خلا لخلكم وعدواً لعدوكم وصاحبا لحبيبكم نخلوا الامانة والمخلفات على ماهى عليه وان تحرك عليكم عدو الله ارسلوا الى واحداً من عندكم وأنا احضر لديكم واهلك عدوكم والسلام على من تظلله الغمام ثم انه علم عليه وأرسله مع السيار فأخذه وسار بعد ماانعم عليه السلطان وأعطاه شيء كثير من الاحسان ولم يزل يجد السير فى البرازي والقفار الى أن وصل الى بغداد ودخل علي أولاد المقتدر وسلم عليهم وقبل الارض بين ايديهم وقد اعطاهم الكتاب فأخذوه وحلوه وقرؤه فلما عرفوا مافيه فرحوا بتلك الامور والاسباب وقويت قلوبهم واشتدت ظهورهم واستقرت لهم البلاد واطاعتهم سائر العباد وصاروا يهادون ملك مصر وهو يهاديهم بالهدايات والانعام والمكاتبات في أغلب الاوقات سائرة بينهم وهم فارحين بما نالهم قال فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر يوسف صلاح الدين جالس بعد ذلك المدة بثلاث سنين ذات يوم من الايام وحوله رجاله والخدام واذا بسيار يقبل الارض بين يديه فقال له الملك مامعك من الاخبار فقال يامولاي جواب ثم ناوله أياه فأخذه منه وحله وقرأه وعرف رموزه ومعناه فلما اتى على آخره بكا وأن واشتكا وأنشد يقول

أكم للدهر من نائبات وكم ايلا جيوشاً بالشتات
وكم فرق من جموع ومزق جمعهم بالعاديات
وكم بجوره أصاب قلب وكم رماه لذوي الرماة
وكم للدهر من غدر مصب فكرد علينا مرهفات
كذا للزمان له احتكام ومثله الليالى المثقلات
ولكن هكذا حكم الآله فهو قدر بالممات
فالله يجعل له جنة الخلد ويعطيه خيراً من جنات

قال الراوى فلما نظرت الاكراد الى بكائه وما قاله من كلامه وشكره قالوا له يامالك الاسلام ما الذي ابكاك أخبرنا باحوالك اصلح الله اعمالك فقال الملك ياقاضى خذ هذا الكتاب وأقرأه حتى يسمعوا مافيه من الخطاب فأخذه القاضى وقرأه واذا بأوله الابيات

ايا أيها الدهر الخؤن كم ارميتنا بكل محون
وكم فينا فعلت فعلا وكم أخذت منا مصون
وكم اهرقت دماء قوم وكم اتلفت لهم عيون
فرق وارحم يادهر قوما قد لقيهم بما لايكون
وقد أصبحوا سلباء عقل وما زدتهم الا جنون
طفى مصابحا يادهر فأرحم فأمر ربي بين كاف ونون
فاتقى الله يادهر فينا فهو الذي يعلم بما قد يكون

قال الراوي خطابا من حسن الاقواسي الى بين ايادي أمير المؤمنين الذي نعلمك به أن يوم تاريخ الكتاب توفي ولدك العادل الى رحمة الله تعالى الكريم التواب وقد أوديناه التراب وعملناله الختم والليالى وصار جسمه فى التراب بالى ونحن اعملناك وعلى ذلك الامر اطلعناك لاجل ان تولى من تريد على الشام وهذا آخر ماعندى والسلام قال فلما سمعوا الاكراد بموت العادل بكوا الحاضرين عليه وعزوا فيه

أبيه قال وأما الملك يوسف فانه قدغشي عليه ساعة زمانية ولما افاق قال انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم انه التفت الى كبار دولته ورؤس عشيرته وقال لهم اكتبوا الآن الى حسن الاقواسي مكاتبة بالشام ويحكم على من فيها من الخاص والعام اذا لم يكن بلغ عيسى بن شرف الدين مبالغ الرجال ولا صار في عدد الرجال فقالت له ارباب الدولة هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم أن القاضي كتب لحسن الاقواسي نيابة بالشام وهو يحذره ويقول فيه أياك والظلم والاسراف واتبع العدل والانصاف وبعد ذلك أرسلوا الكتاب مع السيار فأخذه وسار طلب الشام وأوصل الكتاب الى صاحبه بسلام وتمت تلك الامور والاحكام (ياسادة) فهذا ما كان من أهل الشام وأما ما كان من الخليفة يوسف صلاح الدين فانه قد حصل عنده غما شديداً ماعليه من مزيد حتى انه ابطل النزول الى الديوان وقد اجلس موضعه الكامل ورسم له بالسلطة بعدوفاته هذا وقد ازداد عياه وكثر شكواه مدة أحدى وعشرين يوما ولما كان اليوم الثاني وعشرين توفى الى رحمة الله في يوم الخميس المبارك سادس ساعة من النهار من شهر ذى الحجة من سنة سبع مائة واثنان وخمسون هلالا من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ماغرد القمري وما ناح الحمام فشرب فيه يوسف صلاح الدين كأس الحمام فغسلوه وكفنوه وواروه من داخل القصر وعملوا له الختم وما يحتاج اليه وحزنت جميع الدولة عليه

قال الراوي ثم أن الكامل بعد العزاء جلس على كرسي أبيه وقد أطاعه جميع أهله وذويه وحكم بين الناس بالانصاف والعدل وترك الجور والاسراف وعدل في الرعية سنة كاملة وبعد ذلك طلب الخراج من البلاد فطاعته سائر العباد وحملوا اليه الاموال والجواهر الثقال ولما أن رأي ولاة البلاد طائعين لامره ولم يكن أحد منهم يخالفه فطلب الزواج لنفسه فزوجوه ببنت من أولاد بني عمه وعمل لها الافراح وبخر البخور وعمل الولائم في مصر مدة سبعة أيام وقد أكل من الولائم الخاص والعام ولما كان الليلة الثامنة دخل عليها وأزال بكارتها فحملت منه من

ليلتها وظهر حملها وكبرت بطنها فلما كملت مدة الحمل الى أن كان ليلة من الليالى فجاءها الطلق كما يشاء خالق الخلق فولدت ولدا ذكرا كأنه فلقة قمر جميل الصورة حلو المنظر والشمائل ماله مثيل فى الاكراد الاواخر ولا الاوائل ثم أن القوابل اخذوه وفى صينية من الذهب وضموه والى بين يدى أبيه قدموه فلما رآه فرح به الفرح الشديد الذي ماعليه من مزيد وخلع على القوابل الخلع البهية وأعطاهم أوفى عطية فقالوا له أيها الملك السعيد والملك الحميد شمى ولدك أنت بنفسك فقال هذا نجم الدين ايوب فقال أرباب الدولة اسم مبارك ان شاء الله تعالى هذا ونجم الدين قد نشأ وترعرع فى الارض ومشا وظهر أمره وفشا وانه قد قرأ القرآن وختمه وبعد ذلك طلب الاحكام وعرف الحلال من الحرام وصار فطينا لبيبا عارفا بأحكام السياسة والشريعة والرئاسة فكتب له ابوه الكامل حجة بالسلطنة بعده فانه ثم عمر فى الخلافة الكامل ستة عشر سنة وانتقل بالوفاة رحمه الله تعالى فتولى على الكرسى نجم الدين وقد اطاعته الدولة وجميع الرجال وابذل عليهم الاموال وقد سارت الخطبة والسكة باسمه وطاعته العباد وملك البلاد وأرسلوا اليه الخراج من سائر الامصار والادوية والقفار وقد اطاعوه الكبار والصغار وقد تزوج بجارية من اولاد بنى عمه وكانت مزيدة فى الجمال زائدة فى الحسن والكمال فتزوج بها وازال بكارتها وما أتت عليه السنة الثانية حتى أن زوجته وضعت غلام كأنه البدر التمام وله جبين واضح فسماه الصالح وكناه بنجم الدين ايوب وقد أحبه أبوه محبة عظيمة فكتب له حجة السلطنة في يوم مولده وأمرهم الملك أن يكتبوا له حجة لايكون بعده الا ولده الصالح نجم الدين ايوب فأجابوه ارباب الدولة بالسمع والطاعة وقالوا ياأمير المؤمنين هذا هو الصواب والرأي الذي لايعاب فقال لهم الخليفة اعلموا اذا قضي نحبي ولحقت بربى وولدي لم يبلغ مبالغ الرجال فليقم له وكيلا عادلا حتى يبلغ رشده ويجلس على كرسى سلطنته فقالت الامراء نعم مارأيت ياأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين (ياسادة) ومكث نجم الدين أيوب بعد ذلك أحد عشر سنة

وقيل سبعة سنين وقيل تسعة والمعتمد الاخير وتوفي الى رحمة الله تعالى فتباكت عليه ارباب الدولة وورأوه التراب وعملوا له مايليق بالمملكة وهناك مدفنهم رحمة الله عليهم هم ومن مضى من أموات المسلمين بجاه سيد الاولين والاخرين

(قال الناقل) وكان ولده الملك الصالح قد زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وقرأ القرآن وعرف ما فيه من البيان وعرف الحلال من الحرام فعبد الملك العلام وصار من عباد الله الصالحين وهو من صغر سنه على الفلاح واليقين ولا يجالس الدولة ولا يحضرهم في حكومة فسموه الاكراد الصالح نجم الدين أيوب ولي الله المجذوب ولما توفي والده بايعوه قومه على السلطنة فقال لهم نعم ما قلتم وما به قد أشرتم وأقام له وكيلا من الاكراد يحكم بالعدل بين العباد وقد اشترط على نفسه أن لا يأكل من السلطنة ولا يأخذ شيئا من أموال المملكة ولا يأكل الا من كسب يده ولا يغير دلو أبيه ولا ترسه فبايعوه على ما طلب وأجابوه الى ذلك الامر والسبب وجلس على كرسي مملكته ودارت به أرباب دولته وهو يتعاطى الاحكام بالعدل والانصاف وأبطل الجور والاسراف وأطاعته سائر العباد واتت اليه الجزية من سائر البلاد مدة من الايام .فلما كان يوم من بعض الايام الملك جالس في الديوان وحوله الامراء والاعيان واذا بواحد من أهل الشام تقدم اليه وقبل الارض بين يديه ودعا وترحم وأحسن ما به تكلم فقال له الخليفة ما بالك وما حاجتك فقال ذلك الرجل يا مولاي ان الدنيا لا تدوم والملك للحي القيوم وتعيش رأس أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وان حسن الاقواسى توفى الى رحمة الله تعالى وان عيسى الناصر بن شرف الدين قد بلغ مبالغ الرجال وعرف سائر العلوم والحرام والحلال فلما سمع الصالح ذلك الكلام قال الملك للحي الذي لا ينام ثم انه أمر القاضى ان يكتب له المكاتبات بالسوية وهو يأمر الناصر بالعدل بالرعية ويبعد عنهم الظلم والاذية فكتب القاضى مثل ما أمر الخليفة الصالح نجم الدين أيوب ولي الله

المجذوب وأخذ الرجل ذلك المكتوب وسار الى الشام ففرح بذلك الخاص والعام وجلس الامير عيسى على الشام يتعاطى الاحكام وعدل وحكم وأنصف وما ظلم قال المؤلف وهذا ماكان من الامير عيسى الناصر وأما ما كان من أمير المؤمنين الصالح نجم الدين أيوب ولى الله المجذوب فانه أخذ يتعاطي الاحكام على شريعة سيد الانام وقد أحبه الخاص والعام مدة من الايام وقد صار له شان وأي شان وخطبوا له على المنابر في سائر البلدان وكان يعد من الرجال الكرام الى أن كان يوم من بعض الايام التفت الخليفة الى الاكراد الايوبية وقال لهم اعلموا ان مرادي ان اصلى في الحسين وأطلب منهم الدعاء للعالمين وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فقالت الاكراد سمعا وطاعة وركبوا من وقتهم والساعة وركبت الاكراد الشهب وتقلدت بالسيوف الخشب والاتراس الجميز ونزلوا من الديوان وهم يعبدون الملك الديان الرحيم الرحمن وهم يقولون الله لا اله الا الله محمد رسول الله الى أن اقبلوا الى وسط الرميلة فبينما هم سائرين واذا اقبل عليهم مركب عظيم والرجال راكبين على خيول عربيات متقلدين بسوف هنديات والمقدم عليهم رجل جليل القدر كثير الهمة وهو لابس بدلة من الاطلس الاحمر مرصعاً بالذهب الاحمر فلما نظر مقدم القوم الي الخليفة والاكراد وهم بتلك الصفة وينادون بذلك النداء فقال هؤلاء من فقراء الله تعالي ثم انه تقدم اليهم وسلم عليهم وحط يده في جيبه وقد أخرج شيئا من حطام الدنيا ومد يده الى كبيرهم وهو الملك الصالح وقال له خذ هذا يا ولدي وادعى لى فقال له الصالح يا هذا أنا أدعي لك من غير أن آخذ منك شيئا من الحطام وحق الملك العلام فلما سمع ذلك الرجل من الصالح ذلك الخطاب تعجب غاية الاعجاب وكيف أنه ناداه باسمه ولم ينظره الا في هذه الساعة فاعتقد فيه وقال والله ان هذه لكرامة عظيمة ثم انه أراد أن ينزل عن الحصان ويسير في ركابه من جملة الخدام والغلمان فقال له الملك الصالح خليك يا شاهين على يمينى وسير الجواد جنب الشهبة وقل

معنا الله الله لا اله الا الله فسار الاغا شاهين جانبه وقد زاد تعجبه وانشرح صدره وسأل عنه بعض الاكراد من يكون هذا من العباد فقالوا له هذا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين من طاعته فرض لاهل جميع الارض في الطول والعرض هذا يقال له الصالح أيوب ولى الله المجذوب فلما سمع الاغا شاهين ذلك الامر المفيد فرح الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد وقال والله يهون على أن أترك بلادي بما فيها وأولادى وأخدم هنا عند هذا الرجل وأصير له من جملة الغلمان ولا أخالفه فيما يريد من الامر والشان وأنا على نذر الله تعالى ان طلبنى لخدمته لاخدم عنده وأترك ملكي وأقدم له نعاله وأنا أسأل الله المجيب ان يذكر لي ذلك الامر عن قريب

قال الناقل وكان السبب في مجيء الاغا شاهين الى الديار المصرية وتمام تلك القصة سبب عجيب وأمر مطرب غريب نريد أن نذكره علي الترتيب حتي ان المستمع يلتذ ويطيب بعد الصلاة والسلام على النبي الحبيب وذلك أنه كان فى سابق الزمان وقديم العصر والاوان مدينة يقال لها مدينة برصه وكان الحاكم عليها والمشير على رجالها ملك يقال له حسن بيك وكان معه ولد يقال له اسماعيل بيك وكان ذو عقل وتدبير وبالامور خبير فما كانت الا أيام قلائل حتى توفى حسن بيك وواروه التراب باذن مسبب الاسباب فتولى مكانه ولده وقد أطاعوه أهله وأقاربه وتزوج من بني عمه وقد خلف منها اثنين ذكور كأنهم البدور فسمي أحدهم عثمان بيك والآخر قاسم بيك قال فلما انتعشوا الاثنين وبلغوا مبلغ الرجال وصاروا يعدون من الابطال تزوج الاثنين فخلف عثمان ولده فسماه مسعود بك وأما قاسم فانه خلف ولد فسماه شاهين وصاروا الاولاد يكبروا ويقربوا في المدينة وقد طلع شاهين فارس لا يطاق وعلقما مر المذاق صاحب رأي وادارة وخبرة ومشورة وهو فارس من الابطال وفيل من الافيال كثير الاحتيال وكان عاقل لبيب فطين وكان مسعود بك الآخر كذلك. فبعد

مدة يسيرة من الزمان توفى عثمان وقاسم الى رحمة الله تعالى فتقاسموا الاثنين فى ملك برصه وصارا يحكمان فيها وكثرت رجالهم وقويت شوكتهم فلما كان يوم من الايام الاغا شاهين جالساً وأخيه الى جانبه واذا بغبار قدسار وسد الاقطار وبعد ساعة انكشف الغبار وبان من تحته لمعان والعساكر حوله قد سدت البر والفدفد وخلائق ما لكثرتهم عدد والجميع ينادون عيسى ومريم والصليب المفخم (يا ساده) فلما نظر الاغا شاهين ذلك خاف على نفسه وعلى رجاله من شرب كأس المهالك وكان ذلك الجيش المقبل من الافرنج وهم طائفة يقال لها المسكف ووادي القرم فعند ذلك جمع الاغا شاهين أرباب الدولة وأهل المشورة. وقال لهم ما عندكم من الرأى مع هؤلاء اللئام ونسل الحرام فقالوا له شر الينا أنت بما فيه الصواب وبين لنا الاسباب فقال الرأى عندي أننا نركب في هده الساعة ونكون ثلاث فرق ونحمل عليهم ونصدمهم صدمة صادقة بنيات متوافقة ونحن نسأل الله أن ينصرنا عليهم ومن هذا المكان نكسرهم ونجعلهم تحت أيدينا ونرتب عليهم الخراج الى بلاد الاسلام ونرسله الى الخليفة الامام في كل عام فقال له رجاله هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فقال الاغا شاهين اعلموا أنى سأركب بنفسى واحامي عن رجالي بسيفى وترسى وأسير اليهم وأحمل عليهم وأنت يا مسعود تكون حافظا الى بورصه وأهلها خوفا من الكفار أن يغتنموا الفرصة ويهجموا عليها فقال له أخيه مسعود بيك يا أخي أعانك الله رب السماء وكان لك حافظا وحامياً

قال الراوى فعند دلك ركب الاغا شاهين كانه أسد العرين وركب جواده واعتد بعدة جلاده وقد ركب حوله من قومه واهله واقاربه مائه الف فارس من كل مدرع ولابس فى الحديد غواطس وكلهمْ متقلدون بالرماح الطوال معتقلين بالبيض النصال والاغا شاهين فى أولهم والي جانبه رجل يقال له حسان الوزير وكان الاخر بطل نحرير وهو فارس من الفرسان ليس له مثال فى ذلك

الزمان ولما أن قد خرجوا من برصا التفت الاغا شاهين الى الوزير حسان وقال له أيها الوزير خذ معك خمسين الف فارس واحمل على اليسار وأنا آخذ معي خمسين الف واحمل على اليمين وابذلوا فيهم السيف البتار أسأل الله أن ينصرنا على هؤلاء القوم الاشرار فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم أنهم صاحوا صيحة واحدة الله اكبر فتح الله ونصر وخذل بالشام من كفر ولعنة الله على من طغى وتجبر هذا وقد حملت الطوائف على بعضها وتدكدكت من ركض خيلهم الارض وعمل البتار وقدحت حوافر الخيل الشرار وجرت الدما مثل الانهار وطلع الغبار الى أن حجب بين الارض والسماء وتكحلت الاجفان بمراود العمى وتحسرت الاكباد على شربة من بارد الماء وصال الشجاع مدمدما والجبان ولى منهزما والغبار عليهم قد غيما قال وعملت المشرفيات وقتلت العبيد والسادات وتكدرت الفلوات وضاقت على الهارب الخلوات وصاحت الرجال باختلاف الاصوات فهربت الوحوش من الغابات وحامت على القتلى الطيور الكاسرات ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصلت الطائفتان عن الصدام ورجعت كل طائفة الي من لها في الخيام ونزل الاغا شاهين وهو كانه شقيقة ارجوان مما سأل عليه من أدمية الفرسان لانه قد أشفا الغليل وارضى الملك الجليل ولكن العدد كثير والجمع غزير ثم أنهم استشاروا بينهم في القتال عدوهم فقال الاغا شاهين طيبوا نفسا وقروا عينا فلا بد لي في غداة عند ما ابرز الى الحرب بنفسي وأفديكم بروحي وجسمي واطلب البراز وأسأل الانجاز لعل أن يخرج الي ملك الافرنج فاما أن أقتله واما أن أءسره وان أعانني الله عليه هانت علينا عساكره فقالوا له افعل ما بدالك نجح الله أعمالك

قال الراوي فهذا ماجرى هاهنا من الاخبار وأما ماكان من القوم الكفار فانهم رجعوا الي خيامهم وجلسوا واستقر قرارهم وقد شكوا الى ملكهم مالاقوه من الاغا شاهين والوزير حسان لانهم قتلوا الفرسان وابادوا الشجعان والاقران

فقال لهم الملك صدقتم وحق المسيح والمذبح والذبيح ولا بد لى ما أخرج في غداة اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وكان ذلك الملك جبار من الجبابره الكبار لا يصطلى له بنار وهو آفة من الاوفات وبلية من البليات يقبض الاسد بيده من الغابات وهو اكفر خلق الله بالرحمن يقال له جرجيس ابن صلبان قال فلما سمع قومه كلامه إطمأنت قلوبهم وطابت نفوسهم وباتوا تلك الليلة على ذلك الرواح الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على الروابي والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح فعندها ركبت الطائفتان الجرد القداح واعتقلوا حوامل الرماح وتقلدوا بالبيض الصفاح وتحدروا يطلبون الحرب والكفاح واصطفت الصفوف وتعدلت الميات والالوف فكان أول من برز الي الحرب وموقف الطعن والضرب الاغا شاهين وهو راكبٌ على جواد اشقر عالي من الخيل مضمر كانه الطير في الجريان وهو ممتقل برمح طويل وعليه سنان كانه لسان ثعبان او قبس من النار ذات اللهب ومتقلد بسيف بتارقوى المسمار ماضي الشفار قاطع للاعمار ثم انه صال وجال ونادي وقال ألا يا كفار من عرفنى فقد اكتفي ومن لم يعرفنى فما بى خفا انا الاغا شاهين ملك برصا ثم أنه طلب البراز وسأل الانجاز قال فلما نظر الملك جرجيس ذلك أيقن أنه يسقية كاس المهالك فخرج اليه أسرع من البرق اذا برق أو السهم اذا رشق وهو راكب علي جواد ادهم غالي ململم بحافر كالدرهم أعلاه جبل أسفله جندل وهو معتقل بقنطاريه جلنجية ومتقلد بصحيفة هندية سقيها بكأس المنية ثم أنه حمل على الاغا شاهين فتلقاه كما تلقى الارض العطشانة أوائل المطر بقلب أقوي من الحجر وجنان اجري من تيار البحر وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وتطاولت اليهما أعين النظار وايقن كل منهما بشرب كاس البوار واتصل اغبار الثرا وأخذ الاثنين في أخذ ورد وقرب وبعد ألى أن وقعت الشمس فى قبة الفلك وايقن كل واحد انه هلك وقد خرج منهما طعنتين أصليتين فكان السابق

بالطعنة الاغا شاهـين فوقعت في صدر عدو الله خرجت من ظهره وعجل الله بروحه إلي النار وبئس القرار

(قال الراوي) فلما رأت الافرنج الي ملكها قتيـل وفي دماه جديل فحملوا على الاغاشاهين من كل مكان وجانب وعملت القواضب وحملت الاسلام في جميع المواكب وتكدرت المشارق والمغارب وصاقت الطرق على الهارب وتخضبت بالدماء اللحا والشوارب وصاحت الابطال وعمل القتال وكثر النزال وتزلزت الارض بالزلزال وصارت الدماء مثل السـيل اذا سال فلله در الاغا شاهين وما فعل فكم جندل من بطل لانه هاج فى المعمة كما تهيج فحول الجمال وضرب الاعداء بالسيف الفصال ومدد أكثرهم على الرمال وما كانت الاساعة من النهار على ذلك العيار حتى ولوا الكفار الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وقد تركوا خيامهم وأثقالهم وما عز لديهم وأموالهم فعـند ذلك صاح الاغا شاهين على الاسلام وقال لهم دونـكم وهؤلاء اللئام اسقوهم كؤوس الحمام ثم انه تبع الكفار في تسعين ألف فارس كرار وترك الباقين يلمون الاسلاب وما خلفوه الكفار الكلاب وما زالت الاسلام الابرار تابعـة الكفار الى أن أوصلوهم الى أرضهم والديار وعمل فيهم البتار وهجموا على الموسكف وأسقوهم كاس التلف فعنـد ذلك صاحت الكفار طلبت الامان على عيالهم والنسوان قالوا ها نحن لكم وبين أيديكم عن يقين ونحن مستجيرين بالاغاشاهين (ياساده) فلما سمع الاغا شاهين كلامهم أمر برفع السيف عنهم بعد ما أخذوا أموالهم وذخايرهم وما تحتويه أيديهم وارتحل بعد ذلك وطلب وادى القوم وأسقى كل مافيه كاس القهر وأبلاهم بالويل والعدم وأخذ ذخايرهم والنعم وبعد ذلك أمر عساكره بالارتحال وطلب بر السركس وبذل السـيف في الرجال وأباد الابطال واقنا الاقبال واحتوى علي مافيه من الاموال وأخذ الاسلاب والامتعة والجواهر ومن كل شيء فاخر وقد جمع الاموال والاثقال وولى علي تلك البلاد

التى ملكها من يصلح من دولتهم ورتب عليهم الخراج والجزية فى كل عام ثلاثون ألف دينار فأجابوا الجميع بالسمع والطاعة وكتب عليهم بذلك الحجج وتعاهدوا على ذلك وعاد الاغا شاهين فرحان بالنصر والظفر من رب العالمين الى ان أقبل الى برصا فلما وصلت أخبار المبشرين الى أخيه مسعود بيك ان أخيك قد أقبل ومعه اموال تسد الفضا وتملا المستوى فلما سمع مسعود بيك ذلك الكلام اخذه الفرح والابتسام وفرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وامران تزين مدينة برصا لقدومه فعملت اهل المدينة المهرجان والزينة ونزل الى لقاه وسلم عليه وبالسلامة هناه وفرقوا على الرجال شيء كثير من تلك الاموال والباقى دخل الخزائن وجلس الاغا شاهين وهو فرحان والى جانبه عثمان بيك بن عثمان (ياساده) هذا وقد تعجبت الناس من فعال الاغا شاهين وقد حسدوه وقد كثر فيه الكلام واكثر الناس يقولون هذا فعاله على صغر سنه فماذا يكون فى كبره وقيل أن الحسد يورث النكد فبالامر المقتدر والقضاء المبرم انه مرض مرضا شديد ماعليه من مزيد وقد اشرف منه على الهلاك وسوء الارتباك وتجارت عليه الحكماء والفلاسفة وغيرهم ولم يعرفوا له دواء ابدا وأيقن الاغا شاهين بشرب كاس الردا.

(قال الراوي) فلما كان يوم من الايام وهو فى أشد مرضه اذ دخل عليه رجل رمال وسلم عليه وتقدم اليه وقال له ياسيدى أنا أدلك على مافيه الصلاح والرشد والنجاح فقال له الاغا شاهين أيها الرمال قل واخبرنى بما تريد من المقال فعند ذلك ضرب الرمل وحققه وبين اشكالة ودققه وقال له اعلم ياسيدى انه قد بان لى فى الرمل انك تسافر من هنا الى ارض يقال لها ارض مصر وفيها بقعة يقال لها البساتين واعلم ياسيدى ان سبب ماسميت بالبساتين كان بها رجل يهودي يقال له اسحاق وكان يعرف الاسحار وهو شيطان مكار فاصطنع فى العقبة بساتين بعلوم الاقلام مع ارهاط الجان وكان فيها من كل فاكهة زوجان

واصطنع بها ايضا بحر عجاج متلاطم بالامواج وكان يجرى وله تيسار يقصف السمار وكان كل من يراه يظن انه بحر وهو مافيه من الماء ولاقطرة وقد مرض اسحاق اليهودى وأشرف على الموت وكان له ولد يقال له عزرين فأحضره وأعلمه بالارصاد قبل موته وهلك الملعون وذهبت روحه الى الاحتراق. وتولى عزرين على ذلك المكان بعد ابيه ولعب فى الارصاد ففك الرصد الذى للبحر فسار لايجرى ولا احد يرى فيه شيء فسمى بحر بلا ماء واعلم ياسيدى ان ذلك المكان اذا انت اقمت فيه ثلاثة شهور تبرىء باذن الملك الغفور ولكن اذا شفاك الله تعالي الملك الجواد ابطل مافى الارصاد ولاتبقى لليهودى هناك اثر في ذلك المكان الازهر فقال الاغا شاهين اذا كان الامر على ماذكرت والحال كما وصفت فان هذا الامر سهل باذن الله عز وجل ثم اجابه بالسمع والطاعة وكان الاغا شاهين يثق بكلام الرمال ويصدقه فى كل الاحوال فعند ذلك قام من وقته وساعته وجهز نفسه وركب فيمن شاءه من دولته وسار طالب ارض مصر بعد ان أجلس أخيه مسعود بيك على برصا وقال له اذا وفي العام أرسل الى البلاد وأجلب الخراج وأجمعه عندك لاجل ان يعلوا شأنى وشأنك فقال له سمعا وطاعة ياسادة ثم سار الاغا شاهين ولم يزل يجد المسير وسرعة الجد والتشمير الى ان أقبل الى أرض مصر ودخل بها ووصل الى تلك العقبة واجتمع بعزرين اليهودي واغواه بالمال والجواهر والخيل والبغال واشترى منه ذلك المكان وأخذ حجته منه وأفسد الارصاد فذهبت البساتين وبحر بلاماء وسكن الاغا شاهين مدة يسيرة فاشتد وجاءت له العافية وحمد الله تعالى وأمر بعمارة البيت فعمروه وأصلحوه وقد وجد فيه قاعة عظيمة فيه صفة السلطان والدولة واستولى كل شيء في مكانه بعون الله وسلطانه وأقام الاغا شاهين فى ذلك المكان تمام الستة أشهر فصار كانه مامرض أبدا فشكر الله تعالى على السلامة الى إن كان بعض الايام وكان يوم الجمعة اراد أن يصلى فى سيدنا الحسين فركب

فيمن عنده وصار طالب الحسين الى ان وصل الي الرملة فالتقا بالملك الصالح كما ذكرنا وقد قال فى نفسه انه يخدمنا كما وصفنا

قال الراوي ثم أن الملك الصالح التفت الى الاغا شاهين وقال له اعلم ياشاهين أنا رجل اظفر الخوص واعمل المقاطف ولا أعرف السلطنة ولا أعرف أحكامها فهل لك أن تكون معى والبسك وزير أعظم وانا ماعندى خدمة ولا محتاج الى أحد يخدمني رضيت ياشاهين قال رضيت ياأمير المؤمنين (ياسادة) وأننا ذكرنا أن الملك الصالح لما تولى السلطنة شرط علي نفسه انه لا يأكل شيئاً من أموال السلطنة ولنه لا يأكل الا من شغل يده وصار يظفر الخوص وكانت هذه عادته وشغله وصنعته ثم أن الملك الصالح قال ياشاهين تأخذ حق المظلوم ممن ظلمه وتحكم بالعدل والله عليك من الشاهدين .رضيت ياشاهين قال رضيت ياأمير المؤمنين قال له لعنة الله على من يعزلك الا بالموت رضيت ياشاهين قال له نعم ياأمير المؤمنين قال له أوليتك وزيراً اعظم وصدرا معظم رضيت ياشاهين قال له نعم ياأمير المؤمنين قال تأكل معى فى الدقة والقراقيش قال نعم يامولاي ففرح به الملك الصالح ومد يده الى الهواء وقال يادائم ثلاث مرات واقبض على شىء من الهواء وناوله الى الوزير وقال له خذ هذا فأخذه واذا به كتاب يقال دلائل الاحكام فقال له الوزير يامولاى وما منفعة ذلك الكتاب فقال اعلم انه اذا تعسرت عليك دعو تفكها من هذا ياشاهين واحترص عليه غاية التمكين فانك موعود به وهوانه كان لاحمد ابن باديس السبكى وقد جعله في مكان كذا وكذا وانا آتيتك به منه لاجل راحتك وتكمل عزتك فقبل الوزير يده وسار الاثنان الى أن دخلوا الحسنين وصلوا الجمعة وعادوا بعد أن دخلوا وقرؤا الفاتحة لاهل الله على التمام اكلوا من الدقة والقراقيش وخرجوا من الحسنين وساروا وطلع الملك الصالح بالاغا شاهين الى الديوان مكان جلوسه واجلسه على شىء من الخوص فجلس رحمة الله عليه ولم يتكبر وقعد يتحدث معه الى أن جاء وقت العصر فتودع الاغا شاهين من الخليفة وقام يريد البساتين فقال له

الملك الصالح غداة ائتي الى ديوانى فقال سمعا وطاعة لله ولامير المؤمنين ونزل من الديوان وهو منشرح الخاطر وسار الى منزله الذى بالبساتين وبات فيه تلك الليلة وهو فرحان بما قد ناله من ذلك الامر والشأن الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على الداب والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح ركب الوزير شاهين الافرم وسار الى ديوان الملك الصالح وكان الملك الصالح نزل الى الديوان وحوله الامراء والفرسان والوزير شاهين دخل اليه وسلم عليه وقبل الارض بين يديه ففرح به الملك الصالح ورد عليه السلام باحسن التحية والاكرام وأجلسه الى جانبه اليمين وتكامل الديوان وحكم فى ذلك اليوم الوزير شاهين وعدل وما ظلم فشكره الملك الصالح على ذلك هذا وقد تداولت الايام والشهور والاعوام فيوم من الايام بينما الملك الصالح جالس واذا بأربعة يقبلون الارض بين يديه فقال الملك الصالح ما الخبر فقالوا ياأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين اعلم أننا نحن رسل السيدة فاطمة شجرة الدر بنت أمير المؤمنين المقتدر بالله تعالى وقد أمرتنا أن نقول لك أن الارض أرضها ومصرها وان حجتها معها وهى تأمرك أن تنزل من على التخت وهى توليه لمن تريد من السادات أو من العبيد

قال الراوى فلما سمع الملك ذلك الكلام وماقالوه من المرام أخذه الغضب وزاد غيظه والعجب وقد رآه الوزير على ذلك الامر الخطير فقال له اعلم ياأمير المؤمنين وخليفة النبي الامين ان ماذكره الرسل فهو حق وما تكلمت به السيدة فهو حق لاسيما وقد ورثت الارض عن ابيها ومعها تشريف بخط الملك وختمه فطاعن فيه الاجانب وان كلام الملوك تمام وما رسلوبه لا بد من الاتمام ولو كان خلاف ما فيه المصالح للانام واني أقول لك ان هذا الامر ماله غير الحيل والخداع وقد قال القائل فى المعني

دارهم مادمت في دارهم وحيهم مادامت في حيهم

واتبع فتات المكر حتى تنال ما تروم من الامر
فالصبر قليل على هذا القليل فبالصبر تكفى كل أمر و بيل

قال الراوي فلما سمع الملك ذلك الكلام من الوزير علم انه بالامور خبير فقال له والله يا شاهين لقد تكلمت بالصحيح وما قلته فهو عندي مليح لكن الرأي الصحيح انك تنزل اليها وتسلم عليها وتقبل الارض بين يديها وأعطيها حق الخدمة وانظر ما الخبر ودبر هذا الامر بفعلك وأمر فيه برأيك فكل ما تراه حسن فهو عندي أحسن فأجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم نزل الوزير من عند الملك تلك الساعة

قال الراوي وكان للسيدة فى ذلك شأن عجيب وأمر مطرب بديع غريب أريد أن أسوقه على الترتيب بعد الصلاة على النبي الحبيب صاحب البردة والقضيب وذلك أن السيدة فاطمة بعد أن تداولت عليها الايام وآن لها الاوان فى علم الملك الديان من انفاذ المشيئة والامتنان اشتاقت الى الحج ذلك العام والى زيارة النبي عليه الصلاة والسلام وقد اشتغل خاطرها ليلا ونهاراً وصارت لا يأخذها قراراً وقد أكثرت من الشوق والبكاء والانين والاشتكاء ثم ازداد ما بها وقل اكلها وشربها وعدمت صبرها وجلدها وقصدت غرفة نومها فأخذت مالها ونوالها وثيابها وخدامها وطلبت الاقطار الحجازيه وكان مرادها الاقامة هناك بالكلية وتنفق جميع ما معها من الاموال على الفقراء وأصحاب العيال الى أن حوت بتلك البقاع لينالها أعظم انتفاع هذا وقد ركبت دابتها وأخذت باقي عشيرتها ومن أراد مثل ما تريد ثم طلبت الارض والصعيد وكلما أتت على واد من الاودية أو قطر من الاقطار يتلقونها الكبار والصغار ويخرجون اليها الاقامات ويسعون فى خدمتها ورضاها جميع السادات ويكرمونها غاية الاكرام حتى ما يعلموا انها بنت الامام وصارت هذه عادتها وهي تسأل على العيان من قومها وتدانيه واذا بلغها أمر مريض أقامت تسأل الله يشفيه ولم تزل على ذلك الحال الى أن جاوزت الفيافي والتلال

وأقبلت الى أن وصلت الى أرض مصر السعيدة وأمرت بنصب الوطاقات فانتصبت وقامت بالوطاقات الى ثانى الايام فلم تجد أحداً يلقاها ولا يكرم مثواها ومع ذلك كان الوزير يعرفها وكذلك الصالح لا ينكرها غير انهم لا يعلمون أن هذه الارض أرضها وحجتها بيدها ولذلك تركوها ولم تجد أحداً منهم يلقاها ولا سألوها فصبرت الى ثاني الايام وهي على هذا المرام فلما آيست من ذلك غضبت غضباً شديداً ماعليه من مزيد وقالت واعجباه كيف ان البلاد جميعها يكرموني ويهادوني ويوادوني ولم يكن لي عليهم أيادي وكيف أن هؤلاء القوم لا يكرموني وهم يأكلون فى بلادي ويتمتعون بسوادي ولا يبالون بى ولا يعتنوني فوالله لا كان ذلك أبداً ولو سقيت كاس الردى وأنا أولى بأرضي منهم وسوف أبعدهم عنها وأطردهم فقال لها بعض جلاسها ياسيدتى لاتعجلي فربما كان هنالك مانع والصبر أولى من الاستعجال فكاتبيهم وانتظري رد الجواب ليظهر لك السؤال والخطاب فلما سمعت من جلسائها ما ذكر أرسلت هؤلاء الاربع القصار وقالت لهم جميع ماذكروه فساروا الى أن أقبلوا الى أمير المؤمنين فاعلموه بما جرى عن يقين فغضب كما ذكرناو صوب الوزير كما وصفنا ونزل الاغاشاهين كما قدمنا فكان أصل السبب هكذا وسنرجع الى كلامنا باذن من لا يحول ولا يزول (ياسادة يا كرام) ولم يزل الوزير الاغا شاهين سائر الي أن وقعت العين على العين ونظروا الى بعضهم الاثنين فتمنى الوزير بين يدى السيدة فاطمة وتأخر الى ورائه ثم تمنى ثانيا وثالثاً وقد رأته السيدة فاطمة بهي المنظر حسن المخبر الشجاعة لائحة بين عينيه تشهد له ولا تشهد عليه فصارت تنظر الى آخر مرامه وماينتهي اليه كلامه هذا وقد قبل الارض مرة أخري ووقف واعتدل وقال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

ألا يا كرام الاصل بالله فاعطفوا ... على عبد أتى اليكم ذليل
أنتم السادة في كل الملا ... وأنتم الشفا لقلب العليل
أتيتكم بانكسار فارحموا ... من في حيكم أضحى نزيل

يرجو القبول من آل الرسول يريد الوصول الي السلسيل
فنـاه الغـرام وداء السـقام فيا أهل المقام حنوا على الهزيل
أنتم السـادات أهـل الـكفاء ونحن الرعاة فى البر الطويل
فاحسـنوا لنـا أنتم سـادتنا ولا تأخـذونا بفالها الوبيل
ان كنا معسرين فأنتم الاكرمين وكم مثلنا خادمين الى الرحيـل
تجاه المصطفى صاحب الصفا والمكارم والوفا والتاج والاكليل
ارحموا بحق المرسلين وآلهم والتا بعين ومن يحبهم أضحى قتيل

قال الراوى ثم ان الوزير لما فرغ من شعره ونظامه تمنى بين يدى السيدة فاطمة كل ذلك وهى تنظر اليه باهتة شاخصة فلماسمعت ماتكلم به من الكلام وما قاله من الشعر والنظام تبسمت ضاحكة وتقدمت بنفسها حتى قربت منه فقالت له من أنت وما تكون وما الذى تريد فقال لها ياسيدتى أنا خادم الملك الصالح أيوب ولي الله المجذوب وقد أرسلني اليك وانه يقبل يديك ويثني بالسلام عليك فقالت له وماسمك قال لها اسمي شاهين الافرم فلما سمعت تعجبت غاية العجب وقالت له لعلك من برصـة فقال لها نعم هى بلدى فقالت له وماالسبب في مجيئك الى هذه الديار واقامتك بأرض الامصار فأعاد عليها القصة من أولها الي آخرها وكشف لها عن باطنها وظاهرها فلماسمعت منه ذلك صدقته فى كلامه وأمرت باكرامه لانها كانت تعرفه من قديم الزمان وسالف العصر والاوان وان المقتدر كان يكاتب أبى الوزير والآخر يكاتبه وكانت السيدة تسمع من أبوها حديث الاغا شاهين وانه قد صار فارسا عظيم وبطلا جسيم فلما علمت حاله وما تكلم به من قصته عطفت عليه وقالت له ولاى شيء مانزلت أنت وهذا الملك الي لقائى مثل ما فعلوا غيركم من الناس الذين لا يعرفوني ولا يأكلون فى أرضى فقال لها وقد أحسن فى كلامه يا سيدتي انا لم يبلغنا الخبر بحضورك الى هذا المكان الا بالامس ولما بلغ الملك ذلك جعل يتهيأ الي اللقاء والمقابلة وأنا كنت مقبل

الى حضرتك ذلك اليوم ولو لم يأت رسولك الينا والآن فما بقي لك الا العزومة الملكية والاقامات المستوفية وكل ما أمرتني به مطاع فمنك الامر ومنا الاستماع ثم ان الوزير مازال بها وهو يمازجها ويتحايل عليها ويمدحها ويثنى عليها بحسن معرفته وفطانته الى أن لان جانبها وطاب قلبها وخاطرها ثم سمحت له فى الضيافة وطاب على قلبها فعند ذلك أمر الرجال بنقل الاثقال وسار مع السيدة يجاذبها الي أن رأت القلعة قد أقبلت الى السرايا باذن رب البرايا هذا وقد علم الملك الصالح بمجيئها فتهيأ الى لقائها ولبس أفخر الملابس وكان كل ذلك بمشورة الاغا شاهين ثم انه قابلها وسلم عليها فردت عليه السلام وطاب بينهما الكلام وهي داخل الستار وهو خارج مع الحضار فلما تكلمت مع الصالح أيوب أوقع الله حبه في قلبها وصارت قتيلا تحدثه عن أكلها ونومها هذا وقد أقامت على ذلك المرام وهي فى ألذ مقام مدة ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أقبل الاغا شاهين على الملك وقال له يا أمير المؤمنين اعلم ان السيدة فاطمة معها حجة من أبيها بأرض مصر وأقطارها ولم يكن أحد يمانعها في ملكها لان كلام الملوك تمام والذي أريد أن أشيره اليك سوف ألقيه بين يديك فان رأيت فيه اصلاح فاقبله وان كان غير ذلك فاهمله فقال له تكلم بما تريد فأنت عندي رشيد وكلامك مفيد فقال له أريد الامان من ملك الزمان فقال له عليك الامان ولك الزمان فقال اعلم يا أمير المؤمنين ان السلطنة لم تثبت لك ولا هي حقك الا بحركة واحدة وذلك انك تتزوج بهذه السيدة وتأخذ الحجة منها وتصير من الآن ولي أمرها فاذا فعلت ذلك تثبت لك السلطنة دون العباد واطاعتك جميع العباد وأهل البلاد من غير عناد فقال له وكيف ذلك يا وزير الزمان فقال له ان سلمت الى الامر فأنا أنهيه على خير ما يكون باذن من لا تراه العيون فقال له الامر اليك فافعل ما تريد فعند ذلك نزل الاغا شاهين وتوجه الي السراية واستأذن للدخول على السيدة فأذنت له فدنى خلف الستار وتمني فأمرته بالجلوس فجلس فلما استقر به الجلوس قالت له يا أغا شاهين قال نعم

فقالت له ما تقول فى أرض مصرنا امااننكم ترحلوا عنها واما أن تدفعوا خراجها فقال لها يا سيدتي أمرك مطاع فالارض أرضك ونحن عبيدك وخدامك فان تركتيها لنا فنحن نواب حفظناها بكل الاسباب وان وليت غيرنا فأنت المالكة لرقنا غير أنى أقول انه لم يوجد أحد يقيم بهامثل هذا الملك الصالح لانه فى كل الامور ناصح وأنا معى كلام خلاف ذلك وأريد من حضرة مولاتنا الامان فقالت له تكلم بما معك من الجواب وخذ رد الخطاب فقال ياسيدتي ما على الرسول الا البلاغ ها أنا أخذت الامان وما عليّ فى ذلك من جناح ثم أن الوزير نهض علي الاقدام واستقبل الستار وخطب خطبة بليغة للزواج فقال (الحمدلله) الذي حلل النكاح وحرم السفاح وأجرى بقدرته الرياح خلق الخلق بقدرته ومسكهم بحبل عصمته وأقامهم على سنته وجعلهم يتناسلون شيئاً بعد شيء وصنفاً بعد صنف وما زال المؤمن متمسكا بالكتاب لا يخاف ولا يفزع من الارتياب وبعد فقد قال أعز من قائل (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً) أعلمك أيتها السيدة الفاخرة ان الدنيا ساخرة والباقى الدار الآخرة فهنيئاً لمن تزود فيها بالخيرات وجعل رأس ماله الاعمال الصالحات وان الله تعالى خلق النساء للرجال ليظهر النسل باذن الله المتعال وان الملك الصالح نجم الدين أيوب ولي الله المجذوب قد تكدر عيشه وقل زاده وعافاه وقاده وتعلق قلبه بالمحبة وشكى ذلك لجميع الاحبة فوددت أن أكون مؤلفا بين اتنين فى الحلال لارزق أجر شهيد مقيم فى دار الجلال وانه يريد أن يتشرف بقربك ويحظى بطلعتك وقدك وقد بعثني اليك بهذه الرسالة وهو باكي العين لا يخفى حاله فماذا أنت قائلة في ذلك كفاك الله شر المهالك

قال الراوي فلما سمعت السيدة فاطمة ذلك الكلام تبسمت فى وجهه وقد أظهرت الابتسام فظن الوزير أنها سمحت اليه بذلك المرام فقال لها يا سيدتي أعلميني بما تريدين حتي انى أخبر الملك الصالح فقالت له اعلم ياوزير الفطنة والخير

أنه لوكان رجل غيرك كنت قتلته ولكن لا أؤاخذك فى ذلك غير أنك تمضي الى الصالح وتأمره بالرحيل عن هذه الديار وأن يسكن غيرها من الامصار وأنا أحكم فيها ما أريد من السادات أو من العبيد والسلام على نبي تظللة الغمام (قال) فلما سمع الوزير من السيدة ذلك الكلام تأخر الي ورائه ورجع على عقبه وخفت قلبه وولى الى ظهر السرانة فبينما هوكذلك واذابالاغوات لاحقين به وهم ينادون عليه يا وزير الزمان وهويظن أنهم يطلبوه ليعاقبوه لاجل ذلك الشان ولم يزالوا خلفه حتي أدركوه وعن مسيره عوقوه وقالوا له ارجع الى السيدة لانها قد طلبتك لتقضي حاجتك فقال لهم أحقا ما تقولون قالوا نعم وحق من على العباد أنعم فرجع ثانيا اليها وهو بين المصدق والمكذب فلما وصل بين يديها أمرت له بالجلوس وقالت له قد قضى الله حاجتك وبلغك أمنيتك أنت وصاحبك ومن الآن ها أنا بين يديه ولا أبخل بروحي عليه وأكون له أهلا وقد رضيته يكون لى بعلا ولا حياء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن الذي يكره الحلال فعند ذلك فرح الوزير فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال لها يا سيدتى أنا ما سعيت في ذلك الا لما علمت أنه ليس بحرام ولكنى تعجبت فى أمرك غاية العجب وكيف أنك رضيت بذلك بعد أن كنت امتنعت فما السبب الذي أوجب للطاعة فقالت له اعلم أيها الوزير أن هذا الملك له سر عجيب وأمر غريب وذلك أنى بعد امتناعى ومسيرك من قدامي أخذتني سنة من النوم فوجدت الملك الصالح قد أتى وبيده اليمين قد ضربني بحربة من النار وجعل يفزع بها عليّ ويقول لاى شيء ترجعي وزيري خائب من بين يديك ولا تقضى له حاجة وعزة الربوبية ان لم تقضي حاجته وتبلغيه أمنيته والا نفذت هذه الحربة من ظهرك وأنا الملك الصالح ثم صاح فانتبهت من نومي وصحت على الخدام أن أدركوه وأدركوك والى عندي أوصلوك واني قد رضيت بالزواج وأنت وكيلى من غير لجاج ثم خلعت على الوزير خلعة

سنية وأوهبته جزيل العطية وأمرته بالمسير الي سيده الملك الصالح فسار اليه وقبل الارض بين يديه فوجده يدندن ويقول ياسلام ياسلام وعزة الله الابدية لابد عن ذلك وكلام الوزير مؤيدا بقدرة الله هذا وقد أقبل الوزير فقال له الملك الصالح يا وزير لا بد أن السيدة فاطمة قد أقامتك وكيلا في عقد الزواج فقال له كما ذكرت يا أمير المؤمنين فقال له لا بد أنها تعززت عليك وأظهرت فى وجهك الغضب فقال لا ياأمير المؤمنين بل فرحت بذلك واستبشرت وخلعت عليّ وأوهبت وسيرت اليك بقضاء الحاجة قال ولم يذكر له شيء مما جري من السيدة فقال له هكذا يا وزير الزمان شأن الوزراء أهل العرفان ثم ان الملك أمر بتجهيز الولائم واصطناع الاطبخة الفاخرة والملابس وكل مايحتاجون اليه وذلك كله بامر الوزير الاغا شاهين وقد أمر الوزير باحضار ثلاث خزنات من المال من بيت مال المسلمين فاحضروها ثم أمر بتزخرف المكان وحضرت الامراء وأرباب الديوان والقاضى وشيخ الاسلام ونهض الملك الصالح ووقف بين يدي الشيخ وقال له يا مولاى اعلم أن المقتدر بالله له بنت يقال لها السيدة فاطمة وقد أقبلت تريد الحج الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه وآله الصلاة والسلام فوصلت الى الاقطار المصرية فطلبتها للزواج وارسلت اليها الوزير فاخبرني بانها أجابت والآن فاسألوها وفى أمرها فاستشيروها فقام شيخ الاسلام ووقف خلف الستار وسأل السيدة عن ذلك الاخبار فاخبرته بان الوزير وكيلها وفي كل الامور هو مشيرها فرجع وأعلم السادات بما قالته السيدة فاطمة من الخطابات ثم انعقد العقد عليها بحضرة الجميع وأخرج الوزير الى شيخ الاسلام عقدا من الجوهر وانشربت الشربات وتفرقت العطايات ولم يبق بين الملك الصالح وبين السيدة حجاب ثم أقاموا على ذلك المنوال الى أن اتى طلوع الحجاز بعد شهر رمضان قال فاخبرت الملك الصالح أنها تريد الحج فاذن لها في ذلك ثم أمر الاغا شاهين أن يتوجه معها الى الاقطار الحجازية لزيارة خير البرية ثم شرعت السيدة

فى المحمل المصري وكسوة الكعبة وأخذت معها العوايد الى العربان ثم نادى المنادي معاشر الناس كل من كان يريد الحجاز نليس معه راحلة فيتأهب الى السفر على راحلة السلطنة ويتوجه مع السيدة فاطمة على غاية ما يريد محبة فى رسول الله الملك المجيد (ياساده) فلما وقعت المناداة قبل كل من كان مشتاق ثم أخرجت الخيول المسومة وكان عدتها مائتان أربعة وأربعون حصان بالسروج المذهبة والنقوش الكوكبة ثم رتبت كاتب السره وجملت الاغا شاهين أميرحج وسارت السيدة فاطمة بالركب وبين يديها جيوش الملك وأغوات وعساكر المملكة بالنوبة التركي والمزامير الملكى وقرعت المدافع وخرجت البنت من خدرها والمرأة من خباها وتزينت أرض مصر وسار الموكب والمحمل الى جهة الحصوة ونزلت السيدة فاطمة هناك وقد ساروا الناس يتأهبون الى الرحيل كما قال فى مثل ذلك الشاعر النبيل حيث يقول صلوا على طه الرسول

تركت دياري ثم أهلي ورفقتي … فى حب من هو ضمين العاجزين
وهجرت نومى فى حبه … وزاد شوقى البكا والانين
وما يغسل ذنوبي سوى نظرة … الىّ من سيد المرسلين
طه الذى بعث رحمة … الى كافة العالمين
من صلى وسلم عليه الاله … وقد خصصه البارى بحسن اليقين
جار الغزال وامحا الضلال … ويوم القتال أفنى المشركين
كن زخري يوم حشري … يافخرى بمن سمي طه ويس
يا هنا من لاذ بأرض الحجاز … وسلك النجاز مع العايزين
كن لى ضمين ياشفيع المذنبين … أنت الامين امام المتقين

قال الراوى وقد مضى اليوم الاول والثانى والثالث وقلت هذا المعنى

يادليل الركب عندى أقيم … قال لي المسافر مسافر والمقيم مقيم

وأيضا قيل في حقهم

مقام الغريب بكل أرض كبنيان القصور على الثلوج
يهب الريح تهدم البنايا وقدعزم الغريب على الخروج

قال الراوي ثم سافرت السيدة والاغا شاهين وما زالت تفعل الخيرات التي يطول الشرح فيها الى أن وقفت بعرفات وطلبت من الله نوال الحاجات وقضت الفريضة وتوجهت الى المدينة وزارت وسلمت وصلت ودعت وبما شاءت تكلمت وقد نظمت هذه الابيات صلوا على سيد السادات

ألا يارسول الله ياخير مرسل كن لي شفيعاً ياأجل الورى قدرا
رعا الله أياماً تقضت بطيبة ليال ومالي لا علمت له قدرا
ليال لو تباع شريتها بروحي ولكن لا تباع ولا تشري
سألت الهي قبل موتي نظرة الى طيبة العجبا والقبه الخضرا
وأنظر بعيني الحطيم وزمزم وجبل قبيس والكعبة الغرا
وأدخل من باب السلام مسلماً على المصطفى الهادي وافرح بالبشرا
وأقول لعيني أنظرى وتمتعي وأقول لقلبي قد بلغت ذا الفخرا
وقل يارسول الله جئتك قاصداً ياخير مسئول ومن مشى على الغبرا
ويا من جار الغزال اذا أتت ويامن له الاقدام قدغاص بالصخرا
اجرني اجرني ياملاذى ومسندى فأنت ضميري من وقفة عثرا

قال الراوي ثم قرأت ما تيسر لها من كلام الله القديم وسلمت على الرسول الامين وتأخرت بظهرها الى خارج الحجرة النبوية وهي في غاية الادب بالكلية وتقدم الوزير الاغا شاهين وقبل الارض بين يدى رسول رب العالمين وشكا اليه حاله وشكا كل ما رأى من أحواله ودعا وطلب وتوسل بالرسول الى من احتجب وقرأ ما تيسر له من القرآن وسأل الله القبول والاحسان وتعلق بأذيال الحجرة وتأخر الى ورائه وهو في غايه الاحتشام وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ألا يارسول الله جئتك قاصداً أرجو رضاك وأحتمي بحماك

والله يا خير الخلائق ان لى قلباً مشوقاً لا يروم سواك
وبحق جاهك انني بك مغرم والله يعلم انني أهواك
أنت الذي لولاك ما خلق امرأ كلا ولا خلق الورى لولاك
أنت الذي من نورك البدر اكتسى والشمس مشرقة بنور بهاك
أنت الذي لما رفعت الى السما بك قد سمت وتزينت بسراك
انت الذي ناداك ربك مرحبا ولقد دعاك لقربه وحباك
انت الذي فينا سألت شفاعة ناداك ربك لم تكن لسواك
انت الذي بك قد توسل آدم من زلة لديه وهو أباك
وبك الخليل دعا فعادت ناره برداً وقد خمدت بنور سناك
ودعاك أيوب لضر مسه فازيل عنه الضر حين دعاك
وبك المسيح أتي بشيراً مخبراً بصفات حسنك مادحاً لعلاك
وكذاك موسى لم يزل متوسلا بك فى القيامة محتم بحماك
والانبيا وكل خلق فى الورى والرسل والاملاك تحت لواك
لك معجزات أعجزت كل الورى وفضائل جلت فلست تحاك
نطق الذراع بسمه لك معلنا والضب قد لباك حين لقاك
والذئب جاءك والغزالة قد أتت بك تستجير وتحتمي بحماك
وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت وشكى البعير اليك حين لقاك
ودعوت أشجاراً أتتك مطيعة وسعت اليك مجيبة لنداك
والماء فاض براحتيك وسبحت صم الحصا بالفضل في يمناك
وعليك ظللت الغمامة في الورى والجذع حن الى كريم لقاك
وكذاك لا أثر لمشيك فى الثرا والصخر قد غاصت به قدماك
وشفيت ذا العاهات من أمراضهم وملأت كل الارض من جدواك
ورددت عين قتادة بعد العما وابن الحصين شفيته بلماك

وكذا حبيب وابن عطر بعد ما جرحا شفيتهما بلمس يداك
وعلي من رمد به داويته في خيبر فشفى بطيب لماك
وسألت ربك في ابن جابر بعدما ان مات أحياه وقد أرضاك
ومسست شاة لام معبد بعد ما نشفت فدرت من شفا رقياك
ودعوت عام القحط ربك معلنا فانهل قطر السحب حين دعاك
ودعوت كل الخلق فانقادوا الى دعواك طوعاً سامعين نداك
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى ورفعت دينك فاستقام هناك
أعداك عادوا في المذاب بجمعهم صرعى وقد حرموا الرضى بجناك
فى يوم بدر قد أتتك ملائك من عند ربك قاتلت أعداك
والفتح جاءك يوم فتحك مكة والنصر في الاحزاب قد وافاك
هود ويونس من بهاك تجملا وجمال يوسف من ضياء سناك
قد فقت يا طه جميع الانبيا طراً فسبحان الذي أسراك
والله يا يس مثلك لم يكن في العالمين وحق من نباك
عن وصفك الشعراء يا مدثر عجزوا وكلوا عن صفات علاك
انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا وأتي الكتاب لنا بمدح حلاك
ماذا يقول المادحون وما عسى أن تجمع الكتاب من معناك
والله لو ان البحار مدادهم والشعب أقلام جعلن لذاك
لم يقدر الثقلان تجمع نذره أبدا وما استطاعوا له ادراك
بك لي قليب مغرم يا سيدي وحشاشتي محشوة بهواك
واذا سمعت ففيك جسمي كله واذا نطقت فمادح لعلاك
واذا سألت ففيك قولا طيباً واذا نظرت فما ارى الاك
يا مالكي كن شافعي من فاقتي انى فقير في الورى لغناك
يا أكرم الثقلين يا كنز الورى جد لى بجودك وارضني برضاك

انا طامع بالجود منك ولم يكن لى فى العالمين سواك
فعساك تشفع لى يوم اللقا فلقد غدوت متمسكا بعراك
فأنت أكرم شافع ومشفع ومن التجى بحماك نال وفاك
فاجعل قراي شفاعة لي في غد فعسى أكن فى الحشر تحت لواك
صلى عليك الله يا علم الهدى ما حن مشتاق الى مثواك
وعلى صحابتك الكرام جميعهم والتابعين وكل من والاك

قال الراوي ثم تأخر الوزير بظهره الى خارج الحجرة وأراد ان يمضى مع السيدة فاطمة واذا به تأمل فرأى شخصاً با كى العين في غاية الاحتشام واقفاً بين يدي النبي صلي الله عليه وسلم وقد بسط يديه وتمني وصلى وسلم عليه وجعل يترنم بالاشعار وكانت أشعاره على عروض هذه القصيدة التي تكلم بها الوزير فسمعه وهو يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

يا غاديا نحو الحبيب عساك تقرأ سلامى اذا وصلت هناك
وقال السلام عليك ياخير الوري من مغرم طول المدا يهواك
انت الذي لولاك ماسرت الظبا كلا ولا عرف الهدي لولاك
لولاك ما غفرت لآدم زلة لما التجى في ذنبه لحماك
لولاك ما رفعت ليونس رتبة ولقد نجا من حوته بهداك
لولاك ماكان ابن عمران ارتقي طرو الخطاب ونال من نجواك
ولقد سريت الى المهيمن ليلة والله اهدى سر سراك
بالجسم كان سراك لاعن ريبة وتحكمت من ملكه عيناك
ناداك جبريل الامين مخاطباً لك بالكرامة عن رضا مولاك
ان كان آدم صورة من خلقه فقد اصطفاك لحبه وهداك
او كان نوح قد نجا بسفينة فمن العدا بالغار قد نجاك
اوكان ابراهيم أعطى خلة فقد اجتباك الله اذ ناداك

او كان اسماعيل جاء له الفدا | من ربه فكما فداه فداك
او كان موسى للاله مناجياً | فليلة المعراج قد ناجاك
أو كان عيسى نال قبلك رتبة | فراتب المجموع قد اعطاك
قد حملت بالمعراج كل فضيلة | ورأيت جبار السماء وراءك
فعليك يا خير الانام تحية | تأتيك بالاقبال من مولاك
كن لى شفيعاً يا أمل الوري | واحمنى يوم اللقا بحماك
صلى عليك الله ياعلم الهدى | مادامت الدنيا بشمس هداك
صلاتي مع سلامى دائماً | ما هب ريح الصبا لنحو حماك
والف الف تحية بتحية | عليك مني وعلى صحباك
والمرسلين والاقربين جميعهم | كل المحبين وكل من واقاك

قال الراوي هذا الكلام العجيب والامر المطلوب البديع الغريب فلمافرغ المتكلم من هذه الابيات والاغا شاهين شاخصين اليه ومنتظرين التقرب الي بين يديه وقد سمعوا منه ذلك النظم البديع وتأمله الوزير واذا به الملك الكبير الصالح أيوب ولي الله المجذوب ياساده وقد رأته أيضاً السيدة فاطمة ونظرته بعينيها وسارت باهتة نحوه فلما فرغ مديحه غاب عن الابصار فلم يجدوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فتعجب الوزير منه غاية العجب وثبتت عنده كرامات الصالح وزاد حب الملك في قلب السيدة فاطمة ثم عادوا خارجين وهم يقولون اللهم لاتجعل هذا آخر العهد بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ياساده وقد زاد الوزير الاغا شاهين الافرم واشتد وجهه واستعظم فباح بما في خاطره ونطق بما كتمه سره وصار هايماً لايدرى مايقول فقال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

قد زاد شوقي ولوعتي ولهيبي | واشتاق قلبي الي لقاء حبيبي
الا يا رسول الله يا كل المنا | ياغاية مطلبى ومسكي وطيبي
يا كنزي ثم زخري ومنقذى | فاقبل دعايا وشكونى ونحيبى

وقد اجرتك يوم حشري في الورى وجعلتك من المادحين قريبى
فجز تحت اللواء ولا تخف ولا تخش لوما وانت حبيبى
فكل المحبين انا لهم ومن حبهم له فى الشفاعة نصيب
يا بختنا يوم القيامة بمحمد ياسعدنا بصاحب اللوا والقضيب
جعلت حبك مكسبي ومتاجري وجعلت مدحك لي نصبى
لا اخش يوما وانت مشفعى ولا اخش ضرراً وانت طبيبى
اجرنى أجرنى ياأبن رامة اننى بحبك مظنى يتيم غزيب
عليك صلى وسلم ربنا ما هب ريح عن غصن وطيب

قال الروي وبعد تمام حجهم ساروا راجعين الى نحو مصر متأهبين ولم يزالوا سائرين وفي سيرهم مجدين الي أن أتو الي العديلة ووصلت البشائر وكان الملك الصالح أيوب منتظر قدومهم ففرح غاية الفرح بوصولهم وامر الناس بالزينة والذكر وتلاوة القرآن وقابلوا الحجاج من كان لهم من الاخوان وزال عن مصر الذل والاحزان وركبت السيدة فاطمة مع الاغاشاهين فى موكب عظيم ووهبوا واعطوا ولم يزالوا كذلك الي أن وصلوا الي قلعة الجبل وقرعت لهم المدافع وطلعت الملكة الي السراية وعملت مولد الى خير البرية وشرعت فى مولد الحسين والملك لا يمنعها عن ذلك ولا يتقرب منها الا بالسلام ولم يزالوا كذلك الى آخر العام وقد آن اوان الحجاز ففعلت مثل فعالها الاول وطلبت مع الوزير الاقطار الحجازية ولم تزل هذه عادتها فى كل عام من الاعوام حتي كملت اثنى عشر عاما وهى على هذا الترتيب فسبحان من جعل لها في هذا الخير نصيب كل هذا وهي بكر عذراء والملك الصالح مقيم مع ابنة عمه فلما كان العام الاثنى عشر واقبلت من الحجاز شرع لها في الافراح والليالى الملاح وطلبها الى التقرب اليه .فأجابته ألى ماطلب فاعطى ووهب وأمر بالزينة ثلاثين يوما فلما كانت ليلة الزفاف نزل الملك مع السادات الاشراف وصلى معهم فى جامع سيدنا الحسين وطلع الى السراية

وعبر فوجد الفراشات والمخدات والمساند والوسايد والورد واللمام والاقح والاقحوان وقد أغلقوا عليه باب السراية وتقدمت السيدة فاطمة وباست يده لجلس الى جانبها وتحادث معها وقد رآها على رأي الذي قال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

بديعة حسن أفتنت كل الوري   ما لها في الملاح شبيه
اذا رمشت جرحت بلفظاتها   كل من أتى يقارن التشبيه

قال الراوي فدنى الملك منها وجر الحسام على مجري الدم فانهرق لساعته وفاحش على حدته وقد رآها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فازاح بكارتها وهجر بنت عمه بها وامر فى الحال بعزلها فانتقلت فى الصالحية وهي ديار أبوها الصالحين وكان يقال لها السيدة شهوه وكانوا من الا كراد الايوبية وسيأتى كلامهم فى محله بعون الله وفضله

ياساده وقد أقام الملك مع السيدة فاطمة واحتوى علي جميع ماتملك يداها وثبتت له السلطنة وأقام فى عز وهنا وخير وغنى وجلس يتعاطى الاحكام فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وسنرجع الى مجيء ابيك التركمانى وسبب مجيئه من ذلك الديار وتوجهه الى تلك الامصار وذلك كان له سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك انه كان ملك من الملوك بارض الموصل وكان يحكم عليها وقدورثها عن أبيه وأبيه عن جده وكان ذلك الملك جبار عتيد وشيطان مريد وكانت تأتي اليه الاخبار بما يجري فى كل الامصار فبالامر المقدر بلغه ان مصر عليها ملك من الاكراد الايوبية يقال له الملك الصالح أيوب وذلك الرجل فقير الحال لايعرف السلطنة ولاله عليها احوال وله صناعة يعملها وهي انه يعمل الخوص مقاطف وله سلاح من الخشب وترس من خشب الجميز وكل دولته مثله ولا له رجال ولا يعرف أبطال ولايدري حرب ولاقتال قال فلما سمع ملك الموصل

بذلك الـكلام غار على مصر وأمر بتجهيز العساكر وجائهم من كل قطر ودفع لهم الاموال حتى صار في ركبة عظيمة وقال لابد أن أملك أرض مصر فانا أحق بهامن الذى هو مالـكها ثم أنه جعل على ارض الموصل نايبامن الرجال واوصاه بحفظ الارض وسار بمن معه من بلد الى بلد ومن محل الى محل حتى وصل الي ارض حلب احط عليها وقد تواصلت الاخبار الى نائب حلب فاغلق الابواب ورفع الحصارات وخرجت عليه جلل المدافع لحط على حد رمى النار ونزلت العساكر والرجال وكان فى مراده ان يملك حلب ويجعل دماءأهلهامنسكب فابلاه الله تعالى بالمرض الشديد الذي ماعليه من مزيد فأيس من الدنياوظن انه لاحق بالاخرة وقد ازداد مرضه ولم يملك غرضه هذاوقدأقبلت اليه الاطباء والحـكماء وصاروا يداووه ويعالجوه ويلاطفوه كل ذلك ولم يفده شيء بل زاد فى عياه وكثرانينه وشكواه وتألمه وبكاه وقد انتهت رجاله بمرض سيدهم فانحلت عزايمهم وانكسرت شكوتهم وقلت همتهم فهذا ماكان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ماكان من أمر نائب حلب فانه سطر كتاب وارسله مع سيار وقال له عليك بارض مصر فأخذ السيار الكتاب وسار يجد السير فى الفيافى والاودية والشعاب وهو قاصد الى ذلك الرحاب فهذاماكان منه وأما ماكان من أمر الملك فانه بات وأصبح مثلك يصلى على نبي له الورد فتح ظهر جلس على التخت أحدقت له الرجال أيدأهم بالسنة ردوا عليه بالفريضة الشرعية بسط أياديه قرأ الفاتحة وقال اللهم اهد ثوابها الى جملة الفاخرين والعارفرين الى روح الملك الذين تقدموا قبل وبعدثم جلس وتكامل الديوان قرأ المقري آية من القرآن وختم رقى المرقي وختم دعا الداعي وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول

الملك لله دون الوري وكل ماسوي الله باطـل
كل ماتراه عيناك فانيا وكل فرح وحزن زايل
فـلا يدوم سوى الآله ولا يبقى الاالكريم العادل

فاطلب كل الامور منه ولا تخف   فالله يعطي مايشاء ويفضل

قال الملك صالح آمنا من اين كنا حتى اتصلنا سبحان من عندة كل مليك كمملوك وكل غني كصعلوك سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك ياشاهين جار الرجل علينا ونحن لم نعمل له عين وكان مراده يقتل الناس وينهب ارضهم وبلادهم ولكن الارض محفوظة ياشاهين وربك رب الخيرات قادر على فرج العباد وهذه مصر محروسة من اراد بها سوءاً اهلكه الله ياحج شاهين فقال الاغا شاهين وقد تعجب من هذا الرجل ياأمير المؤمنين فقال له يارجل لا تأخذ على كلامي فاني رجل فقير عبيط فبينما الملك يدندن والوزير يتعجب واذا بباب الديوان ارتج والستار احتج وسار يقبل الارض بين يدي الملك وهو يقول

سلامي على اهل المكارم والعطا   سلام جزيل بالتفاوح فاخر
يخص منهم كبيرهم وصغيرهم   ويعم أمير المؤمنين بمسك عاطر
قد اتيت اليكم طالبا لاحسانكم   فاقبلوا من اتي لكم زائر
واوهبوه من بعض احسانكم   فانتم كرام كالبحار الزواخر

قال الملك الصالح من أنت قال له سيار وحامل كتاب قال له من اين والى اين قال له حلب الشهبا قالت سائر المدن عبيدي وانا فى تخت عز بين سعد وسعيد قال الملك مامعك من الاخبار اخرج كتاب سلمه للوزير الاغا شاهين ووضعه علي فخذ الملك الصالح فقال الملك خذ هذا الكتاب ياقاضى الديوان واقرأه أسمعه أو الرجل والاخوان فقرأه القاضى وجد فى أوله

ياكتابى اذا قرأك حبيبي   قبل الاقدام وبوس اياديه
واقرأه مني جزيل السلام   وزدة مني تحية تكفيه
وقبل الاوض عند اللقا   وقال له محبك ياسيدي لا اوقيه

خطابا من عند نائب حلب الى بين ايادى أمير المؤمنين اعلم ياأمير المؤمنين

اننا مقيمون يوم تاريخ هذا الكتاب واذا بملك يقال له ايبك التركماني من ارض الموصل حط على الارض والبلاد فاغلقنا الابواب في وجهه واقمنا الحصارات فخط على جذو من النار فارسلنا اربعة جواسيس يكشفوا لنا على الاخبار فغابوا وعادوا الينا وقالوا انه يريد ارض مصر والشام ومرامه أخذ السلطنة وسائر بلاد الاسلام فما استقر به النزول حتى خصه الله بداء مهول وأبتلاه الله بمرض لا يعلم له دواء وانه الآن على حياض الموت واشتد عليه المرض حتى انه حارت فيه الاطباء ثم سطرنا لك هذا الكتاب واعلمناك بما كان من الخطاب فالارض ارضك ونحن خدامك وانا عبدك ارسل لنا جواب كافي نعتمد عليه من فضلك والسلام علي نبي تظلله الغمام

قال الراوي فلما رأي الملك ذلك وسمع ما في الجواب قال الملك اكتبوا له رد الجواب بانهم يفتحوا له حلب واذا مر برجاله الي جهة مصر أو الشام فلا يمنعه أحد من الانام والله يفعل ما يشاء فكتبوا له ما أمر به السلطان ورد السيار بالكتاب فهذا ما كان من هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر أيبك فانه زاد عليه المرض حتي صار كانه الدن الكبير وسار يتخطف نفسه حتي كاد ان يطير فبينما هو كذلك واذا مر به رجل من علماء الاعلام فسلم عليه فرد عليه السلام فجلس الى جانبه وجعل يحادثه ويسامره حى انه احتوي على قلبه ثم قال له مالك يا ملك الزمان وسيد الملوك والاعيان فقال له كما تري بالاعيان فقال له ازال الله عنك البؤس ولا رأيت يوما عبوس ألم يأتك حكماء يعالجوك ومن هذا المرض ينقذوك فقال جاءني كثير وما زادونى الا تحسر فقال له انا أداويك ومن هذه الامراض اشفيك فقال له جزاك الله كل الخير هذا وقد تقدم اليه وجعل يداويه بأدوية يخبرها وأعشاب يعرفها ثلاثة أسابيع حتى طاب وابراه الله من كل مصاب وجعل شفاءه على يد الشيخ المهاب كما أراد رب الارباب الذى جعل لكل شيء أسباب فلما

فاق من مرضه وعلم بنفسه أقبل على ذلك الشيخ وقبل يديه ووقع حبه في قلبه وعينيه فا كرمه ومـدحه واثنى عليه وقال له ما اسمك يا مولاى قال له اسمي الشيخ صلاح الدين قال له من اى أرض قال له من العراق وما ساقني اليك الا الملك الخلاق فظن انه ولي من أولياء الله الصالحين والعلماء العاملين فاعتقده وقربه ووهبه ولم يدر من هو ولا كيف حاله وما يعلم الغيب الا الله تعالى

قال الراوى وكان السبب في ذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب نريد أن نذكره على الترتيب بعد الف صلاة وسلام على النبي الحبيب وذلك انه كان في قديم الزمان وسابق العصر والاوان فرقة من العرب يقال لها طائفة بنى سليم وكلهم كانوا مسلمين فتخلف منهم رجل يقال له عقبة اللعين ابن مصعب وكان داخله الغرور يوقع الفتن ويخبر كل الامور حتى انه اشرك بالله تعالى ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في غير هذه السيرة ثم تولد من نسله غلام العن وأضل سبيل يقال له معقب الوبيل فلما نشأ خلف غلام يقال له الحصين خلف معقب ومعقب خلف سمعان وسمعان خلف نشران ونشران خلف اصفهان واصفهان خلف ولدين ذكرين الاول يقال له كرسميول والآخر يقال له اصفوط فلما نشأ هذين الولدين وخرجوا الى المكتب فخرج كرسميول على أثر آبائه والاجداد وخرج اللعين اصفوط من أهل العناد وتداولت عليهم الايام فأما البطرك كرسميول فأنه قام بدير شهير بأرض الشام يقال له دير العامود والصليب المعقود وسار يعلم أولاد اللئام الانجيل ويعلمهم التحريم والتحليل وقد هرعت اليه اللئام بأولادها وسارت تقرأ عليه كتابا وأما اصفوط اللعين الممقوت فانه سار يجمع أولاد الملوك ويفسدهم على أهاليهم ويعلمهم الضلال ويغويهم وقد اجتمع عليه أربعون فسار هو كبيرهم والمتكلم عليهم وساروا من أهل الفساد حتى انهم يقتنصون البنات ويفسدون بهم في الشوارع والازقات ولا يخشون نقمة رب البريات وسارت لهم بذلك عادة وقد عادتهم السعادة فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر البطرك كرسميول فانه مقيم يوم من الايام

اذ حضر اليه ملك الكبار يقال له عبدالصايب صاحب جزائر البرتغال ومعه ابنته يقال لها فتنة المسيح فلما أقبل بها اليه قبل يديه ورجليه وقال له اعلم انى قليل الخلف والذرية ولم يكن لي أولاد ذكور ولا اناث بالكلية فلما جاء عيد الشمانين نذرت نذر للمسيح وهو انه ان رزقني بغلام اوبغليونة وهبتها للتعليم وعلمتها التحليل والتحريم وجعلتها راهبة وحفظتها الأنجيل فاستجاب المسيح دعائى وقبل نذري ووفائى ورزقني بهذه الغليونة وقدكبرت ونشأت وانى اريد منك انك تعلمها لي الأنجيل والتحريم والتحليل وتنجرها برجع الرهبان لاجل ان تكون من أهل العرفان فقال له البطرك سمعا وطاعة ثم استلم منه البنت من تلك الساعة وكان معها كل ما تحتاج اليه من الاكل والشرب وترك لها خادماً برسمها وتركها عند الراهب وسار راجعاً الى بلاده فهذا ما كان من أمرها وسداده قال وأما ما كان من أمر البطرك كرسميول قلبه ساريقري ذلك البنت ويعلمها ويجتهد معها ويفهمها مدة أربع سنوات حتى صارت البنت تعرف القراءة فيوم من الايام بينما هو جالس واذا بأخيه اصفوط داخل عليه ومعه الاربعون فسلم عليه وجلس الى جانبه وقد نظر ذلك البنت الى جانب أخيه كرسميول فقال له تعلق قلبه بها وبهت الى حسنها وجمالها من هذه البنت قال له هى من أولاد الملوك فقال له انها جميلة الصورة حسنة الطلعة صاحبة بهجة ولمة وقد قال القائل في حقها هذه الابيات

صفاح خدام سهام العيون ... به رمين أو بحر الشجون
أم ناعسات الطرف قد جردوا ... بيض القنا حتى لنا يقتلون
أجابني من لحاظها متكلم ... يامن يسأل عن ناعسات الجفون
كف الملام عن ذات الرشا ... م واترك للهام تبغضون
وان لم ترجع عما تريد ... فانت عندى كثير الجنون
فقلت يا باهى الجمال ... رق وأرحم وانف شجون

فقال لی وكم مثلك رهـين في سجيني بنين بذاك القنون
طيف الخيال أورث له النـكال فكيف الوصال بالنظر والعيون

قال الراوی ثم ان اصطوف قال لاخيه اعلم اني قد تلوع قلبي بهذه الغليونة وشغفت بحبها وقد تمني طرفها واني أريد أن اذن منها وافتح التنور واتمتع بها دون الذكور فقال اعلم يا الاصطوف ان هذه البنت بنت ملك الروم عبد الصليب وما تريد أن تفعله بها فهذا معيب وقد قرأت الانجيل فوجدت الزنا حرام عندنا وعند الاسلام ونحن لا نفعل المحرمات ولا تتبع الشهوات سيما وقد اوصانی عليها أبوها فلا أمكن أحد منها حتي تخرج روحي دونها ثم صاح فيه فتركه وقام القيام الي الخلوات وقد تبعوه الاربعون فقال لهم وحق المسيح والذبيح لا بد لی من هذه الغليونة واتصالی بهذه البشنية فقالوا له الاربعين افعل ما بدالك فنحن كلنا سامعين مقالك فصبر بهم الى الليل وهم بعد نوم الناس الي الدير فرأي أخوه نائم فی مخدع من المخادع فأغلقه عليه وقد أخذ البنت وغصبها على باب المحل الذی فيه أخيه وأزال بكارتها واتصل بها ثم تأخر عنها وصاح برفقائه الاربعين فأتوا اليه فقال لهم قد حللت لـكم هذه البشنية فبادروا اليها وانكحوها فانی قد أبحت نكاحها لكم ولا عليكم وزر في ذلك بل لكم الثواب من المسيح المهاب فعند ذلك اجتمع بها الاربعين وعادوا عنها راجعين وطاف بها اصفوط آخرهم وترك البنت وأخذ الاربعين وساروا الى البراری قاصدين فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من البطرك كرسميول فانه استيقظ من نومه فرأى الباب مغلوقا عليه فصاح على البنت ففتحت له الباب واعلمته بما جرى عليها من المصاب وما فعل اصفوط الكذاب ورفقاءه الـكلاب فاغتم غما شديدا ما عليه مزيد ثم انه قال فی نفسه ان هذا اللعين قد علم بتلك البنت وربما يعود اليها ثانيا وان منعته عن ذلك قتلنی وما لي الا ارسلها الى أبيها ثم كتب كتاب وأرسل البنت صحبة عشرة رهاب وأعطاهم الجواب فساروا من ساعتهم طالبين البراري والشعاب

حتى أتوا الي عبد الصليب وقبلوا الارض بين يديه وأعطوه الكتاب فأخذه وقرأه وعلم ما فيه من معناه وقد كان فيه خطابا من البطرك كرسميول الى بين أيادي عبد الصليب اعلم أننا أقمنا نعلم البنت هذه المدة حتى تعلمت وتمت نعليم وفهمت الانجيل والتحريم والتحليل وكان مرادنا اقامتها عندنا بالدير غير انه حضر اصفوط اللعين الممقوت وفعل كذا وكذا وأعاد عليه ما جرى من أول الامر الى آخره وكشف له عن باطنه وظاهره وقد راجعته عن ذلك جهدي فما ارتجع وعن ابنتك ما امتنع فارسلتها اليك خوفا عليها منه ولولا أن المسيح حمانى منه لكان قتلني فالحمد للمسيح على سلامتي وسلامة ابنتك وانها وصلت الي عندك بالحياة فأحضر لها بطركا من عندك يسمع لها خوفا من ان اللعين يأتى اليها ويقتلها ويحرمك طلعتها شكر يا مسيح والسلام قال فلما قرأ الكتاب وفهم ما فيه من الخطاب صعب ذلك عليه وكبر لديه والتفت الى وزرائه وقال لهم اني اريد ان أركب وأدور على هذا الملعون وأقتله أشر قتلة وأقبح به أقبح مثلة فقال له وزير ميمنته اعلم أيها الملك السعيد واللواء الرشيد أن هذا الامر قريب غير بعيد وأنا أدبرك تدبير تقتل به هذا الخنزير فقال له وكيف ذلك يا وزير الزمان ومشير أهل العرفان فقال له احضر خزنة مال وهدية سنية وأرسل ذلك مع أربع أنفار راكبين على الخيول العربية وأمرهم أن يدورون على خصمك فاذا رأوه يقبلو يديه ويثنوا عليه ويقولون له قد وصل جميلك ومايضيع ذلك الجميل عند كل حر نبيل ونحن شكرنا المسيح الذي قدر بهذا الفعل المليح وجعل فتح الكشتوان على يد أكبر الرهبان وقد وصل الخبر الي أبيها ففرح بذلك غاية الفرح وأرسل لك هذه الهدية علي قدر مقامه لا على قدر مقامك مكافأة لاحسانك ثم يدفعوا اليه خزنة المال والجوهر والهدية وانظر ماذا يجري فقال له الملك وكيف يكون من ذلك اذا أخذهم وعاد الى حال سبيله فلم يفدنا من ذلك الا فقد الاموال فقال له اعلم اني أقول ان صح هذا التدبير لابد أن

فيه هلاكه وسوء ارتباكه فلا تخالفني في ذلك وانظر عاقبة تلك المهالك فما هي الا هدية فى الظاهر ومكيدة في الضمائر فقال له عبد الصليب السمع والطاعة ثم انه فعل ما أمر به الوزير من تلك الساعة وأرسله مع ماله بطريق كل واحد منهم يمزق الحديد تمزيق وقد كتب له كتاب يشكره على فعاله وأرسل البطارقه يدورون عليه وقال لهم اذا رأيتموه سلموا الكتاب والخزنة والهدية اليه وانظروا ماذا يجرى فاجابوه بالسمع والطاعة وساروا فى قضاء حاجة الملك من تلك الساعة فهذا ماكان منهم وأما ماكان من أمر عبد الصليب فانه أنعم على العشرة الرهبان وردهم الى البطرك كرسميول وجعل يشكره على مافعل من ارسال ابنته فساروا راجعين والى دير المأمور قاصدين وقد أتوا الى البطرك واعلموه بماجرى فهذا ماكان من أمر هؤلاء

قال الراوى واما ماكان من امر البطارقة فأنهم مازالوا سايرين والى البرارى قاصدين وهم يدورون على اصفوط اللعين المقوت شهرا تاما فلما كان اليوم الحادى والثلاثون بيناهم سائرين واذ قد لاح لهم غبار ذلك الملعون الكهين المفتون فلما وقعت العين على العين ترجلوا له على مل مراكبهم وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وقد تعجبت الاربعون الذين حواليه ولم يعلم هو ما السبب فى ذلك ثم انهم أخرجوا اليه الكتاب فلما قرأه ضحك ضحكا عاليا واستبشر وقال لرفقائه رايتم مافعل سيدكم من الفعال وكيف شكروه الملوك العوال فقالوا له ماالسبب في ذلك فاعاد عليهم القصة وقرأ عليهم الكتاب وقد زالت عنه الغصة وكان الكتاب في أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم توحد الملك القريب المجيب خطابا من الملك عبد الصليب الحمد للمسيح الذى انت فعلت هذا الفعل المليح وفتحت لنا التنور فجزاك المسيح كل الخير وقد أرسلت اليك هذه الهدية والخزنة بالكلية فلما قرأ اللعين ذلك الكتاب أعجبه غاية العجب وأخذ الهدية وقال سلموا لي عليه كثير ثم قبلوا يديه فرجعوا الى

ورائهم وجعلوا ينتظرون ما يكون من أمرهم يا سادة وقد أخذ اللعين خزنة المال والهدية فقالوا له رفقاءه نحن كنا معك ولنا في ذلك شركة فاعطنا قسمنا فقال لهم انظروا الى هذا الكتاب فانه لي من دونكم وأنا ما أعطي لكم منها شيئاً فقالوا له نحن نأخذ المال وأنت الهدية او انت تأخذ المال ونحن الهدية فقال لهم هذا لا يكون أبدا ثم وقعت المشاجرة بينهم وزادوا في الكلام مع بعضهم وزاد الامر وقوي الضر واشتعلت النار وزاد العيار وقد أيسوا منه الاربعين وانه احتوى على المال دون الجميع فلما أيسوا منه هجموا عليه الاربعين بالسلاح وقد ادوا افتضاح وطعنوه بالسيوف حتى أخرجوه كالقطن المندوف وقد قطعوه ربعين قطعة وعجل الله بروحه الي النار وبئس القرار ثم قالوا البعضهم نقسم المال سوى فقالوا لبعضهم نأخذ نصف المال ونعطي الراهب كرميول النصف الاخير فامتنعوا من ذلك فقالوا ان كرميول ما كان معنا ولا رافقنا وها نحن الذين طيبناه بقوة عزمنا وساعدنا فقال بعضهم لا يكون ذلك أبدا ولو سقينا كؤس الردي ثم وقع العند معهم فتضاربوا بالسيوف وقد أسقوا بعضهم كاسات الحتوف ولم تكن الا ساعة حتى خسرت ذلك الضياعة وما بقي من الاربعين غير خمسة أنفار متجرحين فعند ذلك ردوا عليهم البطارقة فأهلكوهم عن آخرهم في أقل من ساعة واحدة ثم انهم أخذوا المال والهدية وساروا راجعين والى بلادهم قاصدين ولم يزالوا على ذلك حتي وصلوا الى ملكهم عبد الصليب فسلموا عليه وأعلموه بما جرى وما كان من أمر ذلك الكلب الخوان ومن معه من أهل النقصان فلما سمع الملك ذلك فرح وانشرح واتسع صدره وفرح وشكر الوزير على ذلك وانعم عليه بغاية الانعام وقال له لا شك انك وزير خبير فطين فصيح اللسان ثم أعطاه الخزنة والهدية والجوهر فأخذهم الوزير وفرح بذلك وشكر الملك على أفعاله وما أنعم عليه من افضاله فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر بنت الملك عبد الصليب فانها كانت حملت

على افلاحها لما أراد الله ربنا وربها فكبرت بطنها وظهر عليها الحمل وظهر حملها حتى وقت أيامها فوضعت غلام ذكر عبرة لكل البشر أبطش المنخر وليلة وضعه انكسف القمر وأظلمت الدنيا ولمع البرق ونزل المطر وزادت الرعود واشتدت الظلمة وكانت ليلة عتمه اربع وعشرون آخر شهر صفر فهو نحس النحوس كما قال البوني وذكر وقد خرج رفيع العنق كبير الرأس شنيع المنظر ومن جملة قباحته أن امه بعد أن وضعته انقلبت الي شفتها فماتت وتركته فلما راين ذلك عبد الصليب بكا على ابنته بكاء شديد ماعليه من مزيد ولبس ملابس الحزن وذم الولد وقال هذا مشؤم الناصية ولكن نحن مأمورون على الاطفال من المسيح بالوصية ولولا ذلك كنت ذبحته وارتاح قلبي منه ثم أمر له بمرضعة فاتوا اليه فما مسك ثديها فاتوا اليه بغيرها فكانت كمثلها ولم يقبل المراضع فاتى اليه بالغزالات والمعيز والبقر فابى ذلك ومنهم نفر فلما راين ذلك الوزير قال للملك ياملك الزمان اعلم ان هدا الولد منحوس وانه مؤذي وطالعه منكوس الا تنظر لليلة مولده كيف ظهرت فيها العجايب وتصارخت فيها الشياطين من كل جانب وقالوا هذا ولد ابليس وخليفة أهل التنكيس اما رأيت القمر وقد انخسف والشمس وقد تغيرت بالكسف فان طاوعتني نزيله الي الدير الذى خارج البلد فيه كلبة جويئة ناحلة الشعر وهي ترضع اولادها فاجعله معهم فان عاش فبرزقه وان مات فبأجله فقال له هذا هو الصواب ولم أخالف لك مقال ولا خطاب ثم انه أمر بحمله الى الدير فحملوه الرجال واوصلوه الى هذا المكان ووضعوه فى دهليز الدير مع أولاد الكلبة فمسك ثديها وشرب منها وقد حننها الله عليه فصارت ترضعه ولا تصبر عنه درجة واحدة وذلك بامر رب القدرة والمشاهدة فلما علم عبد الصليب بذلك تعجب فى أمر ذلك المولود وكيف انه ترك المراضع ورضى بهذه الكلبة وكيف رضيت برضاعته ثم انه جعل يفتقدها ويرسل لها المآكل والمشارب الى أن كبر الولد وانتشي ودب على الارض ومشي فطلع آفة رقطا وبلية مسلطة ومؤذى

لا يطاق كربه الملقى كثير النفاق لا يري شخصاً الا ويضربه ولا يجلس مع قوم الا ويفسدهم ويلقى بينهم الفتن وقد زاد ظلمه على العباد وعم جوره على البلاد وقد شاع أمره بذلك فشكت منه النصارى وقالوا هـذا غلام رديء الاصل دنيء الفصل لا يعرف حقيقة ولا هو بين طريقة ثم تزايد أذاه وكثر على الناس بلاه فشكوا ذلك الى عبد الصليب فنهاه وعن ظلمه وجوره انهاه فلم ينته عن افعاله ولا رجع عن احواله فشكوا الى عبد الصليب ثانيا وثالثا فلما اعياه الامر وتزايد عليه الشكو والضر ارسله الى عمه كرسميول في الدير وقال في نفسه اذا وجد عند عمه لا بد ان المسيح يهديه على يده ثم انه ارسله مع عشرة من البطارقة فساروا به الى دير العامود فلما وصلوا به الى هناك قبلوا يد الراهب وقالوا له خذ هذا ابن أخيك وهذا كتاب من عند عبد الصليب الي بين ايادى كرسميول الواصل لك ابن أخيك وقد سميته عبد الصليب وقد جرى من الامر ماهو كذا وكذا واعاد عليه جميع ماجرى في الكتاب وعرفه بما جرى لاخيه اصفوط والاربعين والقصة من اولها الي آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وكيف أن امه ماتت عند ولادته وكيف عرض عليه المراضع فأبى وما شرب الا من لبن الكلاب فلما سمع بذلك فرح في أخيه وقال الى لعنة المسيح فلعنه الله على هذا الولد القبيح ثم انه أخذ الغلام وجعل يعلمه الاحكام مدة من الايام حتى قرأ الانجيل وعلم التحريم والتحليل وقد اتفق مع اربعين من أولاد الملوك الكبار الذين يقرؤن عند كرسميول وكان اكثر اتفاقه مع ولد يقال له سيف الروم وكان يسرح ويروح معه واذا دبر شيئاً يكون باطلاعه وكان هذا عبد الصليب صاحب مكر وخداع وحيل ودفاع ولم يزالوا على ذلك حتى قرؤا غوامض العلوم النصرانية ودروا كل الامور الخفية فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أهل الدير فانهم طلعوا في عيد لهم الى جهة البحر وركبوا المراكب وكانت هذه عوائدهم في كل عام يطلعون الى البحار

ويأخذون ماجاء اليهم من المسافرين فبينما هم كذلك واذا قدأقبل عليهم مركب حجاج طالبين الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه السلام فداروا بها أهل دير العامود وقرضوا عليها وقد استأسروا كل من كان فيهامن الاسلام فأخذوهم اسارى وقادوهم حيارى وكانت لهم بذلك عادات يأخذون الاسلام ويخدموهم في الديور مع الرهبان فكان من جملة ماأخذوه رجل عراقي من أهل العراق صاحب فضل والعراق يقال له الشيخ صلاح الدين العراقي وكان من أهل كتاب الله تعالى كما أنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ويقرأ علوم كثيرة ويروى أحاديث ويفسر المعانى ويفهم في علم الادب والآداب والعروض والمنطق والصرف والفلك والتخليص والبروج والمنازل والهندسة والحكمة وقد فتح الله في قلبه عين الرحمة فكان على ديانة عظيمة هذا وقد أخذوا جميع مافي هذا الغليون فاخذوا الشباب وخصوهم لقطع الاحطاب والاخشاب والنساء منهم مراضع ودادات للاطفال والصبيان يجعلونهم لقضاء حوائج الديورة والكهول يرعونهم الخنازير (يا ساده) وقد نظروا الى ذلك الشيخ المهاب وهو بهذه الشيبة العظيمة اوقع الله هيبته في قلوبهم وقد حماه من اذاهم وفعالهم فقالوا له انت رجل كبير ومالك عندنا منفعة في رعي الخنازير ولكن خذوه والى السجن اوصلوه فقيدوه بالسلاسل والاغلال وأدخلوه في سجن ضيق ظلام وكانت هذه من الطاف الملك العلام والا كانوا قتلوه أو الي البحر رموه فلما جلس في السجن حمد الله تعالى على مأعطاه ورضى بالقضاء والقدر ولا تألم ولا تكلم في هذا الامر المقدر فلما جن عليه الليل ورأى نفسه فريداً ولا مأنس ولا رفيق جعل القرآن رفيقه وسلك في العلم طريقه ثم انه جعل يترنم بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

لك الحمد ياذا المجد والجود والعلى تباركت تعطى من تشاء وتمنع
الهى لئن جلت وجمت خطيئتي فعفوك في ذنبي أجل وأوسع

الهى اجرنى من عـذابك انني ... أسير ذليل خائف لك اخضع
الهى آنسنى بتلقين حجتى ... اذا كان لي فى القبر مثوى ومضجع
الهى لئن عذبتنى الف حجة ... فحبل رجائي منك لا يتقطع
الهى اذقنى طعم عفوك يوم لا ... بنون ولا مال هنالك ينفع
الهي اذا لم يعف عن غير محسن ... فمن لمسيىء بالهوي يتمتع
الهى وخلاقى وحرزى وموئلى ... اليك لدي الاعسار واليسر افزع
الهى لان اعطيت نفسى سؤلها ... فها أنا في روض الندامة ارتع
الهي ترى حالى وفقري وفاقتى ... وأنت مناجاة الخفية تسمع
الهى فلا تقطع رجائي ولا تزغ ... فؤادى فلي في سيب جودك مطمع
الهي لان خيبتنى وطردتني ... فمن ذا الذى أرجو ومن ذا يشفع
الهي ينحى طول ذكرك لوعتى ... وذكر الخطايا العين منى تدمع
الهى أقلنى عثرتى وامح حوبتى ... فانى مقر خائف متضرع
إلهى لان اقصيتني واهنتنى ... فما حيلتى يارب أم كيف اصنع
الهي حليف الحب بالليل ساهر ... ينادي ويدعوا والمفقد يهجع
الهى تمنيني رجائى سلامة ... وقبح خطاياى على يشنع
الهى اذا لم ترعني كنت ضائعاً ... وان كنت ترعانى فلست اضيع
الهى ان اخطأت جهلا فربما ... رجوتك حتى قيل ماهو يجزع
الهي لان فرطت في طلب التقا ... فها أنا أثر العفو اقفوا واتبع
الهى انلنى منك روحا ورحمة ... فلست سوى أبواب فضلك اقرع
وكلنا ترجوا ثوابك راجيا ... لرحمتك العظمى وفي الخلد نطمع
الهى فان تعفو فعفوك منقذي ... والا فبالذنب المدمر اجرع
الهى بحق الهاشمي وآله ... وبحرمة أبرار همالك خضع
الهي توفنى علي دين احمد ... منيبا تقيا قانتا لك اخضع

ولا تحرمني يا الهي وسيدي شفاعته العظمى فذلك المشفع
الهي رضيت بما قدرته بغير اعتراض عليك فيما تصنع
الهي رضيت بالقضا فكن راضيا عني وشفع فينا حبيبا مشفع
وصل وسلم عليه مادعاك موحد ونا جاك اخيار انبيائك ركع
ماهب ريح من الجنوب وما طلعت شمس على اعلا مطلع
كذا الآل والاصحاب أهل جميعهم والتابعين ومن للتابعين توابع

(قال الراوي) ثم ان الاستاذ جعل يقرأ القرآن ويبكي خوفا من الرحمن ويناجي مولاه بهذه الاستغاثات ويروى الاحاديث وهو مقيم في السجن وكانت هذه صناعته في مدة اقامته هذا وقد تداولت الايام قليلة من ذات الليالي بينما هو كذلك اذ أمر اللعين عبد الصليب على باب السجن ووقف واذا قد سمع الاستاذ على مثل ماذكرناه من قراءة القرآن والصلاة على سيد ولد عدنان فالقى أذنيه وتأمل من كلام الاستاذ فأعجبه فرجع الى رفقائه وقال لهم أن هذا الرجل الذي في السجن مقيم هو راهب من رهبان المسلمين فقالوا له تقرب الى المسيح بقتله فقال لهم ماهذا صواب والرأي عندي أننا ننزل اليه ونقبل يديه ورجليه ونصنع الاحتيال عليه ونسلم على يديه اسلام باطل ونخليه يعلمنا كلام المسلمين لنكون بجميع العلوم عارفين فقالوا له افعل ما بدالك طيب المسيح أحوالك فعند ذلك أخذهم وسار الى نحو السجن وفتح الباب ونزل بينما الشيخ جالس واذا باللعين عبد الصليب مقبل عليه وجعل يقبل يديه ورجليه وكذلك من كان حواليه فقال له الاستاذ من أنت فقال له يامولاي أنا من هذا المكان وقد سمعت منك هذا البيان فأعجبني هذا البرهان واني أريد منك أن تعلمني اياه فقال ياولدي هذا كلام الله ولا يتعلمونه الا المسلمون فان شئت فأسلم وأمرك الى الله تعالى سلم وأعلم أن الكفار ليس لهم أديان ولا لهم ملة ولا ايمان ومادين الا دين الاسلام فقال له اللعين ما أحسن كلامك وما أقوي برهانك ولكن ماذا أفعل حتى أكون مثلك وأصير من حزبك فقال له تقول

قولاحقا عدلا مخلصا صدقا أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله حقا وصدقا فأسلم اللعين اسلاما باطلا وقبل يدي الاستاذ ظاهراً وباطناً وقد فك منه الاغلال وفرش له فراشات غوال وقد جعل يعلمه القرآن والاحاديث وقد أقام معه في مخدع اعلاالدير وهو يكرمه ويقبل يديه ويخدمه ويقرب له أعز المآكل والمشارب ويطعمه وقـد رافقه سيف الروم وما زالوا كذلك أربع سنوات وكان اللعين ذو فهم وثبات فصار الشيخ يعلم عبد الصليب وسيف الروم وباقي الاربعين وظن الاستاذ ان اسلامهم صحيح وكانوا الذي يتعلمونه الاربعين في شهر من الزمان يتعلمه عبد الصليب في يوم واحد من الايام ولم ينس شيئاً مما يلقيه اليه وما زال بهم حتى صاروا أهل معرفة وفطانة وصار هذا عبد الصليب لبيب ماهر يتكلم بالقرآن ويعلم التأويل والبيان ويروى احاديث ويعرف أصله وشرحه ويدري العربية والنحو وغير ذلك حتى صار مثل الشيخ صلاح الدين الوافي سوي بسوى فقال له يامولاي جزاك الله كل خير وكفيت كل هم وضير ثم أن عبد الصليب اتفق مع سيف الروم دون الاربعين وقال له ياسيف الروم اني تعلمت جميع مامعه من العلوم وأريد أن أجازيه على فعاله وأعمل معه مثل أعماله فقال له سيف الروم تطلق سبيله وتدفع له مالا يوصـله الى مايريد او تقويه وتعينه بالزاد والراحلة الى الحجاز الذى كان قاصدا اليه وتعطيه دابة سريعة ورفيق وتدله على أوفى طريق فقال له مرادى افعل معه أعظم من ذلك فقال وما هو قال له اذبحه واعدمه الحياة وارتاح منه واجعله مقيما هنا حتى يقابل مولاه فقال له ولاى شيء ذلك مع انه فعل معك كل جميل وتعلمت منه جميع الاقاويل فقال له أنا الذي لاأرى جميل ولا أعرف تفضيل ولا لي عزيز ولا ذليل ثم أن اللعين وضع البنج فى الطعام وقد مده اليه وصبر حتى أكل وتبنج ومكث البنج منه فنهض الملعون وعراه من ثيابه وأخذ مامعه من ملابسه وحجابه وذبحه من الوريد الى الوريد فرحمه الله وجعله في الدنيا سعيد وفي

الآخرة ان شاء الله شهيد ثم أن اللعين عبد الصليب أخذ المحفظة والمقلة والحوائج واحتفظ بهم وجعلهم في مكان لا تهتدي اليه الشياطين وقال ادفنه يا سيف الروم لئلا يعلم بذلك البطرك كرسميول فاذا علم بذلك اسقانا شراب المهالك لانه أراه يتكلم بالغيب وما ادري كيف ذلك قال فدفنه سيف الروم فى جانب الدير وقال اذا سألنا البطرك نذكر له انه هرب فقال ياعبدالصليب ان البطرك يعرف المعانى ويدرك كل أمر رباني فقال له وكيف ذلك ياسيف الروم افقال انه سوف ادلك على ذلك واسلك بك المسالك ولكن حتى تنقطع الصحبة بين هـذه الاربعين وبينك فامتنع اللعين عن ذلك الاربعين وقطع صحبته معهم وجعل لكل انسان منهم شغلا يقيم به حتي لا يبقى يسأل عن الآخر قال وكان البطرك كرسميول يتكلم بهذا الكلام كانه كشف أو برهان ويعلمهم بما جرى لهم فى زمنهم الماضى وما يحصل لهم فى المستقبل ويطلع على الدنوس ويدل لهم مايتحصل من خير أو بؤس هذا وقد تعجب عبد الصليب وذكر ذلك الي سيف الروم فقال له عنده كتاب يقال له كتاب اليونان وتأليف الحكماء والكهان وله يضلية عجيبة وسيرة غريبة سوف تذكرها فى محلها وتبين اصلها وسببها وأنا يا عبد الصليب سوف اطلعك على هـذا الكتاب وتأصيلته تذكر مع تأصيلة شعبان الغزى وباقى الكلام في أرض جنوى ليكون وضع كل شيء فى محله بعون الله وفضله

(قال الراوي) ولما جري من الامر ماجرى واستشهد الشيخ صلاح الدين العراقي وأخذ بدولته ومحفظته ومقلته واتفق مع سيف الروم على انه يطلعه على كتاب اليونانى فبينما هم كذلك اذ أقبل عليهم البطرك كرسميول وقال لهم اين اليسير الذى تعلمتم منه كلام المسلمين فقالوا له انه هرب ونجا فقال لهم قد علمت بأنكم قتلتوه والى جانب هذا الدير دفنتوه واخذتم مامعه من الصالح ولكن اخرجوا عني وان اقمتم بهذا الدير قتلتكم انتم الاثنين فعند ذلك خرج عبدالصليب وسيف

الروم وأخذ مصالح الشيخ صاحب العلوم ولبس ملابسه وهيأ سيف الروم في صفة طالب وسماه منصور وساروا مع بعضهم الاثنين يطلبون لهم ارضا ينزلون بها أوقرية يقيمون فيها فبينماهم سائرين وفي سيرهم مجدين واذ قد بلغهم الخبر بأن ملك الموصل راكب على حلب وانه طالب أرض مصر يريد أن يملكها وقد اعتراه المرض الشديد الذي ماعليه من مزيد فقال له يامنصور سر بنا الي ذلك الملك حتى ننظر كيف نصنع ومازالوا الى أن وصلوا الى أرض حلب ودخل اللعين على أيبك كما ذكرنا وداواه كما وصفنا وقد اعتقد فيه ايبك وجعله أمامه وعظمه وسار يقبل يديه وقدامه فهذا كان أصل مجيئه والسبب الى هذه البلد واصل المعروفة بأيبك وصحبته واعتقاده فيه وانه لا يعرف حقيقته لانه قد احتوى على قلبه بزخايف الكلام وقال له سوف يكون لك ذكرا عظيما مادمت أنا معك لاني رجل من عباد الله الصالحين وأنا من بلاد العراق أهل المحاسن والاخلاق وجدي يقال له الشيخ صلاح الدين العراقي فصدقه ايبك في مقاله ولما أراد الرحيل من على حلب طلب الشيخ يسير معه فقال له سر أنت الى أرض مصر وأنا اكون لاحقا بك بعد أن أزور سكان الشام من الانبياء والرسل العظام وبعد ذلك اتوجه الى مصر ولا بد من الاجتماع من غير امتناع فقال له نسألك الدعا في جميع الاماكن الطاهرات وعند أهل السادات فقال له أن شاء الله يكون كل الخير ثم تودع منه وسا ايبك طالب ارض مصر ولم يجد احدا يمنعه عن ذلك أبدا فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أيبك فانه سار من حلب الي غزة ومن غزة الى قطية ومعه جيوشه وعساكره وقد ضلوا بأمر الله عن الطريق وعدموا السعادة والتوفيق ولم يزالوا سائرين وفي سيرهم مجدين مدة أربعين يوما وهم لا يرون بلادا ولا ينظرون أحدا من العباد والخلا اتسع عليهم وقل منهم زادهم وماءهم فضاقت العساكر عليهم من ذلك وقد اشرفوا على شرب كاسات المهالك وحاروا في امورهم وضلوا في سبيلهم وكانت ذلك من كرامات الاستاذ الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم

انهم صبروا على تلك الاهوال مـدة عشرين يوما طوال فضعفت منهم القوي وشكوا ذلك الى ايبك فوجـدوه ضيق الصدر لايدرى كيف يصنع ولا له معين على ماقد نزل به من العذاب المهين فقالوا له انظر لنفسك ودبر هذا الامر بعقلك واختار لك خيرة ترضاها وذلك اما أن ترجع بنا الي ارضنا وبلادنا ونعود من هاهنا واما أن تدلنا علي الطريق واما نقتلك ونرح انفسنا منك قبـل ماتنفقد أرواحنا والسلام اما تعتبر مما حـل بك من المرض الشديد الم تنظر كيف تهنا وضللنا في ذلك الصعيد واننا نقول ان هـذا الملك على قدم الرسول فلولا ذلك ما كان حاكما على مصر مع فقره وقلة جنده فقال لهم ياقوم الآن قـد علمت ان هـذا الرجل من أولياء الله الصالحين ومن المتوكلين على رب العالمين واني من يوم ما عزمت انى اغزيه وأنا مريض بالمرض الشديد وقـد صحت عندى هـذه الكرامات الظاهرة كيف اني مرضت فى حلب وكيف أمرهم بفتح الابواب ولم يبالي بدخولى عليها وكيف ضللنا وكيف ضاعت مصالحنا وكيف غـدرتم دون غيركم مع انـكم انتم رجالى وبكم اشدد اوصالى وانى أقول لولا دعاء هـذا الرجـل الصالح والا كنت هلـكت من بركات ملك مصر ولـكن نذر الله تعالي على أن اخـذ ربنا بيدى واستدللنا على الطريق ودخلنا مصر لابد أن اطلع عليه وأقبل يديه ورجليه وان أراد بالمال حملته اليه وان أراد الخـدمة خـدمته وان أراد قتلى سلمت له نفسى ومالى حاجة بمخالفة رجال الله الصالحين (ياسادة) وقد صفى قلب ايبك وترك ما كان عازم عليه وغـير نيته التى قـد أتى عليها هنا وقد ساروا باقى ليلتهم فلما أصبح الله بالصـباح وأضـاء الـكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من الروابى والبطاح وقد سلمت على أزكى النبيين الملاح تأمل ايبك ومن معه ذلك اثبتوا لـكرامات الملك الصالح وعلموا أن جـميع ما كان فيـه من

كرامات الملك وقد ثبت في ذهن ايبك ذلك وصفي قلبه ثم نصب الخيام وأمر بالنزول فنزلوا لاجل الراحة وقد فرحوا بسلامة أنفسهم وأقاموا مدة ثلاثة أيام ولما كان في اليوم الرابع تجهز ايبك التركمانى ابن ملك الموصل ولبس أفخر الملابس وركب برجاله وماعنده من سادات أبطاله وطلب الدخول الى مصر فهذا ما كان من أمره

قال الراوى وأما ما كان من الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب فانه بات وأصبح يصلى على نبى له الورد فتح صلى صلاة الافتتاح وقد أسلم أمره للكريم الفتاح وقرأ ورده وتوسل بجده واذا بالاغا جوهر الصالحين اتى اليه وتمنى وأعلمه بان الديوان قد تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم نهض وهو يتوكأ على قضيب خيزران وصلى علي سيد ولد عدنان حتى أقبل الى الديوان فنهضت كلاء الرجال حياء من السلطان فبدأهم بالسنة ردوا عليه بالفريضة الشرعية فبسط أياديه وقرأ الفاتحة أم الكتاب وأهدى ثوابها الي ضامن جملة العاجزين وسيد الاولين والآخرين ثم الى روح المتقدمين والمتأخرين وجلس الملك على كرسى قلعة الجبل ذلك يوجد القديم بالازل وأمنت المسكر وانطلق العود الجاوي والعنبر وقرأ المقرى وختم ورقا المرقي وختم ودعا الداعى وختم وصاح جاويش الديوان يقول صلوا على طه الرسول

الملك لله دون الورى ‏ ‏ ‏ هوالدائم الباقي بغير زوال
هو الذي لا يدوم غيره ‏ ‏ ‏ وكل ما تراه فهو خيال
فهو الباقي بغير فنا ‏ ‏ ‏ وقد ضربت بذلك أمثال
كل مافي الدنيا سيفني ‏ ‏ ‏ ويبقي وجه ربك ذوالجلال

قال الملك آمنا من يوم كنا حتي اتصلنا سبحان مالك المهالك سبحان المنجى من المهالك سبحان من عنده كل مليك كملوك وكل غنى كصعلوك ثم أن الملك جمل يدندن ويقول يا حج شاهين قال له نعم قال له الراجل

اجتمع على الرجل ولكن الرجل قلبه خالص ولا يعلم بحال الرجل الا الملك العادل ولكن الملك معذور لان الظاهر للناس والخافي لله فلما سمع الاغا شاهين منه ذلك وقد تعجب منه قال له أي رجل يا أمير المؤمنين قال له أنا رجل عبيط وأنت ربنا خلقك فطين لبيب وقد جعل لك عقل وأذنين فسيب بالاولى واستمع بالاخرى الرجل الذى يجيب لي الحوض كام مرة وأنا أقول له هات لي من النخلة العدلة يجيبه من النخلة المعوجة ياحج شاهين ثم صاح الملك ياحق ياعلام الغيوب ياساتر العيوب ياحق أنت الحق اظهر الحق واعلى كلمته وأخفض الباطل وقل نعمته

قال الراوى بينما الملك الصالح يدندن ويتكلم بمثل ذلك ولم يجد أحداً يعرف معنى قوله واذا بباب الديوان استد والستائر احتجبت والحجب أرتفعت وأيبك يقبل الارض بين يديه والنبي صلوا عليه وقد خدم وترجم وأحسن مابدا وتكلم ودعا بدوام العز والبقا وأزالة البؤس والشقا ثم قال نعم ياأمير المؤمنين خصك الله بالنصر والتمكين قال له الملك أهلا وسهلا بالعز ايبك ملك الموصل من أراد أن يأخذ مصر ويملكها ويكون حاكما بها ويجعلها تحت حكمه أنت اسمك ايش فلما سمع ايبك ذلك الكلام قال له يامولانا السلطان أنا ايبك وقد أتيت من بلادى وقصدي حماك وكل ذلك في طلب رضاك قال له الملك الصالح اخبرني على ما قد جرى لك في طريقك قال فحدثه أيبك بما جري له من أول الامر الى آخره وكشف له عن باطنه وظاهره من مدة طلوعه من أرض الموصل الى مجيئه الى العدلية وكيف نظر وشاهد الكرامات وثبتت عنده هذه الموعظات فرجع عن جميع ماكان عازم عليه ولما صفيت نيتي يا أمير المؤمنين رأيت الطريق السالك بعد أن أشرفت أنا ورجالى على المهالك ثم تركت رجالى بالعدلية وأتيت اليك بالاكابر منهم بالكلية الى بين أيادي أمير المؤمنين أدام الله

حكمه بطول السنين قال فلما سمع الملك منه ذلك الكلام قال له أهل تريد الخدمة بديواني وتكون من بعض جلاسى وأقرانى قال له أخدمك بروحي وجسمي وأفديك بأبي وأمي فقال له البس أوليتك وزير أعظم وصدر افخم ودستور مكرم ثم البسه القفطان وأجلسه مرتبته بالديوان وأمر له بمنزل يقيم فيه برجاله وحواشيه فلما أقام أيبك وتمكن أرسل كتابا الى نائب الموصل يعلمه بما جرى وتقدم فهذا ماكان من تأصيلة الوزير أيبك فأنظر يا أخي الى هذه الكرامات الظاهرة وكيف أن هذا ملك ابن ملك وكيف طابت نفسه للخدمة وكيف بعد المملكة يلبس وزير والهداية من اللطيف الخبير فهذا ماكان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر الوزير أيبك فانه تداولت عليه الايام فبينما هو جالس فى بيته واذا بالشيخ صلاح الدين العراقى داخل عليه والنبى صلوا عليه فلما وقعت العين على العين ونظروا الى بعضهم بعضاً نهض له أيبك وتلقاه وسلم عليه وأكرم مثواه واجلسه الى جانبه وجعل يحدثه ويلاعبه وهو يزخرف له الضلال ويحسن له الكذب والمقال ثم أن ايبك قال له يامولاى اعلمنى ما الذى جري لك بعد أن فارقتك فقال له ياولدي طلعت بيت المقدس وزرت نبي الله موسى وأبراهيم وباقى الانبياء وقرأت لك الفواتح والقراءة العظيمة وسألت الله تعالى أن يعطيك المناصب الجسيمة وبعد ذلك اقبلت اليك لاني ماوجدت لي عليك اصطبار اناء الليل وأطراف النهار فقال له مرحبا بك يامولاى عسى أن يكون دعاك لي مستجاب عند الملك التواب ثم أنه اعاد عليه أيبك ماجرى له فى طريقه من الابتدا الى الانتها وهو ماورد وتقدم وسمعته آذانكم الرايقه ومعانى عقولكم الفايقة - والاعادة ليس فيها افادة الا في الذكر والتوحيد

قال الراوي فلما سمع الشيخ صلاح الدين كلامه وما قاله من مرامه

فرح بخدمتــه فى الديوان وجعل يحدثه بشأن القضـايا وقد جلس فى بيتـه وجعـل يصلي ويصـوم ويقرأ الاحاديث والعلوم وقد احتوي على قلبـه كل ماكان وما يكون فهذا ماكان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ماكان من أمر الملك الصالح فانه متي أصبح الصباح جلس على كرسى قلمة الجبل وهو يوحـد القديم الازل فلمـا تـكامل الديوان جلس العساكر والرجال قرأ المقرى وختم ودعا الداعى وختم ورقي الراقي وختم وصاح جاويش الديوان وهـو يقول لا تحسـبن الله يغفل سـاعة الا ينفذ حكمه فاذا نفذ أعطى الذين تجبروا فى ملـكه حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذوا قال الملك آمنا يا حاج شاهين الطير جاء عند الطير واتفق مع الطير ودخل القفص ولكن يا حاج شاهين الارادة لله ما شاء فعل وقد قال القائل فى معنى ذلك .

أمور لهـا القضـاء ممشى   يعتبرها الجاهل يقول ذا افسـاد
وهي الطـاف خفيـات   والارادة للحق فيما أراد

فقال الاغا شـاهين الطير يشـدو يا أمير المؤمنين فقال له أنا رجل عبيط فلا تأخـذ على قولى فقـال الاغا شـاهين سـبحانك لا اله الا أنت جـل شـأنك ولا اله غـيرك ولا معبود سـواك خلقتني ورزقتني وعلى عبادك الصالحين وليتنى الهى من أسيادي الذين أنا معهم وخادمهم ولا أعرف لهم كلام ولا أفهم لهم مرام يا ساده وقد راق الديوان وقد طلع ايبك وجلس فى مكانه فقال الملك الصالح يا أغا شاهين سبحان مسبب الاسباب أين قاضى الديوان فقال له الوزير انه مريض من مـدة ثلاثة أيام ولم يزالوا على مثـل ذلك الشـان الى أن مضى قـدر شهر من الزمان بينما الملك جالس واذا بالاخبـار داخلة عليـه تعيش رأس مولانا السلطان فى قاضى الديوان السيد محمد نور الدين بن السيد يحيى نور الدين فلما سمع الملك بوفاة القاضى قال كلمـة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم أمر الاغا شـاهين أن ينزل بالدولة ويمشى فى

مشهد القاضي فاجاب بالسمع والطاعة وأجاب من تلك الساعة وسار الوزير مع المدفن الى ان دفنوه قريباً من السيده نفيسة رضى الله عنها ثم بعد أن واروه التراب وقرؤا عليه شيئاً من الكتاب عادوا بعد ذلك راجعين والى الملك قاصدين وقد أمر له الوزير ببيتا يبنى له فبنوه وكتبوا عليه اسمه فهذا ماكان من هؤلاء

قال الراوى وأما ماكان من أمر الوزير الاغا شاهين فانه عاد بعد أن تهيأ الفراغ من ذلك قال الملك يا أغا شاهين أنظر لنا رجلا أهل صلاح وديانة ومعرفة وفطانة يستلم القضايا فقال الاغا شاهين يا ساداتنا يا علماء الاسلام هل عندكم من يصلح للاحكام والقضايا بالديوان فقالوا له يا وزير الزمان الخير موجود وباذن الملك المعبود فعند ذلك نهض الوزير ايبك وقد وقف في محل الطلب وقبل الارض بين يدي السلطان فقال له ما تريد يا ايبك فقال له يا أمير المؤمنين عندي رجل من أرض العراق وكثير العلوم وحسن الاخلاق يدرك العلوم وغوامضها ويعرف ظاهرها ومغمضها وهو رجل ذو صلاح وأهل ديانة ونجاح وقد رأيته يصوم النهار ويقوم الليل على ماطال وقد اجتمع عليّ وأنا فى حلب وكنت مريضاً فببركته عند الله أشفانى ربى على يديه وقد جعلته امامي وهو مقيم بمنزلى فلما سمع الملك الصالح ذلك قال له يا ايبك اصبر حتى أسأل الاغا شاهين فى ذلك الامر المكين ثم التفت الملك الي الاغا شاهين وقال له ما تقول في الشيخ صلاح الدين يكون قاضى بالديوان ويحكم على الامراء وكامل الاخوان فقال الاغا شاهين وما ذا أقول يا أمير المؤمنين فى اهل الفضل الصالحين وأنا لم أكن الا خادمهم ومقبل أياديهم وعبد لصغيرهم وكبيرهم فقال الملك الصالح انزل يا ايبك هات الرجل يتولي رتبة القضاة ولكن على شرط انى لاأصلي وراءه فقال له الاغا شاهين ولاى شيء ذلك يا مولاى فقال له ياشاهين أنا رجل عبيط ولاأعرف حقيقة الصلاة وهذا رجل

من ارض العراق منابع العلوم بالاتفاق واذا صليت وراءه أخاف أن يعايب
عليّ وعلى صلاتي على قدر معرفته وبلادتي فلا تغضب عليّ في ذلك يا شاهين
فقال له يا أمير المؤمنين شأنك وما تريد فقال له الله تعالى يأخذ بيدك ويسترك
ويقبلك ولا يفضحك هذا وقد سار ابيك الي منزله وأقبل على الرجل
وقبله وقال له سر معي الى الديوان فقد صدر لك الاذن من السلطان بانك
تكون قاضي قضاة الديوان فانهض معي فى هذه الساعة فما احسن هذه
البضاعة فقال له سمعاً وطاعة ثم ان العالم لبس مقلته وبدلته وقفطانه وجبته
ومسك سبحته ووضع في عبه محفظته ودواته وسار يترنم بقراءته وهو
يقول هو الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم الملك العزيز الجبار المتكبر ولم
يزل يذكر الله ويقرأ أسماء الله وآيات من القرآن الى أن أقبل الي باب
الديوان فنزل عن البغلة وسلمها الى طالبه ودخل من باب الديوان فخدم
وترجم وأحسن ما به تكلم ودعا بدوام العز والبقاء وازالة البؤس والشقاء
وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

سلامي على أهل ذاك الحما   سلاما عميا طيباً دائما
يعم أمير الامراء وما حوي   من الاشراف كل معظما
ادام عزك ربي والبقا   ما دامت أيامنا مترا كما
وأزال الله عدوك دائما   وحفظك ربي دواماً دائما
وأطاع اليك كل الورى   وكل من تخلف من نسل آدما
أمير المؤمنين قد عمك الوفا   وقد حفت الكرسي ملائكة السما
واصطفاك رب العباد لخلقه   خليفة وفى كل الامور مقدما
مازالت أيامك بيضا ياسيدي   وأيام أخصامك سودا معتما
ورضى عنك ربي بالرضي   حيث كنت عدلا محرما
قدجئت أطلب منك الرضا   فاقبلني لان أكون لك خادماً

قال الراوى ولما فرغ الشيخ صلاح الدين من كلامه وما قاله من أشعاره و نظامه قال الملك الصالح السلام على أهل السلام أهلا بالعالم العراقي الذى هو من أهل العراق وجاء يسعى في الاصلاح والتلاق ثم اجلسه على كرسى القضاة فقال ايبك اجلس يا قاضى واطلب النصر الى أمير المؤمنين فقال الملك اجلس يا قاضى وادع لمن تسبب لك فى ذلك المنصب فهو ايبك هو الذي جاء بك الى هذا المكان يا شيخ صلاح الدين أنت اسمك ما هو قال كما ذكرت وقد ثبتت عندى كرامات الصالحين كثيرة يا أمير المؤمنين انك من الاكراد الايوبية من خصهم الله بالولاية والرعاية العلية قال نعم ورحم الله جدك الذى قد سميت نفسك باسمه وهو الرجل الشهيد الذى سار الي ربه سعيدا شهيدا الذى قد جازيته أنت علي التعليم وقد بلغني عنك ذلك فهل هذا صحيح أم غير صحيح فقال القاضي وقد علم فى نفسة ان أمره لا يخفى عليه هو كما ذكرت يا أمير المؤمنين فقال له الملك اجلس على هذا الكرسي واجعل جلوسك قدام ايبك ووجوه الاحبة ولا تجعل وجهك ناحيتي لاني كنت أخاف من القاضي الذي كان عندنا وكانت له هيبة عظيمة علىّ ولم أكن أقدر أن أذكر ذلك لاحد وأنت أكثر منه قراءة وعلوم وأنا لا أقدر أنظر بالقلب ولا بالعيون فتعجب الوزير من ذلك الكلام الذى قاله السلطان ولا يعلم بحقيقة الامور الا اللطيف الخبير الغفور (يا سادة) وقد جلس القاضى وحكم وأمر واستطال وظهر ومد وكسر ونهي وزجر وهو يحكم فى الامراء والوزراء والوزير يأتم وقد تبرأ الملك من الصلاة معه ولا يكاد ان يتبعه فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر القاضى فانه صار يحكم فى الديوان بين الامراء والاقران وغلامه الطالب منصور بين يديه الي أن ثبت رجليه ثم اشترى له مكانا بحارة الروم واستوطن فيه وبلغ ما يروم ثم انه أرسل

مكاتبات الي الملوك وجاب الاموال من الملوك الكبار واطلعهم علي في ضميرة وما استدل عليه ونحن ان شاء الله قابلين نتكلم عليه في التأصيلة وجعل يدبر نفسه ويفعل بأمره ومقصده الي أن ينال مطلوبه فهذا ماكان منه

قال الراوي وهو الدينارى والدويدارى وناظر الجيش وكاتم السر والصاحب راوي هذه السيرة العجيبة انهم بعد أن ولت الايام على السلطان وتمكن الوزير أيبك والقاضى بالديوان فيوم من الايام صبر الملك الى آخر النهار ونفض المنديل تحولت العساكر والرجال نزل الملك الى مكان جلوسه الى أن أمسا المساء وصلى العشاء الاخيره وختم الصلاة وقرأ ورده وأكل شيئاً من الدقة والقراقيش ووضع رأسه فنام وتوكل على العليم العلام الذي لا يغفل ولاينام فرأى فى منامه ولديذ أحلامه منام ووحى من الملك العلام وكان قد آن الاوان وكل شيء له أوان من الكريم الديان قال فلما استيقظ من نومه وقد أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنورة ولاح وطلعت الشمس على البرارى والبطاح وسلمت على زين الاعيان الملاح قرأ الملك شيئا من كلام الله الفتاح ثم دخلت الاغوات اعلموه أن الديوان قد تكامل قال الكمال لله ونزل الملك الديوان وهو يتوكا على قضيب خيزران ويصلي على سيد الثقلان والبخور قدامه مطلوق والعدو قد صار مخنوق فلما أقبل على التخت بسط يديه وقرأ الفواتح وأهدى ثوابهم الي ضامن جملة العاجزين والطالبين النبي الكريم . سلم على الاكراد ردوا عليه السلام جلسوا في أماكنهم راق الديوان فقرأ القارىء وختم ودعا الداعي وختم ورقى الراقي وختم صاح جاويش الديون وهو يقول

لا ندعى بالممالك أو تقول لى ملك　　من حي سلطان ومالك راح وفات الملك
من يدعي الكبر هالك فى بحار المهالك

والبين سدد للسالك له وكانت سلك

قال الملك سبحان ملك الممالك سبحان المنجي من المهالك قال ولما راق الديوان قال الملك ياسادتنا ياعلماء الاسلام رأيت فى الليلة الماضية منام فهل يصح فيها منام قالت العلماء نعم ياأمير المؤمنين ان الليلة الماضية رؤياها صادقة لانها السابعة من الشهر العربي والقمر فى زيادته وهو غير منحوس فما الذى رأيت ياأمير المؤمنين فقال رأيت كاني فى براقفر متسع الجهات ولا له اول يعرف ولا آخر يوصف فبينما انا كذلك اذا نظرت الى ذلك الوادى فرأيته قد امتلا ضباعا من الجهات وقد نظرت بعيني انني فى وسطهم فريد ولم يكن لي مساعد ولا رشيد الا الملك المجيد فقطعت العلائق من الخلائق ورفعت وجهى وطرفى الى الملك الخالق وطلبت منه النجاة مما انا فيه ومن جملة ماتصور في ذهني وقلته في منامى هذه الابيات صلوا على سيد السادات

لقد آن الاوان لكل شيء فاسمي لما رأيت من المنام
فقد أتاك الاذن من رب السماء وقد فزت بالنظر من رب الانام
فكن حافظا لما أريناكه وكن واعيا ودع الملام
ودع التقصير فاننا نريد هدم جيش اللئام
قد جعلناك للاسلام سد فامشى الى نصرة الاسلام
واترك التكاسل فى كل أمر وشد عزمك للزحام
واسأل الرب المجيد نصرا واطلب العز من خير الانام
واعدد الى الحزم جيشا تبيد به الكفار يوم الصدام
واسمع واسعى لتحصيل جيش تهدم به ركن الظلام
والصلاة والسلام علي النبي نبى الهدي وبدر التمام

قال الراوي ثم ان الملك الصالح قال للعلماء وأنى قد اشتد بى الوجد

وحصل بي غاية الكرب والكدر وأنا أطلب النجاة والفرج من الله فبينما انا كذلك واذا بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف بعد ساعة للنظار واذا بخمسة وسبعون سبعا قد أقبلوا من الهضام وهم فى أعظم همة واشد استحباب ويقدمهم سبع اغتنم عالى القدر وسيع الصدر والمحجر له وجه مليح أشقر حلو الشمائل والمنظر بوجه كدائرة القمر كما قال فيه الشاعر المحرو حيث يقول صلوا على طه الرسول

قد جاء يبدر فى مشيه — يخبر أغصان البان عند قدومه
ياله من صبيح وجهه — قد عم بالخير الاهل مع جيرانه
ياحسنه لما أتي مقبلا — ياطيب عيناه ويامقلة عينه
قد أعطاه الله بهجة ووجنة — تزهوا وتزهى على أغصانه
ياثغره لما أتي متبسما — ياطوله لما أتي ليم حماسته
ياعزمه مع حزمه مع قدره — ياقدره وجمع الرجال سباعه
يهتز تيها ويعجب تارة — ويمسي ويصبح معجبا فى نفسه
فياله من دون السباع لقد جري — فضلا وسرف على انداده
ماذا تقول الواصفون في مدحهم — ولقد عجزوا عن صعات صفاته

قال الروى ثم أن الملك الصالح قال للعلماء وقد هجم ذلك الاسد وصار فيهم كالليث اذا احتد وتبعوه أصحابه والذى حواليه من أحبابه وما زالوا في حرب شديد وطعن أكيد ألى أن افترسوا الضباع ولفحوهم فى تلك البقاع وقطعوا منهم النخاع وجعلوا الارض منهم خالية ولم يبقوا منهم بقية فمن شدة ماعتراني استيقظت من منامى ولذيذ أحلامى وهذا ما سار وحق النبى المختار .

قال الراوى فلما سمعت العلماء ذلك قالوا له ياأمير المؤمنين أما الضباع التى رأيتها فهذه أهل الكفر والضلالة والخداع والنفاق والملالة ولابد

انهم يتحركوا عليك ويطلبون أذاك ويخرجون لهم تلك السباع ويجعلونهم قتلا فى البقاع وهؤلاء السباع هم أهل الاسلام والانتفاع يقطعون من الاعادي النخاع وينصربهم الاسلام وتستقم بهم كامل الاحكام ولكنهم الآن في علم الله الملك العلام وسيأتي مع هؤلاء سبع كبير وهو كبير القوم وهو الذي يبدد شمل أهل اللؤم فينبغي انك يامولانا تشترى لنا جلبة مماليك من مال السلطنة ويكونون لك خاصة من غير شريك ولا تكون فى هذه الامور متهاون فان منامك يدل على ذلك ويكونون هؤلاء لنصرة الاسلام وقدأذن بذلك الملك العلام

قال الراوي فلما سمع الملك الصالح من العلماء ذلك الكلام النافع الناصح تبسم ضاحكا وقال ياشاهين المماليك يبقوا ايش قال له الوزير خلقا مثلنا وهم من أولاد آدم وبنات حواء قال الملك الله الله ياشاهين بنوا آدم يباع ويشتري قال له نعم ياأمير المؤمنين والسبب فى ذلك دعوة نوح عليه السلام حين دعا على ولده وقد أسود وجهه لما ضحك عليه لما كشف الهوى ذيله ولم يغطه بل ضحك عليه وغطاه ولده الاخر ثم عاد عليه القصة من أولها الي آخرها وسبب مبيع العبيد والجوارى والمماليك والقصة مشهورة وكل أمورها مفهومة ومذكورة فى كتب غيرهذا مسطورة

قال الراوي فلما سمع كلام الملك الصالح ذلك قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثبتنا الى الاولياء الكرامات والى الانبياء المعجزات ومن المعجزات اجابة الدعوات ولكن ياشاهين انا لم أعرف أي مكان يباع فيه بنى آدم فانت وكيلى وانت الذي تشتري لي وقد وكلتك فى ذلك نجاك الله من المهالك فانظر ياسيدى شاهين كم يقطعوا من الجدد وانا أعطيك اياهم فقال يامونا عنهم خمسة وسبعون الف شريفي ذهب معدودون ومفرودون ومنقدون فقال له الملك انظرها بكام جديد لانى قليل الحساب فان كانوا

بعشرة جدد أعطيك خمسة آخر فقال له سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ثم أن الملك نفض المنديل تحولت الرجال ونزل الوزير فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) وأما بما كان من أمر الوزير الاغا شاهين فانه نزل من الديوان الى مكانه وجلس وأحدقت به جلساءه وأقرانه ووقفت بين يديه أعوانه فقال شاهين لاحد أتباعه خذ هذا الخطاب وسر به الى شيخ الياسرجيه وأمره يعمل بما فيه بالكلية فقال له تابعه السمع والطاعة وأخذ خطاب أبو زيد وسار من تلك الساعة وأعطى الجواب الى شيخ الياسرجية ففضه وقرأه عليهم وفهم ما فيه من معناه واذا فيه خطاب من الوزير الاغا شاهين الى بين أيادي شيخ الياسرجية الذي نعلمك به انك تجمع كامل من كان تحت يدك من الياسرجية وتجار الرقيق وتأتي بهم عندى وتكون سريعا والحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام على نبي تظلله الغمام

قال الراوى فلما قرأ الكتاب أجاب بالسمع والطاعة ونهض على الاقدام من تلك الساعة وأخذ طائفته ورفقته وصار طالب ديار الوزير من وقته وساعته فلما وصلوا الى بين يدى الوزير قبلوا الارض منهم الكبير والصغير وسلموا عليه فرد عليهم السلام وأجلسهم وأمر لهم بالاكرام فلما شربوا الشربات وراق المكان أقبل الوزير على الكبير فيهم وقال له ياوالدى مااسمك قال له اسمي يسار الياسرجي قال له ان الملك يطلب منك جلبة مماليك كتابية يكونون يليقوا الى السلطنة بالكللية وهم خمسة وسبعون مملوكا ويكونون من ثلاثة أجناس وكلهم أولاد ملوك ومن أطيب الناس فخمسة وعشرون سركسية وخمسة وعشرون أباظية وخمسة وعشرون جرجية وتأخذ الثمن كما تريد فماذا أنت قائل فقالوا له يا وزير الزمان هذا شيء لا يكون أبدا ولم يتوفق مثل الذي تذكره على بال انسان ولو قعدنا ندور عليهم ثمانين عاما في البراري والاكام فقال له الوزير وما يكون الرأي في ذلك قال له ياوزير

الزمان وفريد العصر والاوان اعلم اننا كلنا عاجزين عن ذلك الطلب ولم نقدر عليه لو تسببنا بكل سبب غير اني أدلك على من يقضي حاجتك ويبلغك أمنيتك وهو غلام ياسرجي عن أبوه وعن جده وهذه صناعته ورشده وهو رجل يقال له على بن الوراقة وانه رجل قد من الله عليه بالفهم والفطانة حتى اذا سمع حديث أى انسان يعرف هو من أى جنس كان فان أردت تقضى ذلك الاشغال فعليك به من غير محال فما لهذا الا مر سواه ولم يقضى هذه الامور الا اياه لكن ياوزير الزمان أصيب بداهم الفقر والهوان بعد العز وعلو الشأن وقد أعلمتك والسلام على سيد ولد عدنان

قال الراوي فلما سمع الوزير ذلك من شيخ الياسرجيه يسار انعم عليهم واطلقهم الى حال سبيلهم فهذا ما كان منهم

قال الراوى ثم ان الوزير شاهين بعد ان انصرف عنه الياسرجية من عنده أحضر الوالى بين يديه فلما حضر قبل الارض بين يديه وكان كل والي يسمي سوا باشا فلما وقعت عين الوزير عليه قال ياسوا باشا انزل الى الحسنية واسأل على بيت بن الوواقه فاذا وجدته تأتني به الى عندى فقال سمعا وطاعة ونزل من تلك الساعة وسار طالب الحسينيه فهذا ما كان منه

قال الراوى واما ما كان من على بن الوراقة فانه بعد العز وعلو الشأن أصابه الفقر والذل والهوان وسار لايملك درهما ولا دينار وقد جار عليه الزمان الغدار وتألمت عياله من الجوع ونالوا المشقة والاضرار وصار لايملك نفقةعياله لماتغيرب أحواله وقدمضى عليهم ثلاثة أيام مااستطعموا فيها بطعام وكان له زوجه من أكابر الناس فنادته ياسيداه قم واطلع الى السوق وتوكل على الملك الشفوق سيد كل مخلوق ورازق كل مرزوق فلعل الله يبلغنا ما نتمناه ويزول عنا غضبه وشقاة فلما سمع المقدم على من زوجته ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وبكا بكاء شديد

ما عليه من مزيد وخرج وهو حزين القلب منكسر الخاطر ولم يعلم ما أذن له به الملك القادر القاهر غير انه توهم فى نفسه ان زوجته تدعوه الي السؤال من الاحرار والانذال فخرج من عندها وهو يبكى وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أكابد الدهر فى الصباح وفى المسا   ولي عزم جلود على حمل الاسا
وماضرني فقري ولو حاجتى   ولا كادنى الا معايرة النسا
وبعد عزي ومجدي ورفعتى   أصبحت ذليلا خاليا متردساً
وقد ألمنى بكاء الاطال حتى كانني   صرت فى أمرى الدميم ملبسا
وصرت مثل الخيال اذا سرى   ووهى خلالي ثم أطبق الكسا
فيارب جرنى بحرمة أطهر   طه رسول الله من أزال الاسا
بحق الحبيب المشفع فى الورى   الذى أرسلته رحمة لكل عرندسا
سيد الخلائق فى الارض والسما   رسولك المختار زين كل الاجنسا
تفرج عني همى وغمى وفاقتى   وتمحو عنى الشقاوة والرثا
والطف بعبد قد دعاك وجد له   بفرج قريب عاجل متمرساً
فأنت رب العطايا كلها   فامنن يا الهي وكن عنى منفسا

قال الراوى فلما فرغ من اشعاره واستغاثته وشكوته لعالم اسراره حتى بكت اطفاله وعياله وقد ألمه ما هم فيه من الضرر وحلت عليهم مكايد الدهر فقالت له زوجته سر يا سيدي من غير تكدير عسى ان يردك علينا مجبور الخاطر الملك القدير فسار علي وهو باكى والي مولاه شاكي وخرج من داره من الحسينية متوكلا على رب البرية وسار فى الطرقات وهو لا يدري الى أين يذهب من الجهات ولم يزل سائر الى ان اتى باب الشعرية فبينما هو كذلك اذ نظر الى رجل زيات وكان ذلك اسبابا من رب البريات (يا سادة) فلما نظره الزيات عرفه فنهض من مكانه واقبل اليه وقبل يديه ورجليه

واخذه واجلسه على الدكان ووقف بين يديه وقال له يا سيدي انت على بن الوراقة فقال له نعم انا يا هذا وانت من تكون فقال له الزيات انا خادم والدك ومتربي فى نعمته وها انا البهلول سايس ركاب أبيك فاخبرني يا سيدي ماذا جرى عليك فقال له اعلم اني بعد السعد افتقرت وبعد الغنى انكسرت واعترانى ما اعتراني من العنا بعد عزى والغنا وقد ذهبت متاجري البعض فى البحار والبعض في البراري والقفار وقد رضيت بالقضاء والقدر من الملك الجبار والحمد على كل حال ولا ينبغى ذكر ما قد مضي فلقد فات وانقضى

قال الراوى فلما سمع البهلول الزيات ذلك الحكايات اخذته الحمية وحكي على ما جرى له بالكلية وقال له ياسيدى والله الذى لا اله غيره ماخدمت سواكم ابدا ولكن هذا تقدير رب الارض والسماء ثم ان الزيات نهض على الاقدام واخذ قصعة كبيرة من الدكان واتى بماية خبز حامية وبسهم فى ذلك القصعة من السمن البقرى وعسل النحل الابيض المفتح وقال له يا سيدى خذ هذه القصعة وسر بها الى الدار واطعم منها العيال الصغار فاذا فرغت تأتى الى عندى وتأخذ ما تريد من يدى فقال له جزاك الله يا اخي كل الخير وكفاك كل هم وضير ثم انه حمله القصعة وناوله فى يده ورقة فيها ستين فضة وباس الزيات يد علي وقبله على ما جرى عليه فهذا ما كان من امر البهلول الزيات

(قال الراوي)واما ما كان من علي بن الوراقة فانه سار بذلك القصعة وقد اخذته الفرحة ولم يزل سائرا الى عند السليمانية بينما هو كذلك اذ رأى رجلا جالساً تحت السبيل وهو يقول طالب من الله ومن رزق الله ومن خير الله قصعة بسيسة يكون فيها ماية خبز حامية وعليها السمن والعسل والذى يأتينى بها يعطينى ستين فضة وأجره بعد ذلك على الله رب العزة والقدرة فلما سمع المقدم على ذلك الكلام قال فى نفسه ان هذه الاشياء التى ذكرها هذا الرجل المسكين لم يوجد أحد حاملها غيرى من الناس

أجمين وانا رجل فقير وهذا الآخر رجل مثلى فمن الرأى انى اشاركه وأقدم له نصف البسيسة وأعطيه نصف المعاملة ثم أقبل اليه وقبل يديه وسلم عليه وقال له يامولاى انا رجل مثلك وأمري كامرك غير ان الذى ذكرته فهو معي وانا عيالى جائعين والى عودتى لهم منتظرين وقد رضيت بالقسمة بينى وبينك فهل تريد أن تشاركنى وتأخذ مامعي أو تأخذ البسيسة وتترك مامعى من الدراهم أو تأخذالدراهم وتترك مامعى من البسيسة أو تأخذ النصف فى كل شيء منهم فشأنك وما تريد

قال الراوى فلما سمع الفقير منه ذلك الكلام أبدأ الابتسام وقال له يا أخى انا طالب من الذي عطاك فهو المعطي المانع وأنا ما سألتك فان أردت أن تعطينى مامعك فافعل والا فاذهب به الى حيث تريد فلما سمع على منه ذلك الكلام قال له ياسيدي خذ ما معي جميعه وانا رزقى على الله تعالى الذي خلقنى وأنشأني وانه لم ينسانى ثم انه دفع اليه الدراهم والبسيسة وقال ياسيدى هاهو مطلوبك فعند ذلك قال له الله ينزع ألم الفقر من جوفك ويزيل مرارة القهر من قلبك ثم أن الفقير مد يده في القصعة مرة واحدة فتارة القصعة كما قيل فى المعني من الاقاويل

اعلم ان الدنيا تزول بأهلها   وما هي شبيهة الخيال

قال وكان على يظن انه يأكل منها ويأخذ هو الذي يبقى الى عياله فلما شاهد ذلك العجب تعجب من تلك الاحوال وقال فى نفسه لاشك فى هذا الا انه من الرجال الابطال هذا وقد تقدم اليه على وقال له ياسيدى سألتك بالله الا ما دعيت لى فقال له ذلك الرجل الفقير أسأل الله العظيم رب العرش الكريم رب موسى وابراهيم وزمزم والحطيم أن يرزقك بالوالى

فى هذا النهار ويأخذك من دون العالم اجهار وأنت مكتف اليمين على اليسار ويتكلم فيك الصغار والكبار فلما سمع على منه ذلك الكلام أخذته الاوهام وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أدفع بها عن نفسى ما أطيق ومالا أطيق وقد سلمت نفسى الى االطيف الشفيق ثم تركه وانصرف ولم يدر من هو هـذا الرجـل وكان قطب الدائرة المتولى بذلك الوقت ثم ان الاستاذ خفى مابان كانه ما كان فهذا ماكان من أمره

(قال الراوي) وأما ماكان من أمر علىفانه أخذالقصةوأعادها الىالزيات وسلم يعلمه بما جري له من الامور المسيئات ورجع ولم يعلم الى أين يمضى والى اين يذهب وقد ضاق به كل مذهب فبينما هو كذلك واذا بالوالى وقد أقبل بعيلته عليه وقد تقدم اليه وقال له انت اين الوراقة قال نعم فعند ذلك صاح الوالى يارجال هذا غريم الوزير فامسكوه فتقدمت اليه الرجال وأوثقوه كتافا في الحال وشدوه بالحبال وكان قريبا من الحسينية فلما عاينوا ذلك أولاد حارته ونظروا ماحل به من حيرته تكلموا فى حقه فقال واحد منهم لآخر ماذا فعل على حتى أخذوه وفي ذلك الحبال أوثقوه فقال له انه يدق الزغل فقال آخر وحق العزيز الاجـل الازل وانما أنا أعرف القضـيه وقد إعلمت بها من ليلتى الماضـية فقالوا له وكيف ذلك وما الذى فعـل فقال لهم اعلموا أنه قتل زوجته فقال الآخر لا لا وانما نكح بنى الوير فقال آخر سرق وآخر شهد زور وتكلمت الناس على قدر عقولهم وما يهوي تخريفهم فهذا ما كان من امرهم وأما أهل الخير العقلاء أهل الفطانة النبلاء فانهم قالوا لابد ان عليه ديون أو ضمانات أو ربما تكون السلطنة احتاجت اليه فى بعض مهمات فالله تعالى يسهل عليه الخيرات ويدفع عنه المضرات هـذا والوالي سائر بعلى الى ان أقبل الى منزل الوزير وكان هذا

تقديرا من اللطيف الخبير (ياساده) وقد سار على متفكرا فى أمره ولم يعلم بذنبه وما السبب فى قبضه وهو ينعي على أولاده ونفسه وقد ترنم بهذه الابيات صلو على سيد السادات

لقد كان الدهر محسنا الى   ولـكنه يهدم على الرجال
وبالقـدر المحتم من خالقي   ذهب عنى متجرى ونوالي
واعترانى الفقر حتى كادنى   ومن جوره فقد أجاع عيالي
وتكبر وتجبر حتى انه   أضنى قواى وأورثني نكالى
وتركنى رهينا في قيد سجن   وكم فعل مثل ذلك بأمثالى
ولا يدعون لي قدرا ولا يعرفوا   صفاتي في الوري مع كمالى
قبضنى باشـة الوا المسمى   عند الايام باسم والى
وما هو وال الا بسقر   وكم ظلم مثالى مع مثالى
فيـارب كن لى مغيثا   وفرج كربتى واصلح حالى
وامح عنى ما اعترانى   من فاقتي واهانتى واذلالى
توسلت اليك بأحمد المصطفي   سيد الانام وعين الدلال
عليه الصلاة والسلام جمعا   ما تعاقبت أيامنا بليالى
كذا الاصحاب والاحباب حقا   والتابعين وجميع الال

(قال الراوي) ولم يزل على يدعوا ويتضرع ويستغيث الي ان أقبل به الوالي الي بين أيادي الوزير الاغا شاهين وقال نعم ياوزير الزمان هذا الذى طلبته فقال له الوزير من هذا قال له على بن الوراقة فلما سمع الوزير من الوالي ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له يا قليل المعرفة والادب أنا امرتك ان تكتفه وتتعبه ذلك التعب وتقل قدره بين

الانام العقل منهم والعوام فقال الوالي أدام الله بقاء مولانا الوزير الذي بكل الامور خبير يا سيدى أنت أدرى منى بكل ضمير وذلك أنه لما أمرتنى بمجيئه فتصور عندى اهانته لان الوالى رسول الغضب ولو كنت أنت راضيا عليه كنت أرسلت غيرى اليه اما بجواب واما بخطاب واما بخلعة أو هدية أو بدلة سنية وأما أخذ الوالى فهو كما رأيت فقال الوزير صدقت ولكنى ما ظننت ذلك ولا قرأت ثم ان الوزير نهض بنفسه على الاقدام وحل بيده كتافه والبسه عمامته وأطلق أطرافه وأخذه بيده وأجلسه وأمر له بالشرابات فشرب وأزال الله ما به من التعب واطمأن قلبه وهدأت سرائره ولبه ثم قال الوزير للوالى أخبرنى ما ذا فعلت معه فقال له يا سيدى نزلت من عندك الى الحسينية وسألت شيخ الحارة عن منزله فدلنى فطرقت الباب فجاوبتنى زوجته بافصح خطاب وأحسن جواب فسألتها عليه فقالت مضى الى السوق فاخذت من أهل الحارة من يعرفه ومضيت معه فوجدناه سائر فى الطريق فاوثقته كتافا وأتيت به الي جانبك من غير خلاف والسلام قال فقال الوزير لعنة الله على كل ظالم ثم صاح فيه امض الي حال سبيلك فخرج الوالى من بين يديه وهو يتعثر في أذياله فهذا ما كان منه وما جري به

قال الراوى وأما ما كان من الوزير فانه التفت الى علي بن الوراقة وقال له يا سيدي أخبرنى عما جري بك وكيف افتقرت بعد كثرة مالك ونوالك وكيف ذهب فضلك وافضالك فقال يا وزير الزمان كل شيء بتقدير الملك الديان وحق رأسك والملك العلام منذ ثلاثة أيام ما استطعمت أنا وعيالى فيهما بطعام وقد صارت على ديون كثيرة وبقيت فى أعظم حيرة وقد كنت تاجر شهير وبكل الامور خبير فغرق مالى فى البحر وانتهب باقيه فى البر وقد ركبتني ديون كثيرة واعترانى الفقر والحزن وقد رضيت بما

قدر الرحمن عليّ من الالطاف والامتنان فقال له الوزير دعنا من ذلك الآن واعلم أني ما طلبتك الا لحاجة ومقصودي قضاؤها من غير لجاجة وهى مطلوبة الي السلطان فقال وما هى يا وزير الزمان فقال خمسة وسبعون مملوك يكونون مراهقين وأولاد ملوك ويكونون ثلاث أجناس سركسية وجرجيات وأباظيه فقال له وزير الزمان وفصيح اللسان نعم اني أفهم الاشارات وأفهم الالسن واللغات ولكني اذا سافرت فى طلب تلك الحاجة يتحركون عليّ أهل اللجاجة لاجل ما لهم عندى من الديون وربما أخذوا دراهمهم مني فارجع مغبون فلما سمع الوزير مقاله وفهم معنى سؤاله فقال له لا تخف فالامر قريب باذن الملك المجيب فالله تعالى يعطيك الصبر ويثيبك بالاحسان غاية الاجر ولكن أخبرنى حيث أنك تعرف بالالسن فهل تعرفنى وتعرف أبي بما سمعت من لغاتى فقال نعم أعرفك يا وزير الزمان حق المعرفة وأعرف تلك الصفة فقال له الوزير أخبرنى الآن فقال أعطنى الامان فقال له عليك الامان فقال له يا وزير الزمان أنت أبوك من الترك وأمك من بلاد المغرب فهل هو ذلك أم لا فقال الوزير نعم يا علي هو كما ذكرت والحق كما وصفت ولكن يا علي اذهب الى منزلك الآن واذا كان من الغد احضر الى عندى في الديوان فقال له السمع والطاعة يا وزير الزمان هذا وقد خلع عليه الوزير خلعة سنية وأمر له بخمسمائة دينار عددية ثم صاح الوزير على الخزندارية فحضروا الي بين يديه بالكلية فامر الوزير بخمسمائة حمل محملة من الارز والسمن والعسل والقمح ومائة شاة من الغنم وخمسين من الابل وخمسمائة حمير محملة اخشاب وأحطاب وأرسل الي عياله البدل وكذلك زوجته وقد أذهب الله فقره وفاقته وقال لهم الوزير سيروا بهذا كله الى بيت هذا الامير وحق رأسي أن يصل كل ذلك قبل أن يصل هو

الى هناك فعند ذلك جهزوا كل ما قال عليه الوزير وساروا بالجميع الي البيت وطرقوا الباب ففتح الباب فلما عاينت زوجته تلك الاسباب ظنت أنهم تاهوا عن المكان الذي هم اليه قاصدون وعلية معتمدون فقالت لهم ما هذا بيت الامير وانما هو بيت رجل فقير فقالوا لها يا سيدتي هذا ارسله اليك سيدنا على باشا تاجر السلطان ففرحت بذلك الامر والشان وزال عنها وعن عيالها كل الاحزان ورجعت الحمالين والشيالين الي حال سبيلهم وقد انخزن المكان وأما علي فانه فرح بما اعطاه الوزير من الاحسان وقال سوف اطعم عيالى بما أوهبنى الملك الديان ولم يزل سائرا الي أن أتى المكان فوجد فيه الخير والاغنام وقد مضى الشر عنه والاسقام ففرح بذلك غاية الفرح وزال عنه الهم والترح واتسع صدره وانشرح ثم أقبل الى زوجته واخبرها بقصته ففرحت وانشرحت وكذلك العيال لعبوا بعدما شبعوا باذن الملك المتعال وقاموا باقى يومهم وليلتهم وهم فى حظهم وفرحهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الزاوي وأما ما كان من الملك الصالح فانه بات واصبح يصلي على من له الورد فتح جلس على كرسى قلعة الجبل يوحد القديم الازل تكامل الديوان جلست العساكر والاخوان أقبلت العلماء والاشراف وأهل المراتب والانصاف وطلع الاغا شاهين وجلس في مكانه بعد أن سلم وصبح على كامل اخوانه وطلع القاضى وهو يقرأ كلام الملك الهادي وصبح وجلس على كرسيه وتكاملت جند الديوان وحواشيه وقرأ الملك الفواتح وأهداها الي الخاتم الفاتح ثم قرأ الحزب وختم رقي الراقى وختم دعا الداعى وختم صاح جاويش الديوان

قد غرت دار الدنيا وأحوال الملوك تتغير
قد جل الذي فى ملكه دائم باقى يغير ولا يتغير
ومقهر العالم بكأس الموت وهو الذي لم يقهر
احتارت الافهام في صنعه وقدره في العقل لا يتصور

قال الروى فقال السلطان آمنا سبحان عالم الغيب سبحان ساتر العيب سبحان راحم الشيب اراد الملك أن يتعاطي القصص ويزيل الغصص حكم ماأمر مولانا جد الاشراف واذا بباب الديوان احتجب والستار أنشذو على ابن الورأفة يقبل الارض وهو يقول صلوا على طه الرسول

تصبحك السعادة كل يوم   باجلال على كيد الحسود
أدام الله لك الايام بيضا   وأيام من عداك سود

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله مقابلة الحسن بن الوراقة الياسرجى بالملك الصالح وتكليفه بمشتري المماليك

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة ﴿ السلطان محمود الظاهر بيبرس ﴾ ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوي على خمسين جزء

الجزء الثاني

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ — ١٩٢٣م

﴿ طبعت على نفقة مصطفى السبع ﴾
بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر
لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم)

(قال الراوي فلما رآه الملك الصالح ولي الله الناجح قال له أهلا وسهلا ومرحبا ياسيدي علي يا ابن الوراقة يا أبي الحسن الوراقة يا ابن محمد الوراقة يا ابن سعد الوراقة أنت اسمك ما هو قال يا أمير المؤمنين اسمي علي ابن الوراقة فقال له وما الذي تريد يا علي فقال له الاغا شاهين يا مولانا السلطان هذا الذي يجيب لك المماليك الحسان الذي رأيتهم في المنام فقال له ياسيدي علي أنت تفعل ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فقال اعلم أني طالب منك حاجة أخرى وذلك اني طالب مملوك خاصة لنفسي يكون فيه الشروط التي أذكرها اليك وهو أنه يكون فهيم قوي وفطين قوي ويكون يحفظ القرآن قوي ويكون ضعيف قوي ويكون وجهه حسن ومحمود اسمه واذا غضب يكون في وجهه جدريات تملكه من الطارقة اليمين الى الطارقة اليسري ويكون بين عينيه شعرة أسد وبين حاجبيه سبع من اللحم هذا عند الغضب واذا راق لم يكن لذلك عنده أثر ولا سبب فما ذا تقول في ذلك يا علي فقال علي يا مولاي ان وجدت هذه الشروط أتيتك بالمطلوب وحق علام الغيوب فقال له الله يسهل عليك الامور ويجعل خاطرك مجبور ولكن خذ هذه السرة فاذا

وجدت هذه الصفة اشتري بها ولاتفتحها ولاتعلم مافيهاالاأنت ولاالذي تشرى منه بل تقول له يمني بهذه السرة المجهولة فقال سمعاوطاعة (ياساده) وقد تحدث على فى نفسه فقال هذا شيء لايكون ولاتدرك هذه الاوصاف فى احد من البشر وكيف اني اشترى بشيء مجهول وكيف يبيعنى صاحبه بما لا يعلم من المحصول فعند ذلك كاشف عليه الملك الصالح فقال له ياعلي اذاارادالله قضاء شيء هيأ له الاسباب فارجع ياعلي عن سوء الظن واحسن الخطاب فسوف تري مايسرك وتدفع عنك شرك وضرك فسر الى ما امرتك به وسلم امرك لمولاك واعتمد عليه ثم قال الملك للوزير اعطه ثمن المماليك ياوزير الزمان اعطه خمسة وسبعين بدلة ملكية ياوزير الزمان اعطه خلعة ثنية ياوزير الزمان اكتب له حجة متمكنة شرعية بانه يكون شيخ على طائفة الياسرجية ياوزير الزمان هذا رجل مديان وربما يقبضوا عليه اصحاب الديون فيأخذوا منه المماليك والتجارة ولاينااله منا الا الخسارة فاكتب له فرمان بعدم المعارضة في البلدان واذكر فيه ان جميع ما علي من الديون يحسبهم من مال الارض أو من الخراج ومن لم يكن عليه مال ولاخراج يحسبهم على السلطان وكل من عليه ديون من أهل البلدان يأخذه من نايبها الذى يكون عليها ويضيف ذلك مما عليه أو يرسل به مكاتبة ويقبض ثمن الديوان حكم ماأمر السلطان والحذر من المخالفة والسلام على نبى تظلله الغمام وكان كل هذا ضمير الوزير وكذلك على ابن الوراقة فكتب له ذلك ونزل من الديوان بعد أخذ الدراهم والعطايات والبدل وسار المنادى بالفرمان قدامه ينادي وهو يقول يا اولاد مصركل من له ديون أو ضمانات على على بن الوارقة يطلع الى الديوان ويأخذ حقه من السلطان حكم ماامر به الصالح أيوب ولى الله المجذوب والحذر ثم الحذر من الاختلاف فانه يورث الاتلاف

قال الراوي فلما سمعت اهل مصر بذلك تضاحكوا وقال واحد لرفيقه على عليه اربعون فضة فاذا طلعت الى الديوان ما يعطيني الملك وما عنده الا مقاطف الخوص فقال الاخر عليه تسعون فضة وان الملك لم يحكم عليهم فقال له الاخر يعطيك الدلق فقال الاخر يعطيك الترس الجمبز فقال لهم رجل آخر اعلموا ان كل من كان له ديون وطلع الديوان ليطلبهم قتلوه الاغوات ويذيقه كاس الممات فقد اتفق الوزير مع الملك على ذلك الحالات ثم ان الناس تكلمت بمثل تلك الخرافات وقد تركوا ما عند على خوفا على انفسهم من طلوع الديوان فهذا ما كان من امر هؤلاء

قال الراوى واما ما كان من امر على بن الوراقة فانه اخذ ثمن المماليك وأخذ الفرمان وترك ما أخده من الانعام الى أولاده وأخذ يجد السير وحزم له متجر عظيم وذهب ماكان عنده من الفقر الجسيم وارتحل من هذه البلد وقد توكل على الواحد الاحد ولم يزل سائر من بلاد الى بلاد ومن مكان الي مكان حتى توسط الطريق واخذ على طريق غزة ولم تكن الا اياما قلائل حتي أقبل عليها فنزل فى خان من الخانات فبينما هو جلس ثانى يوم واذا قد أقبل عليه اربع أغوات من عند الوزير حسان نائب غزة و باشة ذلك المكان فلما وصلوا اليه سلموا عليه وقالوا له اجب سيدنا حسان فقال لهم سمعا على الرأس والاعيان ثم نهض معهم ألى الديوان وسلم وخدم وترجم فقال له الكردي حسان الحمد لله الذي أغناك بعد الفقر وأعطاك وأرضاك بعد القهر فاعطني ماعليك من الحساب القديم وسلمني الذى جئت به الان فقال له خذ فرمان ابن عمك السلطان ثم أخرج له الفرمان فلما رآه قام على الاقدام وهو يقول بعلو رأسه السلام والتحية والاكرام على ملك الاسلام وأهل المملكة وأهل الاحتشام فتصارخت الرجال بالسلام ثم أخذ الفومان وقبله ووضعه علي راسه وقرأ مافيه وتأمل معانيه يجد فيه خطابا من أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين الى جميع نياب الارض

والبلاد وسكان البراري والوهاد ومن كان فى القرى والسوادانهم لا يتعرضو لعلي بوجه من الوجوه والذي عليه يحسبه على أميرا ومنين والحذر من المخالفة والسلام

قال الراوي فلما سمع الوزير حسان الكردي ذلك الكلام أجاب بالسمع والطاعة ثم أعطاه الفرمان وقال له يا سيدي لا بد أن تشتري لي مملوكا يناسبنى فقال اذا رأيت ما يناسبك شريت لك فترك سبيله وعاد على من عنده الى الخان وبعد أن أخذ الراحة سافر من غزة الى الشام وقد تواترت الاخبار الى عيسى الناصر شرف الدين فنزل بنفسه الى عنده ولما وقعت عينه عليه قال له ادفع لي ما عليك من الدراهم فقال له سمعا وطاعة ثم انه أخرج له الفرمان وأعطاه اياه فلما قرأه قال سمعاً وطاعة ثم قال له اذا رأيت مملوكا يناسبني فاشتري لي اياه فقال له اذا رأيت ما يناسبك أتيت به اليك ثم سافر من الشام الى حلب فتعرض له أقط النجبين فأعطاه الفرمان فامتثل وقال له هات لي مملوكا يناسبني فقال له سمعا وطاعة ولم يزل سائر من مكان الى مكان حتى انه وصل الى مدينة (برصا) وكان بها حاكما يقال له مسعود بيك بن عثمان فنزل فى خان من الخانات وأقام به يريد الراحة (يا ساده) وقد بلغت الاخبار الى الامير مسعود بيك بن عثمان بأن علي بن الوراقة قد أقبل بالتجارة فأرسل اليه أربعة من طرفه فلما وصلوا اليه سلم عليهم وسلموا عليه وقالوا له أجب الامير فقال سمعاً وطاعة ونهض معهم اليه وسلم وقبل يديه فأجلسه الى جانبه وقال له يا علي ما سبب مجيئك الى هذا المكان فقال له يا مولاى انى اريد أن أشترى مماليك الى السلطان ثم انه حدثه بالقصة من أولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فقال لا بد أن هذا الشيء لا يتصور ولا يكون ولا يخطر بالظنون فقال له لا بد أن يأتى من العرضيات ما لم يكن فى الحساب ولكل شيء أسباب ثم ان علي بعد ان اخذ مجلسه مع الامير مسعود بيك أراد أن يعود الى محل التجارة والخان فقال له يا علي لا بد لك من الضيافة وأقلها ثلاثة أيام وحق الملك العلام فأقام علي عنده وقد شكر فضله

وبات تلك الليلة فلما أصبح الله الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح جلس الامير وأرسل أحضر الياسرجية الذين هم بتلك الناحية فلما حضروا سألهم عن مطلوب السلطان فقالوا هذا أمر لا يتم لانسان ولم يقدر على ذلك فعند ذلك صرفهم الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم ثم بات عند الامير الليلة الثانية والثالثة وهو فى أعز الاكرام

قال الراوى وأعجب ما فى هذه السيرة العجيبة والامور المطربة الغريبة وما حصل من الاتفاق الذي يجب أن يكتب بالذهب ويسطر فى الاوراق لما فيها من توفيق الخلاق ولما أصبح الصباح وأضاء الكريم بكوكبه ولاح جلس الامام الامير مسعود بيك بن عثمان بين أهل دولته وقد استيقظ علي من نومته وصلى فريضته وقرأ شيئا من كتاب الله تعالى ثم أراد أن يخرج من المكان الذى هو فيه واذا به سمع شيئا يدوى كالنحل على يمينه فتبع ذلك لاجل أمر يريده خالقه ومعينه ولم يزل سائر الي أن انتهى الى قاعة بأربع لواوين ودر قاعة وهي متسعة الجنابات وكل ليوان عليه الفراشات وبها مماليك كأنهن الاقمار فنظر الى الليوان الثانى فرأي به مماليك أخر وكلهم كالبدر اذا بدر فى ليلة أربعة عشر كما قال فى حقهم الشاعر المفتخر حيث يقول صلوا على طه الرسول

بدور قد أظهروا بطلوعهم جميع النجوم الزواهر
وزادوا على بدر السما وفاقوا على نجم المشتر
كأنهم ورد قد انتشا فى رياض العبقر
مجملين بذى الجمال مع البها وملابس كالزعفران الاصفر
واخبرنى قبالهم وكأنهم عيدان خضر في رياض الانهر
بملابس علت الملابس كلها وشيهها مثل العقيق الاحمر
قد فاح جمع المسك من اطواقهم وعلا على جميع أهل المحضر
يا حسنهم يا قدهم وجمالهم قد زانهم اغناء تلك المنظر

يا زينتهم مع وصفهم وصفاتهم حيرت كل الواصفون القهر
ما حازهم أحد تحت السما الا الامير مسعود وليس بمنكر

قال الراوى فلما نظر علي الى ذلك المماليك تعجب غاية العجب وقد رآهم يقرأون القرآن ويعرفون الخط والاحسان ورآهم فرقتان فترك الفرقة الاولى وتبع الثانية وتقدم الى عند المماليك فرأى عليهم مملوكا قصير الطول كبير الدماغ واسع الصدر مفتول القوائم فلما أقبل علي بن الوراقة اليه سلم عليه فلم يرد عليه سلامه ولا التفت الى كلامه بل هو كما قال فيه الشاعر

متكبر متغطرس في نفسه قد علاه الاصفرار مع العبر
قصير الطول والرأس منه طويله حوت المكاره والخداع مع المكر
ذات مكر كريه فى الورى قد أعجز بمكره جمع البشر
يا لله الامان من الماكرين كلهم يا لله السلامة من الخداع مع الضرر
ما المكر الا للكافرين صنيعة ولم يبالوا من جهنم مع سقر

(قال الراوي) فلم تحقق علي منه ذلك علم انه كبير النفس وقد تناقرت أتباعه من حواليه وصاح ولد به فقال له علاى الدين وقال له ارجع عنا لانك فلاح قليل الانصاح لأي شيء تأتى الى عندنا وتدخل مكاننا ثم نهضوا عليه وقد أرادوا أن يضربوه فعاد عنهم وطلب جهة اليمين فرأى الطائفة الاخرى ورأى كبيرهم وهو كانه قضيب البان زاهر الاعطاف مليح القوائم والاطراف يقال له أيدمر وتحت يده اربعين مملوكا فلما اقبل علي سلم فنهض له على الاقدام ورد عليه السلام وسلم عليه سلام الاحباب وصاح بالمماليك وقال لاي شيء تفعلوا به هذه الفعال اما تعلموا اننا كلنا عبيد الملك المتعال وكلنا خلقة واحدة ولا فرق بين الفلاح والجندي والمغربي والكردي والبربرى والهندي وكلنا خلقة ربى قال

فلما رأى علي ما فعل معه هذا الغلام من التلقى وحسن الاكرام وطيب المقال والكلام احبه حبا شديدا ما عليه من مزيد ومال اليه وجلس الي جانبه

جعل ثم علي يمدحه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

يا كريم قد علاه الجمال وزانه الباري بوصف جميل
ياعجبا للعالمين كمالا قد كماك ربي ولا لك مثيل
يا هلال قد تلالا فى ردة بيضا شبيه النبيل
يا شفاء لكل العلل كلامك شفى للعليل .
يا بدرنا ليلة كماله يارحيقنا وماء السلسبيل
يا خليلا جلا خبالا انت العشيق وانت الجبيل
ما رأيت لصفوك مثالا يادوائى لجسمي نحيل
جد لى بحسن المقالا عسى بقولك اشفى الغليل

(قال الراوي) ثم ان علي بعد ان مدحه بمثل هذه الابيات تبسم له ضاحكا الامير ايدمر وزاد في الابتسام ثم قال له من انت ياسيدى وما تريد وما سبب اقدامك علينا وادحالك الينا فقال له ياسيدي انا ضيف عند الامير مسعود بيك بن عثمان وقد انتبهت من منامى فتهت عن طريقى وسمعت القراءة فتبعتها حتى أتيت الى هذا المكان ومن انتم فأخبرونى فقالو له نحن مماليك الأمير مسعود صاحب الكرم والجود أنا وهؤلاء الاربعين سركية والباقى أباظية وجرجية وهم كذلك مسلمون أولاد مسلمون وما منا الا من هو ابن ملك كبيرأو بطل شهير أوسلطان أو أمير ولكن فهذا حكمت التقادير وكلنا نقرأ القرآن ونآمن بالرحمن قال فلما سمع على ذلك قال فى نفسه والله لا يصلح للملك الا هؤلاء الجميع الرفيع منهم والوضيع ثم ان عليا اخرج من مكتوبه عشرة ذهب وناولها الى ايدمر وصافحه وتركه ومضى راجعا (ياساده) وقد زادت المماليك قدحا فى ايدمر وقالوا ان هذا الرجل مفسود ويريد ان يأخذ هذا من دوننا ويرغبه بالمال والنقود وقد صاروا يقدحون فى الاثنين وايدمر يسمع هذا الكلام ولا يبدى لهم مرار هذا ما كان من امر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من على فانه سار من عند المماليك ودخل على الامير فتزحزح له وأجلسه وطلب له الشربات والمآكل والفطورات والقهوات فلما تهيأ الفراغ من ذلك وراق الديوان وصفي المكان قال على يا أمير المؤمنين رأيت عجباً عجيب وأسأل الله أن يكون لى فيه نصيب فقال له وكيف ذلك قال له اعلم انى سألتك بالامس عن المماليك فأخبرتنى بان ذلك لم يوجد وقد رأيته عندك من دون زيادة ولا نقص وأن هذه البضاعة وجدتها في هذه القاعة فماذا أنت قائل

قال الراوى فلما سمع مسعود بك ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقد صعب عليه وكبر لديه ثم زاد بعد الغضب فقال له يا قليل الادب أنت رجل جئتنى فاكرمتك ووصل لك مني غاية حظك فكيف أنك تقابلنى بقبيح فعلك وتذكر لى مثل ذلك بجهلك وكيف يتصور فى عقلك انك تأخذ منى مارأيت ويكون تحت يدك فلا كان ذلك ابدا ولو كان السلطان سعيد السعدا ولكن وعزةالله ان طلعت عليك شمس غداً وأنت فى برصة لاذيقك العذاب وكل غصة ثم انه صاح فيه أن أذهب عنى وأخرج من بلدى. فنهض على من عنده وصار يجرى ويتعثرفى اذياله وربما انه بال فى سرواله وما زال كذلك الى أن أقبل الى الخان الذي نزل فيه هو ومن كان معه من الغلمان فلما وصل الى مكانه قال هلموا بنا الى مكان غير هذا المكان ونأخذ راحتنا فيه بالاحسان لانه قد وقع علينا أمر من صاحب هذا البلد بعدم الاقامة فيها وذلك انى رأيت عنده مطلوب السلطان وسألته عليه باللسان فأهانني وأورثني النقصان ثم انه أمر الرجال فحملوا البغال والجمال وطلبوا أبواب برصة فما أمسى المساء الا وهم خارجين بر البلد فقال لهم على دعونا نكمل ليلتنا فى هذا المكان وعند الصباح نرتحل بأذن الملك الفتاح فقالوا له هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم اقاموا خارج البلد فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي واما ما كان من أمر مسعود بك بن عثمان فانه اوصى جنده

والعسكر وقال لهم غداً اذ وجدتم علي فاقتلوه ودعوه منتظر واذا ارتحل فاتركوه يسير كما يريد في الحجر والمهمه الاغبر فقالوا له سمعاً وطاعة (ياسادة) ومن عجيب هـذه السيرة ماجرى في تلك الليلة من الكرامات والطاف الله الخفيات وذلك ان الملك الصالح في اليوم الذي خرج فيه علي مطرود من برصة جلس الملك على كرسي قلعته ودارت به أهل دولته وتكامل الديوان بكامل الاخوان قرأ القاري وختم دعا الداعي وختم رقى الراقي وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول

يا من يرى كل الامور جميعها ويعلم ما تخفى الانام وتظهر
ها أنت الباقي ياالهي وسيدى وأنت عون المستغيث ومنصر
لك الدوام مع الثنا ثم البقا وجميع ما تراه يفنى ويقبر

قال الراوي قال الملك آمنا من اين كنا حتي اتصلنا سبحان مالك الممالك ياحج شاهين قال له نعم يا أمير المؤمنين قال الملك الطير نظر الطيور قام اعلم الطير قام الطير طرد الطير من القفص وقال اذا دخلت القفص نقرتك بمنقاري قام الطير خاف من الطير فات القفص للطير وطلع بعيد عن الطير ولكن لابد ياحج شاهين ان الطيور يأخذهم الطير ان كان برضا الطير او غصباً عن الطير وعزة الربوبية الا يمشي كلام الطير فقال الاغا شاهين لااله الا انت يامولاى خلقتنى ورزقتنى وبهؤلاء السادات ارفقتنى فأسألك اللهم لا تحرمنى من أسيادي يا سيدى اين الطير واين الطير اخبرني فقال له يا رجل لا تؤاخذني في كلامي انا رجل مجنون (يا سادة) ونفض الملك منديله تحولت الرجال فلما أمسى المساء ونامت كل عين يقظانة ودام الديموم وازهرت النجوم واطلع الحي القيوم ونام الامير مسعود بك واستغرق في منامه ولذيذ احلامه واذا بيد وقعت على صدره مثل جبل أحد وكادت روحـه ان تفر من الجسد وقد رأى القائل يقول له فتح عينيك واسمع باذنيـك أنا الملك الصالح الفقير الى الله وعزة الربوبية ان لم تعطي على المماليك بالكلية والا نفذت هذه الحرية من ظهرك وصار بيدي أخذ عمرك وجعلت

يومك كأمسك فأنظر لنفسك ودبر أمرك أما ان تسلم المماليك وتسلم وأما تسلم نفسك وتعدم ويأخذهم على من بعدك ثم صاح فيه فانتبه من نومه مرعوب وهو على علي ملهوب فهذا ما كان منه وأما ما كان من على فانه نام وهو متفكر فى نفسه فما يشعر الا ويد على صدره كأنها ريش النعام أو هبوب الرياح العظام والقائل يقول له ياعلى اعلم انى أنا الرجل الفقير الملك الصالح ياولدى غدا يأتى اليك مسعود بك بن عثمان ويعطيك المماليك بالامان فاشتري منه بما يخلصك فوعزة ربي لم يقدر على خلافك لو أعطيته فيهم كيساً من التراب فلم يقدر على غضبك بأى سبب من الاسباب لانه لم يمكنه اقامتهم عنده ساعة واحدة خوناً مني على نفسه ثم انصرف عنه فأستيقظ من نومه فهذا ماكان من كرامات الصالح وصلاحه وأمره وأما ما كان من مسعود بك فانه لما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من الروابي والبطاح وسلمت على زين الملاح وانتبه مسعود بك وهو مرعوب وقد وقع فى قلبه الخوف الشديد من مارآي من الصالح فى منامه من التهديد ثم انه أرسل خلف على بن الوراقة يدعونه اليه فذهب الفاضل والتقي بعلى قبل أن يرحل من مكانه فقال له ياسيدى على أجب الامير مسعود بك بن عثمان فقال له اعلم ياسيدى انه قد حلف علي اني لم أدخل له مكان ولا اجلس له فى ديوان واني الآن قد عزمت على المسير وتوكلت علي اللطيف الخبير فسلم لى عليه كثير وقل له أنه توجه الى حال سبيله كما علم من العيون والارصاد وانه اذا قام ناله غاية الانكاد وحين دخوله الى البلد يقتلوه والايثبوا عليه وينهبوه ثم قل له انني لابقيت اطلع الى برصة مادمت فى قيد الحياة فلما سمع القاصد بذلك عاد الى الامير وأخبره بما قاله على وذكره فاشتد عليه الخوف وأرسل اليه ثانيا فأبى الرجوع وعزم على الرحيل والطلوع فلما علم مسعود بك بذلك علم ان على لم يعد اليه ولم يقدر يصل اليه فقام هو بنفسه وأخذ معه اعيانا من جنسه وركب وساروا الى ظاهر البلد والي نحو على قصدوا فلما رآه عجل وقد أقبل نهض اليه وسلم عليه

وقال له ياسيدي قد سمعت قولك وازنني لى ماقلت من وعظك وزجرك وها انا مرتحل من سا ق هذه لما علمت من الايمان الوانقة والامور المتحققة وأن دخولى برصة يورثني كل نكبة وغصة فحلفت إنا الآخر بانى لم ادخلها خوفاً على نفسى من وبالها ومقطعها والآن فانى مرتحل وفى أمري على عجل (قال الراوي) فلما سمع مسعود بك منه ذلك قال له ياأخي قد أثر فيك كلامى وما قلته لك الا على سبيل المزاح فقال له نعم وكيف لايؤثر بى بعد ذلك الافتضاح سيما وقد سمعت منك الاقسام وغليظ الكلام فقال له اعلم أن هذا منى على سبيل المباسطة والمزاح وما هو على سبيل الغضب والاتراح فمد معى الآن الى تلك السراية وأنظر الى تلك العناية واذا طلبت المماليك وأعجبوك نخدمهم اليك وما تري أحداً عنمك فى كل الامور وها أنا الاخر بين يديك فلو طلبتنى معهم لما أمتنع وعن ماشرعت فيه فلا ارتجع فقال له ياأخى جزاك الله كل الاحسان وبلغك غاية الامان غيرانى أقول لك أن هؤلاء المماليك لايصلحوا الالوزير ولا يصلحوا لسلطان فالله تعالي يحفظك عليهم ويحفظهم عليك ويقيم سعدهم على يديك وأعلم بأنى كنت امزح معك بقولى لانظر ماذا تفعل بفعلك مع جهلى فقال له الامير دع عنك ياعلى هذا الكلام وانى قد أخطأت فى حقك والسلام فسر معى حتى تأخذ المماليك ولا ترجع بغيرهم أبداً ولا تطلع من عندى بغير فائدة فقال له ياسيدي اعلم أن هؤلاء ما فيهم فائدة بل انهم مثل الحشيش الاخضر اذا طلعت عليه الشمس دبل وتقهقر لاينفعوا الا عندك أقام الله بهم سعدك (قال الراوي) فلما أيس منه مسعود بك بن عثمان الآن له المقال والكلام وقال له بالله عليك وحق رأس سيدك الملك الصالح ولي الله الناجح الا مامضيت معى وأخذت حاجتك من عندى ولم تعد الاوحاجتك مقضية وأنت مجبور وخاطري مسرور ولم تفارقنى وانت مقهور وأعلم بأنى قد لمت نفسى على ما فعلت معك فى أمسى وقد اتيتك معتذرا فأقبل عذرى وسامحنى واصفح عنى قال فلما سمع على بن الوراقة من الامير مثل ذلك الكلام سامحه وصالحه وعلم

أن هذا كله من بركات الصالح واسراره نفعنا الله به وبأمثاله ثم انه وصل معه الى السراية ودخل الامير مسعود بك بن عثمان ومعه على بن الوراقة والاخوان وقد ذهبوا الى قاعة المماليك وقال لهم ياولاد اعلموا انكم قد انتقلتم من خدمتى الى ذمه سيدكم وسيدي وهو هذا الخواجه ابن الوراقة على فلما سمعوا المماليك بكوا وقالوا ياسيدى ان هذا الرجل يشتتنا ويبيعنا فى البلاد ويفرقنا على العباد فى كل شعب وواد فقال على ياولادي وحق الملك الهادي الذى خلق الارض والسماء وعلم آدم الاسماء لم أبيع أحداً منكم منفرداً ولو شربت لاجله كأس الردى بل انكم مطلوبون الي السلطان ونصرة أهل الايمان وتكونوا كلكم في مكان واحد وحق الرحيم الماجد فقال له علام الدين ان كلامك ويكونون من أعظم البدل فقال لهم السمع والطاعة وفهم أن هذه كرامات الصالح وانتفاعه وخرج مع مسعود بك وأمر بعض غلمانه بحضور المال والبدل الغوال فغاب وعاد بما طلبه سيده فقال على ياسيدى هذه السرة فيها خمسة وسبعون الف دينار وهم ثمن المماليك

كل مملوك الف دينار فقال لهم وهما منى اليك هبة كريم لايرد فى عطاه ولا يرجع عن مقاله ولا ما أعطاه وهذا وصلا منى اليك بانى قد أخذت ثمنهم منك (يا سادة) وقد عد البدل فوجدوهم خمسة وسبعون بدلة ويزيدون بعد ذلك بدلة ثم أمر علي برواح المماليك الى حمام برصة وقد اخلاه لهم وجعل ذلك النهار على رسمهم وأمرهم بالذهاب الى الحمام وأخذ البدلة الزائدة معه (قال الراوي) فعند دخول المماليك الى الحمام كرفوا رائحة كريهة قد اطبقت ذلك المكان فتأملوه الغلمان واذا به غلام مريض قد ألمه المرض الشديد ومضى عليه ثلاثة أيام وهو لا يأكل ولا يشرب ولا ينام من شدة المرض والاسقام وهو مرمى رمية الرخ وتحته فخ وفوقه فخ وهو كما قيل فيه الشاعر حيث يقول

ذهب الزمان بعزه وبلانى　　　والدهر قد كادنى ورمانى
وانطحن جسمي وعاد رقيقاً　　　ووهي صبرى وذاد جنانى

وحكم على القضا بأمر ربى ولا دافعا لما قضا الرحمانى
أيا دهر كن بي رحيما أيادهر رفقاً با لكئيب الفاني
أيا دهر قد أشمتت الاعادى أيا دهر عذبتنى الوانى
أيا دهر ويلك فدعني ولا تظلمنى بذى العدوانى
أيا دهر يجزيك ربي الا يا دهر ايه جنائى
وانت يا رب فاعف عني بجاه طه النبى العدنانى

(قال الراوى) فلما رأوه المماليك سدوا انافهم وسألوا الحمامية عن ذلك فقال انه ولد مملوك مريض وهو لرجل اعجمى من الرفض يقال له محمود العجمى وصناعته مسارع وقد أتاه هذا المرض الشديد وهو داء القصبة والتهديد فارماه فى هذا المكان وتركه فى دهليز هذا الحمام فلما سمعت المماليك بذلك تنافروا عنه ومنهم من بصق عليه ثم دنا منه ولد من المماليك يقال له عـلاي الدين ورفصه برجله وشنع عليه وقال له جال الموت العاجل والبلاء النازل يا كلب المماليك (يا ساده) وقد نظر الامير ايدمر ما فعلت المماليك بهذا الغلام المريض فأقبل اليه وقبله بين عينيه وقال له يزول عنك يا أخي ويأتى القبول وهذا لطف من الله والذى قدر به قادر على ازالته فقال له المملوك بنفس هافت يا أخى ها نحن مسلمون ومسلمون الامر لرب العالمين فالله تعالى يجبر بخاطرك كما جبرتني ويعزك كما عززتنى ثم انه قال يا اخي خذ بيدي حتى ان اقعد فأخذ بيده حتى اسنده وأخذ رأسه على صدره وسنده فاعتدل المريض وتأمله وتأوه وجعل يبكى على نفسه ومرضه ويشكو لايدمر بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

سأحمد رب العرش وخالق الوري هو القدير على كل الامور
واشكر الهى على ما أصابنى واحمده حقا يرغم كل كفور
واسأله العفو من فضله وانه للشاكرين شكور
وقد رضيت منه بقسمتى واسأله الصبر على المقدور

فيارب خذ بيد كل حبيب واخذل يا رب جاه كل عقور
واعطنا السلام منك فضلا ودبرنا يا مولاي في كل الامور
فلقد وهى جسمى وانت عليم ومن سواك يرحم المكسور
هب لنا لطفا ودبر امرنا واشفي ما بقلبي والصدور
واجبر بخاطرى من حر ضعف جسمى واعطه فى الجنان خير قصور
وسامح يا رب من اساءنى فانت المسامح وانت الغفور
وبعد ذا أصلي على خير الورى محمد المبعوث بكل الامور
عليه صلاة مع سلام دائما ما هب ريح على جميع زهور
وما رنمت اطيار الفيافي وما تناكحت فى الوكور طيور
وكذا الآل والاصحاب جمعا والتابعين لهم بطول الدهور

(قال الراوى) فلما فرغ المريض من مقاله وما ابداه من شعره ونظامه تعجب ايدمر من كلامه وعلم انه صاحب فصاحة وقد ورجاحة ثم أن ايدمر قال له شفاك الله وهداك وابراك مما انت فية وعافاك ونصر من والاك واخذل من عاداك ولا كان من يشناك وقد رق له قلبه وسكن فى ضلوعه حبه فأجابه على عروض شعره بقول صلوا على طه الرسول

الاعافاك من جميع شرور وأعلا قدرك وعزك والاجور
وأعطاك رب الانام شفاء وأيدك ربى بطول الدهور
وأرضاك الكريم فضلا ومنة وجعلك أفة لاهل الكفور
وأيدك ربى على جمع العدا وأعطاك الهداية والحبور
وجعل قدرك بين الناس عالى ويدك حائزة لكل الخيور
لانك طيب الاصل والفرع وفرعك غالى زكى مغمور
وقد ظهر لى انك أهل فضل فزادك ربى هناء مع سرور
وأزال عنك ما تجده من ألم وازاح عنك تنكدا أو شرور

لقد وقع حبك حقا بقلبي وزايت عليك مدامعي وبروى
وحنن عليك الاله قلبي فالله يجبر قلبك المكسور

(قال الراوى) ثم انه عدله على فراشه وقد زاد قلبهعليه بشاشهوتركهوطلب الخواجة علي بن الوراقة وباس يده وبكى فقال ما الذى يبكيك ياولدى واللهأن لك على جميل فقال له ياسيدى انى وجدت شيئاً ألم قلبي واضعف بصرى ولي وقد أتيت اليك أشور بذلك الامر عليك فقال له قل يا ولدى ولا تخف فها أنا مطاوعك وفى كل الامور لا أخالفك فقال له رأيت غلاما مملوكا وانه من أولاد الملوك لكنه مريض وفصاحته وترديده وحبه عن قلبي لايحيد فهل لكأن نأخذه معنا وأنا أكون خادمه وتتبع قول المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول انما تجبرون وتنصرون بضعفاؤكم ولعل الله تعالى أن يشفيه ويزيل عنه ما هو فيه فلما سمع علي من ايدمر ذلك تبسم ضاحكا وقال له وأين هذا المملوك قال له ها هو فى دهليز الحمام ثم أخذه بيده وسلر الى أن أوقفه عنده فقال له السلام عليك يا غلام فقال له عليك السلام والاكرام فقال له ما اسمك يا أخى فقال له اسمي محمود فلما سمع بذلك قال فى نفسه والله ان هذا يوجد بعض اوصاف الملكالصالح ثم تقدم اليه وقال له هل تعرف شيئاً من كتاب الله تعالىقال له نعم ياسيدىاحفظ القرآن وأدري معناه واقرأ كثيراً من العلوم وهذه تقادير الحيّ القيوم فقال على فى نفسه هذه صفات اخري وهذا هو المطلوب ثم أن علي قال له قد طال بك المرض وكان موتك أولى فلما سمع منه ذلك محمود تغير كيانه وامتزج بالغضب وقال له انت تعاند ربي وقدرته وهو الذي خلق الخلق وقهرهم بعظمته وان الامرمنه واليه وانى أنا راضى بمرضى فلاي شيء تعترض علي وتعايرنى ثم انه زاد به الغضب فبكي وأن واشتكي وقد تأمله الخواجه علي واذ ظهر بين عينيه سبع جدريات ملكته من الطارقة اليمنى الى الطارقة اليسري شعره من الاسد بين عينيه سبع من اللحم بين حاجبيه فقال فى نفسه هذه علامة ثالثة أخري ثم أن

محمود جعل ينفى نفسه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

أليس يلومنى بالكلام جهالة ... منه ولم يدر الحكم القدر
فارجع الآن عن ذنوب جنيتها ... وتب واستغفر لرب البشر
ولا تعاند لفعل الله السما ... فكل شيء بحكم الا له المقتدر
اذا أراد الله بشيء لامرىء ... وكان ذا عقل وسمع وبصر
اصم اذناه وأعمي قلبه ... وسل منه عقله سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه ... رد عليه عقله ليعتبر
فسلم الامر لخالق الوري ... فكل أمر بقضاء وقدر
ودع التبيير لرب الهدى ... واترك الهم ودع عنك الفكر
وصم وصل واعبد رب السما ... عسي أن تفوز بالاجر
وأكثر من الصلاة علي خير الورى ... محمد المبعوث فخر ربيعة مع مضر

(قال الراوي) فلما فرغ محمود من هذا الشعر والنظام رق له قلب على ابن الوراقة وقال في نفسه هذه الامارات والاشارات ثم انه تقدم اليه وصالحه وأخذا بخاطره وسأله السماح فسامحه ثم قال ياسيدي أنت تابع من فقال له أنا تابع رجل يقال له محمود المسارع وقد تركني فى هذا المكان ولم يسأل عنى بشيء فلما سمع على منه ذلك نهض على الاقدام الي خارج الحمام وقال للمعلم الحمامي ائتني بمحمود المسارع فقال له سمعاً وطاعة ثم غاب وعاد به اليه وأوقفه فى عاجل الحال بين يديه فتأمله واذا هو رجل شنيع المنظر كرية المتعلقات له شغتان مثل الثور أو اكبر وهو كما قال فيه الشاعر حيث يقول صلوا على طه الرسول

ثقلت على كل الانام طينته ... وصار على كل القلوب كالحجر
اذا مر بقوم فزعوا عند رؤيته ... كما تفزع الابدان من ضرر

قال الراوى فلما رآه قال له هذا غلامك قال نعم قال تبيعني اياه قال أبيعك

اياه ولو بسرة من التراب فقال فى نفسه والله انها لكرامـة عظيمة ثم قال له معى سرة مسرورة ولم أدري ما فيها وانها مجهولة فهـل لك أن تبعني اياه بها فقال له بعتك ياسيدي فعند ذلك ناوله السرة وأشهد عليه كل من في الحضرة وكتب له حجة بذلك وأشهد على نفسه جميع ما كان هنالك وأخذ السرة وجعلها فى أثاثه يكون لها كلام عند موت هذا اللعين اذا اتصلنا اليه تتكلم عليه النبي فاز من صلي عليه

قال الـراوى وأما ماكان من أمر محمـود المسارع فانه انصرف الى حـال سبيـله واما على فانه التفت الي ايدمر وقال له خـذ أخيـك حمـه فى الحمـام والبسه هـذه التبديـله التى كانت معى زايدة فقال له السمع والطاعة ثم أخـذ التبديلة ايدمر وأخـذ محمود المريض وسار به الى داخـل الحمام وجـردما كان عليـه من الملابس وكانت من الجلد فأرماها ثم أراد أن يقلعـه القميص فابى محمود وأخذه الوسواس وقال له ياأخي لعن الله الناظر والمنظور وانى اخشى من هذه الامور فقال له وكيف الحال وأنت لم تقدر تنقي نفسك من الاوساخ والغسل فبينما هم متحيرين واذا قد أخـذ كل واحـد منهما سنة من النوم وكل منهما رأي فى منامه الملك الصالح ولى الله الناجح يقول لكل منهما أوثق عهد الله بينك وبين أخيك تزول الحرمـة بينكما وتصيروا اخوة وأنا وربي شاهدين عليكما ثم أن الاثنين استيقظا من نومهما واوثق بعهد الله بينهما ووضعو اليسرى واليمين وقال ايدمر يا اخي هذا عهد الله الطاعـة تجمعنا والمعصية تفرقنا وتوب الله علينا منها والخائن قتله الله والله على مانقول وكيل وهو علينا من الشاهدين فكان هـذا أول العهود والمواثيق وسنذكر كل شيء فى محله بعون الملك الشفيق (ياسادة) ثم ان ايدمر جرده من لباسه وأزال عنة اوساخه وادناسه وقد غسله وحماه وازال ما عليه من ازاه واحتمله بين يديه الى أن اجلسه بعيداً عن المماليك والبسه التبديلة وقد تحضن به ايدمر وترك الاربعين وهـذه هداية

من رب العالمين (ياسادة) ثم أن الخواجه علي أمر بحضور الجمال وشد الجحف ' بها فصار يوضع كلا جحفتين على جمل ويحمل كل اثنين محمل مقابلين بعضهما بعض فبقضاء الله وقدره كان محمود في جحفة وكان فى الثانية عـلاى الدين ثم أن على تودع بعد ذلك من مسعود بك بن عثمان وطلب البر والصحصحان ثم ارتحـل بالمماليك وباع تجارته وقد ربحت سفرته وصار ينفق على المماليك هـذا كله يجرى ومحمود يئن من كبد انين وقلب حزين فتضايق منه علاي الدين فصبر الى أن حن الليل وحلب سهيل نهض علاى الدين على الاقـدام وقال للامير محمود احرمتني لذيذ المنام ثم دفعه الي الارض فارماه وظن انه قد مات وأدركته الوفاة فهذا ما كان من امر علاى الدين واما ما كان من الخواجة على فانه سار يفتقـد المماليك ويأتي الى اول الركب وآخره ويخبط بعصاه على كل جحفـة فيجاوبه من فيها برفقة وخفة ولم يزل يفعل بواحدة بعد آخري حتى اذا اتى الى هـذه الجحفة وخبط عليها نجاوبه علاي الدين فقال له اين رفيقك فقال لا ادرى الا ينفسى واظن انه وقع وانا نائم ولم اشعر به فلما سمع على ذلك الـكلام قال للغلمان اوقفوا الركب فاوقفوه وارتجع الخواجة على يقفو اثره واذا بمحمود ملقي على الارض على وجـهه كانه سكران فظن انة مات وانقضت ايامه وفات وقد وجد عند رأسه اسد عظيم فظن انه افترسه واورثه معطبه ثم تقارب اليه وهو خائف من ذلك الاسد ان يهجم عليه فلما تقرب عنده ذهب الاسد عنه من وقته فيقال والله اعلم ان هذا الاسد هو الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فتقدم الخواجة على اليـه ووكزه فأفاق من عشوته فأجتمله بهمته وجعـله فى جحفة آخرى غير الذى كان فيها فارماه الذى كان قباله منها قال ولم يزل يفعل به كذلك وينقله من جحفة الى جحفة وهم يرمونه الى الارض حتى اعياه الامر فقال ايدمر ياسيدى على اجعل الحبيب مع المحبوب ولا تحرم المحب من المطلوب

فأتى به الى عنده وقد فهم كلامه وقصده ثم أن ايدمر جعل يحادثه ويسامره ويخدمه ويفيمه ويسقيه ويطعمه ومن اى شيء لايحرمه فهذا ماكان منه واما على فانه لم يزل سائر الى ان اقبل الي حلب فنزل لاجل الراحة من التعب هذا وقد بلغ نائب حلب بأن على قد اقبل بالمماليك فنزل اليه وسلم عليه وقال له هل رأيت مطلوبى فقال لا فقال له وما معك قال جلبة السلطان من غير زيادة ولا نقصان فقال له دعني اتفرج عليها وبعثنى أنظرها فقال دونك وما تريد فتقدم نائب حلب وتفرج وشكر السركسية واعاب الباقي بالكلية هذا وقد اغتاظوا منه باقى المماليك ثم ان على قال له معي مملوك ضعيف ولكن فطين ظريف فقال له ارنى اياه فقال له هاهو فلما رأه تبسم ضاحكا وقال وعزة ربى ان نجا هذا الغلام وزالت عنه الاسقام ليكونن احسن من هؤلاء الغلمان ويزيد قدره على كل انسان ويبقى احسن من الجميع الرفيع منهم والوضيع لانى اراه كثير الافهام زايد الاحتشام ولكن ياعلى هل لك ان تعطيني ذلك المملوك فقال له وكيف اعطيك اياه وهو مملوك الصالح وخاصة لنفسه وانى وحق رأسك لاادرى كم يكون ثمنه ثم اعاد عليه حديث الصرة وما تقدم من الكلام والذكر فتعجب غاية العجب ثم اقبل علي محمود وقال له ياولدي مااسمك قال محمود قال يامحمود أنت والله مسعود وضدك مكمود وسعدك اعلا السعود فهل لك ان تكون لى ولداً وانا اكون لك والداً بمقام عهد الله بينك وبيني فقد رضيتك ابن صبى وحشاشة قلبي فقال له يا سيدي افعل كل ماتراه فتعاهد معه وأوثق القبضة بينه وبينه ثم بعد ذلك قبله بين عينيه وضمه الى صدره واخرج مابة من الذهب ودفعهم الى على وقال له اصرف هذا عليه واذا عاش وانفقت عليه مثلها اضعاف اعطيهم لك انا من غير خلاف واذ مات فأكرمه واحسن غسله ومدفنه واخبرنى بخبره وحامد اثره علي اى حالة كانت من امره فقال له سمعا وطاعة ثم انه تودع منهم وتودعوا منه

وعاد الى مكانه وبلاده فهذا ما كان منه

قال الراوي وأما ما كان من الخواجة علي فانه سلم المائة دينار الي الامير ايدمر وأوصاه وقال له اطعمه وا كرم مثواه ومن كل شيء لا تحرمه ومن كل مايراه فقال ايدمر سمعاً وطاعة هـذا وايدمر سار يلاطفه ويشـترى له كل الاشياء ويطعمه فصار تارة يأ كل شيئاً يسيراً وتارة يمتنع عن الا كل ولم يزالوا على ذلك الى أن توسطوا بين حلب والشام لامور يعلمها الملك العلام قال فبينما الخواجة ساير واذا بالغبار قد علا وسد الافاق فانكشف بعد ما تعلق بعنان السماء وبان عن رجال وأبطال على خيول عالية غوال والجميع مقبلين من رؤوس الجبال ومقدمهم رجل كبير طويل الجسم فلما أن اقبلوا الى علي صاحوا ابن الغفر ياعلي وابن الجمالة القديمة والجديدة قال وكان هؤلاء الفداوية أولاد اسماعيل نسل علي ابن ابى طالب والذرية الاطايب وانهم مقيمون فى الجبال لاخذ الغفر من التجار فقال لهم اعلموا أن هـذه الجلبة للسـلطان واذا كان فى الدور الآخر اخلصكم بكل ما كان فلما سمعوا منه الرجال ذلك الـكلام قالوا له نحن رجال سا كنين فى الجبال ولا نعرف وزير ولا سلطان وها أنت مخير بين أمرين خطيرين وبحرين أخبرنى اما أنك تعطنا الدراهم والغفر عشرة آلاف دينار ولما انك تفوت الجلبة وتمضى عنها وحـدك فى القفار وهذا ما عندنا والسلام على نبي تظلله الغمام فلما سمع علي ذلك الـكلام قال لهم اصنعوا معى الجميل وسامحونى في مثل هذا الدور القليـل قالوا لا كان ذلك أبداً ثم أنهم أمروا اتباعهم بقفل باب الدرب فاغلقوا جميع الجهات وحصنوا الطرقات بالرجال وقد انحصر على بمن معه بين الطرقات فى المضيق فلما عـين علي ذلك من الرجال أمر من معه بالنزول وعدم الارتحال وبات على تلك الليلة وهو فى أعظم حيرة وقد علم أن لابد للرجال من نهبه وأخذ ما معه من المتاجر والجلبة ولم يزل على متفكراً تلك الليلة ولم يقر له قرار الى أن

طلع النهار فبينما على جالس فى حيرته واذا قد أقبلت عليه الرجال من جميع الجهات الخوال فلما رآهم على ظن أنهم أتوا لنهب ماله وأخــذ تجارته وأمواله فلما قربت منه الرجال جعلوا ينادونه لك الامان لك الامان فتعجب على من ذلك البرهان وقال لهم ما الخبر يا أشراف فقالوا له لاتحزن ولا تخاف فقد جاءتنا عندك حاجة نريد منــك قضاءها من غــير حاجه فقال لهم وما حاجتكم التى تريدونها فقالوا له أرنا المملوك الضعيف الذى هو معــك فلما سمع منهم ذلك تعجب وقال لهم من أعلمكم به وما السبب وأنا معي مملوك لــكنه برسم الملك الصالح أيوب فقالوا رنا اياه فقال وعزة الله لا أريكم اياه حتى تخبرونى بالخبر وتكشفوا لى عن جلية الاثر فقالوا له نحن نعلمك وعلى كامل الامور نفهمك فاعلم اننا لم نكن أكرمناك الا لاجله

قال الراوى وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وذلك ان المقادم لما أعاقوا على ومنعوه عن السير وتقرر الامر بينهما على نهب الكبير والصغير وقــد هجم عليهم الليل بالمسا فأخذهم المنام فرأوا فى منامهم الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب وهو يقول لهم يا أولاد اسماعيل وحق الملك الجليل ان لم تكرموا علي لاجل خاطرى ولاجل هذا الضعيف لاشتتكم فى جميع البلادبالتعنيف وانى اعلمكم أن هذا الغلام هو الذى قد شاع ذكره عندكم فى حفظ الزمام وهو الذي يصير ملكا وسلطان على ممر الليالى والازمان وانكم تكونوا أهل دولته وأصحاب عزه ومملكته وحبايبه ورفقته ويبقى لــكم الفخر الكامل بعدته وتلبسون أفخر الملابس وتركبون اعظم الركايب وتتقلدون بالشواكر الذهبية والطاسات الكوكبية فاكرموا علي فى مثل هذه المرة ولا تأخذوا منه دينار ولا عشرة وانظروا الي هذا المملوك وعاهدوه لاجل أن يكون لكم أخاورفيق وهو يدعوكم وأنتم تدعوه من غير تفريق وقد اعلمتكم بما فى علمي ومن خالف منكم أمري

صار خصمي وشكيته يوم القيامة لجدى والسلام علي نبي تظلله الغمام

قال الراوى فلما انتبهت الرجال من نومهم وقد رأوا الجميع مثل بعضهم وقد قصوا رؤياهم على امراهم فقالوا له الرواية واحدة وما منا الا من شاهد تلك المشاهدة وانا ما رأيناه فهو حق وايقان وما هو أضغاث ولا شيطان لان ذلك الاشيه مذ كورة عندنا في جفر الامام جدنا فقوموا يا رجال بنا حتي نرى هذه الامور باعيننا ثم ان الرجال تسلحوا الجميع الرفيع منهم والوضيع وساروا طالبين على بن الوراقة كما ذ كرنا وهم ينادون الامان الامان كما وصفنا وقد سألوه عن ذلك الاشارات فقال لهم عندي ذلك الصفات ولكن من اعلمكم فاخبروه بالخبر وكشفوا له عن جلية الاثر فهذا ما كان الاصل والسبب وسنرجع الى سياقة الحديث. باذن الملك المغيث

قال الراوى فلما سمع علي من المقادم هذا الكلام والدلايل أخذ بيدهم وساروا الجميع الى عند محمود فلما رأوه اوقع الله الحب في قلوبهم وتمكنت المحبة بفؤادهم فقالوا له اهلا ومرحبا ياأخينا وحبيبنا هاانت بطل الزمان وفارس العصر والاوان فقال لهم اهلا سهلا بالحبايب ومن برؤياهم صار القلب طايب فقالوا له هل لك ان تعاهدنا ويكون لك مالنا وعليك ما علينا فقال لهم انا لكم خادم وحق من ارسى العلايم ولكن ما السبب فى ذلك فقالوا له ان اسمك عندنا مذكور وصورتك في الكتاب مسطور وانت الذي دلت عليك الجفور وانت صاحب الفتوح المنصور وقد راينا لذلك علايم ونبتوه لنا الرجال المقادم والليوث الاكارم فقال لهم افعلو ما تريدونه وما طاب لكم من فعل الخير اصطنعوه (ياسادة) فعند ذلك اوثقوا عهد الله بينهما وبينه وقالوا لعلى دعه عندنا حتى يبريه الله من السقام فقال لهم اني لست اقدر على هذا المرام فقالوا ياخواجةاعلم اننا مااكرمناك وفتنا الاموال وتركناك الا لاجل خاطر هذا الغلام ولاجله تركنا كل ماكان

لنا عليك من الاحكام ثم ان المقادم اخرجوا له خمسمائة دينار وقالوا له خذ هذه الدراهم برسم النفقة الى اخينا ومداوى امراضنا ومبرينا ثم انهم اكرموا على وكل من كان معه غاية الاكرام مدة سبعة ايام فلما كان الغد تودع علي من الرجال وكذلك محمود وارتحلوا وقد فتحوا لهم الدروب وساروا يجدون المسير في البر والمحجير برهة من الايام وقد وصلوا الى ارض الشام فنزل الخواجة على يطلب الراحة والمقام لما حل عليه وعلى من معه من تعب الاكام هذا وقد بلغ خبره الى عيسى الناصر باشت الشام شرف الدين فنزل بنفسه اليه وسلم عليه وقال له اين المملوك الذى اوصيتك عليه فقال له اني لا وجدت ما يناسبك من المماليك وما معي الا جلبة السلطان الذى رسمه والسلام فقال له ارنى هذه الجلبة فقال له هاهي قدامك دونك واياها فاقبل عيسى شرف الدين الى ايدمر وجماعته من الشراكسه فقال هؤلاء ماهم رجال ولا يشبهوا الا النساء اصحاب الدلال لكنهم وحشين ثم نظر الى الباقين وهم الاباظة والجرجيات فقال هؤلاء احسن حالات ولم يزل عيسى بعماية قلبه يذم ويشكر ويقول هذا طيب وهذا غير طيب الى ان اتى الى عند محمود الضعيف فظن على انه يفعل معه مثل خلافه ويكرمه ويقيم الصافه فلما تقرب اليه تغير كيانه وانزعج قلبه واحمرت اعيانه وقال ياعلى ان هذه الجلبة غير نافعة مادام فيها هذا المريض قليل المنفعة ثم انه دنى منه وشتمه وسبه وبصق عليه وضربه ووكزه برجله وفيها النعال وقال له يانذل الانذال اين غايب عنك الموت والارتحال ومالك بهذه العيشة التى تورثك النكال والتفت الى الخواجة على وقال له كنت ارمي هذا فى وسط الجبال لتستريح منه كامل الرجال فقال له علي يا سيدي دعه بخاطره فان عاش فيرزقه وان مات فبأجله ثم رجع عيسى شرف الدين الي مكانه وهو يذم محمود بعد ان اهانه فهذا ما كان من شأنه

(قال الراوي) واما ما كان من امر محمود فانه قد كانت زالت عنه النكود لما راي من اكرام المقادم والجنود وعصبة الحي المعبود

وقد زال بعض ما عنـده من السـقام وأتته العافية لطيب الهوى والـكلام ولاجل ما حصل له من الاكرام وفرح بذلك علي وأبدى الابتسام وكان أكثر الناس فرحا الامير ايدمر الهمام حتي جري له من عيسي هذا الهوان وما أرى من المذلة والنقصان فانكسر قلبه وتغيرت معالمه ولبه وبكي على نفسه بقلب حزين فزاد عليه الردى والتغبين وجعل ينعى على نفسـه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

أيا دهر أشوف منك نوايب	وكم تعاندنى بكل المصائب
وكم تريني من أمور عجيبـة	والله لقد أنظر منك عجايب
بليت بالغربة مع بعد الوطن	وسار دمعي على الخد ساكب
وبامر ربى تغيرت مصـالحى	وبالاقدار أتتنى نـكايب
فان فرحت زالت سقامى ولوعتى	وان حزنت لهبت لهايب
قد سرني قول الرجال وغمني	ما جرى من هذا النايب
فالقهر ليس يبدي راحـة	والفرح ليس يخشي عواقب
فان زالت سقامي وعادت همتى	ورجعت كالعادة سليما طايب
لاجازى كل من كان لى منصفاً	وأجازى بثارى من لئيم كاذب
وان أعاننى رب الانام بفضله	لاكون للاصحاب نعم الصاحب
واجازي من جازانى بفعله	وأزيده أضعاف ذاك المكاسب
فيارب اشفيني وعافيني منه	بحق المصطفى المختار زين الاعارب
عليه صلاة الله ثم سـلامه	ما ناح طير على غصن راطب

قال الراوي فلما تكلم بهذا الكلام ونطق بمثل هذا الشعر والنظام تأسف يدمر الهمام وضرب بيد على يد وخبط على راحته وعض وبكى وأن واشتكى وجعل يرضيه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

متي يشتفي منك الفؤاد المعذب ونجم الثريا من وصالك أقرب
لقد لاح فكرى وبعدك حزني عجب عجيب ضاقت عليّ المذاهب
بعد وهجران واشتياق وفرقة وصد وتعذيب به العمر يذهب
نصب الهوى شرك عليّ فصادنى فاصبحت فى شرك الهوى اتقلب
كعصفورة في يد طفل يهينها تقاسي حرار الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب
فلو كان لي قلبين عشت بواحد وتركت آخر في هواك يعذب
فمنى السلام مذ جن الدجا سلام طيب بالمدامع يسكب
سألت الله أن يهب لك الشفا ويرحم ضعف الكاتب المعذب

قال الرواى ولما فرغ أبدمرمن بكاه وماقاله من لقاه قبل الخواجة الى محمود ونظر اليه واذا بالمرض قد زاد عليه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد أخذه علي وسار به الى المرستان الذى بأرض الشام وكان ذلك المرستان فيه الضعفاء المنقطمين والميانين المتغربين وكان به رجل يقال له دحروج المرستاني وكان هذا دحروج فاسقا فى صباه مطيعا الامر هواه وكان مؤذى لخلق الله كثير الفساد قليل الصلاح والرشاد وهو كما قيل فيه الشاعر حيث يقول صلوا على طه الرسول

قليل الصلاح كبير الفساد فساده قد عم كل العباد
كثير الشرور على أهل البرايا كأنه من أهل العناد
مدمن الخمر والمكاره جمعاً ما حاز الاكل بدعة وبعاد
كثير الشرور قليل الخيور يحب الفجور فى كل واد
لا يخشى عذاب يوم الحساب ولا يخاف وهاب رب العباد
يظلم الناس بالظلم والارجاس لا يخشى من اقباس كريم جواد

قال الراوى فدخل عليه علي بمحمود المرستان وقال له خذ هذا الغلام المريض والقي بالك منه حتى انى أعود من المكان الذى أنا قاصد اليه وارجع أخذه من

عندك وخذ هذه المائة دينار أنفقهم عليه ولا تحرمه من شيء يقول لك عليه وان انفقت عليه مثلهم أعطيك اضعافهم فقال له دحروج السمع والطاعة ثم انه أقام من تلك الساعة وأخذ محمود ووضعه على سرير ووضع فوقه غطاه وفرش له شيئا من اللباد وترك فوق رأسه قلة من المـاء هذا ومحمود لا يعلم بشيء من ذلك مما هو فيه من ذلك المهالك (ياسادة) وقد تركه علي فى الشام وأخذ المماليك وترك محمود هناك وطلب أرض مصر فهذا ماكان منه

قال الراوى وأما ماكان من أمر دحروج المرستاني ومايقع له من الـكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب الذي أحب أن ألقيه بين أيادى السادة على الترتيب حتى ان كلا منهم يلذ ويطيب وينشرح الصدر بالصلاة على النبي الحبيب وذلك انه كان متزوجا بامرأة من نسل الاشراف معدودة من الناس الخيرين أهل الانصاف يقال لها السيدة حسنة الدمشقية رضى الله عنها وأرضاها وجعل الجنة قرارها ومثواها وكان هذا الرجل الغدار بعلها وهو متزوج بها فانظر يا أخي ما اتفق لها ولا تلثها من خباثة زوجها مع طيب أصلها وفرعها وكان هذا دحروج اكثر مبيته فى القهاوى وغيرهم من السهارى مع الصبيان وأهل الفساد والعصيان وكان مكان هذه السيدة فوق هذا المرستان وكانت من كثرة رقة قلبها على الناس العيانين تفتقدهم بالاحسان بمدخروج هذا اللعين فليلة من ذات الليالي طلعت السيدة الدمشقية تتفقد الضعفاء فرأت هذا الغلام الانين قد انتبه من نومه وجعل يئن من قلب حزين فلما رأته بهذه الحالة حن قلبها عليه ورحمته وقالت فى نفسها ابعدى بعيدا عنه ولا تسألبه عسى أن يأخذه المنام ويرتاح مما هو فيه فجلست السيدة بعيدة عنه فهذا ما كان منها وأما ما كان من محمود فانه لاجل القدر والبلا المحرر جانبه رجل أعجمى رفضى دمى يعبد النار دون الملك الجبار وهو يصيح مما هو فيه من الالم ويصيح على رأسه يالنار ولم يزل على ذلك طول الليل على ما طال حتى أن محمود تضايق منه غاية الضيق وزاد على قلبه هم وتفريق

فقال له يا هـذا اطلب العفو والنجاة من الله وقل يا رب ولا تذكر اسم النار فقد ألمتني وزودت علي الاضرار فقال له أنا أذكر الراية الكبرى وأطلب منها الشفاء ولا أعبد من غيرها وأنت يا كلب البزين تأمرنى أن أترك عبادة النار وهي ساطعة الانوار وصاحبة الاسرار الكبار

قاله الراوى فلما سمع محمود ذلك منه غضب من كلامه ونهض يحبي على أقدامه وسار يسير قليلا قليلا حتى أقبل على الاعجمى وتأمل الى جانب رأسه واذا بسربست عجمى له رأس مثل الاكرة المضلمة وطوله يزيد عن ذراع وهو كثير المنفعة لانه من خشب الشوم فمد محمود يده اليه وأخذه من مكانه وتأخر الى وراءه ووضع رأس السربست فى الارض ومسك الطرف الآخر بيده اليمنى واستند به حتى وقف على قدمه وانتصب فى طوله ورفع السردست بيديه الاثنين وقد توكل على الله وجد الحسين وضرب الاعجمى فجاءت الضربة باذن رب القدرة على أذنه اليسرى ونصف رأسه الاخرى ففسخت رأسه وصاح بملو قلبه ياللنار وفهق فهقة فارقت روحه بدنه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم أن محمود بعد ذلك عاد الى مكانه وقعد وحمد خالق الخلائق ومحصي المدد ثم انه انجضع بعد ذلك فنام وتوكل على الملك العلام وركن السردست الى جانبه وقد استغرق فى نومه ومكاسبه فهذا ما كان منه وأما ما كان من السيدة حسنة الدمشقية فانها ترى كل ذلك وتشاهده وقد شكرته على ذلك ومدحت فعاله ونزل حبه فى قلبها من غير محالة ولكنها تعجبت لذلك من قوة قلبه ولما نام تركته وألقت بالها من قصته وقضيته الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أقبل دحروج وفتح الباب ودخل يتفقد الضعفاء وينظر من عاش ومن توفى ثم دار عليهم واحد بعد واحد حتى أقبل الى الاعجمى فوجده قد عمى وهو قتيل وفى دماه ملقي جزيل فتأمل ذات الشمال واليمين فرأى السربست العجمى عند محمود عن يقين فعند ذلك صاح عليه بلغة الشوام وكلامهم الهذيان وقال له

والله والله لولا انك مملوك السلطان لأذقتك الموت والهوان يا أخا الفحبا يا ذليل يا مهان هذا ومحمود ساكت لا يرد عليه جواب ولا يبدي له خطاب فتركه دحروج وخرج من عنده وأتى بالشيالين وحملوا ذلك اللعين وقال لهم اطلعوا به نحو الجبل وادفنوه وعن جبانة المسلمين أبعدوه فقالوا له السمع والطاعة وذهبوا به من تلك الساعة (يا سادة) وقد أغلق دحروج المرستان وذهب الى حال سبيله فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر محمود فانه تنبه وأفاق على نفسه وتأمل الاعجمى فلم يره فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله اللهم كما ريحتنى من عدوي أن تبري سقمى وتأخذ بيدي وتزيل عنى مرضى والله انى الآن وجدت عافية فى بدنى ومرادي أني آكل كشك بصوصان وسار يذكر الكلام من أول النهار الى أن جاءت وقت الاصفرار وقد جاء دحروج المرستانى فسمعه يقول كشك بصوصان فقال له يا قرنان يابنى الف قرنان هذا الذي تذكره يمرض الطيبين ويقتل المتمرضين فلا تذكره على لسانك ولا تجعله يخطر ببالك ثم تركه وانصرف وتركه فى أحواله الى حاله وهو مصر على مقاله قاله وقد سمعت السيدة حسنة الدمشقية هذا الكلام وعلمت ان مراده الكشك بالصوصان فرق قلبها اليه وحنت جوارحها عليه وقالت والله لأطبخن له ما طلب عسى أن يكون شفاء له مما هو فيه من التعب وان ربي جعل لكل شيء سبب وربما انه يموت وهو طالبه ثم أن السيدة نهضت من وقتها وساعتها وذبحت الفراخ وكانوا ثلاثة فراخ وديك كبير وذلك من دبش دحروج المرستانى ثم طبخت الكشك وأحسنته وجعلت عليه الفراخ وأتقنته وكان دحروج له عندها أربعون فرخة وسبعة ديوك وبهم يظن انه ملك من الملوك ثم ملأت صحنا كبيرا من الكشك ووضعت فوقه ديكا عتيقا واحتملت على يدها من غير تعويق ونزلت ليلا من باب السر وسارت تمشى قليلا قليلا حتى وصلت عند رأس محمود ووضعت الكشك فوق رأسه وتركته وعادت الى مكانها وجعلت

تنظره بعينها حتى يأكل وتأخذ الباقي من عنده لئلا يراه زوجها فيضربها لاجل ذلك ويسبها فهذا ما كان من أمرها

(قال الراوى) وأما ماكان من محمود فانه كان في غالب أوقاته لاينام من كثرة الالم وشدة ماهو فيه من السقم فلما كانت تلك الليلة أخذ المنام بأمر مدبر الاكوان لما سبق فى علم الملك الحنان المنان بينما هو في شدة اسقامه وقد استغرق فى منامه والكشك عند رأسه والسيدة تنظره واذا قد ظهر فى ذلك المكان نور عظيم يأخذ البصر السليم وفى عقب ذلك النور رجل عابد زاهد شكور فلما أقبل ذلك الرجل صاح بسم الله بسم الله المكان خالي ياعباد الله فعند ذلك النداء أقبلوا رجلين وقد صفوا الكراسى في الجهتين ثم اتوا بكرسى كبير ووضعوه فى صدر ذلك المجلس وصاح الرجل الاول وهو نقيب الرجال وهو يقول ياسادة الارض ذات الطول والعرض احضروا ذلك المحضر كما أمر قطب الاقطاب الاكبر سيدي احمد البدوى والشريف العلوى صاحب الامداد النبوى فعندذلك أقبلت الرجال كانهم الاقمار وجلسوا ذات اليمين وذات اليسار ووقف النقيب بين ايديهم يمدح مرشدهم وهاديهم حتى تكامل الديوان وحضرت كامل الاخوان ثم قالت الرجال أين السلطان وبطل الابطال وعين كل انسان فقال لهم النقيب تأنوا حتى يحضر باقى الاقطاب ثم ان النقيب سار يمدح الرسول الحبيب وهو يقول

أمدح نبي جار عليه الغزالة والغزال	ونطق له البعير والجمل
وشفعه ربنا بالمذنبين	وخصه البارى بحسن العمل
وارسله رحمة لكل العالمين	هادي ومهدى وكامل ومكتمل
من عليه صلى وسلم ربنا	وقربه ثم أدناه عزيز أجل
وخلق العباد لاجل النبي	ولولاه ماخلق ربنا ولا كان أمل
توسلت بالهادي نهار موقفى	عسى به يثبت الاقدام وينفى الزلل

ومن توسل بالنبي عن حقيق ينول فى نهار الكرس والخبل
كلنا على قدم أحمد نسير وهو المقيدة يوم الرحيل والوحيل
وانا الاخر أصلى واسلم عليه واسأله الغفران قوم بالمحل
وانا مادحه نقيب الرجال عسى ان يمدني منهم بطل
اسمى البارى وما سميت الا بجوهر مدح النبي أصل الاصل

قال الراوي ولما فرغ نقيب الرجال من مدحه وذلك المقال اقبلت الثلاثة الاقطاب أقطاب الرجال وسلموا على بعض الابطال وقد وضعت لهم الكراسى العوال وجلسوا بين الرجال وراق الحى وذهب الضلال ونامت الاعين باذن الكريم ذو الجلال ولما استقر بهم القعاد اقبل فحل الرجال الاجواد صاحب العطايا والامداد كثير العدل والرشاد وخادم باب سيد العباد وبيده قضيب خيرزان مافيه اعوجاج وبين يديه المنادى ينادى يا أبا فراج فلما سمعت الرجال بذلك الاقوال نهضوا الجميع الرفيع منهم والوضيع ووقفوا عن كراسيهم وأجلسوه وقبلوا يديه ووقفوا على اقدامهم حتى جلس على الكرسي أمامهم وبعد ذلك أمرهم بالجلوس فجلسوا ولم يكن أحد منهم يتكلم بكلمة قبله والنقيب بين يديه منتظر أمره ونهية قدر ساعة زمانية ثم ان الاستاذ الاكبر قرأ الفاتحة الي سيد البشر وأمر النقيب بقراءتها بجهر فقرأ النقيب وقد كانت لكل الامور فاتحة وبها ناجحة وبعد ذلك قال السلطان كل من كان له كلام أذنت له فيه بشرط ان يظهر معانيه ومبانيه فقال أحد الاربعة ياسلطان الرجال وبطل الاعيان هذا ملك الزمان وفارس العصر والاوان وهو الذي ينصر الاسلام ويقيم الاحكام ويذل جيوش اللئام فقال الثانى هو هذا الذي يفتح السواحل والبلاد وتطيعه أهل السواد وينصره النبي الهادى فقال الثالث سبق فى علم الله ان كل شيء بقضاء الله فاطلبوا له من الله ان الله يكشف ضره وبلاه فقال الآخر اطلبوا من خالق البرايا واسألوا صاحب العطايا ان يزيل عنه جميع المضرات فا

منكم الا وهو مجاب الدعوات وتكلم كل انسان منهم بمثل هـذه الاشارات
فقال السيد أحمد البدوى اعلموا ان هذا ولدى ولا بد ان يأخذ عهدى ويحفظ
ودى وأنا سألت الله العظيم رب موسى وابراهيم وزمزم والحطيم أن الله
ينصره على جميع اعدائه ويذل له العتاه فقال الدسوقى أسأل الله العظيم رب
موسى الكليم أن الله يريه ليلة القدرعن قريب ويكون دعاه فيها مجيب فقال
الجيلانى الله تعالى يعلى قدره ويدير امره ويهدي سره ويطيل حكمه فقال
صاحب الوقت اللهم اشفي كل من كان في هذا المكان لاجل خاطر هذا الانسان
ثم بعد ذلك قرأوا الفاتحة وجلسوا فقال السيد للنقيب هات الذى عند رأس
هذا الغلام فاتاه بالكشك وقدمه له وللاعيان وقال دستور ياسلطان أقدم
لك هذه الهدية ولي الامان فقال له والله انها لهدية عظيمة وعزومة مقبولة
غير ذميمة اللهم اشف كل من أكل منه ثم ان السيد مد يده فيه ولعق لعقة
واحدة وكذلك كل الرجال ثم بعد ذلك قال للنقيب أوضع هذا مكانه فالله
يجود على من جاد علينا باحسانه ثم نفض السلطان المنديل فسار كل منهم الى حاله
والسبيل وأخذ القنيب الكراسى وانصرفوا الى حالهم فهذا ما كان من أمرهم
قال واما ماكان من أمر محمود فانه بعد ذلك أفاق على نفسه وتأمل فوق رأسه
فوجد مطلوبه وماشتهته نفسه عند رأسه موضوعا وهو طاجن معلق من الكشك
وهو مختوم ثم أنه مال اليه فاكل أكثر من ثلثيه ورفع الماعون بعيدا عنه وغسل
بعد ذلك يده وحمد ربه ووضع رأسه فنام وأخذه المنام باذن الملك العلام فهذا
ما كان منه وأما ما كان من السيدة حسنة فانها لما عاينت ذلك الفمال فرحت
غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح ونزلت من مكانها وأخذت باقي الكشك
بيدها ودارت به على الضعفاء وصارت تطعم كل واحد منهم بيدها فبأمر الله
الكريم محي عنهم ذلك السقم والانين ثم أنها نهضت بعد ذلك الى مكانها واصلحت
شأنها وفرشت فراشها ونزلت الي محمود واخذته الى عندها واجلسته على فراشها

وقالت له ياولدى اجلس على هذا الفراش فانت أعز على من جميع الناس فدعا لها وشكرها واوثق عهد الله بينه وبينها وانها تكون امه وهو ولدها والله شاهد عليه وعليها ولم تزل السيدة الدمشقية تكرمه وتذبح له من ذلك الفراخ وتلبسه أفخر الملابس الفوال حتى نفدت جميع الفراخ وقد مضى عليه اربعون يوما تماما فاتاه الشفاء باذن خالق الارض والسماء فيوم من الايام بينما هما جالسين ومع بعضهم مقيمين واذا بدخروج قد أقبل عليهما وكان دخل الي المرستان فرأى كل من كان فيه كانه الحصان والجميع اتتهم العافية في الابدان باذن الملك الديان فاصرف الجميع ولم يبق عنده في المرستان ولا انسان حتى أنه انتكر محمود واستفقده فلم يره ففتش عليه مكانه فلم يري له أثرا ولا بيان فصمد الى منزله فوجده قاعدا مع زوجته السيدة جسنة فقال لها عشقتيه ياناجرة ياقبيحة ولكن أنت الان بارزة من ذمتى انت كامى واخواتي فلما سمعت منه ذلك فرحت واستبشرت وقالت له اخرج عنى الي حال سبيلك فقال لها اعطنى متاعي وهاتي لى فراخي فلم تردعليه جواب ولم تبد له خطاب فاتى الى القفص فلم ير فيه الا الريش المقصص فنزل من عندها والغيظ كاد أن يخنقه واقسم بما أقسم أنه لا يعود اليها أبدا فهذا ما كان من أمر دحروج وأما ما كان من أمر محمود فانه انتعش من المرض وزال مافيه من المضض وقد عافاه الله من السقم ودفع عنه ذلك الالم فحمد الله وأثنى عليه وذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ولم يزل يتماثل وتأتيه العافية الى ان استهل شهر رمضان ودارت الرؤيا بارض الشام ونادى نائب القاضي بالصيام والصيان فنهض محمود من عند أمه السيدة حسنه ونزل بتبديلة خفيفة نقية وهو يتوكأ على السردست العجمى ولم يزل سائرا الي ان أقبل الي جامع سيدى عبد الله الاموى وكان ذلك وقت العصر فتوضأ وصلى العصر ثم قرأ آية الكرسي عقب الصلاة واعقبها بما تيسر من كلام الله القديم الذي تلاوته وسماعه يشفى السقيم وكان له صوت رخيم سيما وقد كان رطبا لاجل

عياه والتأليم (ياساده) ياأهل التنطيم فلما سمعته الناس ورأوا ما حازه من السعادة أحبته الناس واعطته الاحسان وقد تقربوا اليه بالمطايات والامتنان وهو يأخذ منهم ماعطاه الله ويتصدق به على العباد لانه ماكان محتاجالمثل ذلك الانقاد وقد تداولت عليه الايام فيوم من بعض الايام صلى الامير محمود صلاة العصر وقد خرج من الجامع واراد الذهاب الى بيت امه اذ بنظر فى طريقه رجل خياط بين يديه غلام يقرأ فى كلام الله الملك العلام غير أنه يكسر الحروف فاقبل اليه وقال له ياأخي أحسن قراءتك وانظر الى المصحف ببصيرتك فان الله يجزي المحسنين ولا يضيع أجر المتقين وهذه القراءة غير مقبولة لانها ملحونة ومبدلة فلما سمع الرجل الخياط ذلك منه نهض له وتلقاه واكرم مثواه واجلسه الي جانبه وقبل حواجبه ثم قال له ياولدى انا أخاويك بعهد الله بيني وبينك واكون والدك وانت ولدى وهذا أخوك لاجل أن تعلمه القرآن وكلام الملك الديان فماتقول في ذلك الامر والشأن فقال له ياوالدى لقدقلت الصواب ونطقت بافصح خطاب ثم أن السيد حسن الخياط أوثق العهد بينه وبينه وكذلك ولده والله على ذلك من الشاهدين ثم أن محمود جعل يقرى الغلام الخياط وكان يسمي بعلى فيوم من الايام بينماهما جالسين وعلى رب العباد متوكلين واذا برجال مقبلة وغبرة مستقبلة وعيال تجري ونساء تصيح وشبان هاربين ورجال مقبلين يدل ذلك على كرشة أو نهبة فقال محمود ماالخبر فقالوا هذاسعيدالركبدار وهو رجل من االاشرار وهو صاحب عزم واستكبار مفسد لكل من يراه ومؤذي لكامل عباد الله فقال محمود نستعين بالله عليه ولكن ماذا فعل حي صارت الناس منه في وجل فقالوا له قم انت من مكانك وخذ أخيك لئلا يراكما هذاالعنيد يأخذكما ويريكما التنكيد لانه ظالم غاشم فقال لهم محمود لله الامر ولاشيء أحسن من الصبر على الانسان وسيهون الله علينا كل عسير بجاه المصطفى البشير النذير فبينماهم في الكلام اذ أقبل سعيد الركبدار صاحب الغوائر الكبار الي دكان الاسطي

حسن الخياط وتأمل فرأي ولده جالس والى جانبه الامير محمود وهو يقرأ عليه كلام الله الملك المعبود فقال له قم أيها الغلام وسر معي الي الدار فاني أريدان تبات عندى هذه الليلة فقال له والده وكان يعرف فسقه اكرمه لاجل كلام الله تعالى فان هذا ولدي يقرأ القرآن وينسب لسيد ولد عدنان فقال له اخرس يا قرنان يا ابن الف قرنان فلما سمع محمود ذلك الكلام الهزيان امتزج بالغضب وفاض عليه الغيظ والكرب وتقدم الى سعيد وقال له الي اين يمضي معك فقال له الى دارى لاني قد أحببت انه يبات عندي فقال له دعه لاجل خاطري وانظر لنفسك خلاقه فناداه ياولد الزنا وتربية الخنا من مثلك يراجعني وفيما أردت يمنعني وحق رأس سيدى عيسى شرف الدين اذا لم ترجع عن ما أنت فيه لاخذنك معه أحمي فيك وأطفي فيك فقال له محمود هذا لا يكون أبدا ولو سقيت كاس الردي فغضب سعيد الركبدار وهجم على محمود واراد القبض عليه فانقلب محمود من بين يديه كانه الثعلب بين اسراع ومديده بطول الباع الى السردست العجمى وضرب سعيد الركبدار ضربة أورثه البوار وقد وقع الى الارض يختبط في دماه وقد عدم الحياة هذا وقد نظر السيد حسن الخياط الى ذلك فخاف على نفسه من شرب كاس المهالك واغتم غما شديدا ما عليه من مزيد وقال لمحود ياولدي لاى شيء فعلت هذا الفعال وارثت هذا النكال افلا تعلم ان هذا سعيد الركبدار الذى لم يوجد أحد يقدر يقاومه من الكبار ولا من الصغار ولو كان بطلا مغورا وهو كلمة نايب الشام فقال له ياوالدي اعلم أن الحق معنا فلا نخاف وامض الآن الى نقيب الاشراف واخبره بما جري من غير خلاف فقال له الخياط هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم أنه أخذ ولده في يده وسار الى نقيب الاشراف فهذا ما كان منه

قال الراوي وأما ما كان من أمر الامير محمود فانه جلس على الدكان كأنه الاسد أو النمر الحردان ولم يأخذه خوف ولا فزعان فهذا ما كان من الامر

والشان وأما سعيد الركبدار فان رفاقه حملوه فى تابوت ورفعوه على الاكتاف وساروا به الي ديوان عيسي شرف الدين بالاتفاق فلمارآهم عيسى على مثل الحال سألهم عن الاخبار فقالوا تعيش رأس مولانا باشت الشام وعظم الله أجرك فى البطل الهمام سعيد الركبدار المقدام فلما سمع ذلك الكلام باشت الشام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال من فعل به هذه الفعال من الرجال فلابدأن أسقيه كأس الوبال فقالوا له غلام مملوك وما هو من أولاد الملوك بل أنه صعلوك وهو ابن السيدة حسنة الدمشقية وهو جالس عند حسن الخياط فى دكانه فلما سمع عيسى ذلك الكلام والاختباط قال لهم وما فعل معه سعيد من الاسباب حتى أنه أورثه العذاب وأذاقه المصاب قالوا له يا مولانا ما فعل شيئا يوجب القتل وانه أراد القبض عليه فلم يقدر عليه سيما وقد قتل هذا البطل المغوار ولم يأخذه خوف ولا اضرار فعند ذلك صاح بالوالى فحضر بين يديه فقال له خذ طائفتك وأتنى بهذا الولد اللئيم الانكد فقال له سمعا وطاعة ونزل بطائفته من تلك الساعة ولم يزل سائراً الى أن أقبل الى الدكان فوجد محمود جالس كأنه الاسد الغضبان فقال له أنت الذى قتلت الركبدار وأسقيته كأس البوار قال له نعم أنا الذي قتلته وبيدى أهلكته وبهذا السر دست ضربته وأنا لا أروح معك أبدا وان لم تمض من قدامي فعلت بك أنت الآخر مثله وألحقتك به قال له تخالف أمر نايب الارض والبلاد وتعصى عليه من دون العباد فقال له نعم لا اروح ولا أمضي فاذهب من عندى ثم جرر الدبوس وطلب الوالي وبعيلته لا يبالى فلما رأى منه عين الغضب خاف على نفسه من العطب فولى الادبار وركن الي الفرار ولم يزل فى هزيمته حتي أتي الى عيسى شرف الدين وقص عليه قصته وقال له ان الغلام يقول لا يأتى الا برسول مرسل من طرف الشرع الشريف فيأتى معه من غير تعنيف فقال عيسى الناصر شرف الدين سمعتم يا علماء الاسلام ما قال وما فعل هذا الغلام وكيف فعل من الاضرار وقتل

الركبدار وعصى أمرى سرا واجهار فقال له العلماء ان الحق معه وأنه متبعه فاعلم أن هذا قتيل وهـو الذي قتله وأن هـذا الامر لا يتم الا بنص الشرع وقوله واننا نقول انه لا يعصى شرع الرسول وان عصى جازيناه فقال عيسى ارسل اليه فأخذ سلخة من الورق وكتب فيها سطرا واحدا من غير زيادةولا نقصان وجمل الورقة فى جريدة خضراء وأرسلها الي محمود صحبة اثنين من طرفه فسار الاثنان الي أن أقبلوا الى الدكان فسلموا فرد عليهم السـلام وقال لهم ما الخبر قالوا له أنت قاتل الركبدار قال نعم وحق الملك الجبار قالوا لهوأنت الذى عصيت الوالى قال نعم وبامثاله فلا أبالى قالوا له أجب الشرع الشريف قال لهم السمع والطاعة من غير تخليف لان القاتل ماله الشرعالا الشريف ولـكن سـيروا قدامي وأنا على أثركم الى عند من أرسلـكم فقالوا له بل أنت تسـير قدامنا فقال لهم دعونا نسير سوى مع بعضنا فسـاروا معه وسار معهم وما زالوا كذلك الي الديوان فقدموه الي بين يدي القاضى وقالوا له هذا الذيقتل الركبدار فاراد أن يقيم الدعوة بالانصاف حكم ما أمر مولانا جد الاشراف واذا بعيسى صاح على أتباعه خذوا هذا الغلام الى نطمة الدم واسقوه كأس العدم فقال له القاضى اصـبر حتى نقيم الحدود عليه وتنظر ما يكون جزاؤه وترى الحـكومة بامر الملك الوهاب ونحكم على قدر مانرى من الاسباب فقال لهم اعلموا أن من قتل يقتل ومن زنا يحد ويرجم والسلام فقالوا له يقتل بغير حق ومن غير أن يثبت عليه القتل قال ثبت عندى ولابد من قتله بين يدىثم صاح على السياف أن اضرب رأسه فتقدماليه السياف وتكاثرواعليه أهل الفلق فاوثقوه كتافا وقوا منه السواعد والاطراف وانتدب على رأسه السياف فلما رأى ذلك وساهد بعينه تلك المهالك قطع العلايق من الخلايق وتوسل بالملك الخالق ورفع وجهه الى السماء قبلة الدعاء وقال هذه الابيات صلوا على كثير المعجزات

يارب خلصنى من العنـاد وشره   واذهب يا رب لوعتى وشـقاق

وامنن عليّ بالخلاص تكرماً وامح عني بلوتى وفراقي
ورد عني يا سيدي كيد العدا واكفينهم من شر كل عقاقي
أنت العليم بماقدنالني من غدرهم وأنت الكريم على صدهم والباقى
سأطلب منك النجدة من شدتي وأطلب الاسعاف والاشفاق
توسلت اليك بخير الورى محمد سيد المرسلين بالاطلاق
عليه صلاة الله ثم سلامه ما حن قلب وزادت الاشواق
وكذا الآل والصحب جمعاً من ابتدا الدنيا ليوم التلاق

قال الراوى فما أتم محمود دعاءه وتضرعه الى مولاه وعالم سره ونجواه حتى جاء الفرج القريب باذن الملك المجيب وعلي ابن الوراقة داخل من بابه ديوان الشام وكنا ذكرنا أنه توجه الي مصر بالجلبة وذكرنا أنه عاد الى الشام باذن صاحب القدرة والهبة قال الراوى وكان لرجوعه سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك أنه لما ترك محمود بالشام وعاد طالب ديار مصر فرأى فى منامه ولذيذ أحلامه الملك الصالح نصب علي قدامه وهو يقول له وعزة الربوبية ان لم تأت الىّ بالمملوك متاعى وتعود الي أرض الشام لاجله وتنجيه مما هو من وحله لم تدخل بلدى الا ادركته بعد ان الملك الصالح صاح فيه فانتبه مرعوب من منامه وترك المماليك مع أتباعه وعاد الى الشام وذهب الي المرستان فلم ير محمود فيه فسأل عنه فأخبروه بما قد جري وانه فى تلك الساعة تضرب رقبته فسار على عجل وقد أخذه الخوف والوجل ودخل من باب الديوان وسلم على كامل الرجال والاخوان وتقدم الي عيسى شرف الدين فهذا كان أصل السبب وسنرجع الى سياق الكلام باذن الملك العلام

قال الراوي واما ما كان من علي فانه قال لعيسى يا سيدى هذا الغلام مملوك ابن عمك ولحمك ودمك الملك الصالح نجم الدين أيوب ولي الله المجذوب

فلا تقتله واذا كان فعل شيئا أرسل اليه عرفه لانه سيده والآن فاتركه فيقال له هـذا اقتل ولا له دية وما يقول الصالح في الحق فقال على ابن الوراقـة اعلم أن هذا الغلام في طرفي وفي تسليمي ولا أحـد يأتي فيه بحركة من غـير اذن سيده الملك الصـالح وانت طالب قتله جبرا عنى وأنا لا أمنعك عنه ولا احوشك عن قتله ولـكن أعطني حجة شرعية بأختام العلماء المسمية واسمك وختمك فيه بالـكلية بانني ادركته في ديوانك وهو على قيد الصحة والعافية ومنعتني منه وقتلته ظلمـا وعادية وانا آخذ الحجة وانصرف واقابل بهـا ابن عمـك الملك الصـالح أيوب فقال له اما من خصوص الحجة فلا أكتبهـا ولا شـيئا مثل ذلك ولا بد من قتل هـذا واشرابه الهـلاك فقال له ماكان ذلك أبدا ولو سقيت لاجله كأس الردي هـذا وقد تـكلمت العلماء الذين بالديوان واشتد عزمهم بتابع السلطان فبينما هم في الـكلام واذا بنقيب الاشراف طالع من باب الديوان وصحبته أهـل الاحسـان ومن جملتهم السـيد حسـن الخيـاط وولده وهم ينادون عيسى بالويل والثبور وعظائم الامور ويقولون لا يحـل من الله كيف تأخـذ أولاد الاشراف الى الفسـاد والاتلاف ومثلنا موجود في الارض والبـلاد ومن مثلك حتى يسلط الركبدار على الاشراف الاحرار والله لولا هـذا الغلام الذي شرفنا والاكان هـذا اللعين اتلفنا فمن هذا الذي نراه فى نطعـة الدم فقالت العلماء هـذا الذى قتل الركبدار فقالوا هـو الذي حمي عرضـنا وقتـل خصمنا قالت العلمـاء نعم ها هو الذى فعـل ذلك وأن عيسى طالب قتله لاجـل ذلك فقالوا جـزاه الله كل الخـير ولاى شيء يا عيسى تظلمه وفى هـذا لا تـكرمه فوعزة الله تنفيه من على الشام ونولى غـيرك فى الاحكام ولا يقدر أحـد يمنعنا عما نريد ولو كان ابن عمك الصالح والعميد ثم نهض نقيب الاشراف وقطع بالخنجر من محمـود الـكتاف وقال له قم ياولدي الله يعزك ويعلى قدرك ويهلك ضدك والله ياعيسى

ان لم تتعدق أقل من أدبك والاطردناك وربما قتلناك ثم نزلوا بمحمود من الديوان على حمية بقدرة وامكان وساروا به الى منزل امه وقد زال همه وغمه فلما رأتهم السيدة سلمت عليهم واكرمتهم وفرحت بسلامة ولدها على يديهم وقد تبعه على بن الوراقة فعرفه وسلم عليه وقبل يديه واثنى عليه وبعد ذلك انصرفت الاشراف الى حال سبيلهم فهذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر عيسى الناصرفانه زادت بلوته ونمت علته وقد كادت ان تنفطر مرارته وقد حمله على ذلك الحسد وتمني انه لم يوجد فأمر بدفن سعيد الركبدار وقد خاف العار فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر السيد حسن الخياط فانه اقام فى مكانه وحمد الله على احسانه وسلامة محمود وولده فهذا ما كان منه

قال الراوي واما ما كان من امر على بن الوراقة فانه بعد انصراف الاشراف اقبل على محمود وقال له الحمد لله الذى عافاك وأقر عيناك وهداك ومن هذا الامر نجاك ولكن انى الآن ما أتيت الا بسببك وانت مطلوب الي الرحيل معى الى مصر فقال له السمع والطاعة ثم انه بات معه تلك الليلة عند امه السيدة حسنة الدمسقية ولما جاء الصباح تودع من امه ومن رفقاه ومن اصحابه ومن السيدة حسنة ووالده وسار مع من دعاه وقد خرج به عن ذلك المكان واراد ان يسلك به البر والوديان واذا قد أقبل عليه انسان له عليه اديان وهى مائة دينار وكان هذا الانسان يقال له على بن القواسى وكان هذا على فى كل الامور قاسى فلما رآه قال له الآن شيخ الوفا وصاحب الدين يلقاك استغن ومن كثرة الصبر اكتفى فأعطيني مائة دينار قال وكان علي لما عاد على عجل ولم يكن معه شيء من الفضة ولا من الذهب فقال له يا أخي دعني هذه المرة وانا أعطيك كل ما كان على مرة أخرى فاصنع معى المعروف فانه لايضيع عن الملك الرؤف فقال له وحق من جعلنى على ابن الاقواسى وجعلك على بن الوراقة لاتنتقل حتى تحط ما كان عليك من دينك فقال له والله ياسيدي مامعى شيء من الحطام

ولا احتكم الآن على درهم واحد وهو رب الانام فقال له اعطيني هذا الغلام فقال له هذا مال السلطان ومالى فيه طريقة ولا امكان فقال له انا لا اعرف السلطان ولا الوزير وانا آخذ هذا منك مثل الدين الذي عليك والسلام ثم هجم عليه وأخذ محمود من بين يديه وقال له هذا عندى رهين على ما عليك من الدين فلما اعياه الامر وزاد على حد القياس أخذه الوسواس وطلب الذهاب الى امه او الى نقيب الاشراف ويأتى من عند احدهما بالمبلغ ويأخذه ويرجع فبينما هو عازم على ذلك اذهتف به النوم فرأي الصالح قدامه يقول ياعلى دعه هنا على سبيل الرهن فان له عيشا يأكله وامر يفعله فاستيقظ على بن الورافة وقد تعجب غاية العجب وترك محمودا ممتثلا لامر السلطان وعاد طالب مصر فهذا ما كان منه

قال الراوي وأما ما كان من أمر علي بن الاقواسى فانه أخذ محمود وسار به الى مكانه بقدرة الله وسلطانه وكان له زوجة يقال لها عائشة وكانت أشقى أهل الارض فلما أقبل ضرب الباب برجله فردت عليه زوجته من داخله من بالباب فقال لها افتحي ياخاطبة فقد أتيتك بغلام يحمل الشلبين على طول الزمان فقالت له جزاك الله خيرا واحسان قال وكان هذا الشلبين له وصف عجيب وهو أن له رأساً مثل الصومعة ورقبته من أسفلها رقيقة وله كرش كبير قدر كرشة البعير وله رجلان مثل أبو قردان وله وجه شنيع بقورة مثل العجل النجيع وكان يسميه فخر الدين حبظلم بظاظه وكان عليه لسان كأنه لسان أرقم أو ثعبان وكان كلب بن كلب والسلام كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

له وجه كئيب وقورة ... كالعجل الرضيع المزعج
وعينان مثل النار قد اشعلت ... ولسانه كمثل الارقم المتمجمج
وكرش بعير يأكل لكل ماراى ... ولو كان سما نقيعا مسرج
ما نجا من يده ولا من فمه ... سوى من سلم أموره للمفرج

٤ — ثانى

خلقة الله الكريم بديعة وقد خوف بهذا الشكل معجمج
فالخلعة مربكة بأمر ربها الى أهلها من طيب وبهرج
ما مثله يوجد فى الانام جميعها كلاولا فى الجبال من الوحوش المدرج

قال الراوي فلما دخل محمود عليه تأمله وقال له من أنت قال أنا مملوك يا سيدي فقال له سلامات يا متبوكين وكان يا اخوانى بالاتفاق الذى يجب ان يكتب ويسطر في الاوراق هذا اليوم يوم السابع والعشرون من شهر رمضان وذلك لامر يريده الملك المنان هذا وقد قالت طائفة ام الشلبين يا غلام خذ حوائج سيدك واغسلهم على نهر قليط فقال لها سمعا وطاعة وأخذ الحوائج بهم الى ذلك النهر وجعل يغسلهم شيئا بعد شيء وهو يزيل مابهم من الاوساخ والقذرات وينشرهم الي جانب الفلوات فبينما هو كذلك واذا باولاد أسماعيل مروا عليه ورأوه وهو على مثل ذلك الاحوال وقد حققوه ولكن هو لا يشعر بهم ولا عرفهم ولا نظرهم فهذه يكون لها معايرة كبيرة فى الكلام القابل اذا وصلنا اليه تحدثنا عليه النبى فازمن صلي عليه اللهم صلي عليه

قال الراوى وأما ما كان من محمود فانه غسل الخرق والثياب وعادبهم طالبه الديار فلما دخل أخذت منه الثياب وقالت له خذ دشش هذا البرغل فى الرحا ودقه خارج الباب فكان لامرها مجاب وجعل يدق فيه ويصلح شأنه فرت عليه المقادم مرة أخري فرأوه على هذه الحالة وعرفوه فاسروا ذلك في قلوبهم ليكون بها معايرة أخرى تذكرها في محلها اذا جاء وقتها ومكانها وآن اوانها فلما تهيا الفراغ من ذلك قالت له خذ سيدك وسر به الى حجر الشيخ فقال السمع والطاعة وسار به وقد وضعه عند الحجر فقال له هات لي حلاوة فأتي اليه بما طلب فاكلها وكان كثير الدناوة فلما أكل ذلك طلب بندق فتركه محمود وذهب ليأتيه بما طلب منه وقد لعب مع العيال وكسب منهم وعاد له بالبندق وجعله فى حجره ويأكل فيه ولا يترك قشره قال فبينما هو يلعب مع الصبيان وكل ما يكسب شيئا

يأتي به اليه فيا كله هذا العفريت الشيطان فبينما هو كذلك واذا بالمنادي ينادي ويقول يا أولاد الشام يا أهل الفنون والاحكام قد ظهر بارضنا مسارع يدري حق السراع وانه فى ذلك طويل الباع وقد لعب مع أهل الفنون فلم يجد أحدا قدر عليه باي أمر يكون وانه الان يريد أن يلبس القفطان ويكون كبيرا على أهل الفنون فى هذا الزمان في كل فن كان فماذا انتم قائلون فقالوا أولاد الشام نحن كلنا له اتباع وشهدنا له بفن السراع وطول الباع وأمره علينا مطاع وانه يتساهل المشيخة وتربية الاتباع

قال الراوى فلما سمع محمود ذلك النداء فى ذلك المكان فعلم أن هذا محمود العجمى القرنان فاهاله عليه ذلك الامر والشأن فنهض من ساعته وأخرج منديل وربط أطرافه بهمته وجعل على كل طرف شيئاً بمعرفته وفصاحته ثم أنه كسب المنديل وحذفه بين أيادى النقيب فلما رأي ذلك قال الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين يا أولاد الشام وأهل الفصاحة والرجاحة والافهام قد ظهر لهذا الغلام خصيم من الاخصام وهو يريد الملاعبة معه فى هذا المقام فما ذا أنت قائل يا محمود فلما سمع محمود المسارع بمثل ذلك قال له ومن أعلمك بان هذا الغلام الذى ظهر من الشام هو خصيمى من دون الانام قال له علمت بهذا المنديل لانى رأيت فيه علامات غير قليل فالعلامة الاولى انى فككت العقدة الاولى فرأيت شريفى ذهب احمر ملتهب فعلمت بفن المعرفة والادب لسان حال الخصم يقول هذا شريفي شرف الملاعيب وهو بخصوص النقيب ورأيت بالطرف الثانى نصف ديوانى فعلمت أن لسان حاله يقول هذا نصف من الفضة ولا بد أن اجعل امر وهذا القيم من فضة والثالث عليه جديدا احمر شبيه الحديد فعلمت أن لسان حاله يقول هذا جديد الرهان وسيظهر كل ذلك وبيان والطرف الرابع فارغ فعلمت انه يقول انا له منازع وعن مطالبه مدافع وساجعل قلب الخصم منى فازع

قال الراوى فلما سمع محمود المسارع كلام النقيب صاح بعلوصوته من كان يستكثر على منصبى وهو يقدر على ملعبى فليبرز الي بين يدى وأنا أصده وأرده وأهزل مقامه واهده فقال له النقيب وقد ضرب الشريفى الذهب فى شدقه اعلم انه جاءنا بموجب القانون ومعرفة أهل الفنون ولا بد ما يرد عليه كلام أهل المعارف وندعيه الى مقام التصارع وننظر ان كان ثابت أم خائف فقال له النقيب انده عليه فصاح النقيب يقول صلوا على طه الرسول

أيافارس المصر والازمان وفريد دهرك والاوان
قد طلبك الخصم يوما للقا وقد دعاك الى حومة الميدان
فاخرج اليه ولا تبالى وسلم أمورك للعلي الديان
وابرزا اليه الان حقاً ولاتجعل أحدا يعض لسان
وسلم أمورك للذى رفع السما اله تعالى عظيم الشأن
وان كنت تعرف معني كلامى فأنت عندي كثير البيان
وتبقي غاب الاخصام جمعا وتحوزدون الوري جموع فنان
وان كنت لاتدري فلف العناد ولا تعاند بروحك للزمان
فكل لبيب يفهم مقالى وكل بليد لا يعرف بيان
وقد صح عندي أنك فيهما وانك فارس الفرسان
فان كنت فى ظني فاقبل والافاخرج من ذلك الاخوان
ودع هذا يصير رجيحا ويلبس على رغم أنفك القفطان

قال الروى فلما سمع الامير محمود ذلك الكلام تقرب من مكان الي مكان حتى رآوه بالاعيان ونظروه بالاحداق جميع الاخوان وجلس ولا بدي كلام فعرف النقيب المعانى والافهام وقد صح عنده انه من أهل العرفان في ذلك الازمان فتكلم النقيب بهذه الاوزان

ألا يا فارساً قد طلبت المعالي أظهر لخصمتك ولاتبالى

ولا تبـــدي كلام نقص يعدوه عليك جمع الرجال
فان رأيت نفسك قياس حرب فلا تخشى الملال ولا الدحال
وان كنت بليد ذهن فـدع التقـادم بالهـزال
وقد صح عندى أنك لبيبا ولا لك فى كل الانام مثـال
فان كان ظنى حقا صحيحا فلقد بلغت المنا وكل السؤال
وكنت غالب على كل خصم وقـد فهمت ذلك بالمقـال
وأســأل الهى النصر دوما هو الـكريم ومولى المـوال
بحق المصطفى زين القيامة هو الشفيع غدا لـكل العيال

قال الراوي فلما فرغ النقيب من ذلك الـكلام تقارب منه محمود ووقف على جناحه وقال له دعـى من هذا الـكلام وامدح لنا من ظللت عليه الغمام فابتدأ النقيب يقول هذه الابيات

سلام علي من أتى بالهدى فيارب اقرأه منى جزيل السلام
وقل له ياريح بلغ المصطفى بانـني مادحـه بطول الدوام
وخبره يانسـيم بأنى اليـه ملتجى غـدا نهـار الزحـام
عسـى يـكون لى شفيـع فى القيامـة عند رب الانام
لانه شفيع جميـع المذنبين ربه عطـاه الرضـا والمقـام
من فضـله ربنا واجتبـاه وارسـله رحمـة لـكل الانام
كما يجير من حر نار الجحيم بحق مولاى العليم محي العظام
وخذ بيدي فى جواز الصراط لاني أخاف من ذلة الاقدام
وفى القيامة تكون لي نصير يوم تستجير العالمين من الزحام
انت الذي الله السما صلى عليك وقد خصصك بنـا بالسـلام
وخصص لمن يصلي عليك قصور يدخلها وهي دار السـلام

قال الراوي فلما فرغ النقيب من ذلك الكلام صاح وهو يقول هات لى عندي ياصاحب العلامات ومعدن الاشارات فعندها انتزع محمود وخلع ما عليه من اللباس حتي انه سار فى السراويل وقد كثرت فيه الاقاويل فمن الناس من يقول هذا مقتول ومنهم من يقول هذا بهول وقد ظهر من تحت الملابس جسمه وتقدم الى عند خصمه وقد انطبقا على بعضها البعض فى وسيع تلك الارض قدر ساعتين من الزمان وقد ظهر الفخر وبان وتأمل محمود المسارع فرأى نفسه مع الامير محمود غير نافع فاقبل عليه وعجزه اليه وقال له ياهذا اتريد انك تفضحني بين هؤلاء الرجال فدع عنا هذه الملاعيب وتوعدهم الى غد واذا كان من الغد فلا اسكن أرضا أنت بها ابدا وان قمت فيها الى غد فقد استوجبت شراب الردى وقد ابحتك دمى فاصفح الان عنى ودعنى فقال له الامير محمود والان ماتحاربنى فقال له اعلم انى لم أقدر أقوم معك ولا أعد من أقرانك ثم افترق عنه الي بعيد وقد رأى عجزه القريب والبعيد ثم أن محمود المسارع صاح على النقيب بعد ان شاور الخصم في ذلك فان لم يرض فالامر اليه ثم مال النقيب الى محمود وقال له ياسيدى تريد ان تدع الملعوب الي غد فقال له اعلم ان الخصم غلبان وقد طلب منى الاقالة والامان وقد اجبته الى ذلك وان جاء غدا وحضر الخصم سقيته شراب الردى ثم انصرف كل منهم الى حال سبيله فاما محمود رحل من وقته وساعته طالب أرض مصر فهذا ما كان من قصته واما النقيب وارباب الفنون توجهوا الي حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير محمود فانه عاد ذلك الى سيده فخر الدين حبظلم بظاظه فوجده قد ركب على حجر التاريخ وجعل يلعب عليه فثقلت دماغه فسقط على أم رأسه فانشجت وسأل دمه وعلت اصواته وزادت حسراته فأقبل الامير محمود وقد وجده علي هذه الحالة فخاف على نفسه خوفاً شديداً ما عليه من مزيد ثم أقبل اليه وجعل يلاطفه وجالمه وكبس له رأسه بالعنكبوت

ومسح له الدماء وأتاه بما طلب من الحلاوة ولم يزل به كذلك حتى سكت من بكاه وقد قال له ياسيدي لاتخبر امك بهذا وبذلك اوصاه فقال له انا ماأجيب لهم سيرة ثم احتمله وسار به حتى أقبل الى المنزل فطرق الباب فأرفعت الساقط فدخل الى وسط الدار هذا ولما تيقن الكلب انه فى وسط داره صاح بملوصوته ياأمى هذا الولد بطحني واسال دمي وأرماني على حجر التاريخ وتركني وسار يلعب مع أولاد الشام ولم يسأل عنى فلما سمعت عائشة من ولدها ذلك حلت بها المهالك وصاحت عليه ياأخا القحبة سوف اورثك النكال والنكبة ثم انها وثبت اليه وارادت أن تقبض عليه فلما عاين ذلك منها القي الغلام عن كتفه وخرج طالب الهرب من خوفه وقد سار يجري فى الخلوات فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ماكان من عائشة فانها نزلت وأخذت ولدها وطلعت به الي اعلا مكانها وجعلت تداويه وتلاطفه وتتحلف فى محمود اذا عاد اليها تعاقبه فهذا ما كان منها واما ماكان من محمود فانه سار طالب الخلوات الى أن خرج من الشام الى جبانة الاسلام واذا قد رأى قبر جديد مفتوح وكان هذا سبب للفتوح فقال في نفسه اذا جن الظلام وأقبل على الليل وغلب على عيني المنام نزلت الى هذا المكان ونمت فيه ولا أحداً يرانى من الانام فبينما هو كذلك اذ اقبل عليه ثلاث رجال يطلبون الهرب والفلال الى أن اقبلوا ال محمود وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال لهم من تكونون من الانام فقال الاول انا الطيور الذي عند عيسى الناصر شرف الدين علفت الطيور ففر مني طائر عزيز عليه فعرفت انه يقتلني ولاجل ذلك الطير لا يرحمني فهربت الى هاهنا قبل أن يعلم به احد أو يعلمه بذلك فقال الثاني وانا الهجان هربت من الهجين الذى لعيسى شرف الدين فقال الآخر وانا السايس ذهب مني الحصان فهربت الى هذا المكان فقال الامير محمود وانا الآخر دعوتي كدعوتكم وقصتي تشابه قصتكم وكلنا مغاليب فأقيموا بنا هاهنا حتى يأتي الفرج القريب من الملك المجيب

فقالوا له هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انهم جلسوا يتحدثون مع بعضهم حتى ولي النهار واقبل الليل بالاعتكار وقددام الديجوم واظهرت النجوم وكانت ليلة سبعة وعشرون من شهر رمضان وقد نزلوا الثلاث رجال الى اسفل التربة وناموا ومحمود لاينام ولا ورد عليه منام حتى مضى من الليل الثلثان بينما محمود متفكر في أمره واذا بأبواب السماء قد فتحت بقدرة الله وقدره وظهرت من السماء من قبله طاقة قدر القبة وهي صافيه البياض وفي دايرها اختضار كهيئة الفجر عند لياحه ورأي كل شيء على الارض ساجد ولا أحدا منتبه من الانام لا وحش ولا غلام ولا رجل ولا صبيان ولا ديك يصيح ولا كلب ينبح الا الدنيا ساجدة واشجارها راقدة فقال محمود في نفسه هذه دلايل ليلة القدر التى هي خير من الف شهر ووالله أن هذه العلامات لها ولم تكن لغيرها ثم نهض على الاقدام وسأل الله الغفران ودعا رب الانام وقال (اللهم) بحرمة هذه الليلة عندك أن تجعلنى ملكا وسلطانا على مصر والشام وسائر بلاد الاسلام وان ترزقني النصر على الاعداء اللئام بحق المصطفى المظلل بالغمام ان تجعل لى كلمة تسمع وحرمة ترفع اللهم اجعل لى من امرى فرجا ومخرجا وان ترزقني من الشدائد النجا اللهم اجعلي بين اكتافي عزم أربعين وليا من الاولياء العظام اللهم استجب دعوتي انك على كل شيء قدير وبدعائي خبير برحمتك يانعم المولي ونعم النصير ولما انتهى محمود من دعائه وتضرعه الى مولاه قال في نفسه لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه ثم انه نزل الى التربه وايقظ رفقاءه الثلاثة الهاربين وقال لهم قوموا واطلبوا النصر من رب العالمين فان ليلة القدر قد فتحت والدعاء فيها مستجاب فنهضوا الثلاثة وقال الطيور اسألك ياالله يامسبب الاسباب أن تجعلنى قطبا من الاقطاب ويكون مسكنى فى الركن الخراب من خلف جبل قاف فأستجاب الله دعاءه انه كريم خفى الالطاف وقال الهجان اللهم اجعلنى لهذا وزيرا ومدبرا ومشيرا ولا تحرمني من رفقته

فأستجاب دعواه من خلقه ورزقه وأما السايس فانه قال اسأل الله الكريم رب العرش العظيم والآيات الكرام انى غدا أدخل بستان الشام ويأتي الى عندى ابن نقيب الاشراف واقبض عليه واطلب منه اللواط والتلاف واكون سكران فيحضر ابوه والاشراف معه يروه ومن يدى يخلصوه ويشتكوني لباشة الشام فيأمر بقطع رقبتي عند حجر التاريخ والسلام قال فأستجاب الله دعاءه وعاد كل واحد الى مأواه فلما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح توجه الهجان والطيور الى حال سبيلهم فى القفار وقد اعطاهم الله الولاية وكانوا من أهل السعادة والعناية وازادهم الله سعادة وهداية فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما السايس فانه ذهب الى بستان الشام فرأي ابن نقيب الاشراف هناك فقبض عليه وهو سكران وقد بلغ مطلوبه من الرحمن واعطاه الله ماطلب ولكل شيء سبب ثم انه طلب اذاه وأخذه وعطاه وامتنع الغلام من ذلك وسبه وشتمه وتكلم معه ولعنه وعن مامنه نهاه فلم يزداد الا طغيانا وتزايد اذاه فبينما هم كذلك اذا أقبلت الاشراف وصحبتهم وابوه ولما عاينوا ذلك منه خلصوه فسبهم وشتمهم فقبضوه وفى عاجل الحال كتفوه والي عيسى باشت الشام أو صلوه وأقاموا عليه الاثبات فأمر عيسي بضرب عنقه في اسرع الاوقات فأخذوه الى عند حجر التاريخ واستوفى ما كتبه الله عليه وراح الى رحمة الله تعالي فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير محمود فانه لما اصبح الله بالصباح سار طالب أرض الشام ولم يرله الي أين يذهب من الاكام فسار الي منزل جيران على بن الاقواسى وقبل يده وقال له انا في جيرتك تصالحني مع سيدي فأخذه هذا الرجل وصار به الى عند على وقال له ياسيدى ان المملوك الذى هرب منك فقد عاد اليك وهو سايتنى عليك فلاجل خاطري تسامحه فى هذه المرة فقال له وأين هو قال له هاهو معى فنهض على وقبضه وقال له سرمعي الى منزلى

فقال له المتشفع اكرمه لاجل خاطرى قال له لك على ذلك ثم سار به علي بن الاقواسى حتى أوصله الى البيت ثم صاح بزوجته خذى هذا المملوك وعذبيه عذاب الصعلوك فنهضت وأخذته وفى عاجل الحال كتفته وفي عامود المكان صلبته ثم انها اوقدت النيران وأرادت أن تسقيه كاس الهوان وقد أوقدت له زندا من الخشب وتركته حتى التهب واخرجته من النار وارادت ان تضربه به جهار وهو من ذلك يستغيث ويستجار وينشد الاشعار ويتضرع الى الملك الجبار وهو يقول صلو على طه الرسول

يا كريم العفو يارب السماح واطلق سبيلى وهب لى نجاح
وردعني كيد كل ظلوم ولا ترنى ياخالقي افتضاح
قد طلبت نجاتى منك حقا وانت مقصدي ومنقذي وفلاح
وانت يارباه كريم العطايا وانت الرحيم لكل الجراح
توسلت اليك بخير البرايا من جاء رحمة روح البراح
وفي الدنيا هاديا وبشيرا وفى الآخرة لولاه أطلنا نواحا
بجاه المصطفى كن لى مجيرا وجابرا وساترا فتاح
صلى عليه الله ماهب الصبا وماهب ريح السامع الصفاح

(قال الراوى) فبينما هو يستغيث ويستجير واذا بالباب يدن فارفعت الساقطة وتأملت عائشة فرأت السيدة الاقواسية اخت علي الاقواسي وكان السبب فى مجيئها سبب عجيب وذلك ان لها عادة فى كل عام تجمع زكاة المال وما تخرجه من الاموال وتأتى بهم الى عند اخيها فتفتقده بهم فى كل عام فجاءت على حسب عادتها وأقبلت على بيت أخيها وقد أدخلت ما كان معها فلما توسطت المكان وجدت هذا الغلام وهو يستغيث فلا يغاث فلما رآها محمود صاح بعلو صوته وانا فى جيرتك يا سيدتى فقالت له ياولدى لاتخاف وحق رب الالطاف ثم اقبلت الى عائشة وقالت لها اكرمي هذا الغلام لاجل خاطرى فقالت لها

لما تولدي ولد مثل ولدي وتجعليه عندك شلين وتشترى له مملوك مثل هـذا المملوك ويعمل معه ذنبا وتريدى ضربه فاذا كان ذلك وحضرت أنا عنـدك فاشفعيني فيه بل قولى لى اذا كنت شفعتني في مملوكك انا اشفعك فى مملوكي وحق رأس الشلين لا اقيـله ولو اجتمعت على الدنيا وأهلها فلما سمعت منها السيدة فاطمة ذلك اورث عندها المهالك وقالت لها يا فاجرة يا قحبة تقابليني بمثل هذا الـكلام فو عزة رب الانام العزة الابدية لاوريك مقامك بالـكلية ثم أنها نهضت من ساعتها وهجمت عليها فضربتها وصاحت على الغلمان الذين معها ان اخرجوا ما معكم من هذا المـكان وفرقوه على الفقراء والايتام ولا احد يأتى منكم الى هذا المـكان على طول المدى والزمان ثم هجمت على محمود وخلصته مما هو فيه واخـذته فى يدها وخرجت من عنـدها وسارت الى بيتها وهى غاضبة في نفسها فلما استقر بها الجلوس ارسلت الى القضاة والعلماء والاشراف فحضروا الجميع الي عندها من غير خـلاف وقد اجلستهم الجميع الرفيع منهم والوضيع وقد أمرت لهم بالمـآكل الطيبة والمشارب الهنيئة الغالية ثم أرسلت الي علي بن الاقواسى أخيها أحضرته فلما استقر به الجلوس قالت له ياعلي هذا الغلام اليك وقد اشتريته بملك فقال لا ولـكنه مرتهن عندى علي مائة من الذهب وهو لعلي بن الورافة صاحب المحاسن والزيافة فقالت له اعلم انه عندى ولا أطلقه من يدي حتى يأتي صاحبه واسلمه له ويأخذه منى وهـذا ما عليه من الدراهم ثم انها حرجت له المائة دينار وسلمتهم الى القاضي والعلماء الاخيار فأخذهم على بن الاقواسي ثم أن السيدة قالت للعلماء يا علماء الاسـلام اسألوا علي هل يكون له شيء عندي من متاع أمه أو أبيه وربما يكون له شيء فتركه او نساه فسألوه العلماء عن ذلك فأجاب بانه لم يكن له عندها شيء فقالت اكتبوا بيننا حجة على ذلك فكتبوا الحجة وشهدت العلماء قالت السيدة فاطمة اختموا لنا الحجة من على نختمتها وبعد أن أخذتها قالت للعلماء اكتبوا حجة شرعية

متممة بان جميع مالي ونوالي وما تملكه يدي ملكا لهذا الغلام يفعل به ماأراد من المرام واذا توفاني رب الانام واحرجني بقطع خام فيكون ذلك فضلا منه واكترام لانني قد استخرت الله العظيم والرسول الكريم واتخذته ولدي وجعلته قطعة من كبدي وانتم على ذلك من الشاهدين بين يدي احكم الحاكين قالت وكانت السيدة فاطمة لها ولد يقال له بيبرس وكان عزيزاً عليها وقد توفاه الله فانكسر لاجله خاطرها وحمدت ربها على ذلك فمن الله عليها بهذا الغلام وجبرها وحن قلبها عليه ورحمها وكان هذا محمود اشبه البرايا بولدها بيبرس وهذا الذي حملها على ماتقدم من فعالها ورحمتها ثم أن العلماء كتبوا الهاماقالت عليه من متاعها بعد أن قالوا له ما تقول يا محمود فى ذلك فقال أنا خادم مواطى اقدامها ثم انه قام وقبل يد السيدة ورأسها وقد ادخلته من طوقها وشهدت السادات بانه ولدها وعزيزها وسمته على اسم ولدها من وقتها وساعتها فهذا ما كان من أمرها

(قال الراوي) ثم أن السيدة اخرجت للعلماء كل واحد مائة دينار ذهب والاشراف كذلك السبب وارضت خاطر الجميع ودعوا لها بالفتوح والنصر وزال عن بيبرس الحصر والقهر وانصرفوا بعد ذلك الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم وأما كان من أمر بيبرس فانه أقام عند السيدة وقد صار أمير بيتها والامر والنهي بيده لا بيدها فهذا ما كان من أمره وأمرها وأما على فانه أخذ المائة دينار ومضي الي بيته وسأل زوجته عن ما جرى من الاضرار فقالت له قد جرى من الامر ما هو كذا وكذا واخبرته بالقصة من أولها الى آخرها وكشفت له عن باطنها وظاهرها فاغتم لذلك وأخبرها بما كان من أمر أخته وبما قالته وفعلته وكيف انها كتبت مالها له فسار وا الاثنين فى هم كبير وجعلوا يلومون بعضهما على مثل هذا الامر الخطير وأما الامير بيبرس فانه مقيم على باب المكان فى بعض الايام وهو فى غاية من الحظ والامان اذ

قد اقبل رجل فداوى وصحبته رجل دلال وبيده قوس ر سو يدلل وينادي عليه فلما عاين ذلك صاح على الاثنين فاقبل اليه فلما حضرا بين يديه قال لهم ما هـذا قالوا قوس نريد بيعه ونأخذ ثمنه فقال لهم وكم يساوي قالوا له خمس مائة دينار فتأمله بيبرس فاعجبه فاجلس الاثنين الي جانبه وأخذالقوس وطلع به الى امه وقال لها يا أمى انى أريد أن اشتري هذا القوس قالت له هو لمن قال لرجل فداوي قالت وما يكون ثمنه قال لها خمس ماية دينار فلما سمعت السيدة ضحكت وقالت له يا ولدي هذا قيمته الف دينار ذهب وما يبيعونه بثمن بخس مثل هذا الا لسبب وأي سبب واني قدعرفت السبب اعلم ان الفداوية لهم عادات وهو اذا باع لك هذا القوس بخمس مائةدينار يأخذباله من المكان والدار فاذا جن الليل بالاعتكار ياتى فيأخذ كل ما كان في الدار ويأخذ قوسه ويرحل الى حيث أراد فيبيعه لمن نظره من العباد وهذه صناعتهم ومن الرأي انك تأخذ القوس وتأخذ معه الثمن وتدفعها الي صاحبه لتكون على مالك مؤتمن ويرى ان هذا جميل وتأمن من غائلته باذن الملك الجليل واعـلم يا ولدي أن أن عندي أعظم من هذا القوس ثم انها نهضت قائمة وأخذت بيبرس الى قاعة وقـد فتحت له الباب فرأي في ذلك القاع اتساعا فتأمل يراها مليانة قوس ونشاب من الباب للمحراب فلما عاين ذلك تعجب غاية الاعجاب وقال لها ياأمي من أين لك هذا قالت له ياولدي اما تعلم انى فاطمة الاقواسية وماسميت بذلك الا لان ابي كان يصطنع القيسان فسمينا بذلك الشان وسمى بيتنا بيت الاقواسي ثم قالت له ياولدي هذه القاعة بين يديك وكل مافيها وهبة امنى اليك تخدمنا ما تزيد ولا تنظر لما تري مع الاحرار والعبيد فعند ذلك فرح بيبرس الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد وقبـل يد أمه وعاد بالقوس والدراهم الى عند الفداوي فلما رآه الفداوى تزحزح له مى مـكانه وأجلسه الى جانبه وقال له هل اعجبتك القوس ام لا فقال له نعم ولـكنى أريد أن أسألك فقال له سل

ماتريد قال له ما اسمك قال له اسمى المقدم عاصف بن بحر المرقب من قلعة المرقب فقال له أهلا وسهلا ومرحبا بك نخذ ثمن القوس خمساية دينار وخذه اليك هدية كريم لا يرد في عطاه وهـذه عشرة ذهب للدلال وبعد ذلك فمى عليكما السـلام فلما سمع منه ذلك المقدم عاصف بن بحر المرتقب قال له لقد غمرتنى بجميلك ولابد أن يكون لك مثله ثم انه صافحه وضمه الي صـدره وا كل معه الزاد وساروا الاثنين أهل محبة ووداد وبعد ذلك ودعه وسار الي حال سبيله وهو شا كر لافعاله وحسن جميله فهذا ما كان منه

قال الراوي واما ما كان من بيبرس فانه بات تلك الليلة حتّى جاء الصباح وأضاء الـكريم بكوكبه وطلعت الشمس من بطاح الي بطاح وسلمت على زين الملاح وانتبه من رقاده ومنامه وصلى لله فرضه وقرأ شـيئاً من كلامه وسار يمشى واذابه يرى شخصا يدلى حبلا من طاق من سطح ذلك المكان الى الاسفل فقال له ما هذا قال له اعلم أن هذا المـكان فيه جواد من ارقى الخيول الجياد وهو لابى السيدة فاطمة سيدى حسن الاقواسى وان ذلك الجواد لا يقدر احد يركبه من عهد ماتوفى صاحبه بل تركناه فى ذلك المـكان من شدة جبره لانه قتل خمسة من السياس ولم يقدر عليه أحد من جميع الناس ونحن في كل يوم ننزل له أكله وشربه من هذا الطاق وهذا السبب الموجب لذلك وحق الملك الخلاق قال فلما سمع بيبرس ذلك قال له واين المفتاح الذي لذلك المكان قال له هاهو ياصاحب الكر م والاحسان فأخذ بيبرس المفتاح ونزل وفتح الباب افتتاح وتامل فى الجواد فوجده فتنة للعباد هذا وقداحمرت عيناه وضرب برجلاه ريداه وهمهم علية واراد ان يقطع الركابات والسلاسل والشباحات ليقضى عليه وقد علم منه بيبرس ذلك فعلم انه جواد صادق كريم الغرة عظم النظرة ململم بحافر كأنه الدرهم مضمر البدن مشمن فى الثمن عزيز الغرة مليح الخطرة كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات صلوا علي سيد السادات

جواد مارأيت له مثال يلوح النور من اعلاه
الخير مدخير في وسط رأسه والشر والله في قدماه
اذا طلب الخيول أصابها واذا طلبوه مادركوا مثراه
يفوق الرياح عند سرآتها ويقلب الغبراء عند لقاه
فيا له من جواد عزيز سبحان من خلقه ومن أنشاه
يسوي من المال الف الف بدره ولو انصفوا ما اقتدر علي ثمناه

قال الراوي فلما عاينه الامير بيبرس ورأى منه ذلك الفعال تقرب اليه وضربه بالسردست العجمي بين عينيه وقد كادأن يقضي عليه ثم صاح بالسايس أين السرج فأتاه به فشد عليه وحزمه بالحزام وسقفه اللجام وأخذه بيده بعد أن فك قيده وخرج به على مكانه وقد خافت جميع أقرانه ثم نهض من لارض وهم همة واحدة فسكن في ظهره وهو كأنه الاسد الغضبان وقال للسايس لا يتبعني منكم أحد حتى أعود فقالوا السمع والطاعة وقدخافوا السياس عاقبة هذا الامر فأخبروا السيدة فاطمة بماجرى من ولدها وما فعل مع الجواد وكيف انه أخذه وركبه ولم يبال به ولا يأخذه خوف ولا نصب فاشتغل قلبها لذلك وخافت لئلا ينم أمر على ولدها وكذلك السياس أخذهم الخوف والوسواس فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي واما ما كان من امر بيبرس فانه ركب الجواد وسار وقد تبطن به في القفار ولما هب الريح في آذان الحصان انفرد في ذلك الوديان كانه النمر الحردان ولم يزل سائر الي أن انتهى الى مغارة في الخلوات فلما وصل الى هناك وقف الجواد بأذن الملك الجواد فوكزه بيبرس بالركبات فلم يتحرك من مكانه فتعجب بيبرس في شأنه ثم انه نزل عنه ودخل الى ذلك المغارة فاعجبته فربط الجواد على الباب ودخل الي صدر تلك المغارة فرأي في داخلها سراج يضيء بالنهار كما يضيء في غيهب الاعتكار من غير أن يدخله دهن الايزار فتعجب غاية العجب ولم يدر لهذه الامور من سبب (يا سادة) ثم أن الامير بيبرس أقبل الي داخل

المغارة فوجد فيه باب من الحجر وفي وسطه حلقة من الحجر فقبض على تلك الحلقة بقصد الفرجة عليها فلما رفعها بيده وتأملها بنظره وقد تركها بعد ذلك فسقطت من يده وقد ضربت الباب فكان لها دوى مثل دوي البحر في الاذان فلم يشعر الامير بيبرس حتى تصايحت الخدام من داخل المكان وقالوا من الضارب لهذا الباب من غير اذن الاصحاب شلت يداك وشمتت فيك أعداك فمن أنت ياولد الزنا حتي طرقت كنوز الكهنا ارجع أيها الضارب لئلا تحل بك المصائب واعلم ان هذا المكان ما لاحد عليه سبيل من جميع الانام الاغلام يقال له محمود العجمي الخوارقي الدمشقي فهو الذى معدود له الدخول وحصول المأمول والقبول

قال الراوي فلما سمع بيبرس ذلك صاح أنا صاحب هذا الحسب والنسب من دون الاعاجم والعرب فباداه الخادم من داخل ذلك المكان ادخل لا بأس عليك (ياسادة) قد دخل الامير بيبرس وقد افتتح له الباب وفهم كل الخطاب فلما صار من داخله رأى شخصا راقد علي كاهله وهو على سرير من الذهب الاحمر يكاد أن يأخذ البصر ثم رأي من حواليه اربع خدام كل واحد منهم كانه الاسد الضرغام فلما رأي هؤلاء الاقوام أهداه الملك العلام فبسط يديه وقرأ الفاتحة وأهداها الى روح النبي صلى الله عليه وسلم ثم الى روح خادمين الكنز ان كانوا مؤمنين

(قال الراوي) فاتم القراءة حتى تحرك الخديم وقام على الاقدام وقال له انت بيبرس قال نعم قال له انت محمود العجمي الدمشقي ابن السيدة من ارض خوارزم العجم قال له نعم فقال له أنت صاحب الامارة وقد دلت عليك الاشارة لانك موعود بنا ونحن موعودون بك في هذه الساعة وان لك عندنا حاجة وبضاعة ولنا عندك صناعة فما هذا الذي بيدك قال له هذا سردست عجمي قد أخذته من رجل رفضي ذمي فحدثه بالقصة من أولها الي آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فقال له أنت صاحب القدر العالى والكوكب المتعالى ولكن

ضع هذا الذى بيدك عند راسى ليكون علامة بينك وبيني ولا تنسى ذلك ابدا مادمت فى دار الدنيا واحفظ هذه الوصية منى فقال له سمعا وطاعة ثم انه وضع السردست من تلك الساعة فقال له الخادم افتح هذا الدولاب ترى شيئا من العجائب وهو لت دمشقي وزنه عشرة أرطال ما حازه قط بطل من الابطال فخذه بدلا عن هذا ولا تأخذ شيئاً غيره لان مالك عندنا الا هذا بعينه فلا تطمع فى الاموال ولا تنظر الى الجواهر الغوالى ولا تأخذ الا ما أمرتك به والسلام وان خالفت حل بك الانتقام فذهب بيبرس الي الدولاب ومد يده اليه فانفتح بين يديه وتأمل فرأى فيه ما يحير الناظرين

من ذلك الاموال والجواهر فترك المال والنوال وأخذ اللت الدمشقى العشرة ارطال وعاد وأغلق الباب ورد كل شيء الى ما كان عليه وخرج من المغارة بعد تمام هذه العبارة وتأمل فرأى الجواد واقف كأنه مرسم عليه فلما أقبل الامير بيبرس ومد يده عليه لعبت في عاجل الحال قوائمه ورجليه فركب وصار فى البراري والاكام وهو طالب أرض الشام

قال الراوى فبينما هو سائر فى الطريق واذا قد طلع عليه غبار حتى سد الاقطار فأقبل اليه الامير بيبرس وتأمله واذا هو فارس مقبل عليه فصبر حتي تقرب اليه وناداه هات الغفر يابيه لريحى فقال له بيبرس وقد تعجب غايه العجب ياهذا على أي شيء أعطيك الغفر وانا لا معى بضاعه ولا متجر فقال له على قرعتك وعلى حجرتك وعلى تبديلتك التي أنت لابسها فقال له والذى لا يعطى غفر ماذا يجرى عليه فقال له احاربه وآخذ روحه من بين جنبيه أو آسره رهينة على الغفر وما ينفذ من يدي الا ان كان قصور فيفوز لاجل شجاعته وتحميه منى همته وفروسيته فقال بيبرس والله ياوجه العرب الكرام لقد نطقت بعافيه المصلحة من الكلام وانى قد رضيت بتلك المرام فخذ حذرك فى الهجام واهتم

بي كل الاهتمام فاني لك خصم من الاخصام

قال الراوي ثم انطبق الاثنين كانهما جبلين وافترقا كانهما بحران وتناطحا كانهما كبشان وخرج من ايديهما ضربتان وكان السابق بالطعنة الخيال فزاغ عنه الامير بيبرس فى عاجل الحال واعتدل أي اعتدال وضرب هذا الخيال باللت المشرة أرطال فارماه الى الارض كالجدال ونزل عن جواده وأوثقه كتاف وقوي منه السواعد والاطراف وقد وضع رجليه بين كتفيه وغل بالحبال يديه واذا بثلاثة أقبلوا من كبد البر عليه يريدون ان يحموه ومن يد خصمه يخلصوه وقالوا له حايد عن أخينا فهجم على الاول منهم فرماه والثانى الحقه باخاه والثالث كاد يعدمه الحياة ثم شد الجميع كتاف وقوي منهم السواعد والاطراف وركب جواده وقادهما أسارى وبين يديه حياري فقالوا له يافتى أصنع المعروف والجميل فانه لايضيع عندنا بطول الدهر الطويل فقال لهم انى أريد أن أدخل بكم الشام وأذيقكم العذاب والآلام وأفلق منكم الهام وابري منكم العظام وأصلبكم على الشجر ولا تأخذوا من أحد غفر مادام الشمس والقمر فقالوا له يادولتلى ان من فعال الكرام أطعام الطعام ووفي الزمام والتعطف على الارامل والايتام فتعطف علينا وأعطنا زمامك فما منا الا من يكون خدامك فقال لهم من تكونون من العرب وأهل المنازل والحسب فقالوا له نحن يقال لنا القبايا تيه ونحن بدنة كاملة من وادى قبا ونحن خفراء الدرب وعدتنا أربعة وستون نفرا أكابر القبيلة والمحضر ونحت يد كل واحد منا المائة والمائتان ولنا على عيسى الناصر بالشام كل سنة أجرة الغفر عشرة آلاف دينار نأخذهم وننفقهم على الاطفال الصغار ونقسمهم بين الموالى الكبار ولم نؤذى أحدا فى الطريق ولم يحصل منا تفريط ولا تعويق وهذه عادتنا فى كل عام يازين المجالس ونجل الكرام فلما كان هذا العام توجهنا الى عيسى الناصر باهتمام وطلبنا مالنا عليه فى كل عام فتكلم معنا بغليظ الكلام وقال لا أدفع لكم شيئا من الطعام فقلنا له تدفع الغفر والا

حل بك منا الضرر و ننهب فى البر كل من الينا أتي حتى يصل الخبر الى الملك الاكبر فاما ان يدفع الغفر وأما ان ينظر له معنا أثر فقال لنا أفعلوا ما بدا لكم وخذوا كل ما طاب لكم ولا تبقوا على من ترونه وكل ما طاب لكم خذوه فعند ذلك وقفنا فى الطرقات السارحات والمروحات وكل من رأيناه سلبنا ماله وأخذنا منه نواله وذلك لان مالنا اكتساب غير هذا الباب ولم نزل علي هذه الاسباب حتي أتيت أنت البنا وحاربتنا وسألتنا عن حالنا بعد أن أسرتنا فاعلمناك بأمرنا وهذه قصتنا وحق من خلقنا وسوانا

قال الراوي فلما سمع الامير بيبرس من الاربعة هذا المقال قال لهم تريدون ان تخدموا عندي وتأخذوا امالكم من الاموال من يدي قالوا نعم ما رأيت وانا نار ضينا بما قدار تضيت فعند ذلك حل كتافهم واعطاهم الامان والذمام فقبلوا ايده وقد رضوا بالخدمة عنده وسار واحد منهم وعاد بباقي رفقائهم ثم أخذهم الامير بيبرس وسار طالب الشام وقد فرح بذلك المرام ومن كثرة فرحه والاستبشار جعل يترنم بهذه الاشعار وهو يقول صلوا على طه الرسول

لقد عطاني ذو الجلال مهابة	ولطفا واحسانا وجودا عميما
واوهبنى رزقا حلالا طيبا	وابرأ سقامي وقد صبحت سليما
وخلصنى ربى مما فيه من العيا	وأوهبنى عزم أربعين كريما
وسيرلى فى قلوب العالمين مودة	وازاد بينهما فخرا مقيما
واحبوني الرجال وكذا النسا	وزاد مجدى وأضحى قويما
وشرفنى رب العباد بفضله	وعزي ساد بعد ان كان قديما
ونجاني ربى من يد ظالمى	حيث كنت لديه خديما
وما دعا لي ابدا زمام عهد	ووالله انه دون العباد يتيما
ووقعت فى يد أناس زاد قدرهم	وزادهم ربى اعزازا وتعظيما
وحزت أموالهم سمحوا بها	وأوهبوني مواهب التكريما
فسرت الي الجواد حقا وقدته	وركبته جنح ليل بهيما
وسرت به الى ان تضاحا	النهار رأيت كنزا عظيما
تركت به السردست عمدا	واخدت منه آلة نعم عنيما

ولاقيت ذا الاشراف حقا وقد اخذتهم عندي ونعم خديما
فيارب انصرني على باقي العدا واجعلني أبيد بسيفي كل لئيما

(قال الراوي) فلما فرغ الامير بيبرس من نظامه وماقاله من كلامه شكروه السادات القبابانيه ولم يزالوا سائرين معه بالكلية الى أن أقبل الى بيت أمه فطرق الباب بعزمه وكانت أمه مشغولة القلب حائرة البال من حين اخبرها السايس بأنه أخذ الجواد كما ذكرنا فلما رأته اطمأن قلبها وفرحت بمجيئه اليها ونزلت هى بنفسها وفتحت الباب بيدها ولما دخل أخذته على احضانها وسألته عن قصته وما كان فى نوبته فحدثها بما جري من أول الامر الى آخره وكشف لها عن ظاهره وباطنه وكيف دخل الكنز وأخذ الت الدمشقى وكيف استخدم الرجال من بعد الحروب والدحال فقالت له ياولدي فتوح خير ان شاء الله تعالى اللهم افتح بخير واختم بخير ثم انها دعت له وصاحت بالسايس يأخذ الجواد فأبي وخاف منه فربطه الامير بيده وهيأ مكانا الى القباباتيه وأقاموا عنده بالكلية ورتب لهم المعاطى الثنية واعد لهم الخيول العربية ووافا لهم الزمام فعاشوا عيشة هنيئة فهذا ماكان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ماكان من أمر بيبرس فانه تداولت عليه الايام وهو مقيم عند أمه السيدة فاطمة بنت الاقواسى مدة من الزمان فيوم من الايام فبينما هو جالس ضاحك ليس عابس اذ اقبل عليه أربعة فلاحين وهم نحوه قاصدين فلما تقاربوا منه سلموا عليه فرد عليهم السلام وأكرمهم بكل الاكرام وأجلسهم الى جانبه وكلنهم اعز حبائبه وسألهم عن حالهم وما جاءوا فيه من أمرهم فقالوا اعلم ايها السيد الهمام اننا فلاحين سرجويل المهري شريك السيدة فاطمة في الالتزام ولها شركة فى غلال وقد أرسلنا اليها لاجل هذه الاحوال ثم اعطانا كتابا وقال لنا سلموه الى السيدة فاطمة وأتونى برد الجواب الذى معكم حتى أنظر ما فيه وأعرف كامل معانيه فسلموا الجواب

محله وقراه وفهم رموزه ومعناه وقد رأى أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الملك القريب المجيب خطابا من عند سرجويل المهرى الى بين أيادى السيدة فاطمة بنت الاقواسى الذى نعلمك به اننا نريد ان نشرع في الافراح فى مثل هذه الايام الملاح ونكلل اكليلي على ابنتي واخذ القمح حصتك وحصتى في هذا العام لاجل المعاونة على الافراح العظام فاذا جاء العام القابل خذى القمح الذى يطلع من الارض كله ويكون عوضا عن الذى اخذناه وفي محله وهذا ما استقام عليه الكلام وحق الصليب والاصنام

(قال الراوى) فلما سمع بيبرس هذا الكلام وقرأ ما في الكتاب من المرام قال لهم هذا شيء لا يكون وحق من لا تراه العيون ثم سطر لهم رد الجواب يقول الذى نعلم به سرجويل ان هذا شيء مخادعة وتحويل ولابد من انقسام الغلال وكل من له شيء يأخذه على كل حال ولا يتم غير ماذكرناه وفى رد الجواب سطرناه ثم ختم الجواب وأعطاه للقصاد وأمرهم بالذهاب وقال لهم ان شاء الله الملك المنان انا لاحقابكم غدا الى الاوطان وهذا ما عندى من الامر والشان فاخذوا رد الجواب وساروا قاصدين الرحاب فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من بيبرس فانه اعلم أمه بما جرى وبالذى تم له وطرا فشكرته على فعاله وما عمل من أعماله وقالت ياولدى انت من المسعدين وقد جعلك ربي من الفايزين فاذا كان من الغد تركب وتسير الى صفد وتأتى بقسمنا وما يخصنا من الارض فقال لها السمع والطاعة فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من أمر الفلاحين فانهم لم يزالوا سائرين والى صفد طالبين حتى دخلوا على سرجويل وقد أعطوه رد الجواب من غير تطويل فلما قراه وفهم مافيه من معناه غضب وزمجر وشخر ونخر وسب الشمس والقمر فقال له وزير ميمنته لا تغضب ايها البطل الهمام فالامر أقرب من هذا الاحتزام وكان هذا ابن اخت سرجويل وهو صاحب مكر وتحويل لعين مكار عنيد جبار لا يصطلى له بنار ولا يعد له جار وكان

يقال له ظنيط اعلم انه اذا اقبل وكيل السيدة فاطمة ليأخذ الغلال اعمل انا كيال وأدبر عليه المكر والاحتيال فقال له سرجويل وقداعجبه هذا الكلام النبيل وما الذى تصنع قال له سوف ترى مايسرك وترى بعينك مايزيل همك وحزنك ثم صاح ظنيط على الفلاحين فأتوا اليه اجمعين فقال لهم ائتونى بالخيش واجعلوه صنفين اسود وابيض فالاسود لنا والابيض للمسلمين وانا اكيل الغلال بيدى واعطيهم بمعرفتى وقصدى وا كيل فى الخيش الاسود ثلاث او اربع وأكيل لهم كيلة واحدة فى الخيش الابيض وهذاماصنع ليكون الذى يخصهم العشر وما ياخذون اكثر منه وقد انفصل الامر وهذا مادبرته والسلام (قال الراوى) فلما سمع سرجويل من ابن اخته ذلك قال له هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ولما تقرر الحال بينهم على مثل هذا المثال جعلوا ينتظرون قدوم بيبرس فهذا ما كان من أمرهم واما ما كان من امر بيبرس فانه لما أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح ركب والرجال القبابانية بصحبته وسار معهم بهمته حتى الى صفد وجاوز البلد وقصد الحرث ووقف هناك وارسل إعلم سرجويل بحضوره فارسل ظنيط الكيال فصبح على الامير بيبرس بلغته فرد عليه بيده وقال له انت الكيال قال نعم ياسيد الرجال قال له اقسم ذلك الغلال فصاح ظنيط فى عاجل الحال على الرجال فأتوا بالخيش الابيض والاسود في الحال فقال ظنيط ياسيدى الابيض لكم والاسود لنا فقال بيبرس حتى ابصر واشاهد وارى مايسير فسار ظنيط يكيل ربع او اثنين في الخيش الابيض وعشرة فى الاسود كل هذا يجرى وبيبرس ينظر ويرى فلما فرغ من الكيل وقسم الغلة قسمين في الابيض والاسود عيان ثم قال له ياسيدى خذ الخيش الابيض متاعك وسر فى امان رب الانام المسيح يحرسك ويتعطف عليك ويرحمك فقال له يامعلم خذ انت الابيض وانا آخذ الاسود فقال له اللعين هذا أمر منكر ولا يصح ابدا نخذ الابيض فقال له بيبرس لا آخذ

الا الاسود فقال ظنيط وقد أرما الخزية من على رأسه وازعج حواسه والحمق لما علم أن الحيلة ما تمت ولا نفعت انا ما أعطيك الا الابيض فقال له بيبرس ان لم تطاوعني تركتك ممدودا ولا أعطيك أبيض ولا أسود فعندذلك زمجر اللعين وشخر وسب الشمس والقمر وبربر بكلامه وعثر بلسانه فلما شاهد الامير بيبرس فعاله وما نطق به من مقاله صاح بعلو صوته يارجال فاقبلت اليه القباباتية كأنهم أسود الدحال وتبادروا اليه فى عاجل الحال فقال لهم أحملوا الغلة على الجمال والبغال ولا تتركوا فى هذا الواد لهم عقال فعندها مالت الرجال على الاحمال لحملوها وعلى ظهور الجمال رفعوها وبالحبال أوثقوها وقال لهم سيروا بها الى ديارنا ولا تخشوا سطوة هؤلاء اللعناء فاجابوه بالسمع والطاعة وصاروا كما أمرهم من تلك الساعة فهذا ماكان من أمر هؤلاء

قال الراوى واما ما كان من أمر ظنيط فانه لما رأى هذا الفعل القبيح رجع وهو يصيح ويقول واي واى أخذوا الغلة والجمال ولا تركوا عندنا ولا حبة من الغلال ولم يزل على هذا الحال حتي وصل الى سرجويل وشكى اليه هذه الفعال فقال له سرجويل ما الخبر فاخبره بالقصة على الاثر وقد بالغ فى الكلام وقال له ان الرجل الذي اتى سبنا وشتمنا ولا بلغت منه مرام ولولا أنى تركته يفعل هذه الفعال ويعمل ما يريد من الاعمال لكان أورثنى شراب النكال ولولا هروبى من بين يديه لكان قتلني وأعدمنى روحي واهاننى

قال الراوي فلما سمع سرجويل المهري هذ الكلام سار الضياء فى وجهه ظلام والتفت الي أخيه عبد الصليب وقال له خذ لك بطرية وسر به فى الطريق على أثر هذا الغلام وأقتله وانهب ما معه قبل وصوله الى الشام وأقطع رأسه بالحسام وخذ معك ظنيط يعرفك هذا الولد ابن اللئام فقال عبد الصليب السمع والطاعة ثم أنه ركب من تلك الساعة وسار بمن معه من الجماعة وهو على جهة ارض الشام يجد المسير في طلب الامير

ببرس الهمام ولم يزل على هذا المرام حتي أدرك بيبرس في وسط الاكام ولما وقعت العين على العين نظروا الى بعضهم الطائفتين صاح عبد الصليب على رفقاه دونكم وأياه اين تنجوا بالهرب وانا خلفك في الطلب فلما رأى ذلك بيبرس فهم المعنى وصاح عليهم وزجر وقال الله اكبر الله اكبر فتح الله ونصر وخذل اللئام الكفرة بدين محمد القمر ثم أنه تكبب وارتمى وقرأ آيات معظما واكحل الكفار بمراود العما وقد أدركوه القباباتية وحاموا عليه أوفي حمية ووضعوا السيف البتار في أعناق الكفار وحمى البروثار الغبار وعميت أعين النظار وبطي غراب البين الغدار ونادى على المشركين بالبوار ولم تكن ألا ساعة من النهار وقد قتل مائتين وخمسين من الكفار الملاعين وما كان قصد بيبرس الا ظنيط اللعين ولم يزل يخرق الصفوف ويلوح الانوف حتى أدركه وضربه بالحسام من غير ان يبدى كلام اطاح رأسه عن الهام عند هذا تقهقرت اللئام وتأخروا عن الصدام وزعق عليهم غراب البين بالانهزام وصاحوا يالويل وقد عدموا القوي والحيل وقد نظر عبد الصليب الى تلك الاعاجيب فاراد الهروب واذا بالامير قد لحقه بضربة ساحقه فكانت لعمره ما حقه وبجسمه خارقه وقد خرقت ما عليه من زرد وطارقة فلما نظرت الكفار ماحل بظنيط من الاضرار وشرابه كاس البوار وكذلك عبد الصليب الغدار ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتركوا ما معهم من الاسلاب والغنائم الكبار هذا وقد رزق النصر وذهب عنه الباس الامير بيبرس فامر رفقاه بلم الاسلاب والخيول من الفلاة ثم بعد ذلك سار بيبرس طالب الشام وقد صفى وقته دون كل الانام ولم يزل على ذلك الاهتمام حتى دخل الى أمه فسلم عليها وحكي لها على ما كان من أمره فدعت له وشكرته وقالت له ياولدى الله يرزقك النصر على جميع البشر فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى واما ما كان من أمر المنهزمين فانهم مازالوا فى هزيمتهم

الى ان وصلوا الى محل اقامتهم وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور وهم يصيحون بعلو أصواتهم ينادون بلغاتهم ويقولون ياخسارة ياظنيطه يانطاط الحيطة والباقين ينادون بدمع صبيب ياخسارة عبد الصليب فلما رأى سرجويل ذلك اشتدت به المهالك وقامت عليه القيامة وعاد على نفسه بالتوبيخ والملامة ورما جميع ما كان على رأسه وشق حوايجه ولباسه لانه قدعدم أساسه وفارق أهله وجلاسه وسار يلطم ويقول ياخسارة ياظنيطا انت وعبد الصليب ثم بعد ذلك التفت الي المنهزمين وقال لهم من الذي فعل بكم هذه الفعال واسقاكم كؤوس الوبال فقالوا له غلام يسمي بيبرس وصحبته رجال رؤياهم تقرب الآجال غير انه أعد جميع الرجال الى الحمال والاغلال والنقانا وحده وهجم علينا بمفرده واسقانا الموت الاحمر من صارمه الهندى الابتر فقال لهم انتم بشانين وما تعدوا عندى فلا يبين فالمسيح يقصف أعماركم ولا يرحم صغيركم ولا كبيرهم ثم أنه صاح على كامل رجاله وما عنده من ابطاله وقال في مقاله الخيل ياغنادره فركبت الرجال وكانت عدتهم مائةالف فارس كلهم ليوث عوابس من كل مدرع ولابس ثم ركب اللعين سرجويل على جواده النبيل وقد ارتفع الشنيار على رأسه وسار فى كامل أهله وناسه وهم هذه الكرة وقد عزموا الجميع على المضرة ولم يزالوا قاصدين ارض الشام حتي وصلوا اليها من البراري والاكام فلما نزلوا برجالهم وبلغ الخبر الى عيسى الناصر شرف الدين بركوبهم خاف علي البلدولم يدرماالسبب في هذاالامر العجب ثم أنه أمر بغلق الابواب فأغلقوهاوالمدافع فضربوها وحصنوا البلد خوفاعلى أهلها من موتها أو نهبها ولما رأى سرجويل الي هذا الامر النكيل كتب كتاب وأعطاه لسيار من جملة بطارقته وقال له سر الى باشت الشام واعطه الكتاب وهات لي منه رد الجواب وذلك بعد ان حط على حدرمى النار ومنع الخطار عن المسير والسفار ياساده وقد سار السيار بالكتاب حتي وصل الى الابواب فطرقها فصاحت

عليه رجالها وحراسها وقالوا له ما تريد ومن أنت من الرجال الاجاويد فقال
لهم أنا سيار وحامل كتاب وأريد رد الجواب من باشت الشام فاستأذنوا عليه
عيسى فى الدخول فاذن فدخل حتى وقف بين يديه فقال له ما معك من الاخبار
فاخرج كتاب وناوله له بين الاصحاب فحله نائب الشام وقراه وقد وجد أوله
صليب وآخره وأعلاه خطابا من سرجويل الي بين أيادي باشت الشام وحق
المسيح الطيب النفيس والآلهة والاصنام اذ لم تخرج لي خصمى الذي قتل
أخي وابن أختي الي عندي لارحل من أرض الشام حتى آخذ بثاري من
الاخصام ولو أقمت عليها عشرة اعوام وأنا ما لى عندك حاجة وما حاجتي الا
بيبرس فلا تكثر اللجاجة ولا أنا طالب غير ذلك فانظر في عاقبة أمرك تشكر المسيح
قال الرواي فلما سمع عيسى شرف الدين بذلك الامر المهين قال وأنا ما لي
بهذا السؤال وما لي الا أريح نفسى وأخرج لهم خصمهم على كل حال ثم انه
أنعم على البطريق وأعطى له رد الجواب من غير تعويق فسار السيار ومعه رد
الجواب الى أن وصل الى سرجويل وأداه الرسالة بلا تطويل فقرأها واذا فيها
من نائب الشام الي بين ايادى سرجويل اعلم أنى ما لى ذنب ولا سبب ولا لى
زراعة فى وسيع السبسب ولكن سأخرج لك الخصم من الديار وأبعده عن
الاوطان وتراه بعينك فى الخلا والرمال وهذا ما عندي والسلام فلما قرأ
الكتاب فرح بما قاله نائب الشام وجعل ينتظر حضور الاخصام فهذا ما كان
من أمر هؤلاء قال الراوى وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه جالس ولم
يتفكر فى مثل ذلك اذا أرسل اليه أربعة من طرفه فسلموا عليه وقالوا له أجب
نايب الشام لانه يريد أن يذكر لك كلام فقال بيبرس السمع والطاعة وقام من
تلك الساعة القباباتية الى أن وصل بهم الي الشام وترجلوا عن الخيول ودخلوا
الى الديوان فلما رآه عيسى الناصر نهض قائما على الاقدام وتلقاه بالمخادعة والاكرام
وألان له الكلام ثم أجلسه الي جانبه وانه من اعظم حبايبه ومن بعض أقاربه وبعد

طاب المقام جاد بالطعام فاكل معه الزاد واصفي معه الوداد ولم يعلم بيبرس بانه اللئيم كياد من اهل البغي والعناد ثم انه باسطه في الكلام واخذ يحادثه بزخاريف الاقوال وقد قال له يا ولدى الذى اعلمك به ان هذا اللعين ما اتي ها عنا الا بسببك وماركب علينا الا لاجلك لمافعلت فيه من بعض فملك والحمد لله الذي نصرك على عدوك وسوف ينصرنا الله على الجميع الرفيع منهم والوضيع ولكن يا ولدى انى اريد ان القى الهيبـة فى قلوبهم وأمكن الرعب في فؤادهم وارد كيـدهم في نحرهم وقد نظرت فى امرهم ودبرت حيلتى بسببهم واني اقول بالحيلة نأخذ سلبهم وننهبهم ونخمدار واحهم فقال له بيبرس ياابي وكيف ذلك أخبرنى نجاك الله من المهـالك فقال اعلم يا ولدى انى اريد ان تركب جوادك وتمتد بعدة جلادك وتخرج من باب الشام فى عساكرك واجنادك وأنا ورجالى على اثرك ولا ادعك لمثل هذا الامر وحدك غير انى اصبر بعـد خروجك الى ان يصـلوا اليك ويطبقوا بكليتهم عليك فاحتاط بهم انا والرجال ويصـيروا فى اوساطنا من غير محال فنفنيهم ونسقيهم شراب الوبال فماذا تقول في هذا المقال فقال بيبرس وقد ظن أن ذلك حقا وما قاله فهو صدق ومايعلم انه وزرومحال ودهاء ووبال يا أبى على الرأس والعين فانت الآخر عندي مثل الروح التى بين الجنبين ثم نهض بيبرس فركب جواده واعتد فى جلاده ولم يعلم ما خبئ له عند صاحب الارادة ومدبر المشيئة والسعادة وكذلك رجاله ركبوا خيولهم وساروا معه باسرهم ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا ابواب الشام وخرج بيبرس برجاله وابعـدوا عن الابواب ونظر الامير بيبرس الى خلفه فوجد ابواب الشام قد اغلقت فى ظهره فاحس بالمصيبة قلبه وعلم أنها حيلة وقد افتكر فى ذلك ساعة طويلة قال الراوى وكان السبب فى ذلك أن عيسى شرف الدين اخبر البوابين وامرهم بغلق الابواب بعـد خروجه والتمـكين فاجابوه الى ذلك سـامعـين مطيعين فلما خرج الامير بيبرس غلقوا دونه الابواب وبقى وحيد فيمن معه

من الاحبـاب وقد ذكرنا ان اللعين سرجويل معه مايه الف فارس نبيل فلما ايس الامير بيبرس من نجدة شرف الدين سلم امره الى رب العالمين والتفت الى من معه من الاصحاب وقال لهم يا اخواني قد تمت المكيدة وارماها هـذا الرجل بالحيلة والرأي عندي اننا نموت كرام ولا نعيش لئام فالجنة تحت ظل السيوف فكونوا على الحملة عازمين ولا تفرطوا في انفسكم لاعداء الدين فقالوا له ايها السيد الهمام ما منا الا من رام هذا المرام وقد عزمنا على الثبات حتي تفنى ارواحنا بالمرهفات فعندها ما دبت فيه النخوة ظن انه يلقي الكره وحده ولا يبالي بالكفار ولو كانوا في عدد الامطار هذا وقد نظر اللعين سرجويل الي بيبرس وقد خرج من الابواب صاح في الرجال دونكم وهذا الغلام الفشار باخذ الثار وجلى العار عندها نهض الرجال علي الخيول فدلبوها وطلبوا المنايا واقتحموها واصطفت الصفوف والمئات والالوف هذا وقد قصد الامير بيبرس رجاله وصف ابطاله فلما رأى سرجويل اعماله فعل كفعاله وصاح على البطارقة بالخروج فخرج الى بين الصفوف بطريق كأنه الفتيق بطل عابس وفي الحديد غاطس وعلى رأسه بيضة عادية وردية داودية وهو راكب على جواد اصفر من الخيل الغرر عالى مضمر اذا طلب لحق واذا طلب لم يلحق ولما توسط الميدان لعب بالسيف والسنان وبربر بلغة اللئام يعنى دونكم والميدان فعندها اراد رجل من القبابانية ان يخرج الى هذا اللعين وتذيقه المهنة فاقسم الامير بيبرس علي الرجال ان لم يخرج غيره الى الرجال ولا احد يقول عنه حاس الا اذا انجهلت الوقعة وكثرت الناس ثم انه نزل الى الميدان ولعب بالرمح والسـنان فلما رآه هـذا اللعين ابن الشيطان هجم عليه وصوب حربته اليه فسبقه الامير بيبرس بالحسام اطاح رأسه عن الهام وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت اللئام تلك الضربة هابوه وتاخروا عنه وخشوه فصار يدلل على نفسه ويطلب الميـدان وخـروج الشـجعان وسرجويل متحـير في هـذا الامر والشـان

يريد أن يخرج اليه بنفسه ولكنه يخشى المعارة من أبناء جنسه هذا وقد صاح فى الميمنة وأمر بالخروج اليه فخرج اليه بطريق كأنه النخلة السحوق فما خلاه أن يكر فى الميدان ولا يلعب برمح ولا سنان دون أن ضربه ضربة جبار أرمى رأسه على الاحجار وأسقاه شراب الدماء ولم يزل يقتل واحداً بعد واحد حتى قتل اثنى عشر فارس من الرجال القناعس فلما نظر سرجويل الى ذلك خاف من شرب كاس المهالك وصاح على الرجال بالحملة وكان هو من الجملة وقال احملوا بكليتكم عليه واخرجوا روحه من بين جنبيه واهلكوا رفقاه واعدموهم الحياة فعندها انهز السنيار وحمل سرجويل أول المشوار وأقبلت الرجال القبابانية الاخيار فسار سيدهم على الاشرار وأما الكفار فانهم داروا بالجميع عشررة أصوار فلما رأى بيبرس الى ذلك الاضرار وما حل به وبمن معه من الاهوال الكبار تبسم وهو فى شدة الكمد وأخفى عن الرجال الكمد وأظهر لهم الجلد وأنشد هذه الابيات

اليوم يوم السهزاهز فاصبروا الي ياعصبة الكفار
وانظروا عزمى وحزمى وهمتى سألقيكم على الاحجار
اليوم أريكم ضرابا وطعانا يقصر الاعمار
واطلب النصر من خالقى الملك المهيمن الجبار
وانى لا أبالي بمثلكم لو كنتم فى عدة الاقطار
فدونكم حربى والتقونى وفعلي فيكم كشمار النار
لاقطع الهامات منكم جهاراً وأذيقكم شراب البوار
وفضل مواصلكم بيدي حتى الزنود والاخصار
واني بعد ما أقتل حماكم وافنى جميعكم على البتار
فلا أبالي بالموت بعد هذا وانى اكون قد أخذت بثار
وان عشت عشت سعيدا وان أنامت نعم الدار

شهيداً رشيداً مغازيا على كلمة الاسلام والاقرار
واني أشهد أن الله ربي وحبيبه محمد المصطفى المختار
رماني عيسى معكم بجهله ولكن الحكم لله العلي الغفار
وقد سلمت أمري لرب السما من ينقذ الغرقان من الابحار
توسلت بالهادي الحبيب باهى الجمال بكثرة الانوار
صلى وسلم عليه ربنا دائما ما تعاقبت شمس الغروب صفار
كذلك الآل والصحب الكرام جميعهم والتابعين لهم على الآثار

قال الراوي ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل واللئام تتجندل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل بالاعتكار وانسدل وانفصلت الطائفتان عن القتال والطعان وأوقدوا النيران وباتوا يتحادثون الفريقان هذا وقد افتقد الامير بيبرس رجاله راجعاً أبطاله واذا استشهد منهم ثلاثين وقتل من الكفار ما لم يقع عليه احصاء بعدد الرمل والحصى ولكن لا يبان فيهم لكثرتهم هذا وقد نزل الامير بيبرس خارج أبواب الشام ولا معه مضارب ولا خيام وفى تلك الليلة لم يأخذه منام بل أمن من معه من الرجال على من قتل منهم من أهل الايمان ويدفنهم في التراب فأجابوه الى ذلك وساروا فى المعركة يدورون على رفقائهم وكانوا يستدلون على الشهيد بروائحه الزكية التى تفوح من بدنه كأنها المسك الاظفر ومنهم من يوجد انه قد نصب على رأسه عامود من النور هذا وقد دفنوا الجميع وعادوا الى عند الامير وأعلموه بذلك فقال الحمد لله رب العالمين على السلامة والاقامة والشهادة والسعادة فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر سرجويل فانه سار يلطم وجهه بالنعال ويسب اللئام وأهل الضلال ويقول هذا غندار وما معه الا قليل من الانفار وقد أهلكوا منكم الكبار والصغار فلاطرح المسيح فيكم بركة ولا خفتكم منه رحمة ولم يزالوا على ذلك الاحوال حتى طلع النهار وأضاء بكوكبه للنظار وركبوا الكفار

يطلبون القتال والبدار فقاتل فيهم بيبرس من أول النهار الى غروب الشمس وكذلك الرجال من حواليه يرون عليه وقدقتلوا من الكفار مقتلة عظيمة يكل عن حصرها العقول السليمة وقد ماتت الرجال القبا باتية عن بكرة أبيهم ولم يبق غير الامير بيبرس وحيد وفى هذا الاسم فريدوحد مولاك قبل أن تبقى وحيد هذا وقد أحمى الميدان اليوم الثالث لكنه قد سار من نفسه أيس لانه بمفرده ومولاه يمينه ويساعده الى أن كان آخر النهار وقد فني ثلثي الكفار فلما رأى سرجويل الى ذلك التطويل قال لمن حوله من البطارقة كل من أتى لي ببيبرس أو برأسه أعطيته مثلها ذهب احمر يلتهب فمندذلك نهض عايق بلاه الله بالمصايب والبوائق وقال له أنا آتيك به فى هذه الليلة وأدبر عليه البلية والحيلة وآخذ ما ذكرت من المطية الجميلة ثم أن العايق خرج من عند سرجويل وطلب البر الاقفر وقور الوادي وطلب بيبرس من جهة أخرى فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر بيبرس فانه لما عاد من الميدان نزل من على الجواد وأكل شيئا كان معه من الزاد ولكنه اشتهت نفسه الرقاد وطلبت عينه حظها من المنام جعل الذى لا يغفل ولا ينام فمند ذلك خاف على نفسه من عدو أن يصطى عليه أو جاسوس من عند الكفار يتجسس عليه فجعل يكابر نفسه ويمتنع من المنام ولكنه غلب عليه التعب والمنام لما حل عليه من كثرة الحرب مع اللئام وقد ذكرنا ان له معهم فى ذلك المرام مدة ثلاثة أيام فلما غاب عليه الكرى وكاد أن يقع من طوله على أديم الثرى فاتى الى خلف باب الشام وربط الجواد في يده ووضع رأسه فنام واستغرق فى المنام فهذا ما كان منه وأما ما كان من اللعين العايق فانه أقبل وكان يقال له عكرتار فرأى بيبرس راقدا على الاحجار ففرح اللعين بذلك وأخذه الاستبشار ثم أخرج منديل مطبق بالبنج الطيار وألقاه على أنفه وهذه ألقاه النوم على النوم ثم انه احتمله على ظهره ووضعه على جواده وهو غارق في رقاده وصفده وسار به الى أن

اقبل الي سرجويل وقال له هاهو الذي قلت عليه فخذ روحه من بين جنبيه فعند ذلك فرح اللعين سرجويل وقد انشرح وكاد ان يغمى عليه من شدة الفرح وقال نزلوه من علي جواده ونشقوه بالخل ليفيق من رقاده ففعلوا ذلك فأفاق الأمير بيبرس من هنا لك فلما أفاق مما هو فيه وتأمل وتبين أمره ومعانيه قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله أين أنا فقال له سرجويل أنت عندي يا ولد الزنا وتربية الامة الخنا فوحق المسيح لا بد أن أقطع رأسك وأخمد أنفاسك وأهدم أساسك واخذ منك بالثار واجلى عن نفسي العار فقال له بيبرس اعلم يالعين ان الفرج قريب والله ينجيني من يدك عن قريب وهو لدعائى مجيب ولكن اخبرني هذا الصيوان لمن قال له هذا صيواني وقد انفقت عليه من مالي واصطنعته بهندسي واهتمامي فقال له ياسرجويل وحق الملك الجليل لا بد من أخذه منك واتركك بحسرته وابعده عنك فلما سمع اللعين ذلك تعجب من قوة قلبه ومن فصاحة نطقه ولبه وقال له يا مرقوص يا كناس انت خلصت من يدي حتى انك تريد ان تأخذ صيواني فقال قدر الله تعالي اذا احسن فى خلاصي واوقعك في قبضتى مايكون فداك الا هذا الصيوان فقال له اذا الفرج قد اتى لك ونلت ما تروم من سؤالك ومقالك ووقعت انا في يدك افعل كل ما بدالك من غير حرج ولا انزعاج ثم صاح اللعين ارموه الى نطعة الدم فارموه وهو مشدود اليد والقدم وقد انتدب السياف على رأسه ولا له من ينجده من أهله وحبايبه وجلاسه غير انه قال بقلب حزين تأخر عني يالعين يا ابن اللعين حتى اطلب الفرج من رب العالمين فضحك اللعين من قوله وصار يهزأ به ويقول له تعالى له يا سيدي فرج ويكررها وقد قال له من أين يحب لك الفرج هـذا وقد قطع بيبرس العلائق من الخلائق وتوكل على الملك الخالق الحي القديم الرازق ورفع طرفه الى السماء وتوجه الى قبلة الدعاء وتضرع الى مولاه ودعا وقال هذه الابيات وجعل يستغيث بهذه الاغاثات يقول

يا من تحل بذكره عقدالنوائب والشدائد
يا من اليك المشتكي واليه أمر الخلائق عائد
يا حي يا قيوم يامن تنزه عن مضاضد
انت الرقيب على العباد وانت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن اطاعك والمذل لكل جاحد
أنت العليم بما ابتليت وأنت فىالحالين شاهد
أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
أنت الرحيم انت الكريم انت القديم وانت واحد
سهل لنا فرجا قريباً يا الهي لا تباعد
كن راحمى فلقد آيست من الاقارب والاباعد
ولم يكن لى سواك رحيم ولا لى غيرك مساعد
فرج بلطفك كربتى يا من له حسن العوايد
نخفى لطفك استعين به على الزمن المعاند
ثم الصلاة على النبى ما خر للرحمن ساجد
ثم الصلاة على الرسول ما دعا للرحمن ساجد
والآل والصحب الكرام اولى المناقب والمشاهد

(قال الراوى) فلما فرغ بيبرس من دعائه وتضرعه الى مولاه الا والفرج قد اتاه وأقبل من بين الرجال رجل يعد من الابطال وضرب السياف ضربة جبار على عاتقه اطلع السيف يلمع من علايقه ثم هجم على الامير بيبرس فقطع اكتافه وقال له قم أيها الخليل فهذا جميل قضاء جميل عندها نهض الامير بيبرس وقدجرد حسامه وهذا الذى اغاثه قدامه يصيح وهو يقول يا كلاب الكفار من فيكم يتعرض لضرب عنقه بالبتار فوحق خالق الليل والنهار كل من تقدم الى لاجعلته

عبرة للنظار ولآخذن رأسه جهار ولو حملتم على باجمعكم ما بليت بمثلكم ولا يأخذني منكم فزع ولا فرار فلما عاينت الكفار هذه الاخبار خافوا من البوار وشرب كاسات الدمار ولا أحد منهم التفت اليه ولا قدم عليه ولا أبدى له خطاب ولا رد عليه جواب وكلهم أموات ولا يقدرون على السماع والاصوات هذا وقد سار الامير بيبرس مع هذا الفارس الى أن تخلصوا من المهلكات وتبطنوا في الخلوات وأمنوا على نفوسهم من شراب المهلكات عندها التفت الامير بيبرس الى هذا المقدام وقال له لقد اكرمت كل الاكرام وأحسنت غاية الاحسان فمن تكون من الاصحاب والخلان واني ما عرفتك الي الآن فاخبرني حتى يزول عني الشك ويظهر البرهان فقال له لقد نسيتني وأنا ما نسيتك وتركتني عن بالك وأنا شاكر جميلك ها أنا المقدم عاصف بن بحر المرقب صاحب قلعة المرقب الذي بعتك القوس فاعطيتني اياه بعد أن دفعت الى ثمنه ومثله معاه وقد اكلت زادك وحفظت ودادك فسألت ربي أن يعينني حتى اكافك على جميلك وأصنع معك مثل ما فعلت معي من اكرامك وتفضيلك فأجاب ربي دعائي وأجاب ندائي ورأيت هذا الخصم وهو ساير بك فعرفت انه ما يسير الا لاجل مكسبه فتبعته وأردت أنكبه ولم أزل أرقبه الى أن كان ما كان وخلصك الديان على يدي من الهوان فالحمد لله على السلامة والامتنان فقال له الامير بيبرس جزاك الله كل خير ودفع عنك كل هم وضير والله ان هذا الجميل بألف جميل فلقد خلصتني من يد العدا وشرب الغليل وهذا الجميل عندي لا يضيع ولا ينسى وحق خالق البرايا وصاحب الجاه الرفيع ومن هو فينا يوم القيامة شفيع لكن اخبرني اين كنت حتى نظرتني وبما نالني خلصتني فقال له يا أخي لقد كنت مرتقبك وأنت راجع من حرب العدا وما آتيت الا آخر النهار وقد رأيتك نمت من شدة ما قاسيت من الكفار فتعجبت كيف أنك وحيد ومالك من أحد عنك يحلمي ولا يفيد فارتقبتك وأنت نائم ولم أزل من بعيد حتى هب هذا

الشيطان المريد وأخذك بالبنج الطيار فعزمت أن أسقيه كاس البوار ولكن ما دعتني نفسي أن افعل به ذلك وهو في البر وحيد غير اني قلت والله لا تنظرت ما يفعل فيه ولا اخلصه الا من وسط اعاديه واخل الجميل لا يضيع واخلصه من من يد الرفيع والوضيع ثم سرت خلفه وهو ساير بك انت والجواد حتى دخل بكما الي أهل ملة الكفر والفساد وقد رأيت ما فعل معك هذا اللعين تخلصتك من يده باذن رب العالمين والحمد لله على سلامتك والتأمين قال فشكره الامير بيبرس على فعاله وما عمل من اعماله ومقاله وسار معه ولم يزالوا كذلك حتى اقبلوا الى باب الشام فرأوه مغلوق فوقف الامير بيبرس وهو بالغيظ مخنوق ولاخفى حاله على المقدام فسأله عن حاله فأخبره بما جري وكيف احتال عليه باشت الشام وكيف اخرجه الى الخصام فلما سمع الفداوي ذلك تعجب منه وقال يا أخي أن طلبت أن آتيك بباشة الشام الساعة فانا آتيك به على الاقدام أو آتيك برأسه اذا جن الظلام فقال له يا اخي دعنا من ذلك وكل انسان يلقى بفعله الجزاء من من الملك العلام ولكن اخبرني كيف تأتيني به والابواب مغلقة ولا لاحد الى دخولها وصول ولا ارتقى فقال له الفداوي وقد تبسم اصبر سوف اريك العجب ثم انه جرد مفرده وأرماه على أعلا الصورة وقد اشبك الكلابين قذف السكتين واطنب الرياضين ولبس الكفين وتوسل بالامامين الامام حسن وأخيه الحسين وصعد الي اعلا الصورة وبعد ان كان تحت الجدار سار فوق اعلا الاصوار والتفت الى الامير بيبرس ليعلمه وعلى الصعود على المفرد يرشده ويفهمه واذا به رآه خلفه وتابع اثره وكانه كان تعلمه من الف عام فزاد عجبه واحبه قلبه وتعجب منه وقال له انت تعرف هذه الصناعات وتدري هذه الاشارات وهو المفرد ورمية البنج وضده والطلوع والنزول قال له لا والله ياولدي ما رأيت الا الساعة ولكن ان الذى له عقل ورأس وعيون وحواس يفعل كما يفعل الناس فقال له حيث كان ذلك ولم تعلم المفرد الامين فمن الآن انت ولدى وأنا كبيرك ومعلمك ومديرك

واميرك فقال له هو كما ذكرت ثم انهم ساروا الاثنين طالبين بيت السيدة فاطمة الاقواسية الى أن وصلوا الى المكان وكانت السيدة فاطمة جالسة وهي تبكي وتنوح من كبد مضر مجروح على ولدها وقد انفطرت علية مرارتها وعلى صبرها وهي تبكي وتطلب له السلامة من ربها واذا بالباب يدق عليهـا فنهضت على عجل وفتحت الباب ونظرت من الطارق من الاحباب واذا هو ابنهـا والقدام الذي معه ففرحت بسلامته والى صدرها ضمته وسلمت على القدام وسلمت عليهما سلام الاحباب واتت لهما بالزاد فا كلا وشربا ولذا وطربا وقد سالت ولدها محمود فأخبرها من أول الامر الى آخره وكشف لها عن باطنه وظاهره وبعد ذلك تودع الفداوي من بيبرس فقال له والى أين تريد قال له انني أريد الخلوات فاعطاه ما يتين دينار فاخذهم وانصرف الى ما يريد فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه نام باقي ليلته وقد ارتاحت من الالم جثته الى أن اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح ركب بيبرس وقد اعتد ولبس سلاحه وآلة حربه وكفاحه وسار طالب الابواب فقالت له امه ياولدي الى أين تريد قال لها اريد أن اخلص من الاعداء جوادى ولا يأخذوه مني الاعادى فقالت له نصرك الله واعانك وبلغك مناك وما اهانك وقطع دابر اخصامك هذا وقد نزل بيبرس على باب الشام وصاح على البواب صيحة ادهشـه وامره بفتح الباب ففتح له وقـد اخـذه الارتياب ولم يدر كيف اتى الى الباب وتم سائر حتى انه قارب اللئام وصاح ميدان فلما عاين سرجويل ذلك قال المسيح يقطع عمرك ابرزوا اليه ياعصبة الكرستيان فبرز اليه فارس فقتله والثاني جندله والثالث أمهله والرابع جعله لرفقاه تابع والخامس اهواه والسادس الحقه برفقاة ولم يزل على ذلك حتى قتل خمسة واربعين فارس من كل مدرع ولابس فعند انهز الشنيار باذن سرجويل الهدار وهجمت الاعداء الاشرار واحتاطوا بالامير بيبرس يريدون ان يسقوه شراب البوار فعندها تكبب وارتمي وكحلهم

بمراود العمي وقرا آيات معظما وذكر اله الارض والسماء وسار يرمي الرؤوس كالاكر والكفوف كاوراق الشجر فجرى الدماء وساح كالبحر الطماح وبكت الارواح على فراق الاشباح وتمني الجبان الرواح والشجاع حمل وطاح وبيبرس يضرب فيهم مثل الاسد الوقاح ولم يزل يقاتل ويطاعن ويشادد ويجاهــد حتى كلت سواعده وثقلت يده عن حمل السلاح وسار يمانع عن نفسه وقد اعياه الامر وظن ان هذا المكان له قبر الى يوم العرض والحشر فلما رأي نفسه تضايق والاعداء حواليه كالبحر المتدافق رفع وجهه الي السماء قبلة الدعاء وقال صلوا على باهي الجمال

رجوت الامان منك فاعطني وانصرني يا خالقي على الاعادي
وهب لى لطفاً جيلا مجملا واعل كلمتي بين العباد
وسهل لى فرجا قريباً واحتمل يارازقي اهل العناد
فانت الكريم ولم أقصد سواك وانت الحليم وانت الجواد
اغنني يا الهي بحق المصطفي الهشمي المبعوث زين العباد
واعطني النصر حقا لانني اياست يا مولاى من رشاد
وانت ادرى مني بحالتي وانت الكريم ورب العباد
بحق المصطفي تأخذ بيدى وهب لى السماح مع السداد
واخذل الكفار عني باسرهم حتى يفرون في الفلاة والسهاد
سألت العفو يا رباه انني وحيد فريد غريب البلاد
وصلى وسلم على خير مرسل أحمد المبعوث للخلق هاد
كذا الآل والاصحاب كامل جمعهم مانزل غيث السماء على البلاد

(قال الراوي) فبينما هو يطلب الفرج من صاحب الفرج واذ بالغبار طار وعلا وسد الاقطار وتمزق وما رآي باب اعين النظار عن خيال مقبل كانه البرج المشيد وهو ينادى من بعيد وهو يشير اليه بصوته ويديه ويقول شد حيلك وقوي عزمك وعن خصمك لا تغفل فقد أتاك الفرج من صاحب الفرج هذا

وقد تأمله الامير بيبرس واذا به عاصف صاحب قلعة المرقب ولما رآه عاد له قواه وصاح بجانبه الله اكبر فتح الله ونصروا خذل بالشام من كفر هذا والفداوى نزل على الرجال نزلوا السيل اذا مال وسارت من حسامه القتلا كيمان ممددين على الصحصحان وقد اوقع الله الرعب فى قلوب الكفار فتأخروا الى ورائهم عن ضرب البتار وخافوا من الهلاك والبوار هذا ولم يكن لهذا الفاوس اشتغالا الا سرجويل فانه قد قصد اليه ولم يزل حتى وصل اليه وصاح فيه ادهشه وعن الكلام شوشه وقبض على اطواقه وضيق على خناقه وزجله من على جواده فوقع الى الارض تحت الشنيار والفارس قد اوثقه كتاف وقوي سواعده والاطراف بعد ان قتل من الكفار آلاف وقتل صاحب العلم الكبير وأفنى الكبير والصغير ولما رأت الكفار ما حل بصاحبهم والبوار ركنوا الى الفرار وولوا الادبار وتركوا ما بين ايديهم من الخيام والنعم الكبار ولم يأخذوا ولا عقال خوفا من شراب المنية والا ذلال ومن جملة ماتركوه الصيوان الممدود الذي له ثلاث مائة عمود وكان مكلفه من ماله اكثر من ثلاثين خزنة لانه اذا اتنصب كانه بلد أو مدينة ظهرت على وجه الارض والاعمدة من الخشب الابنوس مرصعة من أعلاها باللؤلؤ والفصوص وفيه ستة وثلاثين ساعة دقاقين شغل الكهين افلاطين صاحب بلاد الصين واقمشة من الحرير الرومي العال الغالى القدر والمنال فلما هربت الكفار وتركوا تلك الصيوان والاموال نزل الامير بيبرس وجلس على كرسى سرجويل وقال للمقدام اجمع الاسلاب والانعام وسلمنى هذا اللعين بن اللئام ففعل ذلك وبعد أن تهيأ الفراغ أمر الامير بيبرس بسرجويل فاحضره الفداوى بين يديه فلما رآه قال له اضرب عنقه ولا تبقي عليه فعندها أرماه الى الارض فصاح اللعين وهو ينتفض وقال انا فى جيرتك يا أمير بيبرس أنا فى عرض هذا المقدام فعند ذلك قال له انا قلت لك فرج ربى قريب يا كلب فضحكت على وأسأت الادب ولكننى قد علمت أن ليس بعد الكفر ذنب والآن ما بقى لك عندي اكرام الا أن تشترى نفسك بالمال والانعام

فقال له اطلقني وانا اعطيك عشرة خزن من المال ومائة راس من الجمال وخمسين جواداً اصال فقال له لا وعزة الله الملك المتعال ولكنك ان اررت السلامة من الهوان والعز من بعض النقصان فاعطني هذا الصيوان بما فيه من الاموال والاوزان وانا أمن عليك بروحك التي هي أحسن من الف صيوان ولا اعطني رأسك والسلام فقال له يا سيدي حذ الصيوان بما فيه ودعني برأسي ولا تأخذها مني فقال له عاصف ارجل انت بنفسك ثم اعطاه جوداً من غير عدة وهو من الخيول الشاردة وقال له امض الى حال سبيلك فمضي اللعين مرجويل وهو في حزن طويل هذا وقد جمع بيبرس الاسلاب والاموال وشدة الجميع على ظهر الجمال وقال لعاصف افتح لي باب الشام فقال له سمعا وطاعة ونهض عاصف من تلك الساعة وارمي مفرده ونزل خلف الباب وفتحه على آخره واقبل بيبرس بما معه من مكاسبه ودخل من باب الشام وعاصف قدامه شاهر الحسام ولا يبالي لا بشيخ ولا غلام هذا واهل الشام قد راوه وبأعينهم زمقوه والجميع علي فعالة يشكروه ولم يزل سائر وعاصف ينادى بين يديه العاشق في جمال النبي يصلي عليه حتى صار الى منزل امه فتلقه وبالسلامة هنته وجلس مع الفداوي على تكة وقسم المال قسمان فاعطي القسم الاول الى الفداوي من غير نقصان والنصف الثاني يا اخوان فرقة على فقراء الحال والارامل والايتام من الرجال والنسوان والشباب والصبيان ولم يأخذ هو غير الصيوان وما شاء من الخيول لاجل الحرب والقتال وبعد ذلك تودع الفداوي منه وتركه عند امه وصار بالمال فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر عيسى شرف الدين فبينما هو جالس وقد دخلت عليه الاخبار بما فعل بيبرس مع الكفار وبما أنعم الله عليه من الاموال وبما انفقه على الاطفال والنساء فلما سمع ذلك الكلام عاد الضياء في وجهه ظلام وزادت به حسرته وقد كاد أن تنفطر مرارته وزادت بليته وعظمت رزيته ثم انه عاد الى مكره ودهاه وخداعه وبلاه وخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد وصاح

على اربعة من أعيان رجاله وقال لهم ائتوني بولدي الامير بيبرس فذهبوا اليه وأتوا الى بيته وسلموا عليه وقالوا له أجب سيدنا عيسى شرف الدين فقال لهم لاى شيء فقالوا له لا ندري فقال لهم سمعاً وطاعة ثم سار من تلك الساعة وكان صحبته عاصف بن بحر المرقب ولم يزالوا كذلك الى أن أتوا الى الديوان فلما رآه عيسى وثب على الاقدام وقد هنأه بالسلامة والامان وقال له الحمد لله على سلامتك يا ولدي وقد زاد فرحي وتكامل سعدي حيث نصرك الله على الاعداء حيث انك حزت الاموال والاسلاب والبغال والاحمال الثقال وتكرمت على النساء والرجال ولقد ارضيت الملك الجليل بهذا الفعل الجميل واشفيت الغليل وداويت القلب العليل ولكنك تكرمت على الفقراء بالاموال واعطيت النساء والرجال والعلماء والاشراف ونحن ما خطرنا لك على بال فلاي شيء فعلت هذه الفعال

(قال الراوي) فقال له يا سيدى انك والله عرضتنى للانذال وتخليت عنى دون الرجال ووالله انك لم تستحق عندي عقال ولا درهم واحد من المال والآن فانا وانت فى الديوان وعندنا العلماء أهل العرفان نقص عليهم هذا الامر والشان وانظر كيف يكون الحال والمقال من الكلام فقال له عيسى وقد تبسم من كيد الغيظ يا ولدى الله يحرسك وعلى اعداك ينصرك هذا منك احتقار وكاني لم يكن لى عندك مقدار وهذا مما يحط بمقامى عند الكبار والصغار حيث انك تأتي من غزو الكفار وتفرقه على جميع اهل الاقطار ولا تعتنى اصحاب المقامات الكبار فعندها قال بيبرس يا علماء الاسلام يااهل العقول والاحترام ما قولكم دام فضلكم فى رجل اباح دمى للئام واخرجنى اليهم بسوء مكره واغلق خلفى ابواب الشام ولم يجاهد معي فى سبيل الملك العلام وقد اغضب بفعاله الرحمن وارضى اهل الطغيان ولقد نصرني الله الكريم المتعال واخذت الغنايم والاموال وقتلت اهل الكفر والضلال ويريد الآن يأخذ منى ما جمعت من المال وما احتوت عليه يدى من الاثقال فقالوا له هذا لا يجوز لا في شرع ولا سياسة ولا عند اهل الهندسة والفراسة

ولا يحل فى شرع المختار ولا يرضى به الملك الجبار ثم أن العلماء تكلمو مع عيسى ولاموه وسبوه على فعاله وذموه فلزم السكات وضمر فى تقسه الغدر والنكبات وزاد به الاسف والقهر وضمر الى الامير بيبرس الغدر والمكر وقال له يا ولدي أنا ما تكلمت معك الا مزاح وأني أطلب منك المزل والانشراح فلا تأخذ على خاطرك مني ثم جعل يضاحكه ويلاعبه ويتحدث معه بلين الكلام ولم يعلم بالقلوب الا الملك العلام الي وقت الزوال انقض الديوان فنزلت العلماء والاخوان ونزل هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من أمر عيسى فانه تفكر فى أمره وكاد أن تنفطر مرارته من قهره فارسل الي عايق من عياق الشام من أهل الكبائر والاثام فلما حضر اليه اجلسه وسلم عليه وقال له فماذا أرسلت لى فقال له لى عندك حاجة وأريد قضاها منك من غير لجاجة فان أنت قضيت حاجتي ولبيت دعوتى أعطيتك كل ماتريد وهذا الف دينار ذهب منى اليك ولك عندي مثلها اضعاف فقال له وما تكون حاجتك وسوف ابلغك امنيتك فقال له اريد أن تسرق لى بيبرس الى عندى وتكتم هذا السر عني فقال له سمعا وطاعة وتركه ونزل بالالف دينار من تلك الساعة قال وهذا العايق يقال له لبيد وكان كافر عنيد ولا يخفى أمره فى تلك البلاد وشره قد عم العباد فنزل الى بيت بيبرس وجعل يرتقبه الى الغلس حتي نامت العيون وتجلي الحى القيوم ونزل العايق عليه فرآه نائم على قفا مشاهد مولاه فاخرج منديلا من البنج الطيار والقاه على وجه الامير في الاعتكار وهزه ثقلت دماغه فشده كتاف وقوى سواعده والاطراف وجعله فى حمدان وزرر عليه ستة وثلاثين عروة وزرار وصعد به الى سطح الدار ودلاه الى الجدار ونزل مفرده حتى نزل الارض وحصله واحتمله وصار ولم يزل كذلك حتى اتى الى عيسى فوجده له فى الانتظار فقال له ها هو غريمك فاخذه من بين يده واصرفه من عنده بعد أن أنعم عليه وقال له امض الى حال سبيلك فى البر ولا تظهر هذا الامر

وان ظهر كنت أنا خصيمك دون البشر فقال له السمع والطاعة وانصرف من عنده من تلك الساعة فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر عيسى فانه أخذ بيبرس وصار به الى طائفة عنده من داخل سرايته وأنزله فيها وتركه بكتافه ونشقه بالخل فى انفه فأفاق من غشوته وصحي من رقدته فلما أفاق على نفسه قال اشهد ولا اجحد ان الله واحد أحد فرد صمد ليس غيره يعبد وان حبيبه ورسوله المصطفي محمد أين أنا قال له عيسى أنت عندى ياأخس الرجال يا ندل الانذال انظر لنفسك وهذا الحال لتري عواقب ما فعلت من الفعال وانظر ما صنعت معك من الاعمال وبعد ذلك فهذا المكان قبرك حتى انك تلتقي بربك فقال له وقد تأسف تفعل معى هذا الفعال وانت تزعم انك والدى بين الرجال ولكن فرج الله قريب وكل أمر له سبب عجيب فقال له لا تطيل الكلام ياولد الزنا والحرام ثم انه تركه وعاد واغلق عليه باب الطبقة وذهب الى سرايته وقد هدئت منه سريرته وظن انه يسقيه كاس منيته فهذا ما كان من قصته وأما ما كان من أمر بيبرس فانه تأسف على ما جرى منه وما كان من امره وأحواله وما فعل عيسي فيه من هذا الامر دواهيه فجعل يسلى نفسه بالاشعار ويرثي نفسه بالاقوال ومن جملة ما قال هذه بيات صلوا على صاحب المعجزات

صديقك من يعادى من تعادى	بطول الدهر ما هتف الحمام
يريك الصداقة منه صدقا	ولا يجرد اذا وقع الخصام
ولا يمدد اليك يد بنحو نصل	ولا يكون محاربا بنحو حسام
ويوفى الدين عنك بغير مطل	ويرد باللسان عنك الانام
لكنه يتمنى لك الغدر سراً	ولا يفصح لاحد في الكلام
فلا تأمن قط كيد الاعادي	ولا تأمنن له أبدا دوامى
وأما من يصادق من الاعادى	ويضحك حين رشق الهامي

فـذاك العـدو من غـير شـك فتجتنبـه فعشرته حرام
وأما الصـديق عنـد الشـدائد شبيه الدر زينته النظام
اذا صـادق صـديقك من تعادي فقـد عاداك ولنفصـل الـكلام
فعش فريدا من غـير خـل فـذاك الوقت مأثر من محـام
وان صفي لك خـلا فخذه فهو خـير من جميـع الانام
سـألت الله ان يفرج ما نحن فيـه فانه الشفيق بكل الانام
وهو الرؤوف بكل العباد وهو الـكريم والبر السـلام

(قال الراوى) ولم يزل يبكي وينوح على ما أصـابه وهو يشـكي من كثرة ما أنابه حتي ولى الاعتـكار وطلع النهار وقد ارسل له كعبين بقصماط وشربة ماء من غير انبساط فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمهفاطمة بنت الاقواسى فانها لـما أصبح الله بالصباح واضـاء الـكريم بكوكبه ولاح انتبهت السيدة فاطمة من منامها وأتت لتيقظ ولدها لانها انتظرته مثل عادته فلم ينزل عليها فحس قلبهابالمصيبة وصعدت الى المـكا ن فيما ترى فيه انسان ولا وقفت له على خبر ولا جلية اثر فلما تيقنت ذلك بكت وانت واشتـكت وجعلت تنشد الاشـعار وترخي الدموع الغزار وأول نظمها هذه الابيات صلوا على سيد السادات

كيف الفرار ودمع العين منسكب وفى الحشـا نار والمقـل مسلوب
لفقـد ولد كان بين الناس ذا كرم وقد كان فارساً فى الحرب منسوب
لقـد عـدمته ولم ار قط طلعتـه وقمت بعـد العز بالنوح مكروب
لمن كان بين الناس ذا حسب غيث يردى الثرى كالمـاء مسكوب
قد كان حامينا اذا احاط العجاج بنا حصـناً أميناً غالباً غـير مغـلوب
له حزم للمنايا فيه مسـكنة من أسمر مع رماح الخـط انبوب
وكان غالباً لـكل الحراب معا كريم الايادي والفضـل الموهوب
وقـد بكيت علي فقدعزى فياسنى فمن ذا الذي يمحى ماسار مكتوب

ثم الصلاة على المبعوث من مضر خير الخلائق ولله محبوب

(قال الراوي) ثم ان السيدة فاطمة بعد ان فرغت من بكائها نهضت على اقدامها وصاحت علي خدامها فأجابوها بالطاعة فقالت لهم على بدواة وقرطاس فأتوها بما طلبت فى عاجل الحال فجعلت تنظم وتقول فى أوله هذه الابيات

ونحكم فى وجار واشتفى وعادانى بعد ان كان مواليا

ولكني أسلمت أمرى للذى عالم بسرى وداري بحاليا

وقد كادني والله هذا رالذى أصاب فؤادي وأصبح عاميا

نخذوا ابيدي ياال اسماعيل نجدة فأنتم الاشراف أهل المعاليا

الا فانجدونى يارجال باسركم ولبوا دعائي وارثوا لحاليا

فانكم ذوا شرف عظيم ونسبة واهل المكارم حقا والامانيا

وانى لم اقصد سواكم لشدتي فكونوا يا سادتى راحمين لما بيا

وان أبيتم مادعيتم اليه شكيتكم لمحمد المبعوث للناس راجيا

قال الراوي ثم انها سطرت الكتاب خطابا من السيدة فاطمة بنت الاقواسي الي بين أيادي اولاد اسماعيل الاشراف ذات الفضل الجليل نعلمكم ان أخيكم ولدنا الامير بيبرس بات عندنا في مكانه وأصبحنا فلم نر له خبر ولا جلية اثر فضاقت بنا الحيل وخفنا على ان يسطى عليه الاعادى واهل الحيل وارسلنا اعلمناكم وبما اخبرناكم فانظروا هذا الامر وتدبروا فيه بمعرفتكم وا كشفوا لنا عن خبراخكم قبل ان تتمكن منه الاعادى والسلام على نبي تظلله الغمام ثم ختمت الكتاب بختمها وصاحت على عبد من العبيد يقال له سعيد الدار فلما حضر بين يديها قال لبيك يا سيدتى قالت له خذ هذا الكتاب واركب على ظهر هذا الجواد وسر به من ساعتك هذا الي القلاع والحصون فاذا وصلت الى هناك ترى المقيمين بتلك النواحى فسلم على كل من تراه منهم واسأله علي طريق المعرة وسر ميل وسر الى هناك واسأل علي المقدم سليمان الجلسوس أو أبوه اسد الدين العبوس أوجده أبو الروس

وتقدم الى بين ايديهم وسلم عليهم فاذا سألوك عن حالك فاخبرهم والزم الادب فى حقهم بكل ما قدرت عليه ثم بعد ذلك تعطيهم الـكتاب الذي معك فاذاقروه امثل لهم آت فى كل ما يقولون وهذه حاجتى عندك فان قضيتها فأنت حر لوجه الله من بعدها والسلام

(قال الراوى) فلما سمع سعيد الدار منها ذلك الـكلام أجابها بالعزم والاهتمام وكانت أمرت له بخلعة سنية ومائة دينار عددية فاخذهم وركب على ظهر الجواد وسار يجد المسير وهو يقطع البراري والوهاد أيام وليالي الى أن وصل الى بلاد الووار التى للمعرة ثم أن العبد سأل الاتباع على نقيب الرجال فدلوه عليه فى عاجل الحـال فسار له ولم يزل سائر حتى وصل القلعة وهو فى عزم ورفعة فلما وصل الى هناك تحول من على ظهر الجواد وأقبل على الرجال باجتهاد فتلقوه الرجال وسلم على الابطال وسألهم على المقدمين فقالوا له هم من داخل القلعة قال لهم خـذوا لى اذن فى الدخول وقولوا لهم أن عبد السيدة فاطمة الاقواسية قد أتى بجواب لـكم من عندها ويريد قضاء حاجتها فعند ذلك ذهبت الاتباع المتوكلين بهـذا الاصطناع ووقف العبد خارج القلاع فلما دخلوا الاتباع على المقادم سلموا عليهم وقالوا لهم أن بالباب عبد السيدة فاطمة الاقواسية يريد الاذن فى الدخول والوصول الى بين ايديكم قال فلما سمعت الرجال السيدة فاطمة الاقواسية صاحوا فى الاتباع ادخلوه والى عندنا أوصلوه ولا تتكلموا معه ولا تطردوه ولا تهينوه ولا تنهروه فتراجعت الرجال وهم فى غاية من الـكمال وأخذوا العبد بين أيديهم وساروا به الى عند المقادم ولما وقعت العين على العين قامت الرجال للعبد وتلقوه وسلموا عليه وا كرموه وفى اعلي الاماكن اجلسوه وذلك لاجل خاطر السيدة فاطمة ثم قالوا له ما معك من الاخبار يا عبد الله الجبار وكيف تخبرنا على اخينا بيبرس فقال لهم

العبد أما اخبار اخيكم فلا عندي منها شيء وأما سيدتى فهى على غاية من النعم وقد ارسلتنى اليكم بجواب وأريد منكم رد الخطاب وها أنا قد أتيت اليكم من عند السيدة الاقواسية كفاها شر كل بلية والذى أقوله ان كتابي فيه خبر أخيكم بيبرس وحق من سلمت عليه الشمس فقالوا وأين الكتاب فاخرج الكتاب وناوله لهم وكان أخذ الكتاب أسد الدين العبوس أبو سليمان الجاسوس فحله وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا فى اوله ما تقدم من الاشعار وما ذكرناه من الاخبار وعلي عنوانه هذين البيتين صلوا علي جد الحسين

كتبته وعندى من شريف جنابكم مايزيد بكائي أو يقل هجوعي

فرقوا لي واحمونى فانني سمحت لكم بقصتى وفيض دموعى

أما بعد فهذا خطابا من الحرمة الوهانة الكثيية القهرانة السهرانة السيدة بنت الافواسى الى بين ايادى السادات الاشراف بضعة أهل مناف أولاد اسماعيل الفلك الافخر المنسوبين الى فخر ربيعة ومضر ثم ذكرت لهم فى الكتاب ما سطرناه فى سابق الكتاب الى ان قالت لهم وانى ما وجدت له خبر ولا وقفت له علي اثر وما أخبرتكم عنه الا لانكم اعلمتونى بان جميع ما جرى اطلعكم عليه وأنا قد اعلمتكم بفقد ولدي في الليل وانني واقعة في عرضكم ثم تهتموا في طلب اخيكم وهذه أول حاجتي اليكم وانا فى عرض جدكم الامام علي بن عم النبي صلى الله عليه وسلم ولابد من ارسال ردالجواب لاجل الاطمئنان عليكم وعلى ولدى والسلام على نبي تظلله الغمام

قال الراوى فلما سمعت الرجال مافى الكتاب من المقال ساءت بهم الاحوال وصار الضياء في وجههم ظلام وكثر بينهم الكلام وهاجوا مثل البحر الزؤام فتعجب العبد من ذلك المرام وما فهم العبد منهم الا انهم يقولون لبعضهم اخينا

وقد لعبت عليه الرجال وأخذوه بالمناصب والاحتيال وقد سرقوه من عند امه ولا بد لنا أن ندور عليه ونأتى بالخبر ولو يكون تحت الارض السابعة ثم انهم انعموا على العبد بخلعة سنية والف دينار عددية وقالوا له سر الى سيدتك واقرأها السلام منا وقل لها انتظرى حضور القادم اذا جن الظلام فاذا جن الظلام جضروا الى عندك مثل العبيد فقال العبد السمع والطاعة ثم خرج العبد من عند الرجال وقصد الارتحال بعد أن تودع من الابطال وسار طالب الشام ولم يزل يطوي الارض طى وينهب البر انتهاب حتى اقبل الى ارض الشام فلما قارب المكان تحول عن ظهر الحصان ودخل الديار وسلم على سيدته واعاد عليها ما جرا من الاخبار فلما سمعت بتلك الاخبار انعمت عليه ومنت له بالاعتاق فهذا ما كان من هذا الاتفاق

(قال الراوي) واما ما كان من أمر السيدة فانها صارت فى انتظار الرجال فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ماكان من أمر أولاد اسماعيل فانهم لماطلع العبد من عندهم تقلدوا بسلاحهم وركبوا على ظهور خيولهم واخذوا اتباعهم من ورائهم وصاروا طالبين ارضاً غير ارضهم وهي ارض الشام وقد جدوا المسير الى آخر النهار وقد وصلوا الى البساتين فترجلت الرجال عن الخيل وسلموها لاتباعهم وتركوهم وساروا راجعين غير راكبين ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الي البلد وقد اقبلوا الى السور وارموا مفاردهم وتسلقوا على الاسوار مثل شعل النار وتحولوا ونزلوا من داخل البلد وهم متوكلون علي الواحد الاحد ثم جمعوا المفارد وشالوها فى حرمدانهم وساروا وهم متوكلون على ربهم ولم يزالوا كذلك الى ان أتوا الى بيت السيدة فاطمة الاقواسية وكانت السيدة في انتظارهم بالكلية فلما رأتهم قد قرعوا الابواب أمرت الغلمان أن يفتحوا لهم هذا ولما دخلت الرجال تلقتهم السيدة فاطمة فى الحال من غير مطال وقد صعدت بهم الى قاعة الجلوس

وجلسوا على الفراشات المتمنة والمخدات الملونة ثم أحضرت لهم المشروبات فشربوا واغتنموا اللذات وأخذت المماليك من اياديهم الكاسات وبعد قليل أقبلت السيدة فاطمة من غير تطويل فلما دخلت عليهم سلمت فقاموا الرجال اجلالا لقدرها ولما حصل لهم من اكرامها فلما استقرت فى الجلوس بكت بين ايديهم وشكت حالها اليهم وجعلت تنعي على ولدها بين ايديهم وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

خانني الدهر الخؤون بحمله وقص جناحي وأعمى نواظرى
كنت امنه على ولدى واننى فى حظ عظيم ونجمى زاهر
وقد اتيت اليوم ارجوا نصركم والنصر من عند الكريم القادر
مالى سوا كم في الانام حماية وانتم حمايا وزخرى وتفاخري
ثم الصلاة على الحبيب محمد نبي الهادى المبعوث بالحق ظاهر

« تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث »

وأوله خروج الملك بيبرس من السجن واسر عيسى باشت الشام

بحيلة أولاد اسماعيل

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء الثالث

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ — ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السيع)
بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر
لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

(قال الراوي) فلما فرغت السيدة فاطمة من الشعر والنظام وقد لذوا وطربوا من مقالها السادات الكرام وهملت مدامعهم سجام ونادوها ياسيدة لا تبكي فنحن له الفدا ونفديه بأرواحنا من الردى ولكن اخبرينا هل يكون له عدو من الاعداء أو حاسد من أهل الردي فقالت لهم نعم له عدو وهو من أكبر الاعداء اليه نصره الله عليه فقالوا لها ومن هو ذلك قالت لهم عيسى شرف الدين باشت الشام فانه والله أكبر أعداءه قال فلما سمعت الرجال من السيدة فاطمة تلك الاقوال نظر بعضهم الى بعض وقد تغامزوا باشارات يعرفونها بينهم ثم التفتوا اليها وقالوا والله قد عرفنا الغريم ولايلزم الي تعريف أكثر من هذا الآن في ذلك كفاية فاذهبي الآن الى محلك وما يمضي الليل الا وأخينا عندك وتأخذيه بملء حضنك ويزول همك وغمك باذن الله ربنا وربك فلما سمعت السيدة كلامهم شكرتهم على فعالهم وأثنت عليهم ثم تركتهم وصعدت الى قصرها وهي تطلب رد ولدها من ربها فهذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر الرجال فانهم قاموا من وقتهم وساعتهم ونزلوا من المكان بكليتهم ولم يزالوا سائرين الي أن أقبلوا الى سراية الشام فأرموا

مفاردهم وصعدوا الي الاسوار وانحدروا الى داخــل المكان ولموا المفارد ثم أقبلوا يدورون فى الاماكن والقاعات والقصور والمحلات الي أن رأُوا مكاناً فيه عيسى وهو نائم على سرير عالي من خشب الصاج فأقبلوا اليــه وأيقظوه وقد أرعبوه وأزعجوه فلما أفاق من رقدته وبحلق مقلته تحقق فيمن أيقظه وفوقه واذا بهم أولاد اسماعيــل والرجال الاباطل فوقع به الخوف والفزع الوبيل ولــكنه أظهر الجلد وأخفى الكمد وقوى قلبه وأخفي رعبه ورجع الي خداعه ومكره وقال لهم أهــلا وسهلا بأهــل القلاع والاسود الكاسرة والسباع والابطال الفداوية والاشراف الاسماعيلية فعنــد ذلك جرد المقدم سليمان الجاسوس الشاكرية وهجم على عيسى بالكلية وقال له ان كنت أنت أهلا للمكر والخداع فنحن جرثومة الحيل والانخداع فاعلم الآن انه ما بقى لك خلاص من يد القناص وما بقي لك في الدنيــا غير هــذه الساعة وما عاد ينفعك الا الشهادة فلما سمع عيسى ذلك الكلام أخذه الهيام ولحقه الانهتاك والانهزام وبال فى سراويله وانقطع ظهره ولحقه أكبر همه وقال لهم ماالذي فعلت معكم حتى تقتلونى وتيتموا عيالى فقالوا له انت على كل حال تعرف ذنبك وما أنت ناسيه بل أنت عارفه ودارك معانيــه فقال لهم أنا ماعلمت لى ذنب أبداً فاعلموني ما السبب الذى أوجب لى شراب الردي فقالوا له وحق الاسم الاعظم والرب المعظم ان لم تصدقنا فى ذلك والا أسقيناك المهالك فقال لهم وقد زاد به الهم والاسف أصدقكم وحق من على العيون احتجب فقالوا له أين الذي عندك ومقيم فى أرضك وبلدك وواخذه في حضنك وجاعله ولدك الذي يسمي بيبرس قال فلما سمع عيسى ذلك تعجب غاية العجب وعلم انه ان كذب عليهم سقوه العطب لاجل ما أقسموا من الايمان التي هى عندهم أقوى من كل سبب فقال لهم لاى شيء تدورون على هذا الغلام وما هو لــكم ولا ينتسب الى أهلكم ولا تعرفونه ولا يعرفكم فقال له المقدم سليمان الجاسوس

اعلم يا عيسى ان هذا الغلام عدو لسلطان القلاع والحصون وقد أمرنا بجيبه من أي محل يكون فقال لهم وقد انطلى عليه المقال وتزخرف له الضلال وما الذي عمله مع سلطان القلاع وما السبب الموجب في العداوية بينه وبين أهل البقاع فقالوا له ان عنده رجل مقدام وهو عاصي على السلطان وسلطاننا نادى في الفلا ان كل من تاواه أو ادخله الى حماه أو عين يكون مهروق الدم واذيقه كاس فناه وقد اخبرتنا الجواسيس ان المقدام مقيم عندهذا الغلام فطلبناه فى البلد فلم نجده عند أحد من الناس فطفنا عليه الاماكن فما وجدناه فعلمنا انك أعز أحباه فقصدنا اليك فدلنا عليه والا أخذناك ترد جواب للسلطان لانا لا نطلبه الا منك وان لم تفعل أخذنا رأسك والسـلام على من تظلله الغمام قال فلما سمع عيسى ذلك هدأ روعه واطمأن قلبه وزال عنه همه ورعبه ثم انه اعتدل لنفسه وقال لهم يارجال اعلموا انه ليس هذا ابني ولا أنا أبوه وانما هو غـلام فاطمة الاقواسيه والصواب ان تطلبوه منها فقالوا له قولا واحداً اما أن تقول لنا عليه أو تدلنا عليـه حتى نقيلك وتتخلص من أيدينا والا قتلناك وسرنا برأسك الي حاكمنا فان هـذا غريم الخوند الكبير وما نقدر نتخلف عن طلبه فيقتل منا الصغير قبل الكبير وأما انت فلا تخاف ولا تخشى بأساً ولا اسراف لانه ان كان عندك كانت لك اليد البيضاء عند سلطان القلاع والحاكم على أهل البقاع وان اردت اننا نكتم سرك ولا نظهر أمرك فعلنا ذلك وذكرنا للسلطان اننا وجدناه فى الوديان فاخذنا راسه والسلام وبهذا الشان انت خال من الكريهة ولا ينفعك بعد هذا المطل والممارغة فى السؤال فان لم تدلنا على خصمنا والا قتلناك ومن نسيم الدنيا أحرمناك وأرمينا عنقك فى وسط قصرك وأخذنا رأسك حتى نقابل بها سلطان القلاع وانت تعرف اننا لانبالى بعسكرك ولا بكل من في الشام ولانخـاف من أضعافهم ولا من السلطان الذي يحكم عليك (ياساده) فلما تحقق الهـلاك ونظر بعينه شراب

الارتباك قال لهم ياقوم اعلموا ان هذا غريمي واكبر أعدائى اذا دليتكم عليه تأخذو روحه من بين جنبيه حتى يشفى غليلي منه فقالوا له هو كما ذكرت وسوف ترى بعينك مايسرك فى خصمك فأين هو قال لهم هو عندي في قبضه يدي وبقتله آمن على نفسى قالوا له هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب فقال لهم ان قتلتوه عندى فلكم على خمسة آلاف دينار وتعطونى جثته وتأخذوا رأسه الي سلطانكم اجهار فقالوا له شأنك وماتريدولماتقرر الامر بينهما على ذلك نهض قائما على الاقدام وسار بالرجال وهو قدام وهو يهدر مثل الجمل الهجام ويقول والله انه لقليل الادب وكثير الاشرار فكيف يعادي سلطان الحصون ويفعل مثل هذا الغبون ولم يزل كذلك حتى اقبل الي الطابقة الذى فيها بيبرس وهي تحت الارض لايرى منها قمرا ولا شمسا هذا ولم يعلم عيسى بما كتب له فى الغيب ثم انه فك الاقفال وصار وفتح باب الطابق فى الحال وقطع السلاسل النازلين الى ان اقبل الى هذا المكان الذي فيه بيبرس فلما وقع العين على العين ورأى عيسى وهو مقبل ظن انه يريد عقوبته اوقتله سلم امره الى ربه (ياساده) فقال له عيسى ياقرنان ياابن الف قرنان من مثلك تعادي السلطان والرجال الاشراف فالآن لقد حل بك التلاف ومايمضي من عمرك غير هذه الساعة من غير خلاف هذا وقد ارتعد الامير وخاف خوفا شديد ماعليه من مزيد وتأمل بنظره واذا قد راى اخواته الفداويه مقبلين خلفه فاطمأن قلبه وزال عنه همه وكربه وعلم ان الحيلة تمت على عيسي لاجل الامير من الاسر هذا وقد صاح عيسي بالرجال هذا خصمكم هاهو الساعة بين ايديكم فى القيود والاغلال والباشات الثقال فخذوه الآن واقتلوه واقطعوا رأسه ولاترحموه ودعوا أمه تندب عليه او انها تقتل نفسها وتذهب اليه وانا اعطيكم عشرة آلاف دينار ولكم على الخلع الكبار ويكون بعد قتل هذا الغلام لكم مالي وعليكم ماعلي والسلام (قال الراوي) فالحق عيسى

ان يتم الكلام حتي تقدم اليه الامير سليمان الجاسوس وضربه صفحا بالشاكريه القاه الى الارض وقد انكب على وجهه كانه قتيل وقد غشي عليه من هذه الضربة بذلك السلاح الثقيل ثم انقض عليه اوثقه كتافا وقوي منه السواعد والاطراف ساعة من الزمان وقد افلق على نفسه وتمنى ان الارض تبلعه وقال لهم بصقاعة ذقنه ياقوم ماذنبي عندكم وماالذى فعلت معكم بعد ان سلمتكم خصمكم فقالوا له ماهو الا اعز احبابنا واغلا من ارواحنا التي بين اجنبنا فعلم عيسى ان الحيلة تمت عليه فسكت علي مضض هذا وقد قال المقدم سليمان الجاسوس له يا قرنان يا متعوس ما هي الا حيلة وقد تمت عليك وبها أخذنا اخينا من بين يديك وعلمنا انك عدوه الاكبر والبلاء المحرر ثم ان المقدم سليمان امر بمده فى السرداب فمدوه الرجال الاحباب وضربوه ضرب الكلاب حتى انه اشرف على الذهاب وبعد ذلك خلصلوا أخيهم من الاغلال وأخذوه بالاحضان فقال لهم الامير جزاكم الله كل خير كثير هذا شأن الرجال وفعال الابطال والله لقد فعلتم مع والدتى أعز جميل واشفيتم الغليل وارضيتم بفعالكم الرب الحيل ودبرتم الحيل وأخذتمونى من يد هذا العدو الفشل فقالوا له والله لو كنت فى سد الاسكندر ذوالقرنين ماتركناك غمضة عين ولا بد اننا نسعى معك ونخلصك من يد كل عدو كان ولو كان فى ذلك اتلاف مهجتنا فشكرهم بيبرس علي فعالهم وجزاهم بكل جميل على مقالهم ثم انه التفت الى عيسى وقال له اي ذنب كان لى عندك حتي جازيتنى بالعقاب وارميتني فى هذا السرداب ولكن الآن هاتوا دماغه ياأعز الاحباب ومن عاش بعد عدوه يومافقد بلغ المنا والهنا وعندها فرحت المقادم بقوله وتقدم سليمان الجاسوس اليه وجود الشاكرية وانتدب علي رأسه وقال دستور يادولتلي اقطع رقبة هذا الغدار وأريح منه الكبار والصغار وبعد ذلك نجعلك حاكما علي الشام ولا نبالى بكل الانامفعند ذلك التفت عيسى ولاجت عينيه وأيقن انهم قضوا عليه ورقبته

ظن انها ضربت من بين كتفيه فصاح بعلو صوته ياولدي يا بيبرس اعذرني في ذلك الامر فانى لم اقدر أكافئك علي جميلك واعلم اني معذور وقد بلغني عنك من الاعداء انك ضمرت على قتلي واهانتي والدليل على ذلك انك لا اعطيتني شيئا مما نالك من غزوة اخصامي واخصامك فاغواني الشيطان ان هذا عنك صحيح ثم اغواني على ذلك الفعل الذي غير مليح ففعلت ياولدي ولكني تندمت علي ما كان مني وأنا قد عملت بأصلي فلا تأخذني بذنبي واعمل انت بأصلك وسامحني وان عدت لمثلها فسيفك خصمي وقد أبحت لك دمي وانا في عرضك وحسبك ثم انه سكت بعد ذلك الكلام فقال له الامير بيبرس ياقليل الادب انت بقيت لي عرض والاحسب فوحق من على العيون احتجب انك مستحق لكل مايصل اليك من النصب والتعب فقال له أنا في عرض أمك ومن الآن تبت علي يدك وهذا الرجال الحاضرين الذين هم فخر أولاد اسماعيل علينا من الشاهدين فقالوا له الاشراف يا أخينا اخبرنا بما تريد أن تفعل اما أن نقتله ولا نبالي بما قال والا أن نتركه الى أن يقيم منه أمر آخر على كل حال فعند ذلك قال لهم اصبروا ولا تعجلوا ثم التفت اليه وقال له هل تبت عن يقين والا أخلي اخوتي يتركوك من الهالكين فقال يا ولدي دعني ولا تشمت العداء بقتلي فانى من الآن تايب على يديك ولا لك مني الا ما تقر به عيناك

قال الراوي فلما سمع الاشراف والامير بيبرس كلامه استحى منه ورق له قلبه ودخل كلامه في لبه وقال لاخوانه يا اخواني يا أهل الكرام العفو من شيم الناس العظام وقد سمعتم أقواله وعرفتم زوره ومحاله وشهدتم على توبته على اني أقول مالي عدواً غيره وان كان يجري علي أمر من الامور فما يكون خصمي غير هذا الغرور فلا تطلبوني من غيره فان نقض التوبة مرة أخرى اقتلوه واسقوه كؤوساً مرة لانه قد تاب من الآن فان عاد فلا تقبلوا فيه شفاعة انسان والآن فاكرموه لاجل خاطري ودعوه يفعل ما يريد فقالوا له والله يادولتلى مامرادنا

أن نبقيه ولا نرى لك عدواً على وجه الارض ونخليه ولا بد لنا من قتل أعداك وهلاك كل من يشناك فدعنا نقطع نحره ونريحك من شره وغدره ومكره فعندها قال لهم عيسى يا رجال طاوعوه وفى مقالته لا تسفهوه واعلموا بأنى تبت على يدكم لا سيا وقد وقعت فى عرضكم ومن الآن ان كان يجرى أمر من الامور فأنا به مطلوب ومحصور وبعد ذلك فقد أبحت لكم دمى فاعف عنى ولا تأخذونى بأول ذنب منى فقالوا له اذا كان الامر على ماذكرت والحال على ماوصفت وتريد أننا نعفو عنك ولا نهرق دمك ترجع عن الفساد وظلم العباد والاحل بك هنا العناد واذا جرى على أخينا شيء من الآن فما نجاز به الا أنت دون كل انسان فهل رضيت بذلك فقال لهم رضيت والمقدم سليمان الجاسوس وكيلا عني فى ذلك

قال الراوى فتكفل به المقدم سليمان الجاسوس وضمنه الى الرجال ثم انهم حلوه من ذلك التعس والنكس وأمروه أن يقبل يد الامير الدولتلى بيبرس فتقدم اليه وقبل يديه ورأسه ورجليه وكان هذا على غير مراده ولكنه مافعله باجتهاده الا خوفا من الموت الذى ما كان له ذلك الوقت منه فوت ولكنه أخفى الكمد وأظهر الجلد وجعل يخفى ما بقلبه من الترح ويظهر للمقادم السرور والفرح ثم تصافت القلوب ثم انهم طلعوا من الطابق وجلسوا بين المراتب والعتايق وطلب الامير عيسى الشربات فشربوا وذكروا محمد صلى الله عليه وسلم ولذوا وطربوا ثم أن عيسى أخلع على المقادم الخلع الحسان واعطاهم عشرة آلاف دينار من غير نقصان وبعد أن غمرهم بالعطا تقدم اليهم ووقع فى عرضهم وقال لهم اكتموا عنى هذه القضية ولا تذكروها لأحد بالكلية ولا تذكروا أن بيبرس كان عندي ولا فى قبضة يدى فقالوا له نحن من القوم الاحرار الاشراف الاخيار الذين سيمتهم كتم الاسرار والمحامية عن الحريم والصغار ثم بعد ذلك ودعوه ونزلوا من عنده الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم

قال الراوى وأما ما كان من أمر السيدة فاطمة بنت الاقواسى فانها تلك

الليلة باتت ساهرة وفى أمرها حائرة وهى الى المقادم منتظرة فبينماهي متفكرة ولم يقر لها قرار ولا يهوى عينها نوم ولا استقرار فبينماهي كذلك واذا بالرجال قد أقبلت والى نحو بيت السيدة فاطمة عولت فتأملتهم السيدة فاطمة فرأت الامير بينهم كأنه النجمة الزاهرة الدائمة فلما شاهدت ذلك فرحت فرحا عظيما وزال عنها الحزن الذي كان بها مقيم وخرت لله ساجدة وشاكرة وحامدة وقد صاحت على الخدام من فرحتها فانتبوه من المنام ونزلوا وفتحوا الباب كلمح البصر فدخلوا الفداوية مع الامير المفتخر وهم فرحين مما نالهم من خلاص أخيهم شاكرين الله رب العالمين (يا سادة) يا كرام ثم ان الخدام أجلسوهم وترحبوا بهم وبالسلامة هنوهم وقد قبلوا يد الامير وهو فى وسطهم كأنه القمر المنير وقد أوقدت بينهم الشموع الموكبيات والمسك بالروايح الزكيات وأقبلت المطابق بالحلوات والشرابات بالمناديل المزركشات وهم مغمورون بالاموال كل منديل فيه ألف دينار ولما تناولوهم الاشراف وضعوا الجميع بين يدى الامير من غير خلاف وأضافوا باقى المال الذي أخذوه من عيسي على الكمال وقالوا له يا أخينا هذا مالك ولا نأخذ شيئا على خلاصك من يد قناصك قال فلما سمع الامير ذلك تعجب من حسن مروءتهم وقال لهم يا رجال لاي شيء ما أخذتم هـذا المال فقالوا له يا أخينا أرواحنا فداك ولا شمتت بك أعداك وبعد ذلك فكل أموالنا بين يديك ولا نبخل بكل ما نملكه عليك واننا لم نأخذ منك أموالا فى هذا الآن الا اذا آن لك الاوان وأخذ بيدك الملك الديان وصرت ملكا وسلطان فاننا نبقى كلنا نغازى فى سبيل الله ونقاتل بين يديك أعداء الله ونأخذ منك العطا والمواهب والخيول والجنايب لان مالك غيرنا حبايب وقد رأينا ذلك عندنا فى الجفر والكتايب فشكرهم الامير على ذلك واثنى عليهم ورد عليهم الاموال لحلفوا أن لا يأخذوا منها دينارا ثم اقبلت السيدة فاطمة وهي تقول كثر الله خيركم ولا عدمت بطول الدهر فضلكم لانى قد وصل الي جميلكم وغمرنى

احسانكم جبر ربي خواطركم كما جبرتم كسري ورديتم علي ولدى وحشاشة كبدى وقد خلصتموه من عدوه فالله تعالى يجازيه بفعله ويرسل له من يكون ضده فقالوا لها الرجال ياسيدتى هذاسيدنا ونحن كلناعبيده وخدامه وخيرنا كله من بعض احسانه فنسأل الله تعالى أن يبلغه مناه ولا يشمت به أعداه وبعد ذلك أرواحنا فداه ولا كان من يشناه فشكرتهم السيدة على فعالهم ومدحتهم على ما كان منهم ثم تودعوا الفداوية من أخيهم الامير بيبرس وأيضا من السيدة ونزلوا من البيت واقبلوا على الاسوار وارموا المفارد ونزلوا عليها مثل شعل النار وساروا طالبين الديار والبراري والقفار وكل ذلك فى غيهب الاعتكار

قال الروي هذا ماكان من أمر هؤلاء وماكان لهم من الاخبار وأما ما كان من السيدة فاطمة فانها أخذت ولدها بيبرس وطلعت به الي القصر وقد زال عنها الهم والحصر فلما استقر بهما الجلوس قالت له ياولدى اخبرنى أين كنت وأين كانت غيبتك فقال لها ياأمي والله أنى قدكان فى خاطري انى أخبرك بكل ماجرى ولكن الآن ما أقدر آتلفظ بلفظ واحد لان أخواتي قدأخذوا على العهود وأقسموا على بالملك الماجد على ان لم اذكر لاحد المكان الذي كنت فيه وبذلك اقسمت لهم وقد عاهدتهم ولكن سوف يظهر الكلام اذا مضت الايام فدعينا الساعة من هذه الاحكام قالت له يا ولدى الحمد لله على السلامة (يا سادة) ثم انه طلب المنام فانصرفت عنه السيدة ونام وتوكل على العليم العلام الذي لا يغفل ولاينام وقد أذن الله انه لايبات تلك الليلة الا فى مكانه لاجل سعادته وسلطانه (ياسادة) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس من الروابي والبطاح وسلمت على زين الملاح وانتبه الامير وصلى صلاة الافتتاح أتوا اليه بالشرابات والمآكل الفاخرات فأكل بحسب الكفاية وشرب وحمد رب البراية ونزل الى قاعة الجلوس وهو ضاحك غير عبوس وأتته اولاد الشام وهنوه بالسلامة من الاخطار وكان قد بلغهم طرفا من الاخبار فأكرمهم

وحياهم وا كرم منواهم واخذوا حظهم وانصرفوا الى حال سبيلهم هذا وقد طاب العز والانس لدولتى الاميربيبرس وزاد عليه الحظ والشأن وأقام بارض الشام

قال الراوي فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر السيدة فاطمة فان عزها زاد باذن رب العباد وكثر بها الوداد وحمدت علي ذلك الملك الجواد

قال الراوي وسنرجع الي سيرة خادم الحرمين الشريفين وقائد الرايتين المتكلم بالصدق لا بالشين الزناد القادح والبحر الملان الطافح والزناد القادح الولى الناجح الملك الصالح نجم الدين أيوب ولى الله المجذوب وما يقع له من الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب الذى يجب ان نسوقه على الترتيب حتى أن المستمع يلذ ويطيب بعد الف صلاة ترضى النبي الحبيب صاحب البردة والقضيب والناقة والنجيب الذى من صلى عليه قط لا يخيب وكيف يخيب وهو يصلى علي حبيب الحبيب شفيعنا يوم القيامة من اللهيب انه كان فى بعض الايام جالس على كرسى قلعة الجبل ومثلك يوحد القديم الازل وقد تكامل الديوان وتكاملت الوزراء والحجاب والنيـاب والسادة والاخوان والاغا شاهين عن يمينه وأيبك التركمانى عن شماله والايوبيه والموصلية والزرسجية والخزورجية والقاضى بين يديه والقاضى بن دقيق العيد والقاضي صلاح الدين بن الشيخ جلال الدين القرافى والملك قد جلس يتعاطى الاحكام وقد راق الديوان فبينما الملك جالس والديوان حابك واذا بالوزير الاغا شاهين الافرم قد نهض الى محل الطلب وقال يامولانا السلطان المراد ان ترسل لى رجلا من أولاد عمك يجمع لنا الخراج من البلدان ويأخذه من النواب ويسير به الى أرض الشام ويسلمه الي عيسى الناصر فيرسلها مع خيل البريد لاجل أن يحضر لنا الاموال ولم يكن في ذلك امهال لان أوان الحج قد اقترب ونريد أن نجهز لوازم أهل الحجاز والعرب كما جرت به العادات في كل عام ياملك الاسلام فقال له الملك السمع والطاعة انظر لنا من يروح فى قضاء هذه الاشغال الساعة فقال الاغا شاهين من يسافر

الى تلك البلاد ويأتى لنا بالخراج من أهل المهاد (ياسدة) ياكرام فعند ذلك انتدب رجل من الاكراد ووقف بين يدى الملك وقال أنا آتى بالمال وارجع سريعا على كل حال فتبينه الملك واذا به نجم الدين البندقداري وكان هذا ابن عم الملك الصالح فقال له يانجم الدين دع هذا الامر الى غيرك وانى لاجل المال ما أتركك أن تسلك الاودية الخوال فقال له ياابن العم اعلم أن لى هناك حاجة أخرى أريد أقضيها فى هذه المرة فقال له ما هي الحاجة ياابن العم فقال له اعلم ياأمير المؤمنين وخادم قبر سيد المرسلين ان زوجتى السيدة شهوة لها أخت مقيمة بارض الشام يقال لها السيددة فاطمـة بنت الاقواسى وهى من الناس الـكرام وكنت تزوجت بأختها من مس مدة ماأقبلت من أراضى بكر وان هذه السيدة فاطمة لها غلام ولا رزقت غيره في الانام وقد توفى الى رحمة الله تعالى فتواصلت الى اختها الاخبار بما نالها من الاضرار وبلغها أنها لاجل ولدها لا يقر لها قرار ولا تذوق النوم لا بالليل ولا بالنهار فأعادت على زوجتى هذه الاخبار واطلعتني على ذلك الآثار فطيبت خاطرها وقلبها ولبها وقلت لها لابد ان أسير الى ارض الشام وازور ذلك المقام واطيب خاطر اختك من اجل هذا الغلام وكنت ياأمير المؤمنـين اريد منك الاذن فى المسير وسرعة الجد والتشمير فأتاني الامر كما أريد وجرت هذه الامور باذن الملك المجيد فاذا أنا سرت اليها آخذا بخاطرها وأعزيها فى ولدها لان اختها مشغولة القلب عليها ومن اشتغالها بذلك الشأن طلبت مني في ذلك الاستاذان بالمسير الى تلك البلدان وعلى كل حال رواحى أنا خير من رواح زوجتى لانها على كل حال من النسوان فدعنى اسير فى حاجتك وحاجتى واقضى مراد زوجتى ويبقى رواحى بفائدة وحجة وحاجة زائدة لاسيما وانى اريد التشرف بالخدمة لامير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين

(قال الراوى) فلما سمع الملك الصالح من ابن عمه نجم الدين البندقداري

ذلك الكلام هدر وترجم وارغا وازبد وهاج كما يهيج الجمل وتكلم بكلام لا يفهم حتي تعجب الحاضرون من كلامه وما فهموا مرامه لانه صاح يا ابن العم اذا وصلت الى ذلك العلم تجيب الطير وتدخله فى القفص وتجبر كسر قلبي وتزيل عنه الغصص وتتحايل عليه وتحط له العلف والماء والكلف وتكرمه ومن كل شيء لا تحرمه فقال نجم الدين اي طير يا ابن العم ومن تعني بذلك الكلام فقال الملك الله الله يا نجم الدين يا من هو على الحق المبين اذ الفائدة اذا أنت جئت بالطير تجمله لنفسك وتخبيه عنى فى بيتك ولكن يا اخي وعزة الربوبية لابد أن يظهر ويبقى ظاهرا مثل الشمس والقمر ولا يفيدك من ضياء شيء فلا بد له أن يكمد حسوده ويقهر سعده جحوده ويعلو أمره على الطيور ويبقى له أمر مشهور وعملا مشكور ولكن دعنى من هذا الكلام المذكور فسوف يظهر كل ذلك باذن الملك الغفور فقال له نجم الدين يا ابن العم أنا لست ادرى معنى هذا الكلام ولا افهم عن من تعني من الانام فقال الصالح أنا رجل على باب الله مسلوب العقل فى حب الله فلا تؤاخذنى في كلامي ولا تكثر في ملامي فقال الاغا شاهين لا اله الا انت سبحانك ما اعظم شأنك واعز سلطانك ولا اله غيرك خلقتني ورزقتني وبعشرة الناس الكرام عرفتنى الهى اسألك بحرمة حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم لا تحرمنى من اسيادي الذين حبهم ملك فؤادي وما اعرف لهم مقال ولا اعرف لهم جواب انك أنت الكريم المتعال ثم أن الملك التفت الى الاغا شاهين وقال له اخلع عليه ووليه هذا الامر واكتب له الكتب فانى قد أجبته الي ذلك السبب ففعل الوزير ماامره الملك به وقد نزل الشيخ نجم الدين وقد انعقد له الموكب فركب الشهبة وسار بالخلع والهية ولم يزل سائرا الى أن وصل الي بيته وكان بالحسنية فتحول عن مركوبه بالكلية وصعد الي الحريم فتلقته زوجته وعن حالته سألته وقد رأته لابس الخلعة فقالت لاى شيء لبست هذا القفطان فقال لها انى مسافر الي حلب والشام اجمع خراج الاقاليم حكم أمير المؤمنين فلما سمعت منه ذلك الكلام

قالت له يا ابن الاعمام اسألك بالملك العلام اذا انت وصلت الى أرض الشام تقرى أختي جزيل السلام وتأخذ بخاطرها عني في فقد الغلام وتعزيها في ولدها وتقبل عني رأسها وتذكر لها انني مامنعني عنك الا المشقة والامور المحققة وبعد الطريق وعدم الرفيق وتخبرها بأن قلبي عليها كثير وبعد ذلك فالله يهون عليك المسير ويعيدك بالسلامة الى أرض مصر من غير ملامة

(قال الراوي) فلما سمع منها ذلك قال لها اعلمي انني ما طلبت السفر لهذا المحجر وخاطرت كل الخطر الا لاجل هذه الحاجة ولهذا الامر اكثر من كل أمر محرر (ياسادة) ثم انه بات تلك الليلة في ارقى رتب السيادة ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح جهز نفسه الى السفر ولم يأخذ على ذلك مصطبر الى أن تمت الاشغال وبرزت الخيام والخدام خارج البلد واجتمعت سائر رجاله ولم يبق منهم أحد ونزل نجم الدين البند قداري الي ظاهر البلد وركب وزار الامام وسكان القرافة وأهل البقع المظام ولم رجع من الزيارة طلع الديوان وأخذ الاذن من السلطان وتودع منه ومن بنى الاعمام وطلب السير في الاكام ولم يزل سائرا بامكان وهو يقطع البراري والقفار حتى وصل الى غزة وتلك الاوطان فأمر بالنزول فنزلت العساكر والرجال في هذه البراري الخوال هنا وقد وصلت الاخبار الى نائب غزة فنزل نائبها اليه وقبل الارض بين يديه وأمر له بالعلوفات والاقامات والهدايات وبعد أن أخذ الراحة اخرج الكتاب وقال له خذ هذا الكتاب واجمع مافيه جميعاً وارسله الي ارض الشام سريعاً لاني في أمري على عجل ثم انه أخذ منه الكتاب فرأى علامة السلطان فأجاب وقال سمعا على الرأس لاعلى الاقدام فها نحن مطيعون لامر السلطان ثم أن نجم الدين تودع منه وسار طالبا ارض الشام حتى وصل اليها باهتمام وقد نصبت الوطاقات فنزل وجلس في الصيوان ووصلت الاخبار الى باشت الشام بأن نجم الدين وصل الى الشام وانه ماأتى الا بسبب الخراج فأنزل اليه ولا تكثر اللجاج فلما سمع باشت

الشام ذلك الكلام توانى في أمر مرسول السلطان وقال اذا كان غدا انزل اليه حتى انى أسم عليه ثم تركه ولم يعتنى به فهذا ما كان من امره وأما ما كان من أمر نجم الدين البند قدارى فانه حصل ينتظر من يأتى اليـه من طرف باشت الشام مثل شيخ أو غـلام فلم ير أحدا أتاه من الانام فتعجب من ذلك غاية العجب وقال والله ان هذا لابد له من سبب وأى سبب ولكن سوف يظهر ويبان الماصى والطابع لامر السلطان

قال الراوى فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فبينما هو جالس فى بعض الايام فى بيت أمه والمماليك من حوله واذا بعلى الاقواسى أقبل الى ذلك المكان وأطلع الى أخته وغاب ساعة ونزل وهو متغير الوجه منزعج فلما رآه الامير بيبرس على مثل ذلك الحالة صاح عليه فأجابه بالتلبية وأقبل عليه فأجلسه الى جانبه وتأنى عليه حتى ذهب غيظه ونواكبه وقد أمر له بالشربات وما يناسبه حتى أفاق ومما هو فيه راق ثم أقبل علية وقال له مالى أراك دخلت الى الحريم وأنت فى غايه من الانسراح وخرجت وأنت منزعج بالاتراح فأخبرنى ما السبب فى ذلك فقال له ياسيدى اعلم أن زوج خالتك قد أقبل من أرض مصر وهو يقال له نجم الدين البندقداوى وقد بلغ الخبر بذلك الى باشت الشام فنادى له عيسى بالزينة فى غد لاجل المقابلة واننا نريد ان نقابله وندخل معه الى الشام وأنا على كل حال باش بلك بشوية رجال اليمن وقد دخلت الى أختى وطلبت منها تبديلة تليق بمقامى البسها غدا بين أقرانى وأقوامى فما بلغتنى مرامى لاسيما وهو زوج أختى وأن التبـدبلة التى عندى لا تصلح الى مقابلته ولا تليق أن أمشى بها بين رفقتى وأخاف أن ترانى أهل الشام بعين النقص والهوان وانى أوعدت أختي انى أعيد اليها التبديلة ولا آخذها ثانى مرة فلما سمعت منى ذلك الكلام قالت لى اعلم يا أخى انا لم يكن لى تصرف فى المال ولا فى المكان وانى لا أحكم من المال على جديد ولا أقدر على كسوة

لعبد من العبيد الا اذا كان ذلك باطلاع ولدى بيبرس وانه هو صاحب المال ولم يكن لى شيء عنده من النوال ولا أعطى درهما ولا دينارا الا اذا كان باطلاع ولدى بيبرس لانه هو الذى قد وضع يده على مالى ونوالى ولم يكن لى عنده شيء فان كان مرادك شيئا فاذهب اليه وقص سؤلك عليه فان أعطاك فبرأيه وان لم يعطك فبأمره فلما سمعت منها ذلك صعب على وكبر لدى ونزلت من عندها وأنا متغير فلما نظرت اليك وناديتنى اجبتك وسألتنى أخبرتك وهذه حكايتى والسلام

قال الراوي فلما سمع الامير بيبرس كلامه تبسم ضاحكا وقال له ياسيدى لا تأخذ على خاطرك من أختك ابداً فها نحن وما ملكت ايدينا باسمك وبحكمك واعلم انها ما قالت لك ذلك حتى انها علمت انى لا أمنعك من كل ما تطلبه فاطلب ماشئت وسئل ماهويت فقال له وقد زال عنه بعض ما كان يجده من الغيظ أطال الله بقاك ولا كان من يشناك هذا وقد طيب خاطره الامير بيبرس ومازال معه فى حديث وموانسة الى أن أقبل الليل بالاعتكار وقد طلبت العين حظها من المنام وكانوا قد قضوا الفروض وصلوا على الرسول وأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا واضطجعوا بعد ذلك فى فراش واحد الى أن ظهر الظلام وأبدا الابتسام نهض الاثنان وصلوا فرضهم وما زالوا في ذكر وتسبيح الى ان بزغت الشمس وأمر الامير باصلاح الحمام ففعلوا ذلك الجوار والغلمان ثم دخل الامير الى الغليان وهو معه وأمر الجوار ان يقلعوه بدلته ويصلحوا شأنه فاجابوه بالسمع والطاعة هذا وقد دخل الامير بيبرس الى الصناديق وأخرج له بدلة مثمنة تليق به وهي من المعادن والفصوص على غاية قال وكانت هذه بدلة الامير حسن الاقواسي وهى التى قد أعدها للمواكب فاخذها بيبرس وسار بها الى قاعة الجلوس ووضعها على كرسى وسار ينتظره حتى يخرج من الحمام ومازال كذلك حتى خرج على فتلقاه الامير باحسن ملتقي وأجلسه الى جانبه وقدم له بدلة أبيه

وقال له ياسيدى البس فهذه مني اليك هبة كريم لايعود فى عطاه

قال الراوى فاخذ على البدلة وافرغها عليه ثم تقلد بالسلاح والعدة واقبل فيهما واخذ بيبرس ملء احضانه وقبله بين عينيه وقال له اعلم ان اختي قد نظرت نظرا وهو في محله ولقد أبصرت موضع النظر وأنها والله صاحبة رأي وتدبير ولقد صنعت المعروف مع أهله وأنك أهل العطا والفخر والمقام العالي وما كنت أظن أنك على مثل ذلك وقد بان لى منك الخير وانت صاحب الحسب والنسب فقال له الامير بيبرس اعلم انى خادمك وغلامك والله تعالى يسعد ايامك ويهلك اخصامك ثم ان الامير أمر الركبدار ان يحضر ركوبة مفتخرة ففعل الركبدار ذلك وركب الامير بيبرس على جواده سرجويل وركب علي الى جانبه وقد أخذ الامير بيبرس اللت العشرة ارطال الدمشقى فى يده وسار الى جانب علي حتى خرجوا من الابواب وكان الامير بيبرس صبيح الوجه حلو الشمايل يحبه كل من رآه فلما نظرت أولاد الشام الى ذلك ورأوا زينة مالها من نظير وموكب عظيم كبير وقد انعقد الموكب بالرجال وسار الامير علي و بيبرس فى أوساط الموكب فلما عاينوا ذلك أولاد الشام انقسموا فرقتين فرقة منهم وهم الفصحاء والعقلاء قالوا هذا من زكاة عقل الامير بيبرس وشكروه على فعاله والباقون ساروا يتكلمون في حقهم فنهم من يقول هذا عشيقه ومنهم من يقول كان بالامس بايت معه فى الفراش ومنهم من يحلف بالطلاق وقد كثر القيل والقال والكلام والخناق وقد عرف الامير بيبرس منهم ذلك لان البصير لايخفى عليه كل أمر خطير فعندها ترجل الامير عن جواده وسار الى جانب جواد علي وقد أظهر اللت الذى معه وسار يلعب به قدام جواد الامير فهابته الناس (ياسادة) ولما نظر علي الى ذلك الفعال فما هان عليه ان الامير يكون ماشياً وهو راكب دون أن ترجل الآخر عن جواده ومشى الى جانب بيبرس فقال له لماذا يا أخى

ترجلت عن الجواد فقا له أنا لا أركب وأنت راجل فقاله أنت ما عليك مني فاركب ظهر جوادك لانك قادم الى لقاء زوج أختك ولك رتبة وأنت طالع من أجلها وما أنا طالب غير الفرجة كاحد الناس وأعود الى حال سبيلي فلا بد من ركوبك فقال له الامير علي دعنا نسير سويا فقال له الامير بيبرس وحق رأسي الا تركب ولا تكون راجلا أبدا والا عدنا من ها هنا قال فاخذه منه الحياء وأراد الركوب واذا قد لقيهم مقدم يقال حسن منسك باش السيار وهو طالع الآخر الى الموكب وولده ماشي الى جانبه عن يمينه فتأمل واذا به رأى علي بن الاقواسي وكان شريكه فى رتبة الميمنة وبجانبه الامير بيبر بن أخته وهو كانه البدر في تمامه فعندها تقدم حسن وصبح عليه وكان حسن هذا ابن رفيق بيبرس فناداه الى أين يا أخى فقال مرادي ان اتفرج على الطوابق فقال له يا اخى وانا معك ووالدى يسير مع المقدم علي الي لقاء الامير فقال بيبرس يا اخي لقد قلت الصواب ثم انه ترك جواده مع السايس وجعل يده فى يده وساروا طالبين الفرجة وعنهم الامور منفرجة وصاروا وقد تركوا رفقاءهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى واما ما كان من أمر علي بن الاقواسى صاحب الميمنة فانه صار هو وحسن صاحب الميسرة الى ان اقبلوا الي اوئل العسكر فترجلوا عن خيولهم وعبروا بذلك الحشمة فقاموا لهم الرجال وتلقوهم أحسن استقبال ودخلوا الي عند الامير نجم الدين فتزعزع لهم وقد سلموا عليه وباس يده علي الاقواسي وانعزل الى جهة اليمين وكذلك المقدم حسن منسك وعادالى رتبته ذات اليسار هذا وقد ترحب بهم الامير وحياهم وزاد في اكرامهم

(قال الراوِي) فبينما هم كذلك واذا بباشت الشام قد اقبل فى موكبه وكان موكب عظيم فيه قد اجتمعت رؤس الشام فلما اقبل ترجل فترجلت الرجال ودخل عيسى الناصر شرف الدين على نجم الدين البندقدارى وقبل يده فاجلسه الى جانبه فترحب به وأقبل من بعده نقيب الاشراف فهم اجلالا له وتلقاه

واكرم مثواه ولما استقر به الجلوس أقبلت القضاة والشيخ النووي وعلماء الشام بين يديه والجميع قد انحفل بهم المكان وتكامل بهم الصيوان وران الحي وصفت قلوب الاخوان

(قال الراوى) فتبادر عيسي الناصر الي الامير نجم الدين بالكلام وقال له يا سيدى اعلم انك ما أتيت الي عندي الا وأنا محتاجا اليك ومنتظر الي طلعتك وأنا واقع فى عرضك وتحت زمامك فقال نجم الدين وقد تعجب ولاي شيء ذلك يا أخي قال له اعلم انى قد أتى الي عندى ولد معكوس وطالعه منحوس وهو يقتل القتيل ويدع دمه يسيل ولا يبالى بكبير ولا بصغير ولقد فعل في هذه الارض فعلا خطير واسمه بيبرس ولكنه قاطع الطريق وخاين الرفيق وفاسق زنديق وشارب الخمر العتيق وقاتل النفس من غير تحقيق وفاعل الزنا وكل أمور عنا وأنا ما قدرت عليه ولا وصلت اليه فبالله عليك أن تقتله وتريحنا من طلعته لانك اذا امرت بقتله كانت لك من الله المنة وربما دخلت بسبب قتله الجنه اذا أنت كفيتنا شر هذه المحنة

(قال الدينارى)فقال نجم الدين يا عيسى انك الآن أنت المدعى ولا بد من المدعى أن يقيم الدليل حتى يثبت قوله مع أني لم أثق بقولك ولا أصغ لكلامك الا اذا شهدت الناس الطيبين وأهل الخيرات أو العلماء الثقات يشهدون بين يدي بان هذا بيبرس بن زنا وفعاله غير صالحه فاذا ثبتت عليه هذه الاقوال وفيه كلما ذكرته من الكبائر فانا بعد ذلك اريحك من هذا الكلب وأزيل ما عندك من الكرب واريح اولاد الشام من شره وأرد كيده فى نحره قال فلما نظر عيسى الى ذلك انفطرت مرارته ولم يجد له سؤال بعد ذلك يزيد به كتفه غير انه قال يا وزير الزمان سوف ترى العجب وأنا أسأل الله تعالي المحتجب يصدق شيبى عقدك وترى هذا السبب

(قال الراوى) واعجب ما فى هذه السيرة العجيبة من الامور المطربه

الغريبة أن عيسى لم يتم دعاه حتى أقبل خادمين للوزير نجم الدين البندقداري وهما حاملين قتيل وما زالوا به حتى وضعوه الى بين يدي الامير نجم الدين وهم يقولون ياوزير الزمان ما يحل من الله فقال لهم ما الخبر قالوا له يامولانا عوضك الله خير في سايس باشا مقدم الركوبة العرندباس لاولاد الشيخ قال فلما سمع الوزير نجم الدين ذلك اغتم غما شديدا ما عليه من مزيد وقال لهم ومن الذي قتله وفى دماه جند له ومن الذي قد داس على طرفي وقتل صاحبي وانا موجود لست بخفي قالوا له اعلم أن الذي قتله غلام صغير وهو دون أولاد الشام حقير فقال لهم ومن اسمه قالوا له اسمه بيبرس من شبان الشام

قال الراوى فالتفت الامير نجم الدين وقال ياعيسى هكذا يصح قتل سايسى فى بلدك فقال عيسى الحمد لله الذي لم يفضح شيبتي عندك وانا من قبل ذلك اعلمتك وقد اخبرتك وبحديث هـذا الغلام أطلعتك ومن فعاله حـذرتك وأنت لم تصدقنى حتى قتل سايسك وقد ظهر الحق وبان وذهب الباطل والبهتان

(قال الراوى) فعنـد ذلك اشتد غضب الوزير نجم الدين وصاح فيمن حوله من الرجال على بهذا الولد الزنا وتربية الام الخنا سوف اخذمنه بالثار واجلى عن نفسي هذا العار فالآن ثبت عندى قول عيسي وسوف اجعل هذا الغلام في تجارته خاسر فعند دلك تجارت الخدام واقبلوا الي بيبرس وداروا به من كل جانب ومكان غير انهم لم يقدروا ان يقتربوا اليه ولا لاحد منهم جسارة ان يهجم عليه ومع ذلك لا يعتنى بهم ولا يبالى باضعاف أمثالهم

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب وهو ان الامير بيبرس لما اخذ على منسك وطلع به الى الفرجة كما ذكرنا وساروا يتفرجون على ارباب الفنون كما وصفنا ولم يزالوا من مكان الي مكان حتى اقبلوا الى طوابق الحـكم فلما عاينت اولاد الفنون الامير بيبرس استقبلوه ومدحوه وشكروه وذلك لوجهين احدهما انهـم يعلمونه انه قيم في الصراع

وبهلوان ومعالج كل انسان والثانى لانه صاحب كرم عليهم ويده مبسوطة بالعطيات اليهم هذا وقد فرشوا لهم واجلسوهم من داخل طابقهم وجعلوا يلعبون بين ايديهم فبينما هم كذلك اذ اقبل عليهم رجل فقال له العرند عشاديده وكانوا هؤلاء يريدون الفرجه وهذا العرند باشة المركوبة الذى لنجم الدين البندقدارى فلما وصلوا الى هذا المكان فتأمل العرند فرأى بيبرس وعلى منسك وهما جالسين من داخل الطابق كانهم البدور الطوالع فلما عاين ذلك ذهب عقله وغاب لبه وتقدم الى الامير بيبرس وباس يده وكذلك على وجلس الى جانبهم وجعل يحدثهم ويلاعبهم ثم انه قال لهم قوموا معى الى مكانى حتى تصيروا اخوانى واخذكم معى الى ارض مصر وان اقمتم عندي كان لكم الفخر فقوموا معي الى الاصطبل حتى يشيع ذكركم بين اقرانكم لانى انا كبير المتقدمين والعياق بارض مصر عز اولار الشيخ سايس نجم الدين البندقدارى فلما سمع منه بيبرس ذلك الكلام قال له يا أبي واى شيء يفيدك منا اذا مضينا معك الي المكان الذى تريده وما نحن سياسين ولا خدام ولا غلمان فقال لهم العرند قم معي أنت ورفيقك وانا اعلمك الكرار ويبقى لكم عند الناس تذكار وأى تذكار وتكونون انتم الاثنين برسمي ليلا ونهاراً ولا اخلي أحدا يدنو منكم لامن الكبار ولا من الصغار فقال له بيبرس وقد عرف المعنى يا ابى امض عنا الى حال سبيلك فقال له العرند اسمع قولي وطاوعني في فعلى وان لم تسر معى طوعا اخذتك كرها فصاح عليه بيبرس وقال له امض الى حال سبيلك بلا قلة ادب فلما سمع منه العرند ذلك ضحك له وقال انا قليل الادب ياحبيبى ثم مد يده اليه وقرصه فى خده وأراد أن يمسك لغده فغاب بيبرس عن الوجود وبقى حاضر فى صفة مفقود وجرد اللت الدمشقى وقال له انت ما ترجع عنى فقال له لست حايد ولا بد من أخذك واجملك الليلة في حضنى وأحظا بوصولك فعندها زاد غبنه ورفع

باللت يده وضربه به على رأسه ضربة جبار عنيـد أخرج مخه من اتقه فوقع العبد على الارض قتيـل يخور في دمه ويضطرب في عندمه وطلب بعد ذلك اتباعه الذين كانوا خلفه ولوح اليهم بيده فتهاربت من بين يديه وقد جلس بعد ذلك مكانه مكان الاسد الهدار ولم يأخذه من ذلك افتـكار ولا اضرار فهذ ا ما كان من امر بيبرس وما جرى من نوبيه

قال الراوى وأما ما كان من أمر على منسـك فانه لما عاين تلك الاحوال طلب لنفسه الفرار والفلال وقد هرب فى ساعته فى الحال هذا وقد وصلت الاخبار بما جرى للعرند من الاضرار فهربت الناس فى الغبار وساروا لا يلون على أحد وقد بالغوا فى الاقوال وقالوا انه قد قتل بيبرس الفا من الرجال فصار الرجل يجري ويتلفت خلفه وما يصدق أن يصـل الى الدار ويغلقها عليه بالاحجار الـكبار فهذا ما كان من أمر أهل الشام وأما ما كان من امر السياس فانهم اتوا بتابوت ووضعوا العرند فيه وهو قتيل وقد ساروا به الى نجم الدين وأخبروه بما كان وكان قبل ذلك يتحدث معه عيسى فى مثل هذا الشان فثبت عنده الكلام واخذه الغضب والحردان وقال على به فتراجعوا اليه الخدام كما ذكرنا وداروا من حوله ولم يجسروا عليه كما وصفنا فهذا كان الاصل والسبب وسـنرجع الى كلامنا الاول باذن من لا يزول ولا يتحول

قال الراوى ولما اقبلت العساكر الى ذلك الطابق ورأوا الامير بيبرس جالس كأنه الاسد وعلى ركبتيه اللت الدمشقي تراجعوا على اعقابهم الى بعيد ونادوه يا امير عليك السـمع والطاعة اجب الوزير نجم الدين البنـدقدارى فقال لهم الامير بيبرس سيروا انتم قدامي وانا سائر على اثركم فقالوا له ولم لا تسير معنا ايها الامير فقال لهم وقد وقعت له الهيبة في قلوبهم وحق رأسى ان لم تسيروا قدامي والا ضربتكم بهذا اللت فلقت رؤوسكم ولا ابالى بكم ولا بامثالـكم ولا بسيدكم فعندها ساروا قدامه كأنه طاردهم محتسبين منه وجدوا فى سيرهم وهم

سائرين مسير الخوف والفزع ولم يصدقو بانهم وصلوا الى الصيوان فدخلوا على الامير نجم الدين فقالوا له ايها الامير هذا الغريم قد اقبل فقال لهم هل اتيتم به مكتف أم قبضتموه بغير كتاف فقالواله لا والله ياسيدنا وانما دعيناه الى ذلك فاجاب وسرنا قدامه وسار هو خلفنا كأنه الراعي ونحن الاغنام وما زلنا كذلك حتى أتينا اليك وها هو الساعة بين يديك هذا وقد دخل الامير بيبرس وأقبل على نجم الدين وسلم فرد عليه السلام فقال له هذا الذى قتل السايس وهو الآن بين يديك فاحكم فيه بما تريد فقال عيسى والله ياسيدى ما دواه الا القتل انك اذا قتلته ريحتنا منه ومن اذيته ومن شؤم طلعته فعندها قال الوزير البندقداري أنت الذي قتلت السايس قال نعم قال له لماذا قال انه رجل قليل الادب وقد اساء الادب فى حقي وقد تكلم معى بما لا يليق وقد جرى منه كذا وكذا ثم اعاد عليه الحديث الذي جرى بينهما فعند ذلك قال له انك امرء مشهور بالفسوق والفساد والزنا والعناد وأنت رجل ظالم وفى فعلك غاشم ثم ان الامير نجم الدين صاح فيمن حوله من الرجال دونكم وهذا القرنان فتبادروا اليه الرجال وتكاثرت عليه الشجعان واداروا الكتاف وقواسواعده والاطراف وقال بعد ذلك ارموه فى نطعة الدم فرموه وعيسى يقول عجلوا عليه والسياف ينتظر الاذن من الوزير نجم الدين البندقدارى هذا وعيسى افرح الناس فى قتل بيبرس فبينما السياف ينتظر الاذن من الامير وقد اذن له أن يضرب رقبته فرفع السياف يده حتى بان سواد ابطه وعلا بالحسام الى الجو واراد ان ينزل به واذا بشخص اقبل من خلفه وقبض على الحسام فالتفت السياف اليه لينظر من فعل ذلك وقد بهتت الرجال وبهت عيسى الناصر وتأملوه واذا به علي ابن الاقواسي فلما رآه السياف اهابه وتأخر عن الامير وقد اخذ على منه السيف وتقدم به الى الامير وقطع كتافه وفك العصابة من على عينيه وقبله وطيب خاطره وناوله له وتقدم بعد ذلك الى زوج خالته وقد ازال الله بغضة

الامير بيبرس من قلبه وسار يحبه من ساعة اعطاه التبديلة وكان بيبرس قبل ذلك يحبه ويحسن اليه ولما رآه على هذه الحالة اتى له بما هان عليه فتقدم الى زوج خالته وسلم عليه وقبل كتفه وباس يديه وقال علي فى نفسه ازرع مع هذا جميل لعله يمحي البغضة من قلب امه وقد نظر نجم الدين الى الامير على وقال له ما تريد يا اخي فقال له يا رزير الزمان وسيد اهل مصر والشام انى جئت اليك ناصحا وفى اموري لك ناجحا وذلك انك اذا قتلت هذا الغلام لم تقدر أن تطا بقدمك أرض الشام ولا يهنيء لك فيها طعامك ولا شراب ولا منام ويعود قتله عليك دون غيرك وبالا تام ولم تر لك حبيباً فيها ولا في مصر ولا في سائر الانام فأى أرض تقلك وأى سماء تظلك بعد قتل هذا الغلام وأين تقصد من الاوطان فقال له نجم الدين وقد زاد غيظه عليه ويلك تحدثني بهذا الكلام وأنا لي فى أرض الشام أهلا واخوان فاذا ضاقت علي الاقطار أقصد بيت أختى فاطمة الاقواسية صاحبة التذكار الذي أنا متزوج بأختها فى تلك الامصار وما جئت ها هنا الا بسببها ومن أجلها فقال له انك لم تقدر تنظرها ولا تدخل عليها ولا تقابلها فقال له لاي شيء وأنا ما جئت الا لأعزيها فى ولدها وأزيل عنها ما تجده من همها وغمها فقال له علي يا وزير الزمان اعلم انك الآن تريد أن تقتل ولدها بيدك وتمضى فيه بحكمك وبأمرك ونهيك وبعد ذلك تعزيها فيه فوالله لقد صدق المثل السائر حيث يقول ان من يقتل القتيل بحربته ويمشى بعدها فى جنازته ويعزي فيه أهله ورفقته ويبكى عليه ويرخى دمعته فقال له الوزير وما المعنى فى هذا الكلام ياعلي اطلعني على الحقيقة فلقد دخل قولك فى قلبي وأخذ بمسامعى ولبي فقال له يا سيدي اعلم ان هذا هو الامير بيبرس بن أختي فاطمة الاقواسية بنت حسن الاقواسى قال له هذا ولد فاطمة قال نعم قال والله لقد أراد عيسى الناصر بذلك لوعتى وطردي من مصر والشام ولكن الحمد لله على السلامة له وانى يطيب على قلبي أن أفديه بنفسى وبمالي وروحى ولكن

كيف العمل فى باشت الشام وأولاد الشام وقد شهدوا عليه الجميع بكل فعل شنيع وربما أرسل عيسى الى طائفة أولاد الشيخ واعلمهم بماجرى ويذكر لهم ان ما أحداً أحماه غيري وعلى كل حال هم أولاد مصر وعياقها ولايقدر عليهم أحد ولو قتلونى فيه فلا يبالون بمثل ذلك لا بالوزير ولابالسلطان وبعد ذلك فالامر اليك فقال على الرأي عندي انك فى ذلك اليوم تطلق الامير بيبرس وتمهل هذه الحكومة الى غد والمنادي ينادي فى سائر أولادالشام انالاجتماع فى المحل المنير والمكان الشهير والجامع الكبير جامع بني أمية غدا يوم الخميس المبارك فاذا حضرت الناس عندصلاة الظهر توقف الاثنين وهما بيبرس وعيسى الناصر الى جانبه على يد الشرع العزيز وتشهدالناس على الاثنين وتقام الدعوة على الفريقين فكل من ثبت عليه الحق الى صاحبه تنتقم منه على مافعل فى حق الآخر بقدر ظلومته وأيضاً تستنطق أولاد الشام على ما فعل بيبرس مع العرند وتأخذ المكاتبات بخطوط العلماء ومافعله الشرع لا أحدا يراجعه فلما سمع الامير نجم الدين ذلك قال لقد قلت الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انه نهض قائما على الاقدام وأخذ بيبرس ملء الاحضان وأجلسه فى أعز مكان وعيسى قد ضاق عليه المكان وكادت مرارته أن تذوب مما نزل عليه من البهتان وأمر الوزير نجم الدين المنادي ينادي بما قدمنا ذكره فنادي النقيب وسمعته أولاد الشام ثم أمر الوزير بدفن العرند فدفنوه وانقضت الاحكام

قال الراوي فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من أمر الوزير فانه أقام فى السراية الى ثانى الايام وركب فى سائر أصحابه وسار طالب الجامع وكان قد آن وقت الظهر فصلى به نقيب الاشراف وقد حضرت أهل العلوم وأصحاب الانصاف وأيضاً حضر الامير بيبرس وعيسى ثم توافقوا الاثنين على يد قاضى الاسلام وقال القاضى ماذا تدعى يا عيسى فقال أدعى على هذا انه قد قتل خمسة وثلاثين من أولاد الشام وقتل كبيرهم سعيد الحبشي الركبدار

الذى هو من سلالة بلال مؤذن النبي المفضال وفعل فعل الانذال من شرب الخمور و نكاح غير الحلال فقال شيخ الاسلام يا سادتنا يا أشراف يا أهل الجود والانصاف هل ما يدعى به هذا عيسى من الاقوال صحيح أم غير صحيح في الاقوال فعند ذلك تقدم نقيب الاشراف وقال ان هذا اسراف وهذا بيبرس ما علمنا عليه من سوء ولا فساد ولا تلاف وهو أشرف من عيسى عملا وأوفى ذكرا وأعظم قدرا وفضلا وما فعل ذلك عيسى معه الا من الغيرة والحسد وحق الواحد الاحد الفرد الصمد ونحن لا نتحول عن الحق ولا نتكلم الا بالصدق فلما شهد نقيب الاشراف صدقت عليه العلماء والتجار الكبار والعمد من أهل ذلك الديار وعيسى قد صار قلبه على تقالي النار (يا سادة) فعند ذلك ظهرت براءته وسأله الامير نجم الدين عن السيد وقصته فأعاد عليه كلما جرى من قصته فقال عيسى ان بسببه ركب علينا العدو وكادنا ولولا وجودي أنا وعساكري لكانت الاعداء نطشت بنا وأخذوا أرضنا وبلادنا وما منع العدو غيري أنا فقالوا أولاد الشام هذا كلام ما خطر حق على لسانه ولا يسمعه عاقل فصيح البيان ولقد ذكر عيسى زور وبهتان وما هو الا حجر أزرق في طريق المسلمين وان بيبرس هو الذى كسر العدو وأباده وأفنى جموعه وأجناده ورده عن البلاد ولولاه لهلك عيسى وملكت الشام وحورب الانام ولقد أخرجه الى خصمه بمفرده وأعانه ربه على العدو وساعده وأخذ بيده وأهلك خصمه وضده وعاد بالاموال والغنائم والاثقال فعند ذلك خرص عيسى ولم يبد كلام ولا كان له لسان بين هذه الجموع والاخوان

قال الراوى يا سادة يا أهل العرفان فلما سمع الامير نجم الدين ذلك البيان وتحقق عزم الامير وما له من العز والشان وبان له كذب عيسى والبهتان قال لا اله الا الله الملك المنان ثم التفت الى عيسى وقال له يا خوان يا قرنان يا بن الف قرنان تريد ان تقلدني بدم هذا الانسان وآخذ ذنبه في رقبتى يا أخس

الاقران وتذكر فيه ما هو فيك من النقصان وتذمه بغير وجه البيان ثم صاح فيه فتأخر الى ورائه وقال شيلوه من على الشام وقد رضوا بذلك علماء الاسلام ثم أمر له بالحديد والاصفاد فغلوه وجعلوه عبرة للعباد وامر ان يسجنوه في سجن ضيق ظلام ففعلوا به ما امر الوزير الهمام وعاد ما دبره عليه وبال فسبحان من يظهر الحق ويخفى الضلال

قال الراوي فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الوزير نجم الدين فانه خلع على الامير بيبرس خلعة سنية وقبله بين عينيه بالكلية وركب وركبه معه وساروا قاصدين الى بيت السيدة فاطمة الاقواسية ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى المكان وقد تسابقت الخدام وأعلموا السيدة بقدوم ولدها وزوج أختها نجم الدين فنزلت اليهما وسلمت على زوج اختها وسلم هو أيضا عليها وعزاها فى ولدها وجلس مع الامير بيبرس وأعاد عليها ما جرى ثم باتوا فى ارقي رتب العز والسعادة والمحبة ولاارادة فهذا ما كان من أمر هؤلاء ياساده ولما اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من الروابى والبطاح وسلمت على زين النبيين وزين الملاح نهض نجم الدين وصلى ما عليه من الفرض لرب العالمين وكذلك الامير بيبرس ونزلوا وساروا الى أن وصلوا الى ديوان الشام فجلس الوزير وتكامل الديوان بالرجال والاخوان والعلماء وأهل القرآن ولما تضاحى النهار أمر الوزير نجم الدين باحضار عيسى الناصر فاحضروه والى بين يدى الامير قدموه وقد رد الله بغيه عليه وما أضمره من سريرته أقبل اليه هذا ولما وقعت عين الوزير عليه أمر به الى نطعة الدم فرموه وتقدموا اليه وعصبوه وانتدب السياف على راسه وقد انهدم اساسه ولا له حبيب مشفق من جلاسه ولما شاهد ذلك زاد وسواسه وتصككت أسنانه واضراسه وصاح بعلو صوته أنا في عرض ولدى الامير بيبرس فعندذلك نهض الامير بيبرس وقبل يد الوزير وقال له ياسيدى أريد أن تقبل شفاعتي وتشفعني

فيه والا اجعلني موضعه لا كون له الفدا ولا تشمت به العدا وقد استجار بى ووقع فى عرضى وان من دون العرض ابذال المهج فلما سمع الوزير ذلك تبسم ضاحكا وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا يريد قتلك وهلاكك وانت تريد سلامته واقالته من هلكته فقال له الامير بيبرس يا سيدى رحم الله من قال هذه الابيات

دعتك الليالى يا ابن آدم ظالما ... فخير الورى من يعف عند اقتداره
يقول لك العقل الذى زين الفتى ... ان لم تكن تقدر عدوك داره
وخذه بارحاب وعز ورفعة ... وداره مادمت تحت اقتداره
ولا تأخذ الباغي بأول مرة ... فببغيه ترديه فى نكباته
وسلم أمورك للذى رفع السما ... وكون الاكوان فى احكامه
ولا تعترض يوما على الورى ... فيطردك الرحمن عن ابوابه

قال الروى فلما سمع الملك نجم الدين ذلك علم أنه فصيح اللسان قوى الجنان تبسم ضاحكا وقال يا ولدي قد شفعتك فيه وجعلته عتيق سيفك وطليق أمرك وقد اجرته لاجلك فعندها نهض بيبرس واطلقه ومن غارات الموت أطلقه وقال له اعرف هذا عندك يا عيسى فقال له عيسى انت سيدى وعزيزى وقد ذهب عنى ذلك العناد وتبدل يا ولدى بالمحبة والوداد وقد جزاك الله عن ذلك خير وكفاك شر كيدهم والضير كما فعلت معى من الجميل ونجيتنى من الموت الوبيل هذا وقد حل كتافه وخلصه وقبل يده واخذه وقربه الى عند الوزير نجم الدين وأخلع عليه وأمر له بالجلوس وقال له ادع لسيدى الامير بيبرس لانه هو الذى خلصك وتشفع فيك فدعا له بالعز والامان والقلب منه بخلاف اللسان وتزعزع الامير نجم الدين واجلسه الى جانبه وطلب منه الخراج بعد أن رضى عليه فاجابه بالسمع والطاعة

قال الراوي فهذا ماكان من امر هؤلاء واما ما كان من السيدة فاطمة فانها

دخلت عليها امرأة عجوز من النساء المترددين اليها لاحل الاحسان فلما قابلتها قالت لها الحمد لله على سلامة ولدك الامير بيبرس فقالت لها وقد تعجبت أنا ولدي بحمد الله سالم فقالت القهرمانية أما بلغك يا سيدتى ما جرى قالت قد جرى من الوزير ما هو كذا وكذا وأخبرتها بالقصة من أولها الى آخرها وكشفت لها عن باطنها وظاهرها وكيف عملوا الحكومة بجامع بنى أمية وكيف جرى على عيسى وكأنها كانت حاضرة فعند ذلك خلعت عليها من ملابسها وأعطتها ونزلت الى الوزير وولدها وكانوا لم يخبروها بشيء من الضروريات ولاذكروا لها هذه البليات غير انهم قالوا لها قد تفرجنا على الموكب واخبرها ولدها بكل جميل ولم يذكر لها ما جرى عليه من الامر الوبيل فلما ذكرت لها العجوزة ذلك نزلت كما ذكرنا وحققت الامر من زوج اختها كما وصفنا فاعاد عليها ذلك كله فقالت وعزة الله لو جرا فى ولدي شيء من ذلك لكنت شكوتك للملك الصالح فقال لها الحمد لله على السلامة التامة واعلمك أن عيسى صار عتيق سيف ولدك سمعت منه ذلك حمدت الله تعالى وشكرته ثم تحدثت معها قدر ساعة وصعدت الى قصرها هذا وهم مقيمون فى قاعة الجلوس ينقشون الراح بالحفظ على صدورهم الى أن تداولت عليهما الايام قليلة من بعض الليالى تقدم الامير بيبرس الى الامير نجم الدين وقال له يا سيدي هل تري مصر مثل الشام أم هى أحسن أم الشام أحسن فقال له ياولدي اعلم أن مصر السعيدة ساكنها الامامين واولاد الامام الاكبر امام الثقلين وهما الحسن ثم الحسين والسيدتين الكريمتين وأهل بيت النبوة والسادات اهل المروءة وهى بلدة مسعودة ولم يكن مثلها بلدة موجودة فهنيئا يا ولدي لمن سكنها وجعلها داره ويا سعد من قر فيها قراره ولقد ترنمت فيها الفصحاء بالاشعار وعجزوا عن ذلك الفطناء واهل الآثار لا يسكنها الا كل لبيب ولا يقيم فيها الا ذو عقل وتأديب قد احتوت أولادها الفصاحة والوجوه السماحة وبعدت عنهم الوقاحة ووالله يا ولدى ما

مثلها فى البلاد ولم يكن كشكل أهلها فى العباد ولقد قال بعضهم فى مثل ذلك المعنى هذه الابيات

بلد حوت كل المعانى ... وأهلها دائما فى التهانى
وقدزادت دون البلاد فخاراً ... وقدرا ورفعاً واستكانى
وقد حوت المفاخر جمعا ... وعن أوصافها بكل لساني
فيها رجال اشرفت انوارهم ... كلامهم منسوب الى العدنانى
مثل الامام الشافعى امامنا ... بحر العلوم وكنز البياني
كذا الليث فيها حقيق ... وكذا اتباعهم من الاخواني
وفيها سيدة النساء بجمعهن ... وعمده الابطال والاقبال والشجعانى
تزورهم الرجال حقا والنسا ... والاطفال والصبيان والشباني
ينالون منهم كل ما املوا ... ويعودوا بالعطايا مع الاحساني
زينب الست الكريمة حقاً ... ياسعد من وافت له بالاماني
يسعد بالوفا دنيا وأخرى ... ويفوز بالفوز والرضا والجنانى
كذا نفيسة العلوم فيا أماه ... من مفيسة فى العلم والقرآنى
ثم أولاد بني عم نبينا ... اهل الوفا والصفا والامانى
واولادهم واتباعهم وخدامهم ... فلا تنس فضل المحبين بالامكانى
فيها رجال الله كامل جمعهم ... فيها رجال الغيث بالانسانى
لهم كرامات اعجزت كل الورى ... لهم ايادي ممدودة البرهانى
لهم الوفا لمن وافي لهم ... لهم التضرع فى رضا الاخوانى
من لاذ والله باعتابهم ... نجا من الاهداد والنيران
الهى سألتك تنفعنا بهم ... دنيا وأخرى يارحيم يارحمن
بحق المصطفي سيد الورى ... كريم العطا عظيم الشأن

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام وما قاله من الشعر

والنظام وما أوصف لاهل مصر بالوفا والسماحة والمعرفة والملاحة تعلق قلبه بها وتمنى انه يطير اليها بأجنحة وزاد قلقة لاجل الاسياد وزاد جواه وهجر الرقاد وقبل يد الامير نجم الدين وقال يا سيدى سألتك بالله الاما أخذتني معك الى هذه البلدة الموصوفة وأرى هذه المدينة المعروفة فان روحى عليها صارت ملهوفة فلا تتركني ياسيدى ها هنا وتسير وحدك وأنا من أجل ذلك فى الهم والعنا فقال له ياولدى مرحبا بك ويحل علينا أنسك وبركاتك ولعل أن يكون عبورك اليها خير من اقامتك ان شاء الله تعالى فان شئت ذلك فجهز أمرك وأخلص من شغلك فاني متى جمعت الخراج توجهت الى السفر والابتهاج فقال له السمع والطاعة (ياسادة) ولما تقرر الحال بينهما على ذلك نهض الامير بيبرس آخر النهار الى المنام وكذلك نجم الدين الهمام هذا والامير لم يأخذه قرار ولا هدي له فى الاعتكار بل زاد قلقه وكثر جواه وما صدق بالصباح أن يصبح حتى صلى فرضه وقرأ ورده وطلع الى أمه وصبح عليها وشكى اليها همه وغمه وقال ياامى اعلمي أن لي عندك حاجة واروم منك قضاءها من غير الحاجة فقالت له ياولدى وما تكون حاجتك بلغك الله امنيتك فقال لها مرادى أن أسافر مع روج خالتي نجم الدين البند قداري الى أرض مصر واتفرج عليها وأفوز بزيارة السادات العظام وابلغ الرضى والامان وأعود بعد ذلك اليك فى مدة قليلة من الايام ان شاء الله تعالى الملك العلام وأقرأ لك الفواتح بكل مقام واذكرك عند الستات والامام وهــذه حاجتى والسلام فقالت له ياولدي لاتذكر علي لسانك هذا الـكلام فما مصر الا بلدة مثل البلد ان فلا تحمل نفسك الاسى والهوان وأنت على كل حال غريب من هذا المكان فقال لها يا امي بحق المصطفى سيد انبيائه انى منذ سمعت بحديث مصر زاد بى الحصر ونزل على القهر واعترانى الضرر وأذاب جسمى السهر واخذنى الفكر وما يقلبى عن ذلك جلد ولا صبر وانا فى عرضك ياامى لاتمنعينى مما اتمناه فاني قد تعلقت امالى وزاد وجدي وبلبالى

وقد اعلمتك بحالى واخبرتك بسؤالى واني اطلب منك بلوغ امالى فذلك خير مما ان لااعلمك بارتحالى فيكون ذلك سبباً لتغير قلبك علي ووبالي

(قال الراوي) فلما سمعت السيدة فاطمة ذلك زاد بها الغرام وقالت والله ياولدي اني عرفت من اغراك وفى الفراق أغواك وما شوقك الى ذلك الحال واغراك على الارتحال الا نجم الدين فلا كان الله له معين واني ما كنت طالبة حضوره الى عندي فما اتي الا على غمى ونكدي فياليته ما وطأ ارض الشام وما اراد الا اخذك وبعدك ويحرمنى طلعتك ويحرق قلبي بفرقتك ويتهنى هو بك فى الرواح وانا اقيم على البكاء والنواح فى المساء والصباح فلا تسمع هذا الكلام ولا تعرض نفسك الى هذا المكان ولا تصدق ماقدذكر لك من المقال الهذيان فقال لها ياامى اعلمي انى متوجه من عندك ومنزلك الى اختك ومنزلك وما اغيب عنك اكثر من ثلاثين يومافلا تكثري الملام ولا بدمن ذلك والسلام

(قال الديناري) فلما تحققت السيدة فاطمة منه بكت بكاء شديداً ونهضت قائمة من وقتها وساعتها وقد اقبلت الى الوزير نجم الدين وقالت له أنت الذي أغويت ابنى على السفر وطلبت بذلك لي الاذي والضرر فلا كانت ساعة جئتنى فيها فلقد جئت فى طالع منحوس ولا بد أن تحل بك البؤوس باذن الملك القدوس فقال لها والله الذي لااله غيره انه هو الذي قد سألني عن مصر وحالها فقلت له ياولدي الله على زيارة الحسنين ثم الامامين والاحسنين ثم اطلعته على جميع ما فيها من الامور والاحكام ثم قلت له بعد ذلك كله يا ولدى خليك عند امك لئلا تقهر عليك وتحمل همك لان مالهاولا لها غيرك وهذه القصة التى جرت بيننا .

قال الراوى فلما سمعت السيدة فاطمة ذلك من كلامه ضربت بيد على يد وقالت كلمة لايخجل قائلها لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم لكل أجل كتاب ولكل شيء اسباب ووالله لقد تعلق امال ولدي بالسفر وما بقي يقبل فيه

وعظ من ذكر ثم انها بكت وانت واشتكت وجعلت تقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

آه ياولدي لقد أبلغتني ... بحرقة الغرام ونكتة الابعاد
تريد تتركني بلوعتي وبلوتي ... وتفني عظامي ثم تذيب فؤاد
وتهجرني من غير ذنب قدجنيته ... وتعدمني سبيل الفضل ولاارشاد
فارجع ياولدي عما رمته ... ودع ياولدي عنك ذاك البلاد
ولا تسمع قول الورى وكلامهم ... فما يريدون لك فضلا ولاأسعاد
فلا تتركني أموت كميدة ... لاني أريدأن تكون داخلا في فؤاد

قال الراوي فلما فرغت السيدة فاطمة من كلامها ونظامها اجابها الامير بيبرس على عروض شعرها يقول

ايا سيدة قد على شأنها ... وخصها ربي بكل الرشاد
وفاض عليك الاله فضلا ... وخصك في الدارين بالاسعاد
أنا خادم الاقدام حقا ... ومقبل الرأس بعد الاياد
وانـي واقع فى العرض حقا ... متوسل اليك بزين العباد
طه رسول الله شفيع الورى ... زين العباد وسيد الاسياد
بحقه عليك ثم بفضله ... واتباعه والصحب والاجواد
انك لاتمنعيني من رواحي ... ودعيني أنظر تلك البلاد
واتفرج ثم أعود اليك ... سريعا على رغم الاعاد
والتمس ذا لاثار حتى ... وابلغ المقصود من أسياد
فالله يبقي لى حياتك ... وبيدك بنيل المراد

قال الراوي فلما فرغ بيبرس من انشاده وما قاله من كلامه وشعره ونظامه قالت له امه ياولدى اذا كنت تريد الرواح فخذ جميع الملابس والسلاح وخذ

المال والنوال وما تحت يدي من الاثقال لعل أن ينفعك على ممر الليالي والايام وكل ما تحصل عندي فانا أرسله اليك في كل عام على أقدر أصبر على غيابك يوما واحدا من الايام ولكن الامر فى ذاك للملك العلام وأني أسال رب الانام بحق النبي محمد عليه السلام والال والصحب الكرام كما أن نجم الدين أغراك على الرواح وطلب بذلك ذلى وافتضاحي لا يرين الله وجهك الا وأنت بطل جحجاح تحكم على عساكر تملا البطاح وتكون أنت ساري العسكر الجميع الرفيع منهم والوضيع فقال الله تعالى يتقبل دعاك ويردني عليك بخير تقر به عيناك هذا وقد التفتت الى نجم الدين وقالت له يانجم الدين اعلم انك تريد أن تاخذ ولدي مني ومن نظري اليه تحرمني وبعده لم تقر عيني ولكنه متوجه الى عند اختك فاياك أن تغمه أو تقهره فأني أطالبه منك بين يدي خالقه فهو ساير بصحبتك واموالة معه مقرونة بخزنتك فتوصي به لاجل خاطري وتوصى عليه اختي غاية الوصيه وأوعى حرمته بالكلية ولا تقل قيمته ولا تعمل شيئا الا بمشورته فوعزة الله ان جاءني شاكي أو حصل له شيء يكون منه باكى فلا جازيك عليه أعظم الجزاء وقد سلمته اليك والوكيل فى ذلك رب السماء فقال لها نجم الدين سوف يظهر لك ذلك وأنا أقول ان أختك اذا نظرته فلم يبق عندها أحد مثله ولا بد أن تفرح به وتكرمه وتعزه وتعظمه ولا تهينه ولا تقهره وأنت فلا تخافي عليه ما دمت أنا في الحياة وماله على الاكل مايتمناه ويرضاه فلا تتفكري فى ذلك أبدا فقالت أنا رضيت بسفره والله يصبرني على بعده ولا يحرمني طلعة وجهه ثم قالت لولدها ياولدى لا تهين نفسك ولا تخاطر فى الامور بروحك وان قصرت خالتك فى خدمتها فاتركها وسر الى عندى ولا تحوجني لاحد من بعدك وانى أقول فما لك راحة من بعدى فقال لها الامير سمعا وطاعة ثم ان بيبرس قبل يديها ورأسها وقال لها يا أمي أريد منك الدعاء والرضا فدعت له وتقبل الله دعاها ثم قالت يا ولدي لا تنسانى من المكاتبات

فان الفراق مغيب والاجتماع نصيب ثم انها بكت واشتكت وأنشدت تقول

متى الايام تسمح بالتلاق ... وتجمع شملنا بعد الفراق
وتخبرنا الليالى باجتماع ... ويزول الفراق والود باق
أظن النيل لو يجرى كدمعى ... لما خلا على الدنيا شراقى
يروى الحجاز وأرض مصر ... ثم يسير الى نحو العراق
ولو أن النابعات مثل عيونى ... مااحتاجت الناس لكثر السواقى
فيا ولدى لقد أضنانى البعاد ... وأحرق مهجتى ألم الفراق
فيا ولدى لقد أضناني فراقك ... يا ولدي وآلم قلبي ذا الشقاق
وهذا كله لاجلك ياحبيبي ... لقد أبليتنى بالاحتراق
سألت الله يجمعنا قريبا ... وأنظر الى طلعتك بالاحداق

قال الراوي ولما فرغت السيدة من انشادها نهضت قائمة على الاقدام وقد جمعت الاموال التى عندها والاسلحة وجمتهم فى الصناديق وجمعت سائر المفاتيح وجعلتهم فى صندوق صغير وأعطته اياه بعد ان سكت قفله وأعطته المفتاح ثم أخرجت له مايوافقه وقالت له ياولدى هاهى الملابس والمال والسلاح والنوال وجميع ما تحتاج اليه وهذا مفتاح الصندوق ومن داخله المفاتيح قال فشكرها الامير بيبرس على فعالها

قال الراوي فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من أمر عيسى شرف الدين فانه حضرت اليه الاموال من أرض حلب وغزه وقطية وحمص وحماه وجميع البلاد احضروا الخراج الى ما بين يديه وقد أطلعوه الى الديوان ثم أخبروه بحضور المال فلما سمع عيسى بذلك أخرج الخراج الذى على الشام وأرسل الرسل أعلموا بذلك الامير نجم الدين البندقدارى فنهض من ساعته وركب شهبته وسار فى غزوته ولم يزل سائرا الى ان وصل الى الديوان فتلقاه عيسى ونهض له على الاقدام ثم أجلسه مكانه وقبل الارض بين يديه ولما استقر

به الجلوس أحضر له الاموال وسلمها نجم الدين وأمر بحملها الى بيت السيدة فاطمة الاقواسية فحملت فى عاجل الحال على الاكاديش والبغال وساروا بها وضموها الى مال الامير بيبرس وقد وضع الامير بيبرس يده عليها ثم أعطاهم وصلها فساروا به الى عيسى وأعلموه بذلك فكادت مرارته أن تنفطر لما نزل عليه من تسليم الامير المال والنوال واعطاه لعيسى شرف الدين وبعدأن أخذ مجلسه نزل فى موكب عظيم ورونق جسيم ولم يزل سائرا الى أن أقبل الى بيت السيدة فاطمة فسلم عليها وقال لها ان شاء الله يكون المسير غدا ان شاء الملك القدير ثم التفت الى الامير وقال له جهز نفسك واقض حوائجك ولا يعوقك عائق عن سفرك فقال السمع والطاعة لله ولك واعلم أنى قدطيبت خاطر أمى وأنا متجهز الى هذا الامر من ساعتى ووقتي وانها قدفرحت لسفرى ورواحى وقد عولت على المسير معك فى غدا ان شاء الله تعالى (ياسادة) ومن تلك الساعة أحضر الامير بيبرس البغال والجمال والاحمال ثم حمل كل ما فى المكان من الاموال والامتعة والنوال ثم أخرج الصيوان الذي اكتسبه من سرجويل وأمر ان يطلعوه الى ظاهر البلد وقال لهم لا تنصبوه بل انصبوا خلافه فاجابوه بالسمع والطاعة ثم انه اخرج جميع ماكان عند امه من الذخائر والأموال والصناديق التى عليها الاقفال ثم رتب الغلمان والخدام والسقايين وفرض لهم الجوامك والماهيات وتسارعت اليه الخدام من الفراشين والسقايين فانعم عليهم وأكرمهم وأعطاهم واوهبهم وقال لهم جهزوا احوالكم الى السفر فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم بعد ذلك أخذوا النواصيل والتخاليع وتسلموا الجمال والبغال والاكاديش والصناديق وجعلوا يجهزون الحال الى ثلاثة ايام واربع ليال هذا ولم يبق لبيبرس شيء في ارض الشام وهو فى كل يوم يودع امه ويطلب منها الدعاء.

قال الراوى فهذا ماكان من امر هؤلاء وأما ماكان من امر باشة الشام فانه اخبروه الجواسيس بان الامير بيبرس سائر من ارض الشام وطالب مصر

وذلك الاكام وان اكابر الشام قد اغتمو لتلك الاحكام ونزلت عليهم لاجل رحلته الاسقام فلما سمع عيسى ذلك الكلام فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال الحمد لله الذي عفا ولا اورانا وجهه ولا بد ان اعمل زينة بالشام تضرب بها الامثال فى كل الاكام واصطنع مولد عظيم لسيد الانام واجعله عشرة ايام ولا بد لى ان اعمل شنك ومهرجان (يا ساده) ولما كان يوم المسير تزينت البلد وركبت اصحاب الرتب والمعقد الموكب وتودع الوزير من السيدة فاطمة ونهض الامير بيبرس وقبل رأسها ويديها وسألها الدعاء فعند ذلك قامت على اقدامها ودخلت الى قصرها وعادت بعلبة مربوطة مبرشمة وقالت يانجم الدين خذ هذه الامانة فهي هدية مني الى اختى فاذا وصلتم الى هناك بالسلامة فافتح تلك العلبة بينك وبين اختى وولدى وتودعت بعد ذلك منه وقبلت ولدها بين عينيه وقالت له الله يحسن شأنك ويردك على بالخير والسلامة ثم انعقد الموكب وركب الامير بيبرس عن يمين الوزير نجم الدين وعيسى شرف الدين عن يساره هذا واولاد الشام قد انكبت على الامير بيبرس تودعه الى ان سار خارج الشام قدر فرسخين ونزلوا فى الخيام التي ضربت لهم واقاموا هناك مدة ثلاثة ايام وامر الوزير بالرحيل في اليوم الرابع وقد ركب الامير بيبرس وعاد الى بيت امه وودعها وقد تودعت ايضا هي منه وتودع من ابن الخياط وكذلك ابوه وعلى بن الاقوأسى وزوجته بنت الحصانى واخذ بخاطر الشلبين نحر الدين حبظلم بظاظة ولم يتكبر علي احد منهما ثم اوهب العطا للفقراء والمساكين وقبل الاتك الذى لنقيب الاشراف وطلب منه الدعاء واخذ بخاطر القاضى محمد العفيفى واهل الشام الخواص منهم والعوام ولم يبق احد الا ودعاله بالرفعة وعلو المقام وسار بالاتفاق والناس يضجون له بالدعاء للملك الخلاق علي سائر الاطلاق وهو يؤمن علي دعائهم ويشكرهم على فعالهم وهو يمدحهم بالاشعار بهذه الابيات

يا سادتي زادكم رب السما شرفا فهو الكريم الباقي على الدوام

وأعطاكم الله ربي كل فضل واشفاكم من كل السقام
وسقاكم الاله كؤوس الهنا وابعد عنكم كيد اللئام
وانتم أهل السماح مع الوفا وانتم السادات ونسل الكرام
وانتم اهل الاماجد كلها على ممر الليالى والايام
سلامى عليكم فى كل وقت ماغرد القمرى وناح الحمام

(قال الراوى) ثم انهم طلبوا المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير ولم يزالوا مجدين المسير والجد والتشمير مدة عشرة ايام ولما كانت الليلة الحادية عشر نزلوا عند الغروب لاجل الراحة ونامت كل عين يقظانة وقد ازهرت النجوم واطلع على عباده الحي القيوم وطلبت العين حظها من المنام فنام الامير نجم الدين وتوكل على رب العالمين وقد دارت الغلمان حول المضاوب وقد تهور الليل وروح القمر واسود الخافقين هذا والامير بيبرس لم يأخذه منام ولا هوى جفنه رقاد ثم انه نهض علي الاقدام وسار يمشى حول الخيام ويحرس الرجال بنفسه فبينما هو سائر اذ سمع اثنين يقظانين وهما مع بعضهم جالسين وهما يتحدثان مع بعضهم البعض ويتكلمون في الطرقات والارض وكانوا هؤلاء الاثنين من القاطرجية فقال احدهما للآخر يا أخى انظر الى كلام الوزير نجم الدين البندقدارى معنا وما قد اوصانا عليه من الاقوال والكلا وانه والله على خاطرى عظيم من اجل ذلك الشأن فقال له الآخر اعلم يا أخى ان كلامه هذا خوف على الامير بيبرس لئلا يضجر من الطريق وربما ان يعوقه معيق فلذلك طلب الطريق العسير وترك البر السالك اليسير ولولا ذلك ما أمرنا بما امرنا به ولا حرج علينا أن نظهر امره على احد

(قال الراوى) وكان الوزير نجم الدين قد جمعهم اليه وقال لهم اتركوا الطريق المستقيم وعرجوا على طريق آخر ولو كان غير مستقيم فقالوا له ولما ذلك يا سيدى قال لهم لان الامر جسيم والخطب عظيم وانتم لا تعرفون

ما قد خطر ببالي ولا أحد منكم يظهره الي الامير بيبرس فقال سمعاً وطاعة ثم انهم عادوا وهم متعجبون من ذلك ولم يعلموا سببه حتى جاء الليل وجعلوا هؤلاء الاثنين يتحدثون فى شأن ذلك كما ذكرنا وقد سمعهم الامير كما وصفنا فقال احدهم للاخر يا أخى اعلم أن الطريق الذي أمر بالسفر عليها بعيدة أربعة ايام بلياليها وما ادري لاي شيء ذلك فقال له رفيقه يا أخى لعل ان يكون حمله على ذلك الخوف من الاعداء فدعنا بتحدث في غير هذ الحديث فلربما أن احد يسمعنا

(قال الديناري)فما استتم كلامه الا والامير قدامه وهو يقول السلام عليكم يا اخواني فلما رأوه قاموا اليه وتلقوه واجلسوه ووقفوا فى خدمته وحيوه فلما استقر به الجلوس قال لهم يا وجوه العرب اعلموني بحديثكم الذي كنتم تتحدثون فيه (فقال) أحدهم ياسيدنا اعلم أن اخى يقول لي اذا كان الوزير يسير بنا فى الليل حتى نقطع المراحل ونقيم النهار لكان أصوب لنا من مسير النهار وحر الجبال فقلت له يا اخى ومن يقدر يقول له مثل ذلك الكلام فدعناالساعة من ذلك وهذا حديثنا الذى كنا فيه فقال الامير وقد تبسم لا تخافوا ولا تفزعوا واعلموا أني لا أبدى ذلك على انى سمعت ما انتم عليه وما قيل لكم وما أنتم معولين عليه وقد ذكرتم ما هو كذلك وكذا قال فلما سمعوا كلام الامير بهتوا ولم يتكلموا فقال لهم اخبرونى عن الطرقات لانى ما اعرفها وعلمونى عليها وها انا اقسم بالله تعالي انى لا اذكر للوزير شيئاً من ذلك أبداً ولكم اسوة بى ولا يجرى عليكم شىءابدا مادمت أنا فى قيد الحياة فلما عاينوا منه ذلك قالوا له أيها الامير اعلم ان الطرقات اثنان فالطريقة القريبة الهينة العجيبه هي التى ذات اليمن والعسرة ذات اليسار قال فتعجب الامير وقال لهم ولاى شىء حرج عليكم ومعكم الامير نجم الدين عن المسير وعن ذلك الطريق الحميدة وامركم بالمسير في المسالك

الصعبة الشديدة فقال له أحدهم اعلم يا مولاى ان لذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب واني أخاف أن أذكر لك طرفا منه فيكبر عليك الامر فيعقبني منك الضرر فقال له لك منى الزمام فقال له اعلم أن بين أيدينا بلد يقال لها العريش وبها ملك نصراني يقال له فرنجيل وهو فارس نبيل جبار عنيد ثقيل تضرب به الامائيل وله قدر معلوم على كل من جاوز هذا الرسوم فيأخذ منه الغفر لكل من مر على قلعته من البدوان والحضر وان لم يسلم اليه الغفر فينهب كل ما معهم ويورثهم النكال والضرر وانى اقول أن الوزير ما خاف من المسير الا لاجل ذلك الامر المنكر وقد امرنا بالابعاد والسفر على غير هذا الطريق والبلاد ولا يتعرض مثل هذا الكلب القواد

قال الديناري فلما سمع الامير بيبرس من المتكلم ذلك الكلام قال لهم اعلموا أنني أجهل الطريق وأنتم تعرفونها على التحقيق ولكن أوصيكم وصية فلاتغفلون عنها بالكلية وذلك أنكم أتيتم الى ذلك المضيق ونزلتم بهذا المفرق الذى يوصل الى الطريق القريب فأخبروني به من غير تكذيب وسوف ينجينا الملك القريب المجيب وترون من فعالي ان شاء الله كل فعل عجيب وان لم تفعلوا ذلك عاقبتكم وعلى المخالفة بليتكم فقالوا له ياسيدي اعلم أن الطريق التى على اليمين هى أحسن الطرقات وأطيبها وأجلبها وأقربها والمسيرة هي التى على جهة اليسار وقد عرفناك بما عندنا من الاخبار فخذ الآن لنفسك ودبر أمرك برأيك فقال لهم بقى من الامر شيء آخر وذلك انكم تقفون على رأس الطريقين وتشيرون الى بأى اشارة كانت فأنا أعرف ذلك فقالوا له سمعا وطاعة ثم انه أخلع عليهم وأعطاهم المال وقال لهم أريد شيئاً واحد وذلك أنكم تجمعون من هذا الوادى شيئاً من الاحجار الصلبة والظلط الازرق والصوان الاصم لاني أريد ان اصنع منه شيئاً ينفعني في مصر فصدقوا قوله وساروا الى

ماندبهم اليه وجمعوا ذلك وأتوه فى عاجل الحال بما طلب فعندها أخذه وجعله فى صندوق كبير وأغلقه وأقفل عليه بالاقفال الواثقة وتركه عنده وصرفهم الى أشغالهم

قال الراوى فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من أمر الوزير نجم الدين فانه بعد أن اخذ الراحة امر بالمسير فساروا وسار الامير الى جانب الوزير ولم يزالوا يجدون فى المسيرالى انوصلوا الى مفرق الطريق وقدالتفتوا الى الامير باعينهم وأرادوا أن يعرجوا الى جهة اليسار واذا بالاميرصاح عليهم وهو كانه الصقر اذاكان ناظر الى الحمام وقال لهم ويلكم هذا الطريق مستقيم قدامكم فلأى شيء تتركوها وتتبعوا غيرها وتسلكوها مع انها والله طيبة فقالوا له يا أمير اعلم أن هذه الطريق الذي نحن عليها فانها ما توصلنا الى ما نريد وما الطريق الامن هاهنا فقال لهم يحق رأسى عليكم هذا القول صحيح أم لا فقالوا له والله ياسيدنا لقد اقسمت علينا وما نقدر اننا نكذب بعد ذلك ولكن ان الطريقين يوصلون الى أرض مصر والتى نحن فيها أقرب من التى عرجنا اليها ولكن الوزير هو الذى أمرنا بذلك وقال لاتسيروا الا من هاهنا فقال لهم الاميرسيروا على ما أنتم عليه من الطريق وانا آخذ لكم الاذن من الوزير من غير تعويق فقال له الوزير وقد احتار فى أمره أسمع ياولدي ان هذه الطريق قريبة للسالك لكنها صعبة المسالك لان فى طريقنا ملك من ملوك الافرنج يقال له فرنجيل لكنه جبار عنيد وشيطان مريد يأخذ الغفر ويقتل كل من عبر بغير الغفر وينهب أموال المسلمين ولا يبالى من أمير المؤمنين ولا يخشى سطوة رب العالمين فقال له الامير ياسيدي اذاكان لكم عادة بالغفر فلا مانع عن ذلك فقالوا له نحن ان جزنا عليه طلب الغفر وان لم نوصله اليه خرج علينا بمن عنده فى القلعة وينهب أموالنا ونحن لا لنا عادة بالغفر فقال له الامير ياوالدى لاتحمل هم على قلبك ولا يضيق لذلك صدرك فانا لاجل الراحة

والطرق الصالحة أعطهم الغفر من مالى و نوالى وأدفع لهم كل مايطلبون منكم ولا ادعهم يقربون اليكم ولا يدنوا منكم وذلك فيه راحة لي ولكم فقال له ياولدى اذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت فنحن نسير عليه وأنت تدفع له من مالك ما يقول عليه على انى يا ولدي ما يمكنني ان أدفع ولا درهم واحد وحق الملك الواحد لان الذى معي أموال السلطنة ولا يكون فيها تصرفات لا لغيرى ولا لي انا فقال له ما عليك من ذلك نجاك الله من شر المهالك (ياساده) ولما تقرر الحال بينهما على ذلك ساروا على العريش والماطنين وهويش ولما تقربوا من قلعه الملك اقرنجيل التفت الامير الي الوزير وقال له ياوزير انجو أنت بنفسك وعيلتك ومال السطان وملى ومالك والجميع يكون معك وسر بالجميع قدامى وأنا خلفك وسائر من بعدك على أثرك وانا معي هذا الصندوق المحمل على هذا البغل الكبير فاذا تعرضوا اليك فقل لهم ان صاحب القفله هو فى أعقابنا ومعه الاموال وقد اعتدلكم كل مايلزم له الحال فحاسبوه على الغفر ولا تلقوا بينكم كدر ولا ضرر . ثم سيروا انتم وانا أحسابهم وبالغفر أخلصهم وأسير معكم قال فظن الوزير ان ذلك منه حقاً وما قاله من الاقوال صدقاً فسار كما أمره وقد أخذ الجميع ولم يعلم بما أضمره وما اقتضاه مكره (ياساده) وتأخر الامير بيبرس الى وراء الركب وصحبته عشرة من الغلمان والصندوق قدامه

قال الراوى فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من أمر العريش فانه كان له ولد يسمى قمطه وكان يحبه محبة عظيمة وكان هذا قمطه كثير الفساد والزنا واللواط والخبث والسكر وكان كل يوم يطلب الاموال من أبيه فقال له يافليون انا اعطيتك الغفر الذى يأتي الينا من المسافرين فهو يكفيك على ماتريد من الامور الكبار فقال له ولده وقد فرح بذلك فرحا شديداً المسيح ينصرك وعلى اعدائك يظفرك فقال له أبوه خذ بطارقتك وسربهم الى المضيق وكل من

مر عليك فى الطريق حاسبه وخذ كل ذلك اليك فقال قمطه الآن مابقى عليك ملام ثم أخـذ بطارقتك وامرهم ان يقفوا على الطرقات فوقفوا على الطرقات وجعلوا بها نفعلون تلك الامور المنكرات الى ان شاع ذكرهم في الافاق وقد بلغ الخبر الى الامـير نجم الدين بذلك الاتفاق فلذلك السبب امر ان يعرجوا على الطريق فمنعه من ذلك الامـير بيبرس كما ذكرنا فبينما هم كـذلك اذا أقبل عليهم نجم الدين بمال السلطان وماله ومال الاميربيبرس معهفلما نظروا البطارقة نجـم الدين بمـال السـلطان وماله ومال الامير بيـبرس معـه فلما نظروه البطارقة أوقفوه عن المسير واعلموا به كبيرهم قمطه بمسير ذلك الامير فلما سمع كلامهم ضحك واستبشر ونهض قائما على الاقدام وصاح على رجاله فاتوا بالجواد فركب وسار وقد اندفع عليهم وصاح يامسلمين حاسبونا على الغفر الذي عليكم وعلى تجارتكم وعلى مامعكم من الاموال فقال له نجم الدين السمع والطاعة ولـكن اعلم ان هذا المال، ما هو لنا ولا لنا فيه ولا درهم واحد ولا دينار ومانحن الا رجال صاحب الاموال وهـذه الاثقال والاحمال وان صاحبه سيأتى من خلفنا وعلى اثرنا ومعه كل ماتحتاجون اليه من مال ونوال فاذا اقبـل البكم فحاسبوه فمعه الاموال فخذوا ماتريدونه منه واتركوه ونحن رجاله كلنا ولنا عليه الاجمال والماهيه فى كل هلال

(قال الراوي) فلما سمع اللعين ذلك قال لهم سيروا تحت أمان المسيح وأماني فعندها ساروا كما أمرهم وأما الـكـفارفصاروا ينتظرون قدوم الأمير قدر ساعة زمانية واذا به قد أقبل ومعه البندوق والمماليك من حوله وهو سائر على مهل فلما قارب الانام صاحوا عليه يا غندار هات الغفر الذى عليك فقال لهم هل مروا عليكم أتباعى بمالى ومتاعى فقالواله قد ساروا علينا وعبروا علينا فقال لهم من الذى يأخذ الغفرمنى وعليه يحاسبنى فقال له ابن اليب أناالذى آخذه فقال له من أنت فقـال أنا قمطه بن الملك فرنجيل ملك العريش فقال له

الامير مرحبا بك ياسيدى ولـكن اسمع كلامى واعلم أني فى أمرى على سبيل العجله وليس عندى مهله حتى اني أحاسبك وأكاتبك ولـكن أنت عندى صاحب دين وعلم ويقين نخذ هذا الصندوق وادخل به الى بلدك فثلك يؤتمن على أكثر منه فاذا فتحته نخذ الغفر منه وابقي الباقى عندك على سبيل الوديعة حتى أمر عليك ثاني دور فاعطيك الغفر الثاني وآخذ منك الباقي وأحاسبك كما تحب وتريد فان فضل لي شيء أخذته وان جاء علي شيء دفعته ولكن وحق المسيح الطيب المليح انك لاتخوننى في المـال بحق دينك وما تعتقده في يقينك لاتخلي أحد يقربه غـيرك ماسلمته له أبدا (قال الديناري) فعند ذلك قال له السمع والطاعـة وفرح الغلام تلك الساعة وقـد انطلا عليه لمحال وما قال له الامير من الاقوال وقد تناول الصندوق وهو فى جنان وجذبة فما جاءوا به لشدة ثقله فأمر باحضار الكديش وحملوه عليه وأخذوه وساروا وقد قال في نفسه وحق المسيح لم أدفع لصاحبه ولادرهم واحد واذا رجع فى الدور الثانى ولم يدفع الغفر لآمر البطارقهأن ينهبوا ماله ونواله وما معه هذا وقد ساروا به وهم فرحـين بأخذ المـال (ياساده) وأما الامير فانه قد تبطن فى البرارى والقفار فهذا ماكان منه وأما ماكان من أمر اللعين قمطه فانه سار بالصندوق وهو فرحان حتى وصل الى البلاد وطلع الى الديوان فلما رآه أبوه فرح به وقال له مرحبا أنت جئت بالغفر قال له نعم وحق المسيح أتيت بغفر مليح ولكن فى طول عمرك ماجاءك غفر مثله لانه صندوق كامل ملئان من الاموال فقال له لا ياولدى وحق المسيح مارأيت مثل ذلك أبدا وما جاء هـذا الا بسعادتك فمن ذا الذي أعطاك هذا الصندوق قال له غـلام خواجة له قافلة سائر بهـا فى الفلا وقال لى خذ منه الغفر واجعل الباقى لي عنـدك على سبيل الامانة الي أن اعود اليك مرة اخرى وقد سألته عن المفتاح فقـال هو فى المركب الذى قد سار قدامى وقد نسيته ولـكن انا مرادي أن اغالطه وأقول له اذا

أقبل ثاني مرة انه لافضل لك عندى دراهم وربما يعطيني صندوق آخر ثم أجعل هذه مثل ذلك في كل مرة وان امتنع قتلته وآخذ ما معه فقال له أبوه الملك افرنجيل يا ولدي لقد قلت الصواب ولكن مرادنا ان تفتحوا الصندوق الآن وتروا ما فيه من الاموال لأني اخاف أن يكون فيه شيء غير المال فقال له قمطة اعلم ان صاحبه اقسم على أن لا أحد يمد فيه يده غيري وقد حلفني بديني وحلفت علي ذلك فقال له أبوه وأين المفتاح قال له اعلم يا أبي اني سألته عنه فذكر انه قد نساه وانا من فرحتي بكثرة المال ما شددت عنه فقال الملك علي بالقفال فتجارت اليه الرجال واتوا به من مكانه واوقفوه بين يدى الملك افرنجيل فقال له الملك أريد ان تفتح لناهذا الصندوق بصناعتك ومعرفتك وفراستك من غير ان تكسر فيه لسان لأني اريد ان اقفله مثل ما كان فقال له البطريق سمعا وطاعة ثم لعب فيه بالعدد حتى تزحزح لسانه من مكانه وارتفعت السقاقيط وانفتح القفل فنهض الملك ورفع الغطاء وتأمل واذا بالصندوق ملئان من وعر الواد والجبال من خلط وصوان وحجر فلما عاين البب ذلك ضحك من شدة الغيظ وشخر ونخر وكفر وتجبر وكادت مرارته ان تنفطر فقال له ولده قمطة لاى شيء تضحك وما يكون النخر فقال له يا ولدى لقد سرني هذا الذهب الاحمر لانه كنوز ذهب بجوهر ولا رأيت مثله بطول العمر فتأمل يا ولدي فتأمل واذا به احجار مجمعة من الا كام فقامت عليه القيامة وعاد على نفسه بالندامة والملامة وقد احمرت عيناه وكادت روحه ان تخرج من جنبيه وقال وحق المسيح والدين الصحيح لا بد ان اركب خلفه واقطع رأسه وافني جيشه واصرم عمره وآخذ امواله ذخيرة ولا أعود الا برأسه مثل ما ضحك على ولعب بعقلي واعطاني هذا الصندوق المنحوس فلاجعلن ايامه عليه بؤس ثم ان الملعون قمطة ركب

من وقته وساعته فى خمسمائة بطريق من جده وعشيرته خلف الامير بيبرس يجدون فى السير على اثره

(قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الامير بيبرس فانه سار لما جاوز القلمة وقد قال لمن معه انى اظن ان القوم يتبعون اثرنا ولا يخفى عليهم حالنا وانا كفؤ للجميع الرفيع منهم والوضيع وأريد منكم الان ان تحملوا ظهري من العدا وتأخذوا من الان اهبتكم الي لقاء اعاديكم فقالوا الغلمان وكانوا عشرة لكنهم فرسان السمع والطاعة ثم اخذوا اهبتهم من تلك الساعة وساروا على مهل وكذلك الامير بيبرس تقلد بسيف صقيل وركب جواده النبيل وقد حدثته نفسه ان يلقى أهل الارض فى طولها والعرض فبينما هو كذلك واذا بالغبار قد ثار وسد منافس الاقطار ساعة من النهار وتمزق الغبار وبان للنظار عن خمسمائة فارس من الكفار الاشرار وقد رفعوا على رؤوسهم الصلبان ونادوا حنة ومريم والصليب المضخم اين تنجون منا بالهرب ونحن لكم فى الطلب يا حمالين الجلد والحطب ثم تقدم قمطة وهو يرتعد مثل الحية الرقطا وقال يا مسلم كيف تخامرني وتخدعني بمحالك فلا بد ان اقطع اليوم منك أوصالك واقصر ايامك اما تدري انى انا اين البب فرنجيل الفارس النبيل دونك والقتال يا ندل الانذال (ياسادة يا كرام) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام تغير لونه واضطرب كونه وكر عليهم راجما وهو منهم غير فازعا وقال لهم يا كلاب الروم كيف تأخذون أموال عباد الحى القيوم فارجعوا الآن يا ويلكم الى ورائكم وفوزا بأعماركم والا انزلت بكم الفنا وقتلتكم قتل الفجأة فقالوا له ان لم تسلمنا المال والا نأخذ رأسك على وسط المجال فقال الامير والله لقد ساقتكم اعماركم الى مصرعكم وقصر اجالكم ففوزوا بالحياة قبل ان يحل بكم الممات وها انا قد نصحتكم ورجوعكم الي اوطانكم اصلح لاحوالكم وانجح لاموركم وها انا قد حزرتكم

وانذرتكم وقد انصف من حذر واعذر من انذر والسلام على سيد البشر فلما سمعوا اللئام كلامه بربروا بلغاتهم وتصارخوا باصواتهم وقد طمعوا فيه لانهم ما يعرفوا قدره ولا دواميه ثم انهم طلبوه كل الطلب فقال الامير الآن طاب فيكم الجهاد ولا اترك منكم من يرجع الى الديار ولا من يوصل الاخبار ثم انه جرد الحسام واستقبل القوم اللئام وقد داروا به من كل جانب ومكان وقد غطس فيهم بالحسام وكل من تقرب منه أطاح رأسه على الهام واذا دارت عليه الخيول صاح فيها فتعود على اعقابها ثم انه صار يخرق المممعة ويجندل فى الكفار ميمنة وميسرة وما زال على ذلك حتى أدرك اللعين قمطه بن اللعين فرنجيل فلما رآه اللعين وصــل اليه مال بكليته عليه وقد تعاركا وفتحا فى الارض ميدانا واجادا حربا وطعانا وقد خرجت من الاثنين ضربتين صــائبين واصلتين الى الجسمين وكان السابق بالضربة الامير بيبرس فاما ضربة الامير بيبرس فــكانت مثل القضاء النازل والبلاء الواصل لانها نزلت فقطعت البيضة والرفادة والعصابة ونزل السيف الى أم رأسه ونزل الى آخر أساسه واما ضربة اللعين فانها كانت قصيرة فتلقاها الامير على اللت الدمشقى هذا وقد مال اللعين عن سرجه ووقع الى الارض يخور فى دمه ويضــطرب فى عندمه فلما رأت الــكفار ذلك حملوا حملة صادقة متوافقة وقد علموا انهم ان عادوا الى الملك فرنجيل من غير ولده يقتلهم وفى دماهم يجندلهم فحملوا على الامير لعل ان يقتلوه او يأخذوه اسير فوجدوا ما املوه بعيد وقد رأوه من الفرسان الصناديد وقد كانوا غلمانه لما رأوا اهتمامه وعلو شأنه دبت فيهم الحمية والنخوة العربية فصاروا يحمون ظهره ويمنعون من قصده من خلفه ثم انه استقبل القوم وابلاهم باللوم ونزل عليهم نزول السيل وعمل فيهم كما تعمل النار فى الحطب وقد ابلاهم بالعطب ونزل عليهم التعب والنصب ولم يزال السيف يعمل والدم ينز ونار الحرب تشعل من ابتداء ذلك النهار حتى لبست الشمس حلة الاصفرار وقــد ضاق بالامير المجال وامتلأت بالقتلا

ذلك الاطلاع وقد قتل منهم ثلاثمائة وعشرين فارس والباقي بين مجروح و ناكس فعند ذلك القى الله الرعب في قلوب الكفار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتركوا الخيول والاسلحة والامتعة والغنائم فامر الامير بلم الاسلاب فلموها والخيول فجمعوها وصار الامير بيبرس كانه مافعل شيء بل زاد قوة ونشاط وشدة وانبساط لاجل ما من الله عليه من السلامة والنصر على الاعداء وسار يقطع الارض والمهامة حتى أدرك الامير نجم الدين قال وكان نجم الدين ماذال سائراً من الصباح حتى ادركه المسا فأمر بالنزول لاجل الراحة ولاجل أن يكشف خبر الامير بيبرس فبينما هو كذلك واذا بالامير قد اقبل ومعه الغنائم والاموال فتلقاه الوزير واجلسه الى جانبه وسأله عن غيبته بعد ان سأله عن ذلك اللعين فاخبره بهلاكه هو ورجاله فقال له الامير يا ولدي اين كانت هذه الغيبة وما كنت اقول انك تغيب عني اكثر من ساعتين وما جيتني الا عند المغيب فقال له يا مولاي اعلم اني ماعاقني عنك الا اشتغالى برضاء مولاى ومولاك لاني كنت أجاهد فى سبيل الله حتى بلغت المنى من اعداء الله واعلم انى قتلت ابن ملك العريش ومعه خمسمائة فارس اساوس ولولا هروب الباقى ماكانوا عادوا سالمين ثم انه كشف له عن باطن الامر وظاهره ولم يخف عليه حرفاً واحدا فلما سمع الوزير نجم الدين اغتم غما شديدا ما عليه من مزيد وقال فى نفسه ليتنى ما اتيت به من عند امه لانه والله ما هو الا داهية دهما ومصيبة عظما وانى اخاف ان يقتل احد من اهالى مصر وأكون انا السبب فى ذلك وما لى الا ان ادخل به فى الليل واجعله عند خالته مقيما فى المنازل لا يبرح ابدا حتى اكتفي شره وأحرس عليه البوابين خوفا ان يقتل احدا من اهل مصر فاكون انا السبب وان هو يشكى من الاقامة فى البيت ارسلته الى امه وا كتفيت شره ثم ان الوزير اخفى الكمد واظهر الجلد وأبدأ السرور وضحك فى وجه الامير وقال له ياولدى الحمد

لله الذي نصرك على الاعـداء من شيء مهم واعانك على قتلهم وقتـل ابن ملكهم (ياساده) باكرام ثم أن الامير جعل يتحدث مع زوج خالته الى ان طلبت العين حظها من المنام فقام يريد الرقاد ويعطى العين حظها من السهاد فهذا ما كان منه واما كان من الامـير نجم الدين قال للقاطرجيه اذا قربتم من ارض مصر فاذخلوا بنـا ليـلا لا نهاراً فقالوا له سـمعاً وطاعة ثم أن الوزير قد وقع فى قلبه الرعب من الكفار وقد حسب الف حساب وخاف من هجـوم الـكفار وعودتهم فامر بالتحميـل وسـار يطلب مصر فهذا ماكان من أمر هؤلاء

(قال الرارى) واما ماكان من الروم المنهزمين فانهم مازالوا في هزيمتهم الى ان اقبلو الى العريش فـدخلوا على الملك فرنجيل ومعهم ولده قطه قتيل ودخلوا عليه وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فلما رأى الملك ذلك الحال اخـذه الانذهال وساءت به الظنون والاهوال ونزلت عليه الامراض والاعراض ولطم وجهه حتى نزل الدم وقد قامت عيناه في ام رأسه ورمي التاج من على رأسه وقال ياويلـكم من فعل بكم هذه الفعال ودبر على ولدى هذا الاحتيال وقدأوقع بولدي اعظم نـكال فقالوا له بيبرس الاقواسىوهو الذي فعل ذلك وقد بلغنا انه هو الذى أخذ مال مرجويل المهري وصيوانه وبلغ منـه لغاية الآمال ولولا ماهربنا من بين يديه لجعلنـا طعاما للوحوش الطائرات ولاكان من يرجع الى الابيات

(قال الراوي) فلما سمع اللعين فرنجيل ذلك صعب عليه وكبر لديه وأظلمت الدنيا بين عينيه ثم التفت الي المنهزمين وقال لهم ياويلـكم قدرايش من الفرسان كنتم قالو كنا خمسمائة بطريق فقال والاعداء قالو له عشرة انفار فقال لاجعل المسيح فيكم بركة ثم أمر بضرب رقابهم فقال له الوزير وأي شيء يكون ذنب هؤلاء

٤ — ثالث

فدعهم ولا تقتلهم لانهم قد بذلوا المجهود ولكن خصمهم عليهم حقود فقال له دبر لي في أخذ ثار ولدي وحشاشة كبدي فقال له اعلم يامللك الزمان ان قوتنا لا تلحقنا الى قتال بيبرس ولا نحن أمثاله ولا نعد من ابطاله لانه شديد الباس قوي المراس فريد عصره ووحيد دهره اما تنظر كيف أتت لنا الاخبار عما فعل مع سر جويل من العار وكيف اذاقه الذل والاضرار وكيف أهلك عشائره وافني دساكره والرأى عندي ان تصبر على ماأنت عليه وترسل في طلبه العيون والارصاد حتى تأتيك عليه الاخبار بانه قد قرب من هذه الديار فاذا وصلت اليك الاخبار بذلك هنالك تخرج اليه وتأخذ منه الثار وتجلى عن نفسك العار وأنت مقيم في هذا المكان فلما سمع فرنجيل ذلك الكلام استصوبه وقال الآن خذوا ولدي واحرقوه لتكفر النار سيئاته ففعلوا به مثل ماأمرهم وأطاع الوزير فيما أمره وجعل له أيضا عيونا وارصادا يراقبون الامير بيبرس (قال الراوى) فهذا ماكان من أمر هؤلاء واما ماكان من أمر الامير بيبرس فانه سار هو والوزير نجم الدين وهم يوصلون سير النهار بسير الليل ويقطعون المهامة والاوغار الي ان اشرفوا الي تلك الديار وقد أقبلوا الى باب النصر فصاحت بهم الحراس من الوشاقية والغفرا وقالوا من الطارق في هذا الليل الغاسق فقال لهم أنا نجم الدين ابن عم الملك الصالح فلما عرفوه فتحوا له الباب فدخل نجم الدين والامير بيبرس الى جانبه والاموال محملة قدامه ولم يأخذهم ضجر ولا ملل الى أن أقبلوا الى حيهم والاطلال (ياساده يا كرام) وكانت السيدة شهوه زوجة نجم الدين قد افتكرت في هذه الساعة بعلها وهاج عليها شوقها وتألم لغيابه قلبها فقالت لااله الا الله محمد رسول الله ماأصعب الفراق وما احلا التلاق والله ان نجم الدين قد غاب عني و بعده قد آلمني فالله تعالى يسهل قصده وعن قريب ترة و يهلك ضده ويقيم سعده ويقضى حاجته ويتم نوبته فلقد منعني محياه عن الرقاد ولم اتلذذ بمتاع ولابسهاد (قال ياساده ياأجياد) صلوا على زين العباد فما تمت السيدة شهوة

كلامها وما نطقت به من قولها حتى ضرب الباب عليها فقالوا الغلمان من بالباب فقال عبد الله نجم الدين يااحباب فتجارت الغلمان وفتحوا الباب فدخل نجم الدين ومعه ولد السيدة فاطمة ونزلت السيدة أخت فاطمة واستقبلته وسلمت عليه وقد نظرت الي الامير فتوارت منه فقال لها زوجها نجم الدين ياشهوة هذا الغلام الامير بيبرس ولد اختك السيده فاطمة فسلمي عليه ولا تفزعي منه فاقبلت اليه وسلمت عليه وفرحت به فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقال له الامير نجم الدين ياولدي قد اقبلنا الى مصر بالسلامة وهذا مكاننا الذي لنا فيه الاقامة فاحفظ أموالك فيه واجعل بين يديك مفاتحه ونواحيه وهذه الحواصل بين يديك والاماكن أمرها اليك فعند ذلك امر الوزير بذخر الاموال والحيوان وجميع مامعه من الاثقال في الحواصل وقفل بالاقفال الثقال هذا ونجم الدين قد اخذ الخراج وهو مال السلطان وجعله في المقعد وأغلق عليه الابواب وضع عليه المفاتيح وصعد الامير بيبرس والامير نجم الدين الى أعلا القصر وجلسوا واستراحوا وأخذ فى الحديث الي ان كان نصف الليل فتذكر الامير نجم الدين العلبة التي قدمنا ذكرها وافتكر الاقسام التى اقسمت السيدة فاطمة بها عليه فنهض من ساعته ونزل الى المقعد واتى بالعلبة وقد كان ترك الامير عند زوجته فاعتزلت عنه الى بعيد حتى أتى زوجها وقد رآها متباعدة فقال لها لاى شيء تمتنعين عنه وماهو الاولد أختك كما أخبرتك وانه هو الذى بلغتك عنه الاخبار بانه مات وما هو الا ممن سلم من جميع الآفات وقد أتيت به الى عندك لاجل ان يطمأن قلبك وتعرفي مقامه وتزيدى فى اكرامه فما هو الا كما ذكرت لك ومن دمك ولحمك

(قال الراوى) وكانت هذه السيدة شهوة فائقة فى الحسن والجمال والبها والكمال وقد كانوا بعض نساء الامراء يسمونها فوز فصارت لها اسمين مشهورة بهما فلما سمعت السيدة ذلك الكلام نهضت على الاقدام وأخذت بيبرس ملء الاحضان وقالت الحمد لله على سلامتك ياولدى وأجلسته الي جانبها وجلسوا الجميع يتحدثون

وهم على غاية من الفرح الزائدهذا وقد التفت الوزير نجم الدين الي زوجته وقال لها اعلمي ان اختك قدأرسلت اليك معي امانة وهي هذه العلبة وحلفتني وأقسمت على بالاقسام البالغة انى لأأفتحها الا بيننا نحن الثلاثة وقد اجبتها الي ذلك ولم افتحها أبدا وها قدجمع الله بيننا فعند ذلك أخذتها السيدة وازالت غطاءها وتأملتها واذا من داخلها نقاب وشعيرية وفردة من خف وفردة بابوج فلما نظر الامير نجم الدين الى ذلك تعجب غاية العجب وقال لزوجته والله ان أختك مجنونة وليس لها عقل فقالت له ولاى شيء ذلك فقال لها هل عرفتك بانك عرجة برجل واحدة حتى انها ترسل لك خف غير كامل او بابوج كامل وكيف انها تحملنى هذه الاشياء ثم تشدد على فى الاقسام مع انها مثل عدمها لا تنفع بشيء فعند ذلك ضحكت السيدة شهوة وتبسمت فى وجه الوزير وقالت لهاعلم ان اختى ماارسلت الى هذا علي سبيل الهدية وانما ارسلتهم الى على سبيل الكلام فلما سمع منها ذلك مسك الخف وقلبه يمينا وشمالا وقال لها والله ما فيه كتابه ولا كلام فقالت له اعلم ان الكلام ما يبقى فى الاحفار ولا بجسم وماهو الا معانى يعرفها كل من كان يفهم ومن لم يدر المعاني فهو لاشك ابكم فقال لها وقد تعجب من قولها وهل فهمتي المعني قالت نعم وحق نعمتك علي ورأس سيدي الملك الصالح فقال لها قولي لى عليه حتى اسمعه وأعرف مضمونه فقالت له وقد كانت فصيحة تدري المعانى وتفهم المبانى وتنظم الاشعار ياسيدى تريد ان اذكره لك نظما اونثرا فقال لها نظما ونثرا فقالت له اعلم ان لسان حال اختى يقول لي اعلمى يااختي ان هذا ولدي وقطعة من كبدي مثل هذا النقاب والشعيريةالتى مرفوعين فوق رأسى وقد أرسلته اليك ليكون عندك أعز ممن عندى ولا تتركيه وعن باب الكرم تحاديه ولا على لسانك تذكريه ويكون مثل هذه الفردة المداس المفردة التى لاقدر لها ولا قيمة حتي اذا تكامل ماتكون قيمته الى اسفل فى الارض يتلاقا كل ماعليه اعرض وهذا كلامنا فقال لها والله ان النساء يعرفون المعنى وانى اظن

ان هذا هو الضمير ولكن نحن نجعله لاجل خاطرها فى اعيننا وفوق رؤسنا من وقتنا هذا حتى يرجع و يعود الي امه ولا له منا الا الاكرام التام و نظمه وازالة همه وغمه ولكن أريد ان تذكري لى هذه الاخبار بالشعر والنظام لانى ركنت اليها وعلمت ان اختك فصيحة وانت مثلها فعند ذاك انشدت تقول وانا وانتم نصلي على الرسول صلى الله علية وسلم

سلام على الاحباب فى كل لمحة ... سلام جزيل على ممر الليال
يعم كل حبيب لنا وجيوشه ... من الاصحاب والخلان العوال
واني والله لا أسلواهوا كم ... واصبحت من البعاد مثل خيال
وقد أرسلت لكم قلبي ومهجتى ... وجسمى وعينى والنوال
فاكرموا ولداً كان عندى عزيزا ... ولا تجعلوه مهانا كالنعال
لقد كان عندى فوق رأسى ... ومن داخل الاجفان والامقال
وكان عزيزا مكرما ومهابا ... وكنت ارى فى وجهه وجه الهلال
وكان سيد القوم حقا كلهم ... وكان صائبا فى القول والافعال
وكان مقدما على كل أمر ... ومتوكلا على ذي الجلال
وما كان ذليلا ولامهانا ... ولا مجالسا لرفقة انذال
ولكنه جري عليه حكم الاله ... ولامانع في قضاء المتعال
وقد صارا الآن غريب أرض ... بعيدا عن الاوطان والاطلال
فاكرموا ذلك الغريب الذي أتى ... ولا تحرقونى برجعة الافضال
وهذه وديعة بين أيديكم ... والله يشهد ويعلم كل حال
وقد استودعته عند خالق الورى ... رب العباد ومصطفي النوال

(قال الراوى) فلما فرغت السيدة شهوة من شعرها ونظامها قال لها نجم الدين وقد تعجب من كثرة فهمها هاهو عندك والجوار يخدمونه ويأتون اليه بكل مايحتاج ولاتدعيه يخرج من البيت فقالت له كيف توصيني على ولدي ثم التفت الى

الامير بيبرس وقال له اعلم يابنى ان هذه خالتك فاسمع كلامها ولاتخالفها فى أقوالها ثم قالت السيدة شهوة ياولدى اعلم انك الآن جئت من عند امك الى عندى ومن حضنها الى حضنى فقال لها ياامي اجعلى لى محلا برسمي لاني أحب أن اكون منفرداً وعن الناس منعزلا فقالت له أمه سمعا وطاعة ثم أمرت الجوار ان ينزلوا له فرشا من الفراشات المثمنة فى المقعد و ينظموه له فاجابوها بالسمع والطاعة وفرشوا له من تلك الساعة ثم أنها انزلت الامير الى المقعد واجلسته وجلست الى جانبه والجوار بين ايديهم واقفين فلما عاين ذلك قال يا أمى ان الوزير قد أتى من السفر وهو تعبان من شدة الضرر وأريد منك الساعة تطلعي الى عنده وتصلحي شأنه وانى اقول انه لابد له من الطلوع غدا الى الديوان بخراج السلطان فقالت له السمع والطاعه ثم انها نهضت اليه وتركت الجوار عنده لاجل قضاء حاجته

(قال الراوى) فهذا ما كان منه واما ما كان من السيدة فانها طلعت الى عند الوزير وتحدثت معه وجلست الى جانبه وقد جعل يتسلا بها ويلاعبها وتلاعبه حتى هاج به الم الذكر فقضى منها وطراً ثم اغتسلا و ناما لاجل الراحة فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من امر الامير بيبرس فانه امر الجوار بفرش النوم ففرشوا له المكان وانطلقت فيه الابخرة من الجاوي والعود والند والعنبر والريحان ثم نام الامير وتوكل على الملك العليم وقد خفف ماعليه من الثياب والسلاح وعلقهم عند رأسه وامر الجوار بالانصراف فانصرفوا الى أماكنهم فهذا ما كان من امر هؤلاء (ياساده يا كرام) ولما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وسلمت على كنز المداح محمد تاج الملاح انتبه الامير بيبرس من المنام وازال ضرورته وتوضأ وصلى الصبح وصلي على النبي الكريم واستقر فى الجلوس والتسبيح واذا بالوزير قد أقبل عليه فقام له وصبح عليه وأجلسه الي جانبه وقدم له مارق من الطعام فأكلوا وشربوا وقد ارتفعت الاواني والزبادى وغسلت الافواه والايادى وذكروا سيد الانام

النبي الهادى وقدعزم الوزير على الركوب وقال ياولدى انى أريدان أسير الى الديوان وأسلم المال الى السلطان وأعود اليك وأنت فى هذا المكان فقال الامير سمعا وطاعة (ياساده) وكان عند الوزير نجم الدين رجل بواب يقال له عبد القادر الامواحي فلما أراد الوزير الخروج من الدار صاح على ذلك البواب فحضر بين يديه فقال له لاتترك الامير بيبرس يخرج من الباب لانى أخاف ان يقتل احداً من الانام لانه لايبالى بقتل كل الانام فقال له اعلم انى لااتركه يخرج من المكان وآخذ عليه المفتاح وان صعد منه كسرت رأسه وحق الملك الفتاح ثم ان الوزير صار بعد ان أخذ المال وأوصى البواب وتوجه الى الديوان يريد أن يسلم مال السلطان (قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من امر امير المؤمنين وخادم حرم حجرة سيد المرسلين فانه بات وأصبح مثلك يصلى على نبي له الورد فتح دخلت الاغوات اعلموه ان الديوان قد تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم سار الملك وبين يديه الاغوات الكتابيه والمماليك الغرلابية فلما أقبل على العسكر قاموا له اجلاله وحياء من السلطان فابداهم بالسلام السنة أجابوه بالفريضة الشرعية كما قال خير البرية هذا وقد بسط يداه وقرأ الفاتحة أم الكتاب وأهدى ثوابها الى النبي الاواب واصحابه وجميع الاحباب ثم الي ارواح من تقدم قبله من الملوك وما يأتى بعده ثم قرأ المقرى وختم ودعا الداعى وختم ورقى المرقى وختم وقد صاح جاوبش الديوان وهو يقول

ياحا كما بين جميع الوري	انصف الانام بالعدل والانصاف
وخذ الحق لكل مظلوم	وانصفه علي الظالم المتهاف
وان ظلمت فانت مطالب	بين يدي الحاكم والمواف
يوم لاينفع فيه مال	ولا بنون ولا اولاف
الا من أتى ربه بقلب سليم	فذا هو الذي يفوز بالرفراف

(قال الراوي) قال الملك امنا من اين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان

المنجي من الشدائد والمهالك ثم راق الديوان والتفت الملك ذات اليمين فاطرقت العساكر حياء من أمير المؤمنين وكذلك جهة اليسار ثم جعل الملك كلامه مع الاغا شاهين الافرم وقال له ياحاج شاهين الطير دخل القفص وما بقي عليه غصص والصياد اصطاد وهذا حكم رب العباد فتعجب الاغا شاهين من كلامه ولم يدري معنى مرامه فبينما الملك يدندن ويتكلم بمثل ذلك واذا بباب الديوان اسند والستار ازيح وقد أقبل الوزير نجم الدين البندقداري وقبل الارض بين يدى الملك ثم خدم وترجم واحسن مابه تكلم ودعا بدوام العز والبقاء وازالة البؤس والشقاء وتكلم الوزير نجم الدين بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات صلي الله عليه وسلم

عبيدكم قد أقبل يا سادتى ... يرجوا من المنان لكم دواما
سلام عليكم بكامل جمعكم ... والسلام مني بدا قبل الكلاما
فلا تردوا من اتى لحيكم ... فانتم أهل الكمال على الدواما
فما زلتم فى الاماكن حتى ... يقوم الناس في يوم القيامة
انتم السادات لكل الوري ... وفضلكم على الورى انعاما
وسيفكم الماضى فى رقاب العدا ... وبكم يرغم المشركين ارغاما
قد حفكم من الله غيث هاطل ... وزالت عنكم الاحزان والاسقاما
فاقبلوا من أتاكم مستنصرا ... والله يقبل من عليه تراما
قد فازوا بالنصر من رب السماء ... ومدحهم بلطف وعز واختتاما
وفزتم بخدمة سيد الورى ... عليه مني صلاة وازكى سلاما

(قال الراوي) فلما فرغ الوزير نجم الدين من الدعاء والمدح والخدمة لامير المؤمنين تحرك الملك الصالح وقال ياحق يا دايم يا حق يا معبود يا علام الغيوب يا ودود سلامات يا سيدى نجم الدين يا ابن العم جبت الخراج قال نعم يا أمير المؤمنين ثم أمر باحضار الخراج فاحضروه الغلمان بين يدى السلطان فلما رآه فرح فأمر برفعه الى خزانة بيت المال وأذن الوزير نجم الدين بالجلوس فى مرتبته

فجلس وراق الديوان وصمتت الحاضرين حياء من السلطان هذا وقد قال الملك يا حاج شاهين قال نعم يا أمير المؤمنين قال له لا بد ان المفطي يبان لان الطير دخل القفص وانغلق عليه الباب وانحبس وحرج عليه الرجل بعدم الخروج وأنه قال انا ما حبسته الا خوفا أن ينقر الطيور بمنقاره لان منقاره حاد عليهم ولانه اذا نقر طير أصيب ولكن وعزة الله لا بد من ظهوره وافشاء أموره لانه هو الغالب على اعدائه وانه مخصوص بالنصر من مولاه فماذا الذى تقول فى هذا الكلام صحيح أم لا فقال له الاغا شاهين الصحيح الذى تقوله يا أمير المؤمنين مع انه لم يدري معني قوله بل قال فى نفسه والله ما أعرف لهذا معنى فقال الملك الصالح ياأخى أنا رجل عبيط فلا تأخذ علي كلامى فى شيء ابداً كلما ورد على بالى قلته لانى معبوط عبط الجمال الذين كانوا يشيلوا ويرجعوا يأكلوا عاقول

(قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر بيبرس فانه بعد نزول الوزير نجم الدين من المكان ضاق صدره لانفراده فنهض على الاقدام وفتح بعض رواجع المقعد وتأمل واذا ببعض الرواجع يتطلع على الطريق فجلس الى جهة الطريق وفتح المصحف وجعل يقرأ في كلام الله تعالى القديم وهو يترنم بتلك الصوت الحنين الرخيم حتى انه كان في سماعه يحيي السقيم فصار يقرأ وكل من مر على ذلك المكان وسمع النغمة والالحان يقف تحت الراجع لاجل السماع حتى صار تحت الراجع خلق كثير من الناس فبينما هم كذلك واذا برجل قد اقبل عليهم وكان هذا الرجل يقال له الشيخ محمد طميطق الجميدي وانه لما رأي ذلك اللمة والجمعية اقبل وهو متعجب من الواقفين فلما أقبل سلم عليهم وسألهم عن وقوفهم فقالوا له اعلم اننا نريد أن نسمع كلام الله تعالى بهذا الصوت الحنين فقال لهم ومن الذى يقرأ هنا اهل هو ذكر أم أنثي فقالوا والله لا ندري فهل تقدر وتظهر لنا أمره ان كان ذكر أم انثى ولك علينا فى نظير ذلك ثلاثين نصف فضة فتقدم من دونهم الى تحت الراجع وتنحنح وصفق على يديه وصاح يامقرى يامقرى

تفضل علينا وطل علينا من الراجع برأسك لاجل نصبح عليك ليكون نهارنا مبارك ووقتنا أزهر ونحن أولاد الحسنية وكلنا أهل كمال فى الكلية واننا نريد أن نري هذا الوجه المنير فلما سمع بيبرس هذا الكلام من ذلك الرجل تبسم ضاحكا وعرف انه مزاح فطل من الراجع وقال له صباح الخير ياوالدى فلما طل برأسه من الراجع ورفعت اعينهم أولاد الحسنية فرأوا وجه كأنه القمر اذا ابتدر ليلة أربعة عشر فلما نظروا منه ذلك جارت منهم الافكار وما منهم من نطق بمقال الا الشيخ محمد فانه قال ما شاء الله كان يخلق الله مايشاء سبحان من خلق وصور واتقن ياسيدى انزل الى عندنا حتى نتأنس معك فقال بيبرس ياوالدي سمعا وطاعة ولكن اصبر قدر ساعة حتى آتى اليك ثم انه نهض من ساعته علي الاقدام وأخذ اللت بيده وخرج من باب المقعد والجوار ينظرون اليه ولم يقدروا يمنعوه ولا منهم من يقدر يتعرض له الي أن صار وسط الدار فقال فى نفسه يابيبرس اللبيب من دار ولم يمازح الناس فما هو الا كالحمار وانا لابد لى أن أمازح أولاد مصر على قدر عقولهم واسايرهم علي قدر حالهم لانهم على كل حال أهل خلاعة وفكه ولكاعه ويكثرون الكلام مع بعضهم وها انا كاحدهم ثم سار الى أن وصل الي باب البيت فلما رآه البواب وهو مقبل عليه قامت عيناه فى أم رأسه ونهض على اقدامه وقد كشر على اضراسه وأغلق الباب فى وجه الامير وقال له الى اين تريد تمضى فقال له أريد الفرجة علي ارض مصر واخرج الى البلد وانظر اهلها فقال له البواب ارجع الى مقعدك ولا تخرج والا أقوم افلق قرعتك بهذا المفتاح فلما سمع بيبرس ذلك قال له اعلم يابواب اني لم يكن لى سيد الا مولاي الذي خلقنى ورزقني واعلمك اني لست بمملوك الا للمالك وهو رب العالمين وأنا رجل حر مثل نجم الدين سوي بسوى وان زوجته هى خالتى وانا ان اقمت فى البيت فبرأيي وان خرجت فبرأيى فلا احد يمنعنى وانا ما اتيت الا بقصد الفرجة على مصر وبنيانها واحدها واولادها واغصانها وبساتينها ولاجل زيارة الاولياء الذين بها واكثر قصدى زيارة

سلطان مصر سيد الانام محمد الشافعي لعل ان يحصل لى منه القبول واقرأ عنده القرآن فافتح ودعني امضى وأعود ولا تحوجنى للحاجبى والقعودفقال له البواب انا لا اقدر افتح لك الباب ابداً فأدخل حيث امرتك والا كسرت رأسك فانى ممن لا يسمع قولك ولا يركن لعمك ثم أن البواب صاح فيه فسكت الامير وسار يلاطفه وهو لايزداد الا منعاً فلما ايس منه الامير تقدم الى الباب وأراد أن يفتحه فنهض اليه البواب بالمفتاح وهو قاصد رأسه فلما رأي الامير ذلك تلقي المفتاح على اللت وقال فى نفسه هذا رجل نحس لاتثبت عنده الكرامة الا اذا عاينها ثم انه رفع اللت وضربه بطرفه علي رأسه لطشا خفيفاً فوقع اللطش على ام رأسه فسأل دمه وغاب صوابه ووقع خلف الباب مغشياً عليه فعندها تركه الامير بيبرس وفتح الباب وخرج فتلقاه الجميدى واولاد الحارة الذين قدمنا ذكرهم فسلم عليهم وسلموعليه وترحبوا به واجلسوه بينهم وجلسوا حواليه وقالوا له يا سيدى قل لنا مااسمك قال اسمى بيبرس وانا ابن اخت السيدة شهوه زوجة الوزير نجم الدين البندقداري صاحب هذا المكان فقالوا له معرفة طيبة وصحبة موافقة فسرمعنا ولك اسوة بنا فقال لهم سمعاً وطاعة ثم سار الامير معهم وقد تقدم الجميدي اليهم وقال لهم انا بقيت كبيركم انتم الجميع فقالوا انت خبيرنا يا شيخ محمد فقال له الامير ياوالدى انت كبيري انا وانا لك فقال له الله يرقيك اعلا المراتب كما جبرت بخاطرى ولم يزالوا كذلك حتى اقبلوا الى مكان وفيه دكان وعلى ذلك الدكان شاب صغير كثير الحياء والوقار وكان هذا الشيخ تصطنع العرقوس وهو يسمى كريم الدين ابن الشيخ يحى الشماع رجلا عالما من علماء الاسلام له هيبة ووقار غير انه فقير الحال ولا له اكتساب غير هذه الصناعة

(قال الراوى) فلما اقبلوا الى ذلك المكان وراهم ذلك الغلام نهض على الاقدام وترحب بهم واجلسهم وقد رأى الامير بيبرس فى وسطهم وهو كأنه القمر بين النجوم فقبل يده فقبل الامير رأسه وجلس بعد ذلك الامير وراق المكان وقد

كان فى ذلك المكان والزمان لايصطنعون القهوة بل كانوا يصنعون المقل السخن
وهو شمر وعرقوس ويصطنعون الحلاوات ايضاً وذلك لان القهوة لم يكن لها بذلك
الوقت قيمة ولا مزية لكثرة حبتها هذا ولما استقر بهم الجلوس تقدم اليهم كريم
الدين وبيده طبق كبير وفيه العسل المغلى المعقود بالنار الممتزج بالبهار وفى يده
الاخري قطعة من النحاس الاصفر يقال لها ملوق يأخذ بها الحلاوة فصار يعطي
كل واحد منهم ملوق فلما فرغ من ذلك ناول كل واحد منهم طاسه من المغلي السخن
وكان فى ذلك الوقت الملوق والطاسه بجديد واحد فلما استتم لهم ذلك قال بيبرس
ياأخي ماأسمك فقال له عبدك كريم الدين فقال يا كريم الدين قال نعم قال له جميع
ما أكلوه من الحلاوات والاشربه حسابه على انا فقال له كريم الدين يا سيدى
ادام الله بقاك والله هذا نهار سعيد مبارك برؤياك ثم أخذ كريم الدين يباسطهم
ويحادثهم الى أن اخذوا مجلسهم واستأذنوا الى الانصراف من الامير بيبرس فأذن
لهم فانصرفوا الى حال سبيلهم وكذلك الجعيدى انصرف بعد أن قال للامير الموعد
بيننا وبينك كل يوم هاهنا ثم انصرف الى حال سبيله

(قال الراوى) وبقي الامير بيبرس مع كريم الدين وراق لهم المكان فقال
له الامير بيبرس انا ابن اخت زوجة الوزير نجم الدين البندقداري وهذا الحساب
لك عندى وهذا منزلنا فانى الآن لاوجدت معي دراهم حتى اعطيك ولكن هذا
أول برج وتركه ومضى الي حال سبيله ودخل البيت فرأى البواب قد فاق مماهو
فيه فلما رآه البواب ارتعدت فرائصه منه وقال له ارجع عني ياسيدى وانى لا بقيت
اقدر اقوم من هذا المكان ابداً مادمت انت فيه حتى يأتى الامير نجم الدين
اسلمه مكانه لانى ما انا مستغني عن نفسي ولا عن روحي وان كنت سلمت هذه
النوبة من يدك ماأسلم الآخرى فعند ذلك اقبل اليه الامير بيبرس وطيب خاطره
وباس رأسه وقال له ياابي ابري ذمتى وسامحنى فى زلتى ولك منى عشرة دنانير
ذهب فقال له ياسيدى انت صاحب العطا وانى قد سامحتك ولكن اين الذي ذكرته

لى من المال فقال له هاهو حاضر ثم انه صعد الى المقعدورجع اليه واعطاهالعشرة دنانير ذهباً وقال له اذا سألك سيدى نجم الدين فلاتخبره بأننى خرجت من المكان فقال له ياسيدى وحق رأسك انى لايقيت اخرج عليك لاليلا ولا نهاراً وانا خادمك وان طلبت احداً يؤانسك احضرته لك واحضرت لك كلما تريد فقال له جزاك الله عنى كل خير ثم تركه بعد ان طيب خاطره وصعد الى المقعد وجلس برهة واذا بالامير نجم الدين قد اقبل وقد سأل البواب وقال له هل خرج الامير بيبرس الى ظاهر المكان فقال له البواب لاوحق راسك ماخرج ابداً ولم يمر على غيرك انسان فتركه وصعد الى المقعد فتلقاه الامير بيبرس ونهض له من مكانه واجلسه وجلس الى جانبه وجعل يحادثه ولم يسأله عن الخروج ولا عن الدخول ثقة بكلام البواب فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من أمر كريم الدين فانه بعد أن تركه الامير بيبرس وقال له أول برج جلس وهو متفكر فى أمره وقد زاد به فكرا وجعل يقول فى نفسه الساعة يأتى أبى من الجامع الازهر ويسألنى عن غلة الدكان وهو يقول لى أين الذي بعت به فان قلت أنا مابعت شيئاً يقول لى وأين البضاعة وان ذكرت له انها انسكبت على الارض يقول لى وأين محلها وان قلت له بعتها شكك فما هذا بصواب لان قوتنا منها وما لنا غيرها فى كل يوم وان أنا قفلت الدكان وهربت فما أدري ما الذى يصنع أبى بأمى من أجلى او ربمايقول انه أخذالدراهم وهرب بهم ولكن الوقوع فى البلا أحسن من الاستنظار ومالي الا ان اجى بالحال والسلام فبينما هو كذلك واذا بالشيخ بحيي الشماع مقبل عليه فلما رآه أقبل قام له على الاقدام وباس يده فقال له السلام عليكم يا شيخ كريم الدين فقال له وعليك السلام يا أبى فجلس على الدكان وقال له يا ولدى هات الغله فناوله جديدا واحدا من غير زيادة وكان هو أول استنتاجه فأخذالشيخ الجديدفى يده وتعجب غاية العجب وقال يا ولدي ما هذا وأين الدراهم التي بعت بها البضاعة حتى اننا

نشتري لوازم المحل الذى نحتاج اليها كل يوم فقال له ياأبي اذا كان الكذب حجة مستقيمة يكون الصدق انجا عند أهل العقول السليمة أنا اصدقك يا أبي اعلم انني جاءني ولد مملوك من بيت نجم الدين البندقداري ومعه ثلاثين رجلا من أولاد الحسينية ودخل بهم الى الدكان وقال لي اعطيهم جبا علي قاعطيت لهم ماكان عندي من البضاعة فلما فضوا مجلسهم انصرفو الى حال سبيلهم وانصرف هو بعدهم وقد أشار على بدبوس في يدي وقال لي أول برج لك عندي نخفت منه ودخلت الى داخل الدكان وتركنى وانصرف الى منزل سيده وهذا الذي جرى أخبرتك به والسلام فلما سمع الشيخ يحيي ذلك تغير لونه واضطرب كونه وقال له كيف تضيع مالنا وثمن بضاعتنا وتتركنا نقاسى العذاب فى هذا اليوم والليلة القابلة بالجوع وتحرمنا وتطعم غيرنا ولكن انت الآن تحتاج الى الادب ومالي الا ان امضى الى القفاص وأتى من عنده بجريدة خضراء بهذا الجديدواضربك بها ثم انه تركة ومضى الى القفاص ليأتى بالجريدة فهذا ماكان منه وأما ما كان من الغلام كريم الدين فانه صبر على أبيه حتى غاب عن عينيه وقال فى نفسه وما انتظاري بهذا القعود ثم انه ترك الدكان ومضى الي عند البيت بعدان اغلق الدكان ومضي الى عند امه وأخبرها بالخبر من اوله الى آخره فلما سمعت أمه بذلك فقالت له اقعد يا ولدي وما الذي تقدر تفعل أن نصل اليه من الملوك وهو من طرف مثل نجم الدين البندقداري والحمد لله على سلامتك الذى انت تخلصت منه فاطمأن قلب الغلام . وركن الي قول أمه وجلس الى جانبها فهذا ماكان منه وأما ما كان من الشيخ يحيي فانه سار الى القفاص وناوله الجديد وأخذ منه جريدة خضراء كبيرة ومضى بها الى الدكان ليضرب ولده فوجد الدكان مغلوقة ولم يجد الغلام فاحتار فى أمره وسأل الجيران فقالوا له يا سيدي غلق الدكان ومضى الى جهة الدار فسار الشيخ وهو فى غاية من القلق وقد اشتد به الغضب على ولده وذلك لاجل فاقته وفقره وما زال متفكرا فى أمره حتى وصل الى

مستقره وعبر الى البيت فوجد الغلام الى جانب أمه فزاد حمقه فنهضت اليه أمه وقابلته وقالت له وقد صاحت فى وجهه على أى شيء أتيت هكذا وأنت ماسك هذه الجريدة وما الذى تريد أن تصنع وما هذه الفعال وقد ارعبت قلب الغلام واورثتني لاجله الوبال وان هذه الفعال ماهى فعل اولاد الحلال هذا يدل على الكسوة التى اتيت بها اليه وما اراك الامسيئاً عليه وماسك بيدك الجريدة انك تعلم ان عندى غيره او من يقوم مقامه وان قتلته أرى عندى خلافه اما تعلم انه واحد وعينى مطلعة اليه كيف يعمل هو فى المملوك بضربه او يشتمه فوالله لو كنت أنت ما قدرت تكلمه حتي انك تهين ابني وتفعل هذه الفعال وهو حيلتى ثم انها بكت ولنشدت تقول صلوا على طه الرسول

ايا ولدي مالى سواك حبيب ... انت قصدى وبغيتي ونصيب
ولم ارد غيرك يدخل داري ... ولم يكن لى عليك رقيب
تجير عليك ابوك حتى كانه ... يريد قتلك حقاً من قريب
بعدالجوع والعري الذى انت فيه ... بعرضك لاهل البلايا رحيب
ويمضى ويأتى يأخذ كلما ... جمعته من فضة وذهيب
كمثل الحاكم الذى لايرجع لخصمه ... ولا يعرف صديق ولا حبيب
فوالله ياولدى لقدضرنى الجوا ... وزادنى ما انت فيه لهيب
وهذا الشيخ لايرحم لضعفنا ... ولايدري صدقا ولاتكذيب
ومالى الا ارحل الى بلدة ... تكون من هذا المكان غريب
ونقضى زماننا فى غير ارضه ... لله ارضا كان منها قريب

(قال الراوى) فلما فرغت زوجة الشيخ من البكاء والانتحاب جعلت تتكلم مع الشيخ يحيي كلام كثير حتى انه اندهى من قولها ولا عرف يرد عليها فقال لها اعلمى انه قد ضيع غلة الحانوت التي نأ كل من جانبها كل يوم وانت تعرفى ذلك وتعرفى ان مالنا ا كتساب غير هذا فقالت له وايش الذي يعمل فى المملوك

حتى انه كان يضربه أو يقتله فقال لها وكيف نعمل نحن الآخرين فقالت افعدوا نا آتيك بخلاف الذى ضاع لك فقال لها ومن اين ذلك ثم قالت أصبر سوف تري ثم غابت عنه وعادت ومعها كوز فخار أحمر وهو مسدود الفم ففتحت سداده وأخرجت منه ستة انصاف فضة وكان النصف بستة جدد واعطتهم اياه وقالت له ماتقول فى ذلك فقال لها وقد تعجب ومن أين لك هذا المال فقالت له اعلم ان هذا من خدمتى فى أبوك وذلك انى كنت أوضيه يعطيني جديد فاخذه وأجعله فى ذلك الكوز وكلما كمل عندى ستة جدد صرفتهم بنصف فضه ولم ازل على ذلك حتى توفى والدك رحمه الله تعالى وجمعت انا هذا المبلغ وجملته عندي الى الآن وقد نفعوا في هذه الساعة ولاترجع تهين ولدي ففرح الشيخ بذلك ورمى الجريدة من يده واقبل علي ولده وقال له ياولدى خذ هذا النصف هات لنا به عسل اسود وعرق سوس الي الدكان وهذا النصف الآخر هات لنا به قمح والثالث سمن وهات لنا بالرابع لحم وخضار ولا بقي من المبلغ الا نصفين مع الشيخ هذا وقد مضى كريم الدين وقضا الحوايج الي البيت والدكان وعاد الى والده واخبره بذلك فقال له ياولدي اسمع كلامي واعلم انى غداً مقيم فى البيت ولا اروح الى الجامع وانت تفتح الدكان على عادتك فاذا اتاك هذ المملوك هو وجماعته واخذ البضاعة منك ولم يعطيك شيئا فشاغله بالكلام وارسل الى اي غلام كان حتي انزل اليه وآخذ حقى منه واخلص اذنيه واقلع عينيه واضربه على راسه بهذه العصا والعلم الشاهد الشريف فقال الغلام سمعا وطاعه (قال الراوي) ولما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح نزل الشيخ كريم الدين الى الجامع وصلى صلاة الافتتاح وعاد الى الدار واخذ منها البضاعه وسار الي الدكان وفتحها وغلا العرقسوس وعقد الحلاوه وجلس وهو يقول يافتاح ياعليم اللهم اكفينا شر هذا النهار يا اكرم من كل كريم فبينما هو كذلك واذا بالامير بيبرس قد اقبل هو وأصحابه ودخل الامير الى الدكان

وصبح على كريم الدين هو وباقى الاخوان فردالصباح عليهم وهو منهم فزعان فقال الامير أعطيهم جباً علي يا كريم الدين فعندها قال له يا أخي كل يوم جباً عليك فقال نعم أعطيهم ولا تخاف فقال فى نفسه لعل يعطينى البرج الاول والثانى ففرق عليهم ما عنده من الحلاوات وكذلك الشربات فانبسطوا أولاد الحسنية وأخذوا حظهم بالكلية الى أن تضاح النهار وكل منهم قد عزم على الفرار هذا وكريم الدين ينظر اليهم ويتعجب من فعالهم وقلبه يرجف من الامير بيبرس لا يفعل معه مثل أمس هذا والامير بيبرس جلس برهة يسيرة وقال يا كريم الدين قال له نعم قال له ائتنى بهذه الطاسة الكبيرة التى على هذا الرف فقال له سمعاً وطاعة ثم ناوله الطاسة وقال له وهو مرعوب هذه ورث عن جدي أبو أبي وقد ظن أنه يريد أخذ الطاسة فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام ضحك وزاد في الابتسام وقد فهم ما عند الغلام ثم مد يده الى جيبه أخرج كيساً حرير ومسكه بيده وفتح فمه وقلبه في تلك الطاسة فامتلأت الطاسة وكان فيه خمسمائة دينار ذهب فلما رأى ذلك كريم الدين انذهل عقله وانسلب وقد تعجب من فعل الامير غاية العجب وأخذه الانبهار ولعبت سواعده والركب عند رؤياه لذلك الذهب وقد ظن ان هذا منام وأضغاث أحلام وصار باهت لا يدرى معني الكلام فقال له الامير هل يكفيك هذا يا كريم الدين فى بضاعة اليومين والا أزيدك دنانير فقال له وهو مدهش هذا والله شيء كثير وما هذا الا فعل سلاطين وما هى فعال مماليك لمثل نجم الدين فقال له الامير بيبرس خذ الدراهم وأعطيها لأبيك لأني سمعت عنه انه من علماء الاسلام وأهل الديانة والاحكام وأيضاً سمعت انه فقير الحال فدعه يدعي لي على كل حال لانه دعاءه مقبول عند الملك المتعال فاذهب الآن اليه وأعطيه هذا المال وها أنا قاعد لك ها هنا على الدكان حتى

تأتي أنت من عند أبيك فنهض كريم الدين وأخذ الدنانير وسار طالب أبيه وهو فرحان بما أعطاه الامير

قال الراوي فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر الشيخ يحيى الشماع فانه مقيم في المكان عند زوجته فأخذتهم سنة من النوم فناما الاثنين فرأى كل واحد منهما منام فلما انتبهوا قال الشيخ يحيي لزوجته أنا رأيت منام فقالت له زوجته خير وسلام وأنا أيضاً رأيت منام فهل رأيت أنت مثل ما رأيت أنا فقال لها لا ولكن اخبريني على منامك حتى أفسره لك فقالت رأيت بيتي هذا كله نور وقد ظهرت فيه روايح حسنة زكية فبينما أنا بذلك منبهجة اذا أقبلت على شريفة سمراء عليها حلة خضراء وهي كأنها الشمس المضيئة الزاهرة متنقبة بايزار أخضر وماسكة بيدها الشمال ولدي وبيدها اليمنى ولد آخر فتأملته واذا به كأنه البدر ليلة تمامه ورأيت بجبهته سبعة نقط سود وبين حواجبه شعرة من الاسد والى جانب الشعرة سبع من اللحم يظهر اذا غضب ويزول اذا لم يغضب فقلت لها وقد غشاني نورها يا مولاتي من تكونين أنت فقالت أنا كريمة الدارين ها أنا أم الايادي الطايلات أنا غفيرة مصر من جميع الجهات من الآفات أنا عمة الحسن والحسين من نسل سيد الكونين وهذا نسبي وحسبي فقلت لها وأنا خجلة نعم الحسب ونعم النسب ولكن من هذا الغلام الذي في يدك اليمنى فقالت اعلمي يا أم كريم الدين ان هذا محمود المكنى بيبرس وهو الذي تفتح على يديه بلاد الكفار ومداين أهل الاشرار وهو صاحب الفن والوقار وتكون مصر في حكمه في غاية من الافتخار ويكتب اسمه على السواحل والاقطار هذا الامير بيبرس أبو الفتوحات والنصر ويسمى الظاهر وسوف يكون ملكا وسلطان وتذل له رقاب الانس والجان وهذا ولدك كريم الدين يكون له بعدته شأن وتكون له كلمة عالية وشأن عظيم من كل شأن وهو أخيه على ممر الليالي والايام ويبقى بعدته له ذكر يذكر مادامت الشمس تظهر والقمر يسرج ويبتدر

فلما سمعت منها هـذا الـكلام فرحت وأقبلت اليها وقبلت يديها وقلت لها ادعي لي ولولدى وزوجى فقالت لي رفع الله عنكما ألم الفقر والفاقة ثم انصرفت عنى فاستيقظت من منامي وأنا فارحة مسرورة فهذا منامي ومارأيته في لذيذ أحلامي قال فلما سمع الشيخ كلامها تبسم في وجهها وقال لها وحق خالقنا والهنا ومحيينا ومميتنا هذا المنام الذي رأيته أنا وهو يدل على كل خير وكل سرور وهنا وهذا منام صحيح لان قول السيدة صادق ولم يكن مفارق ففرحت بذلك الفرح العظيم ونال الشيخ بذلك سروراً عظيما فبينما هو كذلك واذا بالباب يدق دقا خفيفاً فدنا الشيخ من الطاقة ينظر ماالخبر واذا هو بولده كريم الدين وقد أقبل فظن الشيخ ان المملوك قد أتى اليه فقال له يا كريم الدين ان كان جاءك المملوك الذي أتى اليك البارحة فأنا أحضر العصا وانزل اليه معك فقال له يا ابى افتح الباب حتى اقول لك ففتح له الباب فدخل كريم الدين وهـو في حال وتقدم الى ابيه بما معه من الذهب وقال لابيه انظر يا ابى الى هذا فاندهش الشيخ يحيى وارتعدت فرائسه وقال له من أين لك هذا الذهب الكثير الاحمر الملتهب هل رأيت كنز ظهر لك فى الدكان فقال لا يا أبي ولـكن اعلم ان هذا الذهب اعطانى اياه المملوك فلما سمع ذلك قال له يا ولدي أنا رجل طالب علم وأخاف من الله تعالي ان أنا أخذت هذا الذهب فهو حرام لانى أعلم ان هذا المال مال الوزير نجم الدين وان هذا المملوك قد سرقه وما هذه عطية مماليك ولا عطية صعاليك وانما هي عطية ملوك وسلاطين فقال له يا أبي لو كان سارقه ما كان يضعه فى الطاسة ويسكبه فيها من غير مخافة فقال له ياولدي لا تطيل الـكلام فلا بد ان الوزير يدور على ماله ويقرر عليه المماليك فيخبروه بذلك وربما ان الناس يقولوا انه ما يقعد الافي دكان كريم الدين فاذا علم الوزير بذلك فيطردونا من الدكان وربما يقطعوا رأسي على بابها ويصلبوك على اعلاها فاذهب يا ولدي اليه وسلمه المال ولا يأخذك في ذلك طمع قلة أدب فرجع كريم الدين

بالدنانير فهذا ما كان من الشيخ يحيى الشماع وأما ما كان من الامير بيبرس فانه جلس على الدكان ينتظر كريم الدين فغاب عليه وما عاد فقلق قلقا شديداولما أخذه القلق وزادبه ترك الدكان وذهب الى البيت وصعد الى المقعد وأخذ كيساً آخر من الذهب وكان فيه الف دينار وغلق الصندوق ونزل الى الدكان وجلس عليها واذا بكريم الدين مقبل الى الدكان فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له ياسيدي خذ الدنانير الذي أعطيتني اياها واكفيني شرها وشر همها وأذاها فقال له الامير ولاى شيء ذلك فقال لان أبي ما ارتضى بذلك وقد أمرني أن أردهم اليك وها هو مقبل خلفي وظن انك قد نسيتهم عندى فقال له الامير اعلم يا كريم الدين ان هذه منى اليك عطية كريم لا يرد في عطاه فسير بنا الى أبيك حتى اعلمه بذلك فقال سمعاً وطاعة فبينما هم كذلك واذا بالشيخ يحيي الشماع مقبل وهو يوحد الملك الاول ويكثر من الصلاة على النبي المفضل فلما أشرف على الدكان ابدأهم بالسلام (قال) فنهضا له قياما وقبل الامير يده وكذلك ابنه ثم اجلساه الى جانبهم فلما استقر بهم الجلوس قال له يا سيدى الغلام اعطاك الامانة فقال له يا سيدي هذه عطية وسر الاسم الاعظم ما انا سارقه ولا ناهبه ولا هو من مال احد من الناس ولا يخطر ببالك انه من مال نجم الدين وانما هو من مالى وصلب حالى لانني لست بمملوك الا للملك المملوك الحاكم على كل غنى وصعلوك واعلم انى انا محمود بيبرس بن السيدة فاطمة الاقواسية فلا يخطر ببالك شيء آخر نخذ المال وتوكل على الملك المتعال وكل من سألك عن شيء اخبره بأنك اخذت منى المال والنوال قال فلما سمع الشيخ يحيي ذلك الكلام اطمأن قلبه وعلم ان هذا ماله ففرح فرحا شديداً ماعليه من مزيد فقال له ياولدي اجلس واسترح حتى أبشرك ببشارة مليحة وأنا أسأل الله العظيم ونبيه الكريم ان يبلغك ما أنت طالبه بحق النبي وأصحابه ويعطيك العز والشان على ممر الليالى والايام ولا بد أن تكون ملكا وسلطان وسيد ملوك الزمان لانى أنا وزوجتى رأينا لك مناما

ومثل ما رأيت أنا رأت زوجتي ثم حدثه بالمنام من أوله الى آخره وقال له قد علمت انك صاحب هذه العلامة لان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وان الاشارات لا تخفي على بصير قال فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام من الشيخ تبسم ضاحكا في وجهه وقبل يده ورأسه وقال له هذا يكون ان شاء الله تعالى ببركة دعائك يا والدي فقال له اعلم انى أريد أن تكون أنت اخوا ولدى بمقام عهد الله وأنا اكون والدكما فقال افعل ما تريد فنحن لك من جملة العبيد

قال الراوى ثم أن الجميع جددوا الوضوء وصلى كل واحد منهم ركعتين لله تعالى وأوثقوا العهد على ما يرضى الله تعالى ثم أن الشيخ غلق الدكان وأخذ الاثنين الى منزله فأقبلت أم الغلام وبشرت الامير بالمنام وتعاهدت معه وصارت أمه وأم كريم الدين فقال لها يا أمى تمنى على وعلى الله تعالى فقالت له تمنيت على الله وعليك وعلى جانبك السعيد أنه اذا أعطاك الله تعالى وصرت ملكا وسلطانا يكون ولدى كريم الدين أخوك هو القاضي بالديوان واذا توفيت تبنى لى مسجداً عظيما وتدفنى فيه وتبقى تزورنى فى كل شهر أربعة مرات وهذه تمنيتى عليك فقال لها الامير سمعاً وطاعة ثم انه مد يده الى جيبه وأخرج الكيس الذهب وناولها اياه وقال للشيخ خذ هذه الف محبوب وابنى الدكان ووسعها واعمل فيها رفوف ودكك ثم اضربها بالبياض وزوقها بالحمرة والبيداج وافرشها بالفراشات الفاخرات المثمنة والحلاوات الفاخرة وما من أحد باس ولا خوف ما دمت أنا بقيد الحياة لان الوزير نجم الدين هو زوج خالتى وأنا قد أتيت معه من الشام ومعى الاموال الكثيرة والانعام الغزيرة وانى لا أحد يحكم على (قال الراوى) ثم عزم الامير بيبرس على القيام فقبل يد الشيخ وسأله أن يدعو له فقال له يا ولدى جملك الله سعيد الدارين ويجعل فى وجهك القبول بجاه الحسن والحسين فامن الامير بيبرس على دعائه وسار الى بيت الوزير نجم الدين البندقدارى

قال الراوى فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الشيخ يحيي الشماع فانه بات وأصبح وصلى وسلم على من له الورد فتح وسار الى البنايين والمهندسين وأمرهم بهدم الدكان وعمارتها ودفع اليهم ثمن ما يحتاجون اليه من آلات الصنايع وأدوات الاشغال والعمارات فانعقد وجه الدكان وانتقش بالالوان وعملت فيه الدكك والرفوف من خشب الزان الملون بسائر الالوان وقد أمرهم الامير أن يعملوا مقعد عالى من داخل الدكان فتمت العمارة ونقل اليها كل ماكانت تحتاج اليه من البضاعه وغير ذلك ثم فرشت وجعل فيها المساندوالوسايد وصارت كأنها العروس اذا انجلت وهرعت اليهاالناس وأقبلت وجلس فيها كريم الدين والشيخ يحيي الشماع وصارت الناس تقبل اليه بغير امتناع وأقبل الامير بيبرس وسلم فردوا عليه السلام وأجلسوه فى محل الاكرام وما استقر به الجلوس حتى أقبلت أولاد الحسينية وصبحوا عليه بالكلية وصبح عليهم وترحب بهم وأشار الى كريم الدين وقال أعطيهم جبا علي يا خويا ففرق عليهم الحلاوات والشربات وانصرفوا الى حال سبيلهم وجعل بيبرس يتأمل الى الدكان فاعجبته فاخرج كيسا من الذهب وناوله للشيخ وقال له خذ هذه الدنانير وابنى بيتك وصلح شأنه فشكره الشيخ على ذلك وشرع فى عمارة البيت وتم له السرور والافراح وصار الامير بيبرس يتردد على الدكان ويأتى اليه الرفاق والاخوان وقد صار له جيشاً عظيما من أولاد الحسينية وهم حواليه فى كل يوم بالكلية وقد مضت على ذلك الايام وهو على ذلك المرام مدة من الزمان الى أن كان يوم من الايام والامير جالس فى الدكان واذا بضجة كبيرة مقبلة فقال الشيخ يحيي ما الخبر فقالوا له هذا آغة الوشاقية فقال الشيخ يحيي الشماع قم يا ولدي خذ أخاك كريم الدين وادخلوا الى داخل الدكان واصعدوا الى المقعد وأغلقوه عليكم حتى يمضى هذا الرجل لانه رجل فاسق من أهل الفساد وكل من اجتمع عليه فهو مثله يلوطون

بالاولاد ويفسدون بالبنات ولا يبالون من أحكام ولا محاكمات ولا يخافون من رب الارض والسموات فقال الامير بيبرس يا أبي وما لنا نحن به دعه يمضى الى حال سبيله ونحن فى حالنا وما لنا به علاقة فقال له يا ولدي هو رجل سفيه وربما ينظر اليكم ويقبض على أحدكم فلا يمنعكم منه مانع ولا يدفعه عن أخذكم دافع فلا تصدع قلبي واسمع قولى فقال له اعلم انى لم انتقل من مكانى ولا اقوم ولا سبيل اليه وما له سبيل علي لان كل انسان فى حاله ثم انه اعتدل وخرج الى خارج الدكان والشيخ ينهاه عن ذلك وهو لا ينتهى فبينما هو كذلك واذا بالاغوات الوشاقية قد اقبلوا ومقدمهم اغا يقال له ورشقون الوشاقى قدامهم وهو كأنه البعير الهائج وهو قابض بيده على غلام صغير من أولاد الاشراف والغلام يصيح فى يده وهو يقول يا أولاد مصر يا أهل الشجاعة والنخوة يا أهل المروءة والفتوة أنا شريف من نسل السادات الاشراف أنسب للحسين وطه صاحب الانصاف فاغيثونى من يد هذا الرجل حجب البقيرى والاسراف منَ قبل أن يسقينى كأس التلاف هذا والناس مجتمعون من حوله وهم يتفرجون عليه ولا فيهم من يحن عليه فاقبل اليه رجل كبير اختيار صاحب هيبة ووقار وشق الناس ودنا من الغلام حتى صار قريبا منه وقد أخذته الرحمة والشفقة عليه لكنه لا يقدر أن يتكلم مع هذا الظالم الغاشم فلما دنا من الغلام قال له اذا انت حصلت دكان الشيخ يحيي الشماع فصيط بعلو صوتك وقل انا فى جيرتك يا امير بيبرس وانت ترى العجب ثم انصرف الرجل الى حال سبيله (يا ساده) وقد اقبل الغلام مع هذه الاغوات اللئام حتى وصل الى دكان الشيخ يحيي الشماع وقد تألم مما هو فيه من الافتضاح والاجواع فنادى وقال يا اهل الاسلام يا اصحاب المروآت والاكرام انا رجل شريف من نسل سيد الانام وقد اخذني هذا العبد ابن اللئام يزيد ان يفعل بي فعال الانذال والاعدام فهل يكون لي منكم مجيرا ومحامى او نصيرا (ياساده) فهو

يتكلم بهــذا الــكلام والعبد يلطمه على رأسه حتى كاد ان يسقية شراب الحمام فصاح الغلام انا في جيرتك يا امير بيبرس فعند ذلك نزل الامير بيبرس من اعلا الدكان و تقدم الى تلك الغلمان وقال للوشاقى اكرم هذا الغلام كرامة لجده سيد الانام فقال وما لك انت بهذه الاحكام ياقليل الادب والاحتشام فنحن لا نعرف حرمة ولا ندعي زمام ولا نعرف سيد الانام وليس لنا حقيقة فى الاسلام فقال له الامير وقد تعجب من هذه الاقوال اكرموه لاجل سيدكم الملك الصالح ملك الاسلام وسلطان الانام فقال له الوشــاقى امض الى حال سبيلك الآن والا وحق لهبات النور والفلك الذي يدور اقرناك أنت الآخر معه وجعلناك مثله فلا كنت ولا كان ولا عمرت بمثلك أوطان يا نسل الحرام فلما سمع الامير بيبرس ذلك امتزج بالغضب وقد قوى عليه الــكلام ومنه قد هام واستهام وظهر في وجهه سبع جدريات على جبهته من الطارقة اليمين الى الطارقة الشمال وعبس وجهه وعلاه الاصفرار وأخذته الحمية والنخوة العربية وظهر له سبع من اللحم بين عينيه وشمرة من الاســد بين حاجبيه ورقصت شواربه وارتعدت فرائصــه ومناكبه وقد جرد اللت الدمشــقي وضرب به رشقون على رأسه فتخلخلت أضراسه ومال الى الارض وقد اختلط طوله فى العرض وخلص الامير الغلام من يده وقد انطبقت الام وشاع الخبر بما صنع القضا وحكم هذا وقد تبادرت الرجال الوشاقية يريدون القبض على الامير بالكلية فصال فيهم وجندل منهم أربعة ذات اليمين وأربعــة ذات الشمال وقد تجارت باقي الرجال فلحق منهم اثنين فسقاهم شراب النكال وما زال من خلفهم باللت الدمشقي وهم قدامه يتجارون وكل من لحقه الحقه باصحابه الى ان اوصلهم الى باب الخلا هذا وهو قابض على الغلام بيده الشمال واللت بيده اليمين واولاد الحسينية خلفه وهم يقلعون آثار الوشــاقية وما منهم الا من له ســكين أو أو نبوت ومن لم يكن معه شيء من ذلك اصطنع رجم الطوب

(قال الراوى) ولمـا وصلوا باقى الوشاقيـة الى الخلوات وتفرقوا الى الفلوات التفت الامير بيبرس الى الغلام وقال له امضى الى أبوك واعلمه بهذه الاحكام ودعه يجمع الاشراف ويطلع بهم الى الديوان فقال له السمع والطاعة وقبل يد الامير بيبرس وسار من تلك الساعة

(قال الراوى) فهـذا ما كان من أمره هؤلاء وأما ما كان من أولاء الحسنية فانهم قالوا للامير لا تخاف فارواحنا لك الفدا ولا بك العـدا ونحن كلنا شاهدون وان أنت انكرت القتل كنا معك على ذلك مساعدين فقال لهم يا اخواني الحق أولى أن يتبع فقالوا له سر بنـا الآن الى القاضى الذى بالحسنية حتي تدبر على قدر ما نراه ونشهد بما رأيناه ثم أنهـم ساروا الى أن وصلوا الى القاضى وقد اعرضو عليه القصة من أولهـا الى آخرها وكشفوا له عن ظاهرها وباطنها وما فعل الاغا بالشريف وكيف تـكلم بهذا الـكلام المنيف فثبت عند القاضى فسقه وعـدم اسلامه وحفنه فـكتب لهـم بذلك حجة ونزل فيها الشهادة التى شهدوها والامور التى ذكروها فاخذها الامـير ووضعها معه ورجع وجلس على الدكان وقد خاف الشيخ يحيى الشماع عاقبة هذا الامر والشأن .

(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الوشاقيـة فانهم اخذوا قتلاهم فى الاخشاب وساروا طالبين الديوان والملك الصالح نجم الدين أيوب ولى الله المجذوب ملك الاسلام فهذا ما كان منهم وأما ما كان من أمر الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب فانه بات وأصبح مثلك يصلى على من له الورد فتح ظهر جلس على التخت وأحدقت حوله أرباب الدلة وارباب الاحكام وقد قرأ المقرى وختم رقى الراقى وختم دعا الداعي وخـتم وصاح جاويش الديوان وهو يقول

الله يرضى حين تسأله الرضا وابن آدم حين تسأله يغضب

فلا تسألن من ابن آدم حاجة واسئل الذى أبوابه لا تحجب
فكم من سائل يعطى بغير تكره خير الاله عطاء المتأهب
وكم يحرم من بعد السلام تكره اذا سأل شخصا ابا متجنب

(قال الراوى) فقال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجي من الشدائد والمهالك يا حاج شاهين الله الله قرب الاشياء يا قريب يا مجيب هذا النهار طالعه سعيد فقال الوزير اللهم اكفينا شر هذا النهار ياعالم السروالجهار لان الوزير قد علم من السلطان ذلك وانه اذا قال هذه الالفاظ يعلم الوزير بانه طالع للديوان قتيل فبينما الملك على مثل ذلك واذا بالوشافية طالعين عليه وهم يقولون الله ينصرالسلطان ويديم له العز والشأن فقال الملك ما الخبر فقالوا تعيش رأس مولانا السلطان فى اغه الوشاقية ورجاله فقال الملك يا حي يا دايم يا معبود يا حق يا علام الغيوب ومن قتل هؤلاء القتلى قالوا يا مولانا قتلهم مملوك يقال له بيبرس من مماليك الوزير نجم الدين البندقداري فقال الملك ولاى شيء قتلهم فقالوا يا مولانا السلطان كان كبير الاغا قد قبض على ابن نقيب الاشراف السيد على بن السيد محمد النقيب وقد استغاث بهذا المملوك فاغاثه وفعل بنا هذه الفعال بعد ان قتله وخلص من يده الغلام الشريف فعند ذلك صاح الملك الصالح ياى ياى هذا الغلام المقصوف العمر الا يأكل الهريسة بالسمن البقرى لباس القفطان الاحمر المزوق يقتل اغات الوقاشيه ويفعل برجاله هذه الفعال الردية ويخرق ناموس الملك ويفعل فعال أهل الشرك فلا كان ولا استكان ولا عمرت بمثله أوطان (ياسادة) فعند ذلك تحرك القاضى من مكانه وهز ديدباته ونفض اكمامه وقعدوقام وتطور واستهام ونفض الاكمام وجنح الطيلسان وأدام له العز والشأن وقال يا مولانا اتكلم الكلمة الحسنة التى لا فيها من شيء قط فقال الملك تكلم يا قاضى الله اعلم بحقيقة الحال وهو الذى لا يخفي عليه حال من الاحوال فقال القاضي القاتل يقتل بوجه الشرع

يا مولانا السلطان هذا يقتل قتلة شنيعة وان كان قتله يعظم على مولانا السلطان أمير المؤمنين وامام الدين أنا امده من مالى وصلب حالى وزكاة عن قلبي ومحبة فى دين الاسلام والمسلمين بخمسين جواد وخمسين مملوك وخمسين كيس من المال وعليك يا وزير أيبك بمثلها فقال أيبك فى نفسه انا مالى يا قاضى فقال له امضى فذلك لك القرار المكين وهذا شيء اعرفه انا من قديم فقال الملك مثلك يا قاضى من يحامى على الاسلام وينفق الدراهم حبا فى اقامة الشريعة والاحكام ولكن احضروا لنا ما ذكرتموه وبين يدي اوضعوه حتى ننظر ما يكون من أمر هذا العلام ونقيم عليه الدلايل والبرهان ففى عاجل الحال احضروا ما ذكروه بين يدي السلطان فقال الملك عشرة من الاكراد تنزل الى هذا الغلام ويأتوا به الى هذا المقام فنزلت الاكراد من الديوان الى الحسنة وقد رأوا بيبرس جالسا على دكان الشيخ يحيي الشماع فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا له أنت الامير بيبرس قال نعم قالوا عليك سمع وطاعة احب السلطان فقد امرنا بحضورك الى بين يديه فقال لهم على العين والرأس ولكن أنا عارف بالمضمون ولا جرى من ذلك الامر المحتوم غير ان هذه الدعوي مالها الا الشرع الشريف فارجعوا الآن الى من ارسلكم وقولوا له ارسل اليه نايبا من طرف الشرع فانه لم يحضر معنا فقالوا له سمعا وطاعة ورجعوا من قدامه خوفا من أن يبطش بهم لانهم رأوا الشجاعة لها دلايل ظاهرة عليه فرجعوا الي الديوان واعلموا السلطان بما جرى من الامر والشأن فقال الملك كيف يعصى هذا الغلام أمر السلطان ويتكلم بهذا الكلام فقال له الشيخ العزيز عقب السلام الحق له يا أمير المؤمنين واننا نقول انه متمسك من شريعة سيد المرسلين ويدرى الحق واليقين وقد امتثل أمر الشرع وطلبه بنفسه فلا لك عليه من سبيل لانه لو كان له عليك دعوة وطلبك الى الشرع بها فما لك أنت المخالفة وعلى ذلك انه ليس بعاصي فقال الملك اكتبوا له

تذكرة وأمروه فيها بالحضور فكتب الشيخ العزيز عبد السلام تذكرة
يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم خطابا من قاضى قضات الاسلام التى بين
ايادي بيبرس الهمام المقصود حضورك صحبة نائب الشرع والاحكام حتى
تقوم عليك الحقوق الشرعية وتنظر ما يكون من أمر هذه القضية والحذر
من المخالفة ثم الحذر والسلام وختمه الشيخ بختمه وناولها لنايب من نوابه
وقال له امضى الى باب دكان الشيخ الشماع تجد الغلام اعطيه التذكرة يعمل
بما فيها فقال سمعا وطاعة ونزل من الديوان وسار الى ان اقبل على الامير بيبرس
وتأمله فاخذته الرجفة والانزعاج فجعل التذكرة فى رأسه ورجع الى اللجاج
ودنى من الامير وقال السلام على هذا السيد الخطير فرد عليه السلام وقال له
ما تريد يا هذا فقال له اريد ان تدلنى على باب الخلا فقال له ها هو نافذة من
جهتين فاذهب من أى مكان اردت الى حال سبيلك فتركه النائب ومضى قدر
ساعة وعاد اليه وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له الامير وعليك
السلام ما الذى تريد فقال اريد سلامك فانى ذهبت الي بعض اشغال كنت
أريدها وقضيت الحاجة ورجعت أريد الرواح فقال له سر على بركة الله تعالى
فسار قليلا ورجع وسلم عليه فرد السلام عليه فقال له يا سيدي أنا رجل جابي
ومعى هذا الوصل وقد نسيت اسم صاحبه فاقرألى اياه لانى لم أعرف الخط ولا القراءة
فقال له سمعا وطاعة ثم اخذ التذكرة منه وحلها واذا بها من الشرع الشريف
وفيها ما تقدم ذكره فلما قرأها الامير بيبرس صاح على النائب وكان لما ناوله
التذكرة تأخر الى بعيد فقال له لاتخاف وعليك منى الامان فسير الآن امامى
وأنا خلفك وعلى أثرك فساروا الاثنين الى أن أقبلوا الى الديوان فتقدم الامير
بيبرس وخدم وترجم وأحسن مابه تكلم ودعا للسلطان بدوام العز والبقاء وازالة
البؤوس والشقاء وجعل يمدح بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

سلامى على هذا المقام وماحوى سلام جزيل يفوق المسك المعطر
يطبق الارض بالعنبر الذى تفلوا به الأيمان سفرا وخضرا
يعم أمير المؤمنين وجنده كذا أمة الاسلام سراً وجهرا
سلام محب قد أتى نحو أرضكم يطلب الاحسان كما تطلب الفقرا
يدوم أمير المؤمنين وجنوده مادامت الاقطار والقبه الخضرا
ووالله انى لايذيخنا بكم وقد أتيت حماكم طالبا النصرا
فكم لكمْ مكارم مع عطا وكم لكم مجد وكم لكم ذكرا
فانتم حما الاسلام من نسل أحمد زادكم الله فخرا على فخرا
فخذوا بيد مريد قد أتى لحماكم وقد استغاث بكم من كل ذي شرا
وعار عليكم ان يضام نزيلكم ويقصد من الذكر شاع واشتهرا

قال الراوى فلما فرغ الامير من انشاده وما قاله من مقاله ونظامه صاح الملك الصالح بسم الله ماشاء الله اظهر ياظاهر واقصد حماهم وما عليك منهم ومن أسمائهم لا بد ان اليوم يخفض أسمائهم ويدثر ذكراهم تعالي ياولدي يامحمود يابيبرس ياعجمى يادمشقى يا ابن القان شاه حمك يا ابن السيدة أنت اسمك ايش فقال له وقد تعجبت ياسيدى اسمى بيبرش فقال له اسمك الاصلى هذا أم لك غيره فقال له اسمى الاصلى محمود فتنهد القاضى وقد اغتاظ منه وعرف انه هو صاحب الاشارة من أى البلاد انت فقال انا من أرض الشام فقال له هل كان مولودك بها أم لا فقال له لا وانما مولودى بارض العجم فكبرت بلوة القاضي وقال له من أي بلاد في العجم فقال له من خوارزم العجم فقال له من أي مدينة فقال له من مدينة المشرق والدربون فكاد القاضى أن تنعطر مرارته وقال له ما اسم أبيك فقال له القان شاه حمك وأمى السيدة ايق ثم ذكر له باقى الحسب والنسب وقد زادت بلوة القاضى والكرب وقال في نفسه هذا وحق المسيح هو النسب الصحيح

قال الراوى فقال الملك ياحاج شاهـين الناس عرفت بعضها والعجميـين اجتمعت مع بعضهم ثم قال الملك لاي شيء قتلت هؤلاء الاغوات فقال يا أمير المؤمنين نعم انا الذى قتلتهم بيدى ولـكن هم الذين بغوا وتعـدوا على فقال القاضى ثبت عليك القتل لاقرارك بلسانك ولا عذر لمن أقر فقال الملك تأن ياقاضي الى أن يظهر الحق فقال القاضى الآن ظهر الحق وبان وشهده كل انسان وقد أقر على القتل فقال الملك اخرس ياقاضى قصف الله عمرك ولا بلغت أملك لانك رجل فضولى ثم أن الملك التفت الى الامير وقال له أخبرنى عن السبب فقالوا له يا أمير المؤمنين اقرأ هذه الحجة فأخذمنه الوزير الحجة وقرأها وعرف معناها وقد رأي فيها مافعله الاغا الوشاقى بشهادة الناس فعرضها على العلماء فقالت العلماء يا أمير المؤمنين لايجب على الاغا القتـل بقبضه على ذلك الغلام لانه ربما رآه مرتكبا كبيرة فأخذه بها ومن خوف الغلام استغاث بهذا الامير الهمام فقال القاضى هـذا يقتل قتلة شنيعة

قال الراوي فقال الملك ياقريب يامجيب قرب البعيـد حتى يكون قريب ثم صاح أين الرجال الوحيدبه عوجة يملص أذان هذا الغلام فأراد السياف ان يثور من مكانه واذا بنقيب الاشراف طالعاً الى الديوان وصحبته كامل الاشراف والاخوان ومعه أولاد الطرق بأثرها حتى احتفل بهم الديوان وعلى اكتافهم البيارق الاسلامية مكتوب عليها اسم رب البرية وصاحب الهمة الهاشمية فلما صاروا في الديوان قامت لهم كامل الرجال والوزراء والسلطان فقال لهم الملك الصالح ما الخبر ياساداتنا الاشراف فقالوا له الآن نريد منك هـذه السجادة لانها متاع جدنا المصطفى وليس تليق الى مثلك وانك لم تصلح لها لانك رجل على غير الطريق الحميد وتفعل برأيك كلما تريد فانزل عن هذه الرتبة ونحن نولى مانريد فقال الملك ولقد انزعج من فعالهم ولم يقدر يراجعهم فى افعالهم ياسادات الاشراف لاى شيء هذا الخلاف فقالوا له كيف تخدم الرجال الفواجر

الذين ليس لهم دين ولا يعرفون شيئا من اليقين وتقربهم اليك وتلبسهم أغوات وشاقيه وتعينهم على الفساد والتلاف ونحن نكتت فيك مكاتبة الى خليفة بغداد فيرسل لنا غيرك من العباد والاجناد لانك قد فسدت الارض المصرية التى ذكرها رب الانام فى القرآن اربعة عشر مرة وما تريد الامور المضرة فعند ذلك نهض الملك والوزراء واجلسوا الاشراف واخذوا بخاطرهم وقال لهم خوذونا فالحق عندنا وما لنا الا رضاكم والذي تريدوه وما تفعلوا شيئاً بغير اختياركم ثم اجلسوهم وحضرت الشربات وراقت الاشراف من الانفعالات وقالوا والله العظيم ماحماناوحمى عرضنا الاهذا الغلام فقدزاده الله عزاوا كراما فهو الذى ستر خرقتنا بين الانام فقال لهم الملك وانتم شهدتم فيه بالدين والصلاح فقالوا وحق الملك الفتاح وقدجرى من الامرماهوكذا وكذاوقصوا عليه القصة من اولها الى آخرها والعلماء يسمعون ذلك فقال الملك ماذا انتم قائلون فيما سمعتوه ياعلماء الاسلام والمسلمين فقالوا له قد ثبتت براءة هذا الغلام فان هؤلاء كانوا مؤذين لكل الانام والمؤذى طبعاً يقتل شرعا وما له من دية فقال الملك من الآن الوشاقية معزلون وما يلبس آغة وشاقية الاهذا الغلام الذي صارفيه حمية لدين الاسلام فالبسه ياحاج شاهين يكون آغه وشاقية فالبسه الوزير القفطان وقال له أوليتك الاغويه ثم أمر الملك بالقتلاء ان يدفنوهم وجميع مالهم للامير بيبرس فامتثلوا امر السلطان واحتوي الامير على مالهم من الاموال ثم التفت الملك الى القاضي وقال له ياقاضي الاسلام هذا الاستفتاح مبارك وحق الملك العلام ولكن انت عملت الخيول والغلمان والدنانير على قتل بيبرس من غير اثبات أم على اظهار الحق من الباطن فقال يامولاي على اظهار الحق فقال الملك الآن الحق ظهر وبان وهذه الدراهم لمن بقوا الآن فقال القاضي لمن هوفى رتبته سلطان فقال الملك وهم هبة منى الى الامير بيبرس عطاء كريم لا يرد في عطاءه انزل ياسيدي بيبرس الله يهلك ضدك ويقيم

سعدك ويصرك على كل من عاداك قول امين ياقاضي فقال القاضى أمين البس يابيبرس اغه وشاقيه وعليك بتقوى الله في السر والعلانية فقال بيبرس سمعاً وطاعة هذا وقد دعوا له الاشراف وأوصوه بالعدل والانصاف وبعد ذلك نزل الامير بيبرس وقد انعقد له موكب ملكى عظيم وتسلم المال ونزل من الديوان قاصد بيت الوشاقيه

(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الاشراف فانهم تصالحوا مع السلطان ونزلوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم وراق الديوان وكان القاضى قد التجم بلجام فقال الملك يانجم الدين أناسألتك عن الطير فذكرت لى انك ما أتيت به والآن قد ظهر وبان الطير عندك فقال الامير نجم الدين وحق رأسك ماأتيت بطيور ياأمير المؤمنين أبداً فقال الملك هذا الطير لا أحد له فيه شيء ولكن ياسيدى نجم الدين هذا الغلام مملوك والا حر فقال له هو حر يامولاى وهو ابن اخت زوجتى فقال الملك الله تعالى يأخذ بيده ثم ان الملك نفض المنديل تحولت الرجال ونزل القاضي من الديوان وصاح يامنصور ذهبت الدراهم والفلوس ورجعت انامعكوس وفى هذهالقضية متعوس فقال له منصور اشكر المسيح وانه قد سلط عليك هذا الغلام وسوف يأخذ منك المال أول بأول حتى مايبقي عندك شيءمن الحطام فقال له لا بشرك المسيح بخيرولاباحسان فهذا ماكان منهم

(قال الراوي) وأما ماكان من الامير بيبرس فانه نزل كما ذكرنا وأقبل الى بيت الوشاقية واذا فيه مائة نفر وعليهم اثنان أكابر اختيارية علائم الصلاح بين عينيهم بالكلية فلما تحقق انهم على صلاح فألبس أحدهم آغة وشاقية ثم ألبس الآخر أيضاً باشا بالبوابية وجعل لكل واحد منهم دولة خمسين انسانا وانعم عليهم واعطاهم الخيرات وأوصاهم بالعدل والانصاف وترك الجور والاسراف وبعد ذلك انصرف الي بيت الوزير نجم الدين

البندقدارى وجلس فيه واذاقد أقبل عليه الوزير نجم الدين وكان قدعادمن الديوان فقال له لاى شيء خرجت فى هـذا النهار والبواب لم يعلمنى بخروجك فقال له خرجت وهو نائم ولم يعلم بخروجي وجلست على الدكان الذى بجانب البيت فجرى ماجرى وانا ماقتلت غير احدى عشر من هؤلاء الطاغيين فقال له الوزير ياولدى هل كان مرادك أن تقتل ناس كثير مثل مائة أو ألف فقال له نعم وحيات رأسك لولا هروبهم لقتلتهم عن آخرهم فانهؤلاء قومظالمون ولا يراقبون رب العالمين فقال له نجم الدين يا ولدى ارجع عن القتـل من الآن فان قتـل النفس لم يرضى به مولانا السلطان وأيضاً ان الله غيور على خلقه فلا أحد يعارضه فى حكمه بما أنه عالم بكل ما كان ياولدى فاعقل وتب عن القتل من هـذه الساعة فقال له بيبرس سمعاً وطاعة ثم ان الوزير تركه وسار الى مكانه واستقام بيبرس من بعد ذلك فى أهنأ عيش الى أن كان يوم الجمعة والناس مجتمعة والنبى يتبسم فى وجه من يصلىعليه(ياساده) يا كرام فبينما بيبرس جالساً على دكان الشيخ يحيى الشماع واذا قد أقبـل على الدكان جماعة من الرجال وهمحاملون بيارق فعند اقبالهم على الدكان تقدم واحدمنهم ووقف قدام الدكان وقرأ الفاتحة فاعطاهم الشيخ يحيىعشرة فضة فقال بيبرس للشيخ يحيى ما هؤلاء ياوالدى فقال له هؤلاء فقراء قاصـدين زيارة الامام الشافعي فقال بيبرس والله انى أنا أريد زيارة الامام الشافعي لاجل عسى الله ان يقبـل مني الزيارة ثم نهض منعلى الدكان وتبع الاشارة فتبعه الشيخ يحيي الشماع وولده كريم الدين والبعض من أولاد الحسنيه ولميزالواسائرين الىأن أقبلوا الى الرميله فرأوا الطوابق منصوبه فتأمل بيبرس فرأىمصارعي يلعب ويقول انا أثمت فى مصر والشام ولا احد يغلبني ولايلعب معى واستاهل القيامة أنا فقال الحاضرون تستاهل فعند ذلك ترك بيبرس الاشارة واخرج

من جيبه منديل وربط على طرف المنديل محبوب ذهب وربط جديد على الثانى وربط على الطرف الثالث شوية تراب وربط على الطرف الرابع فارغ ثم حدف المنديل في وجه الباشوش فاخذ المنديل ثم صاح الحمد لله رب العالمين ظهر لك خصم يلعب معك ياقيم فقال مرحبا انده عليه ففك الطرف الاول واذا فيه محبوب فوضعه فى فمه وقال هذا حق العيش ورزق العيال وفك الطرف الثاني فرأى جديد والثالث تراب والرابع فارغ فصاح وقال هذا خصم كريم صاحب عطا جسيم لكن صاحب حمية وبأس صعب المراس فقال يحضر الي عندى فتقدم الامير بيبرس فتأمل ذلك القيم واذا به محمود المصارع الذى كان لاعبه فى الشام

(قال الراوى) وكان السبب فى مجيء محمود المصارع الى مصر وهو انه لما كان لاعبه فى الشام وهرب من بين يديه بعد ان غلبه فى الشام كما قدمنا فى الكلام فقال أنا مابقت لى اقامة فى الشام مادام فيها هذا الغلام وترك بلاد الشام وتوجه الى مصر لاجل أن يكون له الفخر والذكر الى القيامة مادام أن لا أحد قدر ان يقوم مقامه ولم يعلم ان الايام تدور ويحضر بيبرس ثانياً ويجرى ماهو على الجبين مقدور فلما تداولت الايام وجرى ماجرى وحضر الامير بيبرس وهو قاصد زيارة الامام الشافعي و نظر الى الملاعب و نزل اليه هذا كان السبب

(قال الراوى) فلما رآه محمود قال له انا ماتركت لك الشام وجيت الى مصر فاتبعني ولكن فى هذا النهار يكون الانفصال فقال له بيبرس هو كما ذكرت ولكن كيف يكون الملعوب بيني وبينك فقال محمود بالرهان فقال بيبرس وأين الرهان حتي أراه فاخرج محمود العجمى دملج ذهب مفضض وفيه سبعة جواهر فقال الرهان بيننا فان أنت غلبتنى فهو لك وان أنا غلبتك آخذ متاعى وأنت تشهد لى قدام الحاضرين انك عاجز حتي يبقى الفخر لى انا فقال له بيبرس رضيت بذلك لكن ياقيم اعلم ان باب الصراع من أبواب الحرب والقراع فربما

ان أحدنا يكون أحمق على الآخروان الحماقة لادواء لها كما قيل عنها

لـكل داء دواء يستـطب به الا الحماقة أعيت من يداويها

وأخاف اذا أحدنا أخذه الحمق على الآخر فيغتاظ عليه خصمه هل ترى القتل يـكون بيننا ولم يحمل أحدنا سلاح فقال محمود اعـلم ياغـلام ان قتيل اللاعيب لايطالب به خصمه وبهذا تجري على كل قيم هـذه الشروط فان هذا الحـكم من قديم الزمان مشروط ومربوط فقال بيبرس تريد قبل ذلك نكتب على بعضنا حجج لاجل عدم المشاحة والهرج فارسل محمود الباشوش وأحضر له قاضي محـكمة طيلون فلما حضر أعادوا علـيه ماجرى وأمروه الاثنين ان يكتب لهم حجه على هذه الشروط كما ذكرنا بشهادة الحاضرين وكانو ناس كثيرة وقد سلموا الحجة الى الباشوش وكذلك جميع ملابسهم وما معهم وقالوا له كل من قتل الآخر يأخذ منك جميع المتاع الذي للاثنين ولمـا خلع بيبرس لباسه لبس الجلد والخلق ينظرونه ويدعونله بالنصر على خصمه هذا وقدلعب معه سبعة ملاعب تمـام وبيبرس يقاومه بعزم واهتمام

(قال الراوي) فلما رأي محمود فعال بيبرس اغتاظ عليه وقال مابعد هذه الانقال وهذه الدوخة الا تلاعيب باب الخوخة فقال له بيبرس افعل كلما تريد وأنا عنك لاأحيد فعند ذلك فتح محمود العجمي رجليه قدر شبر بشبره وقال لبيبرس توكلت على من نجى يونس من بطن الحوت وهو الحي الذي لايموت وتأخر الى ورائه ثم انه انحـدف كما تنحدف النبلة من القوس ففات من بـين أفخاذ خصمه كالماء اذا اندفق أو الطيراذا انطلق فعند ذلك تعجبت الحاضرون وبعده وقف بيبرس وفتح باب الخوخه حتى يفعل محمود كما فعل بيبرس فتأخر محمود الى ورائه كما فعل بيبرس والحال ان بيبرس كان رشيق البدن وأما محمود فانه كان غليظاً وقصده أن يرفع بيبرس على أكتافه ويرميه على رقبته يقتله وكان بيبرس حاسب هـذا الحساب فلما ان دخل رأس محمود المسارعى أطبق

بيبرس رجليه وجعل رجليه محكمين على وارد به وقرط عليه فأراد محمود المسارعي ان يرفع بيبرس فوجده هو ولارض لايتحرك هذا ولما رأى نفسه تضايق على الخروج جاهد نفسه على الخروج ثانيا فماقدر على ذلك ولما تحكمت مسامير رجلين بيبرس فى رقبته فما وجد له براح من زنقته الا تسيب له مدافع السلامة من نقبته ودانت منيته فتركه بيبرس مرمى فى مكانه وأخذ ماكان مع الباشوش وهم المتاع والمفضض واقتفل حوائجه وفرحت جميع الناس الحاضرين والمتفرجين بذلك النصر المبين ولبس المفضض في ذراعه اليمين وقال هذا يكون من نصيب المغسل الذى يغسلني وسار بعد ذلك الى الامام الشافعي وصلى الجمعة وحمد الله تعالى ورجع الى مكان الوزير نجم الدين وجلس يأتي له كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبي يكثر من الصلاة والسلام عليه

(قال الراوى) وأما الباشوش فانه احضر تابوت ووضع فيه المسارعى وحمله الى الحانوتيه وسار طالب الديوان وكان الملك الصالح أصبح يقول يا شاهين هذا نهار سعيد كل من له حق يأخذ حقه والظالم يقابل بما يستحقه فهو كذلك واذا بالتابوت فى باب الديوان فقال الملك من قتل هذا القتيل فقال الباشوش قتله آغة الوشاقية فعند ذلك تنحنح القاضي وتزحزح من مكانه ونشر طيلسانه ومد لسانه وهز دبدبانه وقعد وقام وقال القاضي تحركوا يا أجدادى يا عراقيون دستور ادام الله سعادة مولانا السلطان أتأذن لي أن أقول كلمة حسنة ليست بسيئة قط ام اصمط فقال الملك تكلم ياقاضى اعلم يا مولانا ان هذا الغلام ما أتى من بلاد الاعجام الا لفساد الاسلام ويستقل بملكك والسلام وأنا قد أعلمتك فلا تصدقنى ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبعد ذلك يا أمير المؤمنين القاتل يقتل فاقتله جزاء بما فعل وان كان يعظم على مولانا السلطان الحافظ الامام أنا أوضع من مالي وصلب حالي وزكاة قلمى محبة فى دين الاسلام خمسين كيس من الذهب كل كيس فيه ألف دينار

مسكوكا وثمن خمسين مملوك فقال لاي شيء ياقاضي تدفع ذلك على قتل بيبرس أم على أى شيء فقال القاضي هذا على ثبوت الحق وأخفاء الباطل فقال السلطان اكتبوا عليه ماذكر فكتبوه ثم قال السلطان يانجم الدين احضرلي بيبرس حتى أجازيه بما يستحقه ويأخذ كل ذي حق حقه فنزل نجم الدين وقد رأى هذه دعوة قتل فتعجب ولما وصل الى منزله فرأى بيبرس جالسا فسلم عليه فردعليه السلام فقال له انت عملت ايش فى هذا النهار قال له قتلت واحد من غير زيادة فقال له كنت اقتل خمسين والآن السلطان أرسلني بطلبك فأن قمت معي رحت انا الآخر معك وان مارضيت بالقيام عصيت أنا الآخر والسلام فقال بيبرس لاى شيء تسير معي وأناطالع الى السلطان (ياساده) ثم انهم ساروا حتى اقبلو الي الديوان فتقدم بيبرس وخدم وترجم وأفصح مابه تكلم ثم دعى للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم فقال الملك الله الله ياحاج شاهين انظرالى هذا الولد من دون الاولاد اللهم عمر به الارض والبلاد اللهم أهلك ضده اللهم أقم سعده تعالى يابيبرس انت قتلت هذا الرجل قال نعم ياأمير المؤمنين أنا قتلته فقال القاضى لاعذر لمن أقر القاتل يقتل ولا عذر له فعند ذلك اخرج بيبرس الحجة المكتوبة له واعلم السلطان بما جرى من أول الامر الى آخره فقال الملك يابيبرس هذا لاينجيك أبدا كيف تكتب عليه حجة بالقتل وهو مؤمن فقال بيبرس هذا ليس مؤمنا وما هو الا كافر وأنا اعرفه سابقا ياأمير المؤمنين قال فلما سمع الملك ذلك الكلام قال ياقاضى اكشف لنا عليه وانظر ان كان صحيح كافر أو مؤمن فقال القاضى سمعا وطاعة ثم انه تقدم اليه وجسه بيده وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم نصرانيا ياأمير المؤمنين وقيل مجوسيا والله ان بدنى تقشعر منه ياأمير المؤمنين فقال السلطان ما تقول فى ذلك الامر ياقاضى انما هى نفس حرم الله قتلها الا بالحق ولايحل قتل الكافر بغير ذنب فقال الملك انا أعرف له

ذنب غير هذافقم على حيلك وخذ الجزمة التي في رجل هذا اللعين ثم اخرج ما فيها فقام القاضى وأخرج الجزمة بعد أن قرضها بالمقراض واذا فيها ورقة مكتوبة فيها اسماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال القاضى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال السلطان مارأيت ياقاضى قال ياأمير المؤمنين أسماء أصحاب رسول الله يكتب أسماءهم فى الجزمة هذااللعين فما جزاءه الا الحرق بالنار والتذرية فى الهوى فقال له هذا جزاءه منك والذى ناله فدعنا منه وأرسل أحضر المال فقال سمعاوطاعة ياأمير المؤمنين فقال له اسرع ياقاضى فقال كذلك تمالى ياحاج منصور قال له نعم قال له امضي الى حارة الروم وائتيني بالمال قال منصور لا بد لك أن تقدم المال والنوال ولا تنال نوال فقال السلطان تبع أستاذك يامنصور وامضى فما اسمر الا لمن قسم فسار منصور وأحضر ما امره به استاذه فلما حضر قال السلطان يا قاضي انت حضرت هـذا المال لاجل قتل هذا الغلام والا لاظهار الحق ومنع الاثام فقال القاضي ياامير المؤمنين هذا لاظهار الحق من الباطل فقال السلطان ان الحق قد ظهر وبان واشتهر واما الباطل قـد خفى واندثر فقال القاضى هذا مقصودنا يا أمير المؤمنين فقال السلطان بقى هذا المال حق من فقال القاضى حق بيت مال المسلمين فقال السلطان ان بيت مال المسلمين في غناء عنه وموجود من يستحقه وهو أحق منه وهو بيبرس وهو السبب في احضاره ولو ثبت عليه القتل كان قتل ومن حيث انه برىء عن الذنب ولا عليه جناية فأنا أوهبته ذلك المال يستعين به على الزمان لانه على كل حال مجتهد فى اصلاح الاحوال لعله يكون على يده اذهاب الضلال وهذا الامر لايتم الا بأخذهذه الاموال فخذه يابيبرس هبة منى اليك جعل الله الخير على يديك والنصر مقرونا بين عينيك فتسلم بيبرس المال ونزل الى حاله ورمى فى قلب القاضى حسرة من الهم الذي ناله فهذا ما كان منه (قال الراوي)وأماما كان من الملك الصالح فانه التفت الى الوزير الاعظم الاغاشاهين

الافرم وقال ياشاهين أوضع يدك على جيب اللعين المقتول تحت حزامه وهات لى الصره التى هي معه لانها حقي من مال حلال فقام الاغاشاهين ووضع يده كما أمره السلطان وأخرج الصرة وقد تأملها واذا هى الصرة التى كان أعطاها السلطان الى علي بن الوراقة

(قال الراوي) فتعجب الوزير غاية العجب فقال له الملك الصالح لا تتعجب هـذه بضاعتنا ردت الينا ثم أمر السلطان بحرق المقتول طبق كلام القاضي ففعلوا به كذلك قال وأما القاضي فانه سكت حتى مضى النهار ونزل آخر النهار الى حارة الروم وهو مغتاظ مما جري في ذلك النهار فخلع ما كان عليه من ملابس العلم وقلع الفرجيه ولبس برنيطه ومسك التاسومه بيده وضرب بها الخدين وصاح واى واى يابرتقش أروح فين من هذا مقصوف العمر فقال له البرتقش مور بنا الى بلاد الروم فانها أحسن لنا من اقامتنا هنا فنري هذا الفعل المذموم فقـال جوان وديني وما أعتقده من يقيني لا أسـافر الا ان أخـذت هـذا المقصوف وأغربه في بـلاد الـكفار ولا أخليه يعمر بـلاد المسلمين فقـال له البرتقش افعل كلما تقدر عليه من الحيل ولـكن اتقن العمل

(قال الراوي) وأما ما كان من الوزير نجم الدين لما رأى بيبرس بريا من ذلك قال له يا ولدي انت ايش كان جمعك على هـذا العجمي فعرفه انه قاصد الامام فقال له لأي شيء ماركبت فقال استكلفت أن أشد الحصان فعند ذلك احضر الوزير السياس الى بين يديه بحضرة بيبرس وهو جالس وسامع وقال لهم هذا بيبرس سيدكم فانه ولدي وأعز ماعندي واذا كان يقصد الى أي محل يريد وطلب خيل يركب فلا تمنعوه وأي جواد طلبه اعطوه وكلما أمركم بشيء فلا تخالفوه فان شورته مثل شورتي وكلمته مثل كلمتي فقالوا الخدام جميعهم سمعاً وطاعة له ولك أدام الله عدلك (يا سادة) ولـما مضى الوزير الي الديوان نزل بيبرس الي خوش المـكان وصاح على السياس وكان الـكبير عليهم اتمسه

عقـيرب فأتى اليه وقال له نعم يا أمير قل ماتريد فقال له شد لي حصان أريد أن أزور الأمام الشافعي وأصلي فيه هذا اليوم الجمعه فقال على الراس والعين ولمـا مضى من عنده تذكر ان بيبرس هذا قتل المرتد بالشام وان المرتد رأس بيت السياس فقال عقيرب في نعسه لابد في هــذا اليوم من أخذ التار لجدى العرند منه الذي قتله هذا الملق بالشام ثم ان عقيرب أحضر السياس وأعلمهم بما جرى وبما يريد وقال لهم مرادى أن آخذ بثار جدي فقالوا له افعل ماتريد قال فعـند ذلك أحضر الجواد الذى كان لسر جويل ووضعوا علـيه العـدة وسففو اللجام وتقدم عقيرب الى السراعات وقد قطمها وخلاها ماسكة على شيء واهى لاينفع ثم فتح الحلقات التى للركاب وحلق السرج ثم بعد ذلك قدم الجواد الى بيبرس هذا وبيبرس لم يكن عنده علم بشيء من هــذا قرب بعد ماذكر اسم الله تعالى وسار قاصد الامام من الخلا من برات البلد

(قال الراوى) فهذا ماكان منه وأما ماكان من عقيرب فانه أخبر مشاديده بانه قتل بيبرس ففرحوا واجتمعوا في الاسطبل وساروا يأكلون من الحشيش والافيون ويرقصون وهم فارحـين مسرورين بأخذهم تارهم من الامير بيبرس فهذا ماكان منهم

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع)

وأوله . ركوب بيبرس الجواد وقفزه به وغيوبه عن الوجود
وهو قابض على معرفة الجواد ومصادفة الوزير الاغا شاهـين له

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوي على خمسين جزء

الجزء الرابع

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)
بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر
لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

قال الراوي وأما ما كان من الامير بيبرس فانه لما ركب وخرج قاصداالامام الشافعي فاتى على الشيخ يحيى الشماع صبح عليه فرد عليه الصباح وقال له الى أين ياولدى فقال له اني اريد زيارة الامام الشافعي ولكن قصدى أروح من الخلافقال له الشيخ تروح من البلدلاجل ان أروح معك ثم نهض الاستاذ وركب معه وكل من كان جاضرا من أولاد الحسنية وساروا يتحدثون حتى وصلوا الى باب القرافة وكان ذلك الجواد له زمانا وهو واقفا ولا أحد ركبه من حيث أتى به الامير بيبرس من الشام هذا وقد هبت عليه نسمات الخلا فلعب الجواد تحت بيبرس وأرادالجريان فأراد بيبرس أن يأخذه مشوار فسه بالركاب فقفز به الجواد كأنه الريح العاصف فاراد بيبرس أن يقف في الركابات كما ان له بذلك عادات فوقعت الركابات من تحت الرجلين فتمطا فى السرج فانحط وكذلك اللجام من رأس الحصان فن مفهوميته قبض على معرفتة فمع رج الجواد في الحزام ابقطعت الشريحة وباقي القشاط وتزحلق السرج لعدم الرباط فتعلق بيبرس با كتاف الحواد ودفع العده علىظهره برجليه الى الارض بقدر السراع (ياسادة) ياكرام ولما جري الجواد ببيبرس أيس الامير من

الحيات لان الجواد بقى عريان لاسرج له ولا لجام ووقعت عمامة بيبرس فلم يلتفت اليها وكذلك الساعة والمنديل وكيس المصروف وهو لا يعقل على شيء من ذلك وقد غاب عن الوجود وماتت يده على معرفة الجواد ورجليه في باطيه وهو طابق عليه ولم يزل يجري به الجواد الى ان دخل به بين البساتين

قال الراوي ولاجل امر يريده الله من سلامة الامير بيبرس ان ذلك المكان فيه بيت الوزير الاعظم وهو الاغا شاهين الافرم بن الدرويش عثمان وبالقضاء والقدران الوزير واقف على مسطبة لبيت ينظر المماليك وهم را كبون يتعلمون ابواب الحرب والذي يعلمهم الاغا حسن بن دغان والامير أيدمر البهلوان كان في تلك الساعة قدام حسن بن دغان يتعلم الجولان فلما عاين ذلك الاغا شاهين صاح عليهم حوشوا ذلك الجواد الغائر براكبه فتجارت المماليك بالخيول وقد احتطوا به يمينا وشمالا ومانعوه من الجريان وكان الجواد من اصايل الخيل فوقف ولم يجفل فمسكوه باليد وقدموه الى بين ايادي الوزير فتأمله وقال هذا أغا الوشاقية الامير بيبرس فتقدموا الخدام وخلصوه من على الجواد فعند ذلك امر الوزير بدخوله الحمام وهو غائب عن الوجود كما ذكرنا فرشوا على وجهه الماء البارد فافاق على نفسه وكان الذي حمله وادخله الحمام ايدمر البهلوان وكان الحمام فى بيت الوزير فلما افاق قال أشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اين انا فقال له ايدمر انت هنا يا أخي فلما علم ان أخوه ايدمر أخذه بالحضن وسلم عليه سلام الاحباب فقال له يا أخي طب نفساً وقر عيناً أنت من داخل حمام الوزير الاعظم الاغا شاهين فافرح والحمد لله على السلامة ثم انهم اخذوا حظهم في الحمام فارسل الوزير الى بيبرس بدلة من أفخر الملابس فلبس ذلك البدلة وخرج هو وايدمر الى بين ايادي الوزير فلما وصل الى عنده قام الوزير اليه وتلقاه واجلسه الى جانبه بعد ان سلم عليه فقبل الامير بيبرس يده ووقف وأطرق برأسه الى الارض يمدح الوزير بهذه القصيدة

صلوا على ساكن طيبة صلى الله عليه وسلم

جزاك الله عني كل خير كما انقذتني من سوء حال
وصرت علي انعاما وفضلا ومعروف واحسان ومال
لان المهر غار ولست ادري مكايدة العدا أهل الضلال
سكرت من الهوي سكر صحيح وانا طابق اليمنى والشمال
وعنف المهر في صدر حقيقا ولم اعلم بما هو قد جرال
ولولا انت كان المهر ساري وأرمانى على بعض الجبال
ادام الله عزك ومن وزير رفيع المجد محمود الفعال
فعش في رفعة وعلو مجد وتؤمن من تعاريف الليال

قال الراوى فتبسم الوزير من الفاظ بيبرس وفصاحته وأمره بالجلوس فامتنع وقال العفو يا دولتلي وزير فقال له اجلس باطول ما قبل اتكك على طول الزمان وهذا شيء بحكمة العزيز العلام فقال العفو يا وزير الزمان من أين كنا حتى اتصلنا فقال له الوزير اجلس يا ولدى فانت صاحب المقال والله تعالى قد سبب الاسباب وجمعنا ربنا من غير سبب ولا ميعاد ولكن اخبرني أنت كنت قاصد الى أى مكان حتى جرا لك من هذا الحصان ما جرى فقال له كنت قاصد زيارة الامام الشافعي رضى الله عنه فقال له الوزير ان هذه الالطاف التى حصلت لك من بركة الامام وقد نجيت من كيد اللئام ولكن يا ولدى لك عندى بشارة قم معى حتى افرجك على ما يسر خاطرك

قال الراوي ثم ان الوزير أخذ الامير بيبرس وساروا بين ايديهم المماليك والاغاوات حتى أقبلوا الى قاعة فدخل الوزير وبيبرس وطرد المماليك والاغاوات وأغلق الباب ولم يعلم بيبرس بهذه الاسباب ولم يزل به حتى أقبل الى حائط في صدر تلك القاعة فتأمل بيبرس فى القاعة والحائط فرأى لوحا من الرخام طوله أربعة أذرع وعرضه ثلاثة أشبار والى جانب هذا اللوح لولب

من النحاس الاصفر فسك الوزير اللولب وفركه فزهق اللوح الى الجهة الاخرى وبان من داخله باب ثانى من خشب الساج المندي وأقفاله من الذهب البندقى ومفاتحه معلقة بجانبه فتقدم الوزير وفتح الاقفال ودخل فانفتح واذا فيه قاعة لماعة باربعة لواوين واذا بها قاعة مشيدة الاركان مليحة البنيان وفى نظمها ونقشها تحير الاذهان وفى تلك القاعة فراشات مختلفة الالوان وكراسى موضوعة وصف ديوان وعلى تلك الكراسي رجال ودول وأبطال وهم خمسة وسبعون وهم جالسون وبالسلاح متقلدون ومنهم الخمسة والسبعون الاول أمره ما بين منا حق وديلم وقفجق والخمسة والسبعون والثانية فهم فداوية عراض الابدان طوال الاجسام ولكن لم هم متفرقون عن بعضهم بل تصفيف كل اثنين أمير بينهم وأيضا الاثنين الفداوية بينهم أمير خلاف صناجق وامراء كبارهم اكراد أيوبية وموصليه وقفجق وفي صدر ذلك المكان كرسي عالى عن الجميع وعليه صورة الامير بيبرس بعينه وذلك الوزير يعنى الاغا شاهين لى جانبه على كرسى من ذات اليمين وزير ووزير آخر عجمى ذات الشمال ورأي ين وزير الميسرة وبينه رجل قصير القامة أسمر اللون محدق العينان افلج الاسنان وهو يتحرك كأنه القدر على جمر النار كما قال فيه الشاعر فصيح اللسان صلوا على ولد عدنان

أسمر اللون وقد حاز كل المعالى ووجهه كالبدر عند الكمال
قد خصه الله بالعناية والفضل وعلمه الله خير الفعالى
حاز عقلا زانه الله بفهم وعلوا على جميع الرجال
ذو هيبة وسكينة ووقار واقتدار ورتبة وجمال
جل من خصه بذاك المعاني هو المهيمن ربنا ذو الجلال

قال الراوي فلما رأى الامير بيبرس ذلك تعجب وقال يا دولتلى وزير اعلمني ايش يكون هذا الديوان وما يكون هذه الصور على صفة الرجال وما

هـذا الرجل الجالس بيني وبينك فقال له الوزير اعلم يا ولدي انك على طول الدوام يصير لك العز والاحكام وتتولى مملكة بلاد الاسلام وتجاهد في الاعداء الكفرة اللئام وأنت تحرس قبر النبي المظلل بالغمام وتذب بالسيف عن دين الاسلام ويخدموك خلق كثير لا يحصي عددهم الا الله العليم من مصر ومن الشام ومن جميع بلاد الاسلام ويكون لك ديوان مثل هذا الديوان ولا بد لك أن تجلس على كرسي مصر ويكون لك العز والنصر ويكون هذه صفة ديوانك وأما هذا الرجل فانه يكون سلطان على الفداوية ويكون حكمه على أيامك ويكون شريكك في الجهاد في طاعة رب العباد ويسمى أبو الفتوحات والنصر فقال له بيبرس يا أبي ولاي شي هذه العساكر لا يتكلموا فقال له الوزير اعلم ياولدي انهم أشباح بلا أرواح فقال له اخبرني وما السبب الذي اوجب صناعة هذه الصور ووضعهم في هـذا المكان فقال له ان هؤلاء لهم حكاية إحكى لك عنها ولكن بعد أن تكثر من الصلاة علي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(قال الراوي) وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وأمر مطرب غريب نريد ان نذكره على الترتيب حتى ان المستمع يلذ ويطيب بعد الف صلاة والف سلام على النبي الحبيب قال الوزر اعلم انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان بهذه المدينة رجل يقال له أحمد بن باديس السبكي وكان رجل حازقا لبيباً فطينا وأديبا وكان يعرف أشكال الرمل ويصرف الامور بالليل والنهار وكان يعرف مايأتي فى كل ليل ونهار من الامور والاحكام الى يوم من الايام ضرب الرمل ودققة واستخرج أشكاله وتبينه فتبين له انه يظهر فى آخر الزمان ملك وسلطان ويكون أصله من خوارزم العجم ويكون اسمه محمود بيبرس الدمشقي وينصر الاسلام فى مدتة ويهلك جيوش الكفرة اللئام ويكون مجاهداً فى سبيل الملك العلام فلما عرف ذلك نظم هذا الديوان وقد

اصطنع هذا الرجل على هيئة الديوان وكتب على صورة كل شخص من هؤلاء الصور اسمه وقد عرفت ذلك بالكتابة وعرفت انك أنت صاحب العلامة فاقرأ ياولدى حسبك ونسبك قال فقرأ الامير بيبرس حسبه ونسبه واذا فيه مكتوب يامتصل الى هذا المكان ومطلع على ما فيه من الاتقان ان كنت انت محمود بيبرس الدمشقي العجمي الخوارزمى بن القان شاه جمك أحمد بن محمد بن مصطفى بن مرتضى بن سعيد بن رشيد بن اسماعيل ابن ابراهيم بن ادهم فانت صاحب الامارة والاشارة واعلم انى بشرتك بهذه البشارة ولكن عندى غيرها اذا حضر أوانها فلا تنسانى من الرحمة والفواتح والقرآن والسلام على نبي ظللته الغمام (قال الراوي) فلما عرف الامير بيبرس ذلك الامر على انه صاحب الاماره قرى الفاتحه واهدي ثوابها الي النبي صلى الله عليه وسلم والى روح من صنع هذه الحروف وهو المرحوم احمد بن باديس السبكى واموات المسلمين ثم ان الوزير عاد بالامير بيبرس واعاد الابواب على ما كانت عليه واخذه وقال له ياولدي اصحى أن تتحدث بهذا الكلام ودعه سراً بيني وبينك حتى ان الله تعالى يقضي ما هو قاض فان كل شيء له وقت وأوان واذا أراد الله بامر فلا مرد له وهو الحنان المنان فقال له بيبرس يا ذولتلى وزير الامر لله اللطيف الخبير (يا سادة يا كرام) وبعد ذلك صعدوا الي المقعد وحضر الطعام واكلوا حتي اكتفوا وارتفعت الزبادي وغسلت الايادي وذكرت قامة النبي الهادى هذا وقد تكلمت المماليك فى حق الوزير وقالوا انه اختلى بهذا العلق وأغلق عليه الابواب وآخر يقول شيبة ضاله فقال الآخر اننا ماوجدناه أخذ أحد منا أبدا فلاى شيء أعجبه هذا الولد الضعيف الذى كانت رائحته منتنة في الحمام فكيف أنه يطردنا ويغلق الابواب ويستخفى به فقال واحد منهم هذا كله من رجل مقري بجامع طيلون كتب الى بيبرس على بيضة رخمة ورصدها له على النجوم بالمحبة والقبول هذا ماكان من أمر هؤلاء المماليك

قال الراوي وأما ماكان من الامير بيبرس فانه جلس مع الوزير يتحدثون فقال له الوزير يا أمير بيبرس انا قصدى أن أتخذك ولدى بمقام عهدالله تعالى واوثق بيى وبينك مقام المهود لعل بذلك أبلغ المقصود وان هذه بغيتى منك يا ولدى على تمنى وأشتهي منك لا ترد كلمتى فقال له الامير بيبرس يا دولتلى وزير أنا عبدك وخادمك فقال الوزير يا ولدي وأنا أعلم يا ولدي أنك لا بد لك على طول الايام من جلوسك على مصر وأناأ كون وزيرك كما اناعند الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب فاذا كان بينى وبينك هذاالعهد تبقى يا ولدي تنظر لى بما يرضى الله تعالى كما قال الشاعر في هذاالمعنى حيث يقول صلوا على طه الرسول

العهد لا ينقض أبداً ولا ينفك ولا ينداس

ومن يخونه في الدنيا يوم القيامة ينفضح بين الناس

قال الراوي فعند ذلك قاموا الاثنين أسبغوا الوضوء وصلى كل واحد منهم ركعتين وبعد ذلك وضع الوزير يده علي يد بيبرس وقال له اتخذتك ولدي بمقام عهد الله ورسوله فهل لك أن تقبلني أبوك على ذلك العهد والميثاق فقال له الامير بيبرس وأنا استخرت الله العظيم وجعلتك أبي على هذا العهد والميثاق والشاهد بذلك ربنا الملك الخلاق وبعد ذلك قرأ الفاتحة بعد قراءة قول الله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون وقال له الوزير اعلم يا ولدي ان كل من خان هذا العهد كان خصمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة فقال له الامير بيبرس رضيت بذلك ثم قال الوزير يا امير بيبرس أنا مرادي أن لا تقطع زيارتك وحضورك يومياً الي عندي حتى انى أعلمك أبواب الحرب ومقام الطعن والضرب والجولان والنزال وممارسة الابطال فانك الى ذلك محتاج حتى تصير فارس هذا الزمان وليث الحرب والطعان فقال له بيبرس افعل يا أبي ما تريد فانى لا أخالف افعالك في كل ما تريد

قال الراوي ثم ان الوزير قال له اعلمني يا بيبرس أنت لما أتيت الى هذا المكان كنت مثل السكران والحصان الذي أنت راكبه كان عريان من غير سرج ولا لجام فما سبب ذلك فحكى له الامير بيبرس علي ما وقع له لما تقطع السريع والشرايح والركاب واللجام وبعده قبضت على صدره برجلى وقبضت على مفرقته بيدي وماتت اعضائى كذلك وقد لعب الهوي فى آذانى ولا فقت الا وأنا في الحمام ولولا حضرتك كنت شربت كأس الحمام فقال له الوزير ولولا ذلك لكان من الذي شد لك على هذا الحصان فقال له ما شد لى على هذا الحصان الا باش سايس متاع الوزير نجم الدين وهو يقال له عقيرب فقال له الوزير هل بينك وبينه ثار قال لا بل احسن اليهم وأعطيهم وأكرمهم فقال له الوزير لا بد لهم عليك ثار فقال له نعم يا وزير الزمان انى قتلت منهم سايس وهو رجل أكبرهم وأنا بأرض الشام وهو يقال له المرند فقال له الوزير ان هذا المرند كبيرهم وكلهم أولاده وأتباعه وما منهم الا من يقبل يده واعلم أن الجميع يطلبون ثاره منك ولو على طول الزمان ولكن الله يسلمك من مكرهم وانما يا ولدي اقبل نصيحتي وخذ لك رجلا سايس يكون مخصوصا بك فكل ما تطلب ركوب حصان يكون هو الملزوم بركوبك فقط دون غيره ولا تعتمد علي سايس زوج خالتك فانهم ما هم مخصوصين الا بسيدهم واذا خدموك أنت تبقى مثل زيادة عليهم ولا ينفعك الا كما قلت لك خدم لك سايس لنفسك مخصوص بجامكية وجراية وعلوفة لانك لا تستغني عن الركوب وأنت صاحب رتبة عظيمة فى الديوان فقال له الامير بيبرس صدقت يا وزير سمعا وطاعة فقال الوزير اياك ثم اياك أوصيك كل الوصية فاحفظ وصيتي ولا تنساها واعمل بها ولا تأباها اصحى تخدم رجلا يقال له عثمان بن الحبلة لانه رجل جبار لا يصطلى له بنار فى أرض مصر وقد اذل اهلها وقد بلاهم بالقهر ومادأ به الا خطف العمايم ولا يبالى من الاكابر ولا من الاصاغر وقد جاءتني فيه شكايات

وعيب مرار عديدة وأنا أعين له الامراء والخدام وأطلب منهم أنهم يقبضو عليه ويحضروه الى فما أحد قدر على ذلك وقتل من الامراء سبع ولات وكلما لبس والى يقتله ولا يبالى وقد قطعت عليه سبعة فرمانات بختم السلطان محل ما يمسك يقتل فلم يتمكن من ذلك وبعدها ركبت أنا برجالى اليه فطردنى الى الديوان وهو كأنه عفريت من عفاريت السيد سليمان من عند البساتين ومن البساتين الى الديوان سبعة مرات والصواب يا ولدى أنك تجتنب خدمة هذا الرجل فانه من جبابرة هذا الزمان واحذره ولا تأخذ منه أمان فان الذى مثل هذا الرجل لا يؤمن بل يكون خوان وسيدنا على بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال شعر حيث قال صلوا على باهى الجمال صلى الله عليه وآله وسلم

بنوا الفلاحة لا تصفوا لهم أبداً   فانهم بقر ان أكرموا بطروا
اذا تقاضوا فكان الظلم شيمهم   وان تولوا على حكم القري كفروا

قال الراوى ثم ان الوزير قال لبيبرس يا ولدي ها أنا أعلمتك والنصيحة يقبلها المؤمن السليم القلب وهذا ما عندى والسلام قال فلماسمع الامير بيبرس منه ذلك الكلام قبل يديه وقال له سمعا وطاعة والله يا وزير الزمان لاأخدم أحدا الا باذنك والذي يريده الله لى هو الذي يكون

قال الراوي ثم ان الامير بيبرس تودع من الوزير ونزل الى سلم الركوبا فقدموا له السياس الحصان فانعم عليهم بمائة دينار وركب وأراد المسير واذا بالشيخ محمد طقيطق والرجال واقفون ينتظرون عودة الامير بيبرس فنزل الامير بيبرس لما رأي الشيخ يحيي الشماع فسلم عليه وهناه بالسلامة وكذلك أولاد الحسينية وحدثوه بجميع ما وقع منه والسبب فى ذلك أنه لما خرج من باب القرافة وأراد أن يأخذ الحصان شوط رماحة كما ذكرنا فكانوا اولاد الحسينية معه وكذلك الشيخ يحيى الشماع ولما جري له ما جري تبعوا أثره وكلما وقع منه شيء صاروا يأخذونه راؤا ولما ان مماليك

الوزير حلقوا على الجواد وأخذوه وأوقفوه خدام الوزير و بيبرس على ظهره فوقفوا ينتظرون خروجه وقال الشيخ يحيى لا يمكن لنا المسير الا اذا طلع من هذا المكان لعل الله ينجيه ببركة الامام الشافعى الذى هو قاصد اليه وما داموا وهم واقفين حتى خرج الامير بيبرس هذا كان الاصل والسبب وقد أعطوه جميع ما كان وقع منه وكذلك عدة الحصان وهو السرج واللجام وساروا معه على مهل الى أن وصلوا الى حضرة الامام الشافعي بن ادريس فصلوا فيه الجمعة وزاروا وعادوا الى أماكنهم (قال الراوى) وأما الامير بيبرس فانه دخل الى بيت الوزير نجم الدين فلما دخل وجد السياس وهم يصفقون ويغنون وقد رأى عقيرب وهو فرحان بما فعل بالامير بيبرس وهم يشربون الخمور ويفعلون فعال الفجور قال فلما دخل الامير بيبرس صاح عليهم وقال ياعقيرب وكان عقيرب يعرف صوته فلما سمع ذلك الندا سكت مما كان فيه وسكت كل من كان معه من السياس الذين معه وكفوا عن شرب الخمور على مزبلة الخيل وخرج ينظر ما الخبر واذا هو الامير بيبرس فلما رآه قد أقبل ارتعب عقيرب وخاف وتخبل ولكنه أظهر الجلد وأخفى ما عنده من الكمد وتقدم الى ما بين يديه وقال له زيارة مقبولة يا أمير فقال له الامير اللهم تقبل ولكن ما علمت أنت بما جري فقال عقيرب جرى ايه فقال له الامير انقطعت الشريحة والحلق تفتحت كلها وانا كنت رايح أموت لولا ان الله نجانى لكان الحصان رمانى فقال له عقيرب يا دولاتلى يبقى الحلق قديمة والشريحة دايبة فقال له الامير بيبرس صدقت يا عقيرب ثم نزل بيبرس على السلم ورمي كيس من الدنانير الى الارض وقال ناولنى الكيس يا عقيرب وكان ذلك من بيبرس مقصودة حتى يتمكن عليه فتقدم عقيرب يناوله الكيس فصبر عليه حتى انحنى وكانت يد الامير على اللت فضرب عقيرب على ظهره رماه الى الارض وداس على رقبته وصار يضربه ويشتمه ويسبه ويقول له ياخائن هذه

الفعال الذي أنت تفعلها قصدك بها هلا كي هل ترى من الذى يخلصك من يدي يمنعني من أذاك وأنا لابدلى فى هذا اليوم من تكسير عظامك وانعل أمك واباك (ياساده ياكرام) هذا والسياس قد هربوا واحدبعد واحد ولا واحد منهم قدر أن يتقدم اليه وأنزل الله الرعب فى قلوبهم ولم يزل عليه بالضرب حتى عبر الامير نجم الدين الى بيته فلمارأى ذلك الحال وماجري لعقيرب سائسه تقدم الى الامير وقال له ياولدي ما الخبر وماهذا الامر المنكر فاخبره الامير بما جرى وتدبر من أول القصة الى آخرها وكيف طلب الحصان وكيف شده له وكيف تقطع الركاب والشرايح ولولا ماكانت مماليك الوزير الاعظم والاكان الحصان هج بي في الجبال فلما سمع الوزير نجم الدين ذلك صعب عليه وكبر لديه وتأسف على تلك الفعال وبعدها قال له ياولدى ربما يكون بذلك معذور فان كان هذا تعمدا منه فهاهو قدلقاه الله ببغيه وعاقبة تعمده وان كان له عذر فلا يخفى على الله خافى فان العفو أليق فى حقك جزاك الله خيرا وأنا ياولدي أنظر لك سائس لنفسك ويكون من غير هؤلاء السياس يكون برانى فان هؤلاءكلهم بنوأقارب ولا لهم أمان فقال له على الراس والعين يا سيدي ثم ان نجم الدين صعد الى السراية عند زوجته وترك الامير بيبرس على عقله وارادته فلما أفاق الامير بيبرس من غيظه احضر عقيرب وقال له خذ أجرة ضربك فمد يده وأعطاه خمسين ديناراً وقال له سامحنى ياعقيرب فسامحه وقال له الله يبرى ذمتك يا أمير (قال الراوى) ثم أن الامير بيبرس قال يا عقيرب أريد ان اسألك عن شيء فقال له عقيرب ايش هو يا سيدي اسأل كلما سألت فقال له انا مرادي واحد سايس يكون يخدمنى مخصوص حتى اذا ركبت يكون دائماً معى وها أنا مرادي منك تعلمنى اين تباع السياس فقال له تحب سائس خشب والا سمك والا قزاز والا طين فقال له يا راجل أحب سايس مثلك يتكلم ويمشى فقال له عقيرب أنا من بنى آدم فقال له بيبرس انه

من بنى آدم فقال له عقيرب بنوا آدم يباعوا ياشلبي فتبسم بيبرس من كلامه
وقال عقيرب ان بنو آدم خلقهم الله تعالى لا يباع منهم الا العبيد والمماليك
وأما السياس احرار ياشلبي فضحك من كلامه ثم قال ياعقيرب أنا لما حضرت
من بلادالشام الى مصر لم أعرف مصر ولا حالها فقال له عقيرب الدنيا كلها عليه
مغطية وأمامصر فانها ظاهرة ليس مخفية وأما المثل السائر يقال طريق أبوزيد
كلها مسالك ولكن انا اقول لك اعلم ان السياس خمسة بيوت أولهم بيت أولاد
ريحان وبيت خنفس وبيت هيضم وبيت وكال دفنة وبيت أولاد الشيخ فقال له
بيبرس ياعقيرب واين محلاتهم فقال فى باب النصر بيت أولاد هيضم
والازبكية فيها بيت اولاد وكال دقنه والرفعة فيها بيت أولاد ريحان وباب اللوق
فيها بيت أولاد خنفس والرميلة فيها بيت أولاد الشيخ فاذا كان مرادك فى
خدمة سايس فانا أدلك على ذلك فاذا توجهت الى جهة من الجهات الخمسة
فقل لهم انا طالب سايس يكون كاهن جوايكي حازم جداوي معدول القامة كامل
الهامة جميل الصورة أبيض اللون قاعد ورا وقدام رشيق الشفة مكحل العينان
فاذا اتيت بهذه الصفة انتظمت خيلك وصاروا أعظم من خيول الوزير فقال له
بيبرس لا بد ما أجيب سايس على هذه الصفة وقد ظن ان كلامه له حق فعند
ذلك نزل بيبرس وشد جواده خوفاً من النوبة التى جرت وركب وسار وهو
لا يعرف أسماء الحارات التي كان ذكرها له عقيرب ولا يعرف الأخطاط
فسأل رجلا من الطريق وقال له ياأبى باب اللوق فين فبهت الرجل من كلامه
ولم يعلم ما معناه غير انه قال له أيها الأمير أنا مالى باب علوق فقال له بيبرس
يا ابى المحل الذي يباع فيه السياس فقال له ياسيدي انا حر وما اعرف ذلك
السؤال ثم ان الرجل صاح على رجل آخر معرفته يقال له الشيخ حسن وقال له
ياشيخ حسن انظر ما الخبر فقال له سر معي وانا اريك مطلوبك فسار معه الى باب اللوق
وقال له آدي مطلوبك وهذا مكان السياس فقال له يا ابى جزاك الله كل الخير ثم

أعطاه عشرة دنانير فأخذهم وانصرف الى حال سبيله وهو يدعو الى الامير بيبرس

قال الراوى وأما بيبرس فانه تقدم الى محل السياس وسأل عن كبيرهم فأرشدوه اليه فتقدم الى كبير السياس وسلم عليه فرد عليه السلام فأخبره بما قال عقيرب فلما سمعت السياس ذلك تصايحت عليه وأرادوا ان يضربوه فمنعهم كبيرهم وعلم ان هذا تسليط عدو من السياس فقال له أخبرني من أين انت فقال له أنا من بيت الوزير نجم الدين البندقدارى جيت واياه من الشام فقال له لعلك أنت الذى قتلت العرند بأرض الشام قال له نعم فقال له يا ولدي ان الذى أغراك على هذا الكلام ماكان يريد به الا قتلك لانه يريد ان يأخذ بثار العرند منك فسر الى الرميله فأت هناك على انى أقول لك ان هناك بيت أخى فاسأل عن أولاد الشيخ فانه لا يخدم بالجهة التى أنتم بها الا هم لانه ياولدى كل محل له قانون فسار بيبرس الى الرميلة لكن بعد مالف جميع الاماكن التى ذكرناها وكلما عبر على بيت بهذه الكيفية يقولون له لا يخدم في بيت الوزير نجم الدين الا أولاد الشيخ فلما عبر الى الرميله رأى أربعة صواوين مضروبة وكل صيوان له جيش والسياس الذي دقنه سودا على جهة والامرد على جهة والاشياخ على جهة والحليق كذلك والكبير عليهم جالس على مصطبة بين الاربعه صواوين بحيث انه يناظرهم جميعاً فلما رأى ذلك الامير بيبرس أعجبه البيت وقال هذا أفخر البيوت ورأى على كل صيوان رجل نقيب هذا وبيبرس سار الى الرميله وتفرج على اولاد الفنون والملاعيب وهم يعرفوه ويمدحوه ويستقبلوه وهو يعطيهم من الاحسان ثم بعد ذلك عاد الى محل السياس ودخل على الشيخ الكبير فرآه رجل اختيار له شيبة ووقار وجميع السياس الذين تحت يده فى أدب ففرح بذلك واستبشر ثم تقدم وقرأ الفاتحة الى الشيخ وسلم على النقباء فقالوا له ما تريد فقال أريد سائساً يكون شاطراً قوياً قالوا له سمعاً وطاعة ولكن أنت من اي بيت قال من بيت الوزير نجم الدين

البندقدارى فقال له الشيخ اعلم ان كل سائس له طلب وكل مخدوم له طلب وأنت ايش طلبك فوصف الصفة التى علمها له عقيرب فلما سمع الشيخ كلامه قال لهم هاتوا سيدى أحمد مناع كفر الشرفه فلما حضر قال له هذا الذى أنت طالبه فتأمله واذا به غلام جميل الصورة أبيض اللون يمدغ اللوبان وعليه من الملابس ألوان باللباس الدندكي والدكة المزركشة السائلة الى الارض وعلى رأسه شال أحمر وهو كأنه البدر ليلة كماله فلما رآه بيبرس تغيرت أحواله وقال له هذا ايش يا أبي فقال له بيبرس هذا مطلوبك الذي طلبته فقال له بيبرس هذا ماهو الذى أنا طالبه ولا أعرف ذلك وهذا كله من سيئات عقيرب ولكن أنا طالب سائس شديد يكون يضرب الرجال وأما هذا ماهو طلبى فقدم له غيره وكان اسمه شعلان فلم يعجبه فقدم له نصار من كفر المجين فلم يعجبه كذلك جعفر بن شنته وأم صالح فلم يعجبه فقدم له خامس يقال له منصور من سرس القته وكفر المشته فلم يعجبه ومازال الشيخ يعرض عليه سائس بعد سائس حتى عرض عليه الجدعان الذي في الصواوين الاربعة فلم يعجبه منهم ولا واحد لا صغير ولا كبير فتعجب الشيخ وقال عجباً ثم التفت الى بيبرس وقال له روح الى بيتك وأنا أجيب لك سائس يريحك حكم مطلوبك يكون شاطراً في خدمتك لاني عرفت مطلوبك فبينما الشيخ مع بيبرس فى الكلام واذا بضجة وقعت والناس تجارت ذات اليمين وذات الشمال وهربت جميع السياس من الصيوان وكذلك النقباء ولم يبقى الا الشيخ بمفرده وبيبرس معه (يا ساده يا كرام) ولما عاين الشيخ ذلك قال له يا شلبي فوز بعمرك في هذه الساعة لان هذا الولد جبار عنيد وشيطان مريد فتأخر بيبرس وتأمل واذا به شاب أحمر حلو المنظر قالب سكر جل سبحان من خلق وصور طويل فى القامة غليظ الهامة عليه ملابس فاخرة وبيده رزه مكتوب عليها الاجر على الله وهو مقبل من بعيد ويغنى ويقول هذا الموال

صلوا على ضمين الغزال

يامنية القلب يا اللى صرت ماتحتجش فادعوا علي والا قلت ما يحتجش
خايف أقول لك عليه لكن مايحتجش أحبه حباً شديداً وهو فى القلب متفرش

(قال الراوي) وكان هـذا السائس يقال له عثمان بن الحبلة الذى وصاه الوزير عليه بأنه لا يخدمه ولم يزل عثمان سائر حتى أقبل الى الصيوان فلما رآه الشيخ أقبل نهض له على الاقدام وباس يده وقال له مرحبا بجدي فزاد بيبرس العجب كون ان هذا الاختيار يقول للولد الامرد جدى فقال عثمان ياولدى يا سليمان قال نعم يا جدي قال أين الجدعان قال له هم ينظروك ويقعدوا قال عثمان جاش لك اليوم حاجة من الدراهم قال له لا والله يا جدي وها هو الكوز وفرغ الكوز فلم يجد فيه شيء فالتفت الى بيبرس وقال له ياشلبي أتيت الى هنا لاي شيء قال له أريد رجلا سائساً يخدمني فقال له سليمان يا جدي هذا طالب سائس وأعرضت عليه السياس فما أعجبه ولا واحد فقال له وأنت ما أعجبك شيء ولا واحد من الجدعان كلهم فقال له بيبرس لا والله ما أعجبني ولا واحد منهم فقال له هل تري انا اعجبك يعنى اخدم يا شلبي عندك فقال له بيبرس أما انت فأعجبتني ولكن أنا أعجبك أم لا فقال نعم أعجبتني يا شلبي فقال بيبرس فى نفسه هـذا الذي وصاك عليه الوزير الاغا شاهين الافرم ان لا اخدمه فقام كبير السياس وقال ياأسطى انت تخدم هذا الشلبي فقال عثمان اخدم فقال بيبرس وانا اخدمك واتوكل على الله وقال في سره ان استطاع والا اقتله واريح الناس من شره هذا كان ضمير الامير بيبرس وأما ضمير عثمان فان مراده أن يخدم عنده ذلك اليوم ولما يدخل الليل يقتله ويأخذ ماعنده ويروح الى حال سبيله (قال الراوى) وهذا ضمير الاسطى عثمان بن الحبلة وهذا له ضمير ولله مشيئة وتدبيراته على كل شيء قدير فعند ذلك اخرج بيبرس عشرة من الدنانير الذهب واعطاهم الى كبير السياس فأخذهم وأراد ان

يضعهم في جيبه فنطر اليه عثمان فناولهم اليه من غير كلام ولا شقشقة لسان فأخذ عثمان الدنانير وقال للامير بيبرس سر ياشلبي فسار بيبرس وسار عثمان وهو مغطى رأسه وسائر مع الامير فقال بيبرس ياسايس مااسمك قال له اسمي الاسطى قزاز وأنت ياجدي اسمك ايه فقال له أنا اسمي دقاق فقال له عثمان ياجندي الدقاق يكسر القزاز وأنت مالك اسم غير هذا الاسم فقال بيبرس لا

(قال الراوي) فبينما الأمير بيبرس يمشي وعثمان وراءه واذا قد أقبل رجل سايس قبل يد عثمان وقال له ياجدي أنت خدمت عند هذا المهر الفصيص فسمع بيبرس كلامه وأخفاه وقال في نفسه هذه تنشال في القاوق فتركه السايس ومضى فأقبل عليه آخر وقبل يده وقال له أنت خدمت ياجدي قال نعم خدمت عند هذا الملق وقد قال بيبرس في نفسه والاخرى تنشال عندي هذا وهم لم يزالوا سائرين كذلك حتى وصلوا الى الحسنية فقال عثمان ياجندي أنت من بيت من فقال له الامير بيبرس يا أسطى أنا من بيت الوزير نجم الدين البندقداري فقال له عقيرب هناك قال له نعم وهو الذي علمني على وصفة السياس وقال لي هات لي سايس طاجن خوانك وأخبره بما قاله عقيرب فقال له اذاً أنت دخلت من باب البيت فقول يا عقيرب أديني جبت لك طاجن خوانك فقال له الامير بيبرس طيب يا أسطى ولما دخل الامير بيبرس الى باب البيت صاح ياعقيرب وكان هذا مشدود الاسطي عثمان وأما الامير بيبرس نزل من على الحصان وطلع الى المقعد وجعل ينظر ما يجري بين هذا الاسطى عثمان وعقيرب فبينما الامير ينظر واذا بعقيرب نادى على السياس وقال لهم يا جدعان هذه علقة جاء بها الينا بيبرس وكان عثمان لا يبان منه غير الاعيان والا السيقان لانه لافف نفسه في برنوص أبيض ودخل الى السرير الذي هو لعقيرب وجلس عليه فلما رآه عقيرب قال لمن حوله من السياس دخلوا الحصان وأنا أريكم ما يكون هذا السايس ومن أين يكون من البيوت ثم أن عقيرب دخل فوجد الاسطى عثمان جالساً وهو

مغطي راسه بالبرنوص فقال له سلامات يا ولد فقال له عثمان تسلم يا عم قال له أنت من أولاد من ومن أي بيت فقال له يا عم أنا من أولاد هيضم فقال له مرحباً ولو أنكم أعداءنا أقمديا جدع على كيفك تأكل وتشرب وتأخذ جامكية ولا تخدم ولا تهين نفسك أبداً ونحن نعمل لك كل ما كان يخصك من خدمتك حتى تكون ثيابك نظيفة ولكن يا ولدي المعرفة تدل على الصلاحية فما اسمك فقال له يا عم اسمي عثمان بن الحبلة (قال الراوي) فلما سمع عقيرب بذلك الاسم غاب عن الوجود وبقي حاضر في صفة مفقود فما كان منه الا أن قال أنا فى عرضك يا أسطى عثمان هذا وعثمان قد كشف عن وجهه وقال له أنت لك زمان في هذه الصنعة يا كلب أنا كبيرك ولكن عمري لم أستعمل الطواجين الخوانك ولا غيرهم ولا أعرف الفساد أنت يا عقيرب تقول للجندي هات لك طاجن خوانك لاجل أن أكون أنا معيرة بين الناس بك ويتكلموا في حقي بالادناس ولكن أنا أعرف يا كلب فقال له فى عرضك يا أسطى فجذبه من خناقه ورماه وضربه بالرزة ثلاثة ضربات فقال له عقيرب تبت يا كبيري فسيبه فخرج عقيرب يجري

قال صاحب الكلام صلوا على البدر التمام يا سادة يا كرام ونرجع الى ما تقدم لنا من الكلام وهو أن الاسطى عثمان بن الحبلة لما ضرب عقيرب تلك الثلاثة ضربات وهرب عقيرب وهو يصيح ويقول أنا فى عرضك يا أسطى عثمان فدارت به السياس فأعلمهم بما جرى فلما سمعت السياس ذلك الكلام نهضوا على الاقدام وأقبلوا الى عثمان وباسوا يده وما منهم الا من يقول سلامات يا جدي وجد جدي ثم وقفوا بين يديه (قال الراوي) وبعد ذلك قال عقيرب يا كبيري أنت خدمت عند الشلبي قال عثمان يا ولد أنا أضحك عليه ثم التفت عثمان فرأى العدة معلقة فقال يا ولد هذه عدة من قال عدة حصان الشلبي قال له ناولني اياها فاني أريد أخذها أجرة مشواري قال عقيرب يا جدي واذا سألنا كيف نقولوا له عليها

قال عثمان اذاً هو سألك عنها فقول له اخذها عثمان فى أجرته من الرميله الى هنا فاحمد ربنا الذي جاءت فى المدة ولا جاءت فيك لان هذا رجل قتال قتلا قال له عقيرب سمعا وطاعة ثم ناوله المدة فوضعها فى ملايته وحملها على عاتقه وخرج من الاصطبل فنظره الامير بيبرس فصاح عليه وقال له يا أسطى ماهذا الذي على كتفك قال له هذا غسيل الاسطوات لان هذا قانون في كل السياسة اذا خدم عندهم سايس جديد يغسل لهم حوايجهم فقال له يا أسطى هذا عيب كبير يكون انك تأخذ غسيل السياس وتطلع به من بيتنا وانما طلع الغسيل الى فوق عند الجوار وهم يغسلوه لان هذا لا يصح انك خديمي وتغسل غسيل الناس فقال له عثمان ماهو غسيل وانما شرايح قدم وأنا أريد بيعهم ونأخذ ثمنهم فقال له يا أسطى اذا كنت محتاج الي دنانير انا أعطيك كلما تطلب فقال له أقول لك الحق هذه عدتك وأنا أخذتها في نظير ما مشيت من الرميلة الى ذلك المكان فانى أنا لم أخدم واسأل على يقول لك عثمان بن الحبلة وانما أسكت واحمد ربك الذي طلعت انا من بيتك وأنت سالم فقال له يا أبي جزاك الله كل خير تخدنا وخذ مني كلما تريد وتمالى خذ هذه المايه دينار مني اليك فاطلع وخذهم الى حال سبيلك

(قال الراوي) فلما سمع عثمان المايه دينار غره الطمع وطلع الى المقعد وقد كان الامير وقف له خلف الباب فلما عبر عثمان ضربه باللت بين اكتافه فوقع الى الارض وأراد ان يقوم فحط الامير رجله على رقبته وفك بوشيته من على رأسه وكتفه بها كتافا شديدا وصلبه في العامود وتأمل بيبرس واذا على حزامه شرنبه فقال له هذه جاعلها لاذية خلق الله تعالى فأخذها منه الامير فقال له عثمان لاى شيء هذه الفعال فقال له بيبرس انا مرادي اني أذوقك حرارتها حتى انك تعرفها وضربه بها ولم يزل يضربه حتى كاد ان يغشو عليه وأرمى بعد ذلك الشرنبة تحت رجليه

وتركه مربوطا واخذ الملاية واخرج المدة منها وقال الى السياس وحيات رأسي كل من حله لايلوم الا نفسه ثم تركه وصعد الى النوم جل من لاينام

قال الرواي هذا وقدفاق عثمان من غشوته مربوطا ولم يزل على هذا الحال الى ان ذهب النهار بضياؤه وأقبل الليل بظلامه فلما طال الحال على عثمان صاح على عقيرب وقال ياعقيرب تعالى ياولدي فكني فسمع عقيرب نداءه ولكن لم يرد عليه فقال له عثمان وحق المبرقعة بالانوار لابد ان أخدم الجندى بقلب خالص ونية صادقة وأقتلك ياعقيرب يا ابن القحبه كيف هو يضربني وأنت واقف تنظر ولاتحوش عني ولاتقول حاش عن كبيرى فقال له عقيرب يا كبيري هذا عقر ظلمة هذا قتال قتلا هـذا الذي قتل كبيرك العرند بارض الشام

قال الراوي فلما سمع عثمان هذا الكلام قال هذا الذي قتل العرند قال عقيرب هو بذاته وصفاته فقال عثمان هـذا جندي جبار وأنا ما اقدر عليه ولكن ياعقيرب حلني حتى أقعد معك فاذا طلع النهار اربطني فى مكانى فقال له عقيرب أنت لم ترضى وربما ينزل هو يلقاك مفكوكا فيعرف انى انا الذي حليتك فيقتلني فقال له وحيات ذقنك ياعقيرب لابدما أخليك تربطني مثل ما كنت فعند ذلك تقدم عقيرب وحله وفك كتاف عثمان فلما تخلص عثمان قبض على عقيرب وربطه مكانه وضربه علقة كبيرة وتركه مربوطا وأخذ المدة وجعلها فى الملاية ونزل بها على حمايه ولما أتى الى الباب وجده مقفولا وكان البواب نائم والمفتاح تحت رأسه فسرقه وفتح الباب وخرج منه وأغلقه كما كان وترك عقيرب يصيح ويستجير فلا يرى مجير

(قال الراوي) وقـد سار عثمان الى ان أقبل الى المراغة والقبر الطويل وطرق الباب ففتحت له أمه الباب فدخـل فتلقته أمه فعلق مامعـه وهى المدة وقال يا أمى أنا جيعان هل عنـدك شيء يؤكل فقالت له عنـدي وزة محمرة والخبز فقال هاتى قدامى فقدمت له ذلك فكسر أول لقمة من رغيف وأخرج نسره من الوزة وملا رز وأراد أن يمضغهم في فمه فتفكر العلقة التى

ضربها له بيبرس فنزلت دمعته على وجنته وقال لامه شسيلي ياحبله فقالت له ياولدي لاى شيء لم تأكل وأنت قلت أنك جيعان وماهي عادتك وأنت أبو عياق مصر أنت قتلت الولات وكرشت الوزير فما بكيت والآن فما الذي أبكاك فقال عثمان اعلمي يا أماه أنه أخذني ولد جندى اشقر له سبعة نقر بين عينيه وله نقطة سودة فى جبهته وشمرة واقفة بين حواجبه ومعه حديدة مكببة باربعة وعشرين حرفا فلعل الله يخرب بيت الذى عملها له فضربني بها فوقعت الي الارض فأخذ البوشية من على رأسي وكتفني بها وربطني فى عمود المقعد ثم ان عثمان حكى لامه كلما جري من المبتدي الى المنتهى ولما خلصت وجيت وكنت جيعان فتفكرت الملقة انسدت نفسي وانا مرادي ان آخذ تارى واجلى عي عاري ولو بطه مثل ماربطني واجمع ثمانين مشاديدي أولهم عقيرب وزعيرب وشملان ومهران ومدكور ومداع الشكل وصدغ المرض وأبو الشمات ومماص الحكم وأبو الجلب وأبو الصدب وأخذهم وأطلع مغاير الزغلية فى ملعب احمد بن طالون مجمع العياق واذا اجتمعنا نحن الثمانين اخبر الجدعان لاجل ان يأخذوا لى بالثار واكون غالبا ولم أكون مغلوب خائبا فقالت له أمه افعل ما تريد الله يكون فى عونك ويقويك والمبرقعة بالانوار معك وتنجيك قال آمين ثم نزل من عندها وجمع الثمانين غلاما مشاديده وسار بهم الي مغاير زغليه واخذهم وجعل يحكى لهم ماجرى له وهم يتعجبون وكل منهم ضمن له ان يأخذ له بالثار ويمحى عن العار ويقتل ذلك الجندى ولا يبقى له آثار فهذا ماكان من عثمان

قال الراوى واما ماكان من الاميربيبرس فانه لما قام من النوم وصلى صلاة الصبح وأكل ماوجد من الطعام وأخذ اللت في يده ونزل قاصداً عثمان ليضربه فلما تقرب منه تأمله واذا به عقيرب وهو المربوط على العمود فقال بيبرس فى نفسه الوكيل كالاصيل وانا مالي الا اضربه فتقدم اليه وصار يضربه من غير ان

يكلمه فلما أعياه الضرب صاح انا في جيرتك ياسيدي بيبرس انا عقيرب حوش يدك انا عقيرب ما أنا عثمان فقال له واين عثمان ياقليل الادب واين المدة فقال له المدة اخذها عثمان وراح الى حال سبيله ولكن ارجع عن ضربي وانا أجمع لك حق المدة متاعك من الاسطوات ونخدم لك على حصانك ولا تخاف من شيء وهذا راح بخاطره وقد أخذ المدة أجرة مشواره وكان مراده يقتلك فقال له بيبرس جزاك ماحل بك ولكن وحيات راسي ان لم تقول لي على بيت عثمان والا قتلتك ولا احد يطلبني بك فقال له اسمع ياسيدي واعلم ان كل من قال على بيت عثمان يقتله وانا اذا قلت لك على بيته أحلفك يمين الله على انك ماتقر بي ابدا فحلف له برأسه وقال له انا اعرف ان الفتنة أشد من القتل ولقد أجاد الشاعر حيث قال

نام على النمام واحذره فما	يكن المكروه الا من نقل
لاتقل أصلي وفصلي أبدا	انما أصل الفتى ماقدحصل
قد يسود المرء من غير أب	وبحسن السبك قد ينفى الزغل
وكذا الورد من الشوك وما	ينبت النرجس الامن بصل
واترك الفادة لاتحفل بهـا	تمسي في عز وترفع وتجل

(قال) فقال عقيرب ياسيدي حلني وأنا ادلك علي بيت عثمان فحله الامير بيبرس فقال له اعلم ياسيدي ان بيت عثمان في المراغة والقبر الطويل وهو الذي مشهور بيت غزية الحبله وذلك الحارة اسمها حارة غزيه لأنها مسميه بام عثمان فاذا وصلت الى المراغة والقبر الطويل تسأل علي الحارة والبيت فلا بد أن تستدل من احد اذا رأيت (قال الراوي) فلما سمع الامير بيبرس من عقيرب ذلك الكلام وقد اشتغل قلبه بخدمة عثمان ولا بقي له صبر على أي وصف كان وفي الحال شد على ظهر الحصان وركبه بعد أن شده واخذ اللت بيده وسار الى أن اقبل الى الرميلة وبحر العالم وسأل من رجل كان سائر في الطريق وقال له ياأبي أين المراغة التي فيها القبر

الطويل فقال له الرجل يا شلبي القبر أنا ماليش قبر لأني على قيد الحياة ولالي قبر طويل ولا قصير فقال له يا أبي هذا إسم حارة بتاع سايس فقال له ياسيدي أنت لسانك تركي وأنا مالي معرفة بالتركي واذا برجل آخر اقبل وقال ايش تقول فقل لي يا شلبي وانا اعلمك وادلك فان هذا لا يعرف شيء فقال له بيبرس أنا أحب مراغة وقبر طويل فقال له سر معي وأنا اريك محلها فسار معه حتى أدخله الى الحارة وهي حارة القبر الطويل فقال له هذه الحارة فقال له بيبرس جزاك الله خيرا واعطاه عشرة فضة فأخذهم منه ودعا له ومضى الى حال سبيله وأما الامير بيبرس فانه دخل الى تلك الحارة فرآها واسعة وفيها دكاكين وأماكن وقهاوي ولكن مع أنه غريب لا يعرف احدا فبقي كأنه الاطرش في الزفة فاقبل على دكان رجل عطار وتحول من على الحصان وأقبل وجلس الى جانبه وقال له السلام عليك يا أبي فرد عليه السلام وقال له ياسيدي هل لك مني حاجة حتى تريد قضاها فقال له بيبرس نعم يا أبي أنت من أهل هذه الحارة أم أنت عطار بالنهار وفي الليل تروح الى بيتك وتجهل اهل الحارة لعدم سكنتك معهم فقال له العطار ولاي شيء تسألني عن هذا السؤال فقال له لما انت رجل كامل والذي مثلك لا يقل الا الصدق وهذا سبب سؤالي اليك فقال له يا سيدي هذه حارتي وتربيت فيها من صغري حتى اني صرت اختيار كما تراني ولا رجل ولا امرأة فيها مقيما الا اعرفهم حق المعرفة فقال له بيبرس اذا سالتك عن احد فيها تدلني عليه قال نعم قال اخبرني عن مكان عثمان بن الحبلة

قال الراوي فلما سمع العطار ذلك الكلام كان له عقل وطار وغاب عن دنياه وبقي عبرة لمن يراه وقد احتار كيف يرد عليه فقال له ياسيدي أنا ابيع عطارتي لكل من اراد وهي قرنفل وحبهان وفلفل ومستكا ومحلب وكافور وجميع العطارة توجد فقال له بيبرس انا يا ابي ما اريد عطاره انا اريد ان يدلني على بيت الاسطى عثمان بن الحبله قال له العطار يا شلبي هذا داكاني قدامك

خذ كلما ريد بيدك منها وأنا نزلت لك عنها ثم ان العطار أخذ مركوبه ونزل من الدكان (قال الراوي) وقد كان قدام دكان العطار رجل خضري فنادي بيبرس وقال له هذا رجل مجنون وأنت لاى شي تكلمه وهو لا له عقل قال له بيبرس أنا سألته أولا فقال أنا قديمـا فى هذه الحارة وأعرف أهلها على التمام وكان عاقلا ولما أنني سألته ثانيا تجنن فقال عجب قال له الخضرى اسألني وأنا أدلك على ما أنت طالبه قال له أنا الذى سألته عن بيت الاسطي عثمان بن الحبلة قال الخضري يا شلبي هذا الاسم ليس هو فى هذه الحارة مطلقاً ولاأحد يدلك عليه أبداً ولو تسأل أينما سألت على طول المدة فاذا أردت أن تريح نفسـك فارجع من حيث أتيت والا ان كان أحد أعلمك بهذا الاسم أنه في هذه الحارة فاطلبه وهو يدلك عليه فلا تظلم نفسك ولا تظلم الناس وراقب الله ياسيدي واخزي الشيطان وأنا قد نصحتك والسلام

قال الراوي فعند ذلك تفكر الامير في نفسه وعلم أنه لم يدله أحـد خوفا من عثمان لان كل من دله يقتله كما عرف عقيرب نخرج من ذلك المكان وعـلم أن ما أحد يدله على منزل عثمان لا من الرجال ولا من النساء ثم قال فى نفسه يا بيبرس الصواب أنك تدبر عن معرفة بيته من غـير أن يعلم احد فنظر فى الطريق واذا هو يري فرن يعني كوشه فى تلك الحارة ومن داخل الفرن نسوان وكل منهم معه عجين يريد خبزه فقال بيبرس فى نفسه ان الذى يعرف البيوت فردا فردا فى جميع البـلاد ثلاثة وأما فى مصر اربعـة البقال والفران ومسحر رمضان ورابعهم فى مصر وهو المنادي فى أيام النيل يا بيبرس الصواب أنك تعمل حيلة مع هذا الفران عسي انك تستدل منه على بيت عثمان

قال الراوي ثم ان الامير بيبرس لمـا هتف له عقلة بهذا الهاتف نزل عن حصانه وأوقفه بباب الفرن وتأمل واذا بالفران واقف قدام باب طاقة الفرن وهو يحمي ويغني فى هذا الموال صلوا على شفيع الغزال صلى الله عليه وآله وسلم

يا بنت يا الي تبيعي العيش وتناكي ... يابخت من فردك عاالفراش وتناكي
قالت أنا بنت عذره لي نسب واصل ... بفرع عالي ولاأعرف أحدواصل
ان كان مرادك ومالي في الحلال واصل ... فقلت عرضك سليم ياست وتناكي

قال الراوي فلما سمع بيبرس ذلك الكلام من الفران ضربه على وجهه وقال له يا قليل الادب يا مهان لاي شيء اتلفت خبز سيدي الاسطى عثمان وحرقت وجهه في بيت النار وخسرته يا خبيث يا مكار وهو ارسلني اليك حتى اخلص منك حقه وأقابلك على مستحقه وارمي عليك كل داهية وعلة كما خسرت خبز سيدي عثمان بن الحبلة فانك سرقت منه خمسة ارغفة كبار وحرقت احدي عشر يا خبيث يامهان فقال له الفران أنا في اليوم وامس ما خبزوا عندي بيت سيدي عثمان عيش ولا عمري سرقت له منه شيء ولا حرقت له عيش وان كانت العادة بتاعه ارسلتها الى البيت من الصباح وهي عشرون رغيف خاص وليس لي منه مناص فقال له بيبرس تكذب يا ملعون سيدي امرني ان اكسر رأسك بهذا الدبوس واجعل يومك هذا عبوس فقال الفران يا شلبي حوش يدك واذهب الي الحريم واسأل عن هذا الفعل الذميم فان كان هذا الامر بتأكيد فافعل ما تريد فقال له بيبرس [illegible] فسار معه الفران بعد ان وقف اجيره عوضه يخبز للاولاد والنسوان ولم يزل الفران سائر وبيبرس تابع له الى ان اقبل الى بيت الاسطى عثمان ففرح بيبرس فرحا شديدا ما عليه من مزيد فلما اراد الفران ان يطرق الباب منعه بيبرس وقال له اصبر يا ابي فقال الفران لا بد لي حتى ادخل انا وانت واسمع كلام الحريم هل الذي قلته لك صحيح ام لا فقال له بيبرس يا شيخ إعلم اني كنت تائها عن البيت ولا احد رضي يدلني عليه وضاقت حيلتي فلبعت بعقلك حتى دللتني ومن تعبي رحمتني ولكن خذ هذه العشرة دنانير ذهب وروح الى حال سبيلك

قال الراوى فلما سمع القران هذا الكلام غاب صوابه وأيقن بموته وذهابه وقال اعلم أن كل من دل احد على بيته يقتله ويعجل للمقابر مرحله وأنا مابقى لى معيشة في مصر أبدا ثم ان القران أخذ العشرة دنانير وأخذ عياله وسار طالبا بلاده خوفا من عثمان أن يعدمه حياته فهذا ما كان من القران

قال الراوي وأما ماكان من الامير بيبرس فانه طرق الباب فارتفعت من الباب السقاطة وانفتح الباب فاراد بيبرس أن يدخل بجواده واذا برغيف من الرصاص خرج عليه من صدر المكان مثل حجر الصوان فحاد عنه فراح في الهوى وأراد الرامى أن يعيدها واذا بقائل يقول ارجع ياولدي شلت أناملك وفصلت مفاصلك كيف هذا ياولد الزنا تضرب الذى دخل الى دارنا قال وكان هذا الضارب فرج عبد عثمان والتكلمة غزية الحبلة أم عثمان وبعد ذلك نزلت وتأملت فيوجه الاميربيبرس تجده على رأي الذى قال هذه الابيات أنا وانتم نصلى على زين الصفات

وتركى له على الخد خال كمسك فوق كافور نقى
تعجب ناظري لما رآه فقال الخال صلي على النبي
فقلت له ملكت نصاب حسن فزكى على ضياء الخدالعبي
فقال أبا حنيفة لى امام فتى أن لا زكاة على الصبى
فصدقنا فلا نعطى زكاة كذاك الشافعي والمالكي
فقلت فتوتك من فقيه أما تجب الزكاة على المالكي
ومالم تأتها طوعا والا أخذناها بحكم الحنفي

قال الراوى فقالت له اهلا وسهلا ومرحبا عدد ما مشيت من محلك الى هذا المكان لقد تشرفت بك الاوطان ثم قالت

لو تعلم الدارمن زارها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدم
وانطقت بلسان الحال قائلة أهلا وسهلا باهل الجود والكرم

هذه دارنا حلت بها البركة بقدومك الينا فانا جاريتك وعثمان خديمك والعبد

غلامك وما منا احد الا يكون تحت أمانك وزمامك فقال لها بيبرس يا أمي هل انت ام الاسطى عثمان قالت له نعم يا صاحب الوقت والاوان فقال لها ابن عثمان احضريه الى حتى اراه بالكلية فقالت انا ادلك عليه فانه فى مغائر الزغيلة ولكن بعد ما تأكل حق زادنا وتشرب شرابنا حتى يكون لك ما لنا وعليك ما علينا ثم اخذت يده واطلعته الى اعلا المكان واجلسته فى قاعة لماعة باربعة لواوين ودرقاعة وهي ملآنة من عمائم كبار ومقل وجبب ملونات وشيلان وجوخات وبرانص وطقوم وغير ذلك فقال بيبرس يا امى غزية قالت له لبيك يا ولدى قال لها انى اري بيتك من تحت فيه دكك وكراسي وستارات مثل بيوت السادات والقادات ولما اطلعت الى فوق اراه مثل بيوت دلالين الاسواق الذين يبيعون هدوم الناس بالدلالة فقالت له يا بيبرس هذه العمائم والهدوم فان ولدى عثمان يخطفهم من الناس والامم وكل من منعه عن حاجة انزل به الموت والعدم ولوكان حاكما او اميرا محتشم ولا يخشي من عتب ولا لوم وهذه عادته وهذه عدة جوادك التي اتى بها فى هذا اليوم ثم انها كشفت له عن العدة التي اتى بها عثمان من عنده وقالت له هذا الذي يأخذه ولدي من عند الناس ولا يخشي من جزع ولا باس فتعجب بيبرس من ذلك وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

قال الراوي ثم انها قدمت له الطعام الذي كانت قدمته الى ولدها عثمان فرآه مخروج منه نسيرة والرغيف مكسور منه لقمة والشيالة ملآنة برز فقال لها يا امى انا ما آكل فضلة الآكلين فقالت له يا ولدي وعزة الرحمن الرحيم ما كسر هذه اللقمة ونسر هذه النسيرة من الوزة وملأ الشيالة بالرز كما تري الا ولدي عثمان وكان جيعان واراد ان يأكل مثل عادته فتفكر ما فعلته معه فنزلت دموعه على وجنته ثم انها حدثته بما كان من أمر ولدها عثمان وما حكى لها وملقاله من الامر والشان فلما سمع منها الامير ذلك تعجب وقال لها وهو الآن فى مغائر الزغلية

وملاعب أحمد بن طالون فقالت له نعم يانور العين فقال لها بيبرس انالا آكل حتى أروح اليه واجتمع عليه اما أن يهديه الله الى خدمتي والا آتيك برأسه واريح الخلق من شره وبأسه فقالت باولدى ترفق به فان هذا خدامك وأنا أسأل الله العظيم ان يهديه الي سراط مستقيم فقال آمين وبعد ذلك أراد بيبرس أن يقوم فقالت له غزية الجبلة هل لك ياولدي أن تصبر حتى أقص عليك ما رأيته في المنام بالامس ومافسرته ولا لاحد حكيته فقال ببرس قولي ياأمى فقالت رأيت فى منامى الست أم القناع الطاهرة بنت النبي المختار المبرقعة بالانوار وهى سيدة السيدات نفيسة رضي الله عنها ونفعنا بها وهى تقول لى ياجبلة طيبي نفساً وقري عينا وافرحى فرحا شديدا بخدمة ولدك عثمان عند هذا الملك السعيد فان سعد ولدك أقبل وذهب عنه الشقاء وتحول واتت له الهداية والولاية والرعاية من مولاه خالق البرايا ورأيتك أنت في يدها اليمين وولدى فى يدها الشمال ونور وجهها أضوي من الهلال فقلت لها ياسيدتي من هذا الغلام الذي على يمينك فقالت لى هذا بيبرس محمود العجمى وسوف يكون ملكا وسلطانا ويبقى له كلمة تسمع وحرمة ترفع وهو صاحب العز والوقار والمجد والافتخار وينصر دين النبي المختار ويهلك جيوش الكفار وأما هذا ولدك فانه يكون له على يده شأن واي شأن فاذا أقبل اليك فى غداة غد فاكرميه غاية الاكرام واقرى له منى السلام واذا طلب ابنك يخدمه فدليه عليه فانه شفوق عليه وينال على يده الهداية وتحصل له العناية من خالق البرايا فلما انتبهت ياأمير من منامي وأنا غارقة في افتكارى ما أشعر الا وانت فى دياري فلما رأيتك علمت أنك أنت صاحب الصورة الصحيحة والعلامة الواضحة وهاأنا ياأمير اخبرتك بالقصة من أولها ألي آخرها وأعلمتك باطنها وظاهرها وبعد ذلك فاناأوصيك عليه لانه واحد من الدنيا فترفق به الي ان يزول مابه

قال الراوي فلما سمع بيبرس ذلك منها قال لها ياأمي اذا كان هذا الحال حاله ولعل الله

أن يرزقه الهداية ولكن نسألك الدعاء فدعت له ولولدها ثم نزل بيبرس وفتح الباب وركب جواده وصار ولكن متحير فى أمره وقال فى نفسه من الذي يدلني عليه وعلى المغائر ثم أقبل على رجل يبيع البطيخ وقال له عندك بطيخ مليح قال نعم من بلدنا الذي يقال لها سوادة الذي قال فى حقها الشاعر هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

بطيخ بلدنا سوادي احمر وصغير وأصفر
عليه بياضه ولكن ممدوح اذا كان أحمر
شفت حبيبى تشابه لونه ممزوج بالسكر
خلى العواذل يموتوا بالذبح الله أكبر

قال الراوى فاشترى منه الامير عشرون بطيخة كبار ودفع فيهم دينار وسأل عن الحمار واذا برجل مقبل عليه يقال له الشيخ على الاعرج وكان هذا على الاعرج معكوس يحب الصبيان فصاح عليه الرجل البطاطخى وقال له تشيل هذا البطيخ وتوديه الي الشلبى لحد الامام فقال له على الاعيان ثم حمل البطيخ وسار به حتى خرج من الحارة فقال الحمار ياجندى أنت من أي بيت قال من بيت الوزير نجم الدين البندقداري والاخر يعبدها فقال بيبرس فى نفسه حسبي الله ونعم الوكيل ثم تبسم بيبرس فى وجه الحمار فقال له أنا كان لى مملوك كان رفيقي فى بيت نجم الدين وكنت أعطى له الدراهم وكل ماأكسبه اليه وهو يحدثني الى أن صار عنده شي كثير من المال وأخذ صاحبه وأنت ان اردت علو المراتب فصاحبني وطاوعنى حتى تصير مثله فتبسم الامير بيبرس وقال له أنا رضيت بذلك ومن الان أنا رفيقك فاخرج له الاعرج ستين فضه وقال له ياشلبي خذهم حطهم فى جيبك هذا مكسبي البارحة فاخذهم بيبرس ووضعهم فى جيبه فقال له الاعرج جميع ما اكتسبة أعطيه اليك فقال له الامير بيبرس جزاك الله خيرا هذا وقد طمع الاعرج فيه وقال له ياسيدي من أخذ الاجرة حاسبه الله بالعمل فقال له بيبرس

وماتريد قال له أنت تعرف طلبي فقال له وماهو قال اريد منك الوصال ياوجه الهلال قال له بيبرس اصبر حتى نبعد عن الاموات ونحن الان في القرافة وحيث نخرج منها ونزور الامام ونعود الى مكان خالي وافعل ماتريد لاجل لا تشهد علينا الاموات يوم القيامة فقال له لاي شيء وأنا كلما تأتيني صيدة أتيت بها الى التربة فقال له هذا حرام عليك فقال له اعطيني بوسة قال له بعد أن تقضى حاجتك هذا ولم يزالوا سائرين الى أن أقبلوا الى الامام فقال له هذا الامام قال له ياأبي الامام الكبير قال له الامام الليث قال نعم فساروا الى أن أقبلوا الى الامام الليث وقال له اين مغائر الزغلية فطار صواب الحمار فقال له ياسيدى أنا لم أقد أروح الى ذلك المكان وانما ياسيدي سامحك الله في الستين فضة وأجرة البطيخ وخليني أمضي الى حالي فان مغابر الزغلية محل الهلاك وكل من وصل اليه لا له خلاص منه ولا فكاك فقال له بيبرس والله ياشيخ ان لم تسير معي والا أقتلك واعجل من الدنيا مرتحلك فقال الحمار ياشلبي وانت أى شيء شغلك هناك فقال له وانت أي شيء لك فى هذا السؤال فيما لا يعنيك سر والا ضربتك بهذا اللت فسار الحمار وهو على غير مراده وايقن بموته وتيتم أولاده ولم يزل سائر حتى وصل الى المغابر

قال الراوي فعند ذلك نزل بيبرس من على الحصان وضرب الحمار باللت أرماه وقلع عمامته وكتفه بها وجعل رأسه عند رجلين حماره وكان فى بيض الحمار ذباب صار كلما يقرص الحمار يرفص برجليه وجة صاحبه حتي عذبه والحمار يستغيث فلا يغاث وربط بيبرس الحصان مع الحمار فى طرف حجرة بجانب مغار وتركهم وسار

قال الراوي ولم يزل بيبرس سائر الى أول مغار فلم يجد أحداً بيض ولا أسود وكذلك الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس فوجدهم الجميع فارغينّ فوصل الى السابع واذا فيه رجال وهم جالسين ونظر الى عتمان وهو بين الجميع يتحدث وهم له سامعين وعتمان فى تلك الساعة يضرب الشور مع الجماعة ويقول

لهم ياجدعان من يأخـذ لى بالثار من الولد المملوك متاع ابن بندس الذى بيته في الحسنية فانه ضربنى وتعدا على فنهض ولد من السياس وقال له لاتجعل همة ياكبيرى فقد مات بيبرس وأنا أقتله حالا وأجيب لك رأسه ثم انه نهض من وقته وهو ماشياً على أقدامه الى أن وصل الى باب المغارة واذا بالامير بيبرس واقفا كانه الاسد الضبان واللت في يده فرجع السايس وقد زاد به وجده فقال له عثمان مالك رجعت ياجدع فقال ياكبيري رأيت عجبا فقال ايه العجب فقال ان الغلام الذي ذكرته لنا قد جاء الى عندنا فقال عثمان رأيته أنت أتى الى هنا قال نعم فقام عثمان على حيـله وتبعوه مشاديده ووصلوا الى باب المغارة فرأي بيبرس واقف واللت في يده فقال له عثمان انت جيت الى هنا ياشلبي قال بيبرس نعم ياحبيب قلبي ولا أفارقك اما ان تخدمني والا أقتلك واريح الناس من شرك فقال له عثمان الخدمة بالفلوس ماهي بالدبوس قال له بيبرس أنا كنت لا اعرفك انت الذي كنت جاهل وسرت معى على انك تخدمني وبعده سرقت عدتى وأردت الهروب فضربتك ولكن تستاهل وصبرت الى اذا اتى الليل ولعبت بعقل السايس حتى سيبك وهربت وانا أعلم انه مابقى لك خلاص الا بالخدمة عندي والا موتك يكون على يدي ويكون بهذا اللت الحديد لان طبعك بليد فقال له عثمان ابعد عني هذه الحديدة المكببه هلك الله من صنعها لك وجعلها في لحيته فقال له بيبرس وأى شيء قولك فى الخدمة قال له عثمان روح فارقني والا انبطك واخلى مشاديدي دول يتعاونون عليك ويقتلوك ولا ينفعك أحد من الوزراء ولا من الملوك فقال له بيبرس اذا كنت شاطر اخرج الى عندي وها انا قدامك حتى أعرفك قدرك ومقامك انت وكل من معك ومشاديدك واقوامك

(قال الراوي) فلما سمع عثمان كلامه خرج من المغار وهجم على الامير بيبرس وضربه بالرزة فتلقى بيبرس ضربته على اللت فانكسرت نصفين وبقى النصف في يد عثمان والنصف الآخر طار ووقع جانب الحمـار ثم ان بيبرس

هجم على عثمان وضربه باللت أرماه الى الارض ودار كتافه وقوي سواعده واطرافه ونادي ياجدعان هذا كبيركم هل فيكم من له نخوة يأتي الى عندي يطلب خلاصه من يدى فقالوا له خذه ياجندي وروح لحالك ما احد منا يريد قتالك قال فاخذه بيبرس وسار به الى عند الحمار فلما نظر الحمار ذلك صاح انا فى عرضك ياسيدى بيبرس خلصني من هذا العذاب فقال له تتوب عن اللواط يا ابن الكلب فقال له تبت على يديك وان رجعت ثانياً اقتلني فنظر عثمان الى الحمار وقال له ياشيخ علي انت الذي جبت الجندي الى عندي قال نعم أنا جبته الى هنا واليوم ينقطع عمرك ويريح الناس من شرك بهذا اللت الذي تراه معه فقال له عثمان لا بد ما أقتلك قال له الحمار ان خلصت من بين يديه افعل كلما قدرت عليه رد بالك ياشلبي تطلق هذا فانه أذية لخلق الله خطاف عمايم ظالم غاشم قاتل النفس الذي حرم الله قتلها هذا وبيبرس يضحك عليهم ثم انه أخرج عشرة ذهب واعطاهم للحمار وقال لمشاديد عثمان حذوا هذا البطيخ حلاوتكم لانكم تركتم كبيركم وأخذ عثمان وركب ظهر الحصان وسار به وعثمان بين يديه مكتف من يديه ولم يزل بيبرس سائرا به الي ان أقبل الى باب الخلا قدام السيدة نفيسه فقال عثمان يابيبرس أطلق كتافي فان دخولى معك في مصر وأنا مكتف يضحكوا علي الهضبية وأولاد مصر وان لم تطلق كتافي وحق هذه السيدة لا أخدمك أبدا فان النار ولا العار فقال له بيبرس أنت خائف من ضحك الناس عليك وانا خائف ان تعصى على خدمتي فقال له عثمان ان أطلقتني من الكتاف أخدمك ولم يكن لي خلاف فظن الامير بيبرس ان كلامه حقا فاطلق كتافه وأعطاه عمامته لفها على رأسه وقد تركه الى جانبه ولما علم عثمان أنه خلص جري قدام بيبرس الى باب السيدة حتى وصل الي الباب ومد يده الى الضبة فانفتحت فدخل الى الرحاب ومد يده أغلق

الضبة كما كانت ودخل تحت التابوت وهو يقول لها يا أم البيت انا في حماكي قد اتيت قوى حيلك انا طول عمرى خديمك وأجى كل يوم واكنس مقامك واذا لم تقومي من مكانك وتنبلى هذا الولد والا ماأبقي من زوارك على أحد حتى اتبعهم وآخذ عمايمهم ودفافيهم وصار عثمان يهلس بمثل هذا الكلام مايشعر الا وبيبرس دخل عليه فى المقام قال وكان بيبرس لما رأي عثمان دخل فى رحاب السيدة نزل عن حصانه وسلمه لرجل من الخدامين الواقفين وتبع عثمان الى الرحاب فقامت فى وجهه خدامين الاعتاب وقالوا له ارجع أنت لك أن تهجم على مقام السيدة أما تخشى الله ولا تخاف من صاحبة هذا المقام فقال لهم بيبرس اسمعوا ياأخوان أنا رجل داخل مع السايس لانه هرب مني فقالوا له السايس ما اسمه قال اسمه عثمان بن الحبله فقالوا له اسمع يا جنـدي أن الذى ذكرته لايخدم أبداً ولا عمره خدم الا عنـد السيدة كريمة الدارين وانظر كيف انها فتحت له الضبة بغير مفتاح وكيف دخل عليها وجلس عندها وهو يتحدث معها وأنت تريد أن تهجم عليه فأرجع ياجندى أحسن لك والاااذا عارضتها فانك تهلك فان هـذا الرجل تابعها فان كان هى تأذن لك فى الدخول فتقدم أنت الي الضبة فان أذنت لك في فتحها فتكون بلغت المامول ولـكن يكون بادب واذا أرادت السيدة وصولك فـلا مانع لـكن أنت لاعتابها خاضع فقال بيبرس سمعا وطاعة

(قال الراوي) ثم أن الامير بيبرس تقدم الى قدام السيدة وقرأ الفاتحة ووهب ثوابها الي حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ثم الى روح السيدة نفيسة وبعد ذلك بسط أياديه تحت القبة ودعى الله سبحانه وتعالى وطلب قضاء حوائجه وبعد ذلك توجه الى مقام السيدة ثانيا وقال لها يا سيدتي أنت تعلمى أن هذا الرجل انهمك في المعاصى وفى أكل الحرام وضيع كل صباه وجريه في الضلال وركوب الاثام وأنا ياسيدتي أردت أن اجعله عندي خـدبم لعل الله سبحانه

وتمالي أن يوفقه واياي الي طريق الخير والصلاح ويكون باذنك ياسيدتي واطلب منك فى ذلك السماح فأنت صاحبة الشورة ورأيك فيه الصلاح فاذا سمحتى لى فيه أخذه واتوبه عن المعاصى وأخدمه علي يدك ونكون أنا وأياه اتباعك وها أنا واقف ملازم الاعتاب فان رضيتي ياسيدتي فافتحي لى الضبة حتي اجوز فى الرحاب وأن منعتيني يا سيدتي عن الدخول ارجع مكسور الخاطر بلا فائدة ولا حصول ولكن ياسيدتي أن أهل البيت لا يخيبوا من قصدهم فأفتحي لي الضبة حتي آخذه بأجازة منك واجبرى خاطرى لعل ببركاتك أن يزول عنى جميع الكبائر وأبقى أقول دخلت سيدتي بانكسار ورجعت بانجبار

(قال الراوى) ثم أن الامير بيبرس بعد ذلك الكلام قرىء الفاتحة ثانيا ووضع يده فى الضبة وقال بسم الله الرحمن الرحيم وجرها فانفتحت قال فلما رأوا الخدام ذلك قالوا له ياشلبي ادخل فلا بأس عليك أن السيدة راضية عنك هذا وقد أخذ الاذن بيبرس ودخل واذا بعثمان من داخل الستر وماسك فى يده الحجر وهو يقول انبطيه ياأم البيت وبيبرس سامع كلامه فتبسم ضاحكا ثم أنه شال الستر ووضع يده على اكتاف عثمان فصار عثمان متحيراً منه وقال له أنت جيت ورائى الي هنا فقال له أنا وراءك أينما كنت ولا اتركك أبداً الا اذا كنت تخدمني غصبا دون الرضى والا اقتلك واريح الناس منك فقال عثمان أنت لك عندى دين وتريد قبضه منى فقال له دع عنك هذا الكلام لا بد أن تتوب وتخدمني أو اقتلك والسلام فقال عثمان ياأم البيت انبطيه هاهو عندك فقال له بيبرس ياعثمان اعلم انها سيدتك راضية انك تخدمنى وتريد انك ترجع عن اذية الناس فقال عثمان يبقى ياأم البيت أنا دخلت تحت زمامك ومسكت سترك على مقامك وطول عمرى خديمك وتسلميني الى هذا الجندي الجبار لاجل انه يضربنى بهذه الرزة الذي بيده ويحكم علىّ يخدمني عنده هل أنت عشقتيه لاجل حمارة خده وحيات قناعك الطاهر ماأخدمه الا على طيبة

خاطري فقال له بيبرس قوم ياعثمان وعليك الامان فقال عثمان وهي الدواهي لاتكون الا من الامان

(قال الراوي) فبينما بيبرس وعثمان كذلك واذا قد أخذتهم سنة الكري وغشى عليهم فناموا في الحضري فراي الامير بيبرس السيدة قدامة وهي تقول له هذا تابعي وخديمي وانالم افوته أبداً ولكن رضيت أن يكون خديمك على طول المدي ويكون لك سامعاً مطيعاً وكذلك انت الآخر تطيع امره فانه صحيح النظر وانا ناظرة اليكما بالرعاية والعناية وعلى يدك زال نجسه وانمحى وعده واقبل عليه سعده ويكون اخيك على مقامي وتوثق بينه وبينك عهد الله قدامي والله تعالى من الشاهدين فقال لها بيبرس سمعاً وطاعة

(قال الراوي) ثم ان بيبرس انتبه من منامه ولذيذ احلامه فوجد عثمان يبكى ويتحسر ودموعه على خديه جارية فقال له بيبرس مالك ياعثمان فقال خدمتك بقلبي ونيتي لاني سمعت كلام المبرقعة معك وهي توصيني بخدمتك وتوصيك عليَّ وبالامارة قالت لك انمحى وعده وأقبل سعده وانت تطيع كلامه لانه صحيح النظر واوثقوا عهد الله على يدي بينكما ويكون اخوك يا بيبرس فقال بيبرس صحيح يااسطى أنت كنت سامع قال عثمان نعم أنا معاً كما ثم انه اخذه وخرج به من المقام والخدماء واقفون ينظرون وقد مضي الى المطهرة وقال له ياعثمان ادخل الى المرحاواستنقي واستبري فقال له عثمان مامعنى هذا الكلام قال الاستنجاء بالماء بعد ازالة الضرورة لان الاستنجاء واجب لها شروط ومنها الاستنقاء فقال عثمان أنا ماافعل ذلك ابدا ولا ابعبص روحي وهذا ياجندي عند السايس عيب ولا هي عادة عند اولاد الشيخ فقال له بيبرس طاوعني على مااعلمك فقال عثمان انا ارضى ابعبص روحي نحن ياعمي يطلع الرجل على التل او في كنيف يشخ ويقوم واما قولك يغسل طيزه احد منا استغفر فقال له الامير هؤلاء جهال وتربوا في الضلال فطاوعني ياعثمان كما سمعت من السيدة فطاوعه عثمان بعد مشقة واستعظم هذه الدقة قال وكان في ذلك اليوم رجل فقيه

يقال له الشيخ عمر وكان عثمان أخذ مقلته من مدة شهرين وضربه ضربتين وكان في تلك المدة مريض وما فاق على روحه الا ذلك النهار فنهض ونزل يريد الزيارة الى السيدة رضى الله عنها ودخل الى المرحاض الاول وجلس ليقضي حاجته واذا بعثمان أقبل وقال له اخرج يا رجل فلما سمع الشيخ عمر كلام عثمان عرفه جيداً فقام على حيله وأخذ مقلته من على رأسه وناولها الى عثمان من قطع الباب وقال له خذها يا أسطى وروح الى حال سبيلك فقال له عثمان اطلع يا شيخ أنا تبت فقال له خذ هذه المقلة قبل التوبة وبعد ذلك تب فان باب التوبة محلول فقال له عثمان ياشيخ أنا تبت فالبس مقلتك وسر الى حال سبيلك فقال له لا أطلع أبداً من هنا فقال عثمان وانا الآخر وسرها في مقامها لا أقضى حاجتي الا في هذا المرتفق فلبس الشيخ مقلته وتربس الباب بظهره وجعل رجليه جهة الحوض وجلس فى صحن الميحاض هذا وقد أقبل بيبرس لما ان غاب عليه عثمان وقال له ماالخبر قال أنا مرادي أدخل الكنيف والرجل لا يرضى يخرج ابداً فقال له بيبرس ادخل غيره فقال عثمان لا يكون ابداً ولا ادخل الا لهذا المرحاض فقال بيبرس اطلع يا سيدنا ولا تخاف فقال الشيخ والله أضلاعى الى هذا الوقت مطبقة من هذه الرزة الثقيلة فكيف اطلع فقال له بيبرس انا امسكه حتي تمضى الي حال سبيلك فقال له حتي تحلف لى بمين انك لا تطلقه الا بعد ربع ساعة حتى أكون انا نجيت من هذا الخط كله فحلف له بيبرس وقبض على عثمان واراد الرجل أن يخرج واذا بعثمان نظر اليه ولعب شاربه نخاف الرجل ورجع دخل الميحاض وتربس الباب على نفسه فقال له بيبرس لاي شيء رجعت يا سيدي قال انه يلعب شاربه وينظر بعينه فقال له يا عثمان اتق الله تعالى ثم انه أخره الى بعيد وخرج الشيخ ومقلته تحت باطه وسار يجري ويلتفت الى ورائه حتى دخل الي منزله وأخبر أهله بما جري وأقسم بالايمان أنه لا يخرج الا بعد ثلاثة أيام فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من عثمان فانه دخل وأزال الضرورة واستنجى وخرج فقال له بيبرس أجلس على الميضة حتى أعلمك الوضوء فقال له والوضوء يبقى ايه فقال له انت عمرك ماصليت أبداً قال لا وحياتك ياجندي ثم جلس عثمان وقال له الامير قل بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله على هذا الماء الطاهر وتمضمض بالماء ثلاثة مرات هكذا وقل كذا واستنشق هكذا واغسل وجهك ثلاثة مرات هكذا وانوي فرض الوضوء عند غسل الوجه واغسل رجليك ثلاثة بعد يديك وعلمه الوضوء من اوله الى آخره فقال له روح انت الى حال سبيلك وأنا أتوضأ فتركه الامير بيبرس ودخل الى المسجد ووقف يستناه

(قال الراوي) وأما عثمان فانه جلس على حجاب الميضة وكان الى جانبه اليمين رجل عجمى من الدراويش وكان يخاف شر عثمان فبالامر المقدر كان جلوسى عثمان الى جانبه فلما جاءت عينه في عين عثمان خاف خوفاً شديداً ماعليه من مزيد ونزل الى وسط الميضة بحوائجه وغطس فى الفاوق الذي على رأسه وكان شبيه الدلو صغير القمر كبير الدائر فأخذه عثمان وجعل يملاه ويفرغ به فى مجرة الماء وأما العجمى فلما ضاقت نفسه خرّج رأسه من الماء فوجد عثمان ناظر اليه فعاد ولم يزل على هذا المنوال وهو يقول الامان يا أوسطي عثمان وقد تجارت الناس الى داخل المقام فعاد بيبرس الى الميضة فرأي ما ذكرنا فقال يا عثمان قال نعم قال له لاي شيء تفعل ذلك ثم انه نظر العجمي فتبسم ضاحكا وأخذ القاوق ورده اليه ووضأ عثمان واخذه ودخل الى مقام السيدة نفيسه رضى الله عنها ثم قال لعثمان انت تعرف الفاتحة قال عثمان اعرف منها قطعتين قال صححها عليّ قال عثمان الشيطان الرجيم ولا الضالين فقال بيبرس يا عثمان اعلم ان الفاتحة سبعة آيات وفيها اربعة عشرة شدة فاذا اعدمت واحدة منهن بطلت الصلاة ثم قراه الفاتحة وعلمها له فلما حفظها قال له صلي وقل نويت اصلي ركعتين لله الله اكبر فقال عثمان نويت اصلي ركعتين مثل ما قال الاشقر الله اكبر فقال له بيبرس ما هو كذا

قل نويت أصلي ركعتين لله ألله أكبر من غير زيادة فقال عثمان من غير زيادة ثم قال الله اكبر طريقتين فقال له يا عثمان طريق واحد قال عثمان طريق واحد هذا ولم يزل عثمان يتخالف مع بيبرس حتى كادت أن تنفطر مرارته وصلى ركعتين بجهد جهيد ثم أخذه وسار به الى أن أدخله الى النقيب وتوبه عن جميع المعاصي وعن الاذية التي كان يفعلها فقال عثمان تبت على ما كان من المعاصي الا بيت الدقيق فظن بيبرس انه على العيش فقال فى نفسه ومن يتوب عن الدقيق فقال يا عثمان ما تتوب عن ذلك وأنا أذنتك لبيت الدقيق وكان بيت الدقيق عند عثمان البوظه هذا يكون له كلام هذا وقد وثق عهد الله بينهما على المقام وفرق بيبرس وأعطى وفرح بعثمان وعثمان فرح به وخرج فقدم له الجواد فركب وسار الى جانبه حتى وصلوا الى القبر الطويل ودخلوا على غزية الجبلة ووقف بيبرس بالجواد على باب البيت فقال عثمان يا أشقر من الذي عرفك طريق بيتي فقال له رجل من هذه الحارة فقال له عثمان خليك مكانك حتى أعرف هذا الرجل واقتله لاني حالف يمين كل من عرف أحد بيتي لا بد من قتله فقال له أنت تريد أن تنقض العهد والميثاق والتوبة الذي تبتها والاتفاق فقال له أنا حالف فقال له بيبرس أنت حلفت قبل التوبة والآن فأنت تبت عن المعاصى فقال عثمان وحلفت يمين آخر وهو اني ما ادخل بيتي الا برأسك في يدي فقال له الامير وأنا حلفت كذلك فقال له عثمان خليني أقطع رأسك وأنت اقطع رأسي وادخل أنا برأسك وادخل أنت برأسي لاجل ينفك اليمين فقال له بيبرس أنا أحلل لك اليمين من غير قطع رؤوس وهو أن أقبض على شوشتك وأنت كذلك وأنا اضرب الباب برأسك وانت تضرب الباب برأسي وتدخل وأنت قابض على رأسي وأنا كذلك ينفك اليمين والسلام فقال له عثمان ومن الذى علمك هذا الكلام وأنت شاب صغير والله ان كلامك ذي جنبة المهات كلما ناحت خرعسلها هذا وقد

دخلوا البيت وهم فى سرور ففرحت الحبلة وتلقت الاثنين وأخذتهم بعلو الاحضان وسلمت عليهم سلام الاحباب فقال عثمان يا حبله افرحي أنا بقيت شاب تائباً خائفاً نائب لا لي ولا علي وخدمت الاشقر على مقام البرقمة وبقيت اخوه هاتي الغدا يا حبله هذا وقد أحضرت المائدة فأكلوا الاثنين وانشالت الاواني وغسلت الايادى وذكرت قامة النبي الهادى (يا سادة يا كرام) فقال عثمان قوم وروح الى بيت نجم الدين البندقدارى فقال له لأي شيء أنت لا تروح معي فقال له حتى اجمع مشاديدي وأقول لهم اني بقيت رجل تائب ولا بقيت اخطف شيء والذى يخطف شيء فهو له واقضي شغلي فقال له بيبرس وماهو شغلك قال بس اقول لهم اخطفوا وكلوا واشربوا على قدر حالكم واجمع المشاديد واعلمهم بما جرى علي من هذا الامر الشديد واقول لهم كلوا واشربوا واخطفوا على قدر حالكم واحكى لهم قصتى واكشف لهم نوبتي وافوض امرهم الى اتقسهم واقول لهم كلما خطفتوه فهو لكم ولا احد فيه يشاركم لاني الآن بقيت رجل خائف تائب عائب دائب فاذا انا فعلت ذلك اعود اليك قال فلما سمع الامير بيبرس كلامه تعجب وزاد به الابتسام وقال له يا عثمان من شروط التوبة النصح للملك العلام فان كنت يا عثمان تسمع من قولي وتركن الى عملى وفعلى فاحفظ توبتك وارفع الى الله تعالى قصتك وقضيتك عسى الله ان يتوب عليك ويقبلك وان رجعت عن المتاب فاعلم ان الله شديد العقاب وانه يصب عليك العذاب كما اخبر الله تعالى فى القرآن المجيد على لسان سيد بنى عدنان صاحب الفخر والارشاد قوله تعالى (ان ربك لبالمرصاد) ثم ان بيبرس لم يزل يحذر عثمان ويوعظه بشيء من القرآن ويشير له من احاديث سيد الانام ويوعظه ويظهر له البيان ويزجره بكل ما قدر عليه من الكلام ويخوفه من عتاب الملك المنان الذي لا يشغله شان عن شان حتى لان ثم ان بيبرس جعل يقول له هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

الا يا اخى فاسمع كلامى وكف نفسك عن الحرام
وثق الله فى كل وقت واحفظ لسانك لا تنام
فان خفت ربك نلت مجدا وعزا ورفعة واعلى مقام
واعطاك ربك دار خلد واسكنك ربك دار السلام
ويرحمك الله مع كل محب ويحشرك مع زمرة الاسلام
وان لم ترجع عن ذي المعاصى وتترك الحرام والآثام
والا غرقت في وسط بحر من النيران زائدة الاضطرام
تقع الامعاء منك حقا وتقطع الاكباد مع العظام
فالدنيا دار لكل فاني والآخرة خير لكل الانام
وهو مرغوبي وغايه مرادي فنعم الدار خير المقام
وكل من على وجه الارض يفنى ويزول الصباح مع الظلام
فارجع يا اخي عن ظلم النفس وكن يا أخى راجيا مستهام
فطوبي لمن تاب لله حقا وياشقاوة من عاد الى الخصام
فما الدوام قط لغير ربي هو الكفيل بكل الانام
رازق العباد كريم العطايا صاحب الاحسان والانعام

(قال الراوي) فلما فرغ الامير بيبرس من شعره وما قاله من نظمه ونثره تعجب عتمان منه ومن فصاحة لفظه ودخل عقله فقال له عتمان لقد سمعت كلامك واعجبني نثرك ونظامك فانزل الى حالك واتركني حتى اقصى ماقلت لك فقال له ياعتمان انا متوكل على رب العالمين وسائر الى بيت الوزير نجم الدين وانت الى اين قاصد وعلى انت وارد فقال له الي مغاير الزغلية وتلك الرسوم الخالية واجمع مشاديدى وأقول لهم بما جرى لي بالكلية واطلعهم على تلك القضية فقال له ياعتما تب الي الملك الرحمن وتوبهم عن الاذية ولا تدعهم يأذوا أحد من البرية فقال له

عثمان بعد أن ضحك عليه أتوبهم لاجل أن يموتوا من الجوع ويصير أشجع ما فيهم مفجوع وهذه الصناعة يأكلون منها ولا لهم سواها فقال لهم سر بهم الى عندى ودعهم يخدموني ويخدموك وأنا اكفيهم من المال الذي أعطاني ربى فقال له عثمان وانت عندك خير كثير حتى أقدم اليك بهذا العشرة فقال لا ولكن يا عثمان كل انسان برزقه ويوجد له من خلقه ولعل الله أن يوجد الخير على قدومهم ويزيد ربنا في رزقي ورزقهم فقال له عثمان والله يا أشقر لقد صدقت فيما به نطقت ولكن سر أنت الى بيتك وانتظرني حتى اذهب اليهم وأتوبهم وأعود اليك بهم فعند ذلك سلم عليه بيبرس ونزل من المكان وركب جواده وسار طالب الاوطان فهذا ما كان من الامير بيبرس (قال الراوى) وأما ما كان من أمر عثمان فانه بعد نزول الامير من عنده قوي حيله وأظهر جلده ونزل من عند أمه غذية وسار طالب مغارة الزغلية ولم يزل سائر والخلق تخشاه ويهربون من قدامه كل من رآه حتى أنه أشرف على المغائر وهو يسبح الله الملك القادر القاهر هذا وقد نظروه غلمانه ومشاديده فتلقوه وقبلوا يديه وبالسلامة هنوه وعن أحواله سألوه فأخبرهم بما جرى له والامر الذي ناله وقص عليهم القصة من أولها الى آخرها وكشف لهم عن ظاهرها وباطنها ثم انه قال لهم الآن أريد منكم انكم تكونون مثلي وتفعلون كفعلي وتتوبوا الي الله وترجعوا عن أذية الخلق وتخدموا عند الاشقر الذي أعطاه الله القوة والمنظر وأنا أسأل الله أن يتوب عليكم كما علي قد تاب لانه كريم حليم تواب فقالوا له انت سيدنا وأميرنا ونحن في طوعك وأنت كبيرنا فلو أمرتنا أن نخوض البحار لخضناها ولو وقدت لنا النار لدخلناها فأفعل بنا كما تشتهى وتريد ونحن لك أطوع من العبيد فمنك الامر ومنا الاجابة وعن قولك قط لا نحيد فلما سمع عثمان منهم ذلك الكلام انسر به وهام وقد فتح الله على قلوبهم وعليهم قد تاب وغفر لهم فعند ذلك أخذهم

الاسطى عثمان وسار بهم الى رحاب السيدة صاحبة المقام المبرقعة بالانوار وأمرهم بالوضوء فتوضؤا وعلمهم كيف انهم يصلوا وقد فعل بهم كما فعل به الامير بيبرس وزال عنهم التعس والنكس وخرج بهم بعد ذلك من المقام وسار بهم الى نحو بيت الامير الهمام فلما صاروا فى وسط الطريق أذن عليهم الظهر بالتحقيق فقال لهم الاسطى عثمان اننا نريد أن نصلي الظهر مع الاخوان وهو حاضر قبل أن يفوتنا وقته ويغيب فنحن نصليه من قريب فقالوا له افعل ما تريد فتقدم عثمان الى رجل فخار وقال له ياشيخ اعطيني واحد وثمانين ابريقا يكونون قد بعضهم ولا تزيد واحد منهم على أمثاله فقال له سمعاً وطاعة يا أسطى عثمان وناوله الاباريق وهو خائف فزعان فأعطى لكل رجل من رجاله ابريق فأخذوهم في الحال من غير تعويق هذا والرجل الفخار قد لعبت ركبتاه وتفصلت منه يداه ورجلاه وقد لاحت من وجهه عيناه وعثمان يعلم منه ذلك ولا يعني عليه حتى كاد الرجل من شدة خوفه من عثمان أن يغشى عليه فقال له عثمان كم يكون حق هؤلاء الاباريق فقال له الرجل سر فقد سلك الله لك الطريق وكفاك شر المضيق واعلم أن ثمنهم وصل من قبل أن تأتى وتمر علي فقال له اعلم يا شيخ انني تبت عن ذلك الفعال التي كنت أفعلها ولا بقيت أفعل مثل الامور التي كنت وغيرك تعهدها مني ثم أن عثمان بعد ذلك أخرج دينار من الذهب وناوله اياه فأخذه لما سمع كلامه وفهم معناه ثم ان عثمان انتقل الى رجل آخر عطار عنده السلب فأخذ منه لكل ابريق حبلا من الليف الاحمر قدر ذراعين أو اكثر وأمرهم أن يربطوا ذلك الاباريق بالحبال ففعلوا ذلك فى الحال ثم دنا من السهريج فأمرهم أن يملؤا الاباريق فملؤها وقال اذا وجب علينا الوقت نصليه حاضر فى الاسطبل ولا نتعب أرواحنا في كل محل فقالوا له لقد قلت الصواب وأتيت بأمر لا يعاب ثم انهم حملوا الاباريق تحت أباطهم وعلقوا حبالهم فى أعناقهم فصاروا كأنهم فقراء من أرباب الطريق

وأهل التحقيق هــذا والناس قد نظروهم وحاروا من أمورهم وتعجبوا من حالهم وهم يشيرون اليهم ولم أحــد يقدر على التكلم بل انهم يسررون بعضهم ويقولون هــذا عثمان بن الحبله الذي أنزل على الناس البلا والمحنة وحق من خلق الخلق وبسط الرزق ورزق اليسير وهو الـكريم المقتدر ماهذه الاباريق الا مليانين خمراً حقيق وهذا قد جعله على سبيل الهزل بأهل الطريق وماهو الا زنديق ولا يعلموا بأنه قد تاب ورجع عن اللوم والعتاب وكذلك كل من له من الجند والاحباب والغلمان والاصحاب ولم يعلموا بأنهم خدموا الامير والسيد الخطير (يا سادة) وقد اطلع الله الاسطى عثمان على أسرارهم وعلم بما في قلوبهم وما ظنوه من ظنهم فأقبل عثمان الى الرجل المتكلم الذي هو بالله قد أقسم وسلم عليه فرد عليه السلام وقد صارت الدنيا فى وجهه ظلام وأخرج العمامة من فوق رأسه وناولها الى عثمان وهو منزعج الحواس فقال له عثمان اعلم يا هذا ان ربي كريم يغفر كل ذنب عظيم ولـكن أنا تبت عن هذا الامر الذميم وفعلت فعل رجل كريم فالبس عمامتك واصغى الى قولي بكليتك فلبس الرجل العمامة على رأسه وقد ظن أن عثمان يهد منه أساسه فقال له امسك هذا الابريق فمسكه الرجل من غير تعويق فقال له عثمان اشرب منه على قدر الاطاقه فقال ولماذلك يا أسطى فقال له بعد أن تشرب أخبرك والا ضربت بالرزه رأسك وأسكنك رمسك فعندها أخذ الرجل الابريق وشرب منه على قدر مايطيق وأنزله من على فمه وناوله اليه فأخذه وقال له هذا ماء عذب صافي التذويق أم هو خمر عتيق فقال له بل هو ماء وحق من خلق السماء فقال له اعـلم انى ما فعلت معك هذا الفعال الا لاجل أن ترجع عن الايمان والاقسام الباطلة بالملك العلام فقال له لك عليّ ذلك ثم أن عثمان تركه بعد أن أشرف على التلف من شـدة خوفه على مهلكه وسـار عثمان هو ومشـاديده حتى انهـم دخلوا الى بيت الوزير نجم الدين البندقداري فرآهم بيبرس من المقعد وهم بذلك الاباريق

فتعجب غاية العجب ولم يعلم مالهذا الامر من سبب ثم انه نادى بعتمان فأجابه بالتلبية فقال له احضر الى عندي أنت ومن معك من مشاديدك فأحذهم عتمان وطلع بهم الى عنده فى الايوان وقال لهم بوسوا يد الامير فتقدموا وسلموا ودعوا وخدموا وباسوا يده فقال الامير ياعتمان ماهذه الاشياء والاباريق التى أنتم تحملونها وما فيها فقال قد جعلناهم لاجل الوضوء وقد مليناهم من السهريج حتى اذا جاء وقت من اوقات الصلاة يكون عندنا الماء حاضر فلما سمع الامير بيبرس من عتمان ذلك الكلام تعجب وقال له ياعتمان اعلم ان هذا الماء مكروه في الوضوء لانه مسبل للشرب وقد جعله صاحبه سبيلا لمن كان عطشان ولا يجوز الوضوء به الا باذن من صاحبه والا فالوضوء جايز مع الكراهة وان الماء بعد ذلك كثير فقال له عتمان واذا وجبت الصلاة فى أي مكان يتوضؤا فقال له الامير بيبرس اتركوا هؤلاء الاباريق فى الاسطبل واستريحوا من حملهم بذلك الحبال واذا جاء وقت الصلاة فعندكم الحنفية وهو الحوض الكبير الذى بجانب البئر وعليه خمسة عشر بزبوز فتوضؤا منه والسلام فقال الاسطي عتمان سمعاً وطاعة ونحن نفعل ذلك من تلك الساعة فقال الامير بيبرس الذى اعلمكم به انى رجل لا أريد أذية احد من الناس وانتم كنتم قبل هذا الآن تفعلوا فعل الارجاس والآن رجعتم على ما كنتم عليه فلا تظلموا احد من البياعين ولا من المتسببين وعليكم بالحق والانصاف واتركوا الجور والاسراف وانا اعطيكم كلما تطلبوه من الاموال ورزقى ورزقكم على ذى الجلال ثم انه اعطى لكل واحد منهم خمسين دينار واعطي لكل واحد ثمن بدله يلبسها كما يختار وقال لهم اعلموا ان هذه الدراهم لاجل المصروف الخارج عن المصالح اللازمات من مأكول ومشروب ومحليات وانما هى لكم تنفقوها فى الاسواق في فاكهة ومثل هذا الاتفاق واما الآخرين فكل واحد يشتري بدلة يلبسها واذا نفدت هذه الدراهم بأجمعها اطلبوا غيرها من الاسطى عثمان وعتمان يأخذ منى

مايشاء ويختار لانى أعلم أن الحياء يمنعكم منى فافهموا ماذكرته لكم ولا تتركوه واحتفطوا عليه فى عقولكم ولا تنسوه لانكم تعرفوا عزمى وهمتى ولا تتفكروا شيئاً من براعتى ولا تظنوا أن كبيركم يحميكم فان بلغنى خبر بأنكم ظلمتم أحد من الناس اذقت كل من فعل ذلك العذاب وأورثته الوسواس لانى تكلفت لكم بكل ماتحبون من مونة وكسوة وغير ذلك فلا تعرضوا أرواحكم الى الهلاك فقالوا له بعد قبلوا يده ياأميرنا رضينا بهذه الشروط ثم أنهم نزلوا الى الاصطبل فتلقاهم عقيرب وفرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقبل يدى الاسطى عثمان فقال له اصلح شأن الاصطبل فاجابه بالسمع والطاعة وقد نهضوا وأصلحوا شأنه وكنسوا ووضعوا الاسرة والفراش من فوقها فى صدر الاصطبل فجلس عثمان وقد وقفت فى خدمته الثمانين جماعته والثمانين الاخرى الذى لعقيرب ومازال على ذلك الحال الى أن جاء وقت العصر فسمع عثمان الاذان فقال الصلاة ياجدعان فعندها تجاروا الجميع وتوضوا وفى أولهم عثمان من الحنفيات فقال عثمان ياعقيرب انت اعمل مبلغ وانا أعمل لكم أمام فقال عقيرب هذا هو الصواب وقد صفهم عثمان صفوف وجعل كل صف منهم عشرة واوقف عقيرب وراءهم وتقدم هو أمامهم هذا كله يجرى والامير بيبرس يسمع ويرى فلما رآهم على ذلك الحال أخذ المماليك الذين له ونزل اليهم وقد قصد الفرجة عليهم فتقدم عتمان وقال نويت أصلى فرض صلاة العصر أربعة ركعات أنا وهؤلاء السياس الثمانين متاعى والثمانين متاع عقيرب الله اكبر فعند ذلك نووا الجميع وراه فى الحال وقد قالوا مثل ماقال ثم أن عثمان قرأ نصف الفاتحة والتفت الى الجدعان وقال لهم خلوا كتافكم جنب بعض لايتأخر أحد منكم عن صاحبه وعاد يكمل النصف الاخر من الفاتحة هذا والامير بيبرس لم يقدر أن يتكلم بما به من الضحك على عثمان وجماعته ثم انه قال ياعثمان بطلت صلاتكم لأن الكلام يبطل الصلاة وان الصلاة لها اركان معدوده

فان بطل ركن واحد بطلت الصلاة فقال عتمان الكلام حرام قال له نعم يحرم الكلام فى الصلاة ويبطلها فانوي ثانى مرة فقال عتمان الصلاة الاولى ما نفعت قال نعم فقال عتمان نويت اصلى العصر أربع ركعات وانا الامام وعقيرب المبلغ يدور طريقين الله اكبر فضحك الامير بيبرس عليه ومد يده اليه يعني ارجع للنية فرجع عتمان ثالث مره وقال نويب الصلاة بالسياس الله اكبر فاشار الامير اليه فعند ذلك اغتاظ عتمان وقال له خش يدق في بيضك ولا يرخيك حتى تطلع روحك ان هذه صلاتنا وعلى قدر ما نعرف نقرأ وما نصلى الا كما نعرف ثم قرأ شيئا من الفاتحة وقال الله اكبر وحنى القوس وأخرج رأسه من بين رجليه وقال ياعقيرب اجعل رجلك جنب رجل رفيقك فقال بيبرس هذه عوض التسبيح ثم انه قال ياعتمان ان هذه الصلاة باطلة فقال عتمان ولاي شيء قال لانك خرجت من الصلاة وتكلمت بكلام اهل الدنيا فقال عتمان انا تكلمت من تحت والتحريج من فوق قال له بيبرس يااخى الكلام مبطل ان كان من تحت أو من فوق فقال عتمان اعلم اننا من أولاد أبو شافع وانت من أولاد أبو حنيفة فانت بنية ونحن بنية والبيوت ما هى مثل بعضها فقال له الامير افعل ما تريد فصلي عتمان على هـذا الترتيب وصلت وراه اتباعه واتباع عقيرب ولما فرغ من هذا الصلاة اخرج السبحة وقد أخذها من يد سيده وجلس علي سريره وجعل يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بهـذه الصلوات والرجال يسمعون منه ويقولون مثله وهـو يقول اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد الخيول الشهب اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول البلق اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عد الخيول الدهم اللهم صل علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول الحمر اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول الشقر اللهم صل على سيذنا محمد وعلي آله وصحبه عدد الخيول العرج اللهم صل

على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد الخيول العمي اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الركابات وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد اللجامات وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الشكلات وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد الكحيلات اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الاوتاد اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الاكاديش اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد الجدعان وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد الحمير والجمال والخيول كلها والبغال والبقر والاغنام والطير والوحش والهوام وما فيهم من الشعور والاوبار وعدد مايخطوا بها أرجلهم من ابتداء الدنيا الى يوم الميعاد وعلى آله وصحبه وسلم قال الراوي ولما فرغ عثمان من الصلاة على سيد ولد عدنان قال له الامير بيبرس ياعثمان نعم الصلاة علي سيدنا محمد بأي صفة مقبولة ليست مردودة وتصح الصلاة عليه بكل ما كنت تقدر عليه ولكن تعطيها لقدره عليه الصلاة والسلام فينبغى ان يقال عدد الاشجار والامطار والبحار والبرار ولا تقول الخيول الدهم والزرق وغير ذلك مما قلته من المقال فقال له عثمان نحن صلاتنا هذا وليس لك بنا حاجة قال ثم ان عثمان جلس في مكانه وطلع بيبرس الى ديوانه وصلى وراء الامام الذي الوزير نجم الدين البندقداري (ياساده) ياكرام ولما فرغ الامير من الصلات وجلس أمر باحضار الطباخ فلما حضر قال له مرادي انك توسع المطبخ بالخشن والضان ولم تجعل لى مطبخا بمفردي وعلى رأسي وتعمل فيه برسمي لاجل رجالى وكل ما كان تحت يدي وكل ما كنت تحتاج اليه من اللوازم انا اعطيك اياها ولا تسئل أحد غيرى فى معناه فقال له ياسيدي على الرأس والعين وجميع مافعلته فهو حسن لاشين وأنا أسأل الله تعالى ان يعلى قدرك والى أعلا المناصب

يرفعك ففرح الامير بدعاه وأحرج شيء من المال واعطاه وشكر فماله ونزل بعد ذلك الى حاله وجعل يشتغل بما به أمره وقد باتوا تلك الليلة على أتم حظ وأكمل راحة وقد آمنوعلى انفسهم من التعب والراحة ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم ينوره ولاح نزل الامير بيبرس وصلى صلاة الافتتاح وا كل ماراج من الطعام وصاح بعتمان فاقبل اليه وخلفه الغلمان وهما الطائفتان وقبلوا يد الاميروو قفوا ينتظرون مايأمرهم به من الامور فقال ياعتمان أنا قاصد دكان أخي كريم الدين فقال عتمل أنت تعرفه يا أمير فقال له هو أخي في عهد الله تعالى وأبوه ابي وأمه أمي على مايرضى رب العالمين وانت يا عتمان تعرفه قال انا أعرفه من قبلك بعدة ايام لانى نبطته وأخذت منه الثلاثة عمايم الكبار فقال بيبرس وقد تبسم لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياعتمان اني لم أرى احد سلم من شرك وجزاك على مولاك ولكن من الآن يامشقى ان فعلت شيء مايكون خصمك الا هذا اللت الدمشقي فقال عتمان خيب الله من دمشقه ثم بعدذلك خرج بيبرس من البيت وركب وسار الى الدكان والاوسطى عتمان خلفه والغلمان وكان البرنس على رأسه وقد سار يقرط على أضراسه فلما أقبل الامير الي دكان كريم الدين نهض له وتلقاه وقبل يداه وأجلسه وأكرم مثواه وكذلك أولاد الحارة قد أتوا وسلموا وجلسوا وبعد أن استقر بهم الجلوس التفتوا الى الامير بيبرس وقالوا له انت احرمتنا من أنسك أيها الامير لانك من مدة مالبست المصبغات وشقيت وأنت قد امتنعت عنا بالكليه وقد غيبتك عنا خدمة مولانا السلطان وهذا يا أخي ماهو من شروط محبة الاخوان ولا مرافقة الخلان لانه قد قال الشاعر

مالأخ الامن وافاك حرجا ورما عهد ودك فى الرخاء
وأعانك فى كل صعب وأنذل المجهود حقا والعطاء
وأعطاك من ماله كل ماترومه وان وقعت كان لك الفداء

فهو الاخ الصديق حقـا فلا تكف عنه فى الاشياء
وما دون ذلك فاجتنبـه فانه والله ليس له وفاء
فكن صديقاً لـكل محب وكن بعيداً عن صحبة الاشقياء

(قال الراوي) فلما فرغ المتكلم من هذه الابيات قال له الامير بيبرس اعلم ياأخى اني كنت مشغول فى أمر من الامور وقد تيسر لى باذن الملك الغفور وحصلت فى ذلك امداد السيدة نفيسة العلم صاحبة العطا والجود والحلم فببركتها بلغت المقصود وقـد نلت غاية المطلوب من الرب المعبود فقال له الشيخ يحي الشماع ياولدى من مدة ثلاثة أيام ماراًيناك اعيانا ياصاحب الاحترام فأين كنت ياولدي وما سبب هذه الغيبة فقال ياأبي كنت ادور لى على خدام حتى يكون لى راحة من شدة الوحدة والايام ويساعدني على ركوب الخيل وخدمة الحصان فقال له الشيخ يحي ياولدى جملك الله فى الامان وهـل رأيت لك خدام قال نعم قد استخدمت رجلا ابن حلال فقال له الشيخ يحيي من يكون هذا الرجل وما اسمه بين الرجال اخبرنى بحقيقة الحال حتى اني اوصيه عليك واخليه يحفظ مقامك ويرعى زمامك ويقبل يديك فقال له ياسيدى هو رجل اتيت به الى عندي يقال له ابن الحبله عثمان وحق صاحب الامتنان ثم انه حدثه بالقصة التى جرت له مع الاسـطى عثمان من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها (قال الديناري) ولما سمع الشيخ يحيي بذكر عثمان غاب عن الدنيا ونسى الاوطان واسودت الدنيا بـين عينيه ولا بقى يعرف مابين يديه ثم ان الشيخ من شدة خوفه من عثمان لم يفهم من الامير ماذكره له من البرهان بل انه اخذ العمامة من على رأسه وارماها داخل الدكان وقد بهت الامير من فعاله وما نزل عليه من الهوان وقد جلس الشيخ وهو منزوع الرأس منزعج الحواس وقد سكت عن الـكلام وزاد به الوسواس والانذهال من شـدة ما سـمع من الاقوال فزاد بالامير العجب من ذلك الحـال وقال له

ياسيدى لاى شيء فعلت هذه الفعال ورميت العمامة الى داخل الدكان فقال له
ياولدي لاتسألني عن فعالي التي فعلتها فوحق رأسك ماعندي عمامة غيرها وان هو أتى
وأخذها يتكدر عيشى من اجلها لاني ياولدي من العلوم ومالي فى دار الدنيا سوى
ماعلى بدني من الهدوم وهذا ياولدي رجل قبيح لايهدى عن الاذية ولا يستريح لانه
اخذمني مثلها ثلاثة عمايم كبار قبلها وان هو مني طلبها الا اقدر منعها واقعد بعد ذلك
بحسرتها فقال له ياابي لاتخاف ولا يأخذك لاجل ذلك ارتجاف فوحق صاحب الالطاف
ان عتمان قد تاب عن الجور والاسراف وقد توبته عن الافعال الذميمة على مقام
السيدة نفيسة الجليلة الكريمة فالبس عمامتك على رأسك وهدئ روعك وسرك
ويأتيك بكل ما آخذه منك لاجل انك تصالحه وعما فعل في حقك تسامحه ويصالحك
وتصالحه ثم ان الامير قص عليه القصة ثانيا بعد ان هدىء روعه وقل عنه هوله
وقد قال الشيخ ياولدى اذا كان الامر كما ذكرت والحال على ماوصفت فخليك
الي جنبي مقيم لاني أخاف من رؤيته خوفا شديدا ماعليه من مزيد فقال له الامير
ياوالدى لاتخاف أبدا فروحي لك الفدا من كل سوء وردى فلما سمع الشيخ يحي
لبس عمامته واعتدل فى قعدته وهدا روعه وسريرته وجلس يتحدث مع الامير
بيبرس فهذا ما كان من نوبته واما ماكان من اولاد الحسينية فانهم حاروا مما
سمعوا وقد هالهم ذلك وقد علموا ان ما بقى لهم مقام مع الامير بيبرس مادام انه خدم
عتمان فاظهروا الجلد واخفوا الكمد واصطبحوا علي حسب العادة وسلموا على
الامير بيبرس وراحوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان منهم (قال الراوى) واما كان
من عتمان فأنه سار خلف الامير بيبرس وعلى رأسه الملاية وقد وقف
بعيد من الدكان وجعل ينتظر خروج أولاد الحسينية ومعه الجدعان
وقد اوقف عقيرب الى الجهة الاخري وذلك خوفا ان ينفلت منهم انسان
فبينما هو كذلك واذا برجل مقبل عليه وقد كان معهم فى الدكان فلما

وصل الى عثمان كشف الملاية عن رأسه ورقص له شواربه واحدق نحوه بالاعيان فانزعج الرجل وأخذه الانذهال من ذاك الحال فاشار اليه عثمان بيده فأقبل اليه وقد قلع عمامته من علي رأسه بيده واني بها اليه فقال له عثمان أنا تبت فقال له الرجل خذ هذه وبعدها تب واتركني امضي ألى حالى فقال له عثمان امض من هاهنا ال الدكان وقل للشيخ كريم الدين ان رجل واقف خلف الدكان يريد ان يكامك لاجل شيء عرض له من الاحكام فلا تتوانى عنه بل اجبه في عاجل الحال فقال له سمعا وطاعة فقال عثمان سر اليه ولا تذكراليه أنه انا ولا تهل عليه فسار الرجل وهو يتعثر فى اذياله ولا تسأل على ما جرى له لان خراه نزل فى سرواله لما اصابه من الخوف من عثمان وافعاله فكركب بطنه عليه وقد انفرطت عروق مخرجه فاذا سأل عن روحه مما جري عليه ثم ان الرجل عاد الى الدكان وهو علي ما ذكرنا من الامروالشان وقال يا كريم الدين اجب رجل يدعوك اليه فى شيء قد عرض له وهو يريديسألك عليه ولا تتوانى لانه فى انتظارك يريد ان يأخذ خطابك وجوابك فقال سمعا مطاعة ثم انه خرج معه الى ان اقبل به الى عثمان فلما تحققه زاد به الهيمان ونزل عليه الخذلان وارتعب منه القلب واليدان فقال أنا فى عرضك يا اسطى عثمان فقال له عثمان لا تخاف فانني تبت عن الاذى والبهتان وقدخدمت عندالامير بيبرس من أمس فقال له يا سيدى قد بلغنا ذلك والله تعالى يجعله عليكم عاما مباركا لانك بقيت أخينا فالله يعطيك كل ما تتمناه فقال له عثمان انى اريد أن أسألك عن شيء واحد فاصدقنى فيه بحق الملك الماجد وسرها فى مقامها أن تخبرني على ما أسألك عنه والا أنبطك بهذه الرزة فقال له قل ما شئت وأنا أخبرك عن كل مارمت فقال له أولاد الحارة يأكلون من عندك حلاوة ويشربون عرقسوس ولم ار واحد منهم يعطيك شيء من الفلوس هل ترى لك عليهم ماهية أم يعطوك حقك بالشهرية فقل لى على الصحيح من قبل أن نجعلك طريح فقال له اعلم يا

اسطى عثمان ان لهم أربعة أشهر تمـام وهم يأتوا الي الدكان ويأ كلوا ويشربو على سيدك الامير بيبرس وحق الملك المنان قال فلمـا سمع عثمان ذلك الـكلام قال له امض أنت الى دكانك ولا تبدي شيء للامير فى سؤالك فاجاب بالسمع والطاعة وعاد الي مكانه من تلك السـاعة ولا يبدى لاحد خطاب ولا يتكلم بشيء من الاسباب فهذا ما كان منه

قال الراوى وأما ما كان من عثمان فانه وقف في مفارق الطريق وارتصد أولاد الحسـينية فى المضيق فبينما هو واقفا لهم واذا بهم مدا قبلوا عليـه ولا يعلمون بذلك فلما رآهم رفع الغطا وأقبل عليهم مثل القضـا وطرق رزته وزاد فى جرته وقال هذا الموال

البين قال لي ايش اسمك قلت له غالب والنفس مالت لعمرك والحب غالب
والجميل قالي ايش مرادك قلت له طالب وصالك أسوق عليك على بن ابى طالب

قال ولما فرغ عثمان من مواله وشاهدوه أولاد الحسـينية وقد رأوا ما صنع من أعماله حارت منهم الافـكار وزاغت منهم الابصار وتمنوا ان الارض تبلعهم وبهم تغار ولا يقفوا بين أيادي هذا الجبار وكانت أرجلهم فى الارض قد تسـمرت وقلوبهم من الخوف ارتجفت ومفاصـلهم قد تخلخلت ولا بقوا يدرون من أين أتوا ولا من أين يذهبوا فقال لهم عثمان اسمعوا مقالى وأنتم تعرفون فعالى هل عندكم خـبر خدمت أنا عند من قالوا له لا نعـلم بشيء من ذلك يا اسطى قال عند الامير بيبرس أغاة الوشاقية وقد بلغنى أنكم فى عشرته من مدة أربعة أشهر وأنتم تأ كلون حلاوة وتشربون عرقسوس ولا تحاسبوا على اثمان البضاعة ولا تدفعوا فلوس وان الرجل قد جعلني وكيلا حتى أخلص له ثمن البضاعة ولا ينكسر فيهـا بالاضاعة فقالوا له يا اسطى انه كان يعطينـا كلنا وحقه على سـيدك وهو يوصيه علينا فقال عثمان هل كان قريبكم أو ابن عمـكم حتي يطعمـكم ويسـقيكم ولا يأخـذ منـكم بل يعطيـكم ولـكن

حاسبوني والا انبطكم بالرزة وتفقدكم الاحبة والاعزة فقالوا له الحساب ظاهر كل واحد منا عليه مائة وعشرين جديد قال وأنا رضيت بهذا الكلام السديد فقالوا له ان الذي معنا نعطوه اليك والذي يبقي علينا تصبر علينا ونحن ندفعه لك فقال عتمان أنا مرادى أعجل ولا اصبر على أحد منكم ولا أمهل هذا وقد أخرجوا ما معهم من الجدد وسلموه لعتمان فاخذها وقال لهم وأين الباقى فقالو له ما معنا خلاف ما أعطيناك فقال عتمان عمائمكم تسد في الذي عليكم وحوائجكم فقالوا له خذ هذا الطربوش قال عتمان بقرش وهذا الشال قال بقرش وهذه العمامة قال بقرش وهذا اللباس قال بقرش والبلغة بقرش وكان عتمان عنده القرش والجديد حسابهم واحد لا يزيد ولا ينقص ولم يزل يفعل بهم تلك الفعال حتى تركهم مثل ما نزلوا من بطون امهاتهم فوقفوا الجميع الى جانب بعضهم وحاروا مما عاينوا وضاقت عليهم الارض وحلف كل واحد منهم ان لا بقي يقرب ذلك الدكان ولا يعاشر بيبرس لا ليلا ولا نهارا مادام عتمان على ذلك الشان هذا وقد صاروا يسترون عوراتهم بايديهم فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عتمان فانه جمع الحوائج وجعلهم عقدة كبيرة واقبل الى جانب الدكان ووضعهم فى الارض وجلس عليهم وترك اصحابهم فهذا ما كان منه واما ما كان من أولاد الحسينية فانهم ما هان عليهم تلك الفعال وخافوا ان يسيروا الى اماكنهم على تلك الحالة وقد أخذهم الانذهال فقالوا العقلاء منهم نمضى ونعلم بيبرس لعل أن يزول عنا ما نزل بنا من التعس والنكس فقالوا لهم الآخرين ان عتمان هناك وان رآنا يورثنا الهلاك فقالوا لهم لا بد لنا من ذلك ولا تشمت فينا العدا اذا رأونا على تلك الحالة ثم انهم ساروا باجمعهم حتى انهم وقفوا قدام الدكان وكان الامير بيبرس لا يعلم بشيء من ذلك الايقاع لانه كان ملتهى مع كريم الدين والشيخ يحيي الشماع فلما وقفوا قدام الدكان وقد نظرهم الامير بيبرس على ذلك الشان تغير لونه واضطرب كونه وقال لهم ما حالكم

وما الذي جرى عليكم ومن اخذ متاعكم وجعلكم عبرة لمن يراكم فقال واحد منهم يا مولاى إني ارسلت عمامى الى البيت لاجل ان يغسلوها لانها قد نزل عليها نجاسة وقال الآخر وأنا ارسلت الخضرة واللحم في المدوم والعمامة وقال الآخر أنا جبتي فيها مواضع وقد اعطيتها لرجل لصانع بخيط ما فيها من الفتوق والقواطع فقال الآخر اما أنا فكانت ملابسى كلها حمرة فاخذتهم الحداية وطارت بهم ولا أدري في أى مكان تركتهم فقال الامير وأين شالك الذي كان على اكتافك فقال ا كله الفار وهو على تلك الصفة فأخذته وسلمته الى رجل رفا حتى انه يرفيه ويصلح العيوب التى ظهرت فيه وصار الامير كلما سأل واحد منهم على متاعه ولباسه يحدثه بهذا الكلام الهذيان خوفا وفزعا من عثمان لانه كان يسمع قولهم وينظر اليهم وهو يضحك عليهم ولا يبدي كلام ولا ينطق بشفة ولا بلسان (يا سادة) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام قال لهم يا ناس هذا كله ما دخل عقلى ولا تصور في فكري فعليكم بالصدق والصحيح فلا تخافوا ولا تفزعوا فقال واحد منهم يا مولاى أنت لبيب وتفهم المعانى من قريب وانا أقول لك عن تلك الاشارة فكن فاهما لها باحسن عبارة فالذى جرى علينا من بعض اتباعك ويا ليتنا ما عرفناك ولا اجتمعنا بك فما نابنا من المعرفة الا ما رأيته أنت مما نحن فيه من الصفة فقال لهم الامير ومن هو الذي فعل بكم هذا الفعل واورثكم هذا الوبال فقال رجل منهم وهو يشير باصبعه الى عثمان ولا يقدر ان يتكلم بكلمة واحدة بلسان لا اله الا الله واحد احد فرد صمد لا له شريك ولا رفيق ولا ولد فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وخرج الى خارج الدكان فرأى الاسطى عثمان وهو جالس على الحوائج كأنه سلطان فتقدم الي عنده وقد قال له وقام على الاقدام ونظر الامير الى ما معه من الحوايج والامتعة فقال له ما هذا الشان وما الذي

معك ياعثمان فقال له ما معى الا هدوم هؤلاء العرصات الذين يأتون اليك في كل الاوقات فقال له وقد تعجب انت نقضت التوبة ياعثمان قال لا وحق الملك الديان ولكن أنا أخذتهم ببيع وشرى من غير ظلم ولا افترى واسألهم بما جري يخبروك عنه فالتفت الامير اليهم وعن ذلك سألهم وقد أمنهم على انفسهم فأخبروه بالقصة من أولها الى آخرها وكشفوا له عن باطنها وظاهرها فقال لعثمان ويلك ولاى شىء فعلت هذا الفعال القباح فقال عثمان اقعد وحده يامشكاح أماتعلم ان هؤلاء أولاد مصر مامنهم الا له صناعة يعمل فيها بقوته وقوت عياله فلما رؤوك تركوها وبصحبتك بدلوها وقد صار لهم اربعة أشهر بطالين ومعك لاهيين ولاعبين فان أنت أقمت على هذا الحال أحذوك وأكلوا مامعك من المال واذا نفد ماعندك من المتاع وتركوك ومامنهم من يعرف لك ارتفاع وربما ان الناس يقولون قد حل قدم عثمان عليه ثم انه نفذ كل ماكان من الامتعة والاموال الذى كانت بين يديه فعند ذلك عرف الامير ان عثمان خائف عليه فقال له يا أخي أعطيهم متاعهم لاجل خاطري ولا تقهرني ولا تعصى أمري فقال لهم عثمان خذوا حوائجكم والبسوها واذا كان من الغد اجمعوا انفسكم الي هذا المكان وبادروا اليه حكم ماكان لكم من الزمان فقال واحد منهم ان انت نظرتنى بعد هذا اضرب رقبتى وحلف آخر تسعين يمينا انهم فى الحسنية باجمعهم لا يقيموا ثم انصرفوا بعد ان أخذوا أمتعتهم وذهبوا الى حال سبيلهم فهذا ماكان من حديثهم (قال الدينارى) واما ماكان من امر الامير بيبرس فانه أخذ عثمان واقبل به الى الدكان وأمره ان يصافح الشيخ يحيى وولده وان يقبل يداه وقد اطمأن قلب الشيخ من جهته وأراد الامير بيبرس ان ينزل من الدكان واذا بالاغا الذي البسه آغة وشاقية مقبل عليه وقد قبل يده فقال الامير الى اين ماضى فقال أريد أن اشق أرض مصر فأوصاه الامير بالعدل والانصاف وعدم

الظلم والاسراف وأمره بالمسير الى شغله فهذا ماكان من امره وبعد ذلك سار الامير الى بيت الوزير نجم الدين وبات تلك الليلة الى الصباح ولبس بدلته وتقلد بآلته ونمشته وتوضي وقضى فريضته ونزل على سلم ركوبته فقدم له عثمان مركوبه فركب وسار وعثمان الى جانبه ولم يزل سائر حتى انه خرج من باب القرافة وسار طالب الخلوات فبينما بيبرس سائر على هـذه الحالات واذا بعثمان تعلق بلجام الجوادواعاقه عن المسير فقال له بيبرس ماهذا الفعل الخطير فقال له الى اين انت سائر من الجهات وما الذى تريد بطلوعك الى الخلوات فقال له الامير وقد تعجب ولاي شيء تسأل عن ذلك ياعثمان فقال له لا بد ان تخبرني عن هذا الامر والشأن والا لرجع عن خدمتك واعود الي ما كنت عليه لان الاقدمين قالوا فى الامثال سايس من غير جامكيه فاتحته معه وأنا أقول سبوح قدوس الخدمة ماهي بالدبوس لاني فهمت الضمير وعلمت انك انت تريد ان تعمل على حيلة وتصطادني الى الوزير ابو فرمه يقتلني وهو الذي سلطك على ودبر لك فى ذلك حتى بمكرك تحايلت على لانك مثل العقارب خاين العهود وفعالك مثل فعل النمرود قال فلما سمع الامير بيبرس ذلك تعجب منه وقال له من هو ابو فرمه الذي تذكره وتخشي بأسه وتنكره وقال له رفيق ابو قوطه فقال له الوزير والسطان فقال انا ماضى ياعثمان الى بيت أبي وزير الزمان قال عثمان اما تدري انه عدوي وانا عدوه لاني قد فعلت معه فعال تعجز عنها فحول الرجال وقتلت له في هذه البلدة سبعة ولات ولو وقع في يدي لسقيته كاس فناء وقد قطع على سبعة فرامات في سبع الجهات محل مايمسكوني ويقدرواعلى ويحرقوني ولا احد يطالب من فعل ذلك بدمي وبعد ذلك فانا ما امضى معك ابدا ولو سقيت كاس الردي

قال الراوى فلما سمع الامـير ذلك الـكلام علم ان الحق بيـد عثمان وانه فعـل مافعـله قط انسـان فقال له وقـد تعجب منـه ياعثـمان

لاتخاف ولا تكون فزعان وعليك الامان واعلم انى ماافرط فيك أبداً مادمت تشم نسيم الهوي وروحي دونك الفدا من كل الاهوال والردى وما لك الامايسر خاطرك ومع الوزير أريد أن اصالحك فقال عثمان أنا ادبر لك تدبير فان عملت به طاوعتك وفى مسيرك تبعتك وان كنت فيه تخالفنى خالفتك وتركت الخدمة وبعدت عنك فقال بيبرس قل ماتريد فقال اذا وصلت أنت الى هناك وطلعت الى الي الوزير واخبرته بالخبر والتدبير وذكرت له أنك خدمت عثمان فان رأيت منه الفرح والسرور والرضى والحبور فطل برأسك من المقعد أو من الشباك وقل لى وارميش فاذا سمعتك قلت ذلك علمت أنه على راضي غير غضبان وان رأيته عند سماع ذلك الاقوال زاد به الغيظ والانذهال طل لي من المقعد وقل لى شغا فأعرف أنا انه غضبان واحط يدى على رزقي واقطع بها دابر كل من كان عنده من الرجال حتى أخلى منهم الديار والاطلال وأنت أيضاً تحط يدك فى اللت وتقتل الوزير ومن كان عندك فى أعلى المكان من كبير وصغير وتملكوا البستان وبيوت الوزير بما فيها من الاموال والخير الكثير ولا تخاف من أحد من الانام وان عارضك ابو قوطه أقتله أنا والسلام ولا أحد يقدر علينا من الانام

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس من عثمان هذا المقال تعجب من قوة قلبه وظهر له عند ذلك منه عدم خوفه والانذهال وقال فى نفسه الرأي عندى أن اطاوعه على قدر عقله حتى انني آخذه واوصله ومع الوزير أصالحه ثم انه التفت اليه وقال له يا عثمان قد سمعت كلامك ورضيت بما ذكرت لى من مقالك فقال عثمان أنا لا اصدقك فى المقال ولا تسمح نفسي بالمسير الى ذلك الديار حتى انك تحلف لي بمقام السيدة المبرقعة بالانوار فقال له الامير وسر مقام السيدة المبرقعة بالانوار صاحبة الندهة والتذكار انى اخبرك ياعثمان بكل مادار بيننا من الكلام ولا أكتم عنك منه شيء فى

الاذهان فقال له عثمان سير يا أمير ولا تخساف من سلطان ولا من وزير قال ولم يزالوا سائرين الى أن اقبلوا الى البساتين وقد دخلوا الى مكان الاغا شاهين فنزل بيبرس من على جواده وطلع الي المقعد فقام له الوزير وتلقاه واجلسه الى جانبه واكرم مثواه وجعل يتحدث هو واياه فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) وأما عثمان فانه بعد أن صعد سيده الي المقعد التفت الى كبير السياس الذى هو للاغا شاهين وهو جالس على جهة اليمين وبين يديه الغلمان سامعين ولامره مطيعين فصاح عليه عثمان وقال له ياغلام وأشار بيده اليه وقد زاد تعجبه حيث انه أشار اليه من دون الحاضرين ولم يراعى قدره فقال فى نفسه ما هذا التكبر فى هذا السايس ومالي الا أن أقوم واسير الى عنده وانظر ما يريد واجازيه على فعله ثم نهض السايس وسار ومن خلفه غلمانه الصغار والكبار حتى وصل الى عثمان وتأمله فعرفه ولم ينكره فارتعب قلبه وتفصلت ركبتاه وصلبه وتقدم الى عثمان وباس يده وقال له سلامات ياجدي ومن هو أحب عندى من أهلى ومالى وولدى ولما رأوه غلمانه فعل تلك الفعال قبلوا يد عثمان كلهم فى عاجل الحال فقال عثمان خذوا الجواد وسيسوه وسيروه فقالوا له سمعاً وطاعة ثم أن كبيرهم أخذ الجواد وجعل يسيسه بيده واقبلت جميع السياس فأمرهم بخدمة الاوسطى فوقفوا عنده وبين يديه وما منهم الا من هابه وخاف منه وهو يحكم ويأمر وقد تعجب من ذلك كل الحاضرين فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الدينارى) واما ما كان من الامير بيبرس فانه قال له الوزير ياولدى أن لك اربعة ايام وانت هاجرنا فلاى شىء هذا الهجران فقال له ياابى اعلم اننى سمعت قولك واسكنته فى آذانى وبين اعيانى وقد عملت به ومضيت اخدم لى رجل سايس حتي يساعدنى على الجواد لانك نظرت ما قد جرى لى من العناد فقال له الوزير هل رأيت لك خادم فقال نعم رأيت لى رجلا ابن حلال عظيم الخصال

قليل المثال والله ياأبي انه رجل مليح وقدره رجيح ولسانه فصيح فقال له الوزير عسى الله يكون ابن حلال وليس هو من الرجال الانذال فقال له بيبرس نعم وحق رأسك ياوزير الزمان انه رجل مصان فقال له الوزير والله ياولدى انك حببتني فيه وشوقتني ان انظر اليه وأعرف معانيه وأن كلامك اوقع حبه في قلبي واسكنه ما بين اضالعي ولبي لانك كلما رأيته حسناً كان حسن فما اسمه ياولدى حتى انادمه وآراه واعطيه شيئاً من الحطام لاجل أن يفتح لك عيناه واوصيه عليك بكل ما اقدر عليه فقال ياوزير الزمان انى اخاف ان اقول لك على اسمه واذكر لك حسبه ونسبه وشكله ورسمه تتغير متى تسمع ذكره لانه اخبرنى بأمر قد حصل له واعلمني بكلما جري عليه وله واوصانى انني لااخبر أحداً باسمه فقال له الوزير اعلمني لاني اخاف أن يكون هذا الذي خطر ببالى فقال له وحق الملك الديان اسمه الاوسطى عثمان

(قال الراوى) فلما سمع الوزير من بيبرس ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال يابيبرس هذا آخر العهد بيننا ولم يكن بعد ذلك اجتماع من بعد ماحصل هذا الايقاع لان هذا الرجل جبار عنيد وشيطان مريد يقتل النفس المحرمة ويهين الحرمة ويشرب الخمر ويؤذي الناس بالمكر وانه ليس له دين ولا اعتقاد فى يقين وقد قتل لى سبعة اولاد فى مصر وطردنى ثلاث مرات ولو وقعت فى يده لقتلني ثم أن الوزير أخبر الامير بيبرس بالقصة من أولها الى آخرها وكشف له ظاهرها وباطنها فقال له ياوزير الزمان كان العهد به أول الاوان واما هو لآن فقد تاب ورجع عن الامر المعاب وقدعاهدنى على مقام أم الاسياد وأعاد عليه القصة التي جرت وكيف انه سأل عن بيته وكيف سار خلفه الى مغائر الزغلية وكيف انه علمه الصلاة وماجرى من يوم غاب الى هذا اليوم وصار لاميريتكلم والوزير يتعجب وقد قال له اعلم ياولدي أن الله سلمك منه لسعادتك والا كان قتلك ولكن ياولدي ان كان الامر كما ذكرت والحال كما وصفت فادعه الآن يأتي الى عندنا

حتى تنظر كيف الحال فقال له يا وزير الزمان اني اتفقت معه على السؤال والجواب وذلك انني اذا اتيت اليك وأخبرتك بمجيئه فان انت رضيت اطل له من المقعد واقول له أرميش يعلم انك راضى عليه فيصطلح معك وان لم ترضي اقول له شفا فاذا سمع ذلك يقتل الذي عنده في الحوش وانا اقتل الذي عندى فوق ونملك البيت بما فيه ولا أحد يتعرض لنا . ان تكلم الملك الصالح يقتله برزته لانه ضمن لى ذلك فما انت قايل

(قال الراوى) فلما سمع الوزير تبسم ضاحكا وقال له يا ولدي ان كان عثمان تاب قال الله كريم تواب وانا قد سامحته فاطلبه الى عندك حتى انظر اليه واحدثه فقال سمعا وطاعة ثم طل بيبرس برأسه وصاح يا عثمان فقال عثمان شفا والا ارميش فقال له بيبرس رميش فقال عثمان اياك شفا قال له يا عثمان ارميش قال عثمان خير يا جدع قال بيبرس اطلع يا عثمان كلم الوزير قال عثمان وسرها في مقامها ما اطلع الا اذا ارسل لى اربعة مماليك من عنده يسندونى الى فوق حتى يطلعونى فقال الوزير سمعا وطاعة ثم أمر له الوزير بأربعة مماليك يسندوه فنزلوا اليه وقبلوا يده فقال لهم الوزير ارسلكم جبا والا يأخذكم ثانى فسمع الوزير ذلك فقال له جبا وحيات رأسي يا عثمان هبة كريم لا يرد فى عطاه فعند ذلك التفت الى المملوك الاول وقال له ما اسمك قال له اسمي رشوان قال له انا اريد ان اغير اسمك بشرط ان احد ناداك باسمك واجبته طيرت راسك من على يديك بهذه الرزه وقد سميتك حنيش فقال سمعا وطاعه وانت اسمك منيش وانت ابوحيله وانت ابو الدوح فعند ها عرف كل واحد اسمه وساروا بعثمان الى الاغاشاهين فلما رآه الوزير قد اقبل عليه اخذته منه هيبة عظيمة فقام له على الاقدام وترحب به ومد له يده فطرقها بيده حتي كاد ان يخلع زنده وقال له مرحبا يا جدع فاشار اليه بيبرس بعينه ولم يقدر ان يتكلم ومعنى ذلك يعنى الزم الآداب فقال ها هو الذي قال لى ارجب وسلم علينا سلام السيس

ثم ان الوزير قال له اجلس يا عثمان فجلس عثمان الي جانب الوزير هذا وبيبرس يغمزه يتأخر فقال عثمان الارض ارض الله وانت تغمزنى لاي شيء غمزك حنش يدق في بيضك ولا يرخيك حتى تطلع روحك انت وكل من كان يشدد لك علي ظهر الدنيا

(يا ساده) فتبسم الوزير وقال للامير دعه يا ولدي يفعل مثل ما يريد من مرامه فقال عثمان يا ابوقرمه قال نعم قال له قبل كل حساب قطع لنا الفرامانات السبعة ودع ما كنا فيه من العناد والفجعة فعند ذلك أمر الوزير باحضارهم فاحضروهم الخدام فسلمهم الوزير الى عثمان فاخذهم عثمان والصقهم فى داير المكان وقال للوزير اعلم انى ما عملت هذه الاعمال الا انك اذا رايتهم تترحم على اصحابهم وتخشى سطوة من قتلهم فتبسم الوزير من قول عثمان ومد يده اليه واعطاه ألف دينار فأخذهم منه عثمان ثم ان الوزير صاح على الاربعة مماليك وقال لاحدهم يا رضوان فما رد عليه جواب فظن الوزير انه ما سمعه فصاح بالثانى وقال يا رشوان فما رد عليه فتعجب من ذلك الشان فتركه وصاح يا صالح فما رد عليه جواب فتعجب الوزير وقال يا عثمان ولاي شيء ما يردون على باللسان ولا يلتفتون الي قولي ولا بكلمة من الكلام فقال عثمان يا وزير الزمان سبحان من يغير من حال الي حال فانى قد غيرت اسمائهم وبذلك قد أمرتهم فقال له عيط عليهم انت يا عثمان فعندها صاح عثمان وقلل يا حنيش واذا بواحد منهم قال نعم يا اسطى عثمان فصاح بالثانى يا منيش فرد عليه فى عاجل الحال وكذلك الآخرين صاح عليهم بأسمائهم فردوا عليه وتبادروا اليه فتعجب الوزير غاية التعجب وضحك وزاد به الطرب ثم انه صافح عثمان وسامحه وقبلوا بعضهم وجلسوا وقد احضر الطعام فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا فقليل الوزير يا بيبرس يلزم انك كل يوم تاتى الى عندى حتى انى اعلمك الحرب والقتال والطعن والنزال فقال له سمعا وطاعة يا وزير الزمان وقد تودع من الوزير وأخذ عثمان وسار الي ان اتى الى الديار وصار

فى كل يوم يركب ويأتي الى الوزير الاغا شاهين ويتعلم أبواب الحرب والتمكين وكلما تعلموه المماليك فى طول السنين تعلمه هو فى أقل من شهرين حتى انه بلغ فى الحرب طول الباع وقوة القراع وصار جبارا لا يصطلى له بنار فعند ذلك التفت اليه الوزير وقال له ياولدي وحق الملك الماجد انني لا بقيت اعرف من الحرب الا بابا واحداً وذلك الباب يقال له حرب الانجرسيات ولكن صاحبه الذى علمنى اياه أمرنى اننى لا أعلمه لاحد غيرى من الانام لا شيخ ولا غلام ولو كان ابنى من صلبي ومن دمى ولحمي وقد عاهدت صاحبه على ذلك فقال بيبرس لوزير الزمان الله اكبر واكرم واقوي برهان فقال عثمان الله اكرم منك ياأبو فرمه وسيظهر لك العزم والهمة ثم أن الوزير نظر الى بيبرس فرآه تغير منه المزاج وصعب عليه ماسمعه من الوزير من اللجاج فطيب خاطره وجعل بالكلام يسامره وقد أخذه وصعد به الى أعلى مكان وجعل يسليه بالكلام هذا وعثمان يقول له قوم ياأمير من قبل أن يطردك الوزير فقال له دع عنك هذا الهذيان ياعثمان فقا له قد أخبرك بالحال والسلام ثم أن الوزير جعل يتحدث مع الامير الى أن أقبل الليل وظهرت الكواكب ونجم سهيل وقال للامير يا ولدى أمرتك الآن أن تسير الى مكانك وتأتي عند الصباح فقال له سمعاً وطاعة ثم انه نزل الى عثمان وقال ائتيني بالجواد فقال له عثمان انت لا تصدقني ولا تسمع قولي وقد ظهر لك الحال وصدق المقال فقال له اسكت ياعثمان ثم أن الامير ركب وصار فى تلك البراري والقفار وهم منفردون فى جنح الاعتكار فبينماهم كذلك واذا بخيال مقبل عليهم من الاودية الخوال فتبينوا واذا به فارس راكب على جواد أصفر وعليه ثوب أبيض وبيده سيف ابتر وهو معتقل برمح اسمر راخى اللثام على وجهه فلما رآه عثمان تبادر فى الكلام وأخبر مولاه وقال ياأمير هذا الرجل قد أقبل ياأشقر فقال له أي رجل ياعثمان قال له أنت عنه غشيم هو هذا البطل الكريم والسيد العظيم الذى اعطاه الله الخير العميم الامير عقيرب مشدودي ابن سليم فتعجب الامير بيبرس من ذلك الكلام ولم يعرف له

معنى ولا فهم له كلام فقال له ياعتمان من تمنى بذلك فقال له ما قلت لك هـذا عقيرب ولكن سوف تعرفه ويظهر لك شخصه والسلام

(قال الراوى) وكان هذا الخيال صاحب العز والاقبال الذي أمده الله بالعمر الطويل وجعله مساعـدا على أهل ملة الملك الجليل صاحب الكرامات الظاهرات والاشارات الباهرات والجاه العظيم والمقام وهو المسمي بالخضر عليه الصلاة السلام (ياسادة يا كرام) وقداقبل الاستاذ ودنى من الامير بيبرس وسلم عليه سلام الاحباب فرد عليه الامير بأفصح خطاب فقال له الاستاذ أدن منى ولا تخاف فانه قدامرنى بذلك خفى الالطاف فدنى منه الامير هيبة عظيمة أعظم من هيبة ملك كبير فضمه الاستاذ ملء حضنه فصاح عتمان يارجل حل عنه فلما سمع الاستاذ قول عتمان أشار بيده اليه فوقع عتمان على الارض مغشيا عليـه وسار على الارض ممدود كأنه الجذع الباسل المجرود هذا وقد أعطى الله بيبرس قوة ألف بطل فى تلك الضمة وقوي له العزم والهمة وقـد قال له الامير من أنت يا سيدى فقال له أنا الفقير الى الله الراجي عفو الله الخضر ولى الله وانى أقول أن لله تبارك وتعالى رجال يقومون لحروب الابخرسيات أن تجري عن قلب هذا الامير بيبرس فاجراها الله علي قلب الامير بيبرس وصار كأنه عارفها من مدة عشرين سنة (قال الرلوى) فهـذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ماكان من الاستاذ فانه غطس فى البر فلا أحد رآه ولا يعلم به الا مولاه هذا وعتمان قد أفاق من غشوته فرأى بيبرس فى انتظاره وكان قد التمس من الخضر عليه الصلاة والسلام نهضة عظيمة فقال له بيبرس ياعتمان سر بنا الى المكان تعلمت باقى الحروب من هذا الرجل المحبوب وأنا الآخر أخذت منه ماأراد به علام الغيوب ثم ساروا الى المكان ولما كان ثانى يوم من الايام ركب بيبرس الى الوزير واعلمه بأن الله يلفه المأمول وتعلم حرب الابخرسيات من أهل العطا والقبول وقال له انى قابلت الذى علمك وانه يسلم عليك ويشكرك وقد علمني أنا الآخر مثلك ثم أعاد عليـه ماجري ففرح الوزير بذلك وجلس يتحدث مع الامير

بيبرس وترك كل المماليك ولا سأل عن أحد خلافـه فاغتاظوا لذلك ونزل عليهم البلا والمهالك وتكلموا فى حق الوزير بكل قول خطير وقالوا أن هــذا ولد الزنا قد فضله الوزير بكل قول خطير عنا واكرمه دوننا وما لنا الا أن نعمل عملا نفرق به بين الاثنين ونقتل هذا ولد الزنا فأتفق الرأي بينهم على انهم يلبسون مثل العرب ويقفون له فى الطريق والخلا واذا أقبـل بيبرس ينزلون به العطب وينهبوا ماله وما معه من السلب ولما تقرر الحال بينهم على ذلك جعلوا يدبرون أنفسهم ويخرجون الى الاودية الخوال وقد تم لهم مايريدون واجتمعوا وخرجوا له فى وسط الطريق وا كمنوا له (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه مازال يتحدث مع الوزير الى أن أمسي المساء وأراد الرواح فقال له الوزير ياولدي دعنا الساعة فى الانشراح حتى يأتى ميعادك بالامس وتسير وما عليك خوف ولا تنكير فأستحى بيبرس من كلام الوزير وصار يتحدث معه حتى تنصف الليل وطلبت العين حظها من المنام فقـال الوزير ياولدى قم الآن الى منزلك واكمل فيه ليلتك وكان قصد الوزير بذلك كله أن يقوى قلبـه ويعوده على المسير بالليل والنهار ويعلمه أمور الرجال الكبار فقال له الامير سمعا وطاعة ثم صاح بعثمان فقدم له الحصان وقال له يادولتلي خذ حذرك الآن من غدرات الزمان فقال الامير بيبرس ياعثمان فها نحن متوكلون على الملك المنان هذا وقـد ساروا الاثنين وخرجوا من البساتين وتوسطوا الطريق المستقيم واذا قد خرجت عليهم طائفـة من العربان فنادوا عليهم بأصوات مثل أصوات التـيران وهم يقولون في نداهم الى اين تذهبون والى اين تقصدون ونحن لـكم منتظرون ولقتلكم متحضرون فلما رآهم الامير على ذلك الحـال وعرف ما قصدهم من السؤال صاح بعثمان دونك انت واياهم الآن ولا تبقى منهم علي وجـه الارض انسان وها انا معك احميك وبهذا اللت اراعيك وسوف تنظر ماافعل فيهم بعينك فقال له عثمان سمعاً وطاعة وهجم عليهم الامير باللت الدمشقي من ذلك الساعة وقد طلب كبير هؤلاء

العرب ونزل عليه وطلبه اشد الطلب ولما وصل اليه لعبت مفاصله وارتبك وصاح بأعلى صوته يا امير لا تضر بني فانا اسلم اليك روحي فعند ذلك قبض عليه الامير وجذبه من بحر سرجه والى الارض رماه وقد اراد ان يعدمه الحياه فانقض عليه عثمان كانه فرخ من فروخ الجان وضربه بالرزة وهي النبوت على رأسه كاد ان يعدمه مهجته وقال ياامير ما عليك من هذا بل كن الى غيره فتبادر فقال له الامير سمعا وطاعه ثم انه صاح انا الامير بيبرس مجلب السرور ومزيل العكس فلما سمعوا المماليك نداه خافوا منه ومن شده قواه فعند ذلك ترجلوا عن الخيول وصاحوا وباسرارهم أباحوا وقد قالوا له يا اخينا لا تؤاخذنا فاننا ما عرفناك ولو أننا عرفناك ما طلبناك فلما سمع الأمير قولهم عرفهم وقال لهم من انتم ومن أين أقبلتم والى اين كان قصدكم وما السبب الموجب لخروجكم الى هذا المكان وقالوا له اعلم ايها الامير اننا قد تواترت علينا الاخبار بان هنا رجال اولاد زنا يقتلون المسافرين بالليل والنهار فلما سمعنا بذلك اتفقنا على ان نكمن لهم ونعاقبهم على سوء فعالهم بعد ان تدور ايدينا عليهم فقالوا لنا أصحابنا اذا كان ذلك يكون بالليل حتى اذا أقبل الظلام نخرج عليهم في حالة العربان ونكمن لهؤلاء القوم حتى نأخذهم ونذيقهم العذاب والهوان ولما تقرر الامر بيننا على ذلك التذكار خرجنا فى جنح الاعتكار و واقمنا ها هنا الى هذا الوقت فما وجدنا احد فاردنا الرواح الى المكان فرأينا شخصا ظهر لنا وبان فظننا انه من اولاد الحرام فخرجنا عليه ونحن طالبين الاذي اليه ومرادنا القبض عليه فرأيناه انت ولكن الحمد لله علي سلامتك فلا تؤاخذنا في ذلك لاننا وحق الملك المنان ما عرفنا انه انت الا الآن فلما سمع بيبرس ذلك تركهم وتاخر عنهم وكان قلبه سليم فظن ان كل ما قالوه صحيح فقال لهم امضوا الآن الى حال سبيلكم ولا تعودوا تتعرضوا الى مثل ذلك فربما تحل بكم المهالك فقالوا جزاك الله كل الخير ووقاك كل هم وضير وقد التفت الامير الى عثمان وقال له سر بنا واتركهم يمضون بسلام

فقال له عثمان يا دولاتلي ما هـذا بصواب لأني ان تركتهم الآن يمضون الى الاوطان فربما يقعون في مضرة أو تنالهم شدة في مثل هذه الكره واذا كان ذلك يعتب علينا الوزير ويقول لنا كنتم أوصلتموهم الى عندي ولا تتركوهم في وسط البر الاقفر والرأي عندي أني اوصلهم الى البيت وما اتركهم الا في محل الامان ولا يبقى علينا عتب ولا ملام فشكره الامير على ما قاله وهو لايدري مايروم من اعماله ثم تركه الامير وسار قاصد الديار ولا يعلم ما يفعل عثمان مع المماليك من الاضرار ولما سار بيبرس الى مكانه وترك عثمان مع المماليك فصبر عثمان الي ان غاب الامير ووقف وقال للمماليك اسمعوا ما اقول والا انزلت بكم البلاء المهول وحق السيده نفيسه العلم اهل الجود والكرم والحلم ان لم تنزلوا عن خيولكم وتخلعوا كلما كان عليكم من ثيابكم والا قبضت عليكم و كتفكم بعد ان اضربكم بهذه الرزة وآخذكم معى الى السياس يتبدلون عليكم ثم بعد ذلك أقطع خبركم وأمحى أثركم فعندها نزلوا عن الخيول وخلعوا ملابسهم فأخذهم عثمان وأخذ الخيول وتركهم عراة في تلك البراري والقفار ثم سار عثمان قاصد سيده فهذا ما كان منه (قال الراوى) اما ما كان من امر الوزير الاغا شاهين فانه بعد ان ذهب الامير بيبرس من عنده طلب بعض المماليك ليعطيه حاجة فما رآه فصاح بالاخر فما وجد له خبر فجعل يصيح بهم واحد بعد واحد فلم يجد احدفتغير الوزير من هذا الامر المكدر فنزل الى حوش الديوان وجلس على سلم الركوب وصاح بالبواب فأقبل اليه وقبل يديه فقال له الوزير وقدزاد غيظه وحمقه اين المماليك فقال له وقدار تعب من هذا الامر والسبب ياوزير الزمان قد خرجوا مع بعضهم يطلبون زيارة الامام فقال له الوزير كذبت ياملعون ولاى شيء في النهار ما يدورون ثم انه صاح على السياف وقال وحق راسي ان لم تقل على الكلام الصحيح والصدق المليح والا جعلتك طريح فقال له يا وزير الزمان اعطيني الامان فقال له لك الامان مني ومن كل انسان فقال له اعلم ايها الوزير المهاب انهم اخذهم الغيظ الشديد من

موافقة هذا البطل الوثاب معك وهو بيبرس وقد زعموا انه لك من الاصحاب وتكلموا فى حقك أنت واياه بكل معاب وقد تقرر الحال بينهم أن يقفوا له فى الطريق ويغدموه السعادة والتوفيق وقد اوصوني على انى افتح لهم الباب وهذا الكلام هو الصواب الذى لايعتريه زوراً ولا تكذاب وحق مسبب الاسباب فلما سمع الوزير ذلك تعجب غاية العجب وقال له وحق الذي عن العيون قد احتجب انه كفؤلهم بكل سبب ولو كان معهم أمثالهم من الترك والعرب ولكن انا اجازيهم على افعالهم اذا هم اقبلوا منكسرين من يد خصمهم لا ني اعلم انه أقوى وأشد منهم بأسا وأعظم مراساً لاسيما ومعه هذا الشيطان الذى لايفزع من انس ولا من جان الاوسطى عثمان وان فاتنى حذرى ولم يخطىء فكرى فلا بد ان بيبرس يقبض عليهم والى عثمان يسلمهم وعلى كل حال لابد أن الامير يسلم الجميع الى عثمان ولا بد أن يأخذ خيولهم وما معهم من ملابسهم واسلابهم ويتركهم عريانين يقاسوا العذاب المهين وانا الآخر لا بد أن آثر فيهم ثم انه امر باحضار الفراشين والسقايين فأتوا اليه فى عاجل الحال اجمعين فأمرهم أن يكنسوا الحوش ويرشوه وبالماء يفرقوه فأجابوه بالسمع والطاعة وقد شرعوا فيما فيه مأمورين ثم صاح أيضاً بالفراشين فأتوا اليه فأمرهم بالتأليف وان يعلقوا اربعة نجفات وكل واحدة فيها خمسمائة فتيلة عشرة شمعات فأجابوه أيضاً وقد فعلوا هذه الصفات ثم امر الصوية ان يسرجوا فى وسط الحوش المفانس فصار كل منهم لما امره به فاعل وبعد ذلك جلس الوزير وقد صار الحوش مثل النهار فى اقل من لمح البصر ثم بعد ذلك احضر البواب وقال له اغلق الابواب واذا آتى واحد من خلف الباب فلا تفتح له الا بعد ساعة بالمكاب فقال له سمعاً وطاعة (قال الراوي) وكان ذلك وقت الشتاء القاطع والبرد المتصارع ثم امر الوزير باحضار اربعة من الخدام بالفلقة والكرابيج فحضروهم الى بين يديه ووقفوا فبينماهم كذلك واذا قد اقبلت المماليك وهم كما ذكرنا عريانين وعلى مافعلوه نادمين وقد خافوا عاقبة

الامر وخافوا أن يشيع الخبر أيضاً وأن يعلم الوزير بهذا الامر المنكر فيصير عليهم اعظم ضر وضرر فتسارعوا الى الرواح وما زالوا كذلك حتى دخلوا البساتين واقبلوا الى البيت متسارعين والبرد قد آبلهم حتي وصلوا الى الباب وطرقوه طرقا خفيفاً وقد اضعفوا اصواتهم ولانوا فى كلامهم وجعلوا يطرقون الباب والبواب لا يرد عليهم جواب ولا يبدي لهم خطاب حتى مضت الساعة وقد اثر معهم البرد كل الاثر وكاد أن يقصف منهم الرقبة والظهر ولما مضت الساعة فتح لهم الباب ودخلوا بين الابواب وهم على مثل ذلك الحال فلما نظر اليهم ورأى حالهم صار يضحك ويهزأ بهم وهم يقولون افتح لنا البرد قد المنا وقتلنا وتعلق خصانا فى حلقنا ففتح الباب وعبروا واذا بهم قد نظروا فى وسط الحوش اشتهار ورأوا ما فعل الوزير وقد زاد بهم الاذى والدمار وحاروا فى أمورهم ولم يدروا مايقولونه من جوابهم وقد وقعوا بين يدي الوزير وقد صبر عليهم قدر ساعة وهم على مثل ذلك الامر الخطير ثم قال لهم بعد أن عرف منهم انهم ايسوا من الحياة وحل بهم التدمير اين كنتم الى الآن غايبين ومن أخذ ملابسكم وانتم بالشجاعة موصوفين فقالوا له اعلم يا وزير الزمان اننا كنا قاصدين زيارة الامام وخرجنا نلتمس الاثار من اعتاب الكرام فبالقضاء والقدر خرجت علنيا العرب وفعلوا بنا هذه الفعال وهذا هو السبب وقد كادوا أن يورثونا العطب ولولا اننا تركنا الخيول والاسلحة ماعاد منا من يرد جواب ولا يعود الى الرجاب فلما سمع ذلك منهم ضحك عليهم ضحكا عاليا ثم أمر الخدام أن يمدوا واحداً بعد واحد ففعلوا ماأمرهم به الوزير وضربوا كل واحد علقه بمايتين كرباج وهم على مثل هذا اللجاج وكانوا يرمون الواحد منهم على الارض من غير فراش حتى يصير عبرة بين الناس وبعد ذلك امر لهم بالكساوى فأخذوها وقد كادوا أن يقتلوا انفسهم فتركوهم وسار كل واحد منهم الى مكان هذا ماكان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ماكان من الوزير فانه ارسل الى الامير فى الليل اربعة

من الخدام وما زالوا سائرين الى أن وصلوا اليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا اجب مولانا الوزير في هذه الساعة من غير تأخير فقال سمعاً وطاعة ثم انه سار حتى أقبل علي الوزير وسلم عليه فتلقاه وأجلسه الى جانبه وقص عليه ذلك الامر وما جرى من عثمان فأخبره بأنه ما عنده خبر بذلك ولا اخبره عثمان بما فعل فقال الوزير وحق الملك ذى الجلال أن الفعال التي فعلها عثمان ماهى الافعال الرجال الذي لايخافون الابطال

(قال الراوى) ثم أن الوزير أمر باحضار الطعام فحضر في الحال فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وجلسوا يتحدثون الى أن مضى الليل بالاعتكار وأقبل النهار بالانوار فصلوا صلاة الافتتاح في وقت ماصبح الصباح وصبروا علي هذا المنوال الي أن أقبل وقت الزوال وهم يتحدثون مع بعضهم ولما صلوا الظهر تودعوا من بعضهم وسار الامير الى بيته ومعه الاربعة مماليك وعثمان ولما ركب بيبرس جواده انعم علي الخادمين وسار الى بيت نجم الدين وبات تلك الليله وهى ليلة الجمعة ولما اصبح ٱلله بالصباح واضاء الكريم بنورة ولاح صلى الامير صلاه الافتتاح وجلس الي ان تضاحي النهار وسار الى مقام الحسين وصلى صلاة الجمعة وعاد الي منزله وبات تلك الليلة ولما اصبح الله بالصباح وكان هذا يوم السبت فركب الامير بيبرس وأخذ معه عثمان وقال له سر بنا الى بولاق لانى اريد النزهة فى هذا اليوم فقال له عثمان سر علي بركة الله الملك الوهاب وسبحان مسبب الاسباب هذا نهار سعيد مبارك لان هذا النهار انا عارفه لابد أن تفنى فيه الاعمار من أهل النفاق والاشرار (قال الراوى) واعجب ماجرى في هذه السيرة والامور المطربة الغريبة كما نقل الديناري وابن الدويدارى وناظر الجيش وكاتب السرايه كان بمصر حارة تسمى درب مصطفي بك وفيه حارة وفيها عشرة انوال ولعشرة صنايعيه يصنعوا فيها القماش وكان لهم في كل يوم سبت غداء يأكلوه فى بولاق وكانوا يجمعون من بعضهم ثمن الغدا وقد تقرر الامر بينهم الى ان كان يوم جمعة فجعلوا فيه طريق لكل واحد منهم وصاروا

على ذلك مدة من الايام وكان فيهم رجل مكار صاحب خداع وحيل واصطناع يسرح ويروح معهم على هذا المنهاج واذا جاء عليه الدور يطلع لهم بكل الاحتجاج وكل مرة وهو يفعل لهم فعلة بديعة ونكتة غريبة ويأتى اليهم ويشكو حالة هو وحريمه بين ايديهم ويقول لهم أن زوجتى هذه الليلة وضعت وما عندى مايفعل الغدا ولكن اعذرونى في هذا الدور واذا جاء الدور الآخر فيكون على وأعوضه لكم لان الذى معى على قدر كفاية أم المولود فيقولون له ياأخي معلوم ان زوجتك أحق منا بذلك الامر ونحن عذرناك فى مثل ذلك الدور الثانى يقولون له غدا السبت وعليك الدور فيبكي ويقول لهم قد دفعت هذا الدور ماكان معى الى الداية وانتم تعلموا حالها واذا اتى الدور الثالث ويقولون له عليك الغدا بكره فيقول لهم قد وقعت منى الدراهم وعلى ما وقع عليه الدور يعتذر بمثل ذلك الاعتذارات وما زال معهم على ذلك الحال حتى كادت مرايرهم أن تنفطر وتضايقوا منه واتفقوا على انهم يمنعوه عنهم بالكلية فلما جاء الدور عليه كان اليوم الذي ركب فيه الامير بيبرس ولما قالوا له اصحابه على الدور فقال لهم يا اخوانى أن الفلوس وقعت منى ولا اكسب ولا درهما واحداً فقالوا له يا أخينا الى متي هذه المحاولة وأنت كل جمعة تعمل معنا هكذا ولكن اعلم انك لابقينا نخلوك تدخل علينا فاذا جاء غدا بخير سر أنت وحدك ونحن وحدنا ولا تتبعنا ونحن لا بقينا نصحبوك ولا تصحبنا فقال لهم يا اخواني اعلموا ان هذا ماهو كلام الاصحاب مع بعضهم فاذا كنت فقيراً من دونكم خذونى معكم لاخدمكم وانا اقضى لكم كلما تحتاجون اليه واتغدى معكم ويكون لكم الفضل عليّ فقالوا له لا كان ذلك ابدا ولو شربنا كؤوس الردا فقال لهم وانا مايمكننى ان أفارقكم ولا خطوة واحدة ولو ضربتمونى بنعالكم وما زالوا معه فى المشاجرة والكلام وهو لايفتر عنهم الى أن أمسى المساء فاتفقوا فى غيبته مع بعضهم انهم يسيروا فى غيابه ويغيروا المحل

الذي كانوا يجلسوا فيه كل جمعه وصرفوه نبهتانهم وقالوا له اذا كان لك غرض في
نزاهة نفسك فسر انت وحدك ونحن لاجل خاطرك لانمضوا ولانروحوا وبطلنا
هذه النزاهه التي اوجبت لنا الخصومة والمفارقة ثم عادوا عنه وانصرفوا الى حال
سبيلهم وباتوا الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أخذوا بعضهم
حكم اتفاقهم وتركوه وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى رجل زيات وبعضهم
سار وأتاهم بخبر حار ولما وصل به الى الزيات أمره ان يرفسه لهم ويجعله مثل
الهريسة ففعل الزيات مثل ما أمروه وأخذوا القصعة من عنده ووضعوا عنها
رهنا فقال لهم الزيات هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم ساروا مع بعضهم
وقد قصدوا نزاهة انفسهم بعد ما حضروا الفطور وتوكلوا على الملك الغفور وما
زالوا في سيرهم مجدين الي نحو البحر طالبين الى ان أتوا محل الخضرة في اماكن
فسيحه وكان جلوسهم الي جانب ساقية دايرة والماء منها جاري الى تلك المضارب
والبراري فجلسوا هناك وحمدوا مالك الممالك وقالوا الحمد لله الذي اراحنا من
ذلك الرجل الثقيل وابعدنا عن ذلك الرجل الرزيل ثم انهم وضعوا تلك القصعة
بينهم وظنوا أنهم صفى لهم عيشتهم وبلغوا مأمولهم وأرادوا ان يسموا ويأكلوا
واذا برفيقهم قد أقبل وتقدم اليهم وقال لهم السلام عليكم فلا احد رد عليه سلام
ولا أبدا له كلام بل كأنهم الجموا بلجام فقال لهم ما بالكم معرضون
ومعي لا تتكلمون فقالوا له من اين جئتنا ومن أين لك معرفتنا ومن الذى
عرفك بمكاننا فقال لهم دلني عليكم النصيب لأني خايف عليكم ان احد
يؤذيكم وينهركم فسألت الله ان يرشدني اليكم وقد أجاب الله دعائي ورأيتكم
فقالوا له يا هذا اعلم أننا قد طال شقانا وزاد بلانا ومللنا مما نحن فيه من
الشقا واستقر الحال بيننا أننا نعمل هذا الطعام ونمزجوه بالسم الخارق
لاجل ان يكون كل منا للدنيا مفارق ولاجل ذلك هربنا منك وها نحن
أعلمناك وخفنا عليك ان تشرب كأس فناك لانك ما انت مثلنا لا تحمل هما

على قلبك مثل همنا فدعنا على حالنا وما نحن فيه من أمورنا فلما سمع كلامهم فهم بفكره مقصودهم فقال يا أخواني اعلموا انه ما بقالي طمع في الحياة بعدكم وعلى كل حال لي اسوه بكم ولو كنتم فعلتم ذلك في غيبتي لقتلت نفسي من أجلكم فما يأكل احد منكم حتى اكون قد بدأت بنفسي فقالوا له انا لا نريدوك ان تأكل معنا ولا تشاركنا فيما دبرنا فقال لهم وحق خالق النمله لا أمكنكم أن تفعلوا بانفسكم هذه الفعال ولو ضربت بجلد الجمال فعند ذلك تصايحوا عليه وقد تسيبوا في قوله عليهم وبربر كل منهم في وجهه وارادوا ان يقوموا اليه ويضربوه فرأى عين الغدر بانت له منهم بعد وتأخر عنهم ولكنه كادت مرارته ان تنفطر فبينما هم على ذلك الحال واذا بالغبار قد علا رثار وسد منافس الاقطار واقبل الامير بيبرس ولاسطي عثمان وهو مغطي رأسه بالملايه والامير راكب كأنه البدر ليلة كماله فلما رأوه افتتنوا لحسنه وجماله وقالوا من يقوم منكم ويدعو لنا هذا الشلبي حتى نحظى بكماله لانه مليح القوام اذا اتى الينا كمل حظنا فقال واحد منهم اعلموا انما يدعوه الينا الا الرجل عوف الذي طردناه لانه مربي في القوادة وله بذلك عاده فقالوا له اذا كان ولابد سر أنت اليه وقص القصة عليه ودعه يأتينا به فسار اليه المتكلم فرآه واقفا على اعلا الجسر فقال له اجب الجماعة فقال أنا مالي بهم حاجة فقال له دع عنك ذلك الكلام وسر اليهم باهتمام لانهم حببهم الله اليك وارسلوني أدور عليك وأعاد عليه الامر الذى جرى واخبره بما قالوا فى غيبته فسار اليهم وسلم عليهم فقاموا اليه وردوا عليه السلام وقالوا له يا شيخ عوف ان أردت ان تأكل وتكون موافقا لنا فادعوا الينا هذا الغلام الشلبي وخادمه حتى يأتى الينا وينادمنا ويأكل من طعامنا ويصفو النا برؤيته زماننا وبعد ذلك فانت معنا على ما أنت عليه ولا نكلفوك شيء لا تقدر عليه فلما سمع كلامهم قال لهم يا اخواني هذا امر هين وما هو على ببعيد ثم انه سار الى البر وقاطع الطريق على الامير بيبرس وعارضه ووقف فى صدر الحصان وقبل يده وقال يا سيدى اعلم انى رجل معلم قزازه ولي عشرة رجال صنايعيه وأتى

بهم هنا كل سبت واصنع لهم غدوة مليحة وقد أتيت بهم اليوم على حسب العادة وأجلستهم فى وسط هذه الخضرة وتلك الاراضى النضرة ولما أتيت أنت ونظروك فتمنوا على أن تجلس معهم وتؤانسهم لاجل ما يكملَ حظهم وتأكل معهم من طعامهم لانهم اليوم قد اشتهوا على البسيسة فعملت لهم كلما طلبوه فأبوا عن الاكل الى أن تأتى أنت معهم وانى أريد منك أن تجبر خاطرى وتجلس وتشرفنى أنت وخادمك فقال الامير ولماذلك ياأبى فقال له عوف لانى عرفت انك أهل الاكرام وما أظنك أن تمنع نفسك عن الفقراء ولاتأكل لهم طعام فأشار بيبرس الى عثمان وأراد أن يستفهم منه أيأذن له فى الرواح لهم أم لا فأذن له فسار وإياه الى أن أقبل عليهم فأبداهم بالسلام فردوا عليه بالتحية والاكرام وقاموا الكل واقفين له على الاقدام وفرشوا له بعض دفافيهم ولا تعدوا على حيلهم الا لما جلس الامير والى جانبه الاسطى عثمان والشيخ عوف وجلسوا الآخرين وقالوا له آنستنا وحلت بركتك علينا وحصل لنا بكم الشرف الجيل ثم قدموا القصعة البسيسة التي كانوا عملوها غداهم فتقدم الشيخ عوف وقال بسم الله يا مولاى فتقدم بيبرس وعثمان ولا أحد يعلمه أيضاً فتقدم الشيخ عوف وجماعة القزازين وسموا بسم الله الرحمن الرحيم وقبض كل منهم قبضة على لقمة من القصعة ووضعها فى فمه وأرادوا أن يأخذوا الثانية واذا بعثمان كشف رأسه فبان وجهه ولحيته فعرفوه معرفة كاملة فوقفت اللقمة في أزوارهم لانهم أنكروا ذلك ورفعوا أيديهم من القصعة وتأخروا الى ورائهم وما نزلت اللقمة الى جوفهم الا بعد جهد جهيد ولعبت أسنانهم وارتعدت فرائصهم وانكسرت ظهورهم واحتاروا فى أمورهم وحمدوا الله على قلة طعامهم وقالوا فى أنفسهم هذا والله ذنب الشيخ عوف الذى منعناه من مرافقتنا فارسل الله لنا من أكل غدوتنا وفى هذا الوقت يأخذ عمايمنا لاننا حفنا عليه

كل الحيف فأنالنا الله الذل والخوف فقال لهم بيبرس لما رآهم امتنعوا من الطعام كلوا يا أسيادي قالوا نحن أكلنا كثير قبل قدومك كل أنت ورفيقك هذا وعثمان ينظر ويرمقهم شذراً ويلعب شواربه لهم ويظهر لهم بغيه وعجائبه وسيده لم يعلم بذلك أبداً وما زال على ذلك الحال حتى أكل الامير بيبرس وعثمان وشبعوا وغسلوا أياديهم وأراد الشيخ عوف أن يتأخر واذا بعثمان نظر اليه وقال له وحق الكريمة أم الاسياد ان أبقيت شيئاً من هذا الزاد لأكسرن رأسك بهذه الرزه فقال له سمعاً وطاعة ولم يزل يأكل حتى لعقها بلسانه وقام الآخر غسل يديه هذا كله يجرى والرجال القزازين كادت مرايرهم أن تنفطر مما جرى من ذلك الامر لانهم قد انحرموا من هذه الغدوة ثم أن الامير ركب جواده وقال سر يا عثمان فسار عثمان معه وكان علق القصعة فى الرزه ووضعها على كتفه وغطاها بعلايته وكانوا كلهم ينظرون اليه ولا قدروا أن يتكلموا معه وما ردت أرواحهم الا بعد ما بعد عثمان عنهم وكانوا قد يئسوا من أنفسهم وقالوا لعوف يا أخينا عوف سامحنا فيما جرى منا فى حقك ولا تؤاخذنا ونحن فى عرضك أن تسير خلف عثمان وتأتينا بالقصعة منه لاننا واضعين عليها رهن ستين فضة عند الرجل الزيات فقال لهم الآن علمتم انكم ما تستغنون عنى ولا بد لكم من الاحتياج الي فقالوا له صدقت فيما به نطقت ومن أجل ذلك سألناك وفى أهم حوائجنا بعثناك فقال لهم لاتخافوا وأنا أسير خلفه وآتيكم بها ثم انه سار حتى وصل الى الامير وعارضه في الطريق وقال له فى عرضك يا سيدى إنا عمامتى مرهونة عند الرجل الزيات فى مقام القصعة التى كانت فيها البسيسة فقال له وأين هى الآن قال هى الآن مع خادمك عثمان يا سيدي فالتفت الامير الى عثمان وقال له لأي شيء فعلت هذا الامر هو أنت فعلت مثل المثل السابر بين الناس الذي يقولونه انهم يأكلوا الهدية ويسرقون الزبدية فقال له يا أشقر لا تقول هذا الكلام لان هؤلاء يستاهلوا

ذلك واكثر منه لانهم ما عزموك الا ليتمسخروا عليك ويستهزؤا بك ولولا انى كنت معك ما كانوا الا يخونوك وأنا ما أكرمتهم الا لاجلك ولولا انك كنت معي ما كنت الا قتلتهم فلما سمع الامير بيبرس منه ذلك الكلام ضحك ضحكا عاليا وقال له اعطيه القصعة وسر بنا الى حال سبيلنا فأعطاها للشيخ عوف ورجع بها اليهم هذا ما كان من هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من عثمان والامير بيبرس فانهم ساروا وشقوا أرض بولاق الى أن أتوا الى سوق السبت فاذ هم نظروا الى زاوية مليحة عظيمة وعلى بابها رجل فقيه جالس يبكي مما نابه وأصابه فوقف بيبرس بالجواد وقال يا عثمان اصبر حتى أنظر الى بكاء هذا الشيخ وما أصابه فقال له عثمان وأنت ما الذي حملك على ذلك هو أنت مخلص حقوق الناس فقال له خليك من هذا الكلام وسر اليه وانظر ماذا جرى له واخبرني بأحواله فقال عثمان أنا ما لي شغل فى ذلك سر أنت اليه صدغك ملكك فعند ذلك نزل الامير من على جواده وسار الى أن قرب من الشيخ فرآه واضع يده على خده وجالس يبكي وينوح من قلب مضنى مجروح لانه فى هموم وأسا وجالس يعدد كما تعدد النساء فقال له الامير بيبرس السلام عليكم يا سيدى فما رد عليه السلام بل صار ينشد ويقول صلوا على الرسول

صبراً لاحتكامك يا الهى فانى راضى بحكمك والقضاء
انا صابر لك فى كل أمر لك فيه ياسيدي رضاء
جاروا علينا ثم اعتدوا وتجبروا وما راعوا جزاء
فخذلى يامولاى الحق منهم وخلص يا كريم الاعتداء
لقد عاد الاسلام كما بدا وسطوا علينا الاشقياء
وتجاروا علينا وأهانوتنا وانت العليم بنزول القضاء
فلعل يامولاي تكن جابراً وتورث اعدائى كاس الفناء

فانت حقا رب الخير كله وانت الحكيم كثير العطاء
حاشاك ان تغفل عما حل بى فوسيلتى المصطفى المرتضاه ·
صلى عليه فى كل وقت مادامت الارض والسماء

(قال الراوي) فلما سمع الامير من الرجل الفقيه هـذا الكلام وذلك الشعر والنظام تأسف وعلم انه مظلوم وقد سمعه ايضا يشكى من الملك الصالح ويدعوا عليه فتقرب منه الامـير وقال له ماحالك وما الذى جري لك وايش الذي أبكاك ومس بهذا الغم أبلاك اخـبرني به لعل الله يدفع عنك مايضرك ويجلب لك كل امر يسرك فقال له دعنى ياولدى ها انا الكئيب الولهان الذي عاداني الزمان ورمانى بطوارق الحـدثان وابلاني بالذل والحرمان لان قصتى تحير العقول وتجلب كل امر مهول فقال له الامير وما هي قصتك فقال له اعلم انى خادم بهذه الزاوية من مدة أربعة سنين ولى فيها أربعة وظائف وهواني وقاد وكناس وملا وأقوم بالناس للصـلاة ولي على ذلك فى كل شهر أربعـة قروش آخذهم من مطبخة العسل لانه وقف لهذا المسجد وفيه رجل عنيد ملتزم يهودي يقال له عزار ولى عندي أجرة اربعة أشهر بستة عشر قرشا فبينما انا جالس فى صباح هذا اليوم واذا بابنتى أقبلت على وقالت لى يا ابي لك البشاره فقلت لها بماذا تبشرينى فقالت أمي وضعت ولدا وسيناه محمد قم وأقضى لها لزومها واعطى للداية حق بشارتها فقمت مهرولا الى مطبخة العمل ودخلت الى اللعين عزار وصبحت عليه وقلت له اصـنع معروفا معى فى هـذا اليوم واعطينى شيئا اتفسح فيه لانني محتاج وزوجتى وضعت فقال لى ايش وضعت فقلت له ولد قال وما اسمه فقلت له محمد فوالله ما سمع مني هذه الكلمة حتى لطمنى بكف على وجهي رماني الى الارض فخسيت ان عيوني خرج منهن شرار النار وقال لى انت ضاقت عليك الدنيا حتى سميت ولدك بهذا الاسم قم من وجهى فى هذه الساعة واذهب الى بيتك وسمي ولدك بغير هذا الاسم

أما موسى أو عيسى أو ابراهيم واني الى عنـدي أعطيك دراهمك وازيدك عليهم مائة دينار ذهب الاوحق موسى الكليم اذا ماغيرت اسم ولدك ماتأخذ مني درهما ولا دينار واحد فضة كان اوذهب فرحت من عنده مكسورالخاطر وعلمت أنه من قبل الملك الصالح فسبيته وشتمته وتكلمت بما سمعته وهذه قصتي وما جري لي فان كان فيك مروءة لكشف ظلامتي فافعل ذلك ولك الاجر من الله تعالى في هذا ثم انه تضرع وبكى وان واشتكى وأنشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

قدأسلمت أمري لمن رفع السما   بجملة منه واقتدار
وفوضت أمري اليه فانه   هو العليم بسري واجهار
بليت بقوم لئام فاسرعوا   وتجاوزوا على ظلمي وحق الباري
ومالي مغيث الا الاله   فهو العالم بسري واجهار
لانه خبير بحالي كله   وهو الحليم العليم القهار
نعم ان هذا قضاؤه   وانا مسلم للاقدار
فان كان ربي به راضياً   فلا اعتراض ولا اعتذار
وكنت أطلب منه النجا   فلقد اصابني اضرار
ظلمني عدو الدين جهراً   ولطمني لطمة جبار
وكنت أطلب منه حقي   فابي وغارضني بفعل جبار
وأنا أبكي على ماحل بي   من أهل الكفر والاشرار
وعاد الاسلام حقاً غريبا   في تلك الديار

(قال الراوي) ثم ان الشيخ بعد ما فرغ من أشعاره التفت الى الامير بيبرس وقال له يا ولدي اتركني أبكي على حالي وأرفع دعوتي الى من يعلم سؤالي فقال له الامير بيبرس قم بنا وسر قدامي وارني مطبخة العسل وأنا أخلص لك حقك وأقتص ممن ظلمك فقال له الاسطى عثمان دع عنك هذا

الحال ودعني أنا أسير اليه واقتص منه بما جرى فقال له الامير يا عثمان دعني فلا بد لي من المسير معه وأنظر بنفسي لهذا اليهودي وأجازيه على ما قدمت يداه فقال له عثمان ان كان الامر كما ذكرت سر بنا حتى ننظر من يخلص لهذا الرجل حقه ان كان أنا والا أنت فركب الامير وسار عثمان في ركابه وشيخ القضية على أثرهما ولا زالوا سائرين حتى وصلوا الي باب مطبخة العسل فنزل الامير عن جواده وقال لعثمان امسك هذا الجواد وقف به حتى اعود اليك فقال له عثمان الاولى أن تقف به انت وأنا الذي أخلص حق هذا المظلوم فتبسم الامير بيبرس وقال له هذا لا يصح يا عثمان فقال عثمان وحق الاسم الاعظم لابد من دخولي الى هـذا المكان فبينما هم في هذه المشاجرة واذا برجل مقبل فى صفة سائل فعرفه عثمان فكشف راسه له فعرفه أيضا ذلك الرجل وناداه عثمان ولدي يا عثمان فقال له نعم يا جدي وجد جدي ودنا منه وقبل يده فتعجب الامير بيبرس وقال له من هذا يا عثمان قال له هـذا رجل مراوحى قال انى لم أنظر معه مراوح فقال عثمان ما يبيع مراوح ولكنه حرامى سارق المراكيب من المساجد لانه يصبر على الرجل حتي ينوي الصلاه ويقول نويت أنا الآخر ويأخذ مركوبه ويدعه على حاله فى صلاته فتعجب الامير بيبرس من ذلك وقال لعثمان ما مرادك قال مرادي أن امسكه هذا الجواد حتي أرجع اليه فقال بيبرس أخاف أن يأخذه ويروح الي حال سبيله فقال عثمان لا تقول هذا الكلام واعلم أنهذا الرجل لا يخاف من الله مثل ما يخاف من عثمان وأنت وغيرك تعرف ذلك ثم ان الاثنين دخلوا مطبخة العسل ودخلوا الى أن انتهوا الى صدر المطبخة فوجدوا فيه مصطبة عظيمة مثل الايوان وفي وسطها سرير من خشب الساج عظيم وفوقه مرتبة ومساند ومن فوقها زربية من حرير مزركشة بالذهب واللعين عزار ملتزم مطبخة العسل جالس من فوق ذلك الفرش وقدامه صينيةمن النحاس وعليها

صحن عسل وصحن جبن وخبز وعيش خاص وهو جالس يا كل فلما نظر الامير مقبل عليه قام له على الاقدام وتلقاه بالتحية والاكرام وقال له اهلا وسهلا بوجه البدر ليلة تمامه فصبح عليه الامير بيبرس فرد عليه الصباح واخذه بيده وأجلسه الى جانبه فرآه مليح الوجه حسن المنظر عظيم الرائحة والمسك والكافور لائحة أعطافه والعود فائح منه والهيبة نازلة عليه والشجاعة لائحة ما بين عينيه وقال يا مرحبا باهل الجمال والكمال وصار الكلب يمازح الامير بعد أن عرض عليه ان يأكل معه فأبى الامير ذلك فصار يلاعبه ويضاحكه وظن بعيا قلبه أنه يواصله ويبلغ منه أربه فقال له الامير يا معلم عزار جاءتني عندك حاجة وأريد قضاءها فقال وما هي يا سيدي ولو كان لك الف حاجة تقضى فى الوقت والحال على العين والرأس فقل لى الآن على ما تريد فنهار صباحك سعيد فقال له مرادي منك حاجه ان تعطى هذا الرجل أجرته الى هى له عندك لانه فقير ومحتاج رزوجته وضعت ولا معه شيء ينفقه عليها فقال اليهودي على العين والرأس نعم أنا عندي له ستة عشر قرشا خذهم يا سيدي الشيخ وهذا من عندي زيادة كرامة لهذا الامير ثم أعطاه تسعة قروش فأخذهم الشيخ وأراد الانصراف الى محله فناوله الامير بيبرس قرطاس فيه مائة دينار ذهب وقال له سر الى حال سبيلك كان الله في عونك ونسألك الدعاء في الاماكن الطاهرة فأخذ الشيخ الدراهم وصار يدعو للامير بعلو صوته بكل خير ورفعة هذا ماكان منه (قال الراوي) وأما ما كان من عدو الله اللعين عزار فانه التفت الى الامير وقال له يا شلبي أنا الآخر عرضت لى عندك حاجة أريد قضاءها لانه في الامثال قيل فى معنى ذلك حوله بطوله يا غلام ولك نظيرها فقال له الامير وما هي الحاجة اخبرنى بها حتي أقضيها لك قال هو أن تسير معى الي المقعد الذي أنا ساكن فيه وتنادمنى وانادمك وتسقينى الخمر العتيق وتسمح لي بقبله من فمك وان تميت الجميل ناولتي وصالك

حتى أشكرك عند كل الامراء لاجل ما يعلو شأنك ويعظم مقامك وكلما تحتاج اليه أنا أعطيك اياه ولا تحتاج بعدها الى شيء أبدا

(قال الراوي) فلما سمع الامير هذا الكلام من اللعين امتزج بالغضب وظهرت فى وجهه سبعة جدريات ملكتة من الطارقة اليمين الى الطارقة الشمال وشبع من اللحم بين حاجبيه ونهض فى عاجل الحال واقفا على قدميه وضرب اليهودى بالت الدمشقي على رأسه انزل اضراسه وهوى راسه ووقع على الارض قتيل وفي دماه جديل وارادوا الذين فى المطبخة يخرجون الى الامير يقتلونه واذا بالسدار أقبل وسيفه في يمينه مشتهر واراد أن يهجم على الامير واذا بصيحة وقعت فى رأسه من خلفه وضربه نزلت عليه أرمته الى الارض قتيل فتأمل الامير من فعل بههذه الفعلة واذا بهعتمان فقال بيبرس ويلك ياعتمان ولماذا فعلت هذه الفعال وقتلت هذا الانسان وهو من أهل الايمان فقال عتمان اعلم أيها الامير مثل ماقتلت أنت رجل انا قتلت رجل وكاانت أخي أنا أخوك فكيف ياأخي يهون على ان تتعب وانا ارتاح اوكيف اذاثبت عليك القتل تقتل وانا اعيش بعدك لاكان هذا ابدا واذا متنا نموت جميعا واذا عشنا نعيش جميعا فقال له الامير ان هذا الرجل الذى قتلته انا رجل يهودي وأما الرجل الذي قتلته أنت مسلم وانا قتلته بوجه الحق فقال عثمان واناايضا قتلته بوجه الحق كماقال الله تعالى (فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ماعتدي عليكم) كما انه اراد قتلك قتلت اناقاتلك وخصمك تعذرنى أما أنت مايظهر فيك معروف ابدا بعدذلك الحال فقال له الامير لاتقول هذا المقال أبداوانا كنت ارده بالتي هي أحسن ولوكان قاتلى لانه رجل دين صالح وأيضاً اسمه صالح فقال عثمان وحق الملك المتعال الذي ارسى الجبال ويعلم كم وزنها من ذرة ومثقال ماهو الا كمثله وشكلة وما هو الاابن عمه ولما رأيتك فعلت هذاالفعل بأخيه عجلت أنا الاخر دماره لاجل أن يلحقه ويوافيه لاننا اخوة

سوى وجئنا سوي وهذا ماعندي والسلام هذا والامير بيبرس قدخاف من عاقبة هذا الامر وقال ياعتمان كيف يكون التدبير فقال عثمان الرأي اليك ايها الامير اعلم انى علمت ان هذا الرجل يهودي ماله دين واما الذي قتلته انت مظلوم ونقتل فيه نحن الاثنين فقال عتمان ومن يقتلنا فيه قال الملك الصالح قال عتمان أنا أكفيك شره واكسر بهذه الرزه ظهره فقال بيبرس أنا مالى ذنب فيه أما انت دبر نفسك كما تريد فيما هم كذلك واذا بالرجال الصنايعيه الذي في المطبخ طالعين عليهم ويقولون أراحكم الله كما ارحتمونا من هؤلاء الاثنين لان الذي قتله عتمان أفسق من الذى قتله هذا الامير لانهما متعصبان على الضلال والمكوسات ومفسدين بالبنين والبنات ومرتكبين المحرمات فلما سمع الامير منهم هذا الكلام قال لهم تشهدوا بذلك يارجال قدام الملك الصالح قالوا نعم نشهد بين يدي الملك القديم الفاتح فقال لهم الامير جزاكم الله عنا كل خير ولكن ياعتمان سر من هاهنا الي محكمة بولاق وأتينا بواحد كاتب منها يكتب لنا شهادة هؤلاء الناس وها أنا هنالك فى الانتظار فقال السمع والطاعة هذا ماجرى هاهنا وأما ماكان من القاضي الذى كان جالس بمحكمه بولاق وكان عتمان ضربه ثلاثة مرات وأخذ منه ثلاثة مرات الزمالة وتركه مريض من شدة الضرب فى منزله وقد ضعف وما حصلت له العافية الا ذلك النهار وكان عتمان مرتب عليه كل شهر قرشين يأخذهم منه فلما تعافى ونزل الي محكمته طلب من الله أن يسهل له رزقه ولما جلس فى مكانه أرسل النياب والغلمان والاصحاب والقضاه فحضروا وكنسوا وفرشوا ووضعوا الدكك وهندسوا المكان وجمعوا الجريد وملوا الزير من الماء الجاري من البحر الكبير ووضع القاضي الصندوق بين يديه وجلس الى أن تضحى النهار فما اتى اليه أحد من النساء ولا من الرجال فقال للرسل اما تعلموا يارجال ان علينا قرشين للاسطي عتمان وقرشين اجرة هذا

المكان وأن الرجل منكم يحتاج الي مصروف بيته وكل ماكان فما تقولوا اذا طلبوا عيالكم منكم نفقاتهم فقالوا وما نفعل لقد ضاقت بنا الحيل فقال لهم سيروا في حارة بولاق وشوارعها وكل منكم يقول ياطالبة الرسول عسى انكم تأتون بدعوة ننتفع بها فقالوا له هذا لايجوز فقال الضرورات تبيح المحظورات تفرقوا في الحارات وقولوا ياطالبة الرسول فخرجوا وفعلوا ما أمرهم فبينما أحدهم سائر جهة حارة تسمي الجوابر وهو ينادي ياطالبة الرسول فنادته امرأة وقالت له اصبر يا بياع الفاسول فقال لها وقد وقف قبح الله ذلك ولا رحم احيائك ولا امواتك هو أنا بياع غاسول انا قاصد من بيت القاضي واسمى رسول فان كنت تشاجرتي مع زوجك ان كان طلقك ان كان ضربك أو أهانك سيري قدامي ودليني عليه أو عرفيني دكانه حتى اقبض عليه وأقدمه أمام القاضي يقتص منه ويريحك من ذاته ويجازيه على فعاله ولا يمنعك من الخروج والدخول فقالت له يامعرص لاصبحك الله بخير ولا اوراك طول عمرك خير تشير على بطلب زوجي الى بيت القاضي لا كنت ولا اسكنت أنت والقاضي كذلك قبحك الله وما رحمك وما رضي عنك ثم انها صاحت وولولت ولمت نسوان الحارة وضربوا ذلك الرسول علقة مليحة حتي رضرضوا عظامه فشق حارة بولاق تماما والناس تسبه ولم يلقى دعوة ينتفع بها أبدا والناس كلهم يضحكون عليه ويتمسخرون به وهو لايقدر ان يرد لهم خطاب ولا جواب ثم عاد الى القاضي من غير فائدة قال له كانك ما أتيت بدعوه فقال الناس في هنا وسرور هذا وقد اقبلت رفقاه وكل منهم غير مجبور فلما رآهم قال لهم لاتخافوا ولا تحزنوا انما الرزق بيد الخالق ثم ان القاضي نظر الى خارج المحكمة فرأي اثنين واقفين مع بعضهم يتحاسبون فصاح على الرسل أئتوني بهؤلاء فتسارعت اليهم الرسل وأحضروهم بين يديه فقال لهم مابالكم واقفين بأزاء المحكمة ما وقفنا بأزائها كفانا الله شرها فقال لهم ما علمتم بأنها محكمة فقالوا

ما علمنا ثم قال لهم قولوا والله العظيم ما علمنا انها محكمة بازائها فقالوا ذلك قال لهم بقى عليكم محصول اليمين كل واحد قرشين قالوا مامعنا قال ملزومين بضرب الجريد والحاصل فقال واحد منهم انا معي قرش واحد قال الاخر وانا كذلك خذهم على قدر حالنا وان وقعنا في يدك ثانيا افعل ماتشاء فاخذ القرشين منهما وخرجوا يدعون عليه ويقولون اللهم كما ظلمنا ان تخلص حقنا منه فى هذا النهار انك على كل شيء قدير وبعبادك لطيف خبير فبينما هم كذلك واذا بعثمان واقف بباب المحكمة يغني ويقول

ظنوا العدا اننا متنا ولا متنا   وتباشروا بالفرح فى طول غيبتنا

ان أذن الله وعدنا مثل عادتنا   فى نطمة الدم نجعلهم غنيمتنا

قال الراوي فلما رآه القاضي قال أهلا وسهلا بالاسطى عثمان وقد انتقض وضوءه وقلع مقلته من على رأسه وناولها له وقال خذ المقلة يا أسطي عثمان واتركني من الاذية واعلم ان لى شهر مريض مانزلت الا هذا اليوم وأنا عارف ان لك على اربعة قروش نخذ هذه المقلة هذا الوقت بعد يومين اقوم لك بدفع المبلغ من الدراهم فقال له عثمان لا تقول فى حقى هذا الكلام واعلم انى تبت فقال له القاضي خذها وارجع وتب ثانيا واعلم ان باب التوبة مفتوح فقال البسها ولا تخاف واعلم انى جاءتني عندك حاجة شرعية قل على العين والرأس قدمها عندي وانا اجعل الحق باطلا والباطل حق قال لاتقول هذا الكلام واعلم اني ما أنا طالب الا الصدق فى الكلام واقامة الدعوي شرعية كما أمر سيد الانام فقال سمعا وطاعة ياعثمان فقال عثمان عزل المحكمة انت ورجالك وخذ كلما فيه من حصر وسجاجيد والفلقة والجريد والصندوق والدواية والورق والمحافظ وهذا الزير ثم تقدم عثمان وعقد الجريد والفلقة والحصر وجعلهم عقدة وحملهم رجل من القضاة والتكك جعل كل اثنين لواحد والبساط والفراوي فلما رأي القاضي ذلك ظن ان عثمان اكرمه لانه ما احوجه

الى شيء يحمله فقال له عتمان يامولانا وانت تحمل هذا الزير الكبير بما فيه من الماء الكثير فقال له يا اسطى دعني أفرغه لان الماء كثير فقال لايمكن ذلك وماهى الا شيلتك ومن قسمك ثم ربطه عتمان بالحبال وحمله عليه وسار عتمان خلف الجميع

قال الراوي وقد نظرة الناس الى ذلك فصاروا يتفرجون ويتضاحكون ويتكلمون ويقول الآخر انظر ياأخي الى القاضي وما فعلوا فيه لانه شهد شهادة زور فيقول الآخر هذا رجل ظالم أخذ مني الشهر الذي فرغ ستين فضه فقال الآخر حبسني عشرة ايام بغير حق فقال الآخر انه طلق زوجتي مني وقد تكلم العالم والقاضى سائر والرسل قدامه كماذكرنا الى ان وصلوا الي مطبخة العسل وتأمل بيبرس فرأى ماذكرنا فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال ياعتمان أنا قلت لك ائتنا برجل واحد نائب من طرف القاضى يكتب لنا حجه بشهادة الناس والا هات لنا المحكمة بما فيها فقال عثمان لا يصح الا هكذا ولاى شيء جبت الزير فقال لان فيه ماء بارد فلربما ان أحد منا يشرب لان هذا الماء الذي فى هذا المكان نجس فقال له وهذا الفراش والتكك فقال لاجل الجلوس قال والجريد قال عثمان لربما يكون أخذ عليه ذنب فيضربوه ولاجل أن يبقي لا يحتاج الى شيء فتبسم الامير من قوله وقال له الله يجازيك بفعلك ثم انه التفت الى الشيخ وسلم عليه وقبل رأسه ويديه وطلب منه السماح في ذلك بعد أن كانت الرسل قد أنزلوا الزير من على ظهر القاضى ثم انه اجلسه الامير وصبر عليه الى أن هدأ روعه وقال له يا مولانا لا تؤاخذنا بافعال عثمان ولا تتغير منه فقال له يا سيدي اعلم ان فعاله على قلبى أخف من الماء البارد علي كبد العطشان وهل يكون موجود من يتغير من الاسطى عثمان وهو جميله على كل انسان فضحك الامير وفهم المعنى وقال له يا سيدى اسأل أهل هذه المطبخة

عن هذين الرجلين فسألهم الشيخ فشهدوا باجمعهم على أنهم من أهل الضلال وكتب الشيخ الحجة بذلك وذكر فيها جميع ما قدمنا ذكره وختم عليها القاضي وسلمها الى الامير فأخذها منه وأرضى خاطره بحطام الدنيا وصرفه الى حال سبيله وارسل معه من يوصل له الفراش والتكك وهو الرجل الذي كان ماسك الجواد وثلاثة من أهل مطبخة العسل وترك القتلى واخذ عثمان وسار راكبا وكان الفقيه الذي هو أصل ذلك كله حاضرا فقال له يا شيخ اعلم ان الله اخذ لك بالثار واذاق خصمك الهلاك والدمار ولكن اريد منك ان تمضي الى شيخ الاسلام وتعلمه بهذه الامور والاحكام وتدعه يطلع الى الديوان فقال له سمعا وطاعة فهذا ما كان من هؤلاء (قال) وأما كان من الامير بيبرس فانه التفت الى عثمان وقال له اعلم ان الرجل الذي قتلته أنت مسلم وان العين بالعين والسن بالسن والحر بالحر والعبد بالعبد واذاثبت عليك القتل يقتلوك قال وما الذي افعل فقال له اريد منك ان تنكر القتل وتقول أنا ما قتلت احدا وأنا اعلم انه ليس احد يشهد عليك لان الناس كلهم يخافون منك فاذا وصلت الدعوة الى يد الملك الصالح فقل له لا قتلت ولا رأيت ولا نظرت فاذا انت فعلت ذلك فلا عليك جناح فقال عثمان هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انهم ساروا الى بيت الوزير نجم الدين فهذا ماكان من امر هؤلاء

(قال الراوي) واما ماكان من امر الملك الصالح والزناد القادح والبحر المليان السابح الصالح ايوب ولى الله المجذوب بن الفاضل بن الكامل بن سعيد السعدا ابن شهيد الشهدا ينسب الي حبيب النجار وحبيب النجار ينسب الى سيدنا نوح عليه السلام فانه بات واصبح يصلي ويسلم على من له الورد فتح صلى فرضه وقرأ ورده فدخل عليه الاغا جوهر الصالحي واعلمه بأن الديوان تكامل قال الملك الكمال لله تعالى ولرسوله ثم ان الملك قام الى الديو ن وهو يتوكأ على قضيب من الخيزران حتى اقبل الى التخت وبسط اياديه وقرأ

الفاتحة واهدى ثوابها الى روح سيدنا محمد والاولياء والاصحاب ثم الى ارواح الملوك المتقدمين من قبله ومن يجلس مكانه من بعده ثم ختم القراءة وجلس على سرير ملكه وبدأ أهل دولته بالسنة فردوا عليه بالفريضة الشرعية وكل منهم لازم مكانه وجالس في موضعه لانه كان ما يريد القيام له من احدمنهم وذلك من كثرة تواضعه ثم سلم ذات اليمين وذات الشمال امنت العساكر الاخيار وراق الديوان وقرأ القـارئ وختم ورقى الراقى وختم ودعا الداعى وختم وصاح جاويش الديوان وهو يقول صلوا على طه الرسول

الملك لله الواحد الاحد   الذى تكفل بالورى حراً وعبد

ورزق العباد منه تكرما   سبحانه جل عن ند وضد

تعالى ربنا عن كل شيء   جعلت عليه اعتمادي وسند

فقال الملك آمنا من اين كنا حتى اتصلنا سبحان من عنده كل مليك كمملوك وكل غني كصعلوك يا حاج شاهين الحق بيد الطير والطير الآخر شاطر قوي ومسعود قوي لما نظر الطير قد نفر الطير كان الطير اخذته الغيره فتغير الطير الآخر والله يا حاج شاهين الحق بيده فقال الاغا شـاهين من هؤلاء يا مولانا السلطان فقال الملك أنت يا رجل لا تؤاخذنى على كلامى انا رجل عبيط اتكلم بكل ما خطر عليَّ بالى فلا تؤاخذنى فى مقالي هذا النهار طالعه سـعيد فقال الوزير اللهم اكفنا شر هذا النهار فبينما هم في الـكلام والملك الصـالح يدندن واذا بالحمالين طالعين الي الديوان باليهودي والسدار فقال الملك حق يادايم ياحق يامعبود ياعلام الغيوب ياناهوطريق الترب من هاهنا قالوا له تعيش رأس مولانا السلطان قال في من قالوا في أمين مطبخة العسل هو والسدار فقال الملك من هو الذي قتلهم قالوا له قد قتلهم الامير بيبرس آغة الوشاقية رخادمه عثمان وقد احضروهم الى بين يدي السلطان ليظهر الحق ويبان فقال الملك الله الله ياحاج شاهين تبقى الدنيا فسابت لهؤلاء الاثنين ودور الحق على غطاه حتى أراهم يقتلوا وينهبوا وأنا موجود

لا كان ذلك أبداً (يا سادة) فلما رأى القاضى الملك وقد امتزج بالغضب تحرك من مكانه ونفض اكمامه وجنح طيلسانه وهز دبدبانه وقال لا حول ولا قوة الا بالله بدا الاسلام غريب وسيعود كما بدا تحركوا يا أجدادي ياعراقيون يا مولانا السلطان أتكلم كلمة ما فيها من السيئات قط أم اصنط فقال الملك تكلم يا قاضى فقال القاضى أنا كم اقول لك القول مراراً وأعيده لك تذكاراً واجهاراً وأقول لك ان هذا الغلام ما أتى من بلاد الاعجام الا يريد أن يفسد ملكك وأنت تكذبنى ولا تصدقنى ولا حول ولا قوة ان بالله يا مولانا السلطان هذا الغلام يقتل قتلة بعدقتلة وخادمه معه لأن بوجه الشرع يامولانا لا يقتل اليهودي الا اذا كان عاصياً عن اداء الجزية وهذا رجل يدفع الجزية ولا يحل قتله والثانى رجل ناجح فالح واسمه صالح سنى سنوى وأنا أعرفه لانه رجل من اهل الخير فاقتلهما يا مولانا السلطان قتلة لا حياة بعدها أبداً وان كان يعظم قتلهما علىَ مولانا امير المؤمنين فأساعده من مالي وصلب حالي وزكاة نعمتي ومحبتي فى دين الاسلام والمسلمين بمائة جواد ومائة مملوك ومائة كيس من الذهب وعليك يا وزير ايبك بمثلها فقال ايبك وأنا ما لي يا قاضى فقال له ارسل وامض واحضر ما ذكر واعلم انه عندي في المسود مسطره ومذكور لك في دفتر وهو فى قرار مكين وانا مبشرك بهذا فقال الملك تحط يا سيدي ايبك والا لا فقال له احط يامولانا السلطان فقال السلطان حضروا لنا ما ذكرتموه حتى نرسل الى هذا الولد المقصوف العمز المغرور بالبهتان وفعل الفجور فقال الناضى امضى يا منصور وأتى بالمال والخيول وانت يا ايبك ارسل وأتى بالمال المذكور فأرسل ايبك وفي عاجل الحال أرسلوا جميع ماذكروه وأحضروه بين يدي السلطان من المال والخيول في حوش الديوان فقال الملك انزل يا نجم الدين واحضر لنا هذا الغلام حتى ننظر مايكون من الامر والشان فأجاب نجم الدين بالسمع والطاعة ونزل فى عاجل الحال من تلك الساعة ولم يزل

سائر حتى وصل الى بيته ودخل على الامير بيبرس وسلم عليه فنهض الامير ورد عليه السلام فقال له يا بيبرس اعلم ان عليك دعوة فى الديوان وقدأمرني الملك ان أحضرك الى هناك والسبب فى ذلك انه قدقيل عنك انك قتلت رجلان في بولاق أنت وعتمان وقد أمرنى بحضورك السلطان فان مضيت معى سرت أنا واياك وان أقمت ها هنا أقمت أنا واياك فقال له الامير يا ابى لا بد ان أسير انا واياك الى الديوان وما يجري علي الا ما قدره الملك الديان ثم انه أخذ الامير معه وسار حتى وصل الي الديوان وتحول عن الجواد وسلمه الى عتمان وصعد مع نجم الدين الى أعلا الديوان ولما وقعت عينيه على عين السلطان وصاح وهو يقول نعم أمدك الله بالعمر والبقاء كما أمد نوحا بعمر نال فيه شفاء فقال الملك بسم الله الرحمن الرحيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اللهم عمر بك الارض والبلاد اللهم أهلك ضدك اللهم أقم سعدك قل آمين يا قاضي قال القاضى آمين اثنين ثم قال الملك يا سيدي بيبرس عليك بالحق ولاتبالي فانه ياولدي سفينة النجاة فاخبرني انت قتلت هؤلاء الاثنين فقال لا وحق جد الحسين وانما انا قتلت هذا الرجل اليهودي لاجل ماقد جرى منه

تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس وأوله محادثة بيبرس مع الملك الصالح والحكم بحرق جثة اليهودي وزميله بالنار وذرها في الهواء

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوي على خمسين جزء

الجزء الخامس

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ — ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)
بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

قال الراوي ثم أن الامير بيبرس حدث الملك الصالح بقصة الفقيه وكيف أمره الملعون بتغيير اسم محمد وكيف ضربه على وجهه وقص عليه القصة من أولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وأخرج الحجة وأعطاها الى الملك وقال له اقرأ هـذه الحجة يا مولانا السلطان فقرأها الملك وعرف معناها وقال للقاضي اقرأها وسمعنا معناها فقرأها واذا فيها خطابا من الشرع الشريف الى كل من عارض حاملها نعم انه قتل اليهودي لكن بعد أن شهدت الناس انه طلب منه الفاحشة وسبه وتكلم معه الى كل ما يؤدي الى تلفه وما الذي جري من الاول الى الآخر فقال القاضي هـذه الحجة باطلة ومن يقدر أن يخالف بيبرس فقال الملك تأنى يا قاضي لانه قد أقر بالقتل فدعنا الآن من اليهودي ومن قتل هذا الرجل المسلم الذي هو معرفة القاضي قالوا له قد قتله خادمه عثمان قال الملك احضر لنا عثمان يا بيبرس ثم نزل الى عثمان فرآه جالساً على رأي من قال هذا المثال صلوا على سيد ولد عدنان

ما عندي خبر يا خل من عمري ولا السليم بحالات السقيم يدري
ولا الذي واصل أحبابه الى الفجر مثل الذي انقطع قلبه وهو يجري

قال الراوي فأقبل اليه بيبرس وقال له ياعثمان كلم الملك قال عثمان أبو جوطه قال نعم قال عثمان هذا رجل مافيش وايش الذي يخرج من يده قال له قم ياعثمان بلا قلة أدب وان سألك انكر القتل وقل لاقتلت ولا رأيت فقال سمعاً وطاعة ثم أخذه وسار الى باب الديوان واذا بعثمان صاح يا ليل موال

أجيكم كلما نهق حمار نصار ... وكلما هبت جروة على أعلا دار

يامن على صحن خده سرجة زيت حار ... قتلتني غدراً يا أبي قول حار

قال ثم صاح عثمان الخير عليكم من الطاقة الى العلاقة ومن الدفة للشابوره صباح الخير عليك يا بوجوطه الفاتحة منا في صحايفك وصحايف الاسطبل الذي ربى صغرك وعلمك ضرب الكفه والمديد فقال القاضي هو سايس يا ممقوت قال الملك اسكت يا قاضى أنت والسايس ماله رضى الله عن القنبر على ساعى ركاب النبي قال عثمان صباح الخير عليك يابوفرمه صباح الخير عليك يا ابيك يا عين القط اللقيط السلام عليك أنت يارجل ياابن عبدالسلام خزاك الله يا قاضي يا عدو الجدود يا منقوش ياللي من الحارة الضيقة الظلمة التي يعرفها أبو قوطه قال الملك يا قاضى ان عثمان يقول لك يا منقوش يعني ايش قال القاضى اعلمك انه قد رآني وأنا ولد صغير مريض بالجدري فمن مدة ذلك يقول لي يا منقوش فقال عثمان اتكلم يابوقوطه قال الملك لا يا شيخ عثمان نحن ناس من الاحرار كاتمين الاسرار يا قاضي اسكت لان عثمان ظلامه مافيه نور أبدا فاحترس لنفسك منه لئلا يكشف الغطا ولا يبالى بأحد أبداً فقال القاضي هو رجل عظيم قال الملك يا عثمان أنت قتلت هذا الرجل لأى شيء قال عثمان عز الله جل الله ما فى الكون غير الله قل معى أنت يا بو قوطه لا اله الا الله محمد رسول الله قال الوزير فى نفسه الآن يذكر كما جري وأما عثمان قال يا ملك نحن رحنا الى بولاق فوجدنا رجلا فقي يبكي ويدعى عليك وهو يقول ألله يقصف عمرك يا صالح ربنا يقلب تختك يا صالح فقدمنا اليه

وسالناه عن حاله فأخبرنا بما جرى له ثم أن عثمان حدث الملك بالقصة من أولها الى آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها ولما رحنا الى مطبخة العسل وقتل بيبرس اليهودي وأنا نبطت رفيقه وقدعلمت مثل ماتعلم أنت انه صديقه فقال لي بيبرس هذا مسلم والعين بالعين قلت له ابن عمه وما يتخبر عنه قال لي انكر وقل لا رأينا ولا سمعنا ولا معنا خبر فلما أتينا الى عندك أخبرناك وخبر خبرين ثلاثة لا شفنا ولا رأينا ولا معنا خبر مما ذكر فقال القاضي اقرارك من لسانك لا عذر لمن أقر وما هذا المظلوم الا رجلا عفيفاً شريفاً فقال الملك يا قاضي اصبر ثم أن الملك صاح يا دايم يا حق اظهر الحق واعلي كلمته واخفض الباطل وقل قيمته وأشار الملك بيده واذا بالرجل الفقيه طالع ومعه شيخ الاسلام وأهل مطبخة العسل بالتمام فقال الملك ما الخبر فقالوا يا مولانا السلطان نحن الصناع الذي في مطبخة العسل وقد أتينا نؤدى الشهادة بين يديك احتساباً لان هذين الرجلين أفسد من فى الكونين وأحدهما قد عرفنا انه يهودي والثاني لا نعرف له دين وحاشا أن يكون من المسلمين وما يقول انه لا يعتقد في ملة أو يقين فقال الملك حق يا دايم ياحق ياعلام الغيوب ولكن ياقاضى من شهدت فيه الناس بالفسق وقلة الدين يكون على غير استقامة ولكن من الرأي أن تقوم وتكشف لنا عليه فقال القاضي أنا أعرفه رجلا شريفا عفيفا قال الملك قم بلا كثرة غلبة فقام القاضي ومد يده الى التابوت وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اقشعر بدني يا أمير المؤمنين قال الملك مارأيت يا قاضي قال نصرانياً يا أمير المؤمنين والعلم الشريف قال الملك ماجزاها عندك يا قاضي قال القاضي يحرقوهما بالنار ويدرونهما فى الهواء قال الملك افعلوا ما قال القاضي وعزة الله ما نابهما الا الحرق بعد الموت ثم قال الملك للقاضي لأي شيء بذلت هذه الدراهم والمماليك والخيول على قتل هذا الغلام عنية بالبغي والاسراف أو على اظهار الحق من الباطل فقال القاضي حفظ الله

مولانا الامام لاظهار الحق من الباطل كانه الشمس الضاحية فى السماء الصافية فقول هؤلاء حق قال القاضي هذا المال حق الى بيت مال المسلمين قال الملك اعلم يا قاضي ان بيت مال المسلمين غني عنه وهو من عندى هبة كريم لا يرد في عطاه الى بيبرس فلما سمع ايبك ذلك قرأ الفاتحة ثم ان الملك التفت الى الوزير وقال له ليس بيبرس ملتزم مطبخة العسل واخراج القصب بأرض بنها واكتب له حجة بأنها له من غير مال فنزل بيبرس من الديوان بعدأن ألبسه الوزير الكرك بأنه ملتزم بنها وكتب له الحجة قال وكانت بنها العسل فى قسم نجم الدين البندقدارى فلما وصل الامير بيبرس الى البيت وعبر الى المقعد وقد التقى بزوج خالته فسلم عليه وجعل يتحدث معه وقد هناه بأخذ بنها وانشرح خاطره من ذلك فبينما هم كذلك واذا قد دخلوا عليه عشرة رجال فلاحين بنها العسل فقال لهم الامير ما معكم من الاخبار قالوا له معنا كتاب من عندشيخ العرب سرحان ونحن من رجاله من عهدسيدنا نجم الدين البندقدارى فقال لهم نجم الدين اعلموا ان التزام بنها صار الآن لولدي ثم قال له خذ منهم الكتاب وانظر ما فيه من الخطاب فأخذه بيبرس وحله وقرأه واذا فيه خطاب من المعلم سرحان الى بين أيادى الوزير نجم الدين ان الواصل لكم صحبة حاملين الكتاب رجل يقال له شرف الدين وهو المعلم ببنها القديم وان هذا الرجل من أهل الجور والفسق وقلة الدين ولا عرفنا له ملة ولا يقين وقد قتل بيده من الاشراف عشرة ويتم اطفالهم وأذاقهم الحسرة وقد قبضنا عليه وهو يفعل حتى شهدت الرجال كلهم عليه وهؤلاء العشرة من بعض الشهود وعندنا غيرهم كثير من العباد مثل فلان وفلان وقد أرسلناه اليك وهو مكتوف اليدين ومقيد الرجلين فالمطلوب منك أن تجازيه على فعاله وأن تعجل عليه في القتل من بعد عذابه وارتحاله وتمحى آثاره وتعجل بدماره وتريحنا منه ولا ترجع عنه حتى تسقيه كاس حتفه ومع هؤلاء العشرة

ماية دينار ذهب فخذهم اليك واذق هذا الرجل العطب وهـذه أول حاجتنا عندك وربنا يتمم سعـدك والسلام على نبي تظلله الغمام قال الراوي فلما سمع بيبرس هذا الكلام التفت الى الرجال وقال لهم وأنتم ياناس شهدتم على هذا الرجل بأنه شرير ونحس من الانحاس قالوا نعم ياسيدنا هو رجل كذاب كثير الفسق والذهاب فقال لهم وأين هو الآن فأتوا به وأحضروه في عاجل الحال اليه وتأمله الامير ونظر اليه وكان صاحبه بصير فبانت له في وجهه علامة الصلاح والخير وأخذته علية الرحمة لكنه مايدري كيف يصنع في هذه المحنة وقد نظر المعلم شرف الدين الى حاله ومانزل عليه من عذابه فجعل يتنهد كمداً ويتصعد مدداً وجعل ينشد ويقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات .

قد سلمت أمري للطيف العالم ۞ وارحت نفسي من جميع العالم
وفوضت أمري الي نحو خالقي ۞ مـبرى العظام من أليم الآلم
فربي عـليـم بحالي كلـه ۞ وهو عليم بما تـكن الحمايم
فربى قدير علي ان يغيثـنى ۞ وهوالـكريم وهوأرحم راحم
وهو العلـيم بمـا قد حـل بي ۞ من أهل أشرار وأهـل جرايم
مـدوا علي بجورهم وتجـبروا ۞ وشهـدوا على بما ليس يعلم
وذكروا عـنى فعالا كريهـة ۞ وهي لهم شأنا وربي أعـلم
فان كان لى قـدرا رميت به ۞ وان كانت الاخري فلم أنجرم
فلا بد لنا يوم القيامة موقفا ۞ ينجوا به المظـلوم ممن يظلم
ولا بد لنا من ميزان نؤدي بها ۞ وصحائف كتب بكل مأثم
بيض وسودتراها فى كل موقف ۞ وما من يأخذ كريم وما يكرم
ولا بد من نار تخاف سعيرها ۞ ولا بد من جنـات تزد تنعم
فهنا لك الناجى يبان حقيقـه ۞ وهنا لك الطاغى يجر ويقـدم
ورب العـرش جـل جلاله ۞ هو القاضي بين العـباد وحاكم

قال الراوي ولما فرغ الرجل من انشاده التفت اليه الامير بيبرس وقال له ياشيخ أنت قتلت عشرة من الرجال فقال لا وحق الملك المتعال الذي أرسي الجبال وعلم كم وزنها حبة ومثقال لا عمري قتلت ولا نهبت وانما المجازي هو الله فقال له بيبرس الآن تري عاقبة فعلك وسوف تظهر أعمالك ثم انه نادي ياعثمان خذ هذا الرجل وادخله الى السجن والتفت الى تلك الرجال وقال لهم خذوا رد الجواب وسيروا الي صاحبكم وقولوا له لابد مما ذكرت ان يحصل وان الامير لم يخالفك أبدا وأقروه عني جزيل السلام وقولوا له قد فعل الملتزم كلما به قد أشرت فقالو سمعا وطاعة وساروا الى حالهم وأما ما كان من الامير بيبرس فانه صاح بعثمان ولما حضر اعاد عليه ما جري من أول الامر الى آخره وكشف له عن باطنه وظاهره فقال عثمان يا دولتلي وحق مالك الممالك الذي كل شيء دونه هالك هذا الرجل مظلوم وحق الحي القيوم ولا جرت منه هذه الفعال وحق الملك المتعال والذي أقوله انه هو الذي ينفعك في أرض بنها العسل ويظهر لك الاصل الاصيل والزغل وأنا قد عرفته اكثر منك فتأني في أمرك وفعلك ولا تكن عجولا وما قال هذا عنه الا من هو أفسق خلق الله تعالى فقال له بيبرس سمعا وطاعة وقد علم ان قوله صواب ماهو هزيان ثم أنه أمره ان تمضى الي السيد شريف الدين ويحله من وثاقه ويفرج عنه مابه من ضيق خناقه فاجابه عثمان الى ذلك الشأن ونزل الى السيد شريف الدين وهو يبكي وينوح من كبد مضني مجروح واولداه عليك ياشرف الدين والله انه رجل صالح ياخساره ياشرف الدين ولم يزل كذلك حتى أقبل عليه فلما رآه شرف الدين ارتعدت فرائصه وخفق فؤاده وتكدر وارتعبب أكباده وقال له مالذي جري يا اخي فقال له اعلم ان الملتزم فى هذه الساعة يريد ان يضرب عنقك فلما سمع ذلك السيد شرف الدين قال كلمة لا يخجل قائلها

لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون كل نفس ذائقة الموت ثم انه جعل يندب نفسه ويبكي وينشد ويقول

رمتـني الايام ظلما بجهلها   وكم من أمثالى رمت الايام
فعلت الجميـل مع غير أهله   فخانوا الجميل وتبعوا الملام
وقدبليت بقوم مايعرفون لى   جميـلا ولا يرعوا لى زمام
وقدزرعت طيباً في ارض خبيثة   فلماتناها حده طرح لى سقام
وقد ظلموني من غيرذنب بدا   واثبتوا على كل فعل حرام
وقولوني بزور لم أقول به   وأثبتوا علي كلام في كلام
وذكروا عـني انى قتلت نفساً   زكية حرم الله قتلها حرام
ولـكنني ان مت مت شهيداً   وربي عالم بكل مرام
ويكفيني اني مت على الهدي   وارثا لدين أهـل الاسلام
أشهـدك ياربي انى مسـلم   ومسلم لك في كل الاحتكام
اموت علي دين خـير الورى   فهو الشفيع غدا في الزحام
ربي على مـلة الاسلام امتني   وتبني يامولاي للاسلام
وأنت وكيـلى فى جميع اموري   تأخذلى حقى عن جميع الاخصام

قال الراوي ولما فرغ من اشعاره وماقاله من نظامه قال له قم الآن واجب الامير فلا شك انك رجل ظالم قاتل النفس شرير شارب الخمر المصـير ثم ان عثمان أخذه الى الاميرفتأمله واذا به ذا عقل رزين كثير العقل فقال له الامير يا أبي مالى أراك علي هذه الحالة الشنيعة وقد نزلت بك هذه الامور الوضيعة فقال له ياولدي كل شيء بقضاء الله وقدرته وما يقدر أحد ان يخالف حكم الله وامره ومايقع في ملك الله الامايريده فقال له ومامعني هذا الكلام قال له ان خادمك ذكرلى انك تريدان تضرب عنقي وتورثني كاس حتفى وتجعل يومى كامسي فلماسمع الاميرذلك التفت الى عثمان فقال عثمان وأنامالى اناقلت له الجندي يريدان يضرب

عنقك ويعدمك مهجتك ويريحك من نفسك وما ذكرت له غير ذلك وحق السيد المالك فقال بيبرس لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الامير هجم على السيد شرف الدين وحل كتافه والوثاق وأطلقه مما هو فيه من ضيق الخناق وفك أياديه من الاخشاب وقال يا أبي عليك مني الامان من التلاف والعذاب فلا يأخذك فزع ولا جزع ولا تسمع كلام هذا الرجل الخرفان الذي هو عثمان فاترك كلما كان يقوله من الكلام ثم انه أخذ بخاطر الرجل وأجلسه الى جانبه وأمر بالطعام وأكل معه وقد صفى لهم الوقت وطاب وأمن الشيخ على نفسه من الالتهاب ومما كان فيه من العذاب وبعد أن استقر به المقام وفرغوا من أكل الطعام التفت الامير الي الشيخ شرف الدين وقال له يا أبي حدثني بقصتك وأطلعني على قضيتك فقد صح عندي أنك صادق اللسان مظلوم من كل انسان فعليك بالصدق ولا تبالى واذكر ما جري من أول القصة فقال له والله العظيم لا أقول لك الا حقا ولا أتكلم بين يديك الا صدقا فروق ذهنك وأكثر من الصلاة على نبيك

قال الراوي وكان لهذا الرجل سبب عجيب وأمر مطرب غريب اسمع يا أمير انى قد كنت معلما بارض بنها العسل وسائل سكر الحرمين وقصبه وسكر السلطنة وكل منهم له عندي جزء معلوم الى أن كان يوم من الايام ركبت فرسي وسرت بالسكر قاصد أرض مصر فمررت على عرب يقال لهم عرب الرملة فتأملت فرأيت رجلا حراث وهو قابض على غلام عريان وهو يضربه ضربا شديدا ما عليه من مزيد وذلك الولد يستغيث فلا يغاث فلما رآني ذلك الغلام قد قاربت منه جعل يستغيث بي فتقدمت اليه وقلت له ياشيخ اتق الله واخشى عذابه كيف تعذب هذا الغلام بهذا العذاب أمابلغك قول النبى عليه وآله الصلاة والسلام الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء فلما سمع مني ذلك الرجل هذا المقال فلم يلتفت الي بل انه ازدد في ضرب الغلام

فاخذتني عليه الشفقة فتحولت من على ظهر جوادي ودنوت منه في الحال وقلت
له أخبرني عن ذنبه وما الذي فعله من الفعال فقال لى اعلم يا شيخ أني أنا رجل
حراث أنا وهذا الغلام عند شيخ البلد علام ولنا عليه في كل يوم ثلاثين بتاوه
وقرصتين خبز ومخلين بصل نأكلهم أنا وهذا الولد ونحن نحرث له الارض كل
يوم فلما كان هذا اليوم غاب علينا الغذا فارسلت هذا الولد الي دار الشيخ ليأتينا
بما نأكله فغاب عني وعاد وما معه شيء من الزاد فسألته عن ذلك فاخبرني أنه
توجه الى الدار فوجدهم يخبزون فقال لهم أنظروا لنا عندكم قدر عشرة بتاوات
وأعطوه ذلك فاكلهم وعاد الي عندي ومامعه شيء وأخبرني بما فعل فلما سمعت
منه ذلك وكان قرط عليّ الجوع فالتهب فؤادي والضلوع فنهضت اليه من شدة
جوعى وأتيت باربعين عودا من الرمان والبرقوق وربطته كما ترى وحلفت انى
لا اتركه الا معدوم وجعلت أضربه وأستريح وكلما قرط على الجوع أعيد عليه
العذاب وقد كسرت عليه خمسة وعشرين عودا وصار كما ترى يخرج دمه ظاهر
الجلود وقد اقبلت أنت الى وسألتنى عن ذلك أخبرتك فسر الى حال
سبيلك ودعنى اكسر عليه ما بقي من العيدان ولا أتركه حتى يشرب كاس
الهوان فقلت له أكرمه لاجل خاطري لانه قد وقع فى عرضى فقال لى
أنا رجل لا أعرف ذلك الاكرام ولا أعرف العرض ولا الزمام فجعلت
أتحايل عليه باي حيلة كانت فلم أصل اليه فلما أعياني الامر وقل منى على
ذلك الغلام الصبر قلت له تعطيني هذا الغلام وأنا اربيه لوجه الملك العلام
وتأخذ هذا الكيس فيه خمسمائة شريفى ثمنه فلما سمع الفلاح مني ذلك
طاش عقله وضاع صبره وقال لى بعتك اياه فقلت له خذ ما ذكرت لك
وناولته الكيس وأخذت الغلام والبسته عباءتي وارسلته مع رجل من
الفلاحين الى البلد والغلام يدعى لى ويطلب لى السعد من الازل الي الابد ثم
اني بعد ذلك توجهت الى مصر وجهت السكر ووفيت كل ما كان عليّ من

الطلب لبيوت الوزراء وبعد ذلك رجعت الي بنها العسل وانا في كل اموري على عجل لاجل هذا الغلام الذي الى وصل فلما وصلت البلد أرسلته خلف الفقيه وفعلت له فدية وعلمته القرآن وذكرت له بعض معانيه وهو شهيد عليه والله تعالى لم يصل ثوابه اليه ولما فرغ من ذلك اتيت له برجل نصراني وقلت علمه القلم الديواني فاطاعني وما عصاني الى ان صار كاتب حاسب قارئ ناجب فطين لبيب وصار يحسن الخط والتضريب وصاروا أهل البلد ينادونه يا ابن المعلم فلما نشأ وقرأ وفهم قلت له يا ولدي انا الآن صرت رجل كبير وما لى قدرة على التحصيل والتطبيخ والعصير. واريد ان اعبد الله في المسجد بطول النهار واقيم فيه الى عند الاعتكار وأنت يا ولدي أولى من غيرك وأحق بالتقريب واريد منك يا ولدي اكلى وشربي وخذ أنت كلما كان تحت يدي واحكم على كل ما كان فى حكمى ثم انى سلمت له المطبخة والارض والدار وصرت مقيما فى المسجد آناء الليل وأطراف النهار وأنا أحمد الملك الغفار فلما كان هذا العام الماضى أرسل الينا الوزير نجم الدين من طرفه من يتسلم السكر وكان صحبة الرسول رجل كاتب يقال له قدوير والمملوك الرسول يقال له صالح فلما وصلوا الى هناك تلقاهم ولدى سرحان وقد اكرمهم غاية الاكرام وقد جعل لهم محلا برسمهم ولما اقبل الليل اجتمعوا ببعضهم وشربوا الخمور واغضبوا بافعالهم الملك الغفور وصارت الكاسات عليهم تدور وارسل سرحان أتاهم بثلاثة من النسوان الفواجر فجعلوا يرقصون بين ايديهن ويفعلوا المحرمات وداموا على هذه الصفات حتى رأوهم الناس فبينما أنا جالس فى المسجد واذا قد اقبلوا على أربعة من الرجال الفقراء فسلموا علي وجلسوا الي جانبى وساررونى وقالوا لي فى اذنى قد جرى من الامر كذا وكذا وأعادوا على فعال ولدى وقالوا هم الآن في المكان الفلانى ومضوا عنى بعد ذلك فنهضت من وقتى وساعتى وذهبت الى ذلك المكان

ودخلت اليه من غير ان يراني انسان واذا قد وجدت الثلاثة على الفساد من السكر والنساء والاولاد فاقمت خلف الباب ونظرت ذلك الحال والمصاب فبينما أنا أنظر واذا بامرأة منهم أقبلت بعد أن رقصت ودنت من سرحان وعلى حجره قعدت وجلست ومد يديه الاثنين من تحت ابطها وشبك على نهودها وقرط عليها وهي تتاوهه وتتمايل عليه وتقبله وهو كذلك يضحك ويقبلها فلما نظرت الى ذلك تغيرت وقد التهب قلبي بالنيران واتيت الى عنده وقلت له ياويلك ياقرنان كيف انك تقرأ القرآن الذي نزل على قلب ولد عدنان وتفسد بالنسوان وتغضب بفعلك الملك الرحمان ثم انني ضربته على وجهه بيدي من شدة غيظي عليه وتركته ونزلت وانا منزعج الراس كثير الفكر والوسواس وقد اقبلت الى منزلي وانا لا أتكلم ولا ادري عاقبة هذا الامر المحكم ولما ضربته الكف بين أصحابه صعب عليه وكبر لديه وكذلك على صاحبيه واتفقوا على هذا الرأي الذي اوقعوني فيه وقد صبروا الى الليل واتوا بهؤلاء العشرة القتلا وانزلوهم في داري من غير علمي وقد اكمنوا الى الصباح فلما جاء الصباح أردت النزول الى الجامع مثل عادتي حتى اصلي فريضتي وما أدري ماقد جرالي من مصيبتي فلما توسطت الدار وجدت القتلا مطووحين على الجدار فقلت لاحول ولا قوة الا بالله ومن أين لي هذه القتلا ومن الذي أتى بهم الى داري ولكن الرأي الصواب أن أدفنهم ولا أظهر أمرهم خوفا ان الناس يقولون عني اني قتلتهم ثم انني صرت أحفر الارض واذا بشيوخ البلاد والمشدين والمملوك والكتاب وولدي سرحان على هاجين والى نحو داري طالبين ثم انهم دخلوا الى الدار فرأوني أحفر الارض والقتلا بين يدي وقد نظر وهم كل النظار ورأوني انا احفر الارض واريد ان ادفنهم فهجموا علي ولطموني حتي اعموني وقالوا لي انت الذي فعلت هذه الفعال وقتلت هؤلاء القوم يانذل الانذال ثم انهم اوثقوني كتاف وقووا مني السواعد والاطراف وجعلوا

في يدي الخشب وكادوا ان يورثوني العطب بعد ان لففوني دائر البلد وانا لا ابدي كلام ولا أذكر لاحد مرام ثم انهم غطوا رأسي بالغطا وأرسلوني مع هؤلاء العشرة الى مصر القاهرة وقد أرسلوا معهم جواب الى الوزير نجم الدين يأمروه بقتلي وصلبي فاتيت اليك وقصصت القصة عليك فلما نظرتني أمرت بحبسي ثم ان عثمان اقبل علي وقال لي سيدي يريد أن يضرب عنقك لانه رأي القتل ثابت عليك ثم أخذني واحضرني الى بين يديك فسألتني وأخبرتك وهذه قصتي والسبب وحق من عن العيون قد احتجب وهـذا ما جري من أول الامر الي آخره والله على ما اقول وكيل خبير

قال الراوى فلما سمع الامير ذلك تعجب غاية العجب وقال والله انه يحق لهذه الاعاجيب ان تكتب بالذهب ثم قال يا ابي شرف الدين اني قد اعطيتك الامان والزمام وما عليـك خوف ولا ملام وحق الملك العلام غـير انك لا تعارضني فيما أفعل من الاحكام حتى أدبر واكشف هذا الابرام ومن فعله ولا تلوم على فيما اعمله ولا تصدق عثمان ولا يأخذك من جانبي خوف ولا فزعان لاني اريد احقق هذا الامر بمعرفتي فقال له افعل يا ولدي ما بدا لك نجح الله أعمالك فقال يا عثمان امض بسـيدي شرف الدين الى السـجن فسار به عثمان وتركه في السجن مثل ما كان فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من الرجال الفلاحين فانهم ساروا الى بنها العسل ودخلوا على سرحان وأعطوه رد الجواب وقالوا له انه يقرئك السـلام ويفعل كل ما أمرته به من الاحكام فلما سـمع منهم ذلك فرح غاية الفرح واتسع صـدره وانشرح وأيقن بهلاك شرف الدين ونهب ماله على يقين ثم أقام على ما هو عليه من سكره وفسـاده فهذا ما كان من امره وأما ما كان من أمر ألامير بيبرس فانه التفت الى عثمان وقال له يا اخي اريد منك ان تمضي الى بولاق وتنظر لنا مركب صغير تسع أربعـة من الانفـار حتى اننـا نـنزل فيهـا ونقصـد بنهـا العسـل وتلك

الديار ونعمل على قدرماترى من الاعمال فأجابه عتمان الى ذلك الشأن وأخذ
رزته وسار ولم يزل سائر بالاتفاق حتىوصل الى بحر بولاق فتأمل واذا بالريس
فرحات جالس مقدم الذهبية التى للسلطان وبين يديه اتباعه والغلمان فقال
عتمان والله مايصح لنا الا هذه الذهبية حتي نسافروافيها و نفوسنا هنية مطمئنة
مرضية ثم ان عتمان اقبل خلف الرئيس وضربه بالرزة حتي ظن انه قد مات
فلما فاق التفت الى الضارب فوجده عتمان وكذلك عرفوه سايرالغلمان فنهض
سريعا على الاقدام خوفا من الاسطي عتمان وقال له اهلاوسهلا ماالذي تريد
ياعتمان فقال عتمان الفاتحه فقال له حلت بركاتها ولكن ياعتمان الفاتحة من خلف
او من قدام قال عتمان ان هذه الطرقات كلهامسالك فدعنا من هذا كله واعلم
انني اريد هذه المركب اسافر فيها الي بنها العسل وتعود انت سريعا على عجل
فقال له ياعتمان هى ذهبية السلطان لم ينزل فيها غيره انسان فقال عتمان ومن
هو السلطـان قال له الملك الصالح جليل الشأن فقال عتمان قطعت منك ومنه
الاذن واليدان والرجـلان فوعزة الملك المنـان لا أسافر الا فيهـا ولم انزل
في غـيرها فقـال له الريس فرحات يا عتمان إسمع كلامى ولا تكن عنيـد
فان اردت أن تسير فى هـذه المركب فأتيني بأذن من عنـد السلطان الملك
الصالح حتي لا يعتب على بعتـاب أو من الوزير الاغا شاهـين والا عزة الله
الملك المبين الذي تكفل برزق العـالمين وخالق الاولـين والآخرين ان لم
تأتيني بأذن من الملك لم انتقل بهـا لو كنت من الهالـكين فقال عتمان اعـلم
انى اخاف منك ان تتركنى وتهرب بعد أن امضى فقـال له ولاى شيء ذلك
والله لا فعلت ذلك ابدا ولو سقيت كاس الردى فقال عتمان أما من خصوص
الاذن فانا اتيك به ولـكن وحق من لم يطلع أحد على غيبه وقـد تـكفل
بارزاق خلقه ان تركتني وهربت لا بد انى اجد ورائك فى الطلب واذيقك
بيـدى كاس العطب واذبحك من قفاك ذبح التيوس واصلبك على مقدمتها

وحق الملك القدوس ولا ابالى من المعلم صالح ولا من كل روح وسار فاصلح أنت شأنها وعمر مقادفها واجعل فيها النمل والتعاليق وافرد هذه القلوع والتزاويق حتي امضى الى الملك المهاب وآتيك بالجواب ثم تركه وسار وهو لا يقر له قرار ولا يأخذه اصطبار حتي دخل الى الوزير ودخل الى الديوان فوجد الوزير جالس وبين يديه الحصان فقال عثمان صباح الخير ياوزير الزمان فقال الوزير اهلا وسهلا ومرحبا بك يا اسطي عثمان ما الذي تريد من الامر والشأن فقال سيدي يريد النزول الى بنها العسل وقد سرت الى الريس فرحات فى بولاق وقلت له خذ لك منى قرش كامل واوصل سيدي الي بنها العسل فابى عن ذلك فطلبت ان اضربه بالرزة فقال لي انا لا افعل ذلك حتى تأتيني بخطاب من ابو فرمة أو من السلطان صاحب الهمة فقلت له قد عظمت شأنهما وهما عندى مثل الهوى ثم انى تركته وأتيت اليك وأريد أن تكتب لى قوله بيدك وبخطك وختمك فانى حلفت أن لا أسافر الا فيها فقال له الوزير سمعاً وطاعة ثم كتب له الوزير تذكرة الى الريس فرحات يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فهذا خطابي واصل اليك أيها الريس فرحات بقضاء حوائج الاسطى عثمان وتوجه الى كل ما يريد فى الذهبية الملكية وما عليك فى ذلك ضرر ولا خوف وخطنا وختمنا حجة علينا بعدم المعارضة لو اقمت مع عثمان سنة كاملة والسلام على من تظلله الغمام ثم انه ناوله التذكرة وعلم عليها وختمها واعطاها لعثمان فأخذها وقال له بقى عليها يا وزير الزمان حاجة أخري فقال له وما هي يا عثمان قال أريد من يسافر مع الاشقر من الخدام لانه فقير ولا عنده زاد ولا عبيد ولا حشم فقال الوزير سمعا وطاعة ثم رسم له بمائة مملوك وامرهم بمائة خلعة ومائة ركوبة وزربية ثم رتب له طباخين وفراشين وكل ما كان يحتاج اليه من فرش ومخدات وضيافات وعلوفات وقال يا عثمان ان كنت تريد شيئا غير هذا فقل

لى عليه فقال عثمان جزاك الله كل خير و كفاك كل هم وضير وسوف يصل اليك اكثر من هذا ولكن المماليك وهبة ولا يعودون والا يعودون اليك بعد ان يوصلو نا فقال له كل هذا هبة كريم لا يرد فى عطاه ياعثمان فأخذهم الاسطى عثمان وسار بهم الى أن وصل الجميع الى بولاق وسلم التذكرة الي الرئيس فرحات فأجاب بالسمع والطاعة ورتب الذهبية بكل ماكانت تحتاج اليه وانزل المماليك والخيرات وسلم الجميع الى الريس فرحات وقال له اسبقني بالذهبية الى شبرا فأجابه لذلك وعاد عثمان الى بيت الوزير نجم الدين وقابل عقيرب وقال له ركب الاشقر وسر بنا الى بولاق تاخذ انت الجواد ونحن نسير الى بنها العسل ومعنا الخيول التى للمماليك والسياس ولا يعلم أحد بهذا العمل فقال سمعا وطاعة ثم صعد الى بيبرس وسلم فرد عليه السلام فقال له أتيت بما أمرتك به قال نعم اكتريت مركبا صغيرة قوية فعند ذلك نهض بيبرس وركب جواده ولبس سلاحه وعدة جلاده وسار طالب بولاق وامر عثمان ان يركب شرف الدين ويسيربه الى هناك ففعل عثمان ذلك ولما وصلوا الي هناك قال الامير بيبرس أين القارب قال عثمان كان هنا وراح كأن الرجل اخذه وهرب فقال له الامير انظر لنا غيره فقال عثمان هذا لا يصح ان بني آدم يربطوه من لسانه ولكن سير الآن خلفى حتى انظره ثم سار عثمان وتبعه بيبرس على الاقدام ولم يزل كذلك حتى أقبلوا الى شبرا وتأمل عثمان فرأى مركب السلطان وهى كانها العروس اذا انجلت والدنيا اذا اقبلت فقال عثمان هذه مركب من يا اشقر قال نعم هذه مركب السلطان صاحب العدل والامان فقال عثمان انى أري القلوع من حرير فقال نعم ياعثمان قال عثمان لو كان يأخذ الملك الصالح قلعا منهم يلبسه علي بدنه أحسن من الدلق الذي نسل جلده وارق لحمه وابرأ عظمه واكثر سقمه وكان يبيع قلعا منهم ويشتري به لحمه يأكلها لاني ما أراه يأكل الا قراقيش

ناشفة فقال الامير لا تتكلم فيما لا تعلم لانه هو بحاله اخبره وما هو الا من اولياءالله العظام فقال عثمان أريد ان اتفرج عليها وانزل انا وانت اليها حتى ننظرها ونتأملها فقال له بيبرس سمعا وطاعه ثم ان الامير نزل هو وعثمان وشرف الدين وكانوا تركوا الخيول مع الخدامين فاخذهم عقيرب وسار الى ماامره به عثمان هذا والامير قد سار هو وعثمان وشرف الدين الى ان وصلوا الى الذهبية واذا بالسقالات موضوعة والآلات مرتبه مصنوعة فلما توسط الامير الذهبية واذا بالمدافع قد خرجت من جوانبها والغلمان قد قامت ونهض الرئيس فرحات وقد تبادرت المماليك من سائر الجهات وما منهم الا من قبل يد الامير بيبرس وتأمل الامير صدر الذهبية واذا قد وضع له كرسي من الساج الهندى بأربعة عساكر من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وأخذه الريس فرحات من تحت ابطيه واجلسه على ذلك الكرسى وهو يمدحه ويثني عليه وقد وقفت المماليك فى الخدمة بين يديه فلما رأى بيبرس ذلك الحال كاد ان يأخذه الدهش والانذهال وقال والله ماهذا الا أمر غريب ماخطر لى على بال ثم قال فى نفسه لابد ان الرئيس مافعل هذه الفعال الا لاجل ان يريد العطايا والمال ولكن ما الذي اعطيه الان وهو ريس السلطان ثم انه جعل يتفكر فى مثل ذلك الشأن واذا به يري المركب قد سارت على كف الرحمن والقلوع قد خرجت مثل اجنحة الطيور والنسور والعقبان والجميع ساروا بالرياح ملانين وفي عاجل الحال اوقدوا النيران وذبحوا الاغنام واشتغل الطباخ ودقت الطبول فى الذهبية وغنت الملاحين والنواتية ولما رأى الامير ذلك تعجب وكاد عقله ان ينسلب ولم يعلم باطن الامر فالتفت الى عثمان وقال له ياعثمان ما الخبر وما هذه الافعال التي قد جرت فقال له عثمان اسمع يا اشقر واختار لك خيرة من الاثنين اما تجلس فى مكانك ولا تسأل علي ما جرى

لك راما أن أرميك فى البحر فتشرب كاس وبالك فلما سمع الامير من عثمان ذلك تبسم ضاحكا وقال له اخبرني يا عثمان عن هذا الامر والشان فقال عثمان انه قد جري كذا وكذا ثم أن عثمان حدثه بالقصة من أولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وكيف انه قابل الريس فرحات وكيف مضى الى بيت الوزير فقال بيبرس وبأى شيء أجازى أنا هذا الوزير وما أنا على مكافئته بقدير فقال عثمان والله ما أنت مجازيه الا بالشرورات والامور الموبقات فقال له يا عثمان لا تذكر هذا الكلام فقد قرأنا فى القرآن المنزل على سيد ولد عدنان (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) قال عثمان اعلم انك رجل مثل العقرب خاين العهد والمذهب وكل من فعل معك جميل لا تجازيه الا بالشر والويل ولكن دعنا الساعة من الملاججة والكلام واعلم ان الرجل الذي أنت ذاهب اليه أديب بن أديب وعن المحرمات لا يحيد ولا يفيد ولا يمدك فى عينيه الا هذا الملك المظيم اذا رآه وما منّ الله به عليك من العطا والتكريم وما فعلت ذلك الا حتى أوقع في قلوب الاعداء الهيبة والرعب فعلم الامير بيبرس ان قوله صواب وهذا الامر لا يعاب فشكره على ذلك وساروا ولو كانت لهم أجنحة لطاروا ولم يزالوا يجدون السير الى أن كان وقت العصر وقد نظر الامير بالنظر فرآى مركباً مليانة سكر مقبلة من ناحية بنها العسل ومتوجهة الى مصر فلما نظر شرف الدين الى ذلك التفت الى بيبرس وقال له انظر يا سيدي الى هذه المركب وكيف انها مليانة سكر وان جميع ما فيها من مالي ومال أمير المؤمنين وما هم الا يريدوا أن يرسلوها هدية الى بعض رفقائهم فلما سمع الامير ذلك قال للرجال والغلمان الذين حوله صيحوا على الريس الذي بهذه المركب حتى يأتى الينا وننظر ما في مركبه ويعرضه علينا فصاحوا عند ذلك اللاحين والمماليك وكل من فى الذهبية وهم يسمعون ذلك ولا يلتفت أحد منهم فقال عثمان صيح عليه لانك أنت المفش الكبير

ولا بد أن يصغي لك الكبير والصغير فنهض بيبرس ووقف على مقدم الذهبية
وصاح يا ريس يا ريس فلم يلتفت اليه ولا عبأ به بل هو سائر على ماهو عليه
وهو يدير مركبه ويقول الى ملاحينه افعلوا كذا وكذا ولم يجب المنادى
ولم يجاوبه فقال له عثمان كان الريس لا يسمع كلامك ولا رد عليك خطابك
ارجع أنت الى مكانك وأنا آتيك به وبكل ما في المركب ثم ان عثمان تقدم
الى مقدمة المركب وكشف رأسه ومسك الرزه في يده وصاح يا رجال ياريس
أنا عثمان بن الحبله في المراغة بيتي والقبر الطويل ولي عبد اسمه فرج وعلى باب
بيتي قنديل معلق بحبل طويل وسرها فى مقامها اذا لم تأتي الى عندي لأنط
ورائك واذبحك من قفاك على مقدم مركبك وانجز بخنجرى باقى غلمانك وأقرانك
وانهب كل ما كان معك وأرميك في البحر حتى يأكلك السمك

قال الراوى فلما سمع الريس صوت عثمان وما قاله من الاقسام الذي يعرفها
كل انسان حتى صاح بأعلا صوته ميل عليه يا ابن كشاف اطوى القلاع ياشموتي
أرخ الطرف ياعجلان حول القارب ياشعلان ولم تكن الا طرفة عين حتى طالوا
وصارا الى جانب بعضهم المركبين فلما نظر بيبرس الى ذلك تعجب وقال لاحول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولما أقبل الريس على الامير قال له يا هذا كيف
أصيح عليك خمسة مرات وأنت لم تجبني قال يامولاى كان الريح قاعد فى آذاني
واني لم اسمع من ناداني قال له ولما صاح عليك عثمان كيف سمعت نداه فقال له
اعلم ان صوته دخل فى آذاني كانه الرعد اذا رعد والبحر اذا أزبد فقال عثمان
وحيات رأسك هذا يسمع ظراط النمل وماجاء اليك الا من خوفه مني والا لم يقبل
ثم ان الامير سأله عن وسقه الذي معه في مركبه وكان السائل له عثمان فقال له
وقد خاف منه الخوف الشديد اعلم ان هذا الوسق عسل وسكر ساقه أبو الشيخ
سرحان وأعطاني هذا الكتاب وأمرني أن أسير به الى رجل خمار يقال له
ناصر وأمرني أن أسلم اليه جميع ما في المركب وآخذ بدله من عنده شيئاً آخر

لا أعرفه انما هو مذكور فى الكتاب فمند ذلك حل الامير الكتاب وقرأه واذا فيه خطابا من المعلم سرجان الى بين ايادي ناصر الخمار الذى نعلمك به اننا قد صفى لنا الوقت وطاب لنا الحظ وأهلكنا الاخصام وذلك اننا عملنا ملعوب علي شرف الدين واتهمناه بعشرة ارواح وقد أشهدنا عليه جماعة من الفلاحين وارسلناه الى نجم الدين يقطع أثره ويصرم عمره وقد جاءنى رد الجواب من الملتزم الجديد بأنه يفعل كلما اشتهى وأريد وحمدنا ربنا على ازالته ونظافة البلد من طلعته ولا بد ان انهب داره وأسبي زوجته لانني أنا الآن صرت المعلم الجديد الكبير والريس الجديد الشهير وقد ارسلت اليك هذا السكر والعسل القطار وتستعوض لنا حقه خمرعقار وتحضرالي عندنا ليتم بك السرور والاستبشار ونقيم مع بعضنا على ما نحن فيه من الفرح والاستبشار والازهار اناء الليل واطراف النهار والسلام

(قال الراوى) فلما فرغ الامير من قراءة ذلك الكتاب ورأى ما فيه من الخطاب قطعه قطعاً وجعله بضعاً ورماه الى البحر وقال يا عثمان حول هذا السكرالي عندنا الآن فقال له عثمان سمعا وطاعة ثم أمر الرجال بتلك البضاعه وقال لهم حولوا يا جدعان والا ارميكم فى البحر وأسقيكم الهوان فلما تهيأ الفراغ من ذلك قال لهم سيروا الآن الي حال سبيلكم فانكم ما لكم عندي ذنب ولا دعوي ولا طلب فساروا وهم لا يصدقون بالنجاة قال ولم يزل الاميرسائر فى الذهبية الى ان اقبل الي بنها العسل وقد طلع عثمان قبله ومعه الدولة والغلمان وقد علموا بذلك الشان اهل البلد والاوطان ففتحوا دار الملتزم وكنسوها وهيأوها وفرشوها وطلع الامير بيبرس وبصحبته شرف الدين ولم يعلم به احد من الفلاحين لانه كان قد جعله بين عشرة من الغلمان وألبسه مثلهم وصار كانه منهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من سرجان فانه لما بلغه مجىء الملتزم نهض على الاقدام وسار الى عنده فلما رآه الامير

بيبرس نهض له وسلم عليه وصافحه واجلسه في موضعه وأظهر له غاية الاكرام وكان ذلك حبثا من بيبرس وخديعة وفي مثل هـذا قال الشاعر

ولي صاحباً لمـا رآني مقبـلا   من مكره تزحزح لي من مكانه
وسايرني ما دمت عندة جالساً   ولمـا تركـته عضني بلسـانه

(قال الراوي) فلما نظر سرجان الى هذا الاكرام ورأى ما هو فيه من العزوالاحترام كبرت نفسه عنده وظن أن مافي الدنيا كلها مثله وقدخاف الامير من صورته وشكله والا فما كان رحب به ولا قام له ثم انه جلس مكان الامير كما ذكرنا وتركه ولم يعتنى به ولم يجلسه ولم يسأل عنه قدر ساعة من الزمان ونهض بعد ذلك على الاقدام وسار الى محل اقامته ليتزودولا أبدى عندخروجه سلام ولا كلام ولم يدري بأنه قدولت عنه دولته ورماه الزمان بالنـكال والحدثان هذا ولما حرج من عند الامير تعجب من فعله وأخذه التحيير وقال الامير ان الرجل قد أعجبته نفسه وتكبر على أبناء جنسه ولا بد لي أن أسـكنه رمسه واجعل يوم حياته كأمسه واني أسلبه نعمته ويصير هذا القرنان مثل عادته لانه ظلم وبغي وتعدي وطغى وخان العيش الذي رباه فلعن الله أمه وأباه ثم أن الامير اضمر له في سره كل أمر يهينه فهذا ما كان منه (ياسادة) ولما استقر بالامير المقام نحو شهر كامل من الزمان أرسل اليه سرحان يقول له غداً يكون قص القصب فقال الامير على بركة الله الـكريم المحتجب ثم انه بعـد أن جاء الاعتـكار أحضر السيد شرف الدين الى بين يديه فى الدار وسأله عن مثل هذه الاخبار وقال له يا أبي غداً قص القصب فقال له السـيد شرف الدين والله يا أمير لقد سألتني عن أمر كبير هذا تركب أنت وسرجان يكون الى جانبك وتطوف على الغيطان معك فاذا رأي القصب الذى يكون طاب يتركه لاجل الذهاب ويمضى الى القصب التي القصير ويأمر الرجال بالقطع والتـكسـير وذلك لاجل انه اذا قطع الاخضر الناقص للتطييب فلم يخرج منه شيء لعدم

الاستواء واذا فرغ من ذلك اعاد الى القصب المستوي وأمر بقطعه ويكون قد أكله السوس فما يخرج منه عسل ولا يتدبر منه فلوس واذا أنت نظرت ما خرج فى ذلك العام فيحاسبك العام القابل مثل هذا الفرض وهذا لأجل ان يكون الوفر كله اليه والمال يكون له وبأتى اليه وهذة حالته والسلام

(قال الراوي) فلما سمع الامير ذلك الكلام اعجبه وقال والله ما احلا قولك وما اطيبه ولكن غدا يكون ما يكون باذن من لا تراه العيون ثم ان الامير جلس يتحدث مع السيد شرف الدين الى أن انتصف الليل وجلب نجم سهيل قال له يا أبي امضى الى المكان الذى برسمك حتي تأخذ من النوم حظك فقال سمعا وطاعة وقام من عند الاميرونزل عند عثمان ونام وتوكل على الملك العلام ولم يدري ما خطر بقلب الامير من التدبير فى مثل هذا الامر الخطير ولما اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابي والبطاح اقبل سرجان وصحبته الكسارين وجماعة من الفلاحين وطلب الامير فنزل اليه وسلم عليه فقال له من غير رد السلام سر بنا حتي نقطع القصب من قبل ان يحل به العطب من السوس فسار معه الامير حتى انتهوا الي غيط كبير فرأى الامير قصبه قد طاب واستوى فتركه سرجان ومضى الى مكان غيره فرأي الامير القصب هناك كلسه تفوا قصير قال سرجان أقطعوا من أوائل هذا المكان قال الامير لاي شيء يا أبي تترك القصب المليح وتتبع هذا المكان الذي مافيه منفعة ولاآن له أوان قال له سرجان اعلم انك جاهل بالارض لا تعرف لذلك طول ولا عرض وأنا خبير بحالى عليم بكمال اشغالى فدع عنك اللجاجة فما لك فى ذلك من حاجة فقال له الامير اسمع يا هذا وحق اللطيف الخبير ما اعمل الا بفعلى ولا أفعل الا بعقلى والرأى عندى ان تتركوا هذا القصب القصير حتى يطيب وتقطعون من الذى طاب من قريب فما تصلون الى ها هنا حتى يكون هذا بدأ اصلاحه وان اوانه ونجاحه ثم صاح في الرجال اقطعوا من هاهنا

واسمعوا قولي انا فعند ذلك نظرت الرجال الى سرجان فقال لهم أطيعوه في هذه النوبة فما هى الاسنة مظلمة سودا فتقدمت الرجال وقطعت القصب في عاجل الحال وكان كما أمرهم الامير الريبال وما قطعوا الذى طاب حتى يكون الآخر آخذ فيه الطياب وقد زادت بسرجان البليات وكثرت منه الشكوات وعاد الامير بعد أن قص القصب وعثمان يراقبه مراقبة الاسد ولا بقيت منه ولا كعبة ومن هذا الامر العجيب سرجان قد تحيرو التهب ولما تهيأ الفراغ من ذلك ارسل سرجان الي الامير يقول له غدا شيل القصب الى المصارات قال الامير الامر لله مدبر الكائنات ثم بعد ان ذهب النهار وأقبل الليل باعتكار جلس الامير في الدار وارسل احضر السيد شرف الدين ذاالفخروالافتخار ولما استقر به القرار قال له يا أبي غدا شيل القصب قال له نعم اعلم ان الجمالة لهم عادات على اولاد البلد يأتون اليهم بشيء من الزاد فيعطونهم من القصب كما اشتهي الواحد منهم فلما سمع الامير ذلك الايراد علم انه يذهب اكثرمن نصف القصب فى الطريق ولا يجتمعون على بعضه بالتحقيق فقال الامير ومن يحرس الجمال والجمالين ويمنعهم من ذلك الامر المهين قال عثمان هذه نوبتى وغدا القصب فى غفارتى وسلموه لى ولا يذهب منه شيء بعيداً عنى فقال الامير هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم نهض السيد شرف الدين الى مكانه وجلس الامير الى الصباح فحضر سرجان ونزل الامير على حسب العادة ثم ساروا الى المخازن والاسواق وجلسوا يشاهدون التحميل بالاعيان وحملوا القصب على الجمال وساروا به بين الطرقات والاطلال وقد مشى خلف الجمال عثمان وعينه تراقب أول الاحمال توسط الطرقات وسار المقدم بالجمال واذا ببنت صغيرة قد خرجت من دار وقد اقبلت على المقدم وصبحت عليه وعلى أصحابه وقالت له أمى تسلم عليك وتقبل يديك وتقول لك يا حاج سليمان كل عام وأنت فى امان وكل قصب وأنت بخير واحسان وقد ارسلت اليك

خمسة فطاير كبار وخمسة قطع جبن من الابقار فقال لها هاتي ماممك وخذي
ماأعطيه لك ثم انه أخذ منها ماقدمنا ذكره وأقبل الى الجمل الاول وبركه وانزل
من عليه لبشت قصب كبير وقال لها خذي هذا وسلمي لي على أمك كثير وبعد
ذلك أراد الجمال أن يسير ويترك القصب الى البنت التي سلمت عليه واعطته الفطير
واذا برزة عتمان تقعقع بين اكتافه كأنها الازمير اذا وقع على الحجر الكبير فصاح
الجمال آخ فقال عتمان ماهذا الانبساط فقال له هذا قد انفك الرباط وأنا أصلحه
واربطه أشد رباط قال عتمان افعل ذلك وسيروا الا اسقيك برزتي شراب المهالك
والتدمير قال فأخذ الجمال القصب وأعاده الى مكانه ورد الفطير والجبن الي البنت
وقال لها سلمي على أمك وقولي لها هذا العام ماهو أوانه فرجعت البنت الى أمها
وأعطتها ما أخذته منها واخبرتها بالحال وأعادت عليها السؤال (ياساده) وسارت
الجمال على هذا الحال الي أن دخل القصب المماصر بالتمام والكمال ولم ينقص منه
شيء ثم بعد ذلك أغلق عليه الاماكن واستلم عتمان المفاتيح وعادوا الى
عند سيدهم فوجدوه مستريح والى جانبه هذا الرجل الكشيح قال له
الامير القصب راح الى المصاره قال له نعم روح والسلامه من الخسارة
ثم بعد ذلك عاد الامير الى دياره وسار سرجان الى دياره وقد كان قال
للامير غدا يكون التقشير فلما توجه احضر الامير شرف الدين وقدرآه
بكل الامور خبير ولما استقر به الجلوس قال له ياأبي غدا تقشير القصب
فاخبرني ايضا بهذا السبب فقال له اعلم انه اذا كان اول سنة نزول الملتزم
تأتى الفعالين الى تقشير القصب وكل رجل منهم له دفتر الملتزم ثلاثة فضه
يحاسب عليها سرجان فى كل عام كان ويأخذها لنفسه ولا يعطى واحد من
الشغالة درهم واحد بل انهم يعرفون منه ذلك الشان فكل منهم يأخذ
شقلة قصب من الديوان والملتزم لايعلم بذلك ولو كان حاضر مشاهد قال
له الامير وقد تعجب وكيف يكون ذلك قال اذا جاء آخر النهار تنظر الى الرجل

مروح الي الدار فتجد علي رأسه عقدة عظيمة كبيرة جسيمة على قدر مايشيل واذا سأله احدعنها يقول هذه قشور نريد نحرقه في الفرن وكل واحد منهم على هذا الشأن وذلك يكون في نظير الاجرة وسرجان يحاسبه عليها بالدفتر المرة بعد المرة فقال عتمان وهذه الاخرى على ومالها غيرى بالكليه ثم انصرفوا الى اماكنهم وناموا الى الصباح فركب الامير وعتمان وساروا الى تلك الاماكن والاوطان وجلس الامير واشتغلت الرجال الى أن عزمت الشمس على الارتحال وجعل كل واحد منهم له عقدة وخرج الاول وكان سرجان حاضر ذلك الوقت لم يتحول ولما خرج الرجل الاول قال عتمان ماهذا الذي على رأسك يارجل قال هذا من قشور القصب نحمي بها الفرن فقال له عتمان اريني اياه ثم جذبه عتمان من اطراقه فانفرط القصب ووقع من على أكتافه فقال عتمان هذا قشور ام قصب يا قرنان فقال له قصب ياسيدو ماهو قشور ولكن هذا في نظير اجرتي وكذلك جميع رفقتي لان المعلم سرجان لا يعطينا اجرة بل يحاسب عليها ويأخذها لنفسه ونحن نأخذ هذا القصب في نظيرها فقال له عتمان رد هذا الي مكانه واذا كان لك حاجة اطلبها وان لم يعطيك فاخبرني وانا أخلصها لك فعاد الرجل وادخل مامعه وأخبر أصحابه فرماكل واحد منهم ماكان معه في مكانه وخرجوا الجميع الرفيع منهم والوضيع وقالو أيها الامير اعطينا اجرة التكسير والتقشير فقال لهم وكيف ذلك ومن الذي كان يعطيكم اولا فقالوا له اننا كنا لا نأخذ شيء ثم أعادوا عليه القصة من أولها الى آخرها وكشفوا له عن باطنها وظاهرها فقال الامير ياعتمان أين سرجان فقال له ها هو جالس على باب العصاره وهو ينظر ذلك ويري فقال ائتيني به فذهب عتمان اليه وقال له أجب الاشقر وأسرع ولا تتأخر فقال له السمع والطاعة ثم سار اليه في تلك الساعة فقال له الامير اعطي الي هؤلاء حقهم قدامى فاعطى لكل واحد منهم حقه وقد ذاب كبده ونزل عرقه ثم انصرفوا لحى حال سبيلهم وقد اشتد بسرجان

قلقه وزاد حنقه ولم يعلم من أين هذه المصيبة قد أتته ثم انه التفت الى الامير وقد زاد به التعس والنكس وقال له غدا عصير القصب فقال الامير سبحان من عن العيون قد احتجب ثم سار الامير الى بيته وأحضر شرف الدين وسأله عن عصير القصب وصناعته وما يفعل سرحان معه من مكره وخيانته فقال له يا أمير الذي فعلته ما يسوى عقال بعير كله وما يكون التدبير الا في غدا لانك ترى الرجل وهو خارج آخر النهار وله قليطة بين رجليه لا يكاد منها أن يشد عضويه وذلك يكون جرة كبيرة أو قدرة مليانة من العسل فيخرج بها على مثل هذا العمل فاذا توانيت عن ذلك يذهب نصفه أو أكثر من ذلك وذلك كله لاجل عدم التحصيل واذا كان العام القابل يحاسبك على مثل هذا العام الذي يخرج فيه فقال عثمان والاخرى عليّ انا هذا ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح حضرت الشغالين وحضر الامير وسرحان المعلم الكبير واشتغلت الرجال ودارت المصارات بالبهائم ولم يزالوا على مثل ذلك الحال الى أن كان آخر النهار وخرج الاول فاستقبله عثمان وقد رآه كما ذكرنا فقال عثمان ما هذا فقال له اعلم يا سيدى أنى رجل مريض وقد بليت بهذه الداهية التى تراها بين رجليه فقال عثمان أنا أزيلها عنك بالكلية ثم ان عثمان ضربها بالرزة فسال العسل وانكسرت الشربية فقال عثمان أحمد رب البرية الذى أزال عنك مثل هذه القضية فقد خفف الله ظهرك من ثقلها بسر هذه الرزة قد أزالها فاذهب الآن الى مكانك وأنت سليم مما كان قد اعتراك وأهانك فما كانت الا داهية عظيمة فاشكر رب القدرة الذى أزال عنك هذه النقمة فقال له الرجل وقد انزعجت حواسه واحتطفت أضراسه وانهدم أساسه وزال صبره وعظم ضره وأباح بما في سره يا سيدى عثمان ما هذه الفعال والهوان والله ان هذه ما كانت مصيبة ولا داهية وانما هذه فى اجرتى موافية فقال عثمان حاسب على أجرتك أنت وكامل رفقاك ولا تقربوا شيئا من هذا العسل ودعوا ما أنتم عليه من العمل

فما هذا العام مثل العام الاول فلما رأوا الشغالة ذلك زادت بهم الخسارة وتركوا ماكان معهم وخرجوا وحاسبوا على أجرتهم مثل ماكان من أمسهم وذهبوا الى حال سبيلهم (يا سادة ياكرام) وقد زادت بلية سرجان ونزلت عليه المذلات والهوان وبقى حيران ولم يدر كيف جري هذا الحال ولما تهيأ الفراغ من ذلك قال سرجان غدا طبخ العسل وتمام ذلك العمل فقال الامير على بركة القدير القديم الازل ثم سار الي بيته وأحضر السيد شرف الدين وأخبره بهذا الامر المسكين فقال له اعلم أن الفعال التي فعلتهاما تسوي شيء فى جنب التي تراها غدا وتشاهد فعالها فقال الامير وكيف ذلك قال له غدا توقد النار وتنصب الحلل ويسكب فيها العسل ويصبر سرجان الى أن يتم العمل ويدخل السوي ذلك العسل فيوضع الحطب الاخضر فى الكوانين فيصعد الدخان علي جميع الحاضرين والناظرين فلا يقدر أحد أن يرى كفه ولا يقدر أن يكفه فيفور العسل وينزل الى الارض بالعجل فيلتبس بالتراب وما يبقى الا شيء قليل ويصير كله الى الذهاب وذلك أنه الذي يقع لا يكون لك عليه حساب ولا يحاسبك الا على الذي يبقي من غير انسكاب وبعد ذلك اذا صفى له الوقت وطاب او انتهي بينه وبينك الحساب وطلبت أنت الرواح يجمع ذلك العسل الذى نزل منه فى التراب ويرسله الى مصر المحمية يشتروه منه الرجال الحلوانية بنصف الثمن لان كل ما جاء منه فائدة ويحاسبك ثانى سنة على هذه العادة فلما سمع الامير ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله يا أبى انى نظرت ذلك في بولاق ورأيت هذا لامر بالاتفاق والرجال يشترونه مسواق ولكن يا أبى أريد منك أن تكون أنت الذي تحمى على الكوانين حتي أرى الشك من اليقين فلما سمع السيد شرف الدين ذلك تغيرلونه واضطرب كونه وقال يادولتلي والله عندى موتى أحسن من أن أكون أوقد النار تحت القدور وما هذه الا غاية الذل والعار ويرانى هذا ولد الزنا وتربية الخنا بهذه الحالة

فاقتلني ولا تشمت بي أهل العناد والضلال ثم ان السيد شرف الدين بكى وأن واشتكى وانشد يقول صلوا على طه الرسول

الا يا زماني طالما اتبعتني ورميتني منك بالموبقات
وسلطت عليّ يا دهر قوم لئام وأذقتني الحسرات والنكبات
خانوني والله من غير ذنب بدا وربي عليم بكل الصفات
وشهدوا عليّ زور مع اتفاق وقالوا قاتل النفوس المحرمات
ووجهوني الي رجل كريم أباحني الامان والعطيات
وأكرمني والله وأعلي منزلي وما أهانني يوم بالسيئات
وقد قلت ان هذه فعال كرام وكشفت له كامل المخبيات
والآن يريد من أمري هوانا وتشمت بي اللئام الطاغيات
والموت عندى أعلى مقام ولا أري نفسى في الحسرات
ولكن سلمت امري لرب السما فهو القدر بكل الحادثات

قال الراوي ولما فرغ السيد شرف الدين من أشعاره وما قد ناله من اضراره بكي وقال للامير يا ولدي لا تفعل ذلك الامر المنكر فاني أريد ان أموت واقبر ولا اري بعيني هذا الضرر فقال له الامير اعلم اني اعطيك الزمام والامان من كل شيء كان وان لي في ذلك اوفر حظ ومأرب فلا تحمل على نفسك هم فباذن الله تعالى زال عنك الكرب والسقم والبلا والغم ووالله ياابي أني قد بان لى منك النجاح والفلاح والصلاح واعلم ان روحي لك الفدا ولا تشمت بك الاعداء الا اذا شربت انا قبلك شراب الردى فلما سمع السيد شرف الدين ذلك اطمأن قلبه وهدأ روعه وأجاب الامير الي ما طلبه وقد علم انه يريد بذلك بلوغ مآربه (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح نزل الامير بيبرس الي المطبخة وقد أتى عثمان بالمعلم شرف الدين وهو على ذلك الحال المهين والامير يهز رأسه ويقول له سوف تري ما يحل بك يا كثير الفساد فما أنت الا رجل اشر العباد (يا ساده) ولم يزل على ذلك

حتى أقبل المعلم سرجان الي ذلك المكان وتأمل فرأي شرف الدين وهو مسلسل فلما رآه امتزج بالغضب وزاد عليه الامر والتهب والتفت الي الامير وقال له وأنت الي الآن ما قتلته ولا أرحتنا من طلعته فقال له يا سيدى أعلم ان هذا رجل لئيم وما أردت ان اقتله حتى اعذبه العذاب الاليم واعلم انى كنت اشفى قلبى منه فى المساء والصباح وهو كامل ليله ونهاره فى البكاء والنواح وما اتيت به في هذا النهار الا حتي يحمى الكوانين وينظر بعد الغز العذاب المهين فقال سرجان والله لقد اصبت فيما فعلت وبعد ذلك تقتله قبل ان تسير من ها هنا فقال هو كذلك ثم ان سرجان التفت الي شرف الدين وقال له ادخل يا شيبة الضلال ويا رأس الكفر والمحال احمى تحت الكوانين وهذا جزاء فعالك التي فعلتها في الناس اجمعين فدخل السيد شرف الدين عند الكوانين وهو يقول

لك الحمد يا مولاى في كل ساعة ... علي كل النعماء مع كل القضا
فانى قد سلمت امرى كله ... اليك كى أفوز منك بالرضا
وانى لاحتكامك صابر ... اذاما كنت فى الضيق أوفى الفضا
عسى بلطفك يا رباه لي ... تلطف اذا ما قد عم القضا
وانى قد توسلت اليك يا خالقى ... بمحمد المرسول شفيعاً من لظا
عليه صلاة الله ثم سلامه ... ما جاء حادث امر ثم انقضا

قال الراوى ثم انه جلس وصار يحمى الي ان دخل العسل الي قريب السوى وسرجان يضحك عليه فلما رأي سرجان العسل قد دخل السوى قال يا رجل اوضع عود نار زايد ثم رفصه برجله فمن ذلك اخذ حزمة من الحطب الاخضر ووضعها واذا بالدخنة قد أنعقدت وزاد الدخان حتى الدنيا اظلمت وخرج سرحان وبيبرس الي خارج المطبخة حتى هدى الدخان ورجع بيبرس الي المطبخة ونظر الي الحلل واذا بهم خاليين من العسل فلما عاين ذلك اسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يعرف ما بين يدية وقال يا سرحان اين العسل وما هذا الذى فعلته فقال له اعلم انه دخل

السوى وانعقد وصار بعد سيلانه مجمد فقال له الامير وأين هو الذى تجمد وابن الذي قعد وانعقد ثم أنه صاح عليه وضربه باللت على صـدره ارماه الي الارض وامر الامير باطلاق المعلم شرف الدين من الحديد فخلوه وأمر بسرجان فغلوه وسلسلوه وكتفوه وأهانوه وقال الامير ياعتمان قد أوليتك عذابه فأمر عتمان بالاسواط فاحضروها وجعل يضربه بالاسواط حتى غشي عليه وكادت روحه ان تخرج من بين جنبيه من شدة ماقد نزل عليه ثم أمر الامير بسجنه ومضى عتمان الي الكاتب فزير فوجده فى البيت فقبض عليه وضربه وبرزته أسقاه كاس منيته وأرسل المملوك الذى كان فى صحبـته الي نجم الدين مع سائس من رفقته ونهب عتمان جميع مادارت عليه يد سرجان واحضر أكابر البلد ومشايخها واقسم بالله العظيم ان لم يخبروه بالخبر اليقين والا يعذبهم العذاب الاليم فعند ذلك قالوا له اعلم ان هذا الغلام سرجان ولد غير حلال وهو الذى دبر هـذه الفعال وقتل هؤلاء العشرة وهم كفار من أهل النفاق والضـلال وتهموها في هـذا الرجل الفاضل وقد شهدنا على ذلك زورا ومحال وأعادوا عليه القصة التى جرت فأخذ الامير عليهم المكاتيب بما ذكروه من الاقوال الحادثات وكتب الشهادات وأعاد المعلم شرف الدين الى ماكان عليه من الامر الاول وجعل يعذب سرجان فى الليل والنهار فهذا ماكان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأقام الامير فى أرغد عيش وأهناه وقد رجع شرف الدين الى ماكان فيه من مبتداه وجمع السكر المبس بالتراب واعاده الى الحلل وصفاه وسعى منه ما نزل عليه من التراب وانعقـد السكر الى منتهاه ودخل الامير وقبـل يداه وقال له قد قضى الامر وعقد السكر وبلغ منتهاه فقال الامير ياعتمان أريد ان تأخذ هدية من السكر الى ابي الوزير فقال عتمان والله لقد نظرت موضع النظر ثم انه أوسق مركبـا وركب عتمان وسار وترك سـيده فى ذلك الديار وما زال كذلك الى ان وصل الى بولاق فنهض عتمان وقال ياريس رد بالك

من السكر وانظر اليه كل النظر فوحق من خلق البشر ان ذهب منـه رأس مايكون عوضه الا رأسك ورفقاك من بعـدك فقال الريس لاصحابه سمعتم يا أولاد الزواني سنمت يا أبو طبرين وانت يا أبو المهأم اوعوا لا تفسكم من هذا الظالم الغاشم وقد تركهم عثمان على مثل ذلك الشأن وسار حتى أقبل الى الى مكان يقال له الواجهه فرأى رجلا عطار قد فتح هناك دكان وكان جديد وزوقها وكل ما كان معه جمله فيهاو جلس على بابها وقال توكلت على اللهالذى من توكل عليه كفاه بافتاح يارزاق تبعث لي الارزاق فبينما هو يقول ذلك واذا بعثمان مقبل عليه والرزة نزلت بين كتفيه فارتعب العطار وحار وأخذه الفزع والانبهار وقال له أنافى جيرتك يا أسطى عثمان فقال له لاتخاف ولا يأخذك فزع ولا ارتعاب فقال له ماتريد فقال له أريد منك الفين فرخ ورق وميتين شلة خيط فقال له على العين والرأس وفى عاجل الحال أحضر له ماطلب فقال له عثمان اديهم الى ساحل البحر وانا سائر خلفك بهـذه الرزة فقال له بالله عليك يا أسطى عثمان تسير قدامي أنت فقال عثمان سير وانا أسير بجنبك ثم ساروا الى ان وصلوا الى المركب ووضعوا فيها ذلك الورق والحبال وقال عثمان وصل الثمن ياشيخ والا تأخذه فقال لة اخذت الثمن من قبل ان يأتي من بلاده قال وانصرف العطار الى حال سبيله هذا وعثمان اقبل على الريس وغلمانه وقال لهم اجعلوا كل رأس فى فرخين من الورق وتشدوا عليه بالخيط شـدا موثقا فقالوا له سمعاوطاعة وصاروا يشتغلون في ذلك وقد تركهم بعدذلك وانصرف واقبـل على رجل قفاص وقال له وهو مغطي رأسه عنـدك اقفاص للماورد فقال له نعم عنـدى جميع ما تطلب قال له اريد الف قفص فقال له سـمعا وطاعـة انه قام فى عاجـل الحال وفتح حاصـل كبير فتأمل عثمـان واذا به ملئان من ذلك الشأن فعند ذلك قال له أئتنى بالشـيالين فاحضر له ما طلب في عاجل الحال فامرهم الاسطى عثمان ان يشـيلوا ذلك الاقفاص ويسـيروا

بها الى جهة البحر فقال له القفاص وأين الثمن ياشيخ العرب فقال عثمان هاهو حاضر معي ثم انه كشف رأسه فظهر له وجهه وشخصه فبال القصاص على نفسه وخمد في ذلك الوقت حسه وغنى أن الارض تبلعه وقدرأى الرزه بعينه فأيقن بوباله فقال له عثمان وكم يكون ثمنهم فقال له يا سيدى توجه أنت الآن وأنا أحاسبك ساعة أخري من الزمان فقال له عثمان اعطى أجرة الشيالين وخلي حسابنا حسابا واحداً فاعطى الى الشيالة الاجرة وساروا الى أن وصلوا الى البحر والمركب وتأمل عثمان واذا بالسكر ملفوف فى الاوراق ومشدود بالحبال فأمر بأن يضعوا في كل قفص راس فاشتغلت الناس وفعلوا ذلك الفعال وقال عثمان صفوا الجميع على جهة البحر سطراً فأجابوه الى ذلك وأخذ الرزه وسار الى الحسينية وسأل عن شيخ الجمالة فأرشدوه اليه فأقبل عثمان فى عاجل الحال وضربه بالرزه بين كتفيه فصاح اخ اخ فقال له عثمان الفاتحة قال له الرجل حصلت فضائلها ما تريد قال عثمان أريد خمسمائة جمل وخمسمائة حمار معالي كبار فقال له سمعاً وطاعة وأمر الرجال فاحضروا ماطلبه في تلك الساعة فقال عثمان بقى عليك شيء آخر وهو ان كل جمل يكون خلفه جماله وكل حمار يكون خلفه حماره فقال سمعا وطاعه وسير الحمارين والجمالين صحبته فقال عثمان سر أنت الآخر معهم بالجملة حتى تنظر الحمول وتراهم بالكلية فأجابه الى ذلك وساروا الجميع حتى وصلوا الى البحر ونظر شيخ الجمالين الى ذلك الحال فتعجب ولكنه لم يقدر يتكلم بل قال فى نفسه ما هذا الا شيلة خمس حمير من غير زيادة ثم أقبل على عثمان وقال له ما الذي تأمرنا به الآن فقال أريد كل قفص تحملوه على جمل وتوسقوا عليه بالسلب وكذلك كل حمار يكون عليه قفص والحمار خلفه لئلا يقع من ثقل الحمل الذي عليه وكل قفص تدوروا عليه بأجمعكم وتشيلوه بين أيديكم أنتم الجميع وتصيحوا وتقولوا يا مهون كل عسير حتى تشيلوا الجميع فقالوا سمعا وطاعة وصاروا الجمالين عند مشيل

كل قفص يحملون له وثوق عظيم ويجتمعون عليه أكثر من أربعين ويتعاونون عليه من الشمال واليمين وهم يصيحون ياضمين العاحزين هون هذا الحمل الثقيل يا أكرم الاكرمين ثم يرفعونه والناس ينظرون اليهم ويضحكون عليهم ويقولون لهم الله يعطيكم القوة ويشد عضدكم بالعافية والمروة ولم يزالوا كذلك حتى حملوا ألف رأس من الحمير والجمال وقال بعد ذلك عثمان اجعلوا الجمال قطرات وهم خمسائة والحمير بينهم عشرات عشرات وأنتم تجعلون انفسكم عشرة جماعة كل جماعة ماية ثم انكم تجعلون عشرة بالزمارة ومثلهم بالدربكة والباقي يصفقون ويغنون والى بيت الوزير يطلبون فاجابوه بالسمع والطاعة وساروا من تلك الساعة ولم يزالوا على ذلك الجد والتشمير الى ان وصلوا الى البساتين بيت الوزير (قال الراوي) فبينما الوزير جالس فى بيته واذا قد سمع الضجة والعياط فطل من الطاقه فرأي تلك الرجال والجمال والحمير وهم يصفقون ويرقصون ويزمرون ويطبلون فتعجب الوزير من ذلك والحاضرين وقال ما الخبر فقالوا له ان الاسطي عثمان قد أقبل بألف جمل وحمار محملين من عند سيدى بيبرس بهدية وهى سكر من بنها قد أقبل فقال الوزير جزاه الله كل الخير وقد ظن انه سكر كثير فقال للغلمان أخلوا الحواصل فقال له الخزندار ياوزير الزمان جملك الله فى عز وامان واعلم ان الرجال المقبلين الف رجل ومعهم عثمان وصحبته الف جمل وحمار وكل واحد معه رأس واحد من السكر ومحملة علي ذلك الجمل والحمار فضحك الوزير وقال لاحول ولاقوة الى بالله العلى العظيم ولاى شيء يفعل ذلك عثمان ولكن اصبروا حتى ننظر مايكون في جوابه هذا وقد أقبل عثمان الى عند الوزير وقال له السلام عليك يا ابو فرمه احفظ قدرما وصل اليك من النعمة بقاخير نا عليك قناطير وتواطير احفظ سكر بنها العسل قال الوزير وماقدر ذلك السكر قال له ألف رأس محملين على ألف جمل وبهيم

والف رجل جمالين وحمارين فقال له الوزير ولاي شيء أتيت بهذا السكر الكثير
وهو يضحك فقال عثمان اما سمعت ياوزير الزمان من الرجال العمد قالوا اكبر الحزن
ولا شماتة الاعداء فضحك الوزير وقال ياعثمان والجمل قدر ان يشيل الرأس قال
عثمان الاعانة من الله الذي يعلم عدد الانفاس قال الوزير مقبول ياعثمان ولوكان
أقل من هذا الشأن فقال عليك أجرة الحمالين والشيالين الفين قرش فقال له الوزير
اعلم ان السكر كله لم يساوي خمسين قرش ياعثمان فدعهم يأخذون السكر ويمضون
به حيث أرادوا من غير ضرر فقال عثمان تظلم انت خلق الله وتأكل أجرهم
وتتعرض الى نهبهم ولاتخاف من ربهم فوعزة الله لابد ان تدفع اليهم الفين قرش
أماتعلم ان الله خلق الناس درج يرزقون من بعضهم البعض فقال الوزير لاحول
ولاقوة الا بالله العلي العظيم والله ان الهدية لم تجى ربع الاجرة ثم ان الوزير اعطاهم
الدراهم فأخذوهم وانصرفوا الى حال سبيلهم وهم يدعون له ويثنون عليه فهذا
ماكان من أمرهم قال الراوي وأما ماكان من عثمان فانه قد أراد الانصراف الى
سيده فاعطاه الوزير كتاب وقال له خذ هذا الكتاب فهو بالسلامة عليه وقبل عنى
يديه ورجليه فأخذه وسار طالبا سيده حتى وصل اليه ودخل عليه من غير سلام
ولا كلام فقال له الامير أهلا بالاسطي عثمان أوصلت الي بيت الوزير قال نعم قال له
هل رأيت أحد من الدولة أو أحد رآك فقال عثمان أنا مضيت فى السر ولا أظهرت
امرى الى أحد خوفا ان يثبتوا عليك ويقولون لك أنك هاديت الوزير
وما هاديتنا من الهداية بشيء ففعلت ذلك لاجل ان احد لم يعلم بالقصة
فقال له جزاك الله كل الخير ياعثمان الله لم يحرمنى منك لانى لم أري مثلك
ولكن هل أعطاك الوزير كتاب قال نعم ثم ناوله الكتاب فحله وقرأه واذا
في أوله هذه الابيات

كتبت كتاب الشوق من اليكم وفى أملى اني اعود اليكم
وتجمعنا الدنيا التى فرقت بيننا لان قلبى لا يروم سواكم

.واحظى بكم حتى لو كان ساعة لان فؤادي معلق بهـوا كم
أمر على الابواب من غير حاجة لعلى أراكم أو أري من يراكم
سقانى الهوي كأس حب مروق فيا ليته لما سـقانى سقاكم
شكوت لقاضي الحب يحكم بيننا بشرع الله بيني وبينـكم
ولعل الدهر المفرق بيننا يسـمح لنا بالاجتماع معاكم
ان طال حكم الله بيني وبينكم أموت غريبا والسلام عليكم
ولو كنت في القبر ناديت باسمكم فتحيي عظامي حين اذكر اسمكم
وان خيروني فى الديار وغيرها جعلت أنا روحي فداء اليكم

قال الراوى ولما فرغ من نظامه قال خطابا من الوزير الاكبر والمحب المغرم . الوزير الاغا شاهين الافرم الى بين أيادى ولدي الامير والسيد الخطير اعلم اننا ما نريد الا بقاكم وطول عمركم والنصر على أعدائكم وبعـد فقد وصلت الينا الهدية المرسلة من عند جنابكم بالتمام والـكمال وقد دفعنا أجرة الجمالين والحمارين الفين قرش لان الرجل المرسل بالهدية رجل أهل كرم مايريد الظلم وقد أحضر لنا الهدية على الف جمل وحمار وكل جمل عليه رأس واحد في قفص بعـد أن لفها فى الورق والخيط وهذا شيء لم يؤثر عندنا أبداً لان روحنا وجسمنا الاحبابنا والسلام على من تظلله الغمام قال فلما فرغ الامير من قراءة الـكتاب رفع رأسه الى عثمان وقال له هذا يصح ياعثمان قال عثمان وكلنا نظلم خلق الله هاهو الرجل بقرش والحمار بقرش والجمال بقرش فقال له وما منعك أن تجملهم على جملين أو ثلاثة قال عثمان هذا لا يصـح أبدا ربنا جعـل ناس ترزق من ناس والكون عامر فتركه الامير وعاد الى الدار وهو يشـتغل بعذاب سرجان ليلا ونهـارا ولا تسأل عما كان يفعله فيه عثمان من العذاب والهوان

(قال الراوى)فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من سرجان فانه طال عليه المـدي وشمتت به الاعداء وجعـل يستغيث فلا يغاث فبينما هو كذلك واذا

قد أقبل عليه رجل من الفلاحين أتاه الى السجن وسلم عليه وقد رآه يبكي وينوح من كبد مجروح فقال له يزول يا سيدي فقال له يا ولدي لى عندك حاجة قال وما هي قال نروح الي عكرمه وتسأل عن شيخ العرب عجوه وأخيه أبو ناب وتقص عليهم حالى وما قد جري لي وتذكر لهم اني وقعت في عرضهم ومحتاجهم أن يأتوا الى ويطلقونى ومما انا فيه يخلصونى ويقتلوا شرف الدين وبيبرس ويجعلون ايامهم مثل امسهم وينهبوا مالهم ويأخذوا ما كان تحت ايديهم وبعد ذلك لهم عندي كل ما يطلبونه فقال سمعاً وطاعة وتركه وسار طالبا شيخ العرب ابو ناب واخيه عجوه ولم يزل سائرا الي ان وصل الي عكرمه وسأل العرب عن المشايخ فارشدوه الي بيت كبير من الشعر فدخل فرأي الاثنين وهما جالسان فقبل الارض بين ايديهم وادي الرسالة اليهم فقالوا له سر أنت الي حال سبيلك ونحن لا بد لنا من الرواح الي بنها العسل ونهب ما كان فيها وسبيه من حمار وجمل وشيخ وغلام وبطل وامرأه وولد ولا بد من قتل بيبرس وشرف الدين ونجعلهم عبرة للناظرين اجمعين فلما سمع الرجل ذلك الكلام سار وقد طوي الارض والآكام الي ان وصل الي سرجان واعد عليه ما جريَ من الشان ففرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد وظن ان الدنيا تقبل اليه وهؤلاء العربان يفعلوا ما قد قالوا عليه (قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الإمير بيبرس فاله جالس ذات يوم في الدار اذا قد اقبل عليه رجل من مشايخ العرب الكبار وسلم على الامير سلام الاحباب فتلقاه الامير تلقية الاعزة والاصحاب واجلسه الي جانبه ولما استقر به الجلوس قال له يا ابي من تكون أنت وما اسمك وفي ما ذا قد اتيت فقال له اعلم يا ولدي انى قد اتيت اليك ناصحا ومحذرا من الاعداء نخذ حذرك من اهل البغى والاعتداء فقال له الامير وكيف ذلك قال له اعلم انى رجل يقال لي ابراهيم شيخ عرب الغربية ولي بنت جميلة قدرزقني الله اياها وفي طول

عمري لم أرزق سواها وهي تسليني على حالي وتصرف عني غمومي وأحوالي وقد سميتها بدرية وكان قد أتقن صنعها صاحب القدرة فسمع بها هذا الرجل الذي قد أتيتك من أجله وهو يقال له أبو ناب وأخوه يقال له عجوه وكل واحد منهما سفيه وأي سفيه رزقهم الله بألف داهية وبلوة فلما سمع بأخبارها أرسل الى طلبها فقلت والله لا كان ذلك أبداً ولا أزوج ابنتي لأحد من الاعداء لان هؤلاء عربان ما لهم زمان ولا أمان ولا يعرفون الملك الديان ولا يصلون الفرض ولا يعرفون سنة محمد صلى الله عليه وسلم ثم اني أبيت عن ذلك وأرسلت اليه أقول له ما عندي بنات فلما سمع اللعين أبو ناب ذلك الكلام والخطاب شخر ونخر وتجبر على الملك الوهاب وصار يعوي كعي الكلاب وقال وحق الشماب والهضاب وكل من كان خراب أنا كنت أطلبها لنفسي دون الاصحاب والآن فما بقيت أجعلها الا ضجيعة لعبدي سعيد الذي يأكل لحم الكلاب وقال وكان هذا سعيد عبد اسود لئيم أنكد ابن زنا لا يطاق ولا يبالي بضيق الخناق ولا يعرف ربه الواحد الخلاق ثم أن الملعون صبر الى الليل والاعتكار وهجم عليّ بالرجال الاشرار فنهب مالي وأخذ بنتي الى داره وأراد منها أن يقضي أوطاره سبته وشتمته ولعنت أجداده وأنصاره فأمر بحبسها وقد تشفع فيها حسنها وجمالها والا كان قتلها ووكل عليها هذا العبد ولد الزنى فلما رأيت ذلك أنا انقطعت من هذا النكال وحرت في كل الاعمال وأرسلت أربعة من العربان جواسيس يأخذون لي الاخبار ويطلعون على كل الاسرار وما فعلت ذلك الا حتى أجد له الفرصة وافعل به مثل ما فعل معي وأزيل عني الغصة فبينما أنا جالس ذلك النهار واذا قد أقبلت على العربان وأخبروني بأن سرجان أرسل يستنجد على هلاكك بعجوه وأبو ناب وأعادوا على ما دار بينهم من الخطاب وبعد ذلك فاعلم انهم اليك هذه الليلة قادمين وعلى مكانك هذا نازلين وقد حذرتك منهم والسلام

قال الراوي فلما سمع الامير هذا الكلام أنعم عليه وأعطاه خلعة سنية وخمسمائة دينار وقال له أبشر بالنصر على الاعداء وقال له أيضاً قد وهبت لك مالهم أنت ورجالك ولا بد من خلاص ابنتك ولكن اذا قبل الليل تمكن أنت بعربانك ورجالك فى البر ويكون كل واحد منهم واخذ حذره حتى اذا أقبل أبو ناب فأنا أقلع أنيابه وأعجل له كاس مصابه وأسقيه كاس عذابه وكذلك اللمين عجوه أعجل له كاس فناه ولا عاد يعوّد الى نجعه وبراه مع ذلك فأنت تكون أنت ورجالك عليكم الملابس البيض لاجل أن تكونوا من العرب القابلين فقال سمعاً وطاعة ثم انصرف شيخ العرب ابراهيم من تلك الساعة وشرع فى تدبير أمره وأعلم عربه بما كان فى سره فهذا ما كان من أمر هؤلاء قال وأما ما كان من الامير بيبرس فانه التفت الى عثمان وقال له تكون حاضراً أنت ورجالك الثمانين ورجال عقيرب والمماليك كامنين خارج البلد لاجل اذا أقبلت العرب تكونوا أنتم منهم أقرب ولكن لا تصيحوا الا اذا سمعتم التكبير وسمعتم فى العرب النفير والتذمير فقال عثمان سمعاً وطاعة ومضى الى ذلك من تلك الساعة ثم أن الامير لبس السلاح وتحضر الى العربان حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد ترك الدوار من غير مصباح وفتح الباب على آخر افتتاح وطلع الى المقعد وهو متحضر لمن يصعد فلما مضى ثلث الليل الاول واذا بثلاثة أشباح بانت له وقد رآهم بعينه مقبلين نحو الدار وكانوا هؤلاء العبدسعيد وأبو ناب وعجوه مشايخ العربان والجميع يعوون مثل عي الكلاب ولما تقاربوا من الدار واذا به مظلم زايد الاعتكار فصاح يا جندي أين المال أحضره الينا في الحال ولا أصعد اليك وآخذ روحك من بين جنبيك فلما سمعه بيبرس أخذ النبلة والقوس وأوثق النبلة وحررها والى أبو ناب أرسلها فوقعت في فمه خرجت من نقرة قفاه فوقع على الارض قتيل وقد صاح بأعلا صوته قبل خمود نفسه لا رحم الله أباك ادركني يا عجوه فقد نزلت بى البلوه فتقدم عجوه لينظر ما الخبر واذا بالحسام من خلفه

قد أقبل والى وسطه نزل فوقع الى الارض كانه جمل وكان الذي ضربه بهذا الحسام شيخ العرب ابراهيم البطل الهمام فعند ذلك أراد العبد أن يهرب واذا بلطش وقع على رأسه نزل اضراسه ووقع الى الارض واختلط طوله بالعرض وكان هذا اللطش من عثمان هذا وقد أقبلت العربان الى ذلك المكان وهم يريدون نهب الاموال وسبي النسوان واذا قد خرجت عليهم المماليك والسياس ودارت بهم العربان التي مع الشيخ ابراهيم من كل جانب ومكان وطلبوا العرب أشد الطلب وفعلوا معهم مثل ما تفعل النار في الحطب ولم يكن الا أن تناصف الليل وخمدت الضجات وطردت الاصوات وزعق غراب البين على العربان بالشتات ولا أبقوا منهم ديار ولا نافخ نار ولما فرغوا من هذه القضيات أمر الامير باحضار سرجان فأحضره عثمان فقال له أنظر بعينيك يا ذليل يا مهان ما فعل الزمان بتلك العربان الذين طلبت أنت منهم النصر عليّ والهجوم اليّ وابحث لهم مالى ونوالى ثم أمر بضربه فضربه عثمان ألف وأعاده الي السجن فقال الامير وحق رأسي لا به من ركوبي الساعة الى عكرمة وأخلص لهذا الرجل ابنته واهجم على الحي وهو مقفول وانهب ما فيه ولا أدع منهم أحداً من الرجال ولا أبقيه ثم ركب الامير فى ساعة الحات وسار وبصحبته الشيخ ابراهيم وهو يشكره على هذه الفعال ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى ذلك المكان ونزلوا عليه مثل القضاء فنهبوا وسبوا وقتلوا وفتكوا وما تضاحى النهار حتى ملكوا الحي بما فيه من الانعام والسبايا والاموال فأباح الامير كل ذلك الى الشيخ ابراهيم ورد له ابنته رداً جميلا وقد نفذ كلمته وارتفعت حرمته وصار يهادي بيبرس ويكرمه وقد أمر الامير بالرجوع عن الحريم فتراجعوا عن النساء فقد جمعوا الاسلاب وعادوا الى أماكنهم وقد نصرهم الله على أعدائهم فهذا ما كان من أمرهم

(قال الراوي) ولما كان ثاني الايام أمر الامير بيبرس برمي القتلا الى الفلوات فرموها ثم ان الامير قال يا عثمان احضر لي سرجان فأحضره

بين يديه وأعاد العقوبة عليه وقال له أنظر كيف نصرني الله على الاعداء الذين أرسلتهم أنت الى ثم اعاده الى السجن فضاق صدر سرجان وعيل صبره وعدم مصطبره فقال أنا مالى الا أن أرسل الى أبي دياب في مصر حتى يرى هذا الامر بنفسه ويدبره بفعله

قال الراوي وكان هذا أبو دياب هو الرجل الحراث الذي قدمنا ذكره فى كلام شرف الدين وانه لما صار سرجان في هذه الرتبة اتى اليه ليزوره فأكرمه غاية الاكرام وقال له اعلم اني ما كنت افعل معك ذلك الفعال الا لاجل ان تنال مرتبة العز فقال له يا ابي خذ هذه المركب سكر وسير الى مصر وافتح لك دكان وبيع واشترى كل ما تحتاج اليه من السكر ارسل لي عليه وكذلك اذا طلبت منك شيئاً فتقضيه وترسله الى عندي فقال له يا ولدي على عيني ورأسي ثم انه توجه بالسكر الى مصر وأقام في السكرية وجعل يبيع ويشترى فهذا ما كان من أصل مجيئه الى مصر ولما تداولت الايام واحتكمت هذه الامور والاحكام وضاق صدر سرجان كما ذكرنا وأرسل الى أبيه كتاب مع رجل من أتباعه فصار به حتى أقبل الى السكريه وأرشدوه على من سأل عنه بالكلية فلما رأى دياب سلم عليه وقبل يديه وقال له خذا هذا الكتاب فأخذه وقرأه وفهم ما فيه من المعنى واذا فيه خطابا من سرجان الى بين أيادي أبي دياب اعلم انه نزل عندنا رجل ملتزم يقا له بيبرس وقد فعل معنا كذا وكذا وشرح له جميع ماجرى من أول الامر الى آخره وكيف فعل هو مع شرف الدين وكيف فعل الامير معه وكيف أعاد المعلم شرف الدين الى مكانه وكيف انه قتل العرب والقصة التي جرت فلما قرأ الكتاب امتزج بالغضب وقال لا بد من خلاصه من يد قناصه فسلم لي عليه وقل له ان أباك دياب يسعي لك فى هذا الامر والسلام بكل سبب من الاسباب فتركه الفلاح وعاد طالبا المعلم سرجان فهذا ما كان من الامر والشان وأما ما كان من الشيخ دياب وما يفعل من الافعال والاعجاب وذلك انه بعد أن سافر من

عنده الرسول صبر الى الليل وداجى الاعتكار وطلب بيت الشيخ صلاح الدين قاضي الاسلام ولم يزل سائراً الى ان وصل الى خارة الروم وطرق الباب فقال الشيخ من بالباب فقال له ها أنا الشيخ دياب ففتح له منصور الباب فدخل وسلم سلام الاحباب وجلس الى جانبه وأعاد عليه الامر من أوله الى آخره فقال له الامر أقرب من هذا ولكن أنت تسير من ها هنا الي الرميلة تري هناك مكانا وتجد هناك رجالا حشاشين وهم على مثل ذلك مقيمين فادخل اليهم وسلم عليهم ورغبهم بالمال ووفق لك منهم أربعة يشهدون بطيبة ابنك وفسق الامير بيبرس وشرف الدين واكتب اعلام الى الديوان وأنا أساعدك في هذه القضية بكل ماأقدر عليه فقبل يده وانصرف من عنده وسار الى الرميله فرأي المحششة التي فيها الحشاشين فدخل عليهم وجلس بينهم واذا بهم غائبين وفي حالهم منهمكين فسلم عليهم فانتبهوا وقالوا له نهارك سعيد فقال لهم اريد منكم أربعة أنفار يشهدون في الديوان قدام ملك الاسلام بان سرجان رجل مصلى الفرض طيب نظيف العرض وبيبرس وشرف الدين الاثنين خائنين العهد واليمين قاطعين الطريق خائنين الرفيق فقالوا له سمعاً وطاعة ولكن هات لنا أجرة الشهادة فقال لهم وماالذي تريدون فقالوا هات لنا أربعة أرطال معجون وهات لنا العشا وكل ما نحتاج اليه من الدراهم والكيف ونحن نطلع معك الي الديوان ونشهد لك بما تقول لنا عليه بالزور والبهتان فقال لهم الشيخ دياب اذا سألكم الملك وقال لكم من أين أنتم تقولون له فلاحين من أرض بنها العسل فقالوا له على العين والرأس ثم انه أعطي كل واحد منهم مائة دينار ذهب وأعطاهم كل ما كانوا محتاجين اليه وبات عندهم تلك الليله وهو يقريهم ويعرفهم وعلي الشهادة يواضبهم الي أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح صلى الملك الصالح صلاة الافتتاح وجلس على كرسي مملكته وقد أحدقت به كبار دولته وتكامل الديوان وقرأ الفاتحة لسيدالانام وطلع القاضي والوزراء وأهل المراتب

والامراء وأمنت العساكر وقرأالقارئ وختم ورقى الراقى وختم ودعاالداعى وختم وصاح جاويش الديوان يقول أنا وأنتم نصلى على طه الرسول

الملك لله الذى خلق الوري وكل ماسواه فهو فانى
واعبد الهك يامن تتمظ من ان تدرك الاكفان
سلم امورك للاله فمن سلم له الامر كان في أمان
وقل يا الهى كن راحماً فانت الذى عودتنا بالامتنان

قال الراوى فقال الملك الصالح آمنا من أين كنا حتى اتصلنا يا حاج شاهين الحق بيده الرجل دبر الرجل والرجل عمال يوصيه الرجل ولكن ياحاج شاهين أسأل الله العظيم رب موسى وابراهيم أن الله لا ينطقهم الا بالحق ولا يسلكهم الا طريق الصدق وأن الله تعالى يتوب على كل عاصى ويلبسهم الولاية وينظر اليهم بالكفاية والرعاية قولوا آمين يا رجال فامنت على دعائه الرجال وقال الاغا شاهين من هؤلاء الرجال يا مولانا السلطان قال له أنا رجل عبيط ماعليك من كلامى قال فبينما الملك يدندن ويتكلم بمثل هذه الاقوال واذا بدياب يقبل الارض بين يديه وهو يقول انعام يا مولانا السلطان قال الملك مرحبا بالرجل الحراث الذي اسمه دياب بن عمرات بن ابى طبلة ابن رشوان أنت اسمك ايش قال يا مولانا السلطان اسمى دياب وانا رجل مظلوم وقداتيت اليك لا كشف ظلمتى وأتدبر قصتى فقال له القاضي وما قصتك أيها الرجل هل هي مسطرة في كتاب أم تخبر بها أنت من غير جواب فقال الملك اسكت ياقاضى حتى اسمع أنا كلامه وأنظر من ظلمه ولا أريد كتاب ولا جواب فقال له يا مولانا اعلم ان لي ولد يقال له سرجان وهو يصلى فرضه ويقرأ القرآن وكان معلما بينها المسل الى أن كان هذا العام نزل بها الامير بيبرس واجتمع برجل يقال له شرف الدين وهم هناك الاثنين على الفسق والفساد مقيمين وقد قتلوا ونهبوا وسبوا وغصبوا فلما رأي ولدى فعالهم نهاهم عن امورهم فاغتاظ

عليه بيبرس غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقبض عليه وسجنه وجعل يعذبة ويهتته ويعاقبه وهو على ذلك الشان من مدة سافر بيبرس الى ذلك المكان فلما بلغني ذلك من ولدي اتيت الي جانبك السعيد ورأيك المفيد وعزمك الشديد والسلام (قال الراوى) ولما فرغ الشيخ دياب من كلامه تحرك القاضى من مكانه وهز ديدبانه وجنح طيلسانه وقعد وقال وقوس المهام ونفض الا كمام وأطلق لسانه وقال ايش ايش تحركوا ياااجدادي ياعراقيون أنا كم أقول لك القول مرارا واعيده عليك سراً واجهاراً واقول لك ان هذا الغلام ما أتى من بلاد الاعجام الا يريد أن يفسد ملكك فلا تصدقني ولاحول ولاقوه الا بالله العلى العظيم يا امير المؤمنين اريد ان اتكلم الكلمة الحسنة التي مافيها من السيئات شيء قط أم أنصت فقال الملك تكلم يا قاضى قال القاضى هذا الرجل رجل مظلوم وقد ظهرت عليه الظلومة وكل الناس تشهد فيه بالصلاح الخيرات وكذلك ولده من اهل الاحسان والطيبات وهذا الغلام قد اتفق مع شرف الدين علي اذية المسلمين وفساد اهل التقوي واليقين ولا سيما عثمان بن الحبلة يا امير المؤمنين وهذا الولد يقتل قتلة عظيمة وان كان يصعب على مولانا السلطان الحافظ الامين انا اوضع من مالى وصلب حالي وزكاة عن قلبي ومحبة فى دين الاسلام والمسلمين خمسين جوادا وخمسين مملوكا وخمسين كيسا من المال وعليك يا وزير ايبك مثلها فقال وانا مالى يا قاضى فقال له القاضي لا تتكلم واحضر ما تقرر عليك فى الحال فانه هذا كله لك والعلم الشريف ولا يكون بريئا مني يوم القيامة هذا وقد احضروا جميع ماذكر من المال والمماليك ووقفت السياس في حوش الديوان بالخيل الحسان فقال الملك يا شيخ دياب هل عندك بينة يشهدون لك بهذه الاسباب قال نعم يا امير المؤمنين قال له ائتني بهم ما تقول يا قاضي الاسلام في هذه الاحكام فقال القاضي لااقول شيئا قط قاطبه هذا وقد نزل دياب الي باب الديوان وكانوا الاربعة هناك واقفين

وقد كانوا تأخروا فى الفطور ففطروا وجلسوا فى الشمس وقد طلع المعجون في رؤسهم فبقوا لا يعرفون يومهم من امسهم ولا يعقلون ما بين ايديهم فبينما هم كذلك واذا بدياب قد اقبل عليهم وقال لهم سيروا معى الآن فقالوا له الى فين نروح يا عم الشيخ فقال لهم قد طلبكم الملك للشهادة فقالوا له على أي شيء نشهد وما معنا خبر فقال لهم على الدعوة التى حدثتكم بها الليلة الماضية قالوا له يا ابى ما معنا خبر اخبرنا بها الساعة فأعاد عليهم الشهادة التى يريدها منهم فقالوا له نبقي نطلع نشهد انك رجل فاسق وابنك مثلك وشرف الدين صالح وبيبرس مثله فقال لهم اقلبوا هذه الشهادة وقولوا انى صالح وولدى مثلى وشرف الدين فاسق وبيبرس مثله فقالوا عد لنا الماضي من اوله ولم يزل يكرر عليهم الشهادة ويعلمهم عليها تمام سبعة مرات حتى ضاقت منه الانفاس وأيقن بالهلاك والانعكاس ثم انهم ساروا بعد ذلك الى الديوان وقالوا نعم يا بيه قال الملك اهلا وسهلا انتم ايش قالوا نحن جماعة اصحاب كتب وكيف يا بك فقال الملك من اى البلاد قالوا من قصر المائدة يا بيه قال الملك قصر المائدة هو ايش يا قاضى قال القاضى ان الفلاحين يسمون بنها العسل بقصر المائدة فقال الملك كلامك مصدق يا قاضى وانتم تشهدون على اى شيء قالوا نشهد على ان هذا الرجل فاسق وابنه انجس منه وبيبرس صالح وشرف الدين اصلح منه وهذا الرجل اتى الينا البارحة واعطي لكل واحد منا شدقين ذهب وقال لنا اشهدوا قدام السلطان بالباطل فأتينا اليك وقد انطقنا ربنا بين يديك بالحق فقال لهم الملك انزلوا الله يرزقكم الولاية انتم الاربعة فتقبل الله دعاه وقد نزلوا هؤلاء الاربعة وقد البسهم الله الولاية فيسكنون الاماكن الخراب فهذا ما كان من هؤلاء قال وأما ما كان من امر الملك الصالح فانه قال للاغاشاهين ارسل احضر لنا بيبرس وشرف الدين وسرجان حتى ننظر ما يكون من امرهم فقال له الوزير السمع والطاعة ثم ارسل له اغا يقال له الاغا بلال الصالحى من تلك الساعة فركب الاغا

وطلب بنها العسل وسار السايس الذي برسمه يدل به الطريق فهـذا ماكان من أمر هؤلاء (قال الراوي) وأما ماكان من دياب فان الملك أمر بسجـنه الى ان تستقيم الدعوة ففعلوا ذلك وسجنوه فهذا ماكان من أمره وأما ماكان من الاغا بلال الصالحى فانه لم يزل سائرا الى أن وصل الى بنها العسل وأقبل الى الدوار فتحول عن دابته وسلمها الى سايسه وتركه واقفا خلف الدوار وسار حتي وصل الى الامير بيبرس وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ماحالك قال له أجب الملك الصالح فانه طالبك فقال له سمعا وطاعة ثم أجلسه وجعل يتحدث معه قدر ساعة من الزمان فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ماكان من عثمان وما جرى له مع السايس من الـكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذي نريد ان نسوقه على الترتيب حتى ان يطيب بعد ألف صلاة ترضى الحبيب وذلك ان عثمان لما نظر الى ذلك السايس واذا به من أولاد هيضم وما هو من أولاد الشـيخ مثل عثمان فقال له من أتي بك حارتنا ياوجه حمارتنا ياهيضمى يا ابن القحبه قال له السايس وانت ملك ياولد ياعثمان يا كثـير الزور والبهتان ثم ان السايس اخرج الخنجر من حزامه وأومأ به الى عثمان ورجع الى مكانه فقال له عثمان عـذبه فقال يا عثمان أنت تقدر ان تعـذبه قال نعم وسرها في مقامهـا ما أخرجتها أبدا ورجعتها مكسورة الخاطر ثم أن عثمان ضربه بها في قلبـه فاخرج معاشه من قلبـه فوقع قتيـلا وفى دماءه جديلا وكان هنـاك ساقية مهجورة فالقاه فيها واذا به غاطس وكان عثمان قـد جرده من ملابسه ونزل خلفه وربطه وأمر الرجال فشدوه الى فوق الساقيـة وطرحه عثمان فنزل الى الساقية مرة أخرى فقال له عثمان هرب ياهيضمى ثم انه نزل أيضا خلفه وربطه وأخرجه وجعـل يتسب عليه وهو يتزحلق وينزل الى الساقيه هـذا والاغا يتحدث مع الامير بيبرس وقد لاح منه التفاته فرأي الجواد سائب فى الخلا يرعى ونظر الى عثمان فرآه يفعل بالسائس هـذه الفعال فلما رأي ذلك امتزج

بالغضب وعلم ان سائسه قد شرب شراب العطب وقال للامير انظر يا أمير الى فعال عثمان ومافعله من الامر والشأن فقال اصبر حتى انظر ما يكون من هذا الامر والشأن ثم نزل بيبرس الى عند عثمان وقال له ماهذه الفعال قال له هذا رجل هيضمى قال له ما هو مسلم قال هو مسلم ولكن من أولاد هيضم قال هيضم هو ايش هل هو مذهب خامس وما أنا ممن يعرف تلك الفعال ثم انه هجم على عثمان وقبض عليه في عاجل الحال وأمر بوضعه في القيود والاغلال فقال له عثمان انت رجل خائن العهود وعن فعالك اللميمة لاتحود فقال له انت قتلت النفس المحرمة ونقضت التوبة وعدت الي التجرمة فقال له عثمان سوف ترى مايكون هذا وقد أمر الامير بيبرس على بنها المشل مملوكا من اتباعه وأوصاه بالعدل وأخذ سرحان والاغا وشرف الدين ونزلوا جميعا فى الذهبية وطلبوا مصر المحمية الي ان وصلوا الي بولاق فهذا ماكان من امر هؤلاء وماجري لهم من الاتفاق (قال الراوي) وأما ماكان من أمر الملك الصالح فانه بات وأصبح وهو يصلى على من له الورد فتح وقد ظهر وجلس على الكرسي وجعل يدندن ويقول ياحاج شاهين الحق أحق أن يتبع الحق بيد الطير لانه بيد الطير والله يتولى السرائر ولم يعلم بباطن الامر لان الرجل كان قتل أمرأة بغير ذنب فسلط عليه الله من يقتص منه ولكن الامر ما أحد يعرف حقيقة الا صاحب الامر

(قال الديناري) وكان هذا الرجل السائس الذى قد قتله عثمان يقال له عويس قد أرسله سيده الى بلد يقال لها المنصورة ليأتيه منها بحاجة من عند صديق له هناك فلما سافر وجد أمرأة فى طريقه فاخذ مامعها وقتلها لانه لما سباها طلب منها الزنا وراودها عن نفسها فابت فقتلها وتركها وسار في قضاء حاجته وعاد ولا أحد يعلم بذلك الا رب العباد فلما كان هذه الايام وأقبل مع سيده وظفر به عثمان أخذ منه بالثار وجلى هذا العار لانه كان من أهل الاسرار ولهذا تكلم الملك الصالح بمثل هذه الاخبار وعدنا الي

سياق الحديث باذن الملك المغيث ثم ان الملك الصالح صاح اين كاتب الفرمه قال نعم يامولاي قال له اكتب عندك الفرمه سايس يقتل سائس لا له دية فقال الكاتب لسمع والطاعة ثم انه كتب في الحال ما أمر به الملك الصالح لانه على رأى الذي قال جالس السلطان واحذر بطشه لا تعاند من اذا قال فعل ثم بعد ذلك راق الديوان وتكامل بالرجال والاخوان واذا قد طلع الاغا من باب الديوان وصحبته عثمان وهو في القيود على مثل ذلك الشأن وقد قرنوه بسرجان وتقدم بيبرس الي الديوان وقال نعم ياأمير المؤمنين قال الملك سبحان الفتاح العليم تعالى يا بيبرس ما الذي فعلت في بنها العسل من الامور ثم ان الامير بيبرس تقدم وخدم ودعي وأنشد يقول صلوا على الرسول

سلامي على ملك الملوك　　سلام جزيل كثير زائد
يخص أمير المؤمنين وجيشه　　وفضل رب العباد تزائد
عبدكم ومحبكم أقبل نحوكم　　يرجو احبكم ياسادتي ريشاهد
فاسمحوا له من فضلكم　　جزيل العطايا فانتم الاماجد

(قال الراوي . فقال الملك تعالى يا بيبرس ما الذى فعلت في بنها العسل من الامور والفساد فقد بلغنا انك فعلت فعل نكيرة وامور كبيرة وشهدوا عليك الناس وهذا الرجل الذى أغرهم علي ذلك وهو دياب فعند ذلك قال ياملك الاسلام ارسل احضر المملوك الذى لنجم الدين واسأله يخبرك بالخبر اليقين لانه كان هناك مع الكاتب قراويز قال وكان ذلك المملوك لما ارسله عثمان الى سيده نجم الدين سلمه الرسول اليه واخبره بما كان من خبره وامره فاستخبره بذلك نجم الدين بالكلام الطيب واللين وما زال به حتى اخبره بما جري وما فعل عثمان وبيبرس مع سرجان والقصة المتقدمة فقال نجم الدين في نفسه لا بد ان هذه الامور ان تتصل الى الملك الصالح ولا بد من ان الامير بيبرس يحتاج الى بعض البينة فهذا الغلام يكون من جملة الشاهدين ثم انه وضعه في السجن الى ذلك الوقت فلما تكلم الملك

مع ان الامير بيبرس انطقه الله بذلك وتذكر المملوك الذى لنجم الدين فأمر الملك باحضاره فلما حضر بين يديه سأله فأخبره بالحال ولم يخفى عنه شيئا من المقال فقال الملك والله العظيم هذا الكلام هو الصحيح لانى أراه مليح ثم دعي للمملوك وأمر له بخلعة سنية والف دينار وقال له عليك بالعبادة فى المساجد فنزل المملوك من ساعته ولم يرجع الى بيت سيده بل الى المسجد وقد زهد الدنيا والبسه الله الولاية فهذا ما كان منه وأما ما كان من الامير بيبرس فانه أخرج الحجة الذى كتبها بالشهادة على أكابر بنها العسل وقد ناولها للملك فأخذها وناولها للقاضى فحلها وقرأها واذا فيها ماقد ورد وتقدم أسماء الشهود وختم للقاضي التى بتلك الناحية فلم يتكلم القاضى ولا بحرف واحد وكانه قد التجم بلجام لانه رأى الملك الصالح وقد أقسم ان هذا القول هو الحق فسكت القاضى على مضض منه وقد تقدم الاغا الى بين أيادى الملك الصالح وقال يامولانا السلطان انا أرسلنى الوزير الي بيبرس فاخذت خدامي وسرت اليه فاكرمنى وما قصر في المسير معي ولكن عثمان قتل السايس بتاعي من غير ذنب قال الملك ايش وأين عثمان يابيبرس قال هاهو مع سرجان في الحديد قال الملك ائتونى بهما فاحضروهما فتأمل الملك الى عثمان فرآه منكس الرأس فقال له مالك هكذا ياعثمان قال له كما تري يابو جوطه غدوك قال الملك وعزة الله تعالى ماتعمل عليه دعوي الا وهو منطلق من الحديد مطلوق اليدين ولم يحله الا الاغا شاهين بنفسه فعند ذلك نهض الوزير وحل وثاقه فصاح عثمان تكناك ياليل

يامنية القلب ياللي تعجن النكناك — ان هون الله علينا وجينا حيكم
يافرحة العلق لما ينظر النياك — يقول لصرمه انبسط حبيبك جاك

قال الملك ياعثمان دعنا من هذا الكلام الهزيان واخبرني بما جري من الامر والشأن قال عثمان عز الله جل الله مافي الكون غير الله يابو جوطه لا الا الله عليك ياقاضى يامنقرش يا ابن القحبه غضب الله عليك فى الدنيا ويوم العرض قال الوزير فى

نفسه هذا الوقت يذكر ماجري قال عثمان ياملك نحن رحنا الى بنها العسل وهذا الاغا أقبل الينا بالرجل السايس الذي تعرفه أنت يا أبوا جوطه قال الملك ياعثمان ربك سريع العقاب سريع العطب طيب يسيدي عثمان قال عثمان ولمانظرت اليه رأيته من أولاد هيضم قلت له وانت من جاء بك هنا قال لى وانت مالك ياولد عثمان وحط يده على الخبية وأومأ بها الى فقلت له غديها قال أنت تقدر تقديها ونبطته بها مثل ما أنا رايح أبنطك هذا الوقت قال الملك لا ياعثمان خذ بالك منه باحاج شاهين لانه رجل عبيط مثلي قال عثمان ولما نزل الاشقر فقال لى ما هذا ياعثمان قلت له قتيل قال لى من الذي قتله قلت له أنا الذي قتلته قال لى لاي شيء قتلته قلت له لانه من أولاد هيضم قال لى ما هو مسلم قلت له مسلم ولكن من أولاد هيضم قال لي مذهب خامس قلت له طائفة عكرة عندنا فى كار السياس قال لى أنا ماأعرف ذلك ومن قتل يقتل قلت له روح الى أبوا جوطه وقال له اترك هذه الدعوى فسكني وفعل معى هذه الفعال وأتى بي اليك سألتني أخبرتك وهذه حكايتي والسلام قال الملك ياناس خذوا هذا الرجل وادفنوه في مقابر المسلمين فان شاء الله يرحمه وان شاء يعذبه وانت ياعثمان لابقيت تعمل مثل هذا العمل لاناكتبنا فى السرمة سايس يقتل سايس ماله دية قال عثمان حياك الله قواك الله لا بد أن أقطع أولاد هيضم ولا بقيت منهم بقية قال الملك لا ياعثمان لاتتبع القتل أبدا واترك فعال الردى ثم أنه نزل من الديوان من غير أن يمسه ضرر ولا هوان وبعد ذلك التفت الملك الى شرف الدين وسرجان ودياب وقال لهم اللهم تب عليهم من جميع المعاصى اللهم حببهم فى بعضهم اللهم وفق بينهم انزلوا الى حال سبيلكم وعودوا الى محلكم وعليكم بتقوي الله ربى وربكم فنزلوا من الديوان وقد أنزل الله المحبة فى قلوب بعضهم وقد زالت البغضة من بينهم وعادوا الي بنها العسل والله للدعاء قد قبل وقد أوقع الله حب الجميع فى قلب الامير بيبرس وحبه فى قلوبهم

وصاروا يكاتبوه ويهادوه وهو يهاديهم ويرسل اليهم السلامات(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من الملك الصالح فانه التفت الي القاضى وقال له ياقاضى عملت الفلوس والمماليك لقتل بيبرس عنية والا لاظهار الحق من الباطل قال الملك الحق بان وظهر واشتهر تقول المال لمن ياقاضى قال القاضي لبيت مال المسلمين قال الملك هي مستغنية عنه قال القاضى هو اليك قال الملك هو هيبة الى بيبرس هيبة كريم لا يرد فى عطاه انزل ياسيدي بيبرس فرغت السنة وولى على بنها أحدا من طرفك والزم أنت محلك حتى يبان لك منصب غير هذا فنزل بيبرس وفرق السكر على الاغوات والامراء والمماليك وعمل حسابه فرآه زايد على الاصل الطاق عشرة فاوهب واعطي وتصدق وقد اغتاظ القاضى ولزم بيبرس بيت الوزير نجم الدين وقد تداولت الايام الى أن كان يوم من الايام بات واصبح وصلي صلاة الصبح ودخل الى زوج خالته يريد أن يصبح عليه فرآه قد غرق فى معجنة من الطين وهو يعجنه مثل العجين فتعجب الامير غاية العجب وقال فى نفسه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما الذى يجري اذا أتى برجل فاعل يفعل ذلك بالاجرة فوالله ما الاكراد الا بيت الشح والبخل (ياسادة) يا كرام فبينما هو يقول فى نفسه ذلك الكلام واذا بالاستاذ نجم الدين قد كشف عليه فقال له يامولاى أنا اسمي ايش فقال له بيبرس اسمك الامير نجم الدين قال وكنيتي قال له اعلم انى ما كنيت بذلك الا لاجل هذا السبب وذلك انني فى كل عام اذ أقبل هذا الوقت أصنع هذه العجنة من الطين الحلو واشغلها بسحيق الزعفران وقشر العنبر واجعلها حبوبا مثل البندق المقشر واجففها واهدي بها الامراء وأهل الدولة والملك والوزير بالجملة فاذا أرسلت الصينية وهى مليانة من هذا الحب العجيب يأخذوها ويرسلوا عوضها ذهبا أحمر بمده فلذلك كنيت بالبندقدارى ومنها يكون أكلى وشربى وقضاء سائر احوالى ولا

تظن ياولدى انى رجل بخيل أعجن الطين لاجل شيء آخر مثل بنيان وما هذا الا لاجل ذلك الشان فقال له الامير ولاى شيء ذلك الطين الذى تعجنه فقال له علم أن الملك الصالح له عادة من العام الي العام وذلك انه يغـدو الى الجيزة فى هذا الآوان وهو فصل الربيع وصحبته أهل الدولة ويكون ذلك فى يوم خميس مع ليلة الجمعة وهناك رجل من اصحاب الرسول يقال له ابوهريرة قد امتلأت به الجيزة ببركات شهيرة ونفحات غزيرة وهـو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حصل الملك هناك يجتمعون الاكراد عليه ويأكلون ما طاب لهم من الزاد وبعد ذلك يجتمعون ويذكرون رب العباد فاذا فرغوا من ذلك الايراد يشير الملك بيده الى الحي الاعلى ويقول يادايم ياكريم ياجواد فتأتى الطيور من جميع الفلوات والبلاد ويحومون على رؤوسهم باذن رب العباد فاذا أتت الطيور باذن الملك الغفور يقول الملك لارباب الدولة وهم فى صحبته أي طير ارميه والي الارض اهويه فيصفون له أي طير كان فيشير اليه فيقع سريعاً الى بين يديه فينهض اليه ويقبضه ويفرج الدولة عليه وبعد ذلك يطلقه الى حال سبيله فيعودون الطيور الى حال سبيلهم ويعدون له ذلك من جملة الكرامات ويعلمون أن الملك باقى اليه من دون البريات ولا يقدر أحد يرمى طائر قبله وهذه عادته وشغله وبعد ذلك كل من أراد الرمي يرمي مايشتهي ويريد بذلك البندق (قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك أخذه الاشتياق الي الرواح الى ذلك المكان فبينما الامير على مثل ذلك اذ أقبل عثمان اليـه وقال له الآن يجب عليك أن تساعـد الامير على مثل ذلك وكان عثمان قـد سمع كلامهم مع بعضهم الاثنين فقال له نجم الدين تقدم ياعثمان فتقدم عثمان والامير وصاروا يعجنون الطين هذا وعثمان يكبب واحدة ويسرق خمسة وهو لايحول عن ذلك ولاينسى والامير لم يعلم بشيء من ذلك الى أن استتم البندق ونزل الامير وعثمان من ذلك المكان وجعل عثمان يجفف البندق الذى أخذه الى أن انصلح شأنه وجمعه واحترس عليه الى ان كان يوم الرمي وكان الوزير نجم الدين

قد فرق البنـدق على بيوت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وأخذ منهم عادته مثل كل سنة وخرج الفرمان وعمل عليـه السلطان ونزل به المنادى يعلم الناس وينادى فى الشوارع والازقات وهو يقول مولد أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ليلة الجمعة القابلة (قال الراوى) وكانت تلك الليلة عند الناس لهاشأن عظيم وهرع اليها الغنى والفقير وكانت لهم مسرات من العام الي العام فلما نزلت المناداة ازدحمت المواكب ونزل كل انسان الى وصله طالب وكذلك الامراء أمرت الفراشين أن ينصبوا لهم الوطقات ويسبقونهم بالخيام والسرادقات فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الامير بيبرس وعثمان وما يقع لهم من الامر العجيب والذكر الملذ الغريب الذى هو أعجب من كل عجب ويجب أن يكتتب ويسطر فى ورق ولو كان بماء الذهب وذلك أن بيبرس قال لعثمان أريد منك تسبقنى الى الجزيرة وتنظر لنا مكانا بعيداً عن الناس وتنصب لنا خيمة على قـدر ما تسعنا نحن الاثنين حتي نسير مع جملة الناس وننظر ما يكون من هذا الشان فقال له عثمان سمعاً وطاعة ثم ترك سيده ونزل من عنده وصاح بملء رأسه وتطويل نفسه ياعقيرب يابني قال عقيرب نعم يا اسطي قال له اين الفراشين الذين هم للوزير نجم الدين البندقداري فعندذلك نادي عقيرب على الفراشين فلما حضروا قدام الاسطي عثمان قال لكبيرهم أن الجندى لمـا اتى من أرض الشام ليس عنـده خيام أو سرادقات فقال كبير الفراشين يا سيدى أن عنـده خيام وسرادقات فقال له عثمان اين موضوعين الآن فقال له يا اسطى أن الجميع فى الحواصل فقال افتح فعند ذلك فتح الحاصل الاول فوجد فية خيام كثيرة وأيضاً فتح الحاصل الثانى فوجد سوى ربيع الدنيا إيوان سرجويل المهري وكان موضوعا هناك فى الايام التي اتى فيها سرجويل بل بيبرس من الشام وكان هـذا الصيوان من اعجوبة الزمان لانه يقام على ثلاثمائة وستين عمودا من الذهب وفي رأس كل عمود رمانة من الذهب الاحمر الوهاج وكان فيه ثلاثمائة وستون ساعة وكان اذا ارتمي على وجه

الارض كأنه المدينة المبنية فقال عثمان الى كبير الفراشين ما هذا فقال له ياسطى هـذا ربيع الدنيا صيوان سرجويل المهرى فقـال الاسطى عثمان هـذا الذى يصلح بنا نرموه فى الجزيرة فقال له كبير الفراشين هذا الصيوان تريدله الجمال والرجال لاجل حمله الى الجزيرة فقال الاسطى عثمان ابقى هنا حتى آتى لك بالرجال ثم انه رجع الى الاصطبل وأخذ رزته وحملها على اكتافه وسار الى قرب باب زويله ووقف قدر ساعة واذا بعشرة جمال ومعهم سبعة من الرجال وهم حاملين التبن فصاح عليهم الاسطى عثمان واشار لهم بالرزة وقال لهم لمن هؤلاء الجمال فقالوا له للوزير الاغا شاهين الافرم فقال لهم سيروا على دار الوزير نجم الدين البندقداري فخافوا الجمالة وساروا كما أمرهم الاسطى عثمان ثم بعـد ذلك جلس قـدر نصف ساعة واذا بسبعة جمال قادمين حاملين الحطب وأشار عليهم الاسطى عثمان وقال لهم يارجال لمن هؤلاء الجمال فقالوا له للوزير ايبك التركماني فقال لهم سيروا الى دار نجم الدين البنـدقداري فساروا من حينهم ثم انه جلس قـدر ساعة زمانية واذا بعشرة جمال أيضاً رافعين شعير فتعرض لهم الاسطي عثمان وسـألهم لمن تلك الجمـال فقالوا له الى الشيخ صلاح الدين العجمى قاضى الحضرة فقال لهم سيروا على دار نجم الدين الوزير ولا زال كذلك الى أن جمـع قـدر مائة جمل وسـار خلفهم الى دار الوزير نجم الدين ونزل تلك الاحمال من فوق الجمـال وأمرهم برفع الصيوان سوي ربيع الدنيا على بولاق فرفعته الرجال على الجمال وقـد سبقهم الاسطى عثمان الى بولاق وكشف رأسـه ونادي على الريس بملء رأسه وقال يارجال أما تعرفونى انا الاسطي عثمان أنا بن غزيه الحبـلة وبيتنا فى المراغة والقبر الطويل وعندنا عبد اسمه فرج وعلى باب دارنا قنديل فلما سمعت الرؤساء صوته اتتة مسرعين وقبلوا يديه وقالوا له السـلام عليك يا جـدى وجد جـدى ويا أعز من عنـدى فقال لهم الاسطي عثمان مرادى منكم ياجدعان أن تودولى خيمة الجنـدي الى الجـيزة بالشط فقالوا له على

الراس والعين فهم في الكلام واذا بالجمال قد أقبلت وعليهم الصيوان فنقلهم الى الزوارق ثم رجعوا الجمالة الى حال سبيلهم هذا ما كان منهم

قال الراوي واما ما كان من الاسطي عتمان فانه لما وصل الى الجيزة نزل ونزل الصيوان وكان معه عقيرب فقال له ياجدى ان هذا الصيوان يريدله الرجال لنصبه فقال له عتمان اجلس هنا ورد بالك حتى تأتي لك بالفراشين والرجال ثم رجع الى ساحل الجيزة واذا بفراشين السلطان قد اقبلت ومعهم ايوان السلطان والخيام والسرادقات فعند ذلك صاح عتمان على كبير الفراشين وضربه بالرزة بين أكتافه وقال له الفاتحة فقال له باجدى الفاتحة من تالى او من قدام فقال له عتمان كلها طرق مقبولة ثم قال ياجدع اعلم ان لنا خيمة صغيرة نريد منك نصبها انت ورجالك فقال له السمع والطاعة ثم ترك خيام السلطان ونادي على رجاله وذهب مع الاسطي عتمان فوجد الصيوان موضوع قطع على وجه الارض فقال له هذه الخيمة يااسطي عتمان فقال له نعم يامعرص فقال له ياجدى ان هذا الصيوان يريد لنصبه خمسمائة من الرجال فقال له عتمان اجلس هنا الى ان تأتيك الرجال ثم رجع الى ساحل الجيزة واذا بفراشين الوزير الاعظم الاغا شاهين الافرم ففعل معهم مثل مافعل مع ففراشين السلطان وكذلك فراشين الوزير ابيك والقاضي وجميع امراء الديوان ولما اجتمعت الفراشين أمرهم برفع الصيوان فدارت الرجال فرفعوه وضربوا أطنابه ومدوا حباله فظهر كانه المدينة المبنية على وجه الارض وكانت حباله من الابريسم واطنابه من أنياب الفيل فاوهج البر من لمعانه وضرب قدامه الصوارى والتعليقات وانتصبت فيه السافات فقالوا الفراشين يااسطى عتمان ان هذا الصيوان يريد له خمسمائة قنديل وعشرين مترزيت فقال عتمان اذهبوا الى حال سبيلكم فذهبوا الفراشين الى حالهم هذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الاسطي عتمان فانه قد وضع الملاية على رأسه وصار الى ان وصل الى رجل عطار ووقف عليه وقال له هل عندك قناديل قزاز فقال له نعم ياسيدي وكان ذلك العطار معد لبيع القناديل

وعنده منهم كثير فلما وقف عليه الاسطي عثمان وساله عن القناديل فقال له كم تريد منهم ياسيدي فقال اريد خمسمائة قنديل فعند ذلك فرح العطار ونزل من دكانه وفتح حاصل بجنب الدكان وكان ذلك الحاصل ملا ن بالقناديل فعدلهم منهم خمسمائة قنديل وقال له ياسيدي لابد تاتى لهم بالاقفاص لتوضع فيهم فقال له عثمان رد بالك منهم حتى تأتى لك الاقفاص ثم تركه وذهب الى رجل قفاص وأخذ منه قدر خمسين قفص ونادي على الحمالة رفعوهم وذهب الاسطي عثمان امامهم فقال له القفاص أين حقهم ياسيدى فقال له عثمان ادهب معي الي دكان العطار تأخذ مالك ولكن اعطى اجرة الحمالة وتأخذه جمله فدفع القفاص الي الحمالة أجرهم وساروا جميعا الى دكان العطار ووضعوا القناديل فى الاقفاص فعندذلك قال العطار والقفاص لعثمان هات الدراهم يارجل فكشف عثمان رأسه ونادي وقال انا عثمان بن غزبة الحبله ورفع الرزة وانقلبت عيناه وصار عبرة لمن يراه فارتعب العطار الرعب الشديد وكذلك القفاص وقالوا له سامحنا ياحدي عثمان ونحن قبلنا حقهم من قبل أن يأتوا من بلادهم فردهم عثمان وضار الى الصيوان ووضعهم هناك في وسط الديوان بل الصيوان فقال له عقيرب بقى عليك الزيت ياأسطى عثمان فسار الى رجل زيات وكان دكانه أمام العطار وكان العطار لما نظر عثمان نادى عليه وقال له ياسيدى أن اردت ان تشتري الزيت فان الزيات الذى أمامى عنده زيت طيب وكان السبب فى ذلك ان العطار والزيات كانت بينهم عداوة سابقة ولذلك سلط عليه الاسطى عثمان فلما سمع عثمان منه ذلك الكلام قصد من حينه الى ذلك الزيات وأخذ منه عشرين متر زيت وفعل به مثل مافعل بالعطار ورجع بالزيت الى الصيوان وعلقوا القناديل وعمروهم فقال له عقيرب ياجدي بقى عليك فرش الصيوان فقال له عثمان ياعقيرب كلما يخصك بالصيوان من الفروشات والاقامة آيتك به فى هذا الساعة ثم تركه بعد ما أوصاه برد البال ورفع رزته وسار الى ساحل الجيزة وصبر حتي أتى فرش السلطان فتعرض الى الغلمان والمماليك وسألهم عن ذلك الفرش

فقالوا له فرش السلطان فقال لهم ياجدعان وسرها فى مقامها انى خالفتمونى فيما
أقول لكم عليه لضربتكم بهذه الرزة فعند ذلك أخذهم الخوف والفزع فقالوا له
ياسيدي عثمان قل ما تريد فنحن لقولك سامعين ولامرك مطيعين فقال لهم أبوا
جوطه معزوم عند الجندي الى الصيوان فسيروا بالفروشات الى هناك فقالوا له
سمعا وطاعة وقد ساروا من حينهم الى الصيوان كما أمرهم الاسطي عثمان ثم صبر
ساعة من الزمان حتى أتى فرش الوزير الاغا شاهين ومعه المماليك والغلمان ففعل
بهم الاسطي عثمان كما فعل بفراشين السلطان وأيضا فراشين الوزير ايبك والقاضي
صلاح الدين وجميع الامراء وبعد ذلك رجع الى الصيوان وفرشه ورتبه حتى صار
على أحسن حال ورتب كل شيء فى مكانه وكان ذلك اليوم يوم الاربع وفى صبحية
الخميس يقدم السلطان وجميع الدولة. (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء
الكريم بنوره ولاح وقد أقبل الامير بيبرس الى الجيزة فنظر عن بعد واذا
بصيوان سرجويل مضروب كانه مدينة ظهرت على وجه الارض فتعجب من
ذلك الحال وغضب غضبا شديدا ونادى ياعثمان فقال له لبيك ياجندي فقال له من
أمرك أن تفعل هذه الفعال وان هذا الصيوان لما ينظره السلطان يأخذه منا
ثم ان الامير نادي على الفراشين وأمرهم بقلع الصيوان فاجابوه لذلك وكان عثمان
تركهم مع الامير بيبرس وسبق الى الصيوان وجلس هناك واذا بالفراشين أقبلوا يريدون
قلع الصيوان فصاح عليهم الاسطى عثمان وقال لهم وحق المبرقعة بالانوار ان وضع
أحد منكم يده على وتد من الاوتاد لضربته بهذه الرزة أعدمته الحياة فعند ذلك رجعت
الفراشين الي الامير بيبرس وأعلموه بالحال فغضب وسار الى عثمان وهجم عليه باللت وراد
هلاكه فهرب منه عثمان وصار يجري والامير خلفه وفى ذلك الوقت أقبل السلطان ومعه
أرباب دولته فارتمي عثمان قدام الشهبة ونادي أنا فى عرضك ياأبوا جوطه فكنى من هذا
الجندي لانه اراد هلاكى وقال لى ما بقيت تخدم عندى الا اذا عزمت أبوا جوطه فقال له
السلطان هذا أمر قريب ياعثمان سير وها نحن معك فسار الملك والدولة

قاصدين الصيوان وكان السلطان مكاشف على ذلك الحال له في صباح ذلك اليوم الذي قدم فيه الى الجيزة لما تكامل الديوان وراق بالرجال وقرأ القارىء وختم ودعا الداعي وختم وصاح جاويش الديوان وقال

الله ربي مالك الممالك كلها ... والخلق جميعا وجمع العالم

يرضي الجميع منه بفضله ... ويعم الوري بخير النعائم

قال الراوي قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من المهالك الله الله ياحاج شاهين لم يخلق الله شيئا احسن من جبر الخواطر اعزموا بنا يارجال الى الجيزة ثم قام السلطان وكامل الرجال ونزلوا وقدم أبوا الخير الشهبة الى الملك وكان لابس الدلق وطليخة الزعف ومتقلد بالسيف الخشب وسار بين أرباب دولته والنوبه السلطانيه تدق على رأسه الى أن وصل الى بولاق وركب فى الدهبية وسار حتى وصل الى ساحل الجيزة وعارضه عتمان وتكلم بما ذكرناوسار قاصد الصيوان كما وصفنا فلما دخل الملك الى الصيوان أخذ على اليمين ومعه الاغا شاهين وايدمر البهلوان والقاضى العز بن عبد السلام وجماعة الاكراد وأما الوزير أبيك والقاضى صلاح الدين وعلالى الدين وقلون الالمى وجماعة المبغضين الى محمود بيبرس أخذا على الشمال فقال عتمان هذه قسمة مباركة اهل اليمين فى اليمين وأهل الشمال فى الشمال ثم أن الامير لما جلس الملك خرج من الصيوان ونادى ياعتمان فقال له لبيك ياجندي فقال له من أمرك تعزم السلطان وارباب دولته ومن اين لنا اقامتهم فى هذه الليلة فقال له عتمان الامر ساهل هأنذا ارجع ألى أبوا جوطه واقول له ان الجندي يقول لك روح الى حال سبيلك فنحن ما عندنا اقامة لك ولرجالك فغضب الامير من قول عتمان حتى كادت مرارته ان تنفطر وقال له ياعتمان كيف يكون الحال فمن نحن حتى نطرد السلطان ولكن دبر رأيك ياعتمان كيف يكون الحال فقال له عتمان ان اردت تستر عرضك فى هذه الليلة تقف قدامى

ولرقص وتقبل يدي وتقول لى ياأسطي عثمان ياساكن المراغة والقبر الطويل وعندك عبد اسمه فرج وعلى باب دارك قنديل مربوط بحبل طويل انا فى عرضك أن تسترنى فى هذه الليلة فعند ذلك فعل محمود مثل ماأمره الاسطى عثمان فتركه عثمان وسار الي طباخين السلطان وقال لهم ياجدعان ابوا جوطه معزوم عند الجندي ونريد منكم الطعام تأتوا به الى الصيوان فاجابوه بالسمع والطاعة وسار الى طباخ الوزير الاغا شاهين وفعل به مثل طباخين السلطان وكذلك بقيه طباخين الامراء جيما ولما اشتغلوا بطبخهم أقبل الاسطى عثمان على كبير الطباخين وضربه بالرزة على أكتافه وقال له الفاتحة من تالى أو من قدام فقال له طرق الله كلها مقبولة فقال له ما تريد ياأسطي عثمان ها أنا أطيب لك الطعام فقال له عثمان وسرها فى مقامها ان لم تطاوعنى فيما آمرك به لضربتك بهذه الرزة فقال له ما الذى تريد قال له اريد الوزير ايبك والقاضي وجماعته لا يأكلون من طعامنا فقال له هذا أمر هين ياسيدي ثم أن الطباخ نادى على غلامه وقال له ائتى لنا بجانب ملح فاتى له الغلام بشكارة ملح فوضع نصفها فى الطعام الذي أراد به المقصود ولما تهيأ به الفراغ من ذلك وحضر الطعام وانبسط السماط قدام السلطان وايضا سماط ايبك التركمانى فوضعوا الطعام قدام السلطان فمد يده وقال بسم الله فاكلت الرجال حتى أكتفوا فهذا ما كان منهم (قلل الراوي) وأما الوزير ايبك والقاضى ومن معهم فانهم بعد ساعة قدموا لهم الطعام فمد القاضى يده وجماعته وأرادوا ان يأكلوا من الطعام فلما وضع اللقمة فى فمه وجده مالح عجرم وكذلك الوزير ايبك ومن معه فقال لهم القاضى اعزموا بنا لنختلط على سماط السلطان فقاموا جميعا مسرعين وساروا الى موضع السلطان فوجدوه نفض يده من الطعام وقال ارفعوا السماط اللهم اجعل البركة فى أهله واجعلهم منصورين على اعدائهم ثم قرأوا فاتحة الكتاب وانقضي الحال فجلس القاضى وجماعته ولم يبدوا كلام وسار القاضى يظهر الجلد ويخفي الكمد ثم قال ياأمير المؤمنين انى اوردت ان اتكلم كلمة حسنة

ان ولدك المحفوظ المنصور بيبرس ماظهر هذا الايوان الا طالب بهفتنة بين الروم والاسلام وان الله لايرضى بهذا والذي ظهر لسان حاله يقول ان أمير المؤمنين ليس له صيوان مثل هذا وان اصل هذا الصيوان غنيمة وان الغنائم مرجوعها الى بيت مال المسلمين فعند ذلك تكلم الوزير الاغا شاهين الافرم وقال ياأمير المؤمنين ان بيبرس كان قد قال لي ان هذا الصيوان لايصلح الا للسلطان وأنا أريد اعرضه عليه فقلت له ابقيه الى ليلة مولد ابوا هريرة رضى الله عنه انصبه في الجيزة فان عجب امير المؤمنين يأخذه وانا الذي اذنته بذلك فان اردت اخذه تأخذه فقال له السلطان مثلك من يكون وزير وبأمور الدهر خبير والان ياقاضى الايوان قد صار حقي ورزقي وانا وهبته هبة كريم لايرد فى عطاه الى ولدي بيبرس وأسأل الله العظيم ونبيه الكريم ان هذا الصيوان لاينتصب على راسه الا وهو ملك وسلطان وايضاً نسأل الله ان هذا الصيوان لاينتصب فى وجه كفار الا وينهزمون وينكسرون ثم ان السلطان قام على اقدامه وقامت الاكراد ونصبوا الورد بذكر الله حتى اصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فخرج من الصيوان وخرجت معه الاكراد وكانت الي السلطان من كراماته أن يقف فى ذلك اليوم وينادي ياداىم ياداىم فتأتيه الطيور من سائر الاجناس ويأخذ من ذلك البندق ويؤتى فى القوس ويقول الى الاكراد أي طير نضربه فيقولون له الطير الفلانى فيضربه السلطان ويسقط على وجه الارض فيأخذوه الاكراد ويتأملوا فيه ثم يطلقوه الى حال سبيله ولما كان ذلك اليوم وخرج السلطان ونادي علي الطيور وداروا به مثل العادة فقال للاكراد أي طير تريدون ان اضربه فقالوا له اضرب لنا الطير الفلانى الاخضر فمد السلطان القوس واراد ان يضربه فسقط الطير على وجه الارض فهاج السلطان وغضب غضبا شديدا وقال من الذى اخذ طيرى ومن الذي اراد ان يأخذ ملكى ثم انه تبدل من حال الى خلل فتقدم له الوزير الاغا شاهين الافرم وقال له وحد الله ياأمير المؤمنين وان هذه

أمور مقدره ولكن اضرب لنا غيره ولا زال الوزير بالسلطان الى أن زال غضبه وراق بدنه وقال اي طير إردتم ضربه يارجال فقالوا له اضرب لنا الطير الاحمر فمد السلطان القوس ليضرب الطير واذا بالطير سقط فمند ذلك تبدل السلطان وصار عبرة لمن يراه وزاد به الغضب وخرج الزبد على اشداقه فتقدم له الوزير ثانيا وصار يقول وحد الله يا أمير المؤمنين اعزك الله بالنصر المبين ولا زال به حتى زال غضبه وقال أى طير اردتم يارجال فقالوا له اضرب لنا الطير الابيض فمد السلطان القوس ليضربه واذا بالطير سقط مثل الطيور الاولين فهاج السلطان وقال ائتوني بالذي أراد زوال ملكي فتجارت الغلمان والمماليك فى ذلك العالم واذا بهم وجدوا الامير بيبرس وعثمان فداروابهم وتمكنوا على بيبرس وقدموه الى السلطان (قال الراوي) وكان السبب فى ذلك أن عثمان لما سرق البنادق من عند نجم الدين وخبام الى أن كان ذلك اليوم وجلس هو وبيبرس الى أن وقع ماوقع ونادى السلطان يادايم وحضرت الطيور فقال عثمان ياجندى أضرب لنا الطير الاخضر فضربه وأيضاً الثانى والثالث وتجارت الغلمان كما ذكرنا وتمكنوا عليه وقدموه الي السلطان كما وصفنا وهذا كان السبب ولما قدموا الغلمان محمود قدام السلطان ومعه القوس والبنادق فقال السلطان ارموه في نطعة الدم فشالوه الي نطعة الدم وعصبوا عينيه وانتدب السياف على رأسه فنادي السلطان يا دايم واذا برجل اقبل من البر وهو يركض الى أن وصله فأمله السلطان ونادى هاتوا صاحبي الذى أخذ مالى فتمكنوا به الغلمان وقدموه قدام السلطان فقال له السلطان اين الصرة التى اعطيتها لك لتشتري لي بها مملوك والي الآن لم رأيت ذلك المملوك فقال له يا سيدى أن المملوك هو الذى عندك الآن فى نطعة الدم فقال السلطان يا دايم ان كان هذا هو مملوكى فانا سامحته لوجه الله تعالي فعند ذلك اطلقوه من الوثاق وقدموه قدام السلطان فقبل الارض بين يديه فقال السلطان ياحاج شاهين ان المملوك حر لوجه الله وكذا جلبة المماليك الذين

اشتروا معه ولكن لابد تحكى لنا على قدومك هذه الساعة فقال يا أمير المؤمنين أنا فى هذه الساعة كنت على شط بولاق فأخذتنى سنة من غير سنق فما فتحت عينى الا وانا هنا وهذه حكايتى والسلام

(قال الراوى) ثم أن السلطان أمر بقلع الخيام والسرادقات ورجوع كل أحد الى مكانه فارتفعت الخيام ورجعت الناس الي اماكنهم وانفض الموكب ورجع السلطان بأرباب دولته الى مصر والنوبه تدق على رأسه الى أن وصل ديوان قلعة الجبل ورجع بيبرس الي دار الوزير نجم الدين البندقداري ورجعوا الصيوان الي الحواصل وباتوا تلك الليلة

(قال الراوي) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح صلوا على محمد زين الملاح تكامل الديوان ودخل الاغا الصالحى على الملك وقال له الديوان تكامل بالرجال فقال الملك وعلى الله الكمال ثم قام وهو يتوكأ على قضيب خيزران حتى وصل الي الديوان فقامت له الرجال على الاقدام وسلم فردوا عليه السلام والتحية والاكرام وجلس على تخت قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل فعند ذلك قرأ القارى وختم ودعا الداعي وختم ونادي جاويش الديوان وأنشد وقال صلوا على النبي المفضال

الملك لله الذى خلق الورى وكل ما سواه فهو فانى
فاعبد الملك يا من تتعظ من قبل أن تدرك الاكفاني

قال الملك آمنا من اين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك ثم راق الديوان ومن كان عادته الجلوس جلس ومن كان عادته الوقوف وقف واذا بالامير بيبرس طالع الى الديوان وهو يقول هذه الابيات

سلامي على هذا المقام وذا الحمى سلامي على امير المؤمنين تقدما
عظيم امير المؤمنين وجيشه لقد حفلت فيه ملائكة السما

(قال الراوى) فقال الملك انظر ياوزير الزمان الي هذا الولد المبارك المسعو الذي سعادته فى كل يوم تزيد ولكن لبسه سلاح دار ليكون دائماً حاضر فى

الديوان فقام الوزير وخلع على بيبرس خلعة والبسه سلاحدار وقال الملك ياوزير الزمان لابد أن تعطيه خملة في ديوان قلعة الجبل فأجابه الوزير بالسمع والطاعة واعطاه قاعة عظيمة فى قلعة الجبل وقال له الوزير لابد أن تنتقل الى هذه القاعة التى اعطاها لك الملك فأجاب بيبرس بالسمع والطاعة ودخل الي تلك القاعة ومعه الاسطى عثمان وداروا فيها فقال عثمان يا جندي هذه القاعة مظلمه فلا بد أن تفتح فيها شباك والنور أحسن من الظلام وما أحد يكرهه من الانام فدعنا نفتح هنا شباك حتى يدخل علينا النور ويزول عنا الارتباك فقال له الامير افعل مابدا لك ودبرما حضر ببالك فعند ذلك نهض عثمان ومسك الرزة بيده وضرب بها الحائط فسقط البياض فبان من تحته لوح من الرخام الاسود والى جانب اللوح عقرب من النحاس ففركه عثمان واذا اللوح الرخام انفتح وظهر من خلفه باب مغلوق وهو بالاقفال موثوق فطل عثمان من بين الالواح فرأي قاعة كبيرة لها ثلاثة شبابيك من النحاس مقتربين وهم على أماكنهم محتكمين وعلى كل شباك صندوق كبير قدر ثلاثة أذرع فى الطول ونصف ذلك القدر في العرض وعليهم الاقفال بالمفاتيح ومكتوب على وجه ذلك المكان ثلاثة أسطر تمام فعند ذلك أشار عثمان الى الامير بيبرس فاتى اليه فقال له انظر ما تكون هذه الكتابة واقرأها واخبرنى عن معناها فقرأها الامير واذا هى مكتوبة يامتصلا الى هذا المكان ومطلعا علي هذا البنيان هذا الرجل من الاخوان المجاهدين فى سبيل الملك الديان وقد خرج من ذمتي الى ذمة هذا الرجل دون كل انسان وهو على غيره حرام وما هو الا بيبرس العجمى الخوارزمى الدربندى الدمشقى بن القان شاه جمك ابن الست ايق بن القان شاه طلعه ابن القان شاه لمعه بن احمد بن محمد ابن مصطفى بن مرقطا بن ابراهيم بن آدم ولى الله المطمطم يستعين به على الجهاد فى طاعة رب العباد (قال الدينارى) وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وأمر مطرب غريب يجب أن نسوقه على الترتيب حتي أن المستمع يلذ ويطيب بعد

الف صلاة والف سلام ترضى النبي الحبيب وذلك أن احمد بن أباديس المبكي كان عنده رجل رمال وكان عنده مال ونوال وكان خبير بسائر الاحوال وما يتجدد من ذلك فى العالم من الامور والاشتغال ففى يوم من بعض الايام

قال له ياوردان اعلم انى أريد منك أن تبين لى من الملوك صاحب فضل وبرهان وتذل له الشجعان والاقران ويملك سائر البلدان وتطيعه الانس والجان والاوطان ويظهر دولة الايمان ويبطل شرائع أهل البهتان حتي انني اذا علمت ذلك أوهبته مالى ونوالى وما كان لى من عقارى وذلك كله لاجل نصرة الاسلام ومحبة منى فى دين الاسلام فقال له وردان السمع والطاعة ثم انه ضرب الرمل وحقق الاشكال وأزال الانكيس والحمرة واعتمد علي مثل النظره فظهر له شكل آخر غريب الصفات بعد أن ولده من الامهات والبنات واقترنت الجماعة بالجماعات وظهر الاجليد فى بيت الميزان وأخبره بذلك الانسان الذي قدمنا ذكره من الكلام فأعلمه بما بان له من الاحكام فقال له والرأى فى ذلك قال له تجعل المال في هذا المكان لانه لا بد له من العبور اليه والدخول عليه وصحبته انسان يقال له عثمان وهو صاحبه ورفيقه وخادمه وخليله وصديقه فلما علم ذلك وضع المال وكتب على باب ذلك المكان ماقدمنامن الامر والشأن فهذا كان السبب فى ذلك الشأن ونرجع الي حديثنا الاول وانا وانتم نصلى على النبي المفضل ولما قرأ الامير بيبرس الكتابة فتح ذلك المكان ودخل هو وعثمان وعمدوا الى الصندوق الاول واذا بالمفتاح فيه ففتحه وتأمل واذا به من الذهب الاحمر الابريزي وفتح الثانى واذا به من الجواهر الكاملة المعانى وفتح الثالث واذا به من الفصوص والمعادن الكبار فعدوهم واذا بهم خمسة وسبعون طيراً فلما رأي الامير ذلك فرح واتسع صدره وانشرح وقد زال عنه الهم والطرح ثم أن الامير بيبرس التفت الى عثمان وقال له اعلم أن اللقايا كلها للسلطان وان هو علم بما رأينا أخذه منا الاما فى القصه الا انا نكتم هذا الامر عن سائر البشر وماتذكر عن ذلك بخبر لاحد فقال عثمان ان هذا هو الصواب

والامر الذي لا يعاب فعند ذلك اطمأن الامير بكلام عثمان وظن انه صاحب اسرار وكتمان فهذا ما كان من هذا الامر والشأن (قال الراوى) وأما ما كان من أمر عثمان فانه بعد أن فرش القاعه واجلس الامير بيبرس فيها تركه ومضى وكان أخذ شيئاً من المعادن ونزل الى الاصطبل وبات تلك الليلة الى أن اصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح انطلق عثمان ووقف قريباً من باب الديوان فبينما هو كذلك واذا قد أقبل عليه القاضى وركابه في ركاب ايبك التركمانى فعارضهم عثمان وصبح عليهم وقال لهم السلام علي أهل السلام فقال القاضى ما تريد ياعثمان قال له انظر بعينك ياقاضى الاسلام ما قد أعطانا الله من الخيرات والانعام ثم أخرج له عثمان قرطاس من الذهب لاحمر الابريزى وقال له هذا رأيناه في صندوق محرر مثله وصندوق من الجوهر ورأينا صندوق آخر من جناح العقاب مثل الطير ثم ان عثمان اعاد عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها حتى كانه حاضرا مناظرها قال ولما سمع القاضى ذلك انفطرت مرارته وزادت عليه بليته وكذلك ايبك تمت حسرته هنا وقد تركهما عثمان وهما علي ذلك الشأن فهذا ما كان عثمان

(قال الراوى) وأما ما كان من القاضى فانه صار متفكر في ذلك الشأن هو وغلمانه وايبك التركمانى وساروا طالبين الديوان فهذا ما كان منهم (قال الراوى) واما ما كان من السلطان فانه بات واصبح مثلك يصلي على من له الورد فتح صلى الفريضة وقرأ ورده وقد طلع النهار واتضحت الانوار ودخل الاغاجوهر الصالحي اعلم السلطان بأن الديوان تكامل ثم نهض علي الاقدام وسار الي الديوان وابدي الحاضرين بسنة السلام وردوا عليه علي طريقة سيد الانام عليه الصلاة والسلام وبسط اياديه وقرأ الفاتحه أم الكتاب وأهدى ذلك الثواب الى النبي الاواب والتابعين والاصحاب ثم الى ارواح الملوك المتقدمين قبله والمتأخرين من بعده ثم أنه جلس علي كرسى قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل وقد تكامل الديوان وجلس الوزير

والامراء والخدام وسائر الاقران ثم قرأ القاريء وختم ودعى الداعي وختم ورقى الراقى وختم ثم صاح شاويش الديوان يقول

لله الملك والملكوت جميعا وجميع العالمين فوانيا
وكل المخلوقين تفني ووجه ربك باقيا
فلا تغتر بالمال وطول الحياة وكثرة الجيش العاتيا
فهذا كله هالك ويبقى الاله الباقيا

(قال الراوي) فقال الملك الصالح امنامن اين كنا حتي اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك سبحان من عنده كل ملك كمملوك وكل غني كصعلوك فقال الملك ياحاج شاهين من اعطاه خالقه من يخانقة سبحان المعطى المانع صاحب الفضل الواسع ربنا اعطاه وهو يريد ان يكتم ماأتاه فرزقه مولاه بمن يظهر ماأخفاه ولما ان الرجل اعطاه ربه وقد نظره الرجل فأباح الرجل للرجل والرجل كادان يقتل نفسه مما نزل به من البلاء النازل فتعجب الاغاشين من الملك الصالح وقال ياأمير المؤمنين ومامعنى هذا الكلام فقال له أنا رجل عبيط والرجل الخواص كل مرة اوصيه يجيب لى الخوص من النخلة المدلة يأتينى به من النخلة الموجة فقال الاغاشين لا اله الا انت سبحانك ماأعظم شأنك وماأقوى برهانك خلقتنى ورزقتني وبهذه الرجال العظام ابليتنى وفى زمرتهم قدحشرتني ومع ذلك فانى لم أعلم قولهم ومايذكروه من خطابهم اللهم انى اسألك بحرمة النبي الهادي ان لاتحرمني من اسيادى (قال الراوي) و بعد ذلك تحرك القاضى من مكانه وتحرك مسرعا على اقدامه ووقف فى محل الطلب وكان بيبرس قداقبل الى وظيفته ووقف فى مكان خدمته هذا وقد قال القاضى ولذلك ياأمير المؤمنين المحفوظ المنصور الذي سعادته على رأسه مثل المصباح الامير بيبرس قدرأي فى المكان الذى انت اوهبته له ثلاثة صناديق من الذهب والجواهر جناح العقاب بالذهب الوهاج و الذى اقوله ان هذا كله حق الي بيت مال المسلمين فهو احق بالقايا من دون كل البرايا فقال الملك احق يابيبرس ما يقول القاضي من المقالات فقال لا ادرى بشيء من

تلك الاشياء بل ان عثمان هو الذي فتح المكان و نظر فيه بامكان فقال الملك انزل ياسيدي بيبرس وآتينا بعثمان فقال سمعا وطاعة يامولانا السلطان ثم نزل بيبرس وهو لا يدري مايقول وذلك لما اعتراه من الغم والنزول ولم يزل سائر الى ان وصل الى عثمان فرآه جالساً وبين يديه السياس وهو جالس فقال له السلام عليكم فقال له عثمان عليك السلام عودني فقال الامير ياعثمان السلام لم يبقى بالعود قال عثمان سلام السياس هكذا قاعدته فقال الامير ياعثمان اذن مني اني أسارك في اذنك فقال عثمان اذا كان معك حاجة وأنت ملخوم نزها عن اكتافك فقال له الامير اعلم ان مامعي الاسرار يدان أطلعك عليه فقال عثمان انت تحكى وأنا اسمع فقال له أنت أخبرت القاضي بما رأينا بامس فقال له عثمان ادى عيني وعينه هو ورفقيه ايبك واوريتهم عينه اللقية واخبرتهم عما جري بالحرف الواحد فقال له الامير جزاك الله خيراً هذه الشروط التي جرت بيني و بينك بامس فقال له والذي جري ماهو قال له اطلع الى الديوان واخبر بذلك السلطان وقدامري بحضورك الي بين يديه في هذه الساعة فقال عثمان ياأشقر سر من هاهنا اليه وسلم لى عليه وقل له الاسطى عثمان يقرئك السلام ويقول لك اترك هذه الدعوة وتلك القضية لانها دعوى فارغة بالكلية وان لم تفعل ذلك يطلع بالرزة اليك ويأخذ روحك من بين جنبك قال فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام من عثمان اغتاظ غيظا شديدا ماعليه من مزيد وصاح فيه وقال له يا كلب ياقليل الادب بقى أنا ارجع للملك وأقول له اترك هذه الدعوة لانها فارغة كما قال الاسطى عثمان قال عثمان ويعني ماذا يجري فقال له قم على حيلك واجب السلطان والا ضربتك بهذا اللت على رأسك اخمدت به انفاسك فقال له عثمان انا اعرف الناس بك لانك مثل العقارب خاين العهود ولكن سروا نا اسير معك ثم سار معه وقد جعل الامير بيبرس يلاطفه بالكلام ويقول له اعلم يا اسطى عثمان اني قد نكرت اللقبة من السلطان وقلت له انامارأينا شيء واسأل الاسطى عثمان فاذا هو سالك ما الذي تخبره به من الامر والشأن قال له عثمان اقول له مثل ما تعلمني فقال له اعلم كيف تقول

كلامنا من غير زيادة ولا نقصان أحسن و نقول له ما سمعنا ولا رأينا ولا لقينا ولا نظر نافقال له عثمان سمعاً وطاعة ثم ساروا الاثنين الي أن وصلوا الى الديوان وقد صاح عثمان وهو غير فزعان يغني ويقول هذا الموال

جئتكم كلما نهق حمار في غيط   وكلما نبحت جروه على أعلا حيط

يا من على صحن خده مسرجة زيت   قتلتني غدر يابو مخطمه مخيط

صباح الخير عليك يا ابو جوطه الفاتحة مني في صحايفك وصحايف الاسطبل الذي علمك ضرب الكفة والحديدة فقال القاضي هو سايس يا ممقوت قبح الله انك قال له عثمان مرض في خناقك فقال الملك والسايس ماله يا حاج شاهين ما هو مسلم من المسلمين رضي الله عن السيد على ساعي ركاب النبي قال عثمان صباح الخير عليك يا ابو فرمه خيرنا عليك قناطر و نواطر احفظ سكرنا قال الوزير أخذت مني قدر حقه مائتين مرة قال عثمان صباح الخير يا ايبك يا عين القطا القيط قال ايبك مرض يلقط عقلك فلاح خطاف عمائم قال عثمان صباح الخير عليك يا قاضي يا منقرش يا ابن القحبه يا للى من المطقة الظلمة الضيقة اللى يعرفها أبو جوطه بعد الفاتحة تسمع خير يا ابو جوطه قال الملك الصالح خير ان شاء الله قال عثمان عز الله جل الله ما في الكون الا الله قل معي يا ابو جوطه لا اله الا الله عليك يا قاضي غضب الله قال الاغا شاهين ها هو يلقى العبارة بحمد الله قال عثمان نحن لما دخلنا القاعة التى أوهبتها أنت لنا وفتحناها فوجدنا فيها صندوق من الذهب البندقي ومثله من الجوهر والثالث من التبر جناح العقاب فلما رآهم الدولتلي بيبرس قال لى يا عثمان ان اللقايا لا بو جوطه يأخذها منا ويحرمنا منها قلت له ابو جوطه رجل تيس فصاح في فقال الملك الله تعالى يسامحك يا عثمان في كل ما قلته في حقي يا عثمان احكي ماجرى بعد ذلك قال عثمان ثم انه قال لى اذا أحد سألك عن هذه فقل له نحن لا شفنا ولا رأينا وما سمعنا خبر ولا لنا علم بذلك قلت له هـذا هو الصواب والامر الذي لا يعـاب ثم أخـذت بعض الذهب والجوهر والتـبر وأعلمت القاضي وايبك بما جري وأوريتهم الذهب فلمـا طلعوا الى عندك أخـبروك

وسألت انت الامير نكر وشهد القاضى وابيك على بذلك فارسلته الي احضرني بين يديك وقد سألتني أخبرتك بالذي جري ونحق من يعلم ويري وبعد ذلك لاشفنا ولا رأينا ولا ممنى خبر ولا لنا بذلك علم قال القاضي قرارك من لسانك ولا عذر لمن اقر قال الملك اسكت ياقاضى دم على قلبك ثم ان الملك التفت الى الاغاشاهين وقال له اللقايا لمن قال للسلطان أمير المؤمنين قال الملك وحق من تعالى في علاه هذه اللقية هدية من عندي الى ولدي الامير بيبرس هبة كريم لا يردفى عطاه ياحاج شاهين هذه اللقية كانت حرام والآن حلت لانها بقيت باذن صاحبها وقد اذن الله انه لا يأكلها الا حلالا وبعد ذلك دع الذي ينكاد في كيده ولكن ياسيدى بيبرس اعلم أن لكل شيء سبب من الاسباب انزل ياسيدي احضر لك رجل فقيه يصلى بك ويعلم عتمان الخط والقرآن فقال سمعا وطاعة ياملك الاسلام ثم ان بيبرس نزل هو وعتمان وقد فرحو بما الوامن الامتنان والاحسان وما نزل على الاعداء من الغيظ والهوان قال وقد وقع على القاضي من ذلك مالم ينزل على احد من الرجال وجعل يدبر المكايد هو وابيك فهذا ماكان من امر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من الامير بيبرس فانه نزل من الديوان وقال ياعتمان ائتنا برجل فقيه فقال سمعا وطاعة ثم تركه ومضى الى باب القلعة واذا هو برجل فقيه يقال له الشيخ اسماعيل الملوي مقبل وكان هذا الشيخ اسماعيل يخاف من عتمان خوفا شديد ماعليه من مزيد لان عتمان كان ضربه بالرزة وأخذ عمامته مرتين وكان من تلك المدة وهو مريض فلما سمع ان عتمان تاب ورجع عما هو فيه فرح قلبه وند اتته العافية ونزل ذلك النهار لاجل ان يطوف علي رواتبه ومحلاته التي كان يرتزق منها فصادفه عتمان في هذا المكان فلما رآه الشيخ انتقض وضوءه ولعبت مفاصله وقال له اعذرنى يا اسطي عتمان لانى كنت عيان وخذ مقلتي وارجع عن اذيتي فقال له عتمان انا تبت عن أمور النقصان فقال له خذها مني وارجع توب فقال له عتمان انا تبت وتاب على علام الغيوب فسر

معى وكلم الاشقر لاجل ان يعود عليك النفع منه ويزيل عنك الضرر فقال له الشيخ سمعا وطاعة ثم ان الشيخ سار معه الى ان وصل الى سيده بيبرس فلما رآه نهض له قائما على الاقدام وترحب به وأجلسه فى اعز مكان وقد اطمأن قلب الشيخ من عثمان ولما استقر به الجلوس قال له الامير يامولانا اعلم انى ما اتيت بك الا لاجل القراءة عندي والصلاة جماعة فقال له الشيخ وقد ظن انه يريد ان يقرأ القرآن مرحبا ياولدي فقال له اعلم انى اقرأ القرآن واريد ان تقرى عثمان القرآن فقال له انا اخاف من عثمان ان يسقيني شراب الهوان لانه فعل معى كذا وكذا وحدث الامير بما فعل معه عثمان من اول الامر الى آخره فقال له عليك الامان من عثمان ومن كل انسان وعلى انا الضمان فقال الشيخ سمعا وطاعة ثم ان الامير أخرج قرطاسا من الذهب وناوله الى الشيخ اسمعيل الملوي وقال له خذ هذا وجمل نفسك بالثياب واخزن بيتك حتى انك لا تكون مهتم القلب من جهة الاكتساب وتأتى الى عندي هاهنا لاجل الصلاة وتعلم عثمان القراءة فقال له سمعا وطاعة ودعا له وقد امر الامير بيبرس عثمان ان يقبل رأسه ويده ففعل عثمان ما امره به مولاه وطيب خاطر الاستاذ ونهض الاستاذ الى مكانه وقد علا قدره وشأنه وذهبت احزانه وبعد أن قضا اشغاله عاد الي المكان واحضر عثمان وكتب له أول الهجاء وهي الاحرف الهجائية وقال لعثمان ماهذه قال عثمان الطويلة قال نعم قال عثمان هذه شبيهة الرزة قال له الشيخ هذه يقال لها الف قال عثمان يكومك قال الشيخ ما معنى ذلك قال له تقول مالف يعنى ثعبان قال له الف الف ياعثمان قال عثمان الف اروح فين قال له الشيخ الف قال عثمان الف وهذه باء قال عثمان اناخوفتك حتى انك تقول لى باء قال له هذا اسمها فقول مثل مااقول لك فقال عثمان وما قرأت حرفا الا بجهد جهيد وقد فتح الله علي عثمان حتى قرأ الهجاية وفك الخط وكتب وتعلم وقد اجتهد معه الاستاذ غاية الاجتهاد (قال الديناري) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من أمر المماليك التى للسلطان وما كان منهم من الحديث العجيب

والامر المطلوب البديع الغريب الذي نريدان نذكره على الترتيب حتى ان المستمع يطيب بعد الف صلاة والف سلام ترضي النبي الحبيب وذلك ان بيبرس لما سكن في القلعة امر له الملك بالترتيب الملكي من الفطور والغدا والعشا فامتثل الطباخ الامر وأرسل له اول يوم الصفرة كاملة وثاني يوم الغدا والعشا على العادة فلما كان ثالث يوم طلعت الصفرة وقد وضعها الخدام بين يدي الامير بيبرس فتأملها واذا فيها أربعة صحون من غير زيادة وكلهم خضار فقال بيبرس في نفسه لعل ان يكون الطباخ نسى العاده جل من لا ينسى ثم انه عزم على عثمان فابى وقال انا مالى فيه لا آكل الطعام فاكل الامير بيبرس وارتفعت الصفره الى وقت العشاء فوجدها الامير مثل ما اتت اليه فى الظهر فتعجب الامير من ذلك وعزم على عثمان فابى وذكر له انه عيان فلما جن الليل جلس الامير وفتح الختمة وجعل يقرأ في كتاب الله عز وجل الى ان أتى الى قول الله تعالى «فمن اعتدي عليكم» فنهض عثمان الى عند الامير وقال له ياسيدي اعلم اني مريض ولما سمعت هذه الآية الشريفة طابت نفسي عليها فاكتبها لى حتى اجعلها فى راسي حجاب فقال له الامير يا عثمان كلام الله كله شفاء ومعاني ومعرفة ولكن أخاف ان تكون قاصد بها شيئا آخر فقال له لا وحق رأسك وذقنك فكتب له الامير هذه الآية وهو سليم القلب لا يدري ما يريد بفعل عثمان فلما أخذها عثمان نهض بالرزه وسار الى الطباخ وقد ضربه بالرزه بين كتفيه فصاح آخ فقال عثمان الفاتحة فقال الطباخ الفاتحة من وراو الامن قدام فقال عثمان الطرق كلها سالكة فقال الطباخ حلت فضائلها ما تريد فقال له أريد أن تعلمني على الترتيب الذي أمرك به أبو جوطه لنا في الغدا والعشا فقال له يا سيدي عثمان لكم كذا وكذا وذكر له أشياء كثيرة فقال له ولاي شيء انت لم ترسل لنا حكم ما امرت فقال له اعلم انى أرسل لكم ذلك كله في كل وقت ولكن اعلمى ما الذى جرى فاخبره عثمان بأمر الصفره فلما سمع الطباخ ذلك من عثمان صاح على غلامه وكان اسمه سليمان فأتى اليه فقال له اعلمني على الصفره الذي تحملها الي الامير بيبرس كيف تصل له ناقصة واصدق فى

المقال فقال له يامولاي انك انت بعد أن ترتب لي الصفرة وانا اسير بها فقبضوا على المماليك فيأكلوا مطايبها ومايتركوا خلاف الاربعة اشكال الخضار فلما سمع عثمان ذلك قال له اسمع انا لا أفعل شيئاً حتي أري بعيني فاغرف الصفرة وأرسلها مع الغلام خلفي ثم ان عثمان ترك الطباخ ومضى الي السلالم وتواري في ركن هناك ولم يزل كذلك الى أن أقبل الغلام بالطعام وكانت هذه الساعة حصة الغذاء وقد خرجت المماليك وهم أربعة الذين اتفقوا علي ذلك الحال مع بعضهم وهم سنقر وشتك وعلاء الدين وقلوون فلما وقفوا وعبر عليهم الغدا فصاروا يسألون الطباخ لمن هذه الصفرة فيقول لهم الي فلان يقولون امضي بها اليه والثانية لمن فيقول الى فلان فيتركوها ولم يزالوا كذلك على هذا الحال الى ان أتى الغلام بسفرة الامير بيبرس وعثمان ينظر ويري وهو واقف فقالوا لمن هذه الصفرة فقالوا للامير بيبرس فقالوا له نزلها هاهنا وكانت هذه عادتهم وقد نزلها الغلام فتقدموا اليها واكلوا مطايبها وقام علاء الدين الي الانجر الازرق وهدم بناه وقبض على اكثره بيده فقال عثمان وقد زاد بلاه هدمت قبة الاسلام ولكن وعزة الله الآن جاء شاهد هذه الآية التي أخذتها من بيبرس وانتم اتعديتم علينا بجوع الكبد وأنا أتعدى عليكم بعرى الجسد ثم انه تركهم ومضى الى حال سبيله ورجع الى سيده ولم يبدي كلام هذا وقد اقبلت السفرة ووضعت بين يدي الامير فقال لعثمان تقدم فقال مالى نية الي الطعام ثم انه صبر الي الليل بعد أن نامت المماليك وأخذ الرزة وسار طالبا مكانهم ولم يزل حتى دخل المكان وتأمل فرأى التيجان ملقيين الي جانب المكان فاخذ الجميع وكانت عدتهم خمسة وسبعين فاخذهم وخرج الي الخلا وجلس عثمان يترقب الصباح الي أن انفجر الفجر فسار طالبا جهة الطريق قال فبينما هو كذلك واذا بالدلال مقبل عليه وكان هذا الدلال دلال عثمان وكان يقال له الشيخ عمران الفلسى وكان متعود على عثمان كل ما نهبه يأخذه منه ويبيعه حراج الي أن صاحب الحاجة يشتريها منه بالثمن ولم يقدران يذكر انها حاجته خوفا من عثمان وسطوته فلما تاب عثمان انمطع الدلال في بيته

عندالنسوان وضاعت مصالحه وصار لا يقدر علي شيء من العمل و بطلت أسبابه
وعظمت مصائبه فجعلت زوجته تواجهه بالكلام الغليظ وهي تقول له و بعد قعادك
هاهنا مثل الوليه وما بقيت ناقصا الا الرقد أو انك تجيب لك دولاب فقال لها وكيف
أفعل بعد أن تاب عثمان بن الحبله و تركني بهذه المصيبة والعله والله ما كان لي غرض في
توبته لاني كنت سعيداً في مدته فقالت له زوجته ان رزقك ما هو مقيد بعثمان ولا
متعلق بانسان بل رزقك على الكريم الديان فقوم الآن صلى صلاة الافتتاح وتوكل على
الكريم الفتاح واقصد أحد الاسواق والله لك رازق فقال لها السمع والطاعة الله يسهل
لنا الارزاق ثم انه خرج من عند زوجته على مثل ذلك الاتفاق وصلى صلاة الافتتاح
وعبد الملك الخلاق الرزاق وقصد الى جهة السوق كما امرته زوجته وهو لا يدري ما
يكون العمل فى قصته فبينما هو كذلك واذا بعثمان مقبل اليه ولما دنا منه سلم عليه فلما رآه
فرح برؤيته وسلم عليه وقبل يديه وقال له اسطي عثمان لاى شيء تبت هذه التوبة وان
الوقت بدري عليك وباب التوبة مفتوح فارجع الى ما كنت عليه ولا تتوب حتى يقرب
ظهور يأجوج ومأجوج فقال له عثمان دعنا الساعة من هذا الكلام وخذ ما معى
واعطيني ثمنه فى عاجل الحال فقال له ماهذا قال خمسة وسبعون تاجا وسبعون فرشا
فقال له الدلال وقد فرح بكلامه اصبر حتى آتي اليك بالدراهم وعاد في عاجل الحال الى
الى زوجته وأخبرها بان عثمان نقض التوبة وأتي اليه ببيعة قيمتها خمسه وسبعون قرش
ففرحت الاخري بذلك ونهضت واقترضت له الدراهم من الجيران فأخذهم وسار الى
عند عثمان وناوله اياهم فأخذهم عثمان وأعطاه التيجان ومضي كل واحد منهم الى
حال سبيله

تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله أخذ عثمان تيجان
المماليك وبيعهم للدلال وشرائه فطير بثمنهم وأكله الفطير مع الامير بيبرس

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوي على خمسين جزء

الجزء السادس

(الطبعة الثانية)

سنة ١٣٤١هـ — ١٩٢٣ م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)
بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر
لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) فاما الدلال فانه عاد الى الدار وأعرض على زوجته هذا الحال فقالت له اعلم أن هؤلاء ماهم من الناس وماخطفهم عتمان بل انهم تيجان المماليك الذين للسلطان ولابد انهم في غدا يدورون عليهم فلم يجدوهم فيخبروا بذلك سيدهم الملك الصالح فيقرر الخدام ومن جملتهم عتمان وأما عتمان كما تعلم انه قريب الاقراب ولا يعرف انكار فاذاهو أقر عليك فيأخذوهم من بين يديك وتموت الدراهم على النـاس وربمـا ان الملك يأمر بضرب رقبتك فيضربوها في الحال ويعايرونى بك أهل الحاره ويقولون لى ياريشه يازوجة المضيع قال فلماسمع الفلشي من زوجته ذلك الـكلام خفق قلبه وانفك صلبه وقال لهـا وكـيف أصنع بذلك بعـد الفوت لابشرك الله بخير ورماك في المهالك فقالت له اذا كـنت أنا أعلمك بأمر تطاوعنى فيه قال نعم أطاوعك ولا أعصى لك أمرا ابدا فقالت له تمضى من هاهنا الى بيت الوزير الاغا شاهين الافرم وتعلمه بمـاجرى وكيف فعل عتمان والقصة من أولهـا الى آخرها فيسر بقولك ويأخذهم من عندك وينعم عليك بثمنهم ويضعفهم لك بالمثن ولا يظلمك لانه رجل ذو احسان ولا يبقى عليك ملام فقال لهـا والله لقد قلت الصواب والامر الذى

لايعاب ثم انه تركها وأخـذ التيجان وذهب الى بيت الوزير الاغا شـاهين
الافرم واستأذن عليه فى الدخول فتسارعت اليه الخدام وقالوا يامولانا بالباب
رجل يريد الدخول اليك فقال لهم على به فأدخلوه فلما قارب مكان الوزير
سلم وخدم ودعا وترجم فقال له الوزير ماالخبر فقال قد جرى من الامر يامولاى
ماهو كـذا وكـذا وأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها وكـيف ان عثمان
باع له التيجان وكـيف أخذ الدراهم فقال له الوزير وقد علم المعنى وعلم بالاشياء
كأنه حاضرها وما خفي عليه ان هؤلاء تيجان المماليك لانه رحمة الله عليه كان
عاقلا فطينا لم يسمح الزمان فى وقته بمثله الا ان يكون مارني الذي للبب
رومان ورشيد الدوله الذي للقان قلاون لأنهم الثلاثة كانوا ميزان واحد
غير أن الوزير الاغا شـاهين أعظمهم قدراً وأوفاهم ذكراً لانه على كل حال فى
بلاد الاسلام ومتعاطى الامور والاحـكام وهما فى بلاد الشام ولم يرد عليهما
مثل ما ورد عليه فلما عرف المعنى قال للرجل الدلال اسمع ما أقول لك يا شيخ
فان قبلت كلامي فلا بأس عليك وان لم تقبله فلا أغضـبك أبداً ولا كأنى
رأيتك ولا نظرتك وبيع عند غيري اذا لم يعجبك قولي فقال له ياوزير الزمان
قل ما عندك من المقال فقال له أنت قد دفعت خمسة وسبعين قرشاً وأنا أتجاوز
عن مثلهم لوجه الله من مالي وأعيد هذه التيجان لاربابها فان كان لك مرام
تأخذ فيها مائة وخمسين قرشاً والا امضى بها من حيث أتيت فقال الدلال اعلم
يا وزير الزمان انى لا أقدر أبيعها لاحد غيرك ولولا ذلك ما أتيت بها اليك
لاني أعرف منك الـكرم والاحسان ولـكن أريد أن تعطيني زيادة على ذلك
الشان فقال له الوزير لا وحق رأسي والملك الديان فقال له اعطيني الدراهم وخذ
اياهم فناوله الوزير الدراهم وأعطاه التيجان وسار الدلال الى حال سبيله وقطع
الطريق ووصل الى بيته وأعطى أرباب الديون ماكان عليـه وكسى زوجته
وقضى مصالحه وجعل يدعو للوزير هو وزوجته فهذا ما جرى فى نوبته

قال الراوى وأما ما كان من الوزير الاغا شاهين فانه أخذالتيجان وركب من ساعته وسار الى قلعة الجبل ودخل على المماليك وكانوا انتبهوا من منامهم وجعلوا يفتقدون ملابسهم فرأوا التيجان قد عدمت فجعلوا يدورون عليهم وينظروا بعضهم بعض فبينما هم حايرين واذا بالوزير قد دخل عليهم فنهضوا له على الاقدام وقبلوا يده وردوا عليه السلام فقال لهم يا أولادى اعلموا انني دخلت عليكم وأنتم نيام وقد رأيت الباب وهومفتوح فأخذت هؤلاء التيجان وأنتم نيام وما دري بي انسان منكم فلو كان أحدغيري ما أعادهم اليكم فانتبهوا واحرسوا ملابسكم فقالوا له سمعاً وطاعة ثم ناولهم التيجان فأخذوها ولبسوها وطلع الوزير بعد ذلك الى الديوان وجلس في مكانه فهذا ما كان من الوزير الاغا شاهين

قال الراوى وأما ما كان من عثمان فانه لما باع التيجان أخذ الدراهم كما ذكرنا وسار الى دكان رجل فطاطري وكان صاحب عثمان من قديم الزمان لان عثمان كان نهبه أربعة مرات وهو يحسب حسابه ويتمنى انه يموت ولا يرى شخصه فبينما هو كذلك واذا بعثمان مقبل عليه فانزعج وحار فى أمره وتمنى أن الارض تبلعه فقال له عثمان لا تخاف واعلم اني تبت لخفي الالطاف ثم ناوله الخمسة وسبعين قرش وقال له اصنع لى قصعة فطير بالسمن البقري والعسل النحلى فترسلها مع غلامك هذا الى القلعة واذا سأله أحد عن ذلك يقول له انها من عند غزيه الحبله أمي وهكذا في كل يوم ولا يحتاج انى أوصيك فقال له سمعاً وطاعة وفرح الرجل بالدراهم وتمنى أن عثمان يأتيه في كل يوم عشرة مرات بعد أن كان لا يقدر أن يرى هذه الصفات هذا وقد سار عثمان الى سيده وجلس عنده وقد استيقظ من نومه وصلى فرضه وقرأ ورده فبينما هو على مثل ذلك واذا بالغلام مقبل عليهم وقد وضع الطعام بين أيديهم فلما رآه الامير ورأى ذلك الطعام المفتخر أعجبه وقال للغلام من أين هذا قال له يا مولاي من عند

سيدتى غزبه الحبله أم سيدي الاسطى عتمان فقال الامير جزاها الله كل خير ثم انه تقدم وجعل يأكل وعتمان معه وقال والله يا عتمان هـذا شيء عظيم فقال له عتمان لما تمش رأسه تعقله والله انها أكلة حلوة ولـكن آخرها مثل الصبر فقال له الامير ولاي شيء ذلك يا عتمان قال عتمان هذا في المثال فقال له الامير دعنا من هذه الامثلة المقبحة قال له كل وأنت ساكت أولها حلوة وآخرها مرة قال له أنا بعد ذلك لم آكل شيئاً منها فقال له كل ولا تخاف من شيء هذا الـكلام سـائر بين كل الناس ولم يزالوا على مثل ذلك حتى أكلوا واكتفوا وأخذا الغلام القصعة وعاد الى معلمه فهذا ما كان منه

(قال الراوي) واما ماكان من الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فانه جلس على كرسى قلعة الجبل مثلك يوحد القديم الازل ولما تكامل الديوان وجلست العساكر والرجال قرأ القاريء وختم ودعي الداعى وختم ورقى الراقى وختم صاح شاويش الديوان يقول

لله الاوامر والنـواهي وماكان فى الدنيا سـيذهب
فافعال الـكرام تعـد بنعمـة باقيـة ليس تذهب
فـرب العطا جـزيل العطا وهو الـكريم الغني الموهب

(قال الراوى) قال الملك الصالح آمنا من اين كنا حتى اتصلنا ياحاج شاهين مامن ظالم الا سيبلى بظالم ناس مسلطة على ناس ومجازي الناس رب الناس وابدان مسلطها ربنا على أبدان والـكون عامر فقال الاغا شاهين في نفسـه هل ترى ما يكون معنى هـذا الـكلام لا اله الا أنت يا مولاي أنت الذي خلقتني ورزقتني وبعشرة هؤلاء السلاطين وبحبهم أبليتنى ومع ذلك فانى لا أعرف ما يقولونه ولا معنى ما يذكرونه فاسألك اللهم بحرمة النبي الهادي لا تحرمني من أسـيادي فبينما الملك يدندن والوزير يتعجب واذا بالامير بيبرس يقبل الارض من باب الديوان وهو يقول شعر

سلامي على ذا المقام والحما   سلامي على أمير المؤمنين تقدما
أمــير المؤمنــين وجيشــه   قد حفت بهم ملائكة السما

قال الراوي فلما فرغ الامير بيبرس من شعره قال له أهلا وسهلا ومرحباً يسيدي بيبرس والله يا حاج شاهين انه رجل سعيد ثم أن بيبرس أقام في خدمته وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

تصحبك السعادة كل وقت   وهناك الاله بمـا أعطاك
واخذل أعداء الـكل جمعاً   وابقى محبك واهلك أعداك
وأيدك الله بالنصر حتى   تبلغ ماترومه من مولاك
وتفوز بالظفر والفوز حتى   يؤيدك الباري ويبسط يداك
عبدك قد أتاك يريد فخراً   من بعض ماا كتسبب يداك

قال الراوي ولما فرغ الامير بيبرس من تلك الانشـاد أخذ الطير جناح العقاب ووقف على رأس السلطان والسلطان يتأمله ويشاهد نقله وقد استقل بالنظر اليه عن سائر العسكر وكل منهم قد تكلم واكثر وهو يتأمل اليه ويقول سبحان الخالق الاكبر هذا وقد دار بين أرباب الدولة القيل والقال واكثروا من الهرج وذلك المقال هذا وقد علم الملك الحال الى أن كان آخر النهار ونفض الملك المنديل تحولت الرجال ونزل كل من كان حاضرا هناك وكذلك نزل الامير بيبرس والقاضي وأهل الدولة ولما أقبل الليل نزل عثمان على المماليك وأخذ منهم الحياصات وأعطاهم الى الدلال وكان قد أوعده انه يلاقيه فى ذلك المكان فجعل الدلال ينتظره حتى جاء اليه وأعطاه الحياصات فأخذهم الدلال وذهب الى بيت الوزير وباعهم له مثل النوبة الاولى وكان عثمان قد مر على الرجل الفطاطرى وقال له اعمل لنا رفيسة ففعل الرجل وأرسلها مع غلامه وجعل الامير يأكل وعثمان يقول له الاولى مثل الصبر والاخرى مثل الطين وثالث يوم سرق الساعات ورابع يوم سرق الخناجر وخامس يوم سرق السيوف

وسادس يوم سرق المزود والبوابيج وكان الوزير كلما جاءه الدلال بشيء من ذلك يعطيه الطاق مثله فلما كانت الليلة السادسة وسرق عثمان فيها المزود والبوابيج وقابل الدلال فقال له مامعك ياأسطى عثمان فقال له هات الخمسة وسبعين قرش لقدام فناوله الدلال الدراهم وأفرغ له مافي حجره فقال له ياعثمان هذه البيعة كلها ماتسواشي قرش واحد فقال له عثمان قيم هذا على ما سبق حتى يبقى شيء على شيء فاخذهم الدلال وسار بهم طالب بيت الوزير واستأذن في الدخول عليه فاذن له في الدخول فدخل ووقف في باب المكان وسلم على الوزير فقال له الوزير ادن مني يا شيخ فقال له يا وزير الزمان انني أصابني بمذر بليغ وهو الذي منعني من الدخول من ذلك الباب وذلك اني صليت الصبح في جامع طيلون وجئت عند الخروج فسرقوا لي مركوبي وما رأيت معي دراهم حتى كنت اشتري غيره وأنا في أمري على عجل فقلت في نفسي بعد أن أقابل الوزير وأسير من عنده وأقضي حاجتي وأتيت الي عند الوزير لآخذ الدراهم واحذفهم الى عنده لان هذا شيء كثير فاعطاه الدراهم والقاهم اليه والدلال نفض حجره في قاعة الدار وخرج يهرول فقال له الوزير وقد أعجبه ذلك الحال يا دلان خذ البيعة وهات الدراهم لانهم لم يسوا قرشا واحدا وأنا لست بشاري فقال له يا وزير الزمان قيم شيء على شيء فضحك الوزير وكان يقول للدلال هذا الكلام على سبيل المزاح هذا وقد قال الوزير لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الوزير ركب وقد ترك المزاود والبواتيج ولم يأخذهم وسار الى عند المماليك ووبخهم بعد أن سألهم على ما ضاع لهم من تلك الليلة فاخبروه فاكثر عليهم الملام وأغاظهم بقبيح الكلام وتركهم وسار طالب الديوان (قال الراوى) صلوا علي ولد عدنان فلما نظر المماليك الى ذلك الشان قالوا لبعضهم والله ما نظن الوزير يأتي الي هنا كل ليلة ويأخذ متاعنا ويعود بعد ذلك يتكلم معنا وما هذه فقال الوزير أبدا ولكن من

الرأى أننا نكون هذه الليلة نائمين مستيقظين وعن الكلام مع بعضنا ساكتين وينام بعضنا بخلاف البعض فيكون هذا رجلاه علي رأس الآخر وهذا رأسه عند رجلين الآخر حتى تنظروا من الذي يأتى ان كان هو الوزير أم خلافه فقالوا هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب فهذا ما كان لهم من الاسباب

قال الديناري يا أحباب صلوا علي سيد الاسياد محمد خير العباد صلى الله عليه وآله وسلم وأما ما كان من عتمان فانه فى كل يوم لما يبيع المدوم يعطى الدراهم للفطاطري على العادة ويصنع له ما اراد من الاطعمة الي ان كانت الليلة السابعة التي قد اعتدوا فيها المماليك فصبر عتمان الى أن نام الامير بيبرس ونزل الى عندهم وتأمل عتمان فى المكان واذا بالمماليك منقسمين قسمين ذات اليمين وذات الشمال وهم بخلاف بعضهم كما ذكرنا فتأمل عتمان في المكان فلم ير شيئا يأخذه الا الاكراك السمور فتقدم ولبس الكرك الاول والثانى من فوق الاول وكذلك الثالث فصار كأنه الضرف المنفوخ واراد أن يلبس الرابع فما قدر بل ضاق عليه فتقمط فيه وقد انفرج فبينما هو كذلك واذا بالمماليك نهضوا على الاقدام متسارعين الى عتمان وقد أخذه الصياح من كل جانب ومكان ونزلوا عليه بالميدان والقطع الخيزران وهو يصيح من قلب ملآن الحقني يا بيبرس يا اشقر فقد ظفروا بى هؤلاء المعرصين فوقعت الصيحة فى اذن الامير بيبرس فافاق من احلام نومه ولم يدر ما الخبر وهو يسمع حس الصوت فصار يهرول الي ان دخل قاعة المماليك فرآهم قائمين على عتمان وقد ارادوا أن يسقوه شراب الهوان وقد ضيقوا عليه من كل مكان فلما عاين ذلك ما هان عليه عتمان فصاح عليهم وشرع بالملت فتراجعوا الى ورائهم فصبر الامير حتى هدأ روعهم وسألهم عن حالهم فاخبروه بما تم عليهم وما فعل عتمان معهم فالتفت الى عتمان وقال له لاي شىء يا عتمان فعلت هذه الفعال فقال له عتمان لاجل السم الهاري الذى يذوب قلبك أما تدري اني كل يوم آتي اليك بالفطير

والحلاوات والكنافة والمدموجة والهريسة فقال له ومن الذى أمرك بذلك فقال عتمان ومن الذى أمر بذلك وما أمرني أحد غيرك فقال الامير حسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم تظلمنى ياعتمان قال عتمان أنا ماقلت لك أولها حلوه وآخرها مرة وكل من أكل لقمة يلطم لطمة فقال الامير والله الذي تعالت قدرته وجلت نعمته وتنزه فى عظمته أنا لا أعلم بشيء من ذلك ولا أدرى ولالى من ذلك علم ولكن مضى الذي مضى وسامحوا عتمان فى ذلك لاجل خاطرى فقالوا له هذا أمر لا يكون أبدا وما بيننا وبينك الا السلطان فجعل الامير يطيب خاطرهم ويسألهم العفو عن ماجرى فلم يرضوا بذلك وقالوا لابد ان نشكو الى السلطان فتركهم علي حال سبيلهم ومضى خلف عتمان وقد اخذه من ذلك الغضب وكان عتمان قد سبقه وكمن فى مكان آخر حتي طلع الامير وطلبه فما وجده فطلع الي فرشه ونام باقى ليلته على غيظ وكذلك المماليك جعلوا يدبرون امرهم وهم لا يصدقون بالنهار ان يطلع فهذا ماكان من امرهم وأما ماكان من الملك الصالح فانه بات واصبح ظهر وجلس على التخت تكامل الديوان بالعساكر والرجال قرأ القاري وختم دعا الداعى وختم صاح شاويش الديوان وهو يقول صلوا على طه الرسول

يا خائفا من دهره كن آمنا   وانظر لابيات أتت للشعرا
كم من سقيم عاش بعلته   كم من صحيح بات وسط المقبرا
كم من غني بات فارح بماله   اصبح الصباح وهو فى زمام الفقرا
كم من فقير بات شاكى بعذره   اصبح الصباح واحواله ميسره
كم من سلطان بات ظالم في حكمه   وعنده رجل في الاسجان مسيرا
أصبح السلطان مسجون يا فتى   واصبح المسجون يتعاطى حكم الامرا
هذه دلائل ربنا في حكمه   وارفع بذاك للذي بسط الثري

قال الملك آمنا بالله سمعنا خيرا ورد العاقبة الى الخير يا ربنا خاتمة خير

قبل منتهى الاجل وصار الملك يتعاطى القصص ويزيل الغصص بالجد والانصاف حكم ما امر مولانا جد الاشراف واذا بالمماليك نهضوا من علي كراسيهم ومراتبهم ووقفوا في محل الطلب عن آخرهم قال الملك ما الخبر قالوا يا امير المؤمنين أمدك الله بالنصر والتمكين اعلم ان بيبرس اوصي علينا عثمان سرق حوائجنا ولم يزل كذلك حتى قبضناه بايدينا فنزل الينا بيبرس وخلصه من أيدينائم أنهم أعادوا عليه القصة من اولها الى آخرها وقد كشفوا له عن باطنها وظاهرها فلما فرغوا من الكلام واذا بالقاضى تحرك من مكانه وقد جنح طيلسانه وهزديدبانه ونفض اكمامه وقنبر العمامه وأبدأ في كلامه وقال يامولانا السلطان أنا كم أقول لك هذا القول مرارا وأعيده لك أسرارا واجهارا واقول لك ان هذا الغلام قد أتانا دسيسة من بلاد الاعجام يريد أن يفسدملكك ويزيل سعدك وما هو الا ضدك وأنت كذبتني ولا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يامولانا السلطان قد دور الحق على اعطاه حتى رآه وهذا الاخر عثمان مؤذي لكل الانام وقد جرت له العوائد بذلك الشأن وهذا أمر مضر يامولانا السلطان ينبغى ازالة الضرر في كل الاديان فقال الملك اسكت ياقاضى حتي يظهر الحق ويبان ثم التفت الملك الي الامير بيبرس وقال له احق مايقولون في حق عثمان فقال الامير وحق رأس السلطان لم يكن لى علم بذلك الشان فقال الملك ائتنا بالاسطى عثمان حتي نسمع مقاله وما الذي قدجرى له فاجاب الامير ونزل الي عثمان وقال له قدا نقامت القضية على يدالسلطان فقال له عثمان وما الذى يجرى وسوف تنظر وتري فقال له اخاف عليك ان يثبت عليك القاضى الدعوى امام السلطان بالسرقة فيقطع يدك فقال عثمان وكيف العمل أيها الامير قال له اذا انت وقفت قدام السلطان وسالك عن هذا الشأن تقول له انا لم أعلم بذلك ولا معي خبر ولالى علم ابدا بما قد جري وان كلامهم حقا وما قالوه صدقا فيأتون علي بينة يشهدون فقال

عثمان هذا هو الصواب ثم طلع الى الديوان وصاح بالبل موال

ظنو العدا أننا متنا وما متنا وتباشروا بالفرح فى طول غيبتنا

ان اذن الله وعدنا مثل عادتنا جعلنا الاعادي بالسيف غنيمتنا

قال الديناري فقال الملك أهلا وسهلا ياشيخ عثمان انت قد حصل منك كذا وكذا قال نعم ولكن كل شيء له سبب من الاسباب قال الملك سبحان مسبب الاسباب وما الاصل فى ذلك ياعثمان قال عثمان خذ اقرأ هذه الورقة فاخذها الملك وقرأها واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من اعتدى عليكم الآية قال الملك آمنت بالله العظيم وبالنبي الكريم صدق ربى ومن يكذب بشيء من القرآن يكفر والعياذ بالله تعالى هذه آية عظيمة ياشيخ عثمان من كلام الله تعالى قال من ابطلها أبطل الله رجاه قال الملك نعم قال عثمان يا ابو جوطه انك لما أمرتنا بالانتقال الى هذا المكان ورتبت لنا الاطعمة فى الغداء وفي العشاء ورتبت لنا قدرايش قال الملك رتبت لكم ماهو كذا وكذا من طعام وشراب وحلوى قال عثمان أول يوم طلعت لنا الصفرة كاملة فاكلنا وشربنا وحمدنا الله تعالى وثاني يوم كذلك واليوم الثالث طلعت لنا الصفرة فيها أربعة أصحن أول صحن منهم شاربك الذي انقطع والثانى رجلك التى انجزعت والثالث يدك التى انملخت والرابع قرعتك التى وقعت يعني شربه وملوخيه وقرع ورجله فلما رأى ذلك الاشقر قال لعل ان يكون حصل للطباخ عـذر ذلك اليوم قدم الى الطعام فقدمت له الطعام فقال لى افطر ياعثمان فقلت له انا شبعان فأكل هو فلما كان العشاء كذلك وثاني يوم كذلك فلما تداولت على ذلك خمسة أيام قلت انا لا بد ان اكشف هـذا الامر ونزلت الى الطباخ وسألته عن ذلك فأخبرنى بانه يخرج الصفرة كاملة كل مرة ثم انه أحضر الغـلام السفرجي فقال له الغلام بعد أن سأله عن ذلك ياعمى اعلم ان المماليك يقفون لي على رأس السلالم ويأخذون صفرة الطبردار من دون الطعام ويأكلونها اوما يبقون فيها سوى الاربعة اصحن

فقلت أنا لابد ان أشاهد ذلك بعيني ثم أمرت الطباخ فأحضر الطعام واحتمله الغلام وسار به في وقت الغدا وسرت انا قبله وكنت في السلالم وجعلت انظر بعيني فلما أقبلت الغلمان بالطعام خرجت المماليك وهم أربعة بشتك وسنقر وعلاء الدين والخطير وصاروا يسألون الغلمان لمن هذه الصفرة فيقولون الي السلحدارفيتركوه والاخري الى الشيطان فيتركوه ومازالوا على مثل ذلك حتى اقبل الغلام بصفرة الاشقر فقالوا لمن هذه فقال الغلام الى الطبردار قالوا له نزلها هنا فنزلها فاكلوا ماطاب لهم منها وقد مد يده علاء الدين الى قبة الاسلام فهدمها مرة واحدة وقال للغلام ارفعها الآن وأديها الى أصحابها فلما عاينت ذلك يا أمير المؤمنين قلت والله لابد أن اجازيهم على فعالهم ولما انهم اعتدوا علينا بجوع الكبد فانا لا اتعدى عليهم الا بعزي الجسد ثم تركتهم وطلعت عند الاشقر وانا كاتم هذا الامر في نفسي الى ان جاء وقت العشاء فصلينا وجلس الاشقر يقرأ في القرآن فسمعته يقول هذه الآية فقلت له اكتبها لي لاني كنت عيان وسمعتها فشفاني الذي انزلها فقال لي صدقت ياشيخ عتمان لان القرآن كله شفاء وموعظة وهدى ولكن أخاف ان تكون قاصدا بها أمرا من الامور خلاف ماذكرت فقلت لاوحق رأسك وذقن ابو جعوطه فلما حلفت له بذلك صدقني ولم يعلم باني خلفت بذقنك باطلاقال الملك سامحك الله ياعتمان قال يعنى ايش ان هي الا شوية شعر ولوكان الشعر فيه خير ما كان يطلع بقرب الاير قال الملك قول ياسيدي عتمان وما الذي جري بعد ذلك قال عتمان ثم ان الاشقر كتب لى هذه الآية فأخذتها وصبرت الى ان نام ونزلت الي المماليك وسرقت أول ليلة التيجان وثاني ليلة الحياصات ولم أزل اسرق منهم كل ليلة حاجة وامضى بها الى الدلال وابيعها بخمسة وسبعين قرش واجيب بها الفطورات العظام والمدموجات والحلاوات وأقول للاشقر كل فيسألني عن ذلك فأقول له من عند أمي غزية الحبله فما فيه شيء

مضر فلما كانت الليلة الثامنة نزلت اخذت الا كراك وجعلت البس واحد بعد واحد حتى ضاق الفوقانى وانجزع فنهضوا على المماليك وقبضونى وجعلوا يضربونى الى ان استغثت بالاشقر فاتى لى وخلصنى منهم وسألنى عن الخبر فحكيت له القصة فصار يتعطف بخاطر المماليك ويسألهم السماح فلم يرضوا بذلك وقالوا غدا نقيم الدعوي على يد الملك الصالح فخاف الاشقر منك وقال لى انكر هذا الامر لانه ان ثبت عليك الحرام يقطعون يدك لاسيما القاضى وهو ضدك فقلت له دعنى انا وأبو جوطه ولا لك بنا دعوة فقال لى ياعثمان اخاف عليك منه قلت له هذا تيس ثم اتفق الحال على انني انكر ذلك وقد اتوا المماليك وشكوا اليك حالهم عن ذلك فقال لك انا لا ادرى فارسلت احضرتني فاخبرتك بما قدجري وحق مكون الاكوان هذا ماجرى من ذلك الامر والشأن ونحن لاشفنا ولا رأينا ولا عندنا علم بذلك (قال الدينارى) فلما سمع الملك ذلك التفت الي القاضي والمماليك وقال له ماتقول يا قاضي فى هذه الآية فقال القاضى ياملك الاسلام لا أقول شيئا أبدا في ذلك فقال الملك للمماليك وانتم لاي شيء فعلتم هذه الفعال اما لكم تراتيب مثلهم والله ياحاج شاهين الحق بيدعثمان فيما فعله والعيب بدأ من هؤلاء الكلاب ثم انه اغتاظ وقال ابن الرجل ابو حديدة عوجه قال نعم قال الملك امرتك ان تملص هؤلاء الاربعة آذانهم لانهم فعلوا ذلك الفعال فعند ذلك قال له الوزير الاغا شاهين رحمة الله عليه وعلى جميع المؤمنين ياملك الاسلام وحق رأسك ان عثمان كان يبيع هذه الحاجات الى الدلال والدلال يأتي بهم الى عندى ويأخذ مني قدر الذي اعطاه الى عثمان مرتين فى كل يوم وانا آتى اليهم بحوائجهم واعطيهم لهم وكل ذلك حبا فيك يا أمير المؤمنين ولا اتكلم بكلمة واحدة ابدا والآن فمن الرأى السديد حيث ان عثمان جازاهم على فعالهم فيكفيهم ما جرى عليهم واتركهم وامر الامير بيبرس ان ينتقل من عندهم ولا يجاورهم فقال الملك اطلقوهم ثم

قال ياج شاهين ناس ترزق من ناس والكون عامر ولكن ياسيدي بيبرس انتقل من جوارهم الى داخل القلعة واسكن بالمكان الذي بجوار مكاني ولا تقرب مكان هؤلاء المماليك فقال بيبرس سمعا وطاعة ثم امر عثمان بالانتقال اليها فعبرها عثمان فرآها توهج الابصار وتتحير فيها النظار وقد رآها مفروشة كأنها عروسه تتجلى ولم تحتاج الى شيء من عند الامير فانتقل اليها الامير بيبرس ذلك اليوم وقد زال عنه التعب واللوم فلما جن الليل وانسدل بالظلام وانهزم النهار بالارتحال نهض الملك الصالح ودخل الى سرايته واعلم السيدة فاطمه بما جري من قصته فقالت له والله ياملك الاسلام ان قلبي قد أحب هذا الغلام من دون كل الآنام فقال لها الملك وكذلك انا الآخر احبه قلبي من دون البشر فقالت له ياملك الاسلام اعلم انني انا من غير ذرية وانت وان كان لك ذرية فما هي الا بين يديك وانا أريد ان تجعل هذا الغلام ولدنا فهو أحق بما ملكت ايدينا لانه والله بطل همام وفارس ضرغام والعباده لها عليه شهود وأعلام فقال لها الملك هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب فقالت له ان اردت ذلك يا أمير المؤمنين فانهض اليه وآتي به الى عندنا عن يقين فقال لها على الرأس والعين ثم ان الملك نهض فى عاجل الحال وطرق الباب فأجابه عثمان وقال من الطارق فى لليل الغاسق فقال له افتح ياشيخ عثمان انا الفقير الى الملك المنان الملك الصالح فقال عثمان امضي الى حال سبيلك ياقرنان انت لك النهار والا لك الليل فى الظلام فقال له ياشيخ عثمان افتح الباب لانى قد عرض لي سبب من الاسباب فقال له امضي الى حال سبيلك والا أقوم لك بالرزة وأسقيك كاس العذاب لانى عرفت منك انك ما اتيت فى الليل الا وانت تريدان تفسد بالاشقر على كل منكر لانك رجل كثير اللجاج والخطر .

قال الراوي وكان الامير بيبرس مشتغل بالصلاة والقراءة والعبادة فتم ما هو فيه على غاية العجلة وقال من هـذا ياعثمان الذي طرق الباب وأنت

تجاونه باصعب خطاب قال عثمان هذا أبوجوطـة فلما سمع بيبرس ذلك الكلام
من عثمان نهض مسرعا على الاقدام وتقدم الى الباب وفتحه للسلطان فدخل
عند ذلك السلطان وقد قبل يده الامير بيبرس وأجلسه ووقف بين يديه فى
الخدمة فلما استقر به الجلوس قال له الامـير ادام الله بقاء مولانا السلطان
وأعزه على كامل الاقران ما السبب الذى أوجب دخولك الي ذلك المكان فقال له
الملك اعلم ياولدي ان لهذا سبب وأي سبب وحق من غلى عرشه استوي وعن
الابصـار احتجب وما أتيت فى هـذا الوقت ياولدى الا لاوثق عهد الله بينى
وبينك فقال عثمان ماتلف ووقع به الخسران ولا بقاينفع فيه شيء من ذلك الشان
فعند ذلك غمزه بيبرس بطرفه فقال له عثمان غمزك حنش يكومك انت وياه سوي
كلمة الحق تقف في الزور فضحك الملك الصالح من كلامه وقال دعنا الساعه من
الهذيان ثم ان الملك وضع القبضة بينه وبين بيبرس وقال له ياولدى هذا عهد
الله شهد الله علينا انك ولدي وانا والدك فى مقام عهد الله على ما يرضى ألله والله
وملائكيه ورسله علينا من الشاهدين وحسبي الله ونعم الوكيل والله على ما اقول
وكيل (قال الراوى) ولما انقضي العهد بينهما أمر الملك باحضار الطعام
وأحضر الدقة والقراقيش وقال باسم الله كلوا مما قسم الله فهذا زاد الفقراء
فقال عثمان بلا لهجة حنش يدق فى بيضك هـذا وقد تقدم الامير بيبرس
وأكل لقمة والملك الصالح كذلك وأما عثمـان فانه تقدم اليهم وأكل لقمة
وسرق ثلاثه ووضعهم فى جيبه فقال الملك الصالح وقد كشف عليه الله
يا شيخ عثمان لـكل شيء سبب وبيان ولا شيء يا سيدي ياشيخ عثمان لما
ينفع حتى القمح فى البيت فقال عثمان انت مالك يا اغا جتك داهيه من
دون الملوك انت لسانك فيه حته زايدة فقال له الملك انت لسانك اطول مني
ولـكن الحق لك علي يا شيخ عثمان هذا وقد جلسوا يتحدثون مع بعضهم
الي ان تناصف الليـل فقال عثمـان للملك الصالح قم الى بيتك خلينا ننام

فنهض الملك على الاقدام وتركهم وسارمن من عنــدهم الى سرايته ودخــل فرأي السيده فاطمه مثل الجمل الهائج الولهان وهى تبرجم كلها ذكر النمام وهى تقول لاى شيء انت تجمله ابنك من دون الانام وتحرمني انا من ذلك الامروالشان فلا كان ذلك أبدا ولو سقيت كاس الردي ولا اسلطعليك الجارية حرير فلما سمع ذلك الملك من السيده فاطمه تركها وعاد راجعا الي القاعة وكان عثمان بعد ان خرج الملك قفلهــا وجعل بيبرس يعاتب عثمان ويقول له انت بتقول للملك كذا وكذا من الــكلا وتتكلم في حق السلطان وعثمــان لا يعتني به ولا يرد عليه سؤال فبينما هم على ذلك الشان واذا بالباب قد طرق عليهم فقال عثمان ارجع بقا بلا غلبه وكثرة الــكلام ثمارجوعك اليه بعد ان افسدته والا اقوم لك بالرزة واسقيك كاس التلاف فقال بيبرس من بالباب فقــال له عثمان ها هو الرجل الذى كان عندنا فقام ونهض بيبرس وفتح الباب وقبل يد الملك فقال له يا ولدي سر معى الى السيده فاطمه زوجتي شجرة الدر فقال الامير سمعا وطاعه للملك في النهى والامر قال عثمان جاتــكم داهيه أنتم وهى سوي هــذا والملك لايؤاخــذ عثمــان على ما يقــول وبيبرس يغمزه ويسكته عن هذا القول وهو لا يعتنى به (ياسادة) (يا كرام) ثم ان الامير بيبرس سار مع الملك الى السراية وقد وضع بينه وبين زوجته القبضة وكان ذلك لاتمام سعادته وكمال براعته وتذكارقصته وقد اراد الله ذلك لمــا فى علم مشيئته ثم بعد ذلك عاد الامير الى قاعته وترك السلطان عند زوجته فلمــا رآه عثمان قال له اخذك ابو جوطه خسرك في الظلام فقال له الامير ياعثمان لا تتكلم بمثل هذا الكلام فقال له غدا تسمع هذه الاحكام من سائر الانام (يا سادة) ولم يزل بيبرس يسكت عثمان وهو يزيد فى الهــذيان الى ان لاح الفجر وبان وعــلا النهار للاعيان وترتب الديوان وحضر اليه سائر الاعوان وقدوقع لــكلام عثمان شاهدعظيم وبرهان وشاع الامر بعد الكتمان واتضح الحال لــكل انسان

وذلك ان المماليك المبغضين جعلوا يتكلمون فى حق أمير المؤمنين وقد ثبت عندهم عن يقين ان الملك الصالح ولايته مثل الطين وقد قال بعضهم لبعض ألم يكفيه النهار الطويل وهو يتأمل فيه حتى كاد عنقه أن يميل حتى يأخذه ليلا الي قاعة جلوسه ويعضه ويبوسه ويجعله مثل الحريم فقال واحد منهم لابد أن يعمله خضض وما هو الا أدهى منه وانحس فقال الآخر والله ان هذه ولاية سوداء وقال الثالث يخلطه وما زالوا فى فيل وقال وضرب أمثال وآقبح مقال حتى ظهر الملك الصالح وجلس على تخته بين الرجال واحدقت به سائر العمال وقد قرأ القاري وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم صاخ شاويش الديوان وهو يقول

انا غيرت دي الدنيا وآحوال الملوك تتغير
قد جل الذى في ملكه يغير ولا يتغير

قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك سبحان من عنده كل مليك كملوك وكل غنى كصعلوك ياحاج شاهين قال نعم يا أمير المؤمنين قال له أما سمعت قول رسول رب العالمين وهو سيد الاولين والآخرين حيث يقول هذا الحديث رحم الله امرأ ذب الغيبة عن نفسه قال نعم ياأمير المؤمنين ولاي شيء ذلك الكلام قد حدث منك في هذا المقام قال له قد خطر ببالى ذلك والله يعلم مافى قلبي ولكن ياحاج شاهين أريد أن تنظر لولدى بيبرس خدمة غير هذه الطبر جناح العقاب لان الناس لهم ألسن كالمبارد وأنا أخاف من كثرة الكلام البارد فقال له تلبسه سلحدار السلطنة قال الملك لبسه سلحدار وهو يلبس بمعرفته من بعض أتباعه طبر دار فعند ذلك البسه الوزير بمعرفته ذلك المنصب العظيم واتي بمملوك خاص والبسه طبر دار وذلك لاجل أن يكون الفايض كله اليه ولا يخرج من بين يديه (ياساده) وقد أقام بيبرس في السلحدار مدة عشر أيام فقلق الملك عليه فقال وقد هاج ياوزير الزمان انا

قلت لك لبس بيبرس سلحدار لاجل ان يكون بعيدا عني وما أريده الا ان يكون دائما قدامي حتي انني أبلغ ما أروم من مرامي ولا أشتهي منك الا ان تلبسه منصب يكون في ديواني فان بعده يؤلم قلبي وجناني فقال الوزير يامولانا أزال الله عنك الغصص نلبسه الآن أمير قصص يعني معناه كل من كان له دعوى أو قصه معروضه للديوان يأخذها منه ويقدمها الى السلطان فقال الملك لبسه الآن فلبسه الوزير ووقف في باب الديوان وقد زادت علة القاضي وتزلت عليه الاحزان وقلاوون وعلاي الدين ومن معهم من الغلمان المبغضين لهذا الانسان

قال الراوي فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر القاضي فانه قد كبرت علته وكادت تنفطر مرارته وحلت به حسرته وقلت نهضته وذلك لانه لم يبلغ من بيبرس منيته ثم انه رجع الى مكره وخداعه وكيده ولعنته وحيلته فجعل يدبر هذه النوبه بكل ما يقدر عليه من مكره وقد صبر على بليته حتى انفض الديوان ونزلت الرجال الى حال سبيلهم ونزل القاضي وغلامه الى حارته ولما وصل الى حارته وهي حارة الروم زادت عليه الهموم وتواترت عليه سائر الغموم فالتفت الى غلامه وقال له استاذك كاد أن يموت ويقضي نحبه فقال له ولاي شيء ذلك فقال له لاجل هذا الغلام الممقوت الذي كل ما دبرت له مهلك يعلوا به منصب ومنه يسلك ولم يهلك ولكن خذ ياولدي هذا الكتاب وسر به الى قلعة بورش واعطيه الى عزقول البوارشي وأمره أن يعمل بما فيه ثم انه ناوله الكتاب فأخذ وسار به الى ما أمره به ولم يزل سائر الى أن وصل الى قلعة بوارش ودخل على عزقول وكان هذا عزقول فداوي نصراني ثقيل الدماغ ينقب تحتاني لملق فوقاني يقتل القتيل ويمشي في جنازته فلما دخل عليه البرتقش ابن سيف الروم عرفه فسلم عليه وقال له ما معك من الاخبار فناوله الكتاب فحله اللعين وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد القريب المجيب خطابا من شيخ الاراجيس

ومن هو في الارض خليفة ابليس التعيس النحيس الكاهن جوان بن عصفوظ الغيلوطي الى بين أيادي قليونى عزقول اعلم يا ولدي ان السيد المسيح اعلمني ان قتل هذا الغلام على يديك لخال وقوفك على هذا الكتاب، تكون رجلك في الركاب وتسير من ساعتك حتى تأتي الى ديوان مصر وأنت لابس ملابس الخواجات التجار واذا دخلت تجد غلاما هناك واقف على باب الديون فاذا عاينك يسألك عن حالك لانه يتلقى القصص فاذا سألك وقال لك ما معك فاعلم انه هو المطلوب فقل له معي قصة أريد أقدمها الى مولاي أمير المؤمنين ثم اعطيه القصة وهي ورقة بيضاء ملمومة فاذا هو أخذها وانصرف عنك وأعطاك ظهره فاضربه بحسامك على عاتقه يخرجه من علايقه فاذا فعلت ذلك تقول سيمون يا سيمون يخطفك حواري طيار من الحواريين الكبار يأتي بك الى عندي ولم يكن لاحد عليك من سبيل واني قد وهبت لك مائة سنة زيادة لك في عمرك وعشرة فدادين فى سقر قول يا بركة عالم الملة جوان شكر يا مسيح والسلام

قال الراوي فلما قرأ الملعون الكتاب فرح وطاب وقال يافرحتي ويا نتيجتي الذي عالم الملة كاتبه ثم ركب من وقته وسار طالب أرض مصر ولم يزل سائر وهو لم يأخذه قرار حتي وصل الى الديوان وكان البرتقش أخذ منه رد الجواب وعاد به الى أستاذه جوان يعلمه فيه بأنه قادم على أثر البرنقش فلما قرأ الجواب فرح الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد ثم انه جعل ينتظره فهذا ماكان منه وأما ماكان من اللعين عزقول فانه ركب من وقته وساعته وقلع ملابسه ولبس ملابس الاسلام وسار حتي وصل الى مصر وطلع الى الديوان كما ذكرنا وزعق مظلوم وقدم قصته فأخذها منه الامير بيبرس وعاد راجعا وأعطى بظهره للمقدم زعقول فخلاه الملعون حتي التفت وحط يده على الشاكرية وأراد أن يضرب الامير بيبرس واذا بشاكرية لمعت ونطعت أخذت دماغ الملعون فسقط الى الارض قتيل

وفى دماه جديل فعند ذلك قال القاضي مايحل من الله رجل مظلوم يقتله بيبرس فى الديوان فثل ماقتل يقتل وعلى قتله مائة جواد ومائة مملوك ومائة ألف دينار ذهب من مالي وصلب حالي ابتغاء لمرضاة الله تعالي وزكاة عن قلبي وأنت ياابيك عليك مثلهم فقال الملك ارسل احضر لنا المال حتي ننظر مايكون من هذا الحال. فلما حضر المال قال الملك الصالح يابيبرس انت قتلت هذا البشر قال له لا وحيات رأسك يامولانا السلطان ماقتلته فقال القاضى انت قتلته فبينماهم كذلك واذا باثنين فداويه اخوات من اولاد اسماعيل واحداسمه صقر اللوالي والثانى اسمه صقر الهجان وقد تقدما وباسايد السلطان وقالا بيبرس ماله ذنب ولا قتلة الا نحن وهذا نصراني اسمه عزقول البوارشي لاننا تبعنا أثره من حين عبر الطريق الي ان وصل الى هـذا المكان فرأيناه تحايل على بيبرس واراد أن يقتله فقتلناه فقال الملك الصالح اكشف لنا عليه ياقاضي فنهض اليه القاضى وتأمله فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الملك ما الخبر ياقاضى قال هو نصراني يا أمير المومنين قال ماجزاؤه ياقاضي قال يحرق ويذرا رماده فى الهوي فقال الملك افعلوا ماقال القاضى فأخذوه وفعلوا به ذلك ثم قال الملك الصالح ياسيدى خذ هؤلاء الاثنين واعزمهم عندك واكرمهم غاية الاكرام ثم قال ياقاضى الآن ظهر الحق فقال القاضى ان الحق ظاهر مثل الشمس فقال الملك وأنت ياقاضى المال الذي دفعته انت وايبك على قتل بيبرس أوعلى اظهار الحق فقال القاضى علي اظهار الحق فقال الملك ولما بان الحق قال له يرجع المال الي بيت المسلمين فقال الملك بيت مال المسلمين مستغنيا عن ذلك قال يرجع لمولانا الملك قال الملك أنا أهبه هبة كريم لايرد في عطاه الي ولدى بيبرس ثم ان الامير بيبرس أخذ تلك الاموال وأخذ معه الاصقار ونزل بهم من الديوان وسار الي دار نجم الدين البندقداري وقد اكرمهم غاية الاكرام ولما انبسط معهم بالليل وكثر بينهم الكلام قالوا

لبيبرس ياسيدنا انت اليو صاحب مرتبة فى الديوان ومقصود وتأتيك الناس للضيافات وغير ذلك فلا بأس ان تشترى لك دارا خصوصية لنفسك فقال لهم بيبرس يا أخوانى أنا مملوك وان المملوك لا يملك فقالوا له الاصقار انت لست بمملوك بل انت ابن ملك من الملوك الاكابر وقد ثبت ذلك عندنا في جفر جدنا الامام على ابن ابي طالب كرم الله وجهة وكان هذا بتقدير اللطيف الخبير فقال لهم بيبرس هذا شيء لا يكون الا بعد العتق فان عتقنى الملك فعلت تلك الفعال (قال الراوي) فلما سمعوا الاصقار منه ذلك المقال قالوا له وكيف يكون ذلك الامر وانت ثابت عندنا فى الجفر بأنك لست بمملوك وما انت الامن اولاد الملوك وكل هذه تقادير من الله تعالى فهو اللطيف الخبير ولكن نحن فى غداة غد نطلع الي الملك الصالح ونسأله في تلك المصالح فقال لهم افعلوا ما بدالكم ولا يكون الاما اراد ربى وربكم ثم انهم اقاموا الى ان اصبح الله الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وصلت على سيدنا محمد سيد الملاح صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ذوي الاقوال الصحاح ركبوا مع بعضهم وساروا قاصدين الديوان فهذا ما كان منهم (قال الراوى) واما ماكان من الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فان الاغوات دخلوا عليه واعلموه بان الديوان تكامل فقال الملك وعلى الله الكمال ثم نهض على الاقدام وهو يتوكأ على قضيب خيزران وقد سارت بين يديه الغلمان حتى وصلوا الى باب الديوان وسلموا على الاخوان فاجابوا وقرأ الفاتحة وأهداها الي روح النبى صلى الله عليه وسلم ثم الي أرواح أحبابه وأولاده وذريته وما تناسل وتواصل بينهم ثم الى ارواح الملوك السابقين قبله والمتأخرين بعده وجلس السلطان وجلست بعده الرجال وقرأ القاريء وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم صاح شاويش الديوان يقول صلي على الرسول

الدوام لله باقي سرمدا قبل كل الوجود وبعد الزوال
وكل ما نظرت عيناك زائل ويبقى وجه ربك ذوالجلال

قال الراوي قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك سبحان من عنده كل مليك كمملوك وكل غني كصعلوك ثم ان الملك أراد ان يتعاطى القصص ويزيل الغصص واذابالاثنين الفداوية يقبلون الارض بين يديه فلما رآهم الملك ترحب بهم وأمرهم بالجلوس فجلسوا وقد وقف الامير بيبرس في مكانه وراق الديوان فقال الملك يا حاج شاهين اعلم ان الناس تكلموا بالحق ونطقوا بالصدق والله ياحاج شاهين ان الحق معهم ولكن يا سيدي بيبرس قال نعم يا أمير المؤمنين قال له أنا يوم كنا في ارض الجيزة ما قلت لك أنت حر لوجه الله تعالى والمؤمن يا ولدي عند قوله اذاقال صدق واذا وعد وفي واذا اؤتمن لا يخن أما كفاك هذا واني أشهدكم على يا معاشر الحاضرين من اخواننا المسلمين ان هذا بيبرس حر لوجه الله الكريم ولاجل خاطره جميع المماليك الذين أتوا معه احرارا لوجه الله الكريم اكتبوا لكل واحد حجة معه بذلك ليذهب الشك باليقين فاجابوه بالسمع والطاعة وكتبوا لهم الحجج وأعطوا لكل واحد منهم حجة (يا سادة) ولما سمعوا الاثنين القادم من للملك تلك الاشاير والمعالم اثبتواله الولاية والمكارم وقالوا لبعضهم هذا هو سؤالنا الذي كنا نريده فقد اجابنا عليه من قبل ان نذكره بين يديه ثم انهم قالوا له والله يا أمير المؤمنين ان هذا الدولتلى مكتوب عندنا ومثبوت في جفر امامنا الاكبر أنه ليس بمملوك وما هو الامن بعض اولاد الملوك قال لهم صدقتم فيما نطقتم ولكنني اشتهى منكم انى اسمع تأصيلته في هذا الوقت والساعة حيث أنه ورد عليكم في جفر ابن عمكم صاحب الشفاعة لاجل ان يظهر الحال ويذهب المحال وتفرح المحبين وتنكد المبغضين فقالوا سمعا وطاعة يا امير المؤمنين قال الراوي وكان لذلك سبب عجيب وامر مطرب غريب وذلك ان

أبو شاه جمك كان له أخوين الاول يقال له شاه طلمه والآخر يقال له شاه لمه وكان أبوهما كبير السن وقد أراد أن يمتحن أولاده حتى اذا رأى منهم مايكون يصلح من بعده للسلطنة يجلسه بها في حياته فاجلس الاول في بعض الايام وهو شاه طلمه وقد أمره أن يحكم بين الرجال فحكم فيهم الى آخر النهار فأتي ليلا الى عنده وأجلسه الى جانبه وقال له كيف رأيت نفسك قال رأيت نفسى مثل السبع الكاسر والدولة حولي مثل الغنم فقال له والله ياأخى مثل مارايتهم رأوك ثم أجلس أخاه الآخر ثاني يوم فحكم الى آخر النهار وقد سأله أيضا وقال له كيف رأيت نفسك قال مثل العصفور الجارح والدولة حولى مثل الطيور الضعاف فقال له قد رأوك مثل ما رأيتهم فلما كان اليوم الثالث أجلس ولده الصغير وهو شاه جمك وسأله آخر النهار وقال له كيف رايت نفسك قال رأيت نفسي كأنى عصفور ضعيف ما بين صقور شواهين وقد تهيأ لى اذا نظرت اليهم يأكلونى فقال له والله وهم كذلك ومثل مارايتهم رأوك ومايصلح للملكة الا أنت ثم انه أولاه المملكة وتحول له عنها ورسمه بها دون أولاده فلما رأوا ذلك هذين الاثنين امتلاءت قلوبهم عليه غيظا وحقا وقالوا لبعضهم كيف يكون هذا أصغرنا ويوليه أبوه المملكة دوننا ولا بد لنا من هلاكه وسوء ارتباكه ثم انهم أظهروا له الفرح والاستبشار وفى قلوبهم منه النار وجعلوا يدبرون له المكايد ويتمنون له النوائب والشدائد ولم يزالوا على ذلك مدة من الايام وهو يحكم بينهم بالامان ويخرج من القصر اعلا مكان وعليه الحرس خوفا من الحوادث الى أن توفي ابوهم ودفنوه وعملوا له مايحتاج اليه من اللوازم وقد تهيأ الفراغ من ذلك وجلس شاه جمك على تخت أبيه وقد أطاعوه سائر أجناده وقد أجلس أخواته وجعلهم وزراءه عن يمينه وشماله وقال لهم ها انتم وزرائى وأنا وأنتم بالسوي وأنا مطيعا لامركم ثم انه أنعم عليهما وساواهما بنفسه وقد ظن بذلك تصفي له قلوبهما فلما

كان في يوم من الايام دخل عليه بعض أحبابه وساروه في اذنه وقال له انى جئتك ناصحا فلا تكن لقولي تاركا واني اعلمك أن أخواتك قد اتفقوا على قتلك مع بعضها وقد أضمروا لك الشر والعناد وأبذلوا مالهم على بعض الرجال الشداد الذين يتعصبون لهم ولاجل سلامتك أنا كنت حاضرا فى ذلك المجلس وقد اتفق الحال على أنهم يورثوك كاس النكال ومالت اليهم قلوب جميع الرجال والرأي عندى أنه لا بقى لك ها هنا مقام في هذه الديار والاطلال ما داموا قاصدين ذلك الحال قال فلما سمع شاه جمك ذلك المقال من ذلك الرجل المفضال وكان يثق بقوله دون كل الرجال صبر الى الليل حتي أقبل بالانسدال ورحل من خراسان وترك الاهل والاوطان وسار مجدا فى البرارى والقفار وهو حزين القلب ولهان لا يقر له قرار في بلد ولا في مكان وقد تأسف على ماحل به من أقاربه وكيف طلبوا هلاكه ومصايبه وهو ينشد ويقول صلوا على الرسول

يا دهر كم ذا تعاندني وترميني فى كل المصايب
يا دهر جاروا عليّ رفقتي وصار عدوي أعز حبايب
يا دهر قد عاهدتنى بانك توفى جميع المطالب
خنت عهدي وقد أبدلته بعد الصفا بالنكايب
ولكن هذا فعالك بالوري وكم قبلي ضاقت عليه المذاهب
فلا عتب عليك ولا ملام ولا أمان لكاذب
ولكنني أصبر على بلوتي وبالصبر أبلغ جميع مكاسب
فان كان لي سعداً موفقاً نلتسه بامر رب غالب
وان كان هذا من قسمتي فلااعتراض على الكريم الواهب
واني أسلمت أمري لمن أنشأ الورى من الماء الساكب

قال الراوي ولم يزل القان شاه جمك سائرا الى ان وصل الي أرض تواريز العجم باذن باري النسم ومنها الى خوارزم سار قاصدا فبينما هو

سائر في بعض الطرقات واذا قد وجد في طريقه سبعا غضنفر قدر الثور الكبير وقد هجم على رجل كبير طاعن في الســن وهو راكب على جواد وقد أعاقه الاسد وكاد ان يكسره وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار ولا له قوة على مدافعة الاسد بل انه سلم امره الى الفرد الصمد وقطع اياســه من سـائر البشر ورفع طرفه الى صاحب الامر والقدر وأنشد يقول هذه الابيات صلوا وسلموا علي صاحب المعجزات صلى الله عليه وآله وسلم

يارب يا رباه يا خالق الوري ... يامن تعالي عن شريك واصحاب

اغثني يا خالقي ممـا حل بي ... بحق محمد سـيد الاحباب

وارسل لي مجيراً بجاه المصطفى ... واطلقني يا خالقي من مصاب

توسـلت اليك بخير الوري ... طه الشـفيع لنا يوم العذاب

لا تكلني لنفسي طرفة ... فلقد ضاق صدري ودنا ذهاب

وأنت العليم بما حل بي ... وأنت المغيث مسبب الاسباب

قال الراوي فبينما الرجل يستغيث ويستجير ويتوسل بطه البشير النذير واذا قد أقبل عليه القان شاه جمك ونظر الى ما هو به من الامر الخطير فعرف ان ذلك الاسد قد ضايقه وسـد عليه طرائقه وقال في نفسه فرج عن هذا الرجل كربه فلعل الله ان يفرج عنك كربك ثم انه نزل عن جواده الى الارض وشد منطقته طولا وعرضا وصاح الى اين يا كلب البر فلما رآه الرجل فرح به وأيقن بالخلاص وأما الاسد فانه ترك مطلوبه والتفت الى القان شاه جمك وصرخ عليه وضرب الارض بيديه ورجليه وأراد أن يهجم عليه واذا بالقان شاه جمك استقبله بين عينيه بالحسـام فنزل السيف وسـط جبهته وقد هوي بجثته وقد سطا الشجاع بشجاعته والاسد بقوته فلم يزل السيف بين عينيه حتى خرج من بين فخذيه فوقع الى الارض قتيل وفي دماه جديل ثم ان القان شاه جمك مسـح الحسام في شعر الاسد وركمو وأقبل على ذلك الانسان وقال له لا بأس عليك يا والدى

فقال له لا شلت يداك ولا شمتت فيك أعداك ولا كان من يشناك ثم انه اخذه وسار به وقد ركب الي جانبه وصار ذلك الانسان يمدحه ويقول هذه الابيات

أجارك الله من النار والبلا كما جرتني من شدتي وهواني
ووفقك الاله لكل فضيلة وفضلك ربي على سائر الاخوان
ولولاك اني كنت هالكا في وسيع البر والوديان
أرسلك لي خالق السما الله تعالى واحد منان
سطوت علي الاسد بهمة ما نالها ملك ولا سلطان
ولم أقدر أجازيك بكل مالي ولا بملكي ولا أعياني

قال الراوي ولم يزل سائرا به الى أن أقبل الي أرض خوارزم العجم ودخل الى مكانه واذا قد أتت اليه سائر أعوانه وانعقد له موكب عظيم وسار القان شاه جلك الى جانبه وقد عظم في عينه فقال يا سيدي ومن أين جاء اليك هذا الاسد ولم لا خرجت في بعض الغلمان والخدام فقال له يا ولدى أعزك الله وأبقاك اعلم أنى خرجت في بعض الايام الى الصيد والقنص واغتنام اللذة مع الفرص وكان معي من الرجال سبعون بطلا فلما وقفنا في حلقة الصيد وقع لنا غزالة فقلت لمن معي ضيقوا عليها وكل من نفذت منه يكون خصمي اذا لم يأتي بها فلما سمعوا مني أجابوا بالسمع والطاعة وضيقوا الحلقة علي الغزالة واذا بها هجمت على قربوص سرجي فتركت اللجام وأردت أقنصها فهجمت من فوق رأسي الي الخلا فلما رأوا أصحابي ذلك تبسموا ونظروا الى بعضهم بعضا ففهمت انهم يتغامزون على فقلت لهم اذهبوا أنتم الى حال سبيلكم وها أنا لها كفاية ثم اني تركتهم ومضيت خلفها الى أن اقبلت الى ذلك المكان الذى اتيتني أنت اليه وعبرت فأردت الدخول خلفها واذا بالاسد قد خرج علىّ فتركت الغزالة ووقفت مع الاسد وجعلت أستغيث الى أن أغاثني بك ربي وهذه قصتى والسلام فقال له ياسيدي الحمد لله رب العالمين على السلامة ثم انهما لم يزالوا سائرين الي ان وصلو

الى الديوان فجلس الملك وجلس القـان شاه جمك الى جانبه وأولاده وزيره بالميمنة وبالغ فى مكرمته وكان اسمه القان عبد الله ثم انه زوجه بابنته وقربه الى مرتبته وشرع له في الافراح والليالى الملاح وادخله على ابنته وكان اسمها ايق فلما كان بعد الصباحية أجلسه الى جانبه وسأله عن حاله ومن اين هو والى اين كان يريد ولم يسأله قبل ذلك ابدا وهذه عادة أهل الفضل والناس الكرام ولما سأله عن حاله قال انا رجـل من خلق الله تعالى وكنت سائر فى ملك الله تعالي فلما سمع ذلك منه علم بالفراسه انه من أعيان الناس الكرام أهل الحسب والنسب والاحتشام وايضا انه قد شاهد ذلك من فعاله واحكامه فقال له بالله عليك الاما اعلمتنى بقصتك واطلعتنى عن سبب غربتك فلقد ظهرت لى أشارة الطيبة والامور الغريبة فلما سمع منه ذلك اعاد عليه قصته وما قدمنا ذكره من نوبته فتعجب من ذلك وكتب له حجه بالسلطنة من بعده وختمها بختمه ولم يزل مقيما عنده الي ان اتته الوفاة ودنى أجله فأوصى عليه دولته وسائر أهله وقد أوصاه على ابنته ثم قضى نحبه فواروه التراب وعملوا له ما يحتاج اليه ولما تهيأ الفراغ من ذلك جلس على كرسى ملـكه وهو يحكم بين الرجال ويفضـل الابطال بالمال فأحبوه سائر الرجال وأطاعوه في الاقوال والافعال وقد صار بينهم له كلمة تسمع وحرمة ترفع وقد رزقه الله من الاولاد بخمسة ذكور فسمي أحدهم تقتمر والثاني سم الموت والثالث وابدغدى والرابع وايد غمش وهذا الصغير محمود وكان هذا محمود احبهم عند والده وكان ابوه لايصبر عليه فلما كان يوم من الايام خرج الى صلاة الجمعة وأخذ أولاده عن يمينه وعن شماله ولما قضت الصلاة تأمل القان شاه جمك فرأي اخواته الذين قدمنا ذكرهم في ذلك الجامع وقـد بلوا من الفقر مما لايطاق فلما عرفهم تركهما ولم يسأل عنهما بل قال لبعض خـدامه خذ هـذين الرجلين وامضى بهما الى الحمام ولبسهما افخر اللباس وائتوني بهما ففعلوا ما أمر به الملك وأتوا اليه بهما

وهو جالس على تخت خوارزم العجم فلما وقعت عينه عليهما نهض لهما قائما على الاقدم وأخذهما بملء الاحضان واجلسهما الى جانبه وقد سألهما عن حالهما وقال لهما ماسبب قدومكما وهذه الحالة حالتكما ولم يبدي لهما شيئا من الامور الي سبقت منهم فقالوا له والله يا اخانا ان سبب قدومنا وغربتنا في البلاد انه عز علينا فراقك وتركنا أرضنا لاجلك ومن شأنك وسرنا ندور عليك في سائر الارض في الطول والعرض وقد ذهب مالنا وتكدر عيشنا والحمد لله على سلامتك فلما سمع منهما ذلك الكلام ترحب بهم واجلسهم وزراءه وقد زاد حسدهم وكثر حقدهم ولم يراعوا له جميل واضمروا له الشر وقالوا لابد ان نحسره على ولده هذا ونحرق كبده

قال الراوي وكان سبب قدمهم الى ذلك المكان وفقرهم وما صاروا فيه من الهوان كلام عجيب وامر مطرب غريب وذلك ان القان شاه جمك لما ارتحل من عندهم وطلب بلادا غير بلادهم جلسوا على التخت بارض خراسان وصار هذا يحكم يوم واخوه يوم وقد طغوا وبغوا على من عندهم وكان البخل طباعهم فضاقت قلوب الدولة منهم وقالوا لابد لنامن قتلهم كما افجعونا في اخيهم وابلونا بما لانطيق من قلة المال والرفيق فلما اتفقوا على ذلك الشأن سائر الرجال نهضوا اليهم وقبضوهم باليد وقد أوثقوهم كتاف وقووا منهم السواعد والاطراف وهموا بقتلهم فقالوا لهم ياقوم لاي شيء فعلتم ذلك فقالوا لهم اعلموا اننا لم نريد كما علينا ابد ونحن نولوا علي انفسنا من نريد ونختار فقالوا ما هذا صواب فاطلقونا مما نحن فيه ونحن نبذل لكم الاموال فقالوا لا والله لو اعطيتمونا مال الدنيا ما فعلنا ذلك ابدا لانكما أفجعتمونا في ملكنا واستوليتم عليه وهو أخيكم مافيكم خير لبعضكم في اخيكم فكيف نأمن نحن منكم فقالوا ياقوم اذا لم تفعلوا ذلك فاتركونا نمضي الى حال سبيلنا واطلبوا لكما ملكا غيرنا ولا تقتلونا فقالوا لهما رضينا بذلك

ثم انهم ضربوا كل واحـد منهم ثلاثمائة سوط وطردوهما وولوا وريرا قـد اختـاروه لا تقسهم وحكموه على رقابهم فخرجوا هـذين الاثنين هاجين على وجوههما (قال الراوي) وساروا فى البرارى الى ان أتوا الي ذلك المكان واجتمعوا بأخيهم وسألهم على حالهما فانكروا ذلك وذكروا انهما تركا الملك لاجله ومن شفقتهما عليه فشك فى قولهما وقال في نفسه لعل ان يكون ذلك حقا ومضت الا حقاد (ياساده) وجري ما جري وقد اجلسهما وزراء عنده كما ذكرنا واضمروا العناد كما قدمنا الي ان كان يوم من الايام ذكروا له انهم يريدون الصيد والقنص وقالوا له يا أخينا نريد ان نأخذ محمود معنا فقال لهم سمعا وطاعة وقد وصاهم عليه ثم انه ركب محـمود بينهما وسار معهما خمسون فارسا وقال لهم لا تغيبوا عني ولدي فقالوا له اكثرما نغيب سبعة ايام أوعشرة ايام فقال لهم دونكم وما تريدون ثم انهم ساروا حتى تبطنوا فى ذلك الوادى فنصبوا خيامهم وقاموا حتى امسى المساء وناموا سائر الرجال وكانوا اقدا تبعوهم بشدة المسير فلما راينوا ذلك اغتنموا الفرصة على محمود واوثقوه كتاف وقووا سواعده والاطراف وجعلوا فى فمه الاكره وشدوه على جواد من الخيل الجياد وركبوا وساروا في تلك البراري والقفار

(قال الراوي) ولم يزالوا الخمسين فارس نا ئمين الي الصباح فأفاقوا علي نفوسهم وطلبوا ابن ملـكهم ووزرائهم فلم يجـدوا لهم خـبر ولا وقعوا لهم اثر فظنوا انهم انتبهوا من النوم قبلهم وسـاروا يتصـيدون الى آخر النهار فلا جاء اليهم من يخبرهم فطلبوا الـبراري وتفرقوا في وسـيع البطاح فلم يروا لهما اثر فرجعوا خائبـين وطلبوا الملك شاه جمك واعلمـوه بمـا جرى وكان فلما سمـع ذلك قامت عليه القيامة وعاد على نفسه بالملامـة وبكى وان واشتكى وحس قلبه بالفراق فانشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

فديتك رفع الصبر بعدك أم حلا وقد غبت عـنى بالمنام وما حلا

وما حال حب غاب عنـه حبيبـه وماحال من حفظ الوداد وماحلا

ولما رأيت القلب مال مع الهوي بعثت له دمعا من العـين مرسلا

حبيبي لقد أودعت في القلب حسرة وما أودع القلب الغرام وما قلا

واوحشت طرفا طال ما بات ساهراً لوجه كساه الحسن كالقمر انجلا

تنقلت من عيني الى وسط مهجتي وما عادة الاحبـاب ان تتنقلا

وقالوا متى امسى فؤادك بالمنا مليا من البلوي فقلت وقد خلا

فقالوا اترضي ان تموت صبابة فقلت نعم اسمع النصح قلت لا

اقول لاجفانى وقـد صار ميتي بقلب قفا نبكي حبيبا ومـنزلا

فمن بعـده ماذقت طيب مسرة ولم انظر اللذات الا تخيـلا

ولم انس اياما تقضت بقربه وكاس المنافى مجلس الانس يجتلا

يمر به السـاقى فيختـال وجهـه كما قمر فى كفـه الشمس اقبـلا

ومحبوبنـا يجلـوا علينـا جمـاله وكل صدا في القلب لما حلا حلا

يميل دلالا وهو في نشوة الصبا ويحق للمعشوق ان يتدللا

غزالا يغـار الطـير من لقـائه وان سم يحاكيه رسم الفلافلا

عشقت اهيفا حلو الشمائل رشيقا نحيل الخصرا ابيض اكحلا

ثنياه ريحان وثغره جوهر وقلبي مسرورا اذا مقبلا

قضا الدهر بالتفريق آها لفقده وآها لقلب عنه تتبدلا

فان مرت الايام دون وصاله فيا ضيعة الاعمار تقضي سهلا

قال الروي وقد سمعت أمه بذلك فلبست ثياب الاحزان وتنفست الصعد من قلب ولهان وجعلت تندبه بهذه الابيات

وحقكم ان قلبي لم يطق تجلدا على الفراق ولو كان الوصال غدا

يقول لى طيفكم ان الوصال غدا وهل أعيش على رغم العدا وغدا

وحقكم ياسادانى من بعد فرقتكم مالذ لي طيب عيش بعدكم ابدا

وان قضى الله نحبي فى محبتكم اموت فى حبكم من اعظم الشهدا
آه محب فى زوايا القلب مرتعه ومن اجلكم جزعا نومي لقد شردا
ان كان في حبكم ترضوا بسفك دمي فانه فوق خدى لقد شهدا

(قال الراوي) ثم انهما جعلا يندبانه بالاشعار ويرخوا عليه الدموع وقد انقطع منهما الاياس ولزما البيت من دون الناس فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر محمود فانهم لما أخذوه وساروا به حتى آمنوا علي أرواحهم ممن كان خلفهما الى أن عبروا تلك الارض ودخلوا به الى مغار على حافته عين ماء وأراد أحدهم قتله فقال له الآخر يا أخي لا تفعل لاننا على كل حال فى الغربه وما ندرى ما يجرى علينا فقال له وكيف نعمل فى هذا ولد الزنا فقال له نحفر له حفرة هاهنا ونلقوه فيها بالحياة وهو بذلك الكتاف ونضع على قلبه حجره ونتركه حتي انه ان عاش فبرزقه وان مات فبأجله على انى أقول انه لم يعيش بعد ذلك أبدا وان عاش أكلوه الوحوش على انه لم يقدر يمنع نفسه وهو بهذا الكتاف فقال له هذا هو الصواب ثم انهم فعلوا به تلك الفعال وأدخلوه فى ذلك المكان وحفروا له الحفرة ووضعوا الحجر على صدره بعد ان ألقوه على ظهره وقالوا له هذا قبرك حتى تلاقي ربك فقال لهم وقد تغرغرت عيناه بالدموع وما الذى فعلت معكم من الفعال حتى ترمونى بهذا المثال فقالوا له هذا جزاءك وجزاء أبوك يانسل الحرام فلما سمع منهم ذلك رمق بطرفه الى السماء وقال اسأل الله العظيم رب موسى وابراهيم ان يخلصنى مما أنا فيه من الهوان وأرى دم أعمامي يجري في ذلك المكان وهو يختلط بهذا الماء والتراب وأراهم بالاعيان وأنا على الحياة وأري ذلك وأشاهده عيان قال فتقبل الله دعاه وسوف يكون ذلك ان شاء الله (قال الراوى) وقد تركوه اعمامه وذهبوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر محمود فانه أقام علي هذه الحالة باقى ذلك اليوم والليلة وهو يبكي وينوح

من قلب مظلي مجروح وجمل ينشـد ويقول

يادهـر بليتـني بالبعاد وبعـدالديار وطول التمـادى
واوقعتني في يد قوم لئام لايحفظون ولا يرعون ازديادي
وقـد قضى عـلى الله بانى أصير أسـيرا كثير السهادي
ملقي علي ظهري طريحا مغلل الرجلين مكتوف الايادي
ولـكن سألت ربي خلاصى فهو الرجيم لـكل العباد
توسلت في أمري اليه بمن يشفع لنا فى يوم المعاد

(قال الراوي) ومازال يبكى وينوح على حاله ويستغيث الى ربه بـكل ماخطر بباله الى ثاني الايام فبينما هو كذلك واذا به قدم عليه رجل من دراويش الاعجام يظهر للناس الاسلام وهو رفضي يعبـد الشيطان وكان يسمى محمود العجمى والارفاض يقولون له عبد الشيطان فلما رأي محمود قال فى نفسه خذ هذا الغلام واوصله الى الشام وبيعه هناك وخذ ثمنه فهو أحسن منه ثم انه دني منه وأخذه وسار به حتى وصل الي الشام فرض محمود لاجـل أمر يريده الملك فرماه في الحمام حتى تداولت عليه الايام وكان ذلك الرفضى يتفقد من الميعاد الي الميعاد ويقول ان عاش بعته وان مات دفنته وكل من يسأله عنه يقول انه مملوكه حتي آن الاوان وأرسلت انت يا أمير المؤمنين على ابن الوراقى من مصر بأمرك فاشتري هذا بالصرة المجهولة وجري من الامر ماقد تقدم ذكره وشاع بين الناس أمره وهذا تأصيله والسبب وحق من عن العيوق احتجب (قال الراوى) فلما سمع الملك الصالح ذكر هذا التأصيل من المقادم وانهم رأوها مرسومة بالجفر الا كبر وهي مؤرخه بكل حرف محرر فرح الملك فرحا شديدا ماعليه من مزيد وكذلك الاغا شاهين الافرم وكان الامير بيبرس ذكر له هذه الصائبة عند أول مقابلته معـه كما قد ورد فى كتابنا فانشرح خاطره وتمت أفراحـه وهدت سرائره لانه عند ما يثبت ويقيد وقد اطلع الامير عليه حتي يمينه

شاهد (ياسادة) وقد زاد غيظ القاضي وكادت مرارته ان تنفطر وكذلك المماليك المبغضين هذا وقد كتب الملك للمماليك حجج العتق وقال الملك ياولدي بيبرس قال نعم يا أمير المؤمنين قال له انزل من ها هنا واشتري لك بيتا بشرط انك تصلى غدا صلاة الجمعة فى جامع طولون فقال سمعا وطاعه ثم نزلوا معه الاثنين المقادم وباتوا تلك الليلة وهم يتذكرون كلام الملك الصالح ويثبتون له الولاية والكرامة حتّى صلوا صلاة الصبح وتودعوا من الامير وركبوا خيولهم وساروا طالبين قلاعهم فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه ركب جواده وصار طالب جامع طيلون وكان قد دخل وقت الجمعة وعثمان قد سار معه الى ان قربوا للجامع فنزل الامير بيبرس عن جواده وقال امسك الجواد يا عثمان حتّى اصلى خلف الامام فقال له عثمان وأنا ما أصليش فقال له أنت شافعي وأنا حنفي والاولي أنك تصليها أنت بعدى ظهرا ودعى أصلى انا خلف الامام فقال عثمان انا حمل حنفى وانت خليك من اولاد ابو شافع في ذلك النهار فقال له هذا لا يصح يا عثمان فقال له اعلم ان الامر أقرب من ذلك وهو اننا ندخل الاثنين ونترك الحصان وحده ها هنا فان بقي حتّى نعود اليه اخذناه وان هرب قبل خروجنا فى داهيه انت وياه وان طلبت غيره أنا اسرق لك حصان غيره فقال له هذه الصدقة الى تعملها بعد الصلاة ولكن يا عثمان انظر من يمسك لنا الحصان فقال عثمان سمعا وطاعة ثم تأمل ذات اليمين وذات الشمال واذا بعالم قد أقبل يريد الجامع وعليه الملابس الفاخرة يريد الجامع والمحفظة بين يديه ظاهرة والمقلة على رأسه كانها حمامة ظاهرة فلما قارب عثمان وعرفه وتأمله أقبل اليه وقبل يده وقال له سلامه ياجدي وجد جدى فقال له عثمان أمسك هذا الحصان حتّى أصلى وأطلع فقال له سمعا وطاعة فلما نظر بيبرس الى ذلك قال له يا عثمان اتق الله تعالى كيف انك تفعل هذه الفعال مع رجل مثل هذا الشيخ المفضال فقال له اعلم ان هذا

الرجل من جملة الطائفة التي كانت تحت يدي قبل التوبة ولماانى تبت فضل هذا الرجل على حاله وانه بالنهار عالم وبالليل حرامي ظالم واسمه عندى مراوحي فلما سمع الامير ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم ان الامير دخل الى الجامع وجلس في المحراب وجلس عثمان قدام المنبر وجعل الرزة قدامه وكشف رأسه وقد صعد الخطيب الي أعلا المنبر وقد رأي عثمان والرزه قدامه فلعبت مفاصله ونسي الخطبة ولم يعرف منهـا ولا كلمة واحدة وقد صار مثل السعفة وذلك لان عثمان كان ضربه قبل توبته وأخذ منه عمامته وأقام في بيته مريض ولا شفاه الله تعالى الا في ذلك اليوم وكانت هـذه أول خطبته بعد مرضه ولما رأى عثمان ذهب عقله وزادت بليته وغابت عنه فكرته وقد آن أوان الخطبة والرجال مستعدون لاجلها فقال الخطيب أيها الناس انتم ها هنا قاعدون وعثمان ها هنـا حاضر معكم وكان ضربني ضربا وجيعـا وأخذ عمامتي وتركني بحالة شنيعة فانا انهاكم عن الصلاة في هذا الجامع والجوامع كثيرة فالعاقل من يكون لقولي سامعا ولكلامى طائعاً من قبل أن يحل بكم المنون وينهب ارواحكم مثل المجنون قال فلما سمع المؤذنون الذين فوق الدكه ردوا عليه وقالوا ها نحن هاربين والى السطوح طالعين .

قال الراوي وكانت هذه الالفاظ باعلا اصواتهم فهاجت الناس وحارت في امورهم ونزل الامام وصلى بالناس علي حسب الامكان وتعجب بيبرس من ذلك الشان (يا سـادة) وما فرغت الناس من ذلك الفرض حتى اسرع عثمان الي الابواب واغلقهم ووقف على الباب الكبير وتركه مفتوح فلما خرج احـد المصلين وهو يستغفر الله ويسبحه قال له عثمان تقبل الله قال له الله يتقبل مني ومنك قال له عثمان انت صليت كم ركعة قال الرجل في نفسـه كثر له لاجـل ان يقول هذا رجل دين ثم قال له صليت عشر ركعات قال عثمان احسبهم

لي قال له اثنتان تحية المسجد واثنان فريضة الجمعة واثنان سنتها وأربعة فرض الظهر هذه العشره فقال له عثمان يبقى عليك عشرة قروش صاغاً لى على المسلم كل ركعة بقرش فلما سمع الرجل ذلك طار عقله وذهب لبه وقال والله أنا مامعى ولا قرش كامل فقال له عثمان اخلع ملابسك فناوله العمامة فقال عثمان بقرش وكذلك العري قال عثمان بقرش ولم يزل حتى عراه من جميع ملابسه ثم أقبل على الثانى وقال له صليت كم ركعة قال صليت اثنين قال عثمان بقرشين فناوله العمامة والصارمة وخرج ووقف الي جانب رفيقه ولم يزل عثمان على ذلك الحال حتى خرجت اغلب الناس والذين تبقوا فى الجامع أعلموا الامير بما فعل عثمان فلما سمع الامير منهم ذلك الكلام نهض على الاقدام وسار حتى شاهد الامر بالاعيان فصاح فيه وطلبه أشد الطلب فلما رآه عثمان على ذلك السبب تركه وهرب فصاح عليه بأعلا صوته لا تخاف يا عثمان فقال عثمان لا أعود حتى تحلف لى أنك لم تؤذيني فحلف له الامير على ذلك وأقبل اليه وقال له ولاى شيء فعلت هذه الفعال فقال عثمان لاجل أجرة الصلاه لاني جعلت كل ركعة بقرش ولنها والله كل ركعة تسوى مال أهل الدنيا لما فيها من الثواب فقال له الامير اعلم ياعثمان ان الله قد سهل دين الاسلام وجعله سهلا على كل من له فيه مرام فان وجد الماء والا يتيمم بالتراب وان لم يقدر يصلى قائما صلي جالساً وان لم يقدر صلى راقد ويدخل أي مكان أراد من المساجد فلا أحد يمنعه من ذلك ومع هذا كله فانهم لا يصلون ولا يعبدون فما أدراك اذا كانت الركعة بقرش فلا احد يدخل المساجد أبداً ثم أنه أمرهم أن يأخذوا ملابسهم فأخذوها ودعوا له وانصرفوا وقد خرج باقي الناس من المسجد وأراد الاميرأن يركب ويسير واذا به يسمع مناداة ينادون فقال ياعثمان ماالخبر فقال عثمان هؤلاء دلالين يدللون على الاماكن والبيوت فسار الامير نحوهم فسمع الدلال ينادي ويقول معاشر الاخوان معنا بيت

في المكان الفلاني وبيت في المكان الفلاني وهذا بيت فلان وهذا بيت فلان وفيهم كذا وكذا وما زال يذكر بيت بعد بيت حتى قال معنا بيت الامير أحمد بن أباديس السبكي أوله خضرة الحنة وآخره سواقة السباغين وله أربعة أبواب بأربعة حيشان الباب الاول بخضرة الحنة والباب الثاني بجوار السيدة زينب والثالث عند باب الميضة والرابع بجوار زين العابدين من داخله ثلاثمائة أودة عدد السنة وأيضاً من داخله أربعة وعشرون بستاناً وفيه أربعة وعشرون ساقية وفيه أربعة وعشرون مقعداً وكل مقعد فيه قاعة ومجلس وأودة لا تشابه الاخري بل بخلاف بعضها أشغال الصناع الشطار ولو أننا رفعنا كل محل وما فيه من المعادن الكبار مثل الياقوت الاحمر والكهرمان والعقيق والمرجان وكل شيء يأخذ بالابصار من اللمعان

(قال الراوي) وكان الامير أحمد بن أباديس السبكي يصطنع الكيميا ويدرك علم جابر وكان يضرب الرمل ويعرف معانيه وقد رسم جميع مافي ذلك المكان من ماله ونواله وكذلك كلما وجده الامير بيبرس خارج ذلك المكان مثل اللقية التي وجدها الامير في بيت الوزير الاغاشاهين ولقية القلعة فهي من ماله أيضاً وكذلك ما عثر به في دكان الشيخ يحيي الشماع وكل ذلك من مال الامير أحمد بن أباديس السبكي وقد رسمها وطلسمها بمعرفته وحسن خبرته على اسم الامير بيبرس لما تبين له في رمله انه من أهل الجهاد في طاعة رب العباد وقد رجعنا الى ما كنا فيه من الايراد فلما رجع الدلال وسمع الامير بيبرس وهو ينادي علي ذلك المكان صاح بعلو صوته على الدلال ونادي يادلال أكثر من ثلاثة مرات والدلال ينظر اليه ولم يعن به فصاح به عثمان بعد أن كشف رأسه وقال يا رجل يا دلال وسرها في مقامها ان لم تأتي والا ضربتك بهذه الرزة ضربة افلق بها رأسك فعند ذلك رجع الدلال مسرعا الى الاسطى عثمان وقبل يده ووقف يرتعد فلما رأي الامير ذلك قال لا حول ولا قوة الا

بالله العلى العظيم ياشيخ انا ناديت عليك اربع مرات فـلم ترد على جواب ولم تلتفت الى والتفت الى عثمان من مرة واحـدة فـلاي شيء ذلك فقال له الدلال أما أنت فلا سمعتك ولا رأيتك وأنت تنـادي أبدا وأما عثمان فان نداه ازل في آذانى مثل الرعد القاصف فضحك الامير من قوله وقال له من هو صاحب هذا البيب فقال له ياسيدي ان صاحب هـذا البيب له اربعـة ستات وهو الامير عنقا بن ابادیس السبكى وأنا دلال وابي من قبلي وجدي كذلك وطلعنا ندلل على ذلك البيت وكل من اتي وتفرج عليه فلم يبيعوا له هؤلاء الستات وهم البنات المذكورين وكل جمعة لا بد انى ادلل عليه فلما كانت هذه الجمعة دللت عليه وقد احضرنى لك الاسطى عثمان فسألتني عن ذلك أحبرتك والسلام (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك قال لابدأن أمشى معك واتفرج على ذلك البيت ثم سار عثمان والامير بيبرس والدلال واقبلوا الى باب من الاربعة أبواب وكان فى وسط الباب حلقة صغيرة فتقدم الدلال وفتح باب الخوخة وقال للامير ادخلوا من هاهنا فقال الامير افتح لنا بابه الكبير فقال له ياسيدي ان هذا الباب له مدة ما انفتح ولا قدر أحد على فتحه ابدا وان الستات قد اوصونى بذلك وقالوا لى اذا رأيت شخصا قد فتح الباب بيده فاحضره الى عندنا فقال له الامير اين المفتاح فاعطاه فوضعه الامير في الضبة وعشق الاسنان فى بيوتهـا بقوة واذا بالضبة قد فتحت باذن الله تعالى من غـير مشقة فلما رأي الدال ذلك تعجب غاية العجب ودخل بعد ذلك البيت واذا به فى غاية ما يكون من الاوصاف الحميدة وقد اعجب الامير فقال للدلال سر بنا الى أصحابنا فأخـذه الدلال وسار به الى الستات وكانوا هؤلاء الستات عتقا الامير احمـد بن ابادیس وكانوا مقيمين بمنزل اعده لهم غير هذا المكان فلما اقبـلوا هؤلاء استأذنوا على السيدات فلذنوا لهم وقد اقبـل الدلال اليهم فقالوا له ولاى شيء اتيت فقال لهم اتيت لـكم بمن يشـتري البيت فقـالوا لعل أن يكون آن الاوان

فاين هو الشارى فصاح الدلال بالامير فطلع الامير وخلفه عثمان فلما عاينوهم قالوا من يريد البيت من هذين الاثنين هذا الرجل الذي يخطف العمائم من الناس ام هذا الرجل المملوك فقال لهم هذا الغلام فالتفتوا اليه وقالوا له احق ما يقول الدلال قال نعم قالوا له ما اسمك يا فتي قال لهم اسمى بيبرس فلما سمعوا ذلك التفت بعضهم الي بعض ثم قالوا له هذا هو اسمك الاصلى أو حادث عليك فقال لهم لا بل هو حادث واسمي الاصلى محمود فلما سمعوا ذلك نظروا الي بعضهم وامروه بالجلوس فجلس فقالوا له عسى ان يكون لك في البيت نصيب فقال لهم هذا شيء فى علم الله القريب العجيب فقالوا من أي البلاد انت فقال لهم من ارض الشام وارض دمشق فقالوا له مولود بها أم نزيل قال لهم نزيل واما مولدي فى ارض خوارزم العجم فقالوا له نريد منك شيئاً واحدا وهو اننا تحكى لنا على حسبك ونسبك فاعاد عليهم التأصيلة من اولها الى آخرها كما وردو تقدم وسمعته أذنا كم الرائقة ومعانى عقولكم الفائقة والاعادة ما فيها افادة سوي الذكر والتوحيد (قال الراوي) فلما سمعوا الستات ذلك الكلام من الامير بيبرس تكلموا مع بعضهم بلغة يعرفونها مع بعضهم ومعني كلامهم انهم يقولون لبعضهم ان العلامات قد ظهرت منها البعض وباقي البعض فمن منكن يظهر لنا باقى العلامات فقالت واحدة انا اساله فى ذلك ثم تقدمت اليه وقالت له وانت عندك ثمن هذا البيب قال لهم نعم انا قادز على ثمن عشرون بيت مثله فقالت له انت تذكر نفسك بالغنى والمقدرة ولاى شيء حالك هكذا وما عليك كسوة تسوي درهم واحد وهذا دليل على انك غير صادق فى قولك وما ذكرته من محالك وقلة مقلك

(قال الراوي) فلما سمع الامير ذلك قال لهم وقد اسودت الدنيا في أعيانه وظهرت له سبعة نقط جدريات سود ملكته من الطارقة اليمين الى الطارقة الشمال وشعرة اسديين عينيه وسبع من اللحم بين حاجبيه اذا نظرته

المرأة الحاملة تضع حملها لوقتها وساعتها فلما نظروا الستات الي ذلك العلامات عرفوها وقالوا لا تأخذ على خاطرك فاننا ماذكرنالك ذلك الا على سبيل المباسطة والمزاح ومع ذلك اننا بعناك البيت وعرفنا انك صاحب العلامات والاشارات ولقد كنالك في الانتظار وهذه المفاتيح وهذه الحجج وهذه الاوراق التي لاحمد بن ابادیس السبكي جميعا من نصيبك وان هذا كله بغير مقابلة شيء وماهو بدراهم وانما هو بحاجتين أول خاجة انك تلعب لنا بهذه القنطارية التي لاحمد ابن أباديس السبكي فهي تمام المعرفة والامارات وان خرج من يدك تلعب بها نخذها اليك قال وكانت هذه القنطارية وزنها مائة رطل سبكي فهى تمام المعرفة وهى مطلسمة ولا أحد يقدر يلعب بها أبداً لانها مطلسمة على اسم بيبرس فلما سمع ذلك نهض قائماً على الاقدام وسار الى أن وصل الى القنطارية وجذبها بيده فاقتلعها من مكانها مثل العصا الخفيفة ولعب بها عشرة أبواب من الحرب وأيضاً لعب بها أنداب فلما رأوا ذلك منه قالوا له وقد فرحوا غاية الفرح هناك الله بما أعطاك أنت صاحب الاشارات المرسومة والعلامات المرقومه وما بقي عليك من ثمن هذا البيت الا حركة واحدة فقال لهم ماهى الحركة الثانية قالوا له نريدك ان تبني لكل واحدة منا بيت بحارة بجامع وتسمى الحارة باسم صاحبتها فاذا ماتت تدفن بها ولا ينقطع ذكرها منها فقال لهم سمعاً وطاعة فقال لهم وما أسماؤكم قالوا له السيدة عمرته والسيدة مسكه والسيدة لاله والسيدة الخويدرية فقال لهم سمعاً وطاعة (قال الراوي) ثم انهم أعطوه الحجج وسلموها اليه وأخذ القنطارية وكان فرحه بها أكثر من فرحه بالبيت ثم ان الامير أرسل الاسطي عثمان في عاجل الحال فأتاه بالقاضي الذي بطيلون وقد فعل به عثمان مثل مافعل بقاضى بولاق وقد قدمنا ذلك من أفعال عثمان فلما حضر كتب له حجة جديدة وأشهد فيها على السيدات المصونات بأنهم باعوا البيت الى الامير بيبرس ولما انفصل الحال من

ذلك أمر الامير باحضار المهندسين وقال يا عثمان ائتيني بجماعة المهندسين فلما حضروا عنده ترحب بهم وأجلسهم وحياهم واكرمهم وجعل يسألهم عن ذلك المكان وانه وجد فيه أربعة قوائم مثل الدعائم الكبار فتوهم من ذلك وسألهم عنها فنهم من قال هؤلاء اركان البيت والبيت مركوزه عليها فقال لهم وهؤلاء ليس لهم منافع غير انهم يحملون العلو فقال بعضهم ربما جعلوهم زينة قال ولم يكن لها نفع سوى ماذكر فقالوا نعم ثم ان الامير أراد أن يترك ذلك واذا به يرى رجلا فقيرا عليه ثياب رثة وهو جالس منفرد بنفسه عن المهندسين وكان الامير بيبرس حليماً فأقبل بنفسه اليه فوجده جالساً كما رآه لكنه على رأي الذي قال هذه الابيات

أرى الفقر يذهب أنوار الفتى مثل اصفرار الشمس عند المغيب
واذا كان المرء بين أهله وقد بلي بالفقر قالوا غريب

(قال الراوي) فلما نظره الامير بيبرس قال للمهندسين هذا الرجل معكم قالوا لا وانما لشدة فقره يسير معنا لاجل الاحسان وما هو الا سائل فقال له وقد جلس الي جانبه يا أبي أنت مالك صنعه فقال له مهندس وما انا سائل وان هؤلاء المهندسين كلهم أتباعي وأتباع أتباعي ومشاديدي ومشاديد مشاديدي وما منهم الا من يكرمني ويعرفني في أول زمني فلما عاقني الزمان وركبتني نوائب الحرمان أهانوني وعنهم قد أبعدوني وكأنهم لا يعرفوني فلما ضاقت بي حيلتي واشتدت مصيبتي نهضت هذا اليوم وقصدت رحاب السيدة نفيسة العلم وصليت فيها صلاة الافتتاح وجلست بجوار المقام وانهطل دمعي سجام وقد اشتد وجدي وقل صبري وجلدي وقدصرت استغيث بها واقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

أتيت لحيكم بني هاشم مستجيراً بجدكم طه المرسل
خذوا بيدي وانجدوني تكرماً وفرجوا كربي المتسربل
وانجدوني بنجدة النبوة بحق من هو خاتم وهو أول

ضاقت حيلتي ولا أحد سواكم   يكن لي نصيرا من كل تذلل
أنتم أهل التقى والمحامد كلها   وانتم أهل العفو ثم التكمل
توسلت بكم الى قدر جدكم   طه رسول الله خير مرسل

(قال الراوى) ثم ان الرجل قال للامير وبعد ذلك أخذتني سنة من النوم فرأيت السيده في أخر زينة وهي تتبختر في حلل الجنة وتقول لي ياعلي زال عنك الفقر وألمه باذن الملك الاكبر فانهض الى ولدي بيبرس في بيت أحمد ابن أباديس السبكي تجده قد جمع المهندسين فتكون أنت في الجمله فيأتي اليك ويسألك فتخبره بكل ما يسألك عنه وحدثه بما في البيت من الامور العظام فانتبهت من منامي وأتيت الى هنا فوجدت المهندسين عندك فسألتهم عني فقالوا الا نعرفه أبداً وهذه حكايتي والسبب وبعد ذلك وحق رأسك ورأس امير المؤمنين أن هذا البيت مابنى الاعلى رأسي ورأس أبي من قبلي وجدي من قبل أبي ولا أحد يعرف فيه شيء غيري فاعطى هؤلاء شيئاً من النقود لاجل أن تكون حسنة بدت لهم مني في نظير سيئة بدت الي منهم وبعد ذلك تصرفهم الى حال سبيلهم وانا اخبرك بكل ماتريد (قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك الكلام من على المهندس أطاعه فيما أمره به وفرح بقوله وأنعم على المهندسين وصرفهم الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم واما ما كان من أمر على المهندس فان الامير خلع عليه خلعة سنية وأعطاه ألف دينار وقال له امضى الى بيتك وادخل الحمام والبس البدله فاذا كان من الغد تأتي الى هنا فقال سمعاً وطاعة ثم ان المعلم علي المهندس أخذ البدله والدراهم ونزل من ساعته وانفق على اهل بيته ووسع عليهم ولبس البدلة بعد ان تنظف وبات تلك الليلة وهو مستريح القلب فلما كان الصباح سار المعلم علي الي البيت بعد صلى صلاة الافتتاح فوجد الامير قد أتى ومعه الاسطى عثمان فسلم عليه فأكرمه وأجلسه الى جانبه واكلوا ماراج من الطعام ولما تهيأ الفراغ من ذلك قال الامير

بيبرس للشيخ على المهندس يا فتي أريد منك أن تفرجني على غوامض هذا المكان فاجابه بالسمع والطاعه ثم نهض معه وأخذ بيده وأتى به الي أول قاعة وفرجه عليها وأتي به الى الثانية واذا بها خلاف الاولى وهكذا كل قاعة بخلاف ما قبلها بحيث أننا لو وصفنا قاعة واحدة منها لطال علينا الشرح في ذلك لان الواصف يتحير في وصفها وما زالوا يدخلون في قاعة ويخرجون من أخرى حتى انهم توسطوا المكان واذا بدعامة سوداء متصلة في أدني المكان الى أعلاه غريبة البناء فقال الامير بيبرس ما هذا يا أبي قال له يا سيدي هذه دعامة وأنا أعرف ما فيها وأعرف كيف أفكها في ساعتي هذه ولكن قبل أن أطلعك على حقيقة الامر لي على شرطين وفيهما بشاره عظيمة لك ولي فاما الشرط الاول فان السيدة الكريمة أخبرتني أنك تكون على مدة الزمان ملكا وسلطان وتجلس على سرير قلعة الجبل وتكون لك كلمة مسموعة وحرمة مرفوعة واني أريد أن أتمنى عليك اذا بلغك الزمان مناك وبلغ لك سعادتك واعطاك فا كون أنا مهندس السلطنة وذريتي من بعدي الا اذا قضي الاجل واندسرت الذريه فاذا أنت قائل فقال له الامير لك على ذلك ان شاء الله تعالي وهذا الشرط الاول وما يكون الشرط الثاني قال له تأمر خادمك ان يمتنع الى خارج المكان حتى نقضي ما نريد وبعد ذلك يعود فقال له سمعاً وطاعة ثم التفت الي عثمان وقال له امض الي خارج المكان حتى نقضي ما نريد وبعد ذلك احضر الينا فقال عثمان وسرها في مقامها لم اطلع ولا أفارقكم أبدا فقال الامير للشيخ على المهندس هذا ما عليك منه ودعه يكون معنا فقال له يا سيدي هذا شيء يريد الاسرار والكتمان وما ينبغي اظهاره لاحد غيرك فقال عثمان وأنا الآخر من أهل الاسرار فقال له الشيخ على واذا نظرت شيئاً لا تبيح به قال نعم اذا كان من قبيل ذلك فوصوا أنتم أنفسكم

قال الراوي ثم ان الشيخ على المهندس أخرج من جيبه شيء مثل الازميل

ونقر به فى الحائط ثلاث نقرات وتأخر عليه وأتى الى الجانب الآخر ونقر أيضا وتأخر ولم يزل حتى استدل على الباب فنقر وقور حتى كشفه واذا به باب صغير من النحاس الاصفر المطلسم فتأمل الامير بيبرس الى ذلك فوجده مسبوك لم يعمل فيه الازميل فارسل الشيخ علي المهندس وأتى باجزاء يعرفها وقطرها بالنار ومزجها وصفاها وكانت هذه تسمى ماء الانحلال وجعل يسكبها على رأس الباب والماء يأكل النحاس حتى أذابه عن آخره ثم دخل علي المهندس والامير بيبرس على أثره وعثمان على أثر الامير فوجد من داخل المكان قاعتين قاعة على اليمين وقاعة على الشمال وكل من رآها يظن انه على وجه الارض لانها فى التفصيل شبيهة القاعتين الفوقانيتين فعبروا هؤلاء القاعتين ودخلوا الي الاولى واذا بها أربعة لواوين على كل ليوان شبكة من اللؤلؤ الابيض الرطب المنظوم بسلوك الذهب والفضة وأرضها مفروشة بالزعفران الجنوي غالى الاثمان وهو مضاف بالعنبر الكنوزى ومن داخلها فراشات مطرزة بالحرير وشيء كثير من الحلى والحلل على أسرة من خشب الساج الهندي المصفح بالذهب الخاص المعدنى ووجدا على كل ليوان شخص من النحاس الاصفر ومعه مقشة من الرصاص وفى كل أربعة وعشرين ساعة تأتيه اسماء روحانية فيكنس الماء ويلقي مايخرج منه الى الارض ويتصل الي القاعة واذا نظروا النظار ظنوا أنه من الزعفران وبهب منه روائح زكية تطرب كل من شمها بنسمات عطرية والانهار تشق تلك القاعة من عيون الاسره والشخوص فيسير الماء من سائر المواضع ويجرى من خلفه ومن أمامه وذلك كله بكواكب متصلة الاحجار بسقف المكان والاعطار مدلاة من أسفله وثمرها من الجوهر والمعادن والمرجان وكانت هذه قاعة الوزير أسد بن أباديس السبكى في أوان الزهور والربيع وكان هو يسميها بالجنة الصغري وكان كل ما فيها من هذه التماثيل صنعة المعلمين أهل الفراسة ولاهى بعلوم أقلام ولا عمل من أعمال الكهان وكان اذا جلس فيها يأمر الخولي ان يدور السواقى

فاذا اندفع الماء وجري ووصل الى الاشخاص فتدور من ثقل الماء فاذاتحركت اللوالب والعقارب الى ذات اليمين فتجري المياه وتتمايل الاشجار وتهب الرياح على الانهار فيطيب له المقام بتلك الدار وقد نظر الامير الى تلك اللواوين فوجد دون الاسرم كل ليوان عليه ستار فتقدم وكشف الستار الاول واذا من خلفه أربعة صناديق على قدر الليوان وعليها الاقفال بالمفاتيح فيها ومكتوب على كل صندوق بالعربي يا واصلا الى هذا المكان ومطلعاً على هذا الامر والشان اعلم أن هذا وقف لله تعالى على الغزاة والجهاد فى طاعة رب العباد وقد أوهبته الى ملك المسلمين بيبرس العجمى الخوارزمي الدربندى الدمشقى بن القان شاه جمك الذى ينتهى نسبه الي ابراهيم بن الادهم رضي الله عنه وانى قد اعددته له لا لغيره ورصدته بعلوم النجوم والفلك يفعل به مايشتهى ويريد وكل من عارضه تصرفت فيه قدرة الله تعالي وصار هذا المكان قبره الى ان يلتقى ربه فلما قرأ الامير الكتابة خر على الارض ساجدا لله تعالى ثم تقدم الى الاول وفتحه واذا به قطع من المعادن الكبار وكذلك الآخرين فلما نظرهم كان عثمان على أثره يرى ذلك ويتفرج وقد مد يده وجعل يأخذ من كل صندوق شيئاً ويجعله من داخل ملابسه قال ثم انتقل بيبرس الى الليوان الثانى ورفع ستاره واذا هو مثل الاول وزيادة فتركه وأتى الي الثالث واذا به من الياقوت والدر واللؤلؤ الرطب ثم تقدم الي الليوان الرابع وقد فرح الفرح الشديد ورفع ستاره واذا فيه اربعة صناديق حجج بيوت وخانات وحواصل ومطابخ وقهاوي ودكاكين وحارات ووكايل وحمامات من مصر القديمة الي اصوان ومن مصر الي الفيوم هذا وعثمان كلما يرى شيئاً يأخذ منه ثم نظر الامير الى الفسقية واذا فيها اربعة وعشرون سرجا من الذهب الاحمر الوهاج المرصع بالفصوص الكبار ثم انه وجد ثمانية واربعين بشتاً من الزرد النضيد ومثلهم من السيوف الهندية ومثلهم من الشواكر اليمانية المجلية بالذهب والفضة ومثلهم اتراس

فلما نظر الى تلك الاشياء حمد الله على هذه النعمة وقدعظم المعلم علي في عينه لانه أطلعه على مكان لم يري مثله في بيت الوزير ولا في الديوان وما يشبه ذلك الا بكنوز سيدنا سليمان بن داود عليه السلام وفي مثل ذلك المكان قالت اهل العرفان هذه الابيات الحسان

دار حوت كل المعانى ... من كل صنف مثمن فاني
بها رياض قد ازهرت ... وانهارها زادت الدفقاني
قد احتكمها وزير مليك ... ماهر يدرى غوامض الازمان
له خبرة بكل الامور ... له صولة على كامل الاخوان
قد اتقن هذا بصناعة ... ماحازها كسرى انوشروان
لا ولا قيصر فى الورى ... وما تشابه الا كنوز سليمان
فيالهـا من رياض مبدعات ... ويا لهـا من كنوز تذهلان
وسميتها بالجهاد وبالغزا ... يرجو بها من الهادي الغفران
فيارب سامح واغفر لى وله ... وتب علينا ونحن باحسان

(قال الراوي) ثم ان الامير بيبرس سار بالمعلم الى القاعة الثانية واذا بها أربعة لواوين أيضا مثل الاولى غير ان كلها أواني من الياقوت الاحمر وكذلك بابها من الياقوت وكامل أرضها وحيطانها وأرضيتها من العقيق وفيها أوانى من المرجان وكانت هذه الدار يجلس فيها الوزير احمد بن ابادیس في زمن الشتا وبسميها النار الحرا ويقال ان هذه الاوانى مكتوب على كل آنية منهم انه دواء من الداء الفلانى وذلك اذا كان الانسان فيه مرض كذا وكذا فيضع الماء السخن أو البارد أو العسل المقطر أو الابيض أو الزيت الطيب يضع ذلك في الآنية الفلانية وينجمها تحت النجوم ويشرب منها عند النوم أو عند الصباح يبرء من هذا الداء أو يغتسل به أو يضع شيئا من الماء فى انفه أو في اذنه أو فى عينه وذلك على لختلاف الامراض وكل شيء مكتوب عليه ماينا سبه وباب المكان

مكتوب عليه النار الحمرا فلما نظر الامير الى ذلك قال و الله ماهي نار وانما هي
انجبار فرحم الله من صنع هذا المعروف ثم لما تهيا الفراغ من ذلك خرجوا من
المكان وانعم الامير على المعلم على بانعام زائد وذلك انه أعطاه من كل شيء ملء
يديه وقد نزع الله الفقر من جوفه ثم أمر بهندسة المكان وتصليحه فأجابه
الى ذلك بالسمع والطاعة فهذا ماكان من أمر الشيخ على المهندس (قال الراوى)
واما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه التفت الي عتمان وقال له ياعتمان لاتخبر
أحد باننا وجدنا هاهنا شيئاً فقال له عتمان اوصي نفسك أنت الاخر ولكن
أعطيني من ذلك شيء فقال له هاهو قدامك خذ منه ماتريد فقال عتمان سمعا
وطاعة ثم أن عتمان أخذ ما أراد من ذلك وطلع الامير وغلق الابواب وسلم
المفاتيح الي على المهندس وسار يوصى عتمان بالكتمان فهذاما كان من أمر هؤلاء
(قال الراوي) وأما ماكان من أمر عتمان فانه خرج من البيت وصبر الي آخر
النهار لانه قال اللهم صبرنى واعنى على كتمان هذا الامر الي آخر النهار فلما
وصل الوقت ترك الامير فى مكان اقامته وسار هو الي باب الديوان واقام واقفاً
الى ان نزلت الدولة والرجال ونزل القاضي وقال له طق فى عينك ياقاضى أنت
وابيك وانظر ما أعطانا الله تعالى من حطام الدنيا الفانية فقال له القاضي اريني
ياشيخ عتمان فاخرج له من جميع الاصناف فلما رأي ذلك كبرت علته وكادت
ان تنفطر مرارته وقال ياعتمان حدثنى عن ذلك المكان الذى وجد فيه هذه
الخيرات العظام فقال ياقاضى اعلم اننا نزلنا نشترى لنا بيت احمد بن اباديس السبكي
فوجدنا فيه من القيعان كذا وجعل عتمان يصف للقاضى اوصاف ذلك المكان
وقال له وجدنا فيه قاعتين فيهم كذا وكذا وحدثه بما رأي الامير في
المكان بالحرف الواحد فقال القاضى وقد كادت روحه أن تخرج من
عينيه هذا شى لايحصيه القلم ويكل عنه الواصف ثم تركه عتمان ومضى الي

حال سبيله وترك القاضى يتقلب علي الجمر (قال الراوى) واما أيبك فأنه التفت الى القاضي وقال له أنت سبب ضياع فلوسى ومتاعي وهذا الرجل بيبرس رجل مسعود وانظر الى نفسك انك كلما تدبر له لاجل هلاكه يعلوا به شأنه ويعظم سلطانه وقد أخذ مالنا واحتوت يده على بيت الوزير احمد بن اباديس السبكى وما حوى من الامكان وكيف اخذ القايات والبيوت والحجيج فقال له القاضى اصبر وما صبرك الا بالله واعلم انه قد آن الاوان وقرب موته وهلاكه وانه قد دنت حياته وسوف ترى ذلك عيانا وانى ابشرك بان هذا البيت لرأسك خاصة ولا احد ينازعك فيه فقال له دبر لنا تدبير يكون مناسب في هلاك هذا الديوس فقال له سمعاً وطاعة ثم بعد ذلك انصرفوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر الملك الصالح فانه ذات يوم من الايام ظهر وجلس على التخت وقد تكامل الديوان وجسلت الرجال وراق الديوان وقرأ القاريء وختم ورقى الراقي وختم ودعا الداعي وختم وصاح شاويش الديوان يقول صلوا وسلموا على طه الرسول

لا تغرنك الدنيا وما فيها فاصرف هواها وحاذران تمانيها
فما هي بعد العز الا زوال وما تراه ذاهب فى نواحيها
فاغتنم وقدم بين يديك فعلا تراه فى الآخرة يعانيها

قال الراوي قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المعطى المالك ثم ان الملك اراد أن يدندن ويهمهم ويترجم وقد قال يا حاج شاهين أنا عبد الله وأنت عبد الله وأنا أعطانى ربى فلاى شيء تخانقنى والذى أعطاه واجده من يقدر يعانده فارجع يا شاهين عن الحسد وابعد الطير عن الطير والطير نهب الطير والطير بقي طير من طير وكبرت حوصلته فقال له الاغا شاهين ما الخبر يا امير المؤمنين فقال له الملك انا رجل عبيط فلا تؤاخذنى فى كلامى فالله تعالى يسبل عليك ستره ويجعلك عزيزا مهابا سيدا في الدارين فقال

الاغا شاهين اللهم تقبل سبحانك اللهم وبحمدك خلقتني ورزقتني وبعشرة هؤلاء السادات اختبرتني اللهم لاتحرمني من أسيادي بجاه سيد العباد (قال) واذابالقاضي تحرك من مكانه ووقف في محل الطلب بعدان جنح طيلسانه وقبل الارض بين يدي الملك وقال نعم ياأمير المؤمنين فقال الملك مالك ياقاضي قال القاضي ولدك المحفوظ المنصور الامير بيبرس الذي سعادته تضيء على وجهه كالمصباح قد اشترى بيت احمد بن اباديس السبكي ولقى فيه لقيات عظيمات فقال الملك حق يادايم ياعلام الغيوب ان بيبرس لم يطلع هذا النهار الى الديوان فهذا دليل على اثبات قول القاضي انه لقي لقايات عظيمات ودليل على انه اشتري بيت الوزير احمد بن اباديس فذاك دليل على اثبات قول القاضي وقال انه كبرت نفسه على الوزير والملك وان اصله مملوك من الكفار ولايرجع الفرع الالاصله فقال الوزير شاهين ان بيبرس لم يتكبر ابدا على أمير المؤمنين وانما انت الذي أمرته ان لا يأتي الي هنا الابعد ان يشترى له بيتاً فقال الملك ولكنه اشتري البيت فلاى شيء لم يطلع الي الديوان هذا الدن خر الخردل الاكال الهريسة بالسمن البقري الذي يلبس القفطان الاحمر المزوق فعند ذلك ظن القاضي ان الملك اشتد به الغضب وكذلك الوزير ايبك فبينما هم كذلك واذا بالامير بيبرس يقبل الارض قدام السلطان وهو يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

يا سيداً حاز السيادة كلها ومليكا ملك الفضائل كلها
الله يعطيك الفضائل كلها على جميع الخلائق كلها
ويعم امرك بالفضائل كلها بحق ماجاء في ألم نشرح وتنزيلها
عبدك وخديمك الآن قداتى بنفس ذليلة يريد اعتزازها

قال الراوى فلما سمع الملك شعر الامير ونظمه وكيف انه مدحه ودعا له فقال الملك وقد زال ما به من الكلام الاول وقال الله الله يا شاهين اللهم عمر بك الارض والبلاد وجعلك الله ملكا وسلطان اللهم اقم سعده اللهم هلك ضده

تعالى ياسيدي بيبرس انت حق اشتريت دار احمد بن ابا ديس السبكي قال نعم فقال ان القاضي يقول انك لقيت فيه لقية كبيرة قويه فقال بيبرس انا لا رأيت فيه شيئا لا قليل ولا كثير فقال القاضي انا اخبرني بذلك عثمان بن الحبله واوراني الاماره وشهد بذلك الوزير ايبك فقال الملك انت المدعي وايبك شطر والشطر كالعدم ولكن لا بد من ارسالنا الى الاسطى عثمان و نسأله عن ذلك الامر والشأن فان هو اقر فلا عذر له وان لم يقر فلا بد ان تقوى هذه الدعوي ببينه أخرى والا فدعواك باطل سر يابيبرس وأتي الينا بعثمان فقال له بيبرس سمعا وطاعة ثم نزل الي تحت القلعة وصاح ياعثمان فقال عثمان حنش يا كلك من بيضك انت مالك قال له تعالى حتي أقول لك فقال له عثمان يمني سر مدغدغ اخبرني بما اتيت فيه فقال له انت قابلت بالامس القاضي والوزير ايبك واعلمتهم بالعبارة فقال له عثمان قابلت ايبك والقاضي واخبرتهم بكذا وكذا واعاد عليه مادار بينه وبين القاضي من الكلام وكيف اخبره بجميع الاحوال فتأسف الامير وقال ياعثمان القايات للسلطان وهذه دعوي كبيره وانا انكرتها منه وهاهو طالبك قال عثمان أموجود سلطان غيرك يامفش روح انا وليتك سلطان بدل من ابو جوطه واوليت عقيرب وزير ميمنتك بدل من ابو فرمه فقال الامير ياعثمان دعنا من هذا الهزيان وتعالي معي الى السلطان فقال عثمان روح قول للملك عثمان عصي عليك ولا رضي يأتي اليك فقال الامير ياعثمان سر بلا قلة أدب فقـال له عثمان سير وانا أسير معك واذا سألني أخبره بما جري فقال الامير لا ياعثمان اذا سألك انكر ذلك هذا وقول له القاضي كذاب ونحن لا رأينا شيئا ولا نظرنا شيئا ولا معنى خبر بشيء فقال عثمان السمع والطاعة ثم ان الامير سار بعثمان وطلع الى الديوان فبينما الملك جالس واذا بعثمان يضرب برزته باب الديوان وهو ينشد ويقول هذا الموال صلوا علي ولد عدنان

ظنوا العـدا اننا متنا وما متنـا وتباشروا بالفرخ فى طول غيبتنا

وان هون الله ورجعنا مثل عادتنا   فى منقع الخط نجعلهم غنيمتنا .

صباح الخير عليك يامعلم صالح الفاتحه فى صحايفك وصحايف الاصطبل الذي ربى صغرك وعلمك ضرب الكفه والحديده قال القاضى قبح الله ذاتك هو سائس يامقوت قال الملك السايس ماله ياحاج ساهين رضي الله عن القنبر خادم الامام الاكبر قال عتمان صباح الخير يابو فرمه خيرنا عليك قناطير وبواطير احفظ سكر بنها قال الوزير أخذت قدر حقه مائة مرة قال عتمان صباح الخير عليك ياابيك اللقيط قال ابيك مرض يلقط عقلك فلاح خطاف عمايم قال عتمان صباح الخير عليك ياعين البسارْيه قال علاى الدين اخرس يافلاح ياكلب قال عتمان صباح الخير عليك ياقاضى يامنقرش يامقلة الزغل يااللى من المطفة الظلمة الضيقة ياعدو الجدود قال القاضى صباح الخير عليك ياشيخ عتمان قال عتمان مرض فى قلبك اكتر ماجاء لك ياابن القحبه بعد الفاتحة تسمع خير يامعلم صالح قال الملك خير ياعتمان احكي لى ماجرى قال عتمان عز الله جل الله ما فى الكون غير الله قول معي انت يابو جوطه لااله الا الله عليك ياقاضى غضب الله قال الملك لااله الا الله قال عتمان نزلنا من عندك نهار الخميس صلينا الجمعة في جامع طيلون وعملت على كل واحد من المصلين قرش فى كل رقمه وأخذت حوائجهم فحضر الاشقر تكلم معي رديت الحوائج لاصحابها وسرنا الى حالنا قابلونا الدلالين فرجونا على بيت الوزير احمد ابن اباديس رحنا الاصحابه عشقوا الاشقر اعطوه البيت من غير فلوس وقد جاب المهندسين فحضر الرجل على المهندس قال له اطرد خديمك فلا رضيت قال له هذا رجل صاحب سر وفتح المحلات فدخلنا كلنا راينا ستة عشر صندوقا على اللواوين الاربعة من الذهب البندقى وهذا من الجراهر الكبار وهذا من المعادن والحجج ومن الخيرات العظيمات ثم اخرج له ما كان هناك وأخذه قال الملك ياعتمان القاضى يقول اللقيات للسلطان ولكن هذه اللقيات لمن ياقاضي قال القاضى لك

ياأمير المؤمنين تتعاون بهما على الغزوات والجهاد في طاعة رب العباد قال الملك وجميع مالقاه بيبرس وهبة مني اليه هبة كريم لا يردفي عطاه فماذا تقول ياقاضي قال القاضي هذا شيء لا اعرفه ابدا يامولانا غير اني اقول ان هذا بيت كبير والاولى ان كل واحد من الدولة يأخذ منه قطعة ويعملها بيتا لنفسه لاني اعرف ، انه يزيد على خمسة وسبعين بيتا فقال الملك يابيبرس انت اشتريت ذلك البيت بكم فقال له ياأمير المؤمنين اشتريته بهذه القنطارية وانها وزنها مائة رطل ابا ديسي مطلسمة ياأمير المؤالنين قال الملك وهل رأيت أحد غيرك حملها ولعب بها قال لا ولكن قد ذكروا لي انه قد جاء ناس كثير ولا أحد قدر يرفعها من مكانها وما هي الا مكتوبة باسمي فقال اوضع القنطارية ها هنا في الديوان وانا افصل لكم هذه القضية فعند ذلك وضعها الامير بيبرس فقال الملك كل من له مقدرة يلعب بهذه القنطاريه ولو دورا واحدا فأنا أعطيه شيء من البيت يعمله لنفسه وانا كذلك لاني اريد ان آخذ منه قطعة وانا اول من يلعب بها ثم ان الملك قام وتقدم الي القنطارية ومسكها بيده وقد وضع عليها شيئا من اسراره فصارت مثل جبل أحد واراد الملك ان يرفعها بعد ذلك فلا قدر عليها (قال الراوي) وما فعل الملك ذلك الا خوفا من القاضي ان يلعب بها لما يعرف الملك من شدة خبثه ولوكان الامير بيبرس اراد ان يلعب بها في ذلك الوقت لما قدر من السر الذي وضعه الملك عليها (ياساده) ثم ان الملك عاد الى مكانه وقال ياحاج شاهين هذه ثقيله قويه قم انت العب بها فقام الوزير فلم يقدر ان يحركها وكذلك الامراء فقال القاضي انا العب بها ولي نصف ذلك البيت ياأمير المؤمنين فقال الملك لك ذلك ياقاضي اذا انت لعبت بها او نقلتها من مكانها قال وكان القاضي يقدر علي ذلك كما ذكرنا وما منعه من ذلك الا وضع يد الملك الصالح عليها لانه اودع فيها سرا خفيا لا يعلمه الا الله هذا وقد نهض القاضي على الاقدام وشمر عن ساعديه وتقدم اليها ومسكها وتجبر عليها بهمته

وجذبها بقوة واراد ان يرفعها فوجدها ثابتة كانها ملحومة في الارض بالرصاص المذوب هذا وقد ضرب مدفع السلامة فتضاحكت الرجال عليه وقال له الملك ما هذا ياقاضي قال له ثيقلة يا أميرالمؤمنين فقال ايبك والله لقدراح منا البيت وراحت منا فلوسنا هذا وقد تقدموا اليها كامل الدوله ولا احد قدر يلعب بهـا بدا فقال الملك أنا اقوم اشوف نفسي ثانى مرة حتى نصف البيت لانه بيت كبير ياحاج شاهين ثم ان الملك قام اليها ثانيا ومد يده اليها فأخذ الامانة التي كان قد وضعها عليها ثم رجع وقال والله ياحاج شاهين انها ثقيلة فهل تقدر ان تلعب بها يابيبرس قال نعم ثم قام الامير اليها واخذها فى يده مثل العصاولعب بها اوفى من عشرين باب فقال الملك يا سيدى بيبرس هنيت بما عطيت والله ياحاج شاهين يستاهل علة على قلب المتضايقين انزل ياسيدى بيبرس اعمل لنا عزومة فى بيت احمد بن ابادیس السبكى وتكون عزومة كبيرة فقال سمعا وطاعة (قال الراوى) فبينماهم فى ذلك الكلام واذا بابى على الرداد يقول كل عام وانتم طيبين البحر اوفى وزاد فقال الملك الصالح بشارة عظيمة مباركة يابيبرس اعمل العزومه فى هذا اليوم حتى ننزل نجبر البحر ونأتي الى عندك فقال بيبرس سمعا وطاعة هذا والقاضي وايبك قد كبرت علتهما هذا والامير بيبرس اراد المسير الى منزله لاجل العزومة فتقدم اليه الاسطى عثمان وقال له خليك انت قاعد وانا اعمل العزومة فقال له بيبرس جزاك الله خيرا يا عثمان ثم ناوله قرقاس من الذهب وقال خذ هذا وامضى الى بيت احمد بن ابادیس السبكى واعمل العزمة حتي ناتى فقال عثمان سمعا وطاعة وسار عثمان وجميع الطوايف العكرة وقال لهم تشمروا وتحرموا مولانا اراد ان يعمل العزومه لابو جوطه ثم انه اشترى عشر قناطير بصل من تحت القباني وحملهم مع الرجال وسار الى بيت ابادیس ووضعه فى وسط الحوش وقال للسياس هاتوا القزانات الكبار واملوها بالماء وركبوها على النار وقشروا البصل وحطوه فيها

حتى أعود اليكم فقالوا له سمعا وطاعة ثم انه تركهم وصار الى العطار وقال له هات السبعة صباغات كركم أصفر وعصفر ملون برتقاني وزنجار عراضي وبقم احمر وبقم أسود وكمون كرماني ونيلة زرقا فاعطاه العطار فسار به الى السياس ووضع كل قرطاس في قزان واطبق عليهم الغطايات وكانوا السياس وضعوا فيهم البصل المقشر فلما أقبل عتمان امرهم بزيادة النار فزادوا فيها وقد صعد الدخان الى العنان فهذا ما كان من عتمان

(قال الراوى) واما ما كان من الملك الصالح فانه كشف على عتمان وفعاله فصار يدندن ويقول يا حاج شاهين الرجل عبيط وأنا عبيط وكل ما عمله فهو عندي مقبول وانا راضي بفعاله لكن الفضيحة لا يرضي بها احد من الناس ولا يرضي بها رب الناس. ولكن انزل يا بيبرس الى عتمان وانظر انكان عمل العزومة والا لم يعملها فقال بيبرس السمع والطاعة ثم انه صار من ساعة ولم يزل سائرا حتى أقبل الى خضرة الجنه واذا بالدخان طاق من ساير الاماكن فظن ان عتمان هيأ لاشغال ففرح بذلك وقال الحمد لله رب العالمين ثم انه دخل الى عتمان فلما رآه صاح بالسياس وقال اشتغلوا يا جدعان فقالوا سمعا وطاعة فقال بيبرس ما الذي عملت ياعتمان فقال عملت شيئا عمركم ما أكلتوه أبداً فقال له أريني اياه فقال عتمان ها هو بين يديك فتقدم الامير وكشف القزان الاوو فرآه أسود مثل الحبر فقال ما هذا يا عتمان قال له أضرب الكبشة تري العجب فضرب الكبشة واذا به بصل أسود غير مستوي فقال ما هذا يا عتمان قال له هذا يخني اسود لاذقته في عمرك ذقته انت ولا ابو جوطة فقال وهذا ايش قال يخني احمر قال وهذا قال يخني ازرق وهذا أخضر وهذا أصفر ولم يزل كلما تغير لونا من هذه أشتد به الغضب وجعل يلوم عتمان على هذه الفعال وقد أمر بكب كل مافي هذه القزانات ووقف يدبر أمره ويتفكر في نفسه

وفى ماجري له من فعال عتمان وان الملك الصالح لابد من مجيئه في ذلك النهار لاجل العزومة فانشد يقول صلوا علي طه الرسول

من الكريم على من فضله وجاد باحسان وفضل وأمنان
وجاد ببيت كبير واسع مرسوما برسمي من سابق الازمان
ولقيت فيه من كل معادن وجواهر وقواطع ويمان
ورأيت فيه كل حجة مشبوتة من ارض مصر الى العدنان
كذا الصعيد وجرجا وغيرها وكم حزت فيه امكانا وآمان
وعاندني شيخ الاسلام تعمداً واراد نزعي وقتلى على الامكان
وساعدنى وأعاننى عليه ربي وفزت بالبيت حقا على الاقران
ولعبت ادوارا بقنطارية احمد السبكى وزيرا مدبرا يا اخوانى
وعزمت الملك ثم كامل جيشه والزمت بذلك اخى عتمان
فاتى الى المكان بجيشه ورجاله وفعل فعالا من نزغة الشيطان
واني تحيرت في أمره وفعاله والامر لله الواحد المنان

(قال الراوى) ثم ان الامير بعدان فرغ من انشاده التفت الى عتمان وقال له امضى واحضر لى شيخ الطباخين وجماعته فاجابه الى ذلك وسار وقد اخذ دزته ومضى الى قهوة الطباخين فوجد الجميع جالسين فاقبل من خلف الشيخ وضربه بالرزة بين اكتافه فالتفت اليه الشيخ بسرعة لينظر من الضارب له واذاهو عتمان فقال له ما الخبر يا اسطى عتمان فقال عتمان الفاتحة فقال له الفاتحة من خلف ام من امام قال له كلها طرقات سالكة فقال له والذي تريده ماهو قال له تأتي انت وعيلتك الى بيت احمد بن اباديس تكلموا الدولاتلى فقالوا له سمعا وطاعة ثم ان الشيخ جمع الطائفة وسار من تلك الساعة الى ان وصل الى بيت الوزير فلما رأوا الامير سلموا عليه فترحب بهم وقال للشيخ أريد منك سماط طعام فيه من جميع الالوان ويكون ذلك كله فى ساعتين من غير زيادة وكلما طلبته فهو حاضر بين يديك فقال له اذا كان الامر على ما ذكرت فانا اصنع لك ذلك

بشرط ان تمنع عنا عثمان ورفقاه وأما اذا كان معنا فلا نعرف السماط ولا في عشرة ساعات فقال له لك ذلك يا اسطى ثم أن الامير بيبرس احضر عثمان واوصاه بذلك الامر والشأن وحلفه بالسيدة انه لا يتعرض لهم في شيء ثم صار الطباخ يرتب اشغاله وكل شي حاضر بين يديه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك الصالح فانه التفت الى الوزير وقال له يا حاج شاهين تقوم بنا نحضر والعزومة عند بيبرس لاجل يحصل لنا أن شاء الله السرور ويكشف عنا كل هم وضرور لان الله ماخلق أحسن من جبر الخواطر قوم بنا ياشاهين نفك الضيق فأن فيها اغاظة الاعداء وفرح كل صديق فقال الوزير الامر امرك ياامير المؤمنين امدك الله بالفتح المبين (قال الرارى) هنا لك قام السلطان قدام الجميع والدولة من خلفه حتى وصلوا قلعة الكبش الذى فيها محل المقصود ودخل الملك منزل احمد بن اباديس السبكي وعند الدخول كان السلطان دخل اولا وتبعه الوزير والاكراد وبقية الدولة والامراء وغيرهم وعندما دخلوا في الدهليز وبقوا في رحبة الحوش أخذ السلطان ذات اليمين وقال ان هذا طريق المؤمنين الصالحين واما اليسار فانه طريق الكفار واخيرا ياشاهين مأواهم النار (قال الراوي) وما دام السلطان يتفرج على ذلك الاماكن صناعة المهندسين الي ان وصل الى القاعة التى كانت تسمي الجنة ونظر السلطان اليها فأعجبته هو والوزير فجلس السلطان وأمر الوزير فجلس وكذلك ارباب الدولة كلا على قدر مرتبته من عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس كعادته (قال الزاوى) ياسادة يا كرام صلوا على خير الانام وأعجب ماوقع من العجب ان القاضى والوزير ايبك والامير قلاوون وعلاى الدين ومن يلوذ بهم من تلك الطائفة المخالفة فأنهم كانوا في آخر الناس ولما دخلوا الى حوش البيت ونظروا السلطان واتباعه توجهوا فكانوا مستعجلين لاجل الفرجة على ذلك الدار وساروا علي

جهة اليسار وكان القاضي أمام الجميع سار الى ان انتهى بهم الى القاعة التي كانت تسمى بالنار الحمرة فقال القاضي لاصحابه فما يكون احسن من هذه القاعة في هذا الدار وجلس القاضي ومن معه وقد كان السلطان ومن معه بلا تشبيه ولا تمثيل في التقدير فريق في الجنه وفريق في السعير (قال الراوي) وأما عثمان بن الحبله لما نظر الي ذلك ورأي دولة الملك الصالح انقسمت كذلك قال عثمان ما أحسن هذه القسمة التي لا كانت على بال أحد ثم انه مضى الى الطباخ وقال يا طباخ اعلم ان ابو جوطه وابو فرمه والناس الذين معهم دخلوا الجنة وأما اعداءنا الكلاب دخلوا النار وأنا وسر المبرقعة ان ذاقوا طعامنا لاقطع من الدنيا رزقك فقال له الطباخ واذا وضعنا الطعام يأكل الخاص والعام قال عثمان هم متفرقين يا ابن القحبة قال له الطباخ استريح انت يا عثمان ثم أن الطباخ امر واحـد من غلمانه فمضى واتي له بفرد من الصبار فلما حضر جعله تحت يده وبعد ذلك تقدم وغرف الطعام وتقدمت الفراشين والصحنجيه ورصفوا علي الطبالي وحملوا على رؤوس الطبلجيه ودخل معلم الفرش وفرس البيت ووضع الكراسي ووضع فوق الطباق النحاس ورسم القبب بالطبر من صناعة الحلوانية وصواني البقلاوه والفطورات من صناعة الفطاطريه ورسم مناظر الاضلاع المحشيه والقوازي وصار يرسم كل شيء في محـل حتى أوفى مايليق بالحاضرين وبعـد ذلك صـاحت الجاويشيه بسم الله هنا لك تقدم السلطان وسمى بسم الله وكذلك الوزير واهل الدوله كبير وصغير وجعلوا يأكلون ويلذون ومع بعضهم يتحدثون وأما حضرة القاضي فانه كان في النار كما ذكرنا وصحبته الوزير ايبك وعلاي الدين ومن يلوذ بهم فاتفقوا انهم اذا حضر لهم الطعام يأكلون منه وما بقي يتلفوه فبينما هم كذلك واذا بالفـراشين قد حضروا وفرشوا البيت ورصـوا عليـه الاطعمة حتي انه رسم السماط وقال بسم الله يا سادات وكان المعلم الطباخ مزجه بالصبارة فتقدم القاضي وايبك ثم وضعوا ايديهم وأرادوا ان يأكلـوا فطورات

وبقلاوات واذاهم على هذه الحالات ومثلها الحلاوات فتركوا الجميع واتبعوا الخضارات
فرأوها على هذه الصفات فقال ايبك آه يا قاضي كيف نحن نقعد بالجوع والله وبالله
أنت رأيك فاسد لو كنا مع بعض شاه كنا اكلنا معه فقال القاضي تفضلوا بنا وقام
القاضي اولا وتبعوه اصحابة وقال امشوا بالعجلة لاجل ان نلحق سماط السلطان
ياوزير ايبك قال الوزير ايبك هيا ياعلاي الدين وعلاي الدين يقول هيا يابشتك ويا
سنقر وتموا سائرين حتى وصلوا الى محل السلطان الصالح واذا به اكل واكتفى وقام
كل من كان على السماط وسمعوا السلطان يقول الله الله اولا في الدخول اهل الجنة للجنة
واهل النار للنار لان أهل اليمين مشوا يمين وأهل الشمال مشوا شمال يا حاج شاهين
وأمامن جهة المأكول فى الجنة فان الله حرمها على الكفار وبعد ذلك قال بيبرس
لعثمان كل من أكل فى آنيه من هذه الاوانى ارسلها الى بيته فقال عثمان تعالوا
يا خدامين ابو جوطه لخضر ابو الخير سايس الشهبة فقال له عثمان انت ياعم
الجدعان ماأكلتش هات رجالك ولما حضر سياس السلطان قدم لهم طبق ورص عليه
أربعة آنية من الموصوف بالذهب المرصع بفصوص المعادن وأمرهم عثمان ان يأخذوهم
ويمضوا بهم الى سراية السيده فاطمة شجرة الدر وكذلك مثلها الي السيده فاطمة
الكردية وفعل كذلك الى سراية الوزير الاغا شاهين الافرم وكذلك أيدمر البهلوان
وكافة من له مفهومية فيهم لمحبة الامير بيبرس حتى فرق جميع الاوانى هذا ما كان من عثمان
(قال الراوى) وأما ايبك فانه التفت للقاضي وقال له ان كل من اكل طعام يأخذ
أوانيه له نحن نرجع الى محلنا ونأخذ أوانى طعامنا ثم انهم رجعوا الى المحل الذى
كانوا فيه ينتظرون الاواني فرأوا على رأى من قال هذين البيتين

ساروا وسار الربع يندبه الثري ... قلت بانو فما بانو
فاسأل منازلهم يجيبك يا فتى ... فاتو بها وكانهم ما كانوا

(قال الراوي) لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب صلوا

على طه الحبيب فلما وصلوا الي المكان فما وجدوا لا طعام ولا اوانى والسبب في ذلك ان عثمان بعد خروج القاضى خلا بنفسه وكب الطعام ورفع الاوانى وأما الملك الصالح بعد خروج الناس من الاكل ومن الشرابات فذكروا الله فى ذلك المحل وبعد تمام ذكر الله وفروغ المجلس قال اللهم اجعل هذا البيت عامر بما فيه الى يوم القيامة فلستجاب الله دعاءه وبعد ذلك اراد الانصراف واذا بعثمان أقبل الى السلطان عند قيامه وقال له استنا يا جدع قال السلطان مرحباً بك يا شيخ عثمان فقال عثمان انت يا ابو جوطه قلت انها لقمة عرس تاكل وتنسلت يا جدع البيت وحده من غير ونيس ما ينفعش وانما تقول للاشقر يعمل قيصريه بدكاكين وربع فوق كل صف من الدكاكين وتكون قيصرية مملوك حارة كامله بيوتها ودكاكينها محفوظين وتختم لاستاذي علي فرمان سلطانى بعدم مرور المحتسب والوالى فيها لا نهار ولا ليل لاجل ما يتشرف مملوكك على مملوك غيرك لانه مملوك السلطان وكل حاكم حرص فيها يكون دمه مهدور للجلاوي رغما علي انف القاضى المنقرش وايبك الغلبظ وعين البساوية الدمر وسر المبرقعة ياابو جوطه ان ماكتبت لى ما أقول لا أخليك تطلع الا اعمل خلاصى معك والاشكيك لام البيت (قال الراوي) فقال الملك الصالح وعليه بذلك يا عثمان هذا شيء ما فيه ضرر بل انه نافع إن شاء الله تعالى اكتب ياشاهين له فرمان دستور مكرم يعمل كلما شاء وا كتب له اشعار الي كافة الدولة أصحاب الاسلام المطلوق ممنوعين لا احد منهم يطأ ارضا يكون بيترس فيها لكون ان بيبرس مقدم على جميع ارباب الدولة تنظر السلطان اليه (قال اراوي) فعند ذلك كتب الفرمان الملوكي والاشعار السلطانى ووضع العلامه بيده الملك ووضعت اختامهم الوزراء وكبراء الدوله كما ذكرنا وبعد ذلك ركب السلطان ومشى الامير بيبرس في ركابه فأمره بالركوب فركب وسار علي اثر السلطان وكان الوزير شاهين فى الميمنة وايبك في الميسرة وما زال السلطان حتى دخل الى شارع السيده زينب رضى الله عنها

فنظر الخليج ممدود على ظهره خشب يدوس عليه المار من علي الخليج فقال الملك الصالح يا شاهين هنا يحتاج قنطرة لاجل راحة الناس في العبور فقال ايبك يا بعض شاه اؤمر بيبرس يعمل قنطرة هنا تبقي تنفع المؤمنين فقال له الملك الصالح صدقت ثم التفت الى بيبرس وقال له ابني ها هنا قنطرة ولكن تكون كاملة الاوصاف وكذلك كل محل يكون مثل هذا اجعل له قنطرة بالبنا الحجرة وعقد طيب بالمؤن الطيبة لاجل منع الضرر عن الناس عسى الله ان يرحمنا بسبب ذلك واذا مشوا الناس عليها بلا تعب يترحمون علي من بناها جيلا بعد جيل وانت يا ولدى يبقى لك فى العمارة صواب وأما أنت يا شاهين اكتب له حجه بعمارة أربعة قناطر علي طرف السلطنة ويبنى ايضا الحارة التى مراده بنيانها والدكاكين والاماكن لاجل ان يصير الشغل متواصل لا ينقطع ابدا فقال الوزير على الرأس والعين ولما وصلوا الى قلعة الجبل وحدوا القديم الازل جلس السلطان علي تخته وأمر الوزير ان يكتب الامر والاشعار الى بيبرس بعمارة القناطر وأخذ بيبرس الاشعار والامر ونزل من القلعه بعد ما رمى عليه الملك الصالح قفطان وقال له انت معمرجى باشا (يا ساده) وبعد ذلك خرج الامير بيبرس من الديوان فتلقاه عثمان ونظر الى ذلك القفطان فقال له مبارك لعلك ان تكون مشد تراب او آغة كلاب فقال بيبرس يا عثمان ايش هذا الكلام فقال له عثمان اياك تكون لبست صدأر مطبخ لاجل يبقى عندنا الاكل بكثرة فقال له بيبرس أنا لبسني السلطان معمرجى باشا يا عثمان فان السلطان لما طلع قصد مقام السيدة يروم زيارتها فنظر الى الافلاق الخشب كما ترى فأمرنى ان أضع محل الاخشاب قناطر ومرامى وانا رأيت ان تحضر لى شيخ المهندسين فقال له عثمان اذ كان الامر كذلك يكون أول المعاملة قنطرة المبرقعة فانها هى ام البيت وصاحبة الشورى فقال له انت حضر لى المهندسين فقام عثمان فى الحال واحضر المهندسين فلما نظر بيبرس اليه قام وركب واخذه الى مقام

السيدة زينب وقال اعلموا ان السلطان امرني ان ابني هنا قنطرة ولكن تكون غريبة المثال فقال المهندس يادولاتلي ان الطريق أعوج هاهنا واذا وضعنا جدار يبقي الصور أعوج ومع صورته يضرب فيه الماء فيكون سريع العطب فاذا كان ولابد من بنيانه فيكون قنطرتين قصاد بعضهم فقال له بيبرس افعل يا ابي الذي تعرفه فعند ذلك أمر الحجارة بقطع الحجر من الجبل وحضرت النحاتين ونحتوه وكذلك الجباسين وجهزوه في ايام قليلة وانعقدت قنطرتين التي تجاه السيدة وضع على وجه الواحدة سبع ذات اليمين ولبوة ذات الشمال وكذلك في الثانية فسموهم العوام قناطر السباع وكذلك عقد قنطرة في فم الخليج من خارج البوابة وكذلك الذي تحت عنهم وكان جدارها رخام وهو أساس القنطرة وسموه العوام الخليج المرخم وكان الامر كما ذكرنا ومن بعد تمام القناطر اجتهد الامير بيبرس في بناء الحارة والدكاكين وأربع من فوق الدكاكين ودار الامر كذلك حتى انتهت الحارة من البناء فكانت كلما تكلفوه على طرف السلطان من احجار ومؤنة واجرة صناعة وأما الحارة فانها كانت على طرف الامير بيبرس وبعد ذلك دخل المهندس وقال له يادولاتلي اعلم ان الحاره تمت فنهض بيبرس وتفرج على ذلك الدكاكين والاربعة قناطر والحارة والبيوت فعند ذلك جلس الامير بيبرس في بيت أحمد بن أباديس وانعم على المهندس والنقاش وكذلك أرباب الصنائع وجبر الله الجميع وطلعوا جميعا حامدين شاكرين (قال الراوي) وبعد ذلك قال بيبرس ياعثمان مرادى منك ان تأتيني باناس يكونون من أرباب السبب والصنائع فقال له عثمان سمعا وطاعة ثم ان عثمان طلع الي السوق ونظر الي بعض أناس بشارع الصليبة ونقا عشرة أنفار منهم اثنان زياتين واثنان خضاريه يابس وخضارية أخضر واثنان جزارين خشن وضان ورجل علاف ورجل مزين ورجل قهوجي ورجل فكهاني فلما اوقفهم بين يدى الامير بيبرس قال لهم أنتم ايش صنائعكم فعرفوه صنائعهم فقال للزياتين انتم تكونوا في باب الحارة وقد رتبهم علي اليمين وواحد على الشمال ومن بعدهم الخضاريه الخضري الناشف ذات اليمين والخضري الاخضر ذات الشمال وهكذا الى آخر العشرة

وقال لهم انتم أول ناس سكنوا في ملكي فكل واحد منكم ياخذ مني ثلاثمائه دينار مائة يشـتري بها سبب و مائة تكون أرضية على الجابي الذى يأخـذ الاستئجار والمحتاجين لربما يكون محتاجا يأخذ شيئا ولم يكن عنده دراهم فلاتردوه واعطوه وعندما يتيسر الحال يأتى لـكم بحقكم وأما المائة الثالثة فتـكون بيد الواحدمنكم نقدية لاجل التوسع فى الاخذ والعطا هذا الارباب السبب وكذلك القهوجي واما المزين فانه يحضر عدة طينة وهي مرايات وطشوت وطاسات وبشاكير ويأخـذ الثلاثمائة دينار كجيرانه ويستغني المصرف حتى تدور دكانه فان الواحد لايعلم محله ولـكن يشرط ان البيع لايكون الا بالجد والانصاف ولا يكن فيه غدر على خلق الله والرطل الزياتي أربعة عشر وقية وها انتم جميعا كل واحد منكم يبقى له ثلاثة رسامال رأس مال سبب فى دكانه ورأس مال فى جيبه نقدية ورأس مال عنـد الزباين لاجل عدم المضايقة ولـكن بشرط ان تكون العدد نضاف قوية وكذلك شربة الزيات نظيفة وكذلك الميزان وعدة القهوجي كمثل الملبوس النظيف مع عدم الوسخ وكل من سكن فى دكان يحط اولاده وحريمه فى البيت الذى فوقه وأجرة الدكان والبيت سبعة سنوات من غير اجرة ومدة السبعة سنوات مؤنة بيته من القمح والسمن وكل ما كان يلزم بشرط انـكم تكونون علي ملازمة صلاة الوقت ولا أحد يتأخر عن صلاته ابدا وايضا السقا والزبال علي طرفنا بشرط النظافة من جهة الرش والكنس وكل واحد يعلق قنديلا على باب بيته وقنديل فى الدكان من المغرب الي الصباح هذا لامقطوع ولاممنوع يكون حفظا لمتاعنا ثم انى اعلمكم ان لايدخل حارتى محتسب بالنهار ولا والي بالليل لاجل انكم تكونون آمنين فى الليل والنهار من الطارق بشرط عدم النقص فى الاوزان وعدم الزيادة في الاثمان وبعد ذلك فكل من كان يريد السكنى فى املاكنا على هــذه الصفة فاخبروه بذلك وكل من اراد فليحضر والله تعالى يسبب لـكم فقالوا يادولاتلي سمعا وطاعة فعند ذلك دفع لهم الامير كل واحد ثلاثمائة دينار وسمعت به الناس فحضر ناس كثيرة ورضوا

بذلك الشرط ولا مضت ثمانيه ايام الا والحارة عامرة من الدكاكين والبيوت مسكونة وصارت الحارة عامرة ليلا ونهارا (قال الراوي) وصارت هذه الحارة بيع وشرى مع عدم الجور والاسراف وتبعتها النساء والرجال وسكنوا فيها عطارين ودخاخنية ونقليه وحلوانيه وفطاطريه وقد امتلأت الدكاكين وكان يزيد على التسعين دكان وخلفهم وكائل وفوقهم أماكن الي السكنه فصارت هذه الحارة لم يكن مثلها ابدا ولما نظر بيبرس الى حارته وازدحام الناس وطلب المساكن والدكاكين فعمر أربعة حارات وجعل فى كل حارة جامع ومساكن يسكن فيها الناس وسماهم باسمائهم زخططاهم وهم حارة عمر شاه متركب قنطرة عمر شاه وحارة لالاه وحارة مسكة وحارة الجودريه وهؤلاء الحارات مشهورين الى وقتنا هذا لان الدكاكين بحارة الامير بيبرس كثيرة وأما البيوت البيب الواحد متركب على دكانين او ثلاثة فبقت الساكنين سكنوا عيالهم فى تلك الحارة واقاموا دكاكينهم (قال الراوي) وكان رجل صناعته مزين ودكانه بجانب حمام باب البحر وعادته انه كل يوم فى الفجر يشتغل في كاره يعنى يحلق ويحجم حتى اذا قرب الظهر يتصافا مع زوجته ويتمم نهاره فى بيته الي يوم من بعض الايام اشترى من حارة ايبك التركمانى اربعة أرطال لحم بدرهمين فضه وخمسة ارطال باميه بنصف ردهم ونصف رطل سمن بدرهم فضه ثم انه مضى الى بيته فقالت له من اين أتيت بهذا ياسيدى فقال لها من حارة المعز ايبك فقالت خيبه الله هو وحارته والله ماهذا الا لحم نعجة عجوزه وهذه الباميه شايخه وهذا السمن فانه مخلط وثانيا وزنهم ناقص وكذلك اللحم كله عظام والاربعة أرطال فى حارة الامير بيبرس قدر هذا مره ونصف قسما بالله الذى لا اله الا هو لا يمكن ان تستريح فى هذه الظهريه ولا تراني ضجيعة ولا سامعة لقولك ولا مطيعة الا ان تقوم ترد اللحمه والخضرة والسمن الذى أتيت به من عنده وتروح تجيب من حارة الامير بيبرس فان الناس الذى فيه عددهم نظاف وملابسهم نظاف وبيعهم بالجد والانصاف كما أمرنا سيدنا محمد جد الاشراف (ياساه يا كرام) فقال لها

زوجها هذا اليوم مضى ومن الآن مابقيت اشترى الا من حارة بيبرس ولما كان
من الغدا اشترى نفقته من حارة الامير بيبرس فوجد فرق بعيد بين هذا وذاك
فى الوزن والفرط فى الثمن فعلم ان الحق فى ذلك بيد زوجته فحكي لاصحابه فى دكانه
وفى الحمام وتسامعت الناس بذلك فصارت حارة بيبرس هي أحسن الحارات التى
فى مصر وشاعت هذه الاخبار وصار كل من اشتري لمنزله شيئا تسأله زوجته من
اين جبت هذا فان قال من خلاف حارة بيبرس لازم ترجمه ولا تقبله والقي الله
محبة حارة بيبرس وسكانها فى قلوب أهل مصر نساءاً ورجالا هذا ماجرى صلوا على
خير الورى (قال الراوى) واما ماكان من القاضى صلاح الدين فانه سمع بهذه
الحارة التى أنشاها بيبرس فقال لابد لي من الفرجة فيها ثم انه ركب بغلته وسار
الى ان دخل تلك الحارة فوجدها كالبسان وسكانها كالاغصان وهم فى آمن وآمان
من تصاريف الزمان وكان ذلك آخر النهار بعد نزولهم من الديوان ولما نظر الى
تلك الحارة لحقه منها كل بلية وهي قدامه مثل العروسة المجليه وهي نزهة لمن يراها
فلما رأى ذلك ضاقت فى وجهه المسالك فتنهد تنهيد وزاد به غيظ شديد وضاق
صدره وعيل صبره لماله من العداوة ان يرجي بها المودة الاعداوة من عاداك فى الذين
(ياساده) فصار يتنقل من مكان الي مكان وعيناه فى أشد الغارات ودام ماشي وكتم
مابه من الحزازات حتي انتهى الى آخر الحارة ولما زاد به الغيظ التفت الى غلامه
وقال ايش رأيت بامنصور وانا والله ضاقت على جميع الامور وكلما افتح هذا
الغلام فاب ينجومنه بستر وحجاب ويعلوا قدره ويهاب فقال له الغلام وكيف يكون
الحال اذا كان تدبيرك كذاب والامر لابد له من خطأ وصواب فقال القاضي لابد
ان تتسبب فى انقطاع أجله بكل الاسباب (قال الراوي) وبعد ذلك ساروا الاثنين
وما زالوا سائرين حتي خرجوا من مصر ماشيين ووصلوا الى دير الطين وكان
بذلك المكان دير راهب لعين معرفة القاضى من مدة سنين واسمه مشمتين فلما
وصل القاضى الي الدير طرق الباب فطل ذلك الراهب فعرفه ونزل سريعا وفتح

له الباب وسلم عليه واجلسه الى جانبه ولما استقر به الجلوس سأله الراهب عن حاله فقال له حالتى حالة المسكين ذهبت منى كثير من الاموال ولا بلغت آمال وأنا خائف على دين النصاري الذي ما بقى له امارة لاسيما اذ ارتفع قدر هذا الغلام الذي اسمه بيبرس فانه لا يبقي لطائفة دين النصرانية ذكر لانه اذا صار سلطان على المسلمين لم يبقى لدين النصاري ذكر يذكر فى جميع اقطار البلاد فانه يهدم الديور ويجعلهم قصور ويهدم الصوامع ويجعلهم جوامع ويقيم شعائر المسلمين ويهلك النصارى أجمعين فعندذلك تعجب الراهب من القاضي وحار فى أمره وقال المسيح يكفينا شره ويمكننا منه ومن قتله حتى نعدمه مهجته (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بالباب طرق فطل الراهب وقال للقاضي ان الوالى حضر فقال يا راهب ومن هو الوالى فقال له هو حسن أغا الذى من اتباع المعز ايبك فقال له ولاي شيء أتى الى هذا الدير قال الراهب لانه نصراني وما هو مسلم فقال له القاضي اخفيني فى موضع حتي أرى كيفيته فعند ذلك أدخله فى مخدع (قال الراوى) ولما طلع الوالى خلع ما عليه من الملابس متاع الحكم والولاية ولبس النقملية وشد الزنار ووضع على رأسه قلنسوه وجعل الصليب بين عينيه وسجد للصليب لعنة الله عليه فبينما هو كذلك واذا بالقاضى قد أقبل اليه فرأي ماذكرنا من الفعال فقال له قبح الله ذاتك يا ممقوت انت نصراني نعوذ بالله منك ومن صفاتك لانه حل حرقك بالعين وسوف أعلم بك أمير المؤمنين (يا ساده) فلما سمع حسن اغا ذلك المقال قال له يا مولانا القاضي هو نصرانى وقد كشف الله لك ذلك وها أنت رأيتنى في فى الدير ولكن انت ما الذى أتى بك الي هنا وانت رجل قاضي شهير هل تري هذا الجامع الازهر اما نظرت الصليب على بابه والامارة وانه دير مخصوص للنصاري فضحك القاضى من هذا الكلام وقام قائما على الاقدام ووضع من على رأسه مقلته ورمي المخفظة وخلع فرجيته فبان من تحت ملابسه الفوقانية ملابس على بدنه نصرانيه فلما نظر حسن اغا الى ذلك فرح فرحا عظيما فقال له من انت ياقاضى الديوان قال انا هو جوان ابن عصفوط صاحب بحيرة يغره لم يكون فى بدنه طاهر ولا شعره فقال حسن اغا انت نصراني فقال نعم نصرانى صحيح

بشد الزنار ويعبد المسيح فقال له اقعد الى جانبي فانت بقيت اكبر حبايبي فعند ذلك جلسوا الاثنين فى المصاحبة والودادعلى شرب الخمور والفساد والضلال وعدم الرشاد وبعد ذلك صار جوان يبكي فقال له حسن أغا لاى شيء تبكي يا ابى فقال له اما تنظرمافعل بيبرس وكيف انه بنا حارةوجعلها أحسن حارات مصروجعل فيها مسببين وارباب صنائع وبقيت عامرة وكل ماتسمع بذلك تتوقد فى قلبي النار من هذا الحال محتاروفى غاية مايكون من الافتكار واريدمنك ياولدى ان تجتهد فى حرقهاوتصبحها خراب قفار لاجل ان يطمأن خاطري وتهدى سرائري فقال له ارتاح وانا فى الليلة القابلة احرقها لك من قبل الصباح ولايطلع النهار الا وهى رماد ودثار واتفقوا على ذلك الامر المحتوم وعند الصباح ذهب القاضي الى منزله بحارة الروم هذا ماجرى ياكرام صلوا على خير الانام واما ماكان من أمرحسن اغا فانه ذهب الى بيته ثم تفكر فيماطلب منه القاضى (قال الراوى)وكان لمصر سبعة ابواب * اولهم باب النصر * وباب الفتوح * وباب الحديد * وباب الشيخ ريحان * وباب القرافه * وباب الغريب * وكان كل باب منهم له مقدم يخفره من الداخل والباب السابع باب الحجر * وكان كل مقدم له رجال من تحت يده للخدمة والغفر ولكن الاكبرعلى جميع مقدمين الدرك بباب الحجر وهوالحاكم على الجميع والمتكلم عليهم يقال له المقدم مقلد مقدم البوابة وكان مقلد هذا من أولاد الزنا المسمية وهو رأس كل بلية ورأس كل حرامي وشرطي وخطاف عمايم وله رجال من تحت يده ايضا تغدو مناظرة على البلاد بالليل وعنده مفهومية فى القيادويده تدور على المرصين الذين يسرحوا الاولاد في مصر للخانات والذين يعرصون على النسوان كذلك وهو مستوفي الشروط جميعها (ياساده)فلما عرض هذا العارض على الوالى من جهة حرق حارة بيبرس فتصور له ان لا أحد يقدر على ذلك الاالمقدم مقلد فعندذلك أرسل الوالي الي المقدم مقلد رسول وهو يقول له تفضل الى الامير الوالى فانه عرضت عليه حاجة وهى لازمة اليك فقال سمعا وطاعة ثم انه لما سمع ذلك

الكلام نهض قائما على الاقدام وهو لا يخشى ملام لانه تربى على أكل الحرام والفسق وشرب المدام وركوب الآثام وهو كما قيل فى حقه هذه الابيات

ومقدم الف الشدائد كلها ومقلد بالشر والحرمان
وله على فعل الحرام جسارة ما يخشى من سطوة المنان
ويداه قد الفت على فعل الاذى وذوي الاذية عنده غلمان
قدره عظيم عندهم وعلي القبائح كم له نشآن
لكنه حقا ذليلا ناقصا عند الكرام معذب ومهان

قال الراوي ولما حضر المقدم مقلد الى بين يدى الوالى حسن أغا قام له على قدميه واجلسه بعدماسلم عليه واكرمه غاية الاكرام وامر باحضار الطعام فاكلوا وبعد ذلك حضر الوالى المدام وقال يامقدم انت نديمي وانا أحبك كثيرا لانك جدع وعمرك ما تخاف ولا تفزع ففرح مقلد بذلك الكلام وقد تعاطى مع الوالي المدام وبعد ذلك دار بينهما الكلام فقال الوالى يامقدم مقلد انالى عندك حاجة ولكن ما احد يقضيها غيرك ابش تقول فى قضاها فقال له المقدم مقلد ماهى الحاجة حتي ابذل مهجتي فيها واقضها لك فقال له ان هذا الولد بيبرس الملك الصالح يحبه كثيرا وانه بناحارة كبيرة واظنك شفتها وامر فيها السلطان ان لا يدخلها والى ولا محتسب لا في الليل ولا فى النهار فما خلصنا يامقدم مقلد وانى جئت اعلمك واريد منك ان تحرق حارة بيبرس وتجعلها خراب بعد العمار ولك عندي مائة دينار فضحك المقدم مقلد وقال له ارتاح يا أمير هذا امرهين واقرب مايكون عندى فلابد ان احرق هذه الحاره واحط على رأس صاحبها الفغاره ثم انه نزل بعد ذلك الاتفاق وكان هذا مقلد ببغض الاسطي عثمان بن الحبلة وبينهم من قديم الزمان بغضه وكان المقدم مقلد له غلام اسمه فضه فقال له يا فضه مرادى منك أن ارسلك الى كفر الجاموس ثم انه فى الحال كتب كتاب واعطاه الي فضه وقال تسير من هنا الي كفر الجاموس وتسأل عن شيخ العرب حرحش ياولدى وتعطيه هذا

الكتاب وتأتي من عنده بضده فقال له الغلام على الرأس والعين (ياسادة) وكان هذا حرحش شيخ منصر ويحكم على ثمانين لص وكلهم من أولاد الزنى واضل منه الا انه كان جبار ولكن كان فيه شيء من المروءة يحن على الضعفاء والمساكين وهو اذا رأى حرمة متوجهة من بلد الى بلد وتخاف من الطريق فكان يخفرها وكان اذا كان رجل متسبب وفقير الحال يمنع عنه أهل السوء ويقول هذا فى جيرتى وكانت هذه عادته واما اذا كانوا ناس تجار بالغين رشدهم فانه كان ينهب اموالهم وكان يتجنب سفك الدماء وفيه بعض من الملاطفة ولاجل ذلك ان الله سبحانه وتعالى يتوب عليه فى الآخرة لان الله يجعل لكل شيء سببا وتوبته فى كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة والسلام عليه

(قال الراوى) وان مقلد قال لغلامة فضه اذا وصلت الي شيخ العرب حرحش بالكتاب تقبل يده وتقول له ان سيدى مقلد مقدم البوابه يدعوك اليه فقال فضه سمعا وطاعة وأخذ الكتاب وسار به من تلك الساعة فلما وصل الى كفر الجاموس سأل عن دار حرحش شيخ العرب فدلوه عن الدار فلما دخل سلم على من فى الدار من القعود والقيام فردوا عليه السلام ونظر الي شيخ العرب حرحش وهو جالس فى صدر المكان كانه النمرود ابن كنعان فعند ذلك تقدم الى عنده وقبل يده فقال له من انت قال انا فضه غلام مقلد مقدم البوابة وهو قد ارسلنى اليك بكتاب وأريد منك ضده فقال هات الكتاب وقرأه واذا فيه من حضرة المقدم مقلد مقدم على دَرك بوابة مصر الى بين ايادى محبنا شيخ العرب حرحش حال وصول كتابنا اليك بعد اطلاعك علي ما فيه تحضر الى عندنا لانه قد عرض لنا عارض يحتاج اليك فلا بد تحضر ويكون فى صحبتك رجالك بالتمام فان الامر لازم لذلك والسلام قال فلما قرأ حرحش الكتاب التفت الى فضه وقال له سر اليه وقل له ينتظرنى بعد يومين اكون عنده فعاد الغلام من عنده

واعلم سيده بما قال فلما كان بعد يومين يا كرام وان المقدم مقلد له برج . ن خارج صور البلد من ظهر الحجر يقيم فيه هو ومن يلوذ به لقضاء اشغالهم وهو لا يبرح من ذلك البرج وهو الى الآن اسمه برج مقلد ولما كان في اليوم الثالث كما ذكرنا أقبل شيخ العرب حرحش الى برج مقلد فقام اليه وتلقاه وسلم عليه باحسن سلام وأكرمه هو ورجاله غاية الاكرام وفي الحال احضر لهم الطعام وحضر لهم جانب من البوظه ومن الحشيش وجانب من الخمر والمدام وبعد ذلك قال له مقلد هل تعلم لاي شيء ارسلت اليك قال له اعلمني فحكى له على حرق حارة بيبرس وخرابها والذي يتفق عليه من جهة حرقها وانا اريد منك يا اخي ان تحرقها وتكفينا شرها فقال له هي في اي مكان فقال له انها بجوار السيده زينب فعند ذلك رفع رأسه اليه وقال له يا مقدم هذا شيء قريب لكن لو كانت في غير هذا المكان وأما بجوار السيده زينب فما اقدر تقرب اليها ولا لي يد تمد اليها فقال له مقلد ولاى شيء فقال له هذه كريمة الدارين ولها اسرار مالئة الكونين وثانيا ذلك السبع المبارك المسمي بالعتريس وهو الوزير النفيس فان عليهم حفظ ذلك الاماكن ويحموا كل من كان يجاورهم ساكن ولا احد يبدي لهم ولا لجيرانهم سوء ولا مكروه الا مالوا عليهم واهلكوهم وانا قد سمعت الشاعر يقول في حقهم هذه الابيات

لذ بالكرام الطاهرين الاماجد وزرهما تحظى جميع المحامد
واخدم لخدام الكرام ترى النجا فان الخديم للخادمين يساعد
وانظر مقامات الكرام وزرهم وقبل الاعتاب لهم والوسائد
فهم في الثرى اشجار كرم تغارست ويحموا حماهم من جميع المعائد
تقرب اليهم بالتوصل . والدعا تنال العلا وتكيد كل الحواسد

(قال الراوي) ولما فرغ شيخ العرب حرحش من نظامه اغتاظ المقدم مقلد من كلامه وتكلم بضد ذلك الكلام وقال له دع الذنب يبقى على وافعل ما أمرتك انا به والسلام فلما سمع منه ذلك قال سمعا وطاعة وامتثل أمره لكن على مضض منه ولو كان يعلم ذلك ما كان اتى من مكانه ولما

تقرر الامر بينهما امر مقلد غلامه فضه ان يأخد اثنين من غلمان حرحش ويمضون الى حاره بيبرس وينظرون الحارة ويدوروها فنزلوا ولا زالوا كذلك حتى دخلوا الحارة ونظروها وجعلوا يتأملونها بالاشارة حتى توسطوا وسطها وكان الوقت وقت الظهر وكانت ايام صيف وجميع الناس نائمين فى بيوتهم فلما توسطوا الحارة قالوا الاثنين لبعضهم هذا المكان لم يمكن حرقه بالنهار فان النهار نور فاذا اولعت النار والناس نيام فلا بد يصحوا الناس ويطفوها فلا نبلغ مرام ولكن نروح الى حال سبيلنا فاذا جن الليل نعود ونعمل اشغالنا ثم انهم رجعوا الثلاثة واعلموا المقدم مقلد وشيخ العرب حرحش بما اتفقوا عليه وان الامر بكون بعد العشاء يبلغوا مرامهم ويحرقون الحاره وصارت فى لزومهم (قال الراوي) ومن لطف الله تعالي انه كان رجل خياط نائم فى جورة الدكان وفى ذلك الوقب فابق لم ينم وقد وقفوا أمام دكانه وهو يسمع كلما قالوه لانه يراهم وهما لا يرونه ولما ان سمع هذا الكلام وهو فى جوار الدكان نخاف على دكانه من النيران ثم انه كتم ذلك الامر والشأن وصبر حتى مضوا الى حال سبيلهم وسار الى الاسطى عثمان وكان عثمان جالس فى اسطبل الخيل ولم يعلم ما دبروا الاعادى وما أرادوا أن يفعلوا بالليل واذا بذلك الرجل دخل عليه وقبل يديه وقال له يا إسطى عثمان انا كنت عند الظهر نائم فما اشعر الا وثلاثه رجال مثل فروخ الجان وقفوا مام دكانى وأنا أراهم اولا أحد منهم يرانى واتفقوا علي حرق هذه الحارة فى هذه الليلة وها أنا أتيت أعلمك بهذه الحيله وهم يقولون ان الدكان هذا هو الذي نبدوه وكان كلامهم على دكاني وقد أتفقوا على هذه الاشارة فلما سمع عثمان ذلك تعجب من هذا الامر المنكر وناول الرجل محبوب وقال له لا تعدهذا الكلام الى أحد من الناس واترك عنك هذا الوسواس ولا تعلم احد من الناس

(قال الراوي) ثم أن عثمان ارسل الى البوابين أحضرهم بين يديه وقال لهم امضوا الى بيوتكم فى هذه الليلة وما لكم تعلق بحارتنا يا جماعة

فقالوا سمعا وطاعة وانصرفوا البوابين الي منازلهم من تلك الساعة وبعد ذلك عاد عثمان الى السوق وقال لاهل السوق عزلوا دكاكينكم فى هذه الليلة من وقت العشاء ولا تشعلوا قنديل وخلوا الحاره ظلمة فى هذه الليلة وكل من خالفني منكم أعدمته القوة والحيل فقالوا سمعا وطاعه وقد عزلوا الدكاكين من المغرب وبعد ذلك جمع عثمان رجاله النياس وقال لهم يا جدعان انا سمعت انجماعه مرادهم يدخلوا فى غفلتنا ويحرقوا حارتنا فالمراد انكم تكونوا معى حاضرين وتقفلوا البوابه وتفتحوا باب الخوخة ثم اننا نقف من خلفها ذات اليمين وذات الشمال ولكن تكونوا صف واحد بجنب واحد حتى اذا دخل الغريم من باب الخوخه أتلقاه انا من فمه واوضع له الاكره فى حنكه واسلمه الى الذي بجنبي والذي بجنبى يسلمه للذى بجنبه وهكذا حتى يصير داخل البيت الجوانى بحيث اذا هو زعق فلا أحد يسمعه من رفقائه فقالوا لهسمعا وطاعة (يا ساده) وبعد ان فعل ذلك عثمان ورتب ذلك الترتيب وجلس تحت باب الخوخه التى للبوابه وهو منتظر للخصم حتى يحضر هذا ما جري ها هنا واما ما كان من شيخ العرب حرحش والثمانين رجل الذين صحبته فانهم ما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى الحاره وكان محضرا صحبته عشرة قوارير ملا نه من زيت النفض وقرطاس كبريت والالة التى تصلح للحرق فلما وصلوا الي باب الحاره واذا بالحارة مظلمه معتمه وبوابتها مقفولةولم يروا احدا فيها كافه والشخص اذا كان ماشى لا يرى رفيقه وهذه الظلمه احسن لهم من النور لاجل الكائن فيعلم الله العزيز الغفور فانه يحدث من بعد الامور امور فقال شيخهم حرحش نحن بلغنا المنى فاننا نقضى اشغالنا ولا احد ينظرنا ولا يعلم بنا ولما أقبل حرحش الى باب الخواجه أرسل رجلا من رجاله وقال له أمضى وادخلوا كشف لنا الخبر وشوف لانه من العجب كيف ان الحاره دائما سهرانه وفى هذه الليله أهلها نيام وكل ليله فيها قناديل وهذه الليله ظلام واعرف بيت بيبرس ان كانوا الذي فيه نائمين بالعجل وائتنى بالخبر اليقين فقال له الرجل سمعا وطاعة ودخل من باب الخوخه وكان عثمان يسمع

فيما يقولون وقاعد ينتظر ما يفعلون فلما دخل الرجل نهض عثمان كأنه النسر الحردن ووضع يده اليمين على فمه ويده الشمال على قفاه وقد ناوله للذى بجنبه والاخر اعطاه للذى بجنبه وهكذا وهم ينقلوه من واحد الى واحد حتى أوصلوه الى حوش البيت الثانى وكتفوه هذا ما جرى وأما شيخ العرب حرحش لما مشى من قدامه الرجل ولم يسمع له خبر فقال للثانى الحق اخوك قال سمعا وطاعه ونزل ليتبع اخاه وكان عثمان قاعد فتلقاه ولحق به اخاه وبعد ذلك صفر عثمان فظنوا الرجال ان الذي صفر لهم رفيقهم وكان عثمان صاحب فهم في هذا الفن وما داموا يدخلون واحد بعد واحد وعثمان يتلقاهم هو ورجاله حتى اخذوا لثمانين ولم يبقى الاشيخ العرب حرحش فوقف وهو منتظر خبر رجاله فصفر له عثمان فصفر الآخر فصفر له عثمان ثانيا وثالثا فعند ذلك ظن شيخ العرب حرحش ان رفقائه رأوا الحارة خاليه وجميع الناس نائمين وهم يريدونه ان يدخل لهم ليقضوا اشغالهم فتقدم الى عند الباب وهو يريد الدخول واذا بعثمان قبض عليه واداره كتاف على حين غفلة منه ثم سحبه الى الحوش الجوانى وأمر عثمان على القناديل فاوقدت ثم صاح عثمان على الرجال وقال يا جدعان كل من كان معه رجل يأخذه ويخرطه فقالت السياس سمعا وطاعه ثم ارادوا ان يفعلوا ذلك واذا بالرجال صاحت عليهم وأرادوا المنع منهم فصاح عليهم لا ترجعوا عنهم بل أخرطوهم فنادوا نحن فى جيرتك يا اسطى عثمان فبينما هم كذلك واذا بالامير بيبرس سمع الصراخ فنزل يجرى على الحس فوجد الرجال المقبوض عليهم وهم مكتفين فقال بيبرس ما يكون الخبر فقال له عثمان مالك ومال الخبر انت خليك فى حالك فقال له الامير وماذا يكون حالك قال له نريد أن نخرط هؤلاء الرجال وكل واحد منا يخرط واحد وأما أنا أخرط كبيرهم فقال بيبرس يا عثمان أختشى من الله تعالى الرجال يخرطون قال عثمان وما نيك الا نيك الرجال فصاح عليه بيبرس وفرد اللت وقال أبعد عنهم أنت ورجالك فتأخر عنهم وتقدم الى عند كبيرهم حرحش وقال له من تكون أنت فقال له انا شيخ العرب حرحش وهذه رجالي وانا من كفر الجاموس

وقد اتيت الى هاهنا ريد احرق هذه الحارة واقتلك وما ارماني في يدك ويدعتمان الا السيده زينب لانها مكرمة لجـارها ثم اعاد عليه القصة من أولها الي آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها (قال الراوي) ولما سمع بيبرس ذلك الكلام حمد الله تعالى ثم قال لا حول ولا قوه الا بالله لعلى العظيم والله لقد حصلت لنا رعاية من حضرة السيده زينب ثم التفت الى حرحش وقال له أنت فيك قوة ومقدرة على مثل ذلك فقال له يا دولاتلي انا من الاول تأخرت خوفاً من السيدة ولـكن غرني شيطان الانس وانا يادولاتلي بعد ما كنت خالص انشبكت وبقيت فى قبضتك فان كنت تسامحني وتعفو عني عسى الله يتوب علي على يدك فقال الامير يا عثمان اطلق هذا الرجل لما اتفرج كيف انه يخدم ثمانين رجل فاطلقه عثمان وقال له روح أنت أهرب وخلى رجالك وكان الليل فرغ ولم يبقى منه الا اليسير فصاح حرحش وقال ياصاحبة القناع الطاهر انا والله ياسيدتى اعرف حقك وتغريت فى هذه النوبه وعلى يدك ياسيدتي اتوب فعند ذلك ادركه النوم فرأي كأنه عائم على وجه البحر ولم يجد له سواحل وهو تعبـان ومشرف على الغرق فاستجار بالسيدة زينب وهى كريمـة الدارين ورأى فى المنـام السيدة وهى تتبختر فى حلل الجنه فقال لهـا يا سيدتى قد حصلت منك كرامات ظاهرات فقالت ياحرحش ان الله تاب عليك وعلي رجالك من المعاصى كرامه لي ولـكن اذا وقظت من منـامك وطـار منك المنام يكون الصبح أقبل وولى الظـلام توب على يد ولدى بيبرس وكن له من جمـلة الخـدام أنت ورجالك الثمانين لاجل أنكم تنالوا السعد والغنا أنتم أجمعين ويزول عنكم البـلاء المبين فقـال حرحش يا سيدتى أنى تبت على يدك لله تعالى عن جمـيع المعاصى كلها وأنت علي من الشاهدين فقالت انا أكون الواسطة فى خدمتك عند بيبرس وبعد ذلك وقف جرحش وهو يقول كلمة لا يخجل قائلها وهى اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

تم الجزء السادس ويليه السابع واوله توبة حرحش واتباعه الثمانين

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء السابع

(الطبعة الثانية)

سنة ١٣٤١هـ — ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)
بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر
لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

(قال الراوي) واعجب ما جري من الاتفاق أن الامير بيبرس ما عفى عنه وسامحه الا لانه نظر السيدة زينب وهى تقول له اعف عنه ويكون لك من جملة الخدام على طول الايام فانت حاوز غيره فقام بيبرس في الحال وطلب حرحش لاجل صحة المنام وقال له ياحرحش انت تستحق ايش فى نظير ما كنت ناوي تفعل قال له يا سيدي أما أنا استحق شيء كثير لكن أنا بقيت من المحسوبين على جناب السيدة زينب الذي انت مجاورها أنا ورجالي فقال له تتوب قال له يا سيدى أنا تبت لله على يد السيدة فقال له وانت فى كرامتها اطلقه يا عثمان واطلق رجاله فقال له يا سيدى ان كنت عفوت عنى فاقبلني لك خديما قال له بيبرس مرحبا بك نسلمه يا عثمان هو ورجاله جمله مع السياس قال عثمان مرحبا يا جدع ثم أن عثمان أطلق الرجال من الكتاف جميعاً وقد تابوا الجميع توبة نصوحا عن جملة المعاصى ورتب لهم الامير بيبرس الجرايات والعلوفات وقال حرحش لعنة الله على مقلد وكل من يلوذ به والله ما بقيت اخرج من تحت ركاب هذا الدولتلي ولا من خدمة عثمان اذا كان ذلك بأمر غفيرة مصر صاحبة القناع فاقام الطاهر هو ورجاله فى أهنأ ما يكون من العيش الهنئ

(قال الراوي) وأعجب ما روى في هــذه السيرة العجيبة انه في صبيحة ذلك النهار أن مولانا السلطان بات وأصبح يصلى على نبي في كفه الورد فتح ... وجلس على تخت قلعة الجبــل بعد ما قرأ الفاتحة حكم عادته والتفت الى اليامن أطرقت والى اليامسر اطرقت والصدر والجناحــين وقرأ القارىء وختم و... الداعي وختم ورقي الراقي وختم وامنت العساكر ترك وعرب وعجم زعق شاويش الديوان يقول

اذا عطيت ولاية كن عادلا واعــلم بأنك بعدها معزول
واذا رأيت جنازة فاسعى لها واعــلم بأنك بعــدها محمول

(قال الراوي) فقال الســلطان آمنا ولله أطعنا ومن أين كنا حتى اتصل ... وبعد ذلك التفت الى الوزير الاعظم الاغا شــاهين الافرم بن الدرويش ... بك وقال الله الله يا شاهين سبحان مسبب الاسباب فان الرجــل سعى في ... اعقبه الله صلاح وارشاد رغما على كيد الاعادي والحساد وان الله تاب عليه وعلي من معه وأماس أشقاهم الله فانهم يرومون علي شقاهم ياوزير كما قال الله اللطيف الخبير الآية فريق في الجنة وفريق في السعير ونسأل الله الحماية ياشاهين من الشقا سبحان من له العزة والبقا ياحاج شاهين الطير بقى حوله طيور خضر وله مناقير طوال وأما الطيور الســود فانهم مطرودين ومبعودين ولا بد من البركة على طول الايام تشف شيء بشيء وتبان الزقازيق للصياد الذى نابه في الماء قال فلما سمع الوزير ذلك الــكلام تعجب (ياساده) واذا بالوالى يقبــل الارض بعد ما خــدم ودعى بدوام العز والنعم ولما نظر اليه القاضى تحرك من مكانه وهز ديدبانه وجمع طيلسانه ودور العمامة وقال ياوالى مصر يا أمير حسن اعلم أن أولاد الزنا تجاسرت الآن على الاماكن ولم يخشوا علي أنفسهم وكذلك أصحاب البيوت لم يوقدوا قناديل علي بيوتهم وهذا كله من عدم الالتفات فشق مصر ليلا ونهارا وعليك بعدم الاهمال في السر والاعلان (فقال) الملك عرفوا بعضهم بعض طاوع ياوالى

مصر استاذك على الذى قال لك عليه فاتنا اذا ماأتتنا المنايا الى بلادنا سعيناورحنا للمنية بأرجلنا كما قال القائل هذين البيتين

اذا كان عون الله للعبد مسعفا يهن له من كل أمر مراده
وان لم يكن عونا من الله للفتى فاول ما يجني عليه اجتهاده

(قال الراوى) فعند ذلك نزل الوالى من الديوان وركب على جواده فتقدم اليه المقدم وقال له الى أين اتوجه يا أمير قال على حارة بيبرس فقال له المقدم انت ما سمعت أن السلطان أمر ما يدخلها أحد لا والى ولا محتسب قال له حسن أنت يا مقدم مجنون نحن اتباع ولاية اذا كان لازم سوء وسيوفا عنا مطلوق مافيش خوف علينا من جنس مخلوق امشى على حارة بيبرس فقال المقدم حاضر وسار على الحارة لكن غصباً عنه وهو يقول للقواسة والله يا أولادنا ان قلبي خايف فقال له واحد من القواسه انا والله يحصل لي قبض من النوبه هذه فقال له الآخر أنا عيني ترف ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى باب الحاره وكان فى باب الحارة أول دكان الزيات على اليمين وعلى الشمال فمال الى الذي على اليمين وكان يسمى الحاج دلوع وقال له يا راجل يا زيات لاى شيء امبارح لم تعلق القنديل قال له كان حرج علينا الاوسطى عثمان وقال لنا الليلة روحوا من العشا وخلوا الحارة ظلام قال له الوالى واين عثمان ثم ضربه علقه وانتقل بعده الى الذى بجانبه وكذلك الى آخر الحارة وبعد ذلك توجه الى حال سبيله فقالوا اهل الحاره لبعضهم نحن ماكنا طفينا القناديل الا بأمر عثمان هو الذي قال لنا والآن الوالي جاءنا وضربنا ونحن نروح الي الامير بيبرس ثم جمعوا بعضهم وقد مضوا الى عند البيت وطلعوا الى المقعد فعرضهم عثمان فقال لهم خبر ايه يا جدعان قالوا نريد الامير بيبرس وان هذا الامر لا يخصك قال عثمان ادخلوا فدخلوا على الامير وقرؤا له الفاتحة مثل الفقراء وصبحوا عليه فاكرمهم وقال لهم ما الذي تريدونه قالوا له ان الوالى جاءنا فى هذا النهار وضربنا وتعلل علينا بعدم القناديل فقال لهم بيبرس من بعد أن سمع الشكوى من أولاد الحاره اعلموا ان الوالى لا بد

له من الطواف على الحارات لاجل عدم المشاكلة ولاجل ايقاد القناديل بالليل لازم له من ذلك ولكن حيث انكم جئتم وشكيتم لى منه فانا أكلمه وامنعه عنكم وسامحوه هذه المرة لاجل خاطري فانصرفوا أولاد الحاره وما نالهم من ذلك فائدة فلما كان ثانى يوم طلع الوالى الى الديوان حكم عادته فأمره القاضى مثل أمس فقال الملك طاوع استاذك فانك قد تقرب يا ولدي ميعادك فنزل وركب علي ظهر جواده فقال لهم المقدم علي فين قال على حارة بيبرس قال المقدم يا أمير طاوعنى وا كفينا شر هذه الحارة فان قابة الاسوده لا احد يقدر أن ينصب عليهم غاره وهذه الحاره حارة الامير بيبرس وعنده الاسطي عثمان بن الحبله ورجاله ثمانين ويتبع الثمانين ثمانين وثمانين واذا طلعوا علينا ياأمير يأكلونا وانت ايش ذنب الناس الفقرا الذى قاعدين فى الدكاكين ايش مرادك بضربهم وهم ناس مساكين فقال حسن الايبكي امشى يا مقدم بلا كثرة كلام لابد لازم من حارة بيبرس فسار المقدم واتباعه وهم يقولون لبعضهم ان هذه الفعال ماهى مناسبة وهذا الوالي كانه مجنون فقال الآخر سوف يعود جنونه عليه ونحن اذا رأينا شيئاً مضر نتفرق من حواليه ولا زالوا كذلك الى أن وصلوا الى الحاره وتقدم الوالى الى الحاج دلوع الزيات وقال له يارجل قال له نعم قال انا أمرتك امبارح بالقنديل ولمته وهو الى الآن والع وها هى الساعة من النهار وكذلك تحت الدكان عالى ووسط الطريق واطى فقال له يا سيدي أما وسط الطريق واطى فهو من مرور الحمير والجمال وعدم رش المياه وهذا الوقت صيف ولكن يا سيدى اذا كان كذلك نحن نقطع الارض فقال له اقطع الارض الي تحت سبعة اذرع قال له الزيات لاى شىء سبعه اذرع واذا فعلنا ذلك تطلع المياه قال له انت تراجعني أنا فى الكلام يابطال ثم التفت الى المقدم وقال له ارمي هذا الرجل فرماه المقدم وضربه علقة وانتقل الى الآخر وكان عطار وقال له يا رجل قال نعم قال أرينى علبة القرنفل فأتاه بها فاخرج منها كبشة وقال له يا رجل هذه تشبه المخطاف الذي

للمركب والمخطاف له حلقه وهذه أين حلقتها ولا بد تعمل لهاحلقة قال لهوربني
قر نقل عند أحد غيرى بالحلقة وأنا أعمل زية قال الوالى يارجل يبقي أنا كذاب
ارموا هذا الرجل فرموه وضربه علقة ثم التفت الى الزيات الثانى وقال له يارجل
ان الجاموس أبيض ولاى شيء السمن أصفر فقال له يا أمير ان الله على كل شيء
قدير يرفع الدم وينزله فقال أنت كذاب يا ملعون لابد انك أنت تخلطه بالقرع
الاصفر قال له يا سيدي أنا ماأعرف أن القرع يدخل في السمن قال له يبقى
انا كذاب رموه فرموه وضربه علقة وانتقل الى القهوجي وقال له كم فنجال
بجديد قال له اثنين قال وبكم رطل البن قال بثلاثة دراهم قال له اذا كنت توضع
الرطل فى البحر يسود وأنت تبيع كل فنجالين بجديد هذاظلم كثير قال لهياسيدى
كل الناس على ذلك الوصف قال له كأنك تراجع كلامي وتجعله بطال ارموه
فرموه وضربه علقه ثم انتقل الى بياع الليمون وقال له كم بجديد قال عشرة
قال الوالى القربة الماء بكم قال بجديد قال الوالى هات قربة واعصر فيها الليمون
حتي تملأها وبيعها بجديد واحد قال الرجل يا سلام هذا كلام ما قاله أحد
غيرك فأغتاظ الوالى وضربه علقة ولا زال كذلك يضرب واحد بعد واحد على
مثل ذلك بتعليل باطل حتى ضرب جميع أهل الحارة وطلع من الحارة وراح الي
حال سبيله (ياسادة) فضاقت صدور أهل الحارة وقالوا هذا شيء مالنا عليه
مقدرة والامير بيبرس قال لنا أنا أمنعه عنكم وهو جاءنا وضربنا ونحن ندخل
له ثانياً أما يمنعه عنا وأما نعزل من هذه الحارة ونسكن فى غيرها قال بعضهم
كيف ونحن عيالنا ساكنين فى البيوت قال رجل منهم الصواب اننا نروح الى
الاسطي عثمان ونقع في عرضه ونسوق عليه السيدة زينب ثم انهم اجتمعوا كلهم
وراحوا الى عثمان وقالوا له نحن أولاد حارتك وكل يوم يأتى الينا الوالى ويضربنا
بلا ذنب أول يوم تملل علينا بالقناديل وكنت أنت الذى قلت لنا لا تفتحوا دكاكينكم
بالليل وبسبب ذلك ضربنا ولما خبرنا الدولاتلى قال أمنعه عنا ونحن ياأسطي رجالك

والذي تعرفه اعمله قال لهم ولاى شيء ماجيتونى فى الاول ولكن مقـدر عليكم ياأولاد الحارة قالوا يا أسطي الحق علينا قال هاتوا الحق وأنا أرد عنكم الوالى ان شـاء الله يقطع أرقابكم قالوا له ايش مطلوبك فى الحق قال مطلوبي تكون بسيسة بالسمن البقري والعسل النحلى ثم غابوا وعادوا له بستةعشر قصعة كل قصعة يغرق فيها الثور مليانين عيش أبيض نظيف مغمور فى السمن البقرى والعسل النحل فلما رآهم عثمان قال يا جدعان هـذه أكله مليحة ولكن اللي يأكل الخروف يحمى أمه ثم التفت الى أولاد الحارة وقال لهم اذا رأيتم الوالى دخل الى الحارة قولوا طقطق شعيرك يادبور وبعـد ذلك الزموا مكانكم وهذا الذى عليكم فقط قالوا سمعاً وطاعة وانصرفوا من عنده هذا ما جرى صلوا على خير الورى (قال الراوي) وأما عثمان فانه أحضر عشرة جـدعان من السياس وقال لهم انتم تكونوا ملازمين الابواب واذا رأيتم الوالى وجماعته دخلوا اغلقوا عليهم الابواب كلها فقالوا سمعاً وطاعة ثم التفت بعـد ذلك الى عقيرب ورجاله الثمانين والى حرحش ورجاله الثمانين وقال لهم أريد أعمل على الجندي ملعوب لاجل أن يفوتـنى باكر ويطلع الى الديوان وحده فقالوا كيف يكون الملعوب قال لهم انا اجعل نفسى ميتا وانتم تعيطوا على واذا اتاكم الاكل لاتأكلوا وها انتم اكلتم البسيـة قالوا سمعا وطاعة قال لهم هيا عيطوا فارادوا العياط فما قدروا على ذلك واخذهم الضحك فقال عثمان اصبروا وانا اخليكم تعيطوا ثم سحب النبوت وضرب حرحش علي ظهره فصاح حرحش آه ياعثمان ظهري وضرب عقـيرب على ذراعه فصاح عقيرب ياعثمان ذراعي وفعل بالباقى كذلك فصاحوا بجمعهم فقال عثمان خليكم على ذلك الحال وسر المبرقعة أم البيت كل من سكت منكم كنت أنا خصمه فزادوا فى العياط وانطرح عثمان فى وسطهم علي السرير وغطوه وصاروا يصيحون عليه فلما علا صياحهم سمع الامـير بيبرس ذلك فنزل الي عنـدهم وقال لهم ايش الخـبر فـزادوا فى بكـائهم وهم ينـادوا آه ياظهري ياعـثمان ياذراعي ياأسطى عثمان

ياراسي ياأسطي عثمان فتقدم الى حرحش وقال له ايش الخبر قال له تعيش رأسك يادولاتلي فى الاسطى عثمان بن الحبلة توفى

قال الراوى والله ماسمع الامير بيبرس ذلك الكلام الا برزت الدموع من عينية وضرب كف على كف وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أنا لله وانا اليه راجعون ثم أنه تقدم الى عثمان وطل علي وجهه وقبله فلم يجدفيه روح ابدا فصاح وأخاه ثم وقع الي الارض مغشيا عليه وبعد ساعة افاق وجلس عند رأسه وجعل ينظر اليه ثم انشد ينعيه بهذه الابيات

ياراحلا عنا بكاس الممات	ومبعدا عنا يبقون الشتات
جمع الاحباب يبكوا عودتك	وانت ساكن فى خلا خليات
اعلمنا اننا سوى نستتيم	وليس نعلم اتنا راحلات
لو علمنا أتنا راحلين	كنا تهيئنا لهذه الهآت
تمضي وتترك حينا خاليا	ومن يكن بعدك بذاك الصفات
فارقتنا من غير ذنب لنا	ولا فعلنا معك من سيئات
لكنها دنيا حقيقا غادرة	والاخرة حقا من الباقيات
وكلنا بعدك نكون لاحقينا	بعدالعمار نسكن قبور دارسات
لا خير فى الدنيا ونعيمها	وعن قريب يأتنا كل آت
لوكنت بالمال ياأخي تفدى	اوردبذلك سائر المتلكات
عليك سلامي كل ما هب ريح	على غصون او غردت نائحات

قال الراوى فلما فرغ الامير بيبرس من اشعاره وما قاله من نظمه ونثره صاحت السياس على عثمان وقالوا آه يالاسطى عثمان فقال لهم الامير ياناس كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ثم صاح على [illegible]يرب وقال له خذ هذا القرطاس الذهب وجهز عثمان بكره وهات اليه [illegible] أ عليه الى الصباح فاذا طلع النهار أتوجه انا الي الديوان وآخذ أجازة

من الملك ثم ارجع وامشى في مشهده فقال عثمان فى نفسه انطلت عليه الحيلة ثم طلع الامير بيبرس ونام فلم يأخذه نوم وجعل يبكى الى الصباح ولما طلع النهار قام توضأ وصلى صلاة الافتتاح ونزل فشد له عقيرب على الحصان وطلع طالب الديوان وأخذ معه سايس من بعض السياس (ياساده) وأما حرحش فانه لما طلع بيبرس للمنام وامر باحضار فقيه يقرأ على عثمان فاحضروا له رجل فقيه يقال له الشيخ حسن السوداني وكان عثمان ضربه وأخذ عمامته فلما جلس عند رأسه صار يعاتبه ويقول له كيف تقابل الله تعالى وماذا تقول واى شيء ينجيك الآن بين يدى الله يامقوت تأخذ عمامتي وتضربني الله لايعفوا عنك ولا يسامحك هذا وعثمان سامع منه ذلك كله ولم يرد عليه جواب حتى طلع النهار وقام الشيخ طلع بالسياس وصلى بهم وتوجه بيبرس كما ذكرنا ونهض عثمان جالسا وقبض على خناق الفقيه وقال له انت كنت تقرأ علىّ القرآن والا تعاتبى وتقول كذا وكذا وانا يا شيخ سامعك وقد أحيانى الله لاجل ان اقتص منك هم قالوا لك اقرا على الميت لعل الله يسامحه والا كنت سجاي تعاتب فيه وتقول الاقوال التى كانت ولكن بقيت تستحق الاذية امالو كنت قرأت كنت استحقيت المموله فقال له الشيخ حسن سألتك بالله ان تعفوا عني ياأسطى عثمان فقال عثمان عفوت وعفى الله عنا جميعاً ثم ان عثمان اخذ القرطاس من حرحش واعطاه الى الشيخ حسن السوداني وقال له سر الي حال سبيلك وادعوا لنا بخير فدعا له وانصرف الى حال سبيله

(قال الراوى) واما اولاد الحارة الذين بالدكاكين فانهم من حيث قال لهم عثمان تلك الكلمة صاروا يحلمون بها من شدة غيظهم من الوالى ومن خوفهم واعجب ماوقع ان الخاج دلوع الزيات بعد مافرغ النهار وقفل الدكان بعد العشاء وروح الى بيته وبعد ماتعشا ونام فرأي في منامه ان الوالى اقبل وأراد ضربه مثل ماجرى سابقاً فزعق طقطق شميرك يادبور فانتبه من النوم وعلم انه مناماً فقالت له زوجته انت رأيت روحك تلعب مع الصغار في الحارة فهذا ماكان من هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من الاغا حسن الايبك الوالى فانه طلع فى ذلك اليوم الى الديوان فقال له القاضي ياوالي مصر اعلم ان أهل مصر لايخافون الا من الحاكم الشاطر وأما اذا كان بطال فانهم يستهزؤن به فشد حيلك فقال الملك الصالح شد حيلك رحمة الله على القائل حيث يقول صلوا على الرسول

يجري على المرء في ايام محنته حتى يري حسنا ما ليس بالحسن

(قال الراوي) فنزل من الديوان وقدم له المقدم مركوبه وقال له على اين ياأمير قال علي حارة بيبرس فقال له المقدم يبقا مابقي شغل امامك غير حارة بيبرس اما غدا في بلد وغشي فى بلد فقال له روح يارجل انت مالك فصاح فيه فسار وهو يقول لرفقائه انا حماتى رأتلى منام فقال الآخر وانا امي كمان واشارت لى فقال الآخر وانا زوجتي دعت عليّ وقالت لي امامك خضرة وورائك خضرة ولم يزالوا كذلك الي ان دخلوا الى الحارة وأقبل الوالى علي الحاج دلوع الزيات وقال له السلام عليك ياابى فلم يرد عليه سلام فقال له يارجل يازيات فلم يرد عليه جواب فقال له يارجل انت ماترد عليّ سلام على ايش فقال له أنت رجل ما تستحى على عرضك وانت قليل الحياه روح بلا قلة ادب (قال الراوى) فلماسمع الوالي ذلك الكلام صاح على جماعته واذ بالزيات صاح طقطق شعيرك يادبور فلم يشعر الوالى الا والسياس محتاطين به وبجماعته من كل جانب ومكان وكل واحد منهم مسكوه خمسة أو اكثر وعروهم من ملابسهم واما الوالى اراد الهروب واذا بالباب مغلوق وكذلك جميع ابواب الحارة فبينما هو كذلك واذا بعتمان خرج عليه وقال له ما جابك لحارتنا يا وجه حارتنا يا منقرش يا قريب القاضى يا ابن القحبة فقال له الوالى انت تعملنى مسخرة يا رجل فلم يرد عليه جواب وجذبه من كتفه ارماه على وجه الارض فما وصل الى وجه الارض الا والنبوت علي رأسه وعلى ظهره وعلى اجنابه وعلى سائر جسمه حتي وضرض بدنه وتركه مرمي بعد ان عراه من ملابسه فما صدق بنفسه الاعتمان بن الحبلة تركه فصار يجرى من حلاوة

الروح فرأي باب مفتوح فدخل فيه فكان ذلك الباب دكان صباغ فلما دخل اليه وقع فى جرة النيلة التي فيه فأخرجه الصباغ فطلع كالعبد الاسود فهجم عليه عثمان وجذبه اليه ورماه على الارض ثانياً وضربه خمسين نبوت على اضلاعه واركبه على الحصان بالقلوب وربط ذيل حصانه في شواربه وضرب كل واحد من اتباعه ثلاثة ضربات واحدة على اكفايه والثانية على ركبتيه والثالثة على ظهره وقال لهم سيروا أمام الوالى وانتم عرايا وارسل السياس وراثهم يصفرون ويزمرون ويصفقون خلفهم وامامهم والناس يضحكون عليهم نساء ورجالا حتى اخرجوهم بعيداً عن الحارة قدر خمسه اميال وعادوا عنهم راجعين وأهل الحارة فارحين بما جرى على الوالى وجماعته ويشكرون فى عثمان ورفقائه فالتفت عثمان الى أولاد الحاره وقال لهم لاتشفنا ولا رأينا فقالوا سمعاً وطاعة ثم أن عثمان ربط رأسه وقعد على سريره هذا ما جري من عثمان

(قال الراوى) واما ما كان من الامير بيبرس فانه طلع الى الديوان ومراده ان يستأذن السلطان فرأى السلطان فرحان وهو يقول المعتدي ما جزاه الا هكذا والحق بيد الرجل هو الظالم على قدكذا يا شاهين جزاهم ما حل بهم (يا سادة) ولما دخل بيبرس واراد يستأذن بعد ما صبح على السلطان وخدم فبادر اليه فى الحال السلطان بالكلام وقال له يا امير انزل الى بيتك هذا النهار واذا كان فى غدا اطلع الى الديوان فنزل بيبرس وهو يقول هذه كرامة عظيمة من السلطان وسار حتى اقبل بين مفارق الطريق واذا بالوالي سائر هو وجماعته على تلك الحالة التى ذكرنا فلما نظر بيبرس الى ذلك اقبل اليه وقال له يا حسن اغا من فعل بك هذه الفعال فقال له خديمك عثمان يا بشت هو الذي ضربنى وضرب هذه الرجال وانا ما بينى وبينكم الا السلطان بمض شاه لازم من دعوة اياك واياه ثم انه سار وترك بيبرس واما الامير بيبرس فانه تعجب لما سمع هذا الكلام وما ذكر عن عثمان وسار طالب داره (قال الراوى) وأما الوالى فانه

ما زال قاصد طريقه وكان مراده أن يطلع الى الديوان بتلك الحاله واذا بالوزير ايبك والقاضى نازلين من الديوان فلما رأي ايبك الوالى والناس مجتمعين عليه وهو على تلك الحالة امتزج بالغضب وقال له من فعل بك هذه الفعال فأخبره بما تقدم ذكره فالتفت الى القاضى وقال له انظر يا قاضى ما فعل بيبرس وعثمان بالوالى وأنا كل ما أقول لك دبر حيلة وأنت تدبر ولا ينفع بل كل يوم يعلى منصب ويفوز فقال له القاضى ان بيبرس مات وثبتت عليه الحجة شرعا وغدا تطلع الى الديوان وتقيم الدعوة وتأمر أنت خادمين الوالي ان يجملوه فى تابوت ويطلعوا به الى الديوان وانا وانت نوضع كم قرش وقول على موت بيبرس يارحمن يارحيم فقال ايبك ياقاضى انا خايف يذهب مالى ولا ابلغ آمالي من بيبرس فقال القاضي لا والعلم الشريف ولا يكون منبري يوم القيامة كان ذلك في قرار مكين وبيت احمد بن ابادتس السكي فهو لرأسك

(يا سادة) هذا روح القاضى الي حارة الروم وكذلك ايبك روح الى مكانه وامر خدامين الوالي ان يجملوه فى تابوت وفى صبيحة غدا يطلعون به الى الديوان حكم مارتب القاضى هذا ما كان من هؤلاء (قال) واما الامير بيبرس فانه سار الى داره فرأى عثمان جالسا وهو يئين ورأسه مربوط بالمحرمة فقال له بيبرس يا عثمان قال عثمان نعم فقال له بيبرس قلبي عليك لما كنت ميتا والحمدلله الذي ربنا احياك قال عثمان ياجندى يحى العظام وهو رميم قال بيبرس وربنا رد عليك روحك قال عثمان نعم بعد ما كانت طلعت روحي رجعت ثانى فقال له بيبرس ايش الذى عملت في هذا النهار قال عثمان لاشفنا ولا رأينا ولا جري شيئاً ابدا وادينى وادى الوالى المنقرش قريب القاضى وادى اولاد الحارة شاهدين ان ما كانوا يقولوا ماشفناش ان كنت ضربته والاضربت خدامه ولا وقع فى دكان الصباغ في حارتنا انى لاشفت ولا رأيت فقال له بيبرس احكي لى وهو عمل ايه الوالى قال عثمان الوالي هو الذى ضرب الناس وشكوا الك منه مرتين تقول مقدر فكان مقدر عليهم وكان مقدر على الوالى أيضاً وهو

مقدور ولا انت مرادك تخرب الحارة نخفت أنا على خراب حار تنافقت انا عملت كذا وكذا فاذا شكى لك قل له هذا مقدر مثل ماقلت لغيره فقال بيبرس هذا ماهو الـكلام يا عثمان قل لى انت عملت فى الوالى ايش قال عثمان شكوا الى أهـل الحارة قلت لهم اعملوا النفقة للجدعان فعملوها فعملت عليك الحيله وعملت كأنى ميت فايست انت منى وطلعت للديوان ولما جاء الوالى ضربته علقة فهرب مني ووقع فى دكان الصباغ وغطس فى النيـله وأخـبره بالذى جرى من القصة من أولها الى آخرها وكشف له على ظاهرها وباطنها فقال بيبرس استعنت بالله عليك يا عثمان ولـكن اذا طلع بكره للديوان وشكي دعوته الى السـلطان كيف تعمل انت يا عثمان قال عثمان ما يجرى الا الخير وأنا أرسل عقيرب يقول سبب الدعوة لانها فارغة فقال بيبرس اخرس يارجل بلا كلام واسمع منى ماأقول لك قال عثمان طيب قول قال له اذا اتقامت الدعوة أنا أنكر واحلف انى ما رأيت وانت انكر وقـل لا رأينا ولا نظرنا قال عثمان طيب نحن لا رأينا ولا شفنا ولا عريت خدامه ولا قطعت لحمهم بالضرب .

(قال الراوى) ولما كان ثانى الايام قام الملك الصالح وصلي فرضه وختم أوراده ولما تـكامل الديوان دخل الاغا جوهر وقال هل من حاجة يا سيدى لما يعلم أن الملك الصالح كان غالب أيامه صائما تطوعا لله وأيام بعرف أنه ليس مستحلا صومها فيأمر الاغا جوهر يأتيه بقرقوشة يبلها بالماء ويفطر بها فلما كان فى ذلك الصباح دخل كما ذكرنا وقال قدام الملك الصالح هذه الابيات

صبحت بخير واسـعد الله ليـاليـك ... وانت سـعد والعز والنصر يوافيـك
هنئت بصدق وانت ذو عـدل ووفق ... يا ملك رفق كفيت شر أعاديك
ملـكك متحف ودولتك والجند صفوف ... مئات والوف وكلهم محتاجين اليك

(قال الراوي) قال الملك الصالح اللهم احيي الاسـلام ثم انه قام من قاعـة الجلوس وظهر الى الديوان وميل على الميامن اطرقت وعلى المياسر اطرقت وجلس

على تخت قلعة الجبل وقرأ القارىء وختم ودعا الداعي وختم وآمنت الدولة ترك وعرب وعجم صاح شاويش الديوان يقول صلوا على الرسول

جل الذي على الخلائق دام متجلي يقبض ويبسط ويشرح صدر متجلي
يامن على الزور خانه كل متولي سلطان على الملك يعزل فيه ويولي

(قال الراوي) قال الملك آمنا ولله اطعنا ومن أين كنا حتى اتصلنا وأراد الملك أن يتعاطي القصص ويزيل الغصص ثم يحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبي جد الاشراف صلوا عليه يا عراف فأخذه الطرب سبحان من يعلم ماالناس عليه فعند ذلك التفت الي الصدر الاعظم وزير الميمنة وهو الاغا شاهين الافرم بن الدرويش عثمان وقال يا شاهين انظر الباطل تجد له ألف باب وأما الحق باشاهين كل من دخل فى باب من أبواب الباطل وأراد أن يسلك منه فيرد ويقع فى الحق والباطل يخجله ولعن الله أهل الباطل يا شاهين الرجل الذى قتله رزقه تعدي فيه سهم رباني وكشف الله ستره ويفعل الله ما يريد وهذا النهار طالعه سعيد ومبارك قال له الوزير لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يامولانا ايش جري قال السلطان الرجل الذى يجيب الخوص من على النخلة قام وانحظر له غراب واراد أن يسد له العميرة الذى يعملها وقام يخبطه خبطة خلاه عبرة ما خلصوش كمان فسكته لكن الرجل أرمني والوقت يقطع لنا فرطه وترتاح منه قال الوزير لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال السلطان يا شاهين كم أقول لك ما تفتشى على أنا كلما جاء على بالى أقوله والله يفعل ما يريد

(قال الراوي) واذا بباب الديوان استد والستار اشتد وخدام الوالي طالعين من باب الديوان وهم حاملين تابوت وعليه سيدهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الملك الصالح يا شاهين هاهنا قرافه أو جبانه غربا فقال الوزير خير ايه ياناس قالوا له تعيش رأس مولانا السلطان هذا حسن أغا والى مصر. قال الملك جل ربنا كل شيء هالك الا وجهه ربنا الكريم جل.

مدبر الكائنات فلماذا لا تدفنوه ولاى شيء جبتوه قالوا له مات قتيلا قال الملك الله يادايم حق ياعلام الغيوب من قتله قالوا عثمان وبيبرس فعندذلك رمي ايبك قاووقة وقال خرمات بوق باخشه يعنى ما خرمشي بقى (يا ساده) فعنـد ذلك تحرك القاضى من مكانه وهز ديدبانه ودور عمامته وجنح طيلسانه وحرك لسانه وقال هكذا يجري القتل جهارا فى بلد الاسلام هكذا يامولانا السلطان ياحفيظ يا أمير المؤمنين أنا كم أقول لك هذا القول مراراً وا كرره تكراراً واذكره سرا وجهارا وأقول أن هذا الغلام ما أتى من بلاد الاعجام الا نقمة من الله والسلام لخراب بلاد الأسلام ويفسد ملكك يا ملك الانامِ وانت لا تصدقلى كلام فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد اتفق مع عثمان هذا الرجل الظالم خطاف العمايم ودور الحق على غطاه لما التقاه وكم قتل هو وعثمان قتيلا بعد قتيل حتى يفنى الدولة ولا يبقى لا كثيراً ولا قليل يامولانا السلطان من قتل يقتل فالصواب قتلهم وأنا يا أميرَ المؤمنين أدفع من مالي ومن صلب حالى وزكاة عن فلسى ومحبة فى دين الاسلام وابتغاء لمرضاة الملك العلام خمسين كيساً وخمسين مملوك وخمسين جواد وعليك ياوزير ايبك بمثلها فقال الملك الحق بيدك يا قاضى فان الذي يقتل والى مصر يقتل غيره مثل أمير أو وزير ولكن هاتوا لنا الفلوس والعدد المذكور حتى نبعث الى بيبرس وخديمه ونملص آذانهما الاثنين فانهم ياقاضى اثنين فاسقين فسدوا فى الارض وان كان الفساد من دأبهم فـلا بد من صلبهم فقال القاضى يا حاج منصور ائتيني بخمسين كيساً وثمن خمسين مملوك وثمن خمسين جواد وانت ياوزير ايبك ادفع الذي عليك قال الوزير حاضر ياسيدى فنزل منصور واحضر الاموال وكذلك الوزير ايبك اجلها فيما قالوا ولما حضر المال قال الملك اطلبوا بيبرس هو وعثمان حتى تنظر كيف يجري على ذلك وكيف يقتلوا ن الله تعالى يا شاهين فعند ذلك أرسل الاغا شاهين يطلب بيبرس فساروا اثنين من مماليك الوزير الى بيت بيبرس وقد صبحوا عليه وقالوا له تفضل مولانا السلطان يطلبك

فقال سمعاً وطاعة ولكن ايش الذى جري فقالوا له ان الوالى مات وطلعوه الي الديوان وقالوا انت الذى قتلته واتقامت الدعوى وان السلطان طالبك بسبب ذلك والوزير ارسلنا اليك فعند ذلك طلب بيبرس الحصان وركب والتفت الى عثمان وقال له الوالى قد مات قال الى جهنم وبئس الشتات احنا لاشفنا ولارأينا فقال له الامير اصحى تقر يا عثمان قال عثمان بس ما تقول انت وأما أنا لاشفت ولا رأيت ذا كان منقرش ثم ساروا الي أن وصلوا الي الديوان فنزل بيبرس من على الحصان وسلمه الى عثمان وطلع الى الديوان وخدم وترجم وافصح مابه تكلم ودعا للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم وأنشد يقول صلوا على صاحب المعجزات

سلامى علي هذا المقام وذا الحما مقام به كرسى الخلافة قد نما
سلام بدايته تكون تحية على رحمة يغشى بها المسك خاتما

الله ياحافظ يحفظك وينصرك الله يأخذ بيدك الى جنات النعيم ياأمير المؤمنين

فقال السلطان مرحبا بالعادل الظاهر والله أعلم بالسرائر والله ياشاهين كل من عاند مسعود ما يموت الا مقهور مكمود تعالى يا بيبرس انت وخديعك قتلت هذا الرجل الذى قالوا عنه صحيح والا كذابين قال بيبرس أنا يا أمير المؤمنين ما أعلم بشيء من ذلك أبدا قال الملك الصالح ان القاضي يقول ان عثمان قتله ولكن هات لنا عثمان حتى نشوف لماذا قتله لاجل تمام الدعوى فقال سمعاً وطاعة ونزل بيبرس (يا ساده) وكان عثمان بعد ما توجه بيبرس الي الديوان قد جمع أولاد الحاره وأخذهم وسار أمامهم وهم خلفه يقولون خير فلما تقربوا واذا بالقاضى الذى فى محكمة طيلون مقبلا فأنزله عثمان من على بغلته وقال له اشهد على هذه الشهادة فقال له خير قال له خليك علي هذه المقالة فسار القاضى معهم ولم يزالوا كذلك حتى قربوا من الديوان واذا بيبرس مقبل قال ايش الخبر يا أولاد الحارة قالوا خير قال يا عثمان خير ايه قال بيبرس أنا مالي بالخير خير أو شر ان الذي طالبه

السلطان هاهو حاضر ثم عاد بيبرس الى الديوان فقال له السلطان جبت عثمان قال نعم قال أين هو (يا ساده) واذا بعثمان طالع من باب الديوان وهو يغنى ويقول يا ليل ويترنم بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

سافرت فى البحر مع ريس ولدغربان اقف المراسي وصحنا معه غربان
قمر الدجى غاب عن عيني وللقبر بان صيد الصايب صاب وصح الصيد للقربان

صباح الخير عليكم يا اسطوات من الطاقة للعلاقة ومن الدفه للشبوره صباح الخير عليك يا معلم صالح يا بو جوطه منا الفاتحة فى صحايفك وصحايف كبيرك الذي علمك مسك الكفة والجرة وضرب المقشه فى الاسطبل ضمرها يوم الله فدعا لك تأكل قراقيش الخبز والدقة لما تروح ماتلحق تقول فقال له الملك الصالح يا شيخ عثمان دايما تعايرني انا أحد علمنى كفه ولا جره هو أنا يارجل سايس قال والوقت أعلمك يا معلم صالح صباح الخير عليك يا أبو فرمه يا م أس البيت وعمود الخيمه صباح الخير عليك يا قاضى يا منقرش ياللى من العطفة الضيقه عارفك يا ابن القحبة أوعى تقول مايعرفنيش قال القاضي اخرس قبح الله ذاتك قال عثمان خليه فى دار جماتك قال عثمان صباح الخير عليك يا ايبك يا قليط قال أيبك اسكت يا رجل قال وبعد ذلك التفت السلطان الى عثمان وقال له أنت تعيب وتجعلني سايس حق وعقيرب كبيرك وأنا جدك قال الصالح أنا رضيت ولكن أنت عملت ايه في الوالي قال عثمان عز الله جل الله ما فى الكون غير الله قول معى أنت يا بو جوطه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثمان وأنت يا قاضى عليك غضب الله يامنقرش أنت كتبت لنا الورقة والا لا واخرج الفرمان الذي بخط الوزير وختم السلطان أمير المؤمنين بأن ما أحد من الارباب يدخل حارة بيبرس أبداً "ال الملك نعم أنا أمرت بذلك وما الذى جرى والذى يخالف قولك يلزمنوشى حاجة قال الوزير لا يا عثمان

من خالف ولي الامر عند المذاهب يقتل ولا جناح على قاتله قال عثمان اسأل أولاد الحارة وكان قاضي طيلون أمامهم فقال السلطان ايش الخبر يااولاد الحارة قالوا خير قال السلطان ان شاء الله خير ولكن اخبروني قالوا خير فتركهم الملك والتفت الى قاضي طيلون وقال له ايش الخبر قال خير قال السلطان عثمان قتل هذا الرجل قالوا خير قال السلطان ما قتله قالوا خير قال الملك ان كنت حاضر قال خير قال له ماحضرتش قال خير قال شفت بعينك شيء قال خير قال ما رأيت شيء قال خير قال الملك وبعد تلك الشهادة قتلت انزلوا قالوا خير قال الملك اقعدوا قالوا خير فقال السلطان اصرفهم عني يا عثمان فصرفهم عنه ونزلوا من الديوان وساروا الى حال سبيلهم والتفت السلطان الى عثمان وقال له كمل لي الحكاية فقال عثمان أخبرك حاضر يا أبو جوطه ان الوالى أرسل لنا جماعة وصرادهم يحرقوا حارتنا فلما دريت بذلك قلت لاولاد الحارة روحوا ووقفت أنا والجدعان بالليل مسكناهم وكنا رايحين نخرطهم فقام الجندى خلصهم مني وتوبهم وخدمهم عندنا قام العلق لما لقي روحه مانفمش صبح جانا عمل طرقه على أولاد الحارة وضربهم مرتين تمت لما سمعت الخبر عملت حيلة على الجندى وأحكي له ماجري من أوله الى آخره وكيف وقع فى جورة السباغ والحكاية التي تقدمت من المبتدا الى المنتهى ولا فى الاعادة افادة الا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال فى آخر كلامه وكنا دبرنا ياابوجوطه اننا ننكر ولا شفنا ولا رأينا فقال السلطان وسيدك حاضر قال عثمان سيدى ما يعلمشي ولما بلغه الخبر قال يا عثمان انكر ونحن لاشفنا ولا رأينا ولا نظرنا فقال القاضي أقررت ولا عذر لمن أقر فقال السلطان يا عثمان ان القاضي قال الرجل مات قال عثمان اذا كان مات انقضى عمره وفات وان كان لم يموت أنا أكمل موتته ويموت ويصير الى أقل الرحمات ثم ان عثمان وثب مثل الاسد الغضبان وأخرج من حزامه سكين وتقدم الى التابوت وضرب الوالي أفرا بطنه فصاح الوالي

وآراد أن يقول آه فغلبت عليه لغوته الاصلية وقال واي يامسيح وخرجت روحه الخبيثة من بين جنبيه فلما سمع السلطان صرخته قال هذه ليس لغة مسلم اكشف يا قاضي عليه كان ديوانى مسخرة تنزيا أهل الكفر بالاسلام فان الذي يصرخ هذه الصرخة ماهو مسلم ولكن اكشف عليه يا قاضي فقال القاضي سمعاً وطاعة ثم قام القاضي ووضع يده على آلته واذا هو بغلفته فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا نصرانياً يا أمير المؤمنين وقد اقشعر بدنى منه فقال الملك أنت وايبك وردتم الدراهم والمماليك والخيل على قتل بيبرس وعثمان ظلما وعدوانا والاعلى اظهار الحق من الباطل قال القاضي على اظهار الحق من الباطل قال الملك الحق ظهر واتضح والباطل خفي واندثر بقي المال لمن يا قاضي قال القاضي لك يا أمير المؤمنين قال الملك وهما من عندي الى ابني بيبرس فى نظير هذه التهمه هبة كريم لا يرد في عطاه وارفعوا هذا الكافر من هنا قال القاضي احرقوه وذروا رماده فى الهوى قال الملك هـذا الذي نابه منك يا قاضي ولكن ذلك نظرة الحق قال نعم ظهر يا ملك قال الملك والآن البلد بقت بلا والي انظروا لنـا من يكون والي فى مكانه فقال القاضي يا ملك دستور اتكلم بكلمة حسنة ليست بسيئة قاطبة قال الملك تكلم سبحان الناطق على كل حال قال القاضي الذي يصلح لذلك فهو ولدك الذى دايم عليه الفلاح والنجاح وهـو الامير بيبرس الذى شمس سعادته على وجهه كالمصباح قال ايبك أيوه كالمصباح آه يا مقلة متاع زغل يا معرص قال السلطان ينبقي يا قاضي انت ترضى بأن يكون بيبرس والي مصر قال القاضي نعم فانه يصلح وعلى يديه تتنافذ المسالك قال الوزيران بيبرس رجل فقير الحال فقال القاضي أنا أساعده بخمسين كيساً وثمن خمسين مملوكا ثمن خمسين جواد وعليك يا وزير ايبك مثلهم فقال ايبك مثلهم على شان ايه يا قاضي قال له القاضي اعانة للامـير بيبرس ليكون والي على مصر قال ايبك وايش ينفعنا يا قاضي احنا طالبين موته والا نعمله والي قال القاضي اذا عمل

والى فانا اريك كيف ادبر على هلاكه بتدبير حسن واحتيال انت بس ساعدني فى دفع الدراهم ولا تهتم على مافات منى نصيب ومنك نصيب مات بيبرس وساوي من له سنين واوقات وانا الذي ادبر عليه وأرميه فى كل الافات فعند ذلك قال السلطان هاتوا ثمن الخيل والمماليك فقال القاضى حاضر تعال يا منصور انزل هات خمسين كيس ذهبا وثمن خمسين جوادو ثمن خمسين مملوك وكذلك ايبك حضر الذى جاء عليه فقال الملك يا بيبرس قال لبيك وقام ووقف بين ايادى السلطان فقال له جاء لك مائه مملوك ومائه جواد ومائة كيس وتكون والى على مصر لبسه ياشاهين خلعه يشوف شبابه فانه مفرد فى السعاده أسأل الله الكريم رب العرش العظيم كل من يكره ولدي بيبرس لا يموت الا مقطما على حربه ويخرق بغائط الكلاب قول يا قاضى آمين قال القاضي آمين قال الملك سبقت في علم الله تعالى يا جماعه (قال الراوى) وبعد ذلك ارتمى القفطان على اكتاف بيبرس والدراهم سلمها الوزير الى الخذندار يؤديها الى الامير بيبرس وخرج الامير من الديوان بعد ما وصاه السلطان وقال ياولدى عليك بالعدل والانصاف كما أمر النبي جد الاشراف صلي الله عليه وسلم انهى عن الظلم وقال الظلم ظلمات وان دام دمر الدول لا يدوم وان دام عمر صدق الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وانت سيفك مطلوق فعند ذلك قبل يد السلطان وكذلك يد الوزير وخرج والقفطان على أكتافه فتلقاه عثمان وقال له مبارك يا جندى لعلك مشد تراب وآغة كلاب قال بيبرس اخرس يا رجل ليست والى مصر قال عثمان سبوح قدوس الخدمه ماهي بالدبوس أنا مابقيت أخدمك أبدا لانك كل ساعة تعلى وتفور وعثمان كل شوية يوطي ويغور قال له بيبرس وايش الذى قصدك فيه قال عثمان ان كان لك غرض فى خدمتي واكون على عهدي معك أكون انا الآخر والي مصر الصغير وانت الوالى الكبير وتلبسني القفطان الذى لبسه لك أبو جوطه وينادیلي

عقيرب ويقول عتمان لبس والي مصر الصغيرقال الامير بيبرس انا رضيت، يا عتمان وقلع القفطان ووضعة على عتمان وقال له الذى تعرفه اعمله فعند ذلك أحضر عتمان عقيرب وقال لة هات الجدعان هنا قدام الديدان فنزل حالا واحضر له الثمانين سايس فلما حضروا قال عتمان يا جدعان أنا لبست والى مصر الصغير وهـذا القفطان بتاع الولايه لبسته ومرادي منكم ان تحضرو لي حصان وعقيرب يكون على اليمن وحرحش يكون على الشمال والثمانين بتوع عقيرب يكونون قدامى ينادون فى الموكب اسمعوا لنا النادية والتنبية حكم ما أمر المعلم صالح ابو فرمه ان الجندى بيبرس هو والى مصر الكبير وأما الاسطي عتمان ابن الحبله الذي بيته فى المراغة والقبر الطويل وعبده اسمه فرج وعلى بيته حليه ومعلق على بابة قنديل وخدام عند الاشقر الانقر صاحب اللت الدمشقى العمرانى الذى داهيه تجيله وتجى للى دمشقه الذى اسمه بيبرس فانه والي مصر الصغير وحاكم على كل امير والقفطان على اكتافه من الوالى الكبير وتكونو هكذا يا جدعان للبيت قالوا سمعا وطاعه وكان الامر كما ذكرنا وانعقد لعتمان ذلك الموكب على هذه الكيفية من القلعة الي بيت الامير بيبرس (قال الراوى) هذا والناس يباركوا لعتمان فاذا حضر أحد وقال نهارك مبروك يا والدى مصر يعطيه سبعة دراهم فضه وأما الذى يقول نهارك مبروك يا اسطى عتمان فيصيح ويقول طوطمش فيقول عتمان ورميش فيرموه السياس الى الارض فاذا صاح الرجل وقال انا فى عرضك يا اسطى عتمان فيقول دقوا قوس فيصير الضرب على الرجل من السياس حتى انه ينبهه أحد من السياس فيقول انا فى عرضك يا والي مصر فيقول عتمان شفا فيرفعوا عنه الضرب وسار موكب عتمان بهذه الكيفيه والصفة الى بيت احمد بن ابادیس السبكى الذي هو بيت الامير بيبرس واعجب ما وقع واغرب ما تفق عليه من كرامات عتمان ان فى هذه النهار كان من اعطاه عتمان سبعة فضة اغناه الله غناء لا فقر بعده وكذلك

كل من ضربه عثمان فى ذلك النهار لا بد ان يكون فيه عاهة أو داء فلا ينطلق من أمام عثمان حتى تذهب عنه تلك العاهة أو الداء الذى به و يرجع سليم البدن وهذه كرامات عثمان ببركة السيده لا نه خديمها وثبتت هذه الكرامة الواضحة ولما وصل عثمان الي دار احمد بن ابا ديس السبكى و نزل من على الركوبة احضر واله سرير وجلس عليه فقال اولاها توا الارغول فحضر السياس والارغول ودوروا الصفر والصفق وعثمان ماسك النبوت وصار يرقص عليه فرحا ومرحا حتى اخذ حظه وبعد ذلك جلس على السرير ووقفت السياس جميعا فى خدمته هذا ما جرى لعثمان (قال الراوي) واما الامير بيبرس فانه ركب على حصانه وسار وحده الى ان أقبل داره وترك عثمان فى حاله ولم يكدر عليه وطلع الى المقعد وجلس فيه فبينما هو جالس واذا بالخدامين الذين للوالى قد أقبلوا وسلموا وخدموا فقال بيبرس ما الخبر وانتم من اين قالوا يادولاتلي نحن خدامين الوالي وكل من عمل والى نتبعوه وان الوالى القديم توفى على يد سيدنا والى مصر الصغير فاتينا نحن الي حضرة الدولاتلي نريد ا كل عيشنا وخدمتنا عندك يا أمير فقال لهم الامير انا عندي خدامين وليس محتاج الى خدامين فقالوا له يادولاتلي قطع المعايش حرام ونحن لا لنا صنعة ولا شغلة نعرف نتقوت بها خلاف هذه الخدمه من آبائنا واجدادنا فقال لهم بيبرس انتم لكم على الوالى جامكيه شهريه قالوا له ليس لنا على المخدوم شيئا وانما نحن علينا للمخدوم كل ما تتكلف مطبخته من لحم وخضار وسمن وحطب وملح وفلفل فقال ببرس ومن اين تجيبوه قالوا له يا سيدى من السراحين الذين يسرحون في كار السرقه والمناصر والزغل والتعريض والبلطجية واصحاب المشارط ولعابين القمار وبياعين الخمر وبياعين الحشيش وأرباب الزور ودلالين الربي ومثل ذلك فقال بيبرس وهؤلاء الذين ذكرتموهم كيف تعرفون محلاتهم فقالوا يا دولاتلى كل حرفة من ذلك لها رأس ورأس الجميع مقدم الدرك المقدم مقلد صاحب ذرك

البوابه فقال بيبرس ياجدعان هذا حرام ياهل ترى اذاكان يطلع لكل واحد منكم كل يوم خمسة دراهم فضه وعشر أرغفه ويفطر الصبح من صماطي والمغربيه له طاسه مسلوقه يملاها من المطبخة من الطعام الذي يعجبه وهذا شيء لا مقطوع ولا ممنوع يومي يطلع يقطر على الطبلية مع الخدامين ويقوم من على الفطور يمشي للمخبز يأخذ عشرة أرغفه ويطلع يأخذ خمسة دراهم فضه من الخزنه وأما من جهة الكسوة فان فى رمضان له بدلتين ومركوب وأيضا لحريمه بدلتين ومركوب وأما فى العيد الكبير له بدله وحريمه بدله وله مركوبين هو وحريمه ولا يلزمكم مطبخ ولا كراء فقالوا له ياسيدى اذا كان الامر كذلك هذا أحسن مايكون لنا قال لهم لكن على شرط انكم تتوبوا عن هذا الفعل وتستعملوا الصلاة والعبادة مثل مافعل حرحش وأما اذا اكتشف عليكم في أمر يغضب الله فلم يكن عندي الا الصلب علي البوابات فقالوا له سمعا وطاعة فقال اندهوا على عثمان ولما حضر عثمان احكى له العبارة فقال عثمان خليهم ياجندي يدخلوا للاصطبل تحت بيرق عثمان فقال بيبرس خذهم ياعثمان فأخذهم عثمان وتاب الله عليهم وصاروا تحت أمر عثمان ورتب لهم حكم ما قال الامير بيبرس هذا ما جرى صلوا على خير الوري وقام بيبرس الى آخر النهار ثم انه تذكر قول السيدة صاحبة القناع الطاهر على عثمان انه يشاوره ولا يخالفه فعند ذلك طلب عثمان الى عنده فلما حضر قال له ياعثمان ايش هذه الطوائف الذى حكو لى عليها خدامين الوالي الذى مات وهذا الامر يغضب الله ورسوله قال عثمان شوف ياجندي اذا أردت ان تري هذه الطوايف فان رئيسهم مقلد مقدم درك البوابات وهولاء الجميع من تحت أمره فاذا كان يطلع من يدك تنخضع له وتفتح له عب حتى انه يدلك على جميع الامور واذا سألك على فقل له ان عثمان سايس ولا له عندى شغل الا خدمة الحصان وادخل تحت باطه حتى انك تطلع على جميع الامور

وبعد ذلك اعرف شغلك وانا اخلى بالي وان شاء الله ببركة المبرقعة تبلغ كل المقصود (يا ساده يا كرام صلوا على خير الايام) وأما الامير بيبرس فانه صبر الى ان أقبل الليل وصبر الي بعد صلاة العشاء وركب وأخذ عثمان معه ولم يزل حتى شق البلد وفى الثلث الاخير من الليل وصل الى باب الغريب وطلع الى براءة البرج فرأي برا البوابه جماعة من أولاد الزنا الطاغيين ونظر الي المقدم مقلد وهو جالس كانه النمرود وكبر فرعون فى عينيه وعليه الملابس الفاخرة والرجال بين يديه وقوف والخدام والعبيد وهو بين الجميع كالبرج المشيد وله لحية كبيرة كما قال فيه الشاعر هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

انظر الى رؤية بالخزى قد كملت　　　تجمع المسخ فيها بالقناطير

السخط فيها وغضب الله حل لبها　　　نعوذ بالله من ذات الخنازير

(قال الراوي) فلما أقبل الامير بيبرس اليه فلم يسأل عنه ولا يعبأ ولا قام له ولا اعتنى به وذلك من شدة كبره وتجبره فتعجب الامير بيبرس من ذلك والتفت الي عثمان وقال ياعثمان من هذا قال هذا المقدم مقلد كبيرنا كلنا وانا يا أشقر ما افتقرت الا من أيام بعدت عن كاره وان كنت ما تصدقني اسأل حرحش كان يخبرك فقال بيبرس يا حرحش من هو هذا الرجل فقال حرحش هذا المقدم مقلد الذي ما يجرى شيء من الدنيا الا ويكون بمعرفته وهو كل اولاد الزنى والاشقياء من تحت يده من حرامى وبلطجي وسلال ولص وسارق من جميع ما يكون وهذا الذى أرسلنى الي حرق حارتك وامرني بموتك ولكن الله حافظك وحكم لك الامان بالاسطى عثمان (قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك زاد به الغضب واضمر لهذا الرجل الموت والنكد ولكن أخفي الكمد وأظهر الصبر والجلد وأقبل على المقدم مقلد وقال السلام عليك يا أبي قال مقلد أنا لا أعرف سلام قول ما عندك ياولدي أنت الذى لبست والى قال بيبرس نعم يا ابي قال مقلد أنت

الذى تويت حرحش وجماعته وعتمان وجماعته قال نعم يا ابى قال مقلد جاتك داهيه تلفك يا غائر يعنى ايش جالك من هذا عتمان خطاف عمايم ومقل حاجة فارغه وانا ما أسأل عن ذلك كله وأما حرحش فانه كان عنـدى من الرجال المعدودة ولـكن دارت يدنا عليهم ثاني وأنت الآخر بالجملة بقيت من أتباعي وان مشيت معي مرحبـا ولا بد أرتب لك ما كنت تحتاجه الى مطحنتـك وكرارك ومصروف بيتك قال له بيـبرس انا ما جيت الا على شان أشوفك وانتفع بمعرفتك اذا رضيت بى أكون كأمثالى ولا يغرك انى والى فانا لم أخالفك فى أمرك وكلما قلت لى عليه أنا أطاوعك فيه قال المقدم مقـلد شوف ياولدي اما دخولك على فى محلى مرحبابك وانا أنفعك ولـكن اذا كنت ماشى شاقق البـلد بالليل أو بالنهار ووقع فى يدك حرامى أو شرطى أو زغلى أو بطحجي أومثل ذلك فتأخذه الى حدالبيت بتاعك اشاره قدام الناس أنك تعاقبه ومتي توصل الي محلك تطلقه وكذلك اذ عترت بواحـد معرص على أولاد أو على نسوان أو علق أو قحبه فلا تتجاري علي أذاهم بل خلي سبيلهم واذا كبست على امرأة فى بيت سواء كان بيتها أو بيت زبونها فـلا تعاقبها ولا تهينها فان هؤلاء الذين اذ كرهم لك تحت يدي انا ومصروفك كله علي فان طاوعتـني انبسطت وجمعت الاموال وبقيت جـدع واما ان خالفتنى تنـدم ولا ينفعك الندم فشاورعقلك وشوف ايش تقول قال بيبرس يا ابى هذا رأى طيب وأنا رضيت ولـكن يا أبى انت عندك الناس تحت يدك قدر مائة أو مائتين أوأكثر أو أقل وكلامك حقا أماالناس كثير عمكن أنا أمسك واحد يكون من جماعتك وأنا أظنه انه ليس من جماعتك فاضربه أو أعاقبه وبعد ذلك انت تعاقبنى أو انى أمسك أحد ماهواش من جماعتك ويقول لى أنامن جماعة المقدم مقلد أقوم اطلقه وهو يكون كذاب لا انا انتفع منه ولا انت تنتفع منه فكيف يكون الرأي فقال مقلد انا اجي الى عندك فى دارك وأحضر الطوائف التى فى طرفى حتى

اتك تراهم وهم بروك وتعرفهم حق المعرفة ويبقى الذى يقع في يدك منهم اطلق سبيله والذى تراه من غيرهم ارسله لى فقال بيبرس حاضر ياابي اجمع طوائفك وتعالى الى عندي وعرفنى بهم واذا رأيت أحد من غيرهم اعرفك به ان امرتنى بضربه اضربه وان قلت لى اطلقه طلقته فقال له مقلد امهلني خمسة ايام حتي اجمع الطوائف على التمام ثم انهم اتفقوا على هذه الاحكام وقام من عنده الامير بيبرس ورجع الي منزله هذا ما كان منه (قال الراوى) واما مقلد فانه ارسل من طرفه رجالا يجمعوا له الطوائف من الجهات لاجل ان يعرف بهم الوالى ولما كان يوم الميعاد قال الامير بيبرس ياعتمان اريد ان جميع الطوائف لاينفد منهم احد حتى انى اتوبهم والذي لم يتوب اقتله واريد ان اعمل كانى عياذ وانت تلتقي الطوائف فقال عثمان سمعا وطاعة فعند ذلك طلع بيبرس الى المقعد وربط رأسه ووقف عثمان فبينما عثمان واقف واذا بخمسين امرأة لابسين حبر غمزاوى وراكبين حمير عاليه مكارى وكل واحدة منهن لها خديم ففتح لهم عثمان مندرة من منادر البيت واجلسهم فيها وخدامهن معهن واما الحمير ادخلوهم السياس فى محل وربطوهم ووقف عتمان واذا بفرقه ثانيه نحو سبعين امرأة وهم راكبين على حمير قلعاويه فقال مرحبا واستقبلهم وقد ادخلهم في مندرة ثانية وقال للحمارين خذوا انتم حميركم وروحوا الى حال سبيلكم وكانوا النساء لابسين الكل ملايات واقبلت بعدهم طائفة اخري بالمزاري بيض فادخلهم الى مكان آخر وجعلهم وحدهم (ياساده) وبعد ذلك اقبلت طائفة جدعان مرد بالملابس الاعيار على السدريات السود والحزام ابالكم على الشمار الحرير واقبلت طائفة اولاد صغار وبعدهم طائفة رجال وبعدهم نساء عجائز وبعدهم رجال كبار وبعد ذلك شيوخ حتي امتلأت اماكن البيت وبعد ذلك حضر مقلد راكب على بغلة فتلقاه عتمان وقال له يامقدام ان الجندى عياذ فلا تدخل عليه بسلاح فقال انا ما اقلع سلاحي

ابدا ثم انه دخل بسلاحه فسار معه عتمان الي ان ادخله على سيده في المقعد فلم يقوم له الامير بيبرس بل قال له يامقدم اقبل عذري لانى عيان فقال له خليك ماعلينا ثم جلس قدامه ومد العود في وجهه وجلس جلسة الفراعنة فقال له بيبرس ياابى طوائفك حضرت الجميع قال له مقلد اما الذين في مصر حضروا ودوائرها واما الذين في البلدان فلم يحضروا فقال احضرهم الى فقال مقلدهات ياولد ياعتمان الطوائف قال عتمان حاضر يامقدم فاول ما اعرض كانت الطائفة العالية وهم النساء أرباب الخير فقال بيبرس دول ايه ياأبي قال مقلد هذا بقر الوحش قال بيبرس يعنى ايه قال مقلد دول لهم ببوت مدفونه في حارات مداريه فتطلع الواحدة منهم تحط عينها على الرجل الذى تراه مليان باللباس والمال فتسايره حتى يروح معها الي بيتها فتقعد وتسقيه الخمر حتى يغيب فيطلع خديمها يحط على فمه مخده ويقعد عليها حتي يخمد نفسه وتأخذ مامعه من ملابسه وتواريه هى وخديمها فى قبر كان فى بيتها وهذا يسمى عندنا بقر الوحش (ياساده) قال بيبرس خذهم وهات غيرهم ياعتمان فاحضر أرباب الملايات فقال بيبرس ودول ايه ياأبى ما شاء الله والله طيبين قال مقلد هذا البقر السارح قال بيبرس سارح يعني ايه قال تسرح الواحدة منهم ان يلوذ بها واحد معكوس يدخلها في بيته فاذا أراد أن يركب صدرها تطلب منه اولا طرقتها فان اعطاها شيء جزئي يقوم مقام خناتها سلمت له روحها وان أعطاها قليل تتكاسل وتقول له أنا من غير ما اسكر فما يمكن أحد يدنى منى فاذا جاب الخمر تقعد تسقيه الي ان تسكره وتوضع له من شمع أذنها فى الكاس حتى انه يثقل عليه السكر وتأخذ كلما قدرت عليه من البيت وتطلع وتتركه مرمى وبعد ذلك تغير حالتها التي كانت عليها وهذا اسم البقر السارح (ياساده) قال بيبرس ماشاء الله خذهم ياعتمان وهات غيرهم فاحضر عتمان ارباب المزارى البيض فقال بيبرس دول ايه ياأبي فقال مقلد يادولتلي هذا

بقر الحليب قال بيبرس يعنى ايه قال مقلد هؤلاء يخرجون أيام الجمع والاعياد يتحشروا فى طوائف البهلوانات والغنى والقرود فيتحشروا فى جميع الازدحام حتى يتملقوا بجدع ويكون رايح فيهارشوه حتى يأخذوا مافى جيبه ويمرون أيضاً على الخواجات فى صورة المشترين البعض يقلب والبعض يساير حتى يجدوا فرصة ويسرقون ماقدروا عليه فهذا هم اسمهم البقر الحلاب على هذه الكيفية يحلبون الناس

(قال صاحب الحديث) فقال بيبرس ما شاء الله أما شغل طيب خذهم يا عثمان وهات غيرهم فأحضر عثمان الحدعان المرد فلما رآهم بيبرس قال يا أبي مقلد دول ايه فقال مقلد يا دولاتلي دول اسمهم الشموطة المأوى قال بيبرس يعنى ايه مأوي قال مقلد يا دولاتلي علوق وحراميه اذا طلب واحد أحداً منهم للخنات فانه يروح معه بما قسم ورزق وان أمكنه فيه فرصة أخذ كل ما قدر عليه ولهذا أسماؤهم شموطة ومأوي (يا كرام) قال بيبرس خذهم يا عثمان وهات غيرهم فأحضر عثمان أولاد دون البلوغ فقال بيبرس دول ايه يا أبي مقلد قال يا دولاتلي هؤلاء فواكه الوقت يعني أنهم مخصوصين للخنات ثم أن مقلد طلب الرجال وقال هؤلاء يعرصون عليهم فقال بيبرس هات ياعثمان فأحضر أولاد صغار فقال بيبرس يا أبي مقلد دول ايه قال مقلد يادولاتلي دول أولاد جيبها قال بيبرس يعنى ايه قال يا دولاتلي ان ابن الكار يأخذ واحد من هؤلاء الاولاد ويمشي في الطريق حتى ينظر الى من يكون ماشى وفى جيبه صرة فيضرب الولد بالكف فيجرى الولد ويدخل في حضن ذلك الرجل ويقول له أنا فى عرضك يا عم فيقول له يا شيخ سيبه فيقول له أنا قلت له اسرع وهات الذى أرسلتك اليها فما جاء بها وانا لا بد من ضربه اذا لم يجيبها ويكون الولد شغال وعند ما يخلص وتبقى الامانة متخلصة معه فيقول يا عم أجيبها حالا فيقول له اجرى هاتها فحالا يخلص من يد الرجل ويجرى والرجل يجرى وراءه ويتركوا الرجل فاذا وضع يده على

أمانته فلم يجدها ويكون الولد والرجل راحوا الى حال سبيلهم فلهذا اسمهم أولاد جيبها قال بيبرس ما شاء الله خذهم يا عثمان وهات غيرهم (يا سادة) فأحضر عثمان النساء العجائز فقال بيبرس دول ايه يا أبي نقلد قال مقلد هؤلاء يدخلون البيوت فى صفة مشايخ شيطانى وهم يسرقون ومع اعتقاد الحريمات فيهم يظنوا انهم من أهل البركات وبعدهم أحضر دقافين المعاملة الزغل وبعدهم لعابين القمار وبعد ذلك أحضر أناس يقال لهم ارباب الربى ودلالين الحرام (قال الراوي) ولما عرضت هذه الطوائف نادي الامير بيبرس الى عثمان وقال له اعرض على الجميع التوبة فالذي يتوب لا بأس والذى لم يتوب ضع في رجله قيد وحط في رقبته الحديد حتى انى أنزل وأقول لك على مايجرى فيهم فنزل عثمان وقال يا جماعة ما قولكم في التوبة فقالوا النساء وكيف نتوب وعلى كل واحدة منا خمسة محبوب للشيخ مقلد شهريه فأعلم عثمان سيده بذلك قال له بيبرس قل لهم هذا مرفوع عنكم ولا أحد يطالبكم بشيء مطلق وكذلك الرجال رضوا جميعاً بالتوبة فأمر الامير بيبرس ان كل حرمة تختار لها زوجا من هؤلاء الحاضرين وأعطى لكل رجل وامرأة مائة محبوب وقال لهم تسببوا واتركوا الفساد وعليكم بتقوى الله الكريم الجواد واذا وقع في يدى حرمة أو رجل منكم صلبته على البوابة قال عثمان بقى شغلي معهم أنا قبل ما يخرجوا من البيت ثم انه ولع الفحم وحضر محاوير حديد وكوى الجميع على قبب أيديهم الشمال وقال لهم هذه علامة التوبة وكل من كان يقع فى يدنا بعد ذلك لا جزاه الا الموت وانصرفوا جميعا وأما الاولاد الصغار كساهم وأدخلهم الكتاب والله تعالى فتح عليهم ببركة القرآن والسيده زينب والاسطى عثمان كل هذا يجري والمقدم مقلد ينظر ويرى (قال الراوى) فالتفت المقدم مقلد الي الامير بيبرس وقال له يادولاتلي لما ان الحرامية توبتهم من أين تأخذ مصاريف مطبختك وكذلك النسوان والاولاد توبتهم بقى اذا كان يوم

اشتهت نفسك ولدولا امرأة تبسط بها من اين تلقى ذلك انت قطعت نصيبك بيدك فالتفت الامير بيبرس الى المقدم مقلد وقال له ياشيخ انت عمرك كم سنة قال مقلد عمرى مائة سنة وعشرة سنين قال بيبرس قطعت منهم كثير بالعبادة قال مقلد والله يادولاتلى عمرى مادخلت جامع الا اذا كان لاجل بول اوغائط وأما عمرى ماقعدت على فرش جامع قط بل أفنت ستين سـنة أقطع الطريق وأخون الرفيق ولا أعرف عهود ولامواثيق وأقتل كل قتيل وأفعل كل أمر وبيل وقضيت باقى عمرى هكذا وكل الطوائف تحت يدى وكل والى اذ رآنى يوافقنى وماعصى أمرى غيرك ولكن أنت الذى قطعت رزقك بيدك وحرمت نفسك من غناك وسعدك قال له الامير بيـبرس يا أبى اذا كنت أنت الآخر تتوب ويكون محى الله عنك هذا المكتوب وترجع عن هذه العيوب وتطيع الله علام الغيوب وتطاوعنى على ذلك وترجع الى مالك المهالك قال مقلد كأنك استهزيت بعقالي وتريد ان تردنى على افعالى ثم تتوبنى عن خصالي وظننيت انى أنا كمثل هذه الناس وتقيسنى بالرجال فى القياس كانك انت قليل العقل خفيف الراس وانا عنـدي خدام مثلك وأمثال والف منـك لم يخطر ولى على بال ولـكن ياعلق يا ابن الانذال مابقى لك عندى بعد هـذا السؤال الا قتلك بهذا السيف الفصال وضربه ضربة فارس همام فأخذ الامير الضربة على اللت فانكسر حسام مقلد وصاح بيبرس ياعثمان قال عثمان مدوه ياجدعان فعندذلك قام الامير بيبرس وضرب مقلد باللت على صدره أرماه وكتفه وهجم عثمان وكتف غلامه فضه كل هذا ومقـلد يقول بس العمر ياحسرة الرجال قال له بيبرس ياشبيهة الخزى مائة سنة تعيش في هذا الضلال ولا ترجع وانت تعلم ان هذة الدنيا زوال وتتوب الى الله المتعال خذهم ياعثمان احبسهم مع بعضهم وتولى انت عقابهم فاخذهم عثمان وحبسهم على غاية الذل والهوان

قال الراوى وفي الليلة الثانية اراد بيبرس ان يركب ويشق البـلد قال له

عتمان بلاش ركوب ياالشقر يا جدع حتى يهدأ روع من كان حاضر عندك ويخف جرحه فاستقام بيبرس ليلتين وهو لا يركب وفى الليلة الثالثة قدم له عتمان الجواد واوقد المشاعل فقال بيبرس هذا ايش لا يظهر به غريم واعايا عتمان اعمل لنا نور يخفى ويظهر للجواد عدة خرصه قال له يا عتمان ماسمعنا بمثل ذلك الا منك الان قال له بيبرس احضر لى خدام الوالى فاحضرهم له فقال لهم ماعلتم العده الخرصه قالوا له ياسيدى لا نعلم ذلك ابدا فقال عتمان هو يعلمكم ماهو عقب ظلم (ياسادة) فمنذ ذلك امر الامير بالمطوس القديم وصنع لهم الشنله وعلمهم علي افعالهم وقال يكون طرف الطالونس والع واذا رايتم شيئا واردتم تشعلوه فيكون معكم شيء من الطالونس الوالع فيشغل وهكذا ثم امر باللبد ووضعه تحت حافر الحصان لاحل عدم الدق فى الارض وكذلك وضع على الحصان العدة الخرصة وهي من الحبل واللباد ولم يدخل فيها حديد ابدا ثم ركب الامير بيبرس وأمرهم ان يربطوا رجليهم باللباد ففعلوا ذلك وركب الامير وسار عتمان الي جانب ركابه ولم يزالوا سائرين الى درب الجماميز (قال الراوي) وكان بالامر القدر ان اربعة حرامية نزلوا على بيت في ذلك المكان وسرقوا وطلعوا ووافقين منتظرين وهم يقولون لا يمكن المسير الا اذا فات الوالي فاذا جاء من الشمال سرنا نحن من اليمين واذا جاء من اليمين سرنا نحن من الشمال وهم واقفين على المفارق ينتظرون ضوء المشاعل ويقولوا لا نسير الا بعد ان يسير الوالى فما يشعرون الا والوالى وعتمان قبضوا عليهم ولا يكلموهم بشيء من ذلك كله وبعد ذلك انطفت الشعلة فصار الدنيا نور وما كانوا يعهدون تلك المشاعيل ولا عمرهم رأوا ذلك وقبضوا عليهم قبضا باليد فالتفت اليهم الامير بيبرس وقال لهم من انتم قالوا نحن مراوحيه قال بيبرس انتم تبيعوا المراوح بالليل قال عتمان دول جدعان حاملين كسبهم ومروحين يا جندى مثل ما يعملوا المراوحيه قال بيبرس قول حراميه قال عتمان يعنى انا غلطت

في اللوح حراميه قال لهم بيبرس انتم من جماعه مقلد قالوا نعم قال بيبرس اكشف ياعثمان عليهم هل فيهم العلامه ام لا فكشف عثمان نواذا بالكي لم يخف من على قبة ايديهم فقال لهم الامير لو كنتم من غير علامة كنت اقول انكم ماسمعتم بالشروط واما لما انتم عالمين بالشروط مالكم عذر بعد التوبة قالوا يادولتلى ان ابن الزناقط لم يتوب قال لهم صدقتم اقتلهم ياعثمان فقدم المشاعيل اليهم وأراد أن يذبحهم فقال بيبرس ايش رايح تعمل يا عثمان قال له اقطع رقابهم فقال له ارجع حتى اعلمك ثم ان بيبرس نزل من على ظهر الحصان واقعدهم واحد بعد ان كتفهم وأمر واخذ يشكهم من قفاهم بمسلة ففعلوا ذلك وضربوا رقابهم فطارت رؤوسهم قال عثمان كان يا جندى حتى للموت عامل صنعة والله ما أنت الا ابن زنا سل مل فقال بيبرس ياعثمان هكذا يكون التضييع من غير ضرر ولا عذاب على المقتول لاجل موتته تكون بالراحه ثم ان الامير اخرج قلم وقرطاس وكتب الاوراق هذا جزاء من يتجاسر على السرقة والحرام ويحرق قلوب الناس على امتعتهم فهذا جزاه وأقل من جزاه ثم وضع كل شيلة من المسروق لجنب صاحبها ثم بعد ذلك احضر الغفرا بتوع درب الجماميز وقال لهم تكونوا محافظين على هؤلاء المقتولين وما معهم من الامتعة واذا جرى عليهم شيء حطيتكم في الليلة القابلة في موضعهم فقالوا له سمعاً وطاعة وبعد ذلك رتبهم وركب ظهر الحصان وسار الى عند باب الخلق فنزل في ذلك المكان وامر الخدامين بالمداراة فما لبث غير قليل واذا بعشرة فقهاء لا بسين جوخ وقفاطين وهم يتحدثون مع بعضهم وواحد يقول للآخر كانت الليلة هذه العمل على رأس الشيخ سليمان فقال الآخر يا جماعة اني كنت مخستك من حسى فقال الآخر الاجرة علي قدر العمل فقال عثمان احفظ ياجدع فنفض الضو من الشعلة واحتاطوا بهم الخدام وأوقفوهم قدم بيبرس فقال لهم انتم ايش يامشايخ فقالوا نحن فقهاء قال عثمان دول من جماعة مقلد

أنتم ما كنتم عندنا أول البارح هي التوبة ليست تنفعد ثلاثة أيام فقالوا له أنت من فقال أنا عثمان يابن القحبة أنا الذي حطيت المشعلة على يدك وقلت لي آه يا اسطى ثم تقدم عثمان وكشف على علامتهم فكانوا الجميع فيهم العلامات فأمر الامير أن يفتشوهم هل معهم عدة الحرامية أم لا ففتشهم عثمان فرأى معهم العتلة والاسنان والمشارط وما أشبه ذلك من آلات السرقة واللصوصية ورأى معهم أمتعة مسروقة فأمر الامير بيبرس بقطع رؤوسهم وكتب أوراق ووضعها على قلوبهم كمثل الذين قبلهم ونزل الى السلمانية فرأى خمسة بهذه الكيفية ففعل بهم كذلك بعد ان كشف عليهم ونظر العلامات وكذلك في الفوطية وفعل كذلك وركب وسار حتى وصل الى الرميله فالتقى بأربعة سارقين من بيت وحاملين المتاع الذى سرقوه فكشف عليهم كذلك فرأى العلامات فقال لهم عثمان يا جدعان نحن أعطيناكم مصروف أول البارح وزوجناكم لبعضكم كيف رجعتم قوام ثم فعلوا بهم كأمثالهم ورجع بيبرس الى منزله هذا ما جرى وأما أهل البلد الرعايا فأنهم لما أصبحوا فكان أول من صحا على بيته الذى فى درب الجماميز فصاح يا متاعى والنساء صاحوا فطلع صاحب البيت هالع واذا بالغفرا قالوا له مالك قال لهم انسرقت حوائجى فقالوا له يا شيخ ان الذين سرقوا بيتك ما برحوا بمالك وان كل رجل منهم بقى اثنين تعالى خذ متاعك ثم أحضروا شيخ الخط وشهد عليه واعطوه متاعه وكذلك الذي فى باب الخلق وكل ما كان وفرحت الخلق بهذا الحال

قال الراوى ومما اتفق من الوزير ايبك التركمانى فانه فى ذلك النهار لما أصبح عليه الصباح ركب مثل عادته يريد الديوان واذا به يجد عند باب الفوطية قتلى فارتعب قلبه ولم يقدر يلتفت ومشى الى السلمانية فرأى قتلي فدارت بطنه فدخل على الموسكى الى باب الخلق واذا بقتلى والى درب الجماميز فوجد كذلك ولا زال حتى وصل الى الرميله فوجد بالمثل فسار الى باب القلعة واذا بالقاصى التقاه وهو

يرتعد مثل السعفة فى يوم الريح العاصف فقال القاضى ما الخبر ياوزير قال ايبك الخبر مثل الطين يا قاضى اعلم ان بيبرس ولد علق على شان السرقه قتل ناس كثيرة وملأ الارض بالقتلى وأنت كلما نعمل تدبير موت بيبرس تقول أحط فلوس وتقول ايبك يحط مثلها وأنا أحط فلوس على شان بيبرس يموت يأخذوها منا ومافيش مرة يقع وأنت يا قاضى أحرمتنى فلوس متاعى وضيعتها على بيبرس وهو فى هذه الليلة قتل نصف مصر فقال القاضى اذا كان الامر كذلك احنا نشكو الى السلطان ثم انهم ساروا طالعين الى الديوان واعتمدوا على انهم يشكوا بيبرس الى السلطان يكون لهم كلام (قال الراوى) وأما ما كان من الملك الصالح أيوب فانه بات وأصبح مثلك يا مؤمن يصلي على نبي فى كفه الورد فتح ظهر وجلس على تخت قلعة الجبل ووحد القديم الازل التفت الى الميامن أطرقت والى المياسر أطرقت والصدر والجناحين وقرأ القارىء وختم ودعا الداعي وختم أمنت العساكر ترك وعرب وعجم وبعد ذلك صاح شاويش الديوان يقول صلوا على الرسول

الدنيا كصوت عاجز والجارى بها يتسير
لاتذكر نعايم فيها فالعاقل نعم يتحير
قل جل الذي في ملكه بغير ولا يتغير

قال الراوى فقال الملك آمنا ولله أطعنا من أين كنا حتى اتصلنا يا حاج شاهين جزاهم على الله لا بد ان الله تعالى يظهر الحق ولما راق الديوان وثب القاضى قائماً على الاقدام ووقف على رخامة الطلب وقال يا أمير المؤمنين هو الوالي تولى الولاية على سفك الدماء وقتل الناس المؤمنين فان هذا لا يجوز وقد قتل خلقاً كثيراً وهذا شيء لا يحل من الله فقال ايبك أنا شفت بعينى يا أمير المؤمنين حتي اذا أدعا وقال انهم حرامية فلا يجوز قتلهم بل كانت تنقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فان الله تعالى قال

(السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) (الآية) وأنت يا مولانا السلطان اذا تركت ذلك فانه يحرم عليك فان كل راعى مسئول عن رعيته يوم القيامة وهذه الرعية أنت مسئول عنها فقال السلطان اذا كان فعل ذلك يبقى مخطىء ابعث هات بيبرس يا شاهين فأرسل الوزير الى الامير بيبرس وكان بيبرس نايم لانه بات سهران حتى صلى صلاة الافتتاح ونام فلما وصل رسول الاغا شاهين طلع الى المقعد فرآه نائم فأراد أن يرجع فاستيقظ الامير بيبرس فشافه وقال من هذا فأخبره انه مرسول من الوزير اليه وان الملك طالبك ليسألك عن ذلك القتلاء الذين فى الشوارع والطريق فقال على الرأس والعين ثم انه قام ولبس ملابسه وحضر له عثمان الحصان فركب وطلع الى الديوان ثم انه خدم وترجم وأفصح ما به تكلم وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لا بلغت أعداءك فيك مرادهم — كلا ولا يصلوا اليك بمكرهم
فلقد حويت مشارقا ومناقبا — ولووا الاعداء عنها على أدبارهم
ما دمت منصوراً عليهم دائماً — الله يرمى كيدهم فى نحرهم

قال الراوى فقال السلطان أهلا وسهلا بالرجل المجتهد فى تنظيف الطرقات من الرمم وحافظ العهود والذمم أنت لأي شيء عمال تمكن السيف فى خلق الله وقتلت أناس كثيرة من عباد الله يارجل أنت ما تخاف من الله قال بيبرس انى أخاف الله رب العالمين يامولانا السلطان أنا ما قتلت الا كل من يستحق القتل وأنا أحكى لك وهو أن مقلد هو الذي كان مسرح الحرامية فى شوارع مصر وحكى له الذى نجرى بينه وبين مقلد وتوبة الحرامية وأعطوهم الدراهم وزواجهم والعلامات الذي علمها عليهم بالنار وبعد ذلك رأيتهم سارقين بالليل وكشفت على علاماتهم وبعد ذلك قطعت رؤوسهم وأما مقلد فهو الآن عندي فان تاب تاب الله عليه وان لم يتب جعلته مثلهم قال السلطان يبقى المقتولين يا سيدي فيهم العلامات فان كانوا كذلك يبقي الحق بيد بيبرس فنزل عزالدين الحلبى باذن السلطان

لانه قال قم ياعز الدين وصحح لنا الخبر وشوف العلامات فان كانوا كذلك يبقي الحق بيد الامير ولما نزل عزالدين الحلبي وكشف عن الجميع ورجع وقال يامللك الاسلام رأيت الجميع فيهم العلامات وكانوا معه اربعة من الا كراد واعلموا السلطان ان أصحاب المتاع المسروق أخذوه بمعرفة الخفراء ومشايخ الحارات فلما سمع السلطان هـذا الكلام قال ياقاضى بقى بيبرس ما افتراشى على الناس بل انه قتل بحق شرعى والحق مع بيبرس فى ذلك يا قاضى قال القاضى ياملك الاسلام ذلك الفضل من الله ثم التفت القاضى الي ايبك وقال له نحن لو كنا علمنا بالعلامات كناقتلنا رجال بلا علامات وكان بيبرس عوت فيهم قال له ايبك لابد من ذلك وهي قدامه ليس له منها خلاص (ياساده) فعرف الملك ماهم عليه عازمين فقال بيبرس ان وضع الرمم على قارعة الطريق فيها كشف سترالناس والصواب دفن الرمم من حيث انه لابد لك من تنظيف الارض من تنظيف الارض من اللصوص فانى في كل مفارق جب وفى كل بوابة جب فاذا رأيت في الليل من هـذا الجنس وقتلتهم فلا تبقيهم بل تأويهم في الجب الذى يكون قريبا منهم فان الستر ياولدى مطلوب وقال الاقدمون

بعدى عن حبيبى أستر وأجمل لاعينى تراه ولا قلبى يحزن

(قال الراوي) فنزل بيبرس من الديوان واذا بالاغا ريحان اغا الدار قبل يد الامير وقال له ان الملكة قالت قول الى بيبرس كلم لمك فاطمة شجرة الدر فقال بيبرس سمعا وطاعة ثم انه توجه اليان وصل الي حرم السلطان فنادت السيدة عليه وقالت له اطلع يا عادل فطلع وقبل يدها فعند ذلك قالت له ياولدى مرادي منك ان تأخذ هـذا الكيس بالفين دينار تكلف به قبور صدقه يدفن فيها الغرباء والفقراء وكذلك ابنى فى كل مفارق الطرقات جبا كما أمرك ابن عمى واجعل هذا من مالى وثوابا لى وأنت شريكي يا ولدي فى الثواب روح ياولدي الله يبلغك ما تريد ويرزقك

النصر والتأييد على كل كافر عنيد قال بيبرس سمعا وطاعه ونزل من عندها ووصل الى منزله وأحضر المهندس وامره بذلك وأمره ان يجعل فى كل بوابة جب ومن برا البوابة كل باب عشرة قبور للصدقة خمسه للرجال وخمسة للنساء وجعل في كل مفرق طريق جب فكان فى شوارع مصر سبعة عشر جبا وسبعة فى الابواب والجملة أربعة وعشرين جباوسبعون تربه وكل ذلك من مال السيدة فاطمة شجرة الدر وطلع بعد ذلك وأخبر السلطان بذلك فقال هذا رأى حسن لاجل اذا سقط ساقط بالليل لايراه احد في النهار لاجل ان يتمكن الاعادي منك يا بيبرس فقبل يده ونزل مجتهد في تمام القبور والاجباب يقع لها كلام اذا اتصلنا اليه نحكي عليه والعاشق في جمال النبي يكثر من الصلاة عليه (قال الراوي) وأما ما كان من أمر السلطان فانه لما نفض المنديل وتحولت العساكر والرجال ونزل ايبك ووقف على باب الديوان حتى لحقه القاضي فالتفت ايبك الي القاضي وقال له انت سبب فقد مالى واتلاف حالى ولم أبلغ به آمالى يامقطه بتاع الزغل التدبير بتاعك بطال أما والله بالله ياقاضي ان لم تعمل تدبير طيب من شأن بيبرس يموت والا أضربك واحد نبوت على راسك أكسر عينيك لانك انت سبب هذا كله ياقاضى فقال القاضى لاتخف فانى لابد ان أدبر عليه حيلة وأهلكه بها عن قريب وسوف تنظر بعينيك كل أمر من فعلى عجيب وبعد ذلك سار القاضي الى أن وصل الى حارة الروم وأيبك مضى الى منزله (قال الراوى) ولما وصل القاضي ولع شمعة واحضر قلم وقرطاس ودوايه من صنف النحاس وكتب كتاب وأوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وانتم نوحد الملك القريب المجيب ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الحبيب أما بعد من حضرة عالم الروح وكل أمر محتوم البركى جوان عالم علوم ملة الروم والكرستيان الى بين أيادى والدي المقدم زغوير الارملى باش عايق ببحاير ايغره اعلم

ياولدي انه ظهر في بلاد الاسلام غلام اسمه بيبرس ولكنه آفة من الآفات وهو يكره دين النصرانية ويخرب الكنائس ويبني مدارس ويخرب الصوامع ويبني جوامع ويخرب الديور ويبني قصور وانا لما رأيت تلك القضية فما هان على دين النصرانيه وها أنا مجتهد في موته وهلاكه على هذه العبارة لاجل نصرة دين النصارة ولكن لما أطلعت على كتاب اليونان وحكمة أهل الزمان رأيتك أنت الذى يكون على يدك قتله ولما رأيت ذلك كتبت اليك هذا الكتاب فاذا قرأت كتابى هذا تجمع الذى تحت يدك من العياق وتأتي الي مصر وتجتهد كل الاجتهاد حتي تقتله وتريح النصارى من شره ولك فى نظير قتل بيبرس أقدم لك عقد حرير فيه مائة عقده كل عقدة بسنة زياده في عمرك كل ماتفرغ منه حل عقده الى ان ان تمضي تسعة وتسعين فاذا أردت ان تعيش كمان ارجع اعقدهم ثانى مره يرجعوا لك مائة غيرهم ويبقى عمرك بيدك تحل فيه وتربط وبعده أوهبتك ياولدي اثني عشر فدان فى سقر وأوهبتك قراطين من الوادى الاحمر وأوهبتك خمسة عشر مصطبة في الهاوية كل هذا في نظير ماتقتل بيبرس المسلم وتريح النصارى منه وهذا ماعندى والشكر للمسيح ثم طوي الكتاب ودعي بغلامه وقال له يا ابن سيف الروم سر بهذا الكتاب الى زغوير بن لوقا الارملي وقل له يعمل بما فيه فأخذه بالسمع والطاعة (قال الراوي) وأخذ البرتقش ليلا وطلع يقطع الجبال وكل أرض وبحيره حتى وصل الى بحيرة ايفره ولما دخل علي الملعون زغوير فى مكانه فدخل عليه ولما رآه عرفه ففرح به وسأله عن سبب قدومه فقال له ان البركي جوان قد أطلع على كتاب اليونان فرأي امارة اشارة بانه على يدك اقامة دين النصرانيه فكتب لك كتاب لاجل تلك الاسباب وأنا جئت به اليك لاعرضه عليك فقال هو ابي جوان في الارض أو في السماء فقال البرتقش هو لا يطلع الى السماء الا اذا كانت له حاجة عند المسيح يقضيها ويعود الي

الارض ويجتهد فى نصر دين النصرانيه لانه عليه فرض ثم ان البرنقش ناوله الكتاب فحله وقرأه وفهم رموزة ومعناه فأجابه بالسمع والطاعة وكتب له رد الكتاب فأخذه ورجع الى استاذه فلما رآه فرح به واطمأن فؤاده هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي) واما ماكان من الامير بيبرس فانه صار يشق في مصر ليلا ونهارا يجدها فى امان واطمئنان فشكر على ذلك ربه الحنان المنان ودام علي ذلك الامر والشأن مدة من الزمان الى يوم من بعض الايام كان فى الصره والبساتين وهو محل الغورية الآن وكان هناك خان وذلك الخان عريف جميل يقال له خان السبيل فلما مر الامير بيبرس على ذلك الخان في هذا النهار فنظر الي ولد صغير يتشاجر مع رجل اختيار لكن الولد يسبه والاختيار مطول باله عليه والولد يقول يا ناقص يا رخيص قم هات المال الذي عندك فيقول الاختيار والله ما اعطيك الا على يد الوالى حتي يفصل بيني وبينك هذا والولد يزيد في السفاهة علي الاختيار فتعجب بيبرس وقعد على دكان من داخل دهليز الخان وقال للاختيار ياأبي اذا كان هذا الغلام له عندك حق ومرامه أن يأخذ حقه منك ايش السبب انك تقول ما اعطيك الا على يد الوالى وبعده التفت الى الولد وقال له لاى شيء هذه السفاهة وانت تعلم ان الادب مطلوب وقال الرسول الخير في امتي مادام صغيرهم يوقر كبيرهم فقال الولد انا طالب حقي وطلب الحق لا جناح عليه فقال الامير للاختيار ايش الحق الذي عليك ان كنت انت عاجز عنه فقل لى وانا ادفعه عنك ابتغاء وجه الله تعالى فقال الاختيار يادولتلى أنا احكي لك حكايتى فان فيها موعظه لكن أريد منك ان تروق ذهنك وتلقي سمعك وتكثر من الصلاة علي الرسول صلى الله عليه وسلم قال بيبرس اللهم صلى وسلم عليه قال انا كنت أولا كبير هذا الخان وشيخ علي كل التجار الساكنين فيه فيسمعون كلامي ويحفظون مقامي وكنت تاجر مثلهم واكثر منهم اموالا وتاه مالى لاجل امر يريده الله

انا مقيم يوم من بعض الايام على باب الخان اذ نظرت الى رجل سائل و هو يقول ما عندكم فان وما عند الله باق هنيئا لك يافاعل الخيرات فندهت عليه فلما وصل الى عندي اردت أن اعطيه شيئا على قبول الصدقه لوجه الله تعالى واذا به وقع الي الارض وفهق فهقة فخرجت روحه ومات لحينه فقلت لا حول ولا قوة الا بالله فهذا قدر الله الكريم الحليم فقالوا لي التجار ان كنت ناوي تعطيه صدقه فاجعلها كفنه واخرجه واوليه الى رحمه الله تعالي وكان هذا الغلام واقفا بجنبه فقالوا التجار وخذ ابنه ربيه لوجه الله تعالى فقلت لهم وهو كذلك ثم اني حضرت الحنوط وشرعت في غسله وتكفينه وعملت له مشهدا عظيما وقد دفنته في القرافه ورجعت وعملت له ما يحتاج اليه من آلختمات والسبح والرحمات وبعد ذلك اخذت الولد عندي وفصلت له قفطان وجوخه وبدلة وهدوم وادخلته الحمام وحميته ولبسته ذلك البدلة وجعلته ولدي لوجه الله تعالى فصار يأتي معي الى الخان ويروح الى بيتي حتي انه كبر وانتشاو وصار يجتمع مع اولاد الحارة والتجار وبقي عندهم بمنزلة عظيمة وصار التجار يكرمونه اكراما زائدا وكذلك اولادهم اكراما واجلالا لخاطري الى يوم من بعض الايام وانا جالسا في الدكان وأنظر الى الارض فرأيت خنفسه وهي تمشي في الارض فنهضت من مكاني وضربتها برجلي وقلت لها يعني ملك الله ناقص حتي خلقك وقتلها ثم رجعت الى مكاني جلست برهة قليله فاكلني رأسي فهرشته فطلع فيه دماميل وهميات ولا زال يكبر حتى صار مثل الرغيف وزاد علي الوجع فلزمت البيت وتركت الخان ومالى تحت يد الغلام من الحواصل فخلاني ولم يسأل عني فأرسلت اليه على انه يعطيني شيئا من مالى فارسل لى يقول ليس لك في الخان شيء واقام هكذا مدة وانا عيان فدورت على اساش البيت وصرت أبيع وآكل أنا وعيالي الي ان نفد جميع ما عندى على طول الايام واخيرا بعت البيت وسكنت

بالاجرة وبقيت اصرف حتى نفذ ثمن البيت وبعد ذلك بعت ملبوسي حتى بقيت لا املك شيئا مطلقا فضاق صدري من ذلك وليس لي رحيما الا الله تعالى ومن شدة ما ضاق بي الامر قصدت الى مقام السيده زينب وأرميت حملي عليها وشكيت حالي والذي اصابني اليها فهتف بي هاتف وهو يقول لى اياك واعتراض فانك اعترضت على الله تعالى حيث انك استحقرت بخلقته والله ماخلق شيئا الا يسبح بحمده ولا خلق شئيا الا وله منافع فاذا أردت العفو تب لله تعالى في مقام السيد على الاعتراض وعد الى بيتك وخذ سبعه خنفسات واقليهم فى الزيت الطيب ثم جففهم بعد القلى ثم احرقهم بالنار واسحقهم ورش منهم علي ذلك الداء فان الله يشفيك ويعافيك مما انت فيه ففعلت ذلك يا سيدى وتبت عن الاعتراض فى مقام السيده وقد شفاني الله ولما شفيت اتيت الي الخان فسلموا على جميع التجار وهنونى بالسلامه الا الا هذا الولد استغني عنى فجلست علي دكان من جملة الدكاكين فاخبرنى صاحب ذلك الدكان ان هذا الولد دارت يده علي جميع التجار الذين مقيمين في الخان وصار يتكلم عليهم وقد اطاعوه جميعا واعطوه المشيخة عوضا عنى وانا عزلونى بطريقة انى كنت عيان فقلت ان شاء الله لعله يكن خيرا ثم انى اقمت الي الظهر واذا برجل عجمى اتي من بلاد العجم بمتجر وكان ذلك الرجل بيني وبينه شركة وأخذ وعطاء ولما سأل عني أخبروه بانى افتقرت وقالوا له مات متجرك ولكن نحن نبيع لك هذه البضاعه ثم انه تركهم واتى الى عندى وقال لى يزول عندك الهم والغم فقلت له الحمد لله علي كل حال انا بخير من الله تعالى فأعطانى عشرة طاقات مقصب عالي مشغولين من القصب المحبس وقال بيع الواحدة بمائه دينار واعطيني تسعين وخذ انت العشرة فقلت له سمعا وطاعة فأخذتهم وبعتهم واتيت اليه بالدراهم فقال لي الثمن والربح كله اليك هبة منى اليك فان الله عوضنى ببركة نبيه وأوليائه خيرا حتي انك تروح وتخلص ما عليك من الديون ففرحت بذلك وعلمت ان هذا كله ببركة السيده زينب رضى

الله عنها فبينما انا كذلك واذا بالولد مقبل علي وقال لي هات الدراهم انا آخذ النصف وأنت تأخذ النصف فقلت ياولدي سامحني في ذلك لانني محتاج اليهم وقد ربيتك ياولدي فاحفظ حق التربيه وسامحني في هذه القضيه لانه لوكان لك هذا المال ماتفعل معي كل هذه الفعال فقام لي وأهانني وصار يسبني كما تري فقلت له لاأعطي لك دراهم الاعلي بدالو الي والحمد لله هاأنت حضرت الي عندنا فاحكم بما يرضي الله بيننا وهذا آخر كلامي وهذا الولد أخبرتك بقصته والسلام (قال الراوي) فلما سمع الامير بيبرس ذلك القول من الاختيار غضب والتفت الى التجار وقال لهم حق ما قال هذا الشيخ ياأخيار قالوا نعم يادولاتلي كلما قاله فهو صحيح ولا فيه زور ولا تلويح فاقبل على الغلام وقال له هذا جزاء ربايته منك ياولد تفعل معه هكذا ما هو فعل أولاد حلال قال له الولد نحن ناس مشايخ نحكم في بعضنا بالقانون ولا يحكم علينا من له تعلق بالدوله لاو الى ولا غيره انت تحكم علي الحراميه ولا لك على التجار حكم اركنا منالبعضنا نصتفل قال له بيبرس يبقى القانون لك أنت دون الناس اذاكان هذا الرجل أحكي قضيته وشهدوا له هؤلاء السادات بصدق قوله وثبت ان التاجر انعم بالدراهم عليه فما يكون تعرض مثلك له والسفاهة عليه فقال الغلام اناأعرف القانون وأنت ما الذي يخصك امضي أنت الى حال سبيلك من عندنا وانظر دعاوي غيرنا (قال الراوي) فلما سمع الامير من الغلام ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وامتزج بالغضب وظهرت له سبعة جدريان بين عينه وتفرت عروق حاجبيه وتحول السبع اللحم وصار ظاهر بين صدغيه فصار اذا رأته الحامل يسقط حملها واذا نظرته الخيل تبول الدم ولا بقى يعلم ان كان هو فى الارض اوفي السماء وصاح فى الولد بأعلى صوته اعطيه الدراهم فاحتاج الولد وأعطاه الدراهم ثم صاح بيبرس على الخدام وقال ارموه فارموه الى الارض وأمر بضربه بالسياط حتى طارت اظفاره ومن ذلك خافت

التجار من الوالى ولما انتهى من ضرب الولد قال للتجار ان هذا الولد لا يصلح ان يكون شيخا عليكم بل اعزلوه والشيخ هذا الاختيار قالوا سمعا وطاعة وقاموا جميع التجار أخذوا بيدا الاختيار وجعلوه شيخهم مثل ماكان (قال الراوي) لهذا الكلام العجيب صلوا على طه الحبيب الذي كل من صلى عليه لا يخيب لانه كان فى مصر ذلك الوقت رجل شاه بندر تجار يقال له السيدعبداللطيف الدمشقي وهو الحاكم على جميع الخانات يعني خان السبيل وغيره وكان في ذلك الوقت مارر من جهة المتولي وهو قاصد الى جهة الجماليه واخبروه بعض العوام بما جري على شيخ خان السبيل من الوالى وكيف انه ضربه وعزله ولبس الشيخ القديم فقال ان الوالى ليس له حكم على التجار ولاي شيء تعدي على خان السبيل ثم انه أقبل الى خان السبيل فوجد الامير بيبرس جالس والناس على ماهم عليه ثم نظر الى الغلام المضروب وفهم ان الوالى ضربه فجلس على اعلا مكان ولم يبدى سلام وكان تلبس به الغضب واحتوى على عقله الشيطان والتفت الى بيبرس وقال له ياالاغه انت من أمرك ان تدخل الى هذا الخان وهذا فيه أموال التجار وانت والى مصر واولاد الزني كلهم تحت يدك والاشرار وايش الذى الجأك تدخل الى محل التجار فقال بيبرس ياأبى انا ما أخذت منه شيئا وانما رأيت اثنين متخاصمين حكمت عليهم بالانصاف بحكم العدل لاجل منع الخلاف فقال له السيد عبد اللطيف انت تقدر على مثل هذا كله ولكن انا اطلع الى السلطان واشكى اليه لانه اذا عدم من خان السبيل فانت المطلوب به فقال له الامير بيبرس ياأبي هذا شيء ظاهر اذا عدم لك شيء من كل البلد فهذا فى لزوم الوالى وانت ياأبي طيب قلبك اذا عدم لك شيء من خان السبيل اوغير خان السبيل فانا الملزوم به وكل ماضاع منك قليل أوكثير فما أخذه أحدا الا انا وانا الضامن وان أردت مني اكتب لك حجة بهذا القول على يد هؤلاء التجار يكون بينة فقال عبداللطيف

هـذا هو الصواب لاجـل الاعتبار والعاقل يعتبر بغيره أنت تهجم على محل التجار وتضرب مع انى أقدر أجيب مملوك يكون أجل منك قدراً واجعله والي على مصر فقال الامير بيبرس تقدر يا أبي ولـكنه أسرها الامير بيبرس في نفسه وقال يا أبي أنا أكتب لك كل ما عدم أنا ضامن له وكفيل

قال الراوي هنالك تقدم عثمان وقال له عمال تنفخ يا شيخ ومالك حد طولت لسانك وسر البرقمة أم البيت لوأعلم أن الجنديماينبطيش ما كنت أنت تقدر تقول كلمة ما أخلي الا واحداً من السياس يقطع بيت منيكك ولـكن قم يا أشقر ولا تكتب الحجة فقال بيبرس لا يا عثمان لا بد أن اكتب أقعد أنت ساكت يا عثمان ثم أن بيبرس بطل كلام عثمان وكتب الحجـة وانتهى الحال وشهدت المؤمنين من الناس الحاضرين والتجار والخواجات أجمعين وبعدذلك انصرف بيبرس الى حال سبيله ومضى ذلك النهار ولما كان عندالصباح أقبلوا التجار يروموا أن يفتحوا الخان ويقعدوا فى أماكنهم فوجـدوا باب الخان مغلوق فندهوا على بوابين الخان وخبطوا بالاحجار فلم يجاوبهم أحدفأقاموا حتى تضحى النهار وحضر السيد عبداللطيف ورأى التجار وهم كل واحدمنهم واقفا محتار فسأل عن الاخبار فقالوا له ليس الخبر كالعيان من الصبح ونحن واقفين على باب الخان ونحن كما تري وهذا الذي جرى (يا سادة) وكان ذلك الخان حصين مكين ليس له منفذ ولا محل ليدخل منه انسان فلما أعاقهم الامر جلسوا على باب الخـان الى أن تضحي النهار فلاجل أمر يريده الله تعـالى فايت الامير بيبرس من الطريق فتعلق به الخواجه عبد اللطيف ومعه الخواجات وشكوا لهم ما أصـابهم وانهم لا عرفوا فتح الخان فجلس الامير بيبرس ولم يعـلم ما قد جرى فى عالم الغيب (قال الراوي) وأعجب ما روي في هذا الديوان ان المقدم سقر اللوالي اجتمع مع المقدم سقر الهجان وقال يا أخي الدولتلي بيبرس له مـدة طويلة ما رأيناه ولا علمنا ما الذي أصابه

من أخوال الدنيا والله يا أخى أنا مشتاق اليه سر بنا حتى نجتمع عليه لانه أخينا وزيارة الاخوان واجبة على كل انسان ورحمة الله على ما سلف وان القائل يقول صلوا على الرسول

رفيق رفيقنا يعتب علينا فوا أسفاه من عتب الرفيق

(يا ساده) ثم ساروا الاثنين الي أن وصلوا مصر ثم انهم راحوا الي القلعة وسألوا عن بيبرس فاخبروهم بعض الخدام بانه صار والي مدينة مصر فنزلوا يفتشون عليه فعثروا به قدام الخان وهو قاعد علي بابه فسلموا عليه فهناهم بالسلامة وفرح بقدومهم ثم انهم سألوه عن هذه العبارة فاخبرهم بالحال وما جرى فى ذلك المكان فقالوا يادولتلى ان امرتنا بالطلوع الى هذا الخان طلمنا وان امرتنا بفتحه فتحناه فقال بيبرس كيف ذلك قالوا يادولتلى اذا اراد الرجل منا ان يطلع علي صور لطلع فقال هيا يا اخوانى افعلوا حتى أرى مايكون فعند ذلك وقفوا الاثنين وأخرجوا من أوساطهم السرياقات وكل واحد منهم ارمي مفرده ودور شككه بعد ماطرح الكلاليت على صور الخان وشد رحاياته وتعلق كل واحد منهم علي مفرده وبعد ما كانوا تحت الجدار بقوا فوق الاصوار فلما نظرتهم أولاد البلد والخواجات صاروا يتكلمون مع بعضهم فمنهم من يقول لرفيقه انظر يا أخى وكيف طلعوا على الحيطان وهم كانهم الفيران فيقول الآخر ما هم رجال الوالى وهو الذى يسرحهم من تحت يده وفى الناس من يقول ماهو كبير اللصوص وقد زاد الكلام فيه بين الناس هذا وقد طلعوا الاثنين الي اعلا الخان وأرموا الاكر ونزلوا الى حوش الخان فلم يجدوا فيه شيئا ووجدوا الغفرا والبوابين فى قلب الخان مبقجين ففتحوا الباب ودخلوا الخواجات واذا بالخان خالي كانه لم يكن فيه شيء مطلق لا كثير ولا قليل وكانه مكنوش فتعجبوا الناس غايه العجب

وسألو الغفرجيه عن تلك السبب فقالوا نحن لا نعلم بشيء من ذلك الاسباب بل اننا غلقنا الخان مثل عادتنا ولا نعلم ما أصابنا فى غفلتنا فاننا كنا نائمين حتى أتيتم الينا وأيقظتمونا من مكاننا فقال عبد اللطيف نحن لا نلزم مال خان السبيل الا اليك ولا نأخذه الا منك يا أمير بيبرس لان عندنا عليك حجة وما بيننا وبينك الا السلطان فقال بيبرس مرحباً وكرامة (ياسادة) فقال سقر اللوالي وسقر الهجان يا دولتلي هذا شغل عياق ماهو شغل سراق لان السارق ما يحسن يفعل ذلك فقال بيبرس يا مقادم الامر فى ذلك لله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ثم ان بيبرس ركب وعاد الى داره ومعه الاسقار الاثنين ولكن ما يحسن أن يقول وهو على رأي من قال هذه الابيات

أكلم الناس ما أدري ما أقول لهم ... فان كلموني يروني غائب الفكر

قال الراووى وأما السيد عبد الليطف فانه أخذ جميع تجار الخان وطلع بهم الي الديوان ليشكي الي السلطان (يا ساده) وكان الملك الصالح في هذا اليوم جالس على تخت الديوان والديوان متكامل وكان يقول الله يا دايم الجزاء من جنس العمل جراء الخلق على رب الخلق يا حق أنت الحق اللهم أظهر الحق وأعلى كلمته اللهم اخمد الباطل واخذل كلمته يا حاج شاهين الرجل عنده المال ولكن ما يسد شئ ولا يلزمه شيء وأيضا هذه غفيرة أم النور والكرامات وهو جارها والجار بالجار ولو جار لا سيما وهي من أهل الاقتدار والعاقبه ياحاج شاهين سليمة والرجل طريقته طيبة مستقيمة والذي ما أخذ شيء لا يعطى شيء (يا ساده) واذا بالسيد عبد اللطيف الدمشقى يقبل الارض بين يديه العاشق فى جمال النبي يكثر من الصلاة والسلام عليه يا أمير المؤمنين أجرنا وخلص حقنا ورد علينا أموالنا ثم ان عبد اللطيف أشار قدام السلطان وأنشد يقول

أذل لاعدائى وأنت وسيلتى ... وأظلم في الدنيا وأنت نصير
يعار على راعى الحمى وهو حاضر ... اذا ضاع فى البيدا عقال بعير

(قال الراوى) قال السلطان اهلا وسهلا بعبد اللطيف الدمشقي والتجار بتوع خان السبيل وأشغالكم ايه وعاوزين ايه فقال عبد اللطيف ياأمير المؤمنين نحن أهل خان السبيل وهذا الخان عمره لا سطا عليه حرامي ولا سارق ابدا الا في هذه الليلة وسبب سرقته بيبرس والى مصر لانه دخل للخان وتعلل على الخواجات وأنا قلت له انت والى وطرفك أولاد الزنى واللصوص وأخاف أن يكون أحد من اتباعك يسطوا علينا فقال لنا انا ضامن في كل ماضاع من خان السبيل وغيره وقد كتب لنا هذه الحجه وبتنا وصبحنا رأينا الخان مقفول ولما حضر الوالي احضر معه رجالة مدوا الحبال وطلعوا عليها وفتحوا الخان فوجدنا الخان مافيه شيء ولا ماينقر الطير فسألنا الوالى لانه هو ضامن فقام ولا رد علينا جواب وهذه قصتنا ونحن طالبين اموالنا بموجب هذه الحجه فضلا عن انه والي وتحت يده مقدمين الدرك وهو المسؤل على كل ماضاع من البلاد (ياكرام) ثم أن عبد اللطيف طلع حجة شرعيه مكتوبة على الامير بيبرس وقال له تفضل ياأمير المؤمنين فاخذ الحجة السلطان وأعطاها للوزير يقرأها وأذا مضمونها الزام بيبرس فى كل ملفقد من مال خان السبيل (ياساده) هناك تحرك القاضى من مكانه وهز ديدبانه وجنح طيلسانه وقال ياملك المسلمين ان مال خان السبيل حقا فهو يلزم بيبرس قطعاً هذا القول لا شك فيه ولا ريب بطريقة ما كتبوا عليه هذه الحجة وايضا ياملك المسلمين ايش يقول اذا كان له رجال يتسلقون علي الحبال ويطلعون على الاصوار فانا أقول انهم هم السارقون وان الامير بيبرس هو القاعدة لهم ولا يلزم السكوت علي حقوق المؤمنين يا مولانا لا تتخلى عن هذا الامر ابدا فان الذي له مقدرة على هذه الفعال يخشى منه ان يتجارى علي ما هو أقوى من ذلك يعنى يتجاري علي قلعة الجبل ويملك بهذه الرجال الذين يطلعون على الحبال كلما أراد ونحن نخاف منه يا ملك فان هذا شيء من الكبائر ياحفيظ تحركوا ياأجدادي ياغراقيون قال السلطان طيب

يا قاضي الله اعلم بالسرائر قال المعز ايبك التركماني الحق مع القاضي يا بعض شاه اذا كان انسان مثل ذلك موجودين احنا كمان نخاف على رؤوسنا اذا كان ايبك نايم كمان الست حريم بتاعنا اطلع فلاح ازرب علينا واحد سيف نموت على باب الله لازم من دعوة ديه ماسيبوش ابدقال القاضي كذلك ياوزير قال السلطان ياحاج شاهين حضر لنا بيبرس حتي ننظر هذه العبارة فعند ذلك ارسل الوزير اثنين مماليك لطلب بيبرس فساروا طالبين دار باديس وهو منزل الامير بيبرس هذا ما جرى فى الديوان (قال) واما ما كان من الامير بيبرس فانه لما رجع من خان السبيل حضر مقلد بين يديه وقال يارجل انت لما انحبست كان لك اناس من تحت يدك سرقوا مال خان السبيل وانما انا لما طلبت منك ان تتوب فما رضيت مع ان من تاب تاب الله عليه وانت لا قبلت ان تتوب ولكن اعملني على الذي فعل فعل ذلك الفعل الوبيل وسرق مال خان السبيل وانا وعزة الله أطلق سبيلك واسامحك فى الذي مضى ولا أعاقبك الا اذا حصل منك ذنب جديد فقال مقلد يا دولاتلي وحق مقام السيده زينب الذى انت تلميذها لا أعلم ولا أرسلت ولا وكلت ولا لي علم بالذى سرق خان السبيل فقال حرحش يامقدم مقلد أنت من اين لك اعتقاد فى السيده زينب مطلق ما تعتقد شيئا في آل البيت ولا غيرهم والدليل علي ذلك لما كنت طلبت مني حرق حارة الدولاتلي فذكرت لك انها بجوار السيده زينب فلم تقبل مني وقلت لى ان السيده ماتت (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام ارمي مقلد وضربه ضربا وجيعا وقرره فلم يعلم وبعد ذلك ضرب غلامه فضة فلم يعلم بشيء فاعادهم الي السجن ثانيا وفي ذلك الوقت حضروا الاثنين الذين ارسلهم الوزير فى طلبه الي الديوان وصبحوا عليه وقالوا له اجب أمير المؤمنين فقال الامير بيبرس سمعا وطاعه ثم قام من ساعتة وركب وسار طالب الديوان وتقدم وقبل الارض وخدم وترجم وافصح مابه تكلم ودعى

للملك الصالح ودولته بدوام العز والنعم قال له السلطان يا سيدى بيبرس أنت صحيح كتبت عليك حجة بضمان ما عدم من خان السبيل وكان الخان عامر قبل أن يسرق ولما ذلك يعنى لان مصر فيها خانات بكثرة ومحلات فيها مال أكثر من خان السبيل ولماذا أنت اختصيت بخان السبيل وكتبت عليك حجة بضمانه من دون غيره فقال القاضي ولا بد له فى ذلك مآرب أخرى قال السلطان أسكت يا قاضى وأنا أكلمه فعند ذلك أحكى بيبرس للسلطان على الرجل وكان اسمه نصار واسم الولد عبد الهادي وكيف انه حضر السيد عبد اللطيف الدمشقى والعبارة التى جرت وهذا سبب كتابة الحجة قال السلطان ومع الحجة يا بيبرس انسرق الخان وحكمه قريب فى ظرف كتابة الحجة وبعد ذلك بقى يلزمك مال خان السبيل ايش تقول فيه قال بيبرس يا ملك الاسلام أنا أعلم حقا فى ذلك انى ملزوم واذا أمرتنى بدفع كل ما عدم حالا أدفعه امتثالا لامرك ولكن الانصاف من الايمان واطلب المهلة حتى اني أحضر الغريم الذي فعل تلك الفعال وأقيم عليه الاحكام واقتص منه بالجزاء الذي يستحقه بعد أن يعطى للناس أموالها والغريم بعد ذلك يتجازى على ما فعل فقال القاضى اذا أردت مهملة فان الشرع يمهلك ثلاثة أيام لكن يكون بضامن يضمنك فأنت من الضامن الذي يضمن فيك فى ذلك فقال الوزير أنا الضامن فى ابني الامير بيبرس فقال القاضي طيب يا وزير لكن أنت كان نطلب منك ضامن قال الوزير والله يا قاضي أنا أورد مال خان السبيل عن الامير بيبرس ولو انى أحط جميع مالى واذا كان مالى لم يوف أرسل الى أخى مسعود ابيك فى البصرة يرسل لى المال فقال القاضى طيب كلامك ولكن هذا حكم شرعى لا بد من تأكيد الضمانة فقال الملك الصالح أنا ضامن الضامن والمضمون أعني الوالى والوزير فان الاثنين

رأس دولتي وأنا عمدتهم والا ياقاضي أجيب لك أناضامن فقال القاضي أنت لم يجب أن أحد يضمنك أبداً فقال السلطان يا عبد اللطيف خذ الخواجات وانزلوا وبعد مضى ثلاثة أيام تعالوا الى عندي هنا خذوا أموال خان السبيل ان شاء الله تعالى وأنت يا بيبرس انزل من هنا وفتش على غريمك والله تعالى يوقعه في يدك عن قريب لكن احكي لي عن الشيخ عثمان في أي جهة قال حاضر ثم نادى على عثمان فطلع الى الديوان وقال نعم يابوجوطه فقال ما تفتح عينك وتساعد الامير بيبرس فقال له عثمان انه لم يطاوعني فقال الملك طاوعه يا بيبرس وروحوا فتشوا على الغريم فعند ذلك نزل عثمان وأراد بيبرس أن ينزل فقال له الملك الصالح يابيبرس ان مقلد وغلامه الذي عندك لم يعلموا بشيء من ذلك وانما هذه أفعال الحجرة الزرقى حسبنا الله ونعم الوكيل طاوع عثمان (يا ساده) فتذكر الامير بيبرس كلام الملك الصالح كم من مرة وهو يقول له طاوع عثمان ثم قال له الملك الصالح اسمع كلامي فقال بيبرس سمعا وطاعة يا ملك ونزل بيبرس فوجد عثمان يضحك فتباشر عند ذلك بيبرس وقال يا عثمان أول ما نروح على أي طريق قال عثمان نروح اول الى المبرقعة ونزورها لانها هي غفيرة مصر فقال بيبرس صدقت فركب الامير على الحصان وسار وعثمان قدامه الى ان وصل الى باب السيدة زينب ودخل الامير بيبرس ووقف عثمان ماسك الحصان واما بيبرس دخل ووقف قدام المقام وانشد يقول

ان باب الله طه جدكم ولكم قدر على عز على
وكل من يطلب قضا حاجته وأني من غيركم لم يدخلي

ثم انه تملا بمشاهدة المقام وقرأ الفاتحة وما تيسر من القرآن وفرق الصدقات على جميع الخدام الذين بجوار المقام وبعد ذلك جلس قدام باب المقام وصار يشتكي الى السيدة ما هو فيه فأخذته سنة من النوم ووحد الحي القيوم فلما غفلت عينه واذا بالسيدة قدامه تتبختر في حلل الجنة فلما نظر

اليها قال لها يا سيدتى ها أنا من أتباعك وأنت يا سيدتى أوعدتيني بقضاء حوائجي على يدك ولا لى فى الدنيا من اعتمد عليه الا جنابك يا صاحبة القناع الظاهر فقالت له لا تخاف يا بيبرس فان عدوك مقهور مكمود وأنت ان شاء الله تعالى فى كل الاوقات مسعود ولكن طاوع عثمان (يا ساده) فأفاق الامير بيبرس ولكنه فرحان ومتباشر بالخير فقام قرأ الفاتحة وخرج الى البيت فرأى عثمان واقف يتكلم مع الحصان ويقول له طاوعني يا جدع واسمع كلام السيدة وأنت تبقى فى ألف خير (قال الراوي) فعلم بيبرس ان عثمان مكاشف لا يخلوا من الكرامات فقال بيبرس يا عثمان قال عثمان نعم قال له انى مأمور أن أطاوعك فى جميع ما تقول لى عليه .وها أنا طائع على هذا الشرط بقا قول لى على أي طريق نسير فقال عثمان يعني أنت تطاوعني قال بيبرس نعم أطاوعك قال عثمان أول كل شيء هات لنا أبولولب وأبوهجمة يعني سقر اللوالى وسقر الهجان قال بيبرس هما فين قال عثمان هما فى البيت قال له واذا جبناهم قال عثمان نروح الى خان السبيل قال بيبرس طيب ثم أن بيبرس ركب وأخذ معه عثمان الى الدار فوجد الاسقاز الاثنين واقفين له فى الانتظار فقال لهم سيروا معى وسار بهم الى أن وصل الي خان السبيل فقال عثمان انزل فنزل بيبرس وقعد على باب الخان ووقف سقر الهجان عن يمينه وسقر اللوالى عن شماله والخدام واقفين قدامه والناس داخلين وخارجين يتأسفون على الامير بيبرس والبعض يقول هو الذي فعل هذه الفعال أو واحد من طرفه من أولاد الزنا الذين تحت يده ما هو الوالى كل أولاد الزنا تعرفه (قال الراوي) وصارت الناس فى قيل وقال وبيبرس يسمع غالب الاقوال ولم يراجع أحداً في السؤال فبينماهم على ذلك الحال واذا برجل مغربى وبيده سبحة مرجان يسبح بها وعلى اكتافه حرام وهو داخل الى الخان فلما نظر اليه عثمان قال لسيده

يا أشقر قال له نعم قال امسك هذا المغربى قال بيبرس لأى شيء يا عتمان قال عتمان هذا المغربى هو الذي سرق أموال خان السبيل بالله امسكه وبطل عنك القال والقيل قال عجب عجيب يا رجل بلا كلام هذا مغربي كيف لى عليه حجة أو عتب أو ملام واذا بذلك المغربى غطس ما بان كأنه ما كان قال بيبرس هو فين يا عتمان قال عتمان ضيعته يا مفش وخالفتنى وهو قريب القاضى ومنقرش قوم بقى اركب وروح الى بيتك وما بقى ينوبك شيء قال بيبرس هات الحصان وركب وسار الى بيته وجلس فنزل عتمان وأمر السياس احضروا له الغذا تغذا وكان بيبرس نزع ملابسه وأراد أن ينام فطلع له عتمان وقال له قم بنا قال بيبرس على فين نروح يا عتمان قال على السيدة نفيسه قال بيبرس مناسب حضر لى الحصان وركب وسار وعتمان معه وكذلك الاسقار ساروا معه ولا زالوا سائرين حتى وصلوا الى السيدة نفيسة فنزل بيبرس ودخل جامع السيدة وما زال الى أن وصل الى قدام الضريح وقال يا أهل البيت شيئاً لله من المدد ثم انه طلق لسانه بالتوسل وجعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا آل بيت المصطفى   أنعم بكم يا سادتى
انى نزلت بحيكم   أشكو لكم مصيبتي
هل تقبلوا معذرتي   وترحموا مذلتى
واقف على أعتابكم   أرمى عليكم حملتى
فان رددتمونى فمن   يكون لى فى شدتى
وها أنا أرجوا الحمى   فى حبكم يا سادتى
يا ربنا بالمصطفى   المبعوث لجميع الامة
وبالجماعة اجمعين   الطهر ذي الفضيلة
وبالحسن والحسين   وأمهم فاطمة

وصاحبة هذا المقام سلالة النبوة
نفيسة العلم التي خصت لها الكرامه
بحقهم وبيتهم وجدهم ذى النبوة
بالاوليا والاتقيا والاصفياذى الرفقة
تنعم علي عاجلا يارب واقض حاجتى
ثم الصلاة والسلام وأفضل التحية
على النبي المصطفى من جاء بالهداية
والآل والاصحاب فى غدوة وبكرة

قال الراوي فلما فرغ الامير بيبرس من كلامه وما أبداه من نظامه شكى حاله الي السيدة نفيسة وأباح بما فى ضميره فاخذته سنة من النوم فرأى السيدة وهى مقبلة تتبختر في حلل الجنة وأنوار النبوة لائحة من ثنايا جبينها وقالت له يا بيبرس لا تخاف ولا تحزن أنت الظافر ولكن طاوع عثمان فيما يأمرك به تظفر بعدوك وأما ان خالفته تحصل لك مشقة فاتق الله وطاوعه فان الله له فى خلقه سراً خفياً لا يعلمه الا هو وأنت طاوع عثمان ففاق الامير من منامه وهو منشرح الصدر بكلام السيدة وخرج الى عثمان فرآه يتكلم مع الحصان وهو يقول له ان طلوعتنى أكثر لك من العليق وأما ان خالفتنى ماتشوف ياعرص الا الضيق ونشفان الريق فقال بيبرس يا عثمان قال عثمان نعم قال تروح فين قال نروح الى خان السبيل فسار بيبرس الى خان السبيل وجلس ووقف على يمينه صقر الهجان وعن شماله صقر اللوالي واذا بواحد سراج مقبل فقال عثمان امسك يا أشقر هذا السراج قال لاي شيء أمسكه قال عثمان هو الذي سرق مال خان السبيل قال بيبرس ياعثمان اتق الله هذا اذا كان نار مايحرق موضعه فر السراج من بينهم كأنه الريح وغطس ما بان كأنه ماكان قال عثمان ضيعته ثانى مره وخالفتني ولم تسمع كلامى وسر المبرقعة انخالفتنى لم يطلع من يدك تجمع من مال

خان السبيل ولا درهما واحداً اشهدوا عليه يا أبو لولب وأنت يا أبو هجمه فقالوا الاصقار يا دولاتلي ان السلطان أيوب ولي الله المجذوب أمرك أن تطاوع عثمان وكذلك السيدتان أمروك بذلك فلاى شيء تكون المخالفة ولكن يا شيخ عثمان احنا نطوعك في هذه المرة فقال عثمان وهو الآخر يطاوعني قال بيبرس أنا ما اطاوعك الا في الشيء الظاهر فقال له عثمان بخاطرك خليك قاعد قال بيبرس ها أنا قاعد فتركه عثمان فاخذته سنة من النوم واذابالسيده أقبلت عليه ثانياً وقالت له أنا أقول لك طاوع عثمان وأنت تخالفه ان كنت ما تطاوع عثمان طاوعني وأنا أقول لك طاوع عثمان ففاق من نومه وقال يا عثمان أنا طاوعتك فيما تأمرني به ولو تقول لي اقع فى النار أقع ولا أخالفك أبداً فعندها فرح عثمان وصاح يا كريمة الدارين وقتك واذا برجل اختيار شيخ كبير مقبل وتحت باطه محفظة ولابس فرجية كبيرة وطيلسان عظيم وبيده سبحة وهو سائر فى الطريق ويسبح قال عثمان يا أشقر قال نعم قال له امسك هذا الفقيه هدا قريب القاضى وهوالذي سرق مال خان السبيل فنهض الاميرولحق الفقيه ووقف قدامه وقال يا سيخ قال نعم قال له بيبرس ولاى شيء لاتقول السلام عليكم أما تعلم أن السلام سنة على كل مؤمن ورده فرض فاذا كنت أنت من علماء الاسلام ولم تجي بالسلام فكيف يكون الجاهل من العوام فقال الشيخ يا ولدى الحق معك في ذلك ولكن أنا كما ترانى مشغول بالقراءة وبذكر الله فلا تؤاخذني فانى ما رأيتك ولا أخذت بالى منك فقال بيبرس لا وانما هذا كبر منك يا كلب يبقى أنا والي مصر وأنت لم تقرينى بالسلام تظن أنى لست من أهل السلام امسكوه فتقدموا اليه الاصقار والسياس وأداروه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف فقال بعض التجار ياأغه واحد ما قال السلام عليكم يلزم له كتاف على قدر هكذا في بلاد الاسلام فقال بيبرس ياناس لايخص أحدمنكم شيء أبداوانماأناتصورفي ذهني أن هذا الرجل

هو الذى سرق مال خان السبيل ولكن حتى أتحقق منه طيب فان الدهن خوان فعند ذلك صارت الناس تتكلم كل منهم بكلام ناس تقول كنا نصلي وراءه صلاة الظهر فى جامع طيلون وناس يقولون رأينا هذا الشيخ عالم يقرأ حصته فى الازهر وهو من علماء الاسلام وناس تقول الوالي يمكن يطلب منه الدعاء أن الله يوقع غريمه فى يده وناس تقول يفتح على وجهه مندل وناس تقول الوالى غرقان فان مال خان السبيل ضاع فتملق فى هذا الفقيه لاجل ان أصحاب المال يمكن تكون عندهم رأفة يقولون له أطلق هذا الشيخ ونحن الله يخلف علينا فى مالنا وهذا الامر لا يمكن والله ان ما كان الوالى يحط مال التجار لا بد ان السلطان يصلبه على باب الخان وكثر الكلام فى حق بيبرس وصارت الناس تقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(قال الراوى) وأما الامير بيبرس فانه ركب وراح الي بيته وأمر الاصقار أن يحضروا عنده في البيت وقد جلس الامير بيبرس فى بيته وقال هاتوه فاحضروه بين يديه فقال له ياشيخ قال نعم قال أين مال خان السبيل قال له اتق الله الذى لا اله الا هو يا بنى وراقب الله أنا مثلى من يكون حرامي يا ابني أنظر بعينك واخشى الواحد المتعال أنا مثلي من يعمل هذه الفعال ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل تراني أتعلق فى أذيالك يا ولدى يوم يقوم الناس لرب العالمين يبقى المولى حاكم عادل والسجن جهنم والملائكة شهود فقال بيبرس يا عثمان قال عثمان نعم قال ايش رأيك قال عثمان انبطه قال الامير ارموه فعندها أرموه ودارت عليه المدة فضربوه الف كرباج وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبعد ذلك قال له يا شيخ تعدم نفسك قل لنا على مال خان السبيل قال الرجل حسبنا الله ونعم الوكيل قال بيبرس حطوه فى الحديد فوضعوا فى رقبته حديد ووضعوه فى السجن الى ثانى الايام ولما فاق الامير بيبرس من منامه وصلى فرضه وقرأ ورده ونزل وقعد فى المقعد فتقدم اليه عثمان وقال له هات الرجل يا أشقر لانى

انا شايف رجل يقرأ الـكتاب يمكن ان عيني زغلت فقال بيبرس لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ياعتمان تسيبه قال عتمان لما تنبطه المرة ديه كمان فاحضره بيبرس فرأي كفوف رجليه مهرية بالـكرباج فامر بضربه على ظهره فضربوه الف كرباج وبعدها قال له الامير بيبرس ياشيخ اين مال خان السبيل قال له مظلوم وحسبنا الله ونعم الوكيل فقال بيبرس ياعتمان قال عتمان هو بذاته قال بيبرس اضربوه على صدره فضربوه الف كرباج وحبسه الى ثاني يوم واحضره وضربه على افخاذه والفا على ظهره ولم يقر بشيء ابداً فاحضره وقت العصر وضربه خمسمائة على كفوفه والف اخرى على ظهره وهو صابر ولم يقر

(قال الراوى) فضاق صدر عتمان وخاف من سيده ان يطلقه ولم يبلغ مقصود من اظهـار مال التجار فتقدم الى بيبرس وقال له يا جنـدى هـذا الرجل مظـلوم اعطيه لي حتي اشوف الحق بيدي انا والا بيدك انت فقـال بيبرس خذه يا عتمان قرره انت عندك فسار عتمان الى الرجل ودخل عنده فى السجن وقال له يا شيـخ أنت مظلوم والرجل هـذا ظلمـك لانه عقب ظـلم ولا في ظلامة نور ولـكن انا مرادي ان اعمـل فيـك جميـل واطلق سبيلك فقال له الرجـل جزاك الله خـيرا يا سيدي فقـال له قم معي فقـام معه فأخـذه الي الاسطبل وقال له يجـازي الجنـدي ما هو الا بن زنى سل مل ونحن يجب علينا اكرامك فقال له الرجل اكـرامي اطـلاق سبيلى هو الاكرام فقال عتمان هذا لا يمكن ابدا وانت ما بقيت تقعـد لا بد ان أطلقك لـكن يا جدع بعد ماتتغدي وتشبع ولما يمسى المساء وينام الجنـدى أنا اخليك تروح وان سأل عليك الجندي أقول له سيبناه هو رجـل فقيه عالم لا هو حرامي ولا يعـرفه السرقه وانمـا دور على الحراميـة هات يا عقيرب غذية فعنـد ذلك أحضر له عتمان خمسة ارغفة سخـان وعشرين بيضة مشوية وحوت فسيخ وقلب بطـارخ وجاب له آنية فيهـا زيت طيب

وخل وقال له يا شيخ هذه ضيافتى كل هذا الطعام وقم روح الي محلك نام فانك اذا أكلت هذا كله لم يبقي لك عندنا مقام فلما سمع الرجل ذلك الكلام فرح وتقدم الى الطعام وكان جيعان فاكل حتى اكتفى وطلب الماء ليشرب فقال له يا سيدى اسقينى فناوله عتمان الماء فمال على الماء ولا زال يشرب (ياسادة) ولا يخفى يا كرام ان الطعام حامى ومالح فصار كلما شرب فمايزداد الاعطشا ولا زال حتى شرب قدرة من الماء وقد كاد الماء ان يخرج من فمه ومن عينه وبعد ذلك أتاه حصر البول فقال لعتمان مرادى ازيل ضرورة فقال له عتمان قول نشخ قال نعم قال عتمان تشخ سياسى والا مثل اولاد البلد فقال وما معنى هذا الكلام قال عتمان ان كنت ناوي تشخ مثل ما تشخ اولاد البلد اصبر لما يطلع الجندى ونحن نطلعك تشخ برا احسن لا يشوفك يقول لي من قال لك اطلقه وان كان تشخ سياسى قف وطرطر على السبله قال انا اقف واطرطر على السبلة قال عتمان قوم فقام الرجل ووقف وأخرج ذكره فتقدم له عتمان وركب له زيار علي ذكرمو كبس عليه وقد داروا به السياس وشدوه من الجانبين فعند ذلك طار عقل الملعون واراد ان يصرخ ويقول آه فصاح بلغوته المقلوبة وقال وادى فشد عتمان بالقوي ولم يرحمه فقال فى عرضك ياسيدي قال عتمان انت نصراني قال نعم ياسيدي نصراني قال واسمك ايه قال زغوير قال عتمان انت انت زغوير ومال خان السبيل فى اى مكان يازغوير قال عندى يا سيدى بس نشخ قال تعالى معى فوق فان هنا ما هو مطرح للشخاخ وسحبه عتمان وطلع به الى المقعد (ياسادة) فبينما الامير جالس يتفكر في هذا الامر واذا بعتمان مقبل اعليه النبي يتبسم في وجه من يصلى عليه فلما نظر بيبرس الى ذلك قال ايه ياعتمان قال عتمان هذا نصرانى واسمه زغوير ومال خان السبيل عنده قال بيبرس انت من يارجل قال زغوير بس نشخ لان بزبوزى راح ينقطع قال بيبرس واين مال خان السبيلي ياملعون قال عندي ياسيدي احضره حالا ولكن بس نشخ في عرضك

قال بيبرس انت من اى البلاد قال من بحساير ايفرة قال بيبرس وايش جابك وليش اوصلك الى مصر وايش الجاك الى سرقة الخان ولما انك سرقته لاي شيء رجعت ثانيا قول لى على الصحيح وانا أقول لعتمان يطلقك وترح تشخ (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان القاضى لما كتب الجواب وارسله الى هذا الملعون مع غلامه البرتقش وكان هذا اللعين جهز نفسه وسار ومعه اربعين ما يقا من الكفار اللئام ولما قربوا الى مصر لبسوا ملابس الاسلام وساروا حتى دخلوا مصر وتوطنوا فى حارة الافرنج وصار الملعون يدور فى مصر ليجد فرصه يهلك بها الامير بيبرس فلاجل امر يريده الله تعالي اقبلوا الى خان السبيل وكان قدومهم عند مشاجرة السيد عبد اللطيف مع الامير بيبرس لما كتب عليه الحجة بشهادة التجار وضمان خان السبيل فقالوا نحن نسرق هذا الخان وندخله في اى مكان ويبقى المطالب بيبرس فيقتله سلطان المسلمين واذا لم يموت نصبر احنا الى ان ينقطع الطلب وننقل الى بيت عالم الملة جوان ونترقب الي بيبرس حتى نقتله على اى وجه كان قال زغوير هذا رأى طيب ولما تقرر الامر بينهم على ذلك صبروا حتى اقبل الليل بالاعتكار واقبل الواحد واربعين كافر الى الخان وارمو السرياق الحرير وتمكنوا من الخان وشدوا الرياحات ودقوا فيها السكك وتعلقوا وطلعوا فوق الاسوار وقد تمكنوا من الخان وارادوا ان ينقلوا كل ما فيه فوجدوه شيء كثير وكان في قلب الخان سبيل قديم عادم مكسور ولم يكن فيه ماء بل هو ناشف من مدة زمان ولا له استعمال فوضعوا جميع الامتعه فيه وقال زغوير لرجاله كونوا انتم هنا حتى ينقطع الطلب عنا ولم يبقي خارج السبيل الا هذا الملعون زغوير وله غلاما تابعه اسمه صابور فكانوا هم الاثنين خارج السبيل يحضروا لاصحابهم كلما يحتاجون اليه وبسبب ذلك كان الملعون دائما يحوم حول الخان وقلبه عند رجاله الاربعين الذين في ذلك المكان فاول يوم دخل في صفه

مغربي وعرفة الاسطي عثمان وثاني يوم دخل في صفه سراج وقد كشف عليه عثمان فى المرتين ويقول لسيده امسكه فلم يطاوعه الى ان نفذسهم الله فيه ورجع ثالث مرة وهو على صفة عالم فقبض عليه بيبرس وهذا السبب وان الملعون زغوير من شدة حرقان ذكره احكى كلما جري له بالصحيح ولم يخالف لا بزور ولا بتلويح فلما سمع بيبرس ذلك الكلام خر ساجدا لله تعالى الملك العلام وفرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقام وركب ومشي والملعون بين يديه الي ان وصل الى الخان وكان محاذية حرحش وعثمان ولما دخلوا الي خان السبيل اعملهم الملعون بالسهاريج الذى فيه المال والمتاع فدخلوا الاثنين الفداوية الى ذلك المكان وهما سقر الوالي وسقر الهجان واحضروا مبخرة من النحاس ووضعوا فى قلبها نار ونصيب من البنج وحدفوها فى السهريج فتبنجوا الاربعين عائق الذين فيه ونزلوا بعد ذلك وطلعوهم واحد بعد واحد حتى اخرجوا الاربعين واقرنوهم لبعضهم كل هذا يجرى والسيد عبد اللطيف والتجار تنظر وتري فتقدم السيد عبد اللطيف الي الامير بيبرس وقال له مثلك من يكون والى صحيح ومتولى المناصب فقال له بيبرس يا ابي قف حتى تستلم مالك مع اموال التجار فصبر حتى طلعوا جميع الاموال ولم يعدوا ولا خيط ولا ابره وتسلم كل ذى حق حقه وقال بيبرس فى غد يكون حضوركم أمام السلطان لاجل الضمانة قالوا له جميعاً على الرأس والعين يا دولتلي وشكر الله فضلك قال بيبرس هل أنتم أخذتم أموالكم قالوا نعم فقال كل واحد منكم يعطيني سند عليه بالاستلام لاجل ثبوت البراءة أمام السلطان قالوا سمعاً وطاعه فأخذ منهم سندات بخطوطهم واخذ زغوير والاربعين رجل ومضي بيبرس الى حال سبيله هذا ماجري صلوا على خير الورى

(قال الراوي) اسمعوا ما جري من امر الملك الصالح نجم الدين ايوب ولى الله المجذوب فانه بات واصبح ظهر الي الديوان وهو فى ذلك النهار

فرحان ثم التفت الى الاغا شاهين الافرم ن الدرويش عثمان وقال ياحاج شاهين
حامت جوارح العقبان على القربان مسكوهم وقالوا رايحين يعلصوا منهم الآذان
يا شاهين ونابهم ايه يعنى لكن أعمار تدانت

اذا ما أتتنا المنية الي بلادنا سعينا ورحنا للمنية بلادها

فالتفت القاضى الي السلطان وقال له يا ملك المسلمين ان هذا النهار هو الميعاد الذى يدفع فيه مال خان السبيل من ابنك الظاهر بيبرس قال له السلطان نعم لكن هذا شيء ظاهر وان الله عالم السرائر قال القاضى يا مولانا اذا كان عنده ناس تطلع على الحبال فلهذا يقال انه قادر على كل الفعال ولا تخلو منه تلك الاحوال (يا ساده) فبينما هم فى هذا الكلام واذا ببيبرس طالع وصحبته عبد اللطيف والتجار فقال الملك ما لكم يا ناس قال القاضى طالبين حقهم قال الملك حقهم عند من يا قاضى قال عند بيبرس قال السلطان ياسيدى بيبرس فكني من الضمانة يا ظاهر قال بيبرس ياأمير المؤمنين انهم أخذوا حقهم ولم يبقى لهم عندى شيء مطلق أبداً وها هم قدامك اسألهم فقال الملك ياعبد اللطيف أحق ما قال قال نعم يا مولانا حق أخذنا حقنا بالتمام والكمال قال الملك يا بيبرس كنت أخذته ورديته لهم ثانياً والا لقيته عند آحد قال بيبرس وانما كان واحد عايق نصراني سطى على الخان والله تعالي أوقعه ومعه أربعين كافر كل واحد منهم مثل الخنزير ولهم ملعون عايق عليهم كبير اسمه زغوير فقال الملك هم فين قال بيبرس هم موجودين هاتهم يا عثمان فعند ذلك قدمهم عثمان قدام السلطان قال السلطان من أمركم أن تفعلوا هكذا بالخان قالوا له يا ملك المسلمين الذى حرضنا على هذه الفعال فهو عالم الملة المسيحية اسمه جوان قال السلطان يا قاضى هات لنا جوان لكن القاضى تغيرلونه واضطرب كونه وقال يا ملك الاسلام وأنا ايش يعرفنى بجوان قال السلطان قم يا قاضى واوضع يدك تحت باط هذا النصرانى وهات ذلك الكتاب الذى تحت باطه لاجل أن تتفرج وتعرف

ان من صر صيرة ألبسه الله رداها ولاجل أن تأخذ فى الدنيا كتابك بيمينك فقام القاضى ووضع يده وطلع الكتاب وقرأه كما ذكرنا قال الملك جوان هذا ايه ياقاضى قال انا يامولانا ايش يعرفنى بهذا الملعون الكلب وما أظن الا انه من النصرانية قال الملك سوف يظهر ياقاضى في يوم تبيض فيه وجوه وتسود وجوه وأنا نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بحرمة سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين كل من كان هذا اسمه لايميته الله الا على ملة الكفر ويكون مقطع على عربية ويحرق فى الرميلة بغائط الكلاب قول آمين ياقاضى قال القاضى آمين آمين ثم قال الملك من أرسلك باليمن قال زغوير أرسلنى عالم الملة جوان وأعطاني مائة سنة زيادة فى عمري وهم فرغوا ولا نابنيش حاجه قال الملك وجوان فين قال لانعرفه قال الملك قدموا لي هؤلاء الملاعين حتى اضرب كل واحد منهم بضفيرةالخوص قال الوزير ياملك وعلىايش تتعب نفشك يامولانا أوهبهم الى بيبرس يعمل فيهم مثل مايعرف فقال الملك خذهم يابيبرس معك وريحنامنهم مالنا ياعم دعوه ثم ان الملك التفت الى عثمان وقال له ياعثمان جوانهذا فين قال عثمان هذاهو القاضى قال بيبرس اخرص ياراجل بلا كلام زايد قال عثمان لايصدق حتىيرى ثم التفت عثمان الي سيده وقال له يا اشقر انا بدي تعمل موته لهؤلاء تكون طيبه لانك ابن زنا سل مل تعرف الموتات المتعبين اعمل لهم موته متعبه يكون ما احد ماتها قبلهم فعند ذلك أمر الامير باحضار واحد واربعين مبروم خشب وانعم أطرافهم النجار بالفاره ودهنهم بالدهن الماعز وقدق الصابون وساقوا الجميع الى ساحل الرميلهواركبوهم عليهم بعد تقوير ادبارهم ولماأقعدوهم علىالخوازيق نظرزغويرالي غلامهوهوواقف يتفرج مع جملة المتفرجين فقال زغوير يامن اناشايفه وهو شايفنى وانا عارفه وهو عارفنى امضى الي اخوانى وهما شاجر الارمنى وشريحة الارمني وقل لهم يأخذوا لي بالثار ويمحوا عنى العار (قال الروي) وكان هذا الملعون من

العياق الذي رباهم الملعون جوان وهم زغوير هذا وشاجر وشريحه ويحسب فامايخشب مات وخلف ولد صغير يقال له جن بن يخشب يظهر لنا فى كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبي يكثر من الصلاة عليه ولما سمع الملعون صابور ذلك الكلام ذهب الى بلاد الروم يعلم شريحة الارمنى وشاجر فيكون لهم كلام اذا اتصلنا اليــه نحكى عليه (قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه عاد الى بيته واستقر به قراره وزال عنه ماكان قد اعتراه من الافتكار وحمــد الله تعالى وقعد فى حظ وانشراح وكذلك عبد اللطيف أخذ فى العمل هو والتجار ولا افتكر بعــد ذلك فى بيبرس ولا فى عيلاته ولا جبر بخاطر الخدامين باحسان معه أنه لوضاع مال خان السبيل كان بيبرس يســده من ماله والا مال الوزير وكذلك اذا عجزوا الاثنــين كان السلطان ضامنا فأسرها الامير بيبرس فى نفسه وأبقاها له فى سره (قال الراوى) ولما كان ثانى الايام وتــكامل الديوان ودخل الاغا جوهر وقال يا أمير المؤمنين قد تــكامل الديوان ثم أشار يقول صلوا على طه الرسول

ديوان مولانا المليــك نجومه متــكامله

حتى يروا بدر الدجا ومن يده شامــله

لا يستتم نورهم اذا ما رأوا أماثله

ثم قال يا أمير المؤمنين الديوان تــكامل ولا يحتاج الا لطلعتك البهــية قال الملك اللهم زده كمالا واحمى الاسلام اللهم لاترته ملالا يارب العالمين ثم قام السلطــان وظهر الي الديوان وميل على الميامن أطرقت وعلى الميــاسر أطرقت والصدر والجناحين ثم قري القارىء وختم ودعى الداعى وختم ورقي الراقى وختم وامنت العساكر ترك وعرب وعجم وصاح شاويش الديوان وهو لايخاف الموت ولا يرهب الفوت

ولا الدهر لا شك انه دول يبــدى وينهى بعد ابتــداه

يا من تصاحت بكل ملك   له بالعجز والعز والجاه
مسير زمانك عنك يولى   والملك لا دام الا الي الله

قال الراوي فقال الملك يادايم آمنا من أين كنا حتى اتصلنا كل من هو يأخذ مدته ويروح ياشاهين بيبرس أقبل له الدهر وبقى طرفه من مال خان السبيل خالص والتجار أخذوا حقهم ولكن ياشاهين عدم جبر الخواطر عيب والحق فيها بيد بيبرس وانا بيبرس ما يخلصنيش مكسور لا بد اجبر قلبه لاجل ان يفرح بايام شبابه انزل هاته ياحاج شاهين خلى الذي يفرقع يفرقع فعند ذلك أرسل الاغا شاهين اثنين من طرفه وطلبوا الامير بيبرس فلما حضر قال السلطان اعطيه ياشاهين كرك خلعة الرضا تشريفا من السلطان وركبه بموكب كامل ونادي قدامه هذا والى مصر مطلوق سلاحه والحاضر يخبر الغائب فان له نيابة في الحكم وأى دعوى قطعها لا تسمع بعد ونزل بيبرس بهذا الموكب وسمعوا الناس على هذه الكيفية وكان بيبرس يحب الفقراء فكان كل من له دعوه أو عليه دعوه أو مخاصمة يصلحها بالتى هى أحسن واذا كانوا خصمين نحوسه يجيب لهم الحق على نفسه وأى دعوى لا بد من قضاها وخلا البلاد كالرمانه وانتهى له الامر صلوا على من كان ساعي ركابه عمر

(قال الراوى) يا ساده ياكرام ومما اتفق ان الامير بيبرس شق البلاد بالنهار فمر على خان السبيل ونزل ووضعوا له الخدامين كرسيا على باب الخان ووقفوا السقور على يمينه وعلى شماله فبينما هو جالس واذا بالخواجه عبد الليف مقبل من الامام الشافعي وصحبته الخواجات فوقعت عينه في عين بيبرس فتركه وسار بعيداً عنه ولم يسلم ولا بدأ سلام ولا كلام وكان بيبرس سابقا مغتاظا منه لما قال أنا أجيب مثلك مملوك وأجعله والي على مصر ولما رآه الامير ذلك الوقت وهو لم يرد سلام ولا كلام زاد به الغيظ فأمر الخدامين ان يحضروه بين يده فرجلوه الغلمان وقدموه الي بين أيادى

الامير فلما صار قدامه قال له الامير يا عبد اللطيف ياهل ترى أنا لما ضمنت لك مال خان السبيل كنت أنت عملت لى حجة على غفره وبعد حجة الضمان الذي كتبتها علي وجعلتها تحت يدك ولما ان سرق الخان طلبتني بموجب الحجة انا كنت على الخان بواب يا كلب ولما طلبتنى عند السلطان والتزمت لك وللتجار وانتهى الحال وكان هذا شغل كفار من بلاد الروم وربنا حفظ هؤلاء الناس من مالهم على يدى وكانوا الفاعلين هـذا الامر واحد واربعين عايق نصرانى وكلهم من اولاد ملوك الروم وعلى طول الايام يطلبون دمامهم مني وانت لم يعرفوك بل انا هو المطلوب والقاتل انا هل ترى هذه الافعال كانت عليك منها ضرر او منفعة في حفظ مالك ومال التجار فقال له الخواجة ياسيدى ضرر مافيش وانما نفع حفظ مالى ورد اموال الناس الى اصحابها ولما اخذت مالك كان ينبغى لك ان تجبر بخاطري وتحسن الى خدامي الذين ورائي كان على كل حال فيها خير والثانية انا قاعد على باب الخان وانت داخل بيغلتك وعينك في عيني ولم تقول لى سلام عليكم وكان هذا عدم صحة اصلك فانك يا كلب الشوام ناقص الادب ومجهول الاصل والنسب ارموه فعند ذلك طرحوه على وجه الارض وضربوه ضربا وجيعا حتى أن الخواجات صاروا يشعطفون بخاطر الامير ويقولون له يادولاتلى هذا ربايةأهل الشام وان غالب رضيع أولادهم بلبن الحمير فمن هذا مالهم فهم فى الادب ولا يعرفون بين المليح والقبيح وبعد ذلك مالوا على عبد اللطيف وبخوه بالكلام وقالوا له ان الحق عليك للدولاتلى فعند ذلك قام عبد اللطيف على حيله ووقف امام الامير بيبرس وقال له ياسيدي أرجوا السامحة وتقدم قبل يده وابسط له العذر وقاموا التجار وقالوا له ياأمير العفو من شيم الكرام فقال الامير انا سامحته

تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله ثم أن الخواجات قالوا ياخواجه عبد اللطيف .

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوي على خمسين جزء

الجزء الثامن

﴿الطبعة الثانية﴾

سنة ١٣٤١هـ — ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)
بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية . بمصر
لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الراوي ثم ان الخواجات قالوا له يا خواجه عبد اللطيف احنا أولا كنا تعدينا عليه بكتابة الحجة وآخر الامر ألزمناه باداء المال ولولاه ما كنا نجمع أموالنا وثانيا تخليه قاعد ولا تقريه السلام كان الواجب عليك ان تنزل عن بغلتك وتصبح عليه وتسامره على طبق مزاجه حتى يأخذ حظه ويقوم الى حاله فعند ذلك قام الخواجه عبد اللطيف وتقدم الى عند الامير بيبرس وقال له يادولاتلي انت صفحت عني قال له نعم قال عبد اللطيف أنت ليلة غداً عندى فان عندى فقهاء يقرأون القرآن فأنت تسمع القرآن وتجبر بخاطرى فى أكل زادى وقد قالوا الاقدمين

لا بعاد ولا ندم * سعى الموالي الى الخدم

(ياساده ياكرام) فقال له بيبرس ان شاء الله الرحمن الرحيم في أول الساعة السادسة أفوت عليك بعد أن أعود من شق البلد وانت أين محلك فقال له انا محلي في باب الشعرية على الخليج وصار الاتفاق على ذلك وركب الامير بيبرس وتوجه الى حال سبيله قاصداً بيته واذا به نظر الى رجل وله سبحة معلقة فى رقبته فتأمله بيبرس واذا به المقدم مقلد مقدم البوابة ولكنه مجذوب وهايم فى الذكر فقال بيبرس شوف ياعتمان أنت أطلقته

قال لا فقال من أطلقه قال له عثمان اسأله فقال له بيبرس من أطلقك فقال أطلقوني أهل الخير وقد لاحظوني بانفاسهم العظام والله يادولاتلي اني ندمت على ما كان مني وها أنا نادم على ما كان مني من الخطأ وما قدمت يداي من المعاصي والآن بقيت اختيار ومحى الظهر يا ليتك يا سيدي كنت قطعت رأس مقلد مثل الذي قطعت رؤوسهم من رجالي فانهم راحوا شهداء وقد محا الله أوزارهم وها أنا يا سيدي لا أعلم على أي شيء أقبل فقال له عثمان مالك يا مقلد ألا تأخذ كما أخذ زغلول فعند ذلك وضع بيبرس يده في جيبه وطلع قرطاساً ذهبا وقال له يا أبي خذ هذا لاجل أن تسامحني فقال مقلد يا دولاتلي أنت ما فعلت الا الخير لان الناس كان ربنا عاميهم عن طريق الارشاد وأنت الذى أهديتهم اليها وها أنا انتقلت من الظلمات الى النور والله ماينبغى من حطام الدنيا شيئا لا كثير ولا قليل منك ولا من غيرك ويكفيني ما جمعت لعل الله تعالى يقبل معذرتي ويمح خطيئتي (قال الراوي) فالتفت الامير الى عثمان وقال له يا عثمان ان مقلد صار من أولياء الله تعالى فقال له عثمان والله اذا كانت الولاية الذى فى الدنيا تتفرق بالفدادن فما يناله منها لا قليل ولا كثير فقال بيبرس يا عثمان لا تتعرض للناس الذين ربنا اصطفاهم فقال عثمان ربنا مايصطفى أولاد الزني فقال له بيبرس انظر كيف تخلص من السجن فقال عثمان الشقي عمره باق لساعة له فى الدنيا عكوسات يفعلها مع شقاوه باقية عليه سوف ترى يا فلاح الى فعاله لان ابن الاخت ما ينسب الا لخاله (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص مقلد أن الامير بيبرس لما ضربه وتهمه فى مال خان السبيل وجرى ما جرى وكان مقلد لا يعلم خان السبيل وكان لمقلد غلام مربيه فسجنه الامير معه وقد قال ذلك الغلام للامير يا دولاتلي اعلم يا أمير ان رجال المقدم مقلد كثيرة فربما يكون أحداً منهم سطى على خان السبيل وفعل ذلك الفعل الوبيل وأنا لو أكون ليس محبوس لكنت أنظر فى الناس واذا رأيت

منهم أحدا أعلمك به وأنت تقبض عليه ونخلص منه مال خان السبيل وتقتص منه بمعرفتك فقال له الامير بيبرس أنا أطلقك لاجل ذلك ولكن اذا حصل منك شيء فأنت تعرف ما يكون جزاءك عندى فقال سمعا وطاعه فعند ذلك أطلقه الامير وصار عنده من جملة الخدام الي أن كان فى ذلك النهار وبيبرس يتعاقب مع عبد اللطيف الدمشقي بعد ما ضربه فاغتنم الغلام الفرصة وسار الى السجن وأطلق مقلد وأعطى له ذلك السبحة وطلع مقلد على هذه الصفة وأدعى أن أولياء الله هما الذين خلصوه من السجن بالكذب وهذا أصل سبب اطلاقه وان مقلد لما انطلق انصرف الى الخان لينظر كيف كانت سرقته وكيف كان رجوع الاموال فصادف وصوله وقت الذى كان الخواجه عبد اللطيف يعزم على الامير بيبرس كما ذكرنا واتفق هو واياه على أن الامير يروح الساعة السادسة من الليل وكان مقلد سامع لذلك الكلام فعاد الى برجه وأقام يجهز أحواله بتدابير يعرفها فأحضر غلامه فضه وقال له يافضه أريد منك أن تمضى الي كفر الجاموس وكتب له كتابا يذكر فيه من حضرة المقدم مقلد الي شيخ العرب نمراز المراد منك انك ليله غد تجمع رجالك وتسميهم على اسم رجال الامير بيبرس مثل عثمان ابن الحبله وعقيرب وحرحش وحنيش وكل منهم يتصور في صورة من هؤلاء وتطرقوا بيت الخواجه عبد اللطيف الدمشقى شيخ التجار فانه عازم على بيبرس فى الساعه الفلانيه وأنا أعمل على تعويقه فى الطريق وأعوقه على الرواح اليه وأما أنتم اذا دخلتم البيت وقالوا لكم من أنتم قولوا الوالي ورجاله فاذا فتحوا لكم ودخلتم فانهبوا البيت واضربوا كل من فيه وكل واحد منكم يتظاهر باسم واحد أنت تقول أنا بيبرس وآخر يقول أنا عثمان والآخر يقول أنا عقيرب والآخر يقول أنا حرحش وهكذا وبعد أن تنهب البيت بما فيه فانك ترسل الى الكرك بالزغارات يكون لي وكلما أخذته من البيت غير الكرك يكون لك ولرجالك وبعدها عود

الى حال سبيلك والسلام وختم الكتاب وأعطاه الى غلامه فضه وتوجه فضه من غنده ثم أن مقلد أرسل أحضر غفير خط المدابغ وكان فى المدابغ معصرة زيت وكان هذا الغفير صاحب مقلد فقال له لما حضر عنده مرادى منك أن تمسك اربعة فيران كبار وتربط فى ذنب كل فار عود كبريت وتولعهم بالنار وتطلقهم فى معصرة الزيت فاذا صارت الحريقة فى المعصرة عرف بها قائد بوابة المتولي فيرسل الى الوالي ولما يحضر الوالي الى عنده يعلمه بأن حريقة فى المدابغ فيوجه لها فان لى شغل فى باب الشعريه فى غياب الوالي وهذا مقصودي فأجابه بالسمع والطاعه فهذا ما جرى ها هنا (يا سادة يا كرام) وأما الغلام فضه فانه سار الى كفر الجاموس طالب منزل شيخ العرب تمراز فبينما هو سائر واذا ببنت مقبله وعلى رأسها بلاص فخار ملئان بالماء فقال لها يا أختي هل تعرفي بيت شيخ العرب تمراز فقالت له ها هو الذى قدامك على هذه العلوه واذا بشيخ العرب أقبل من جهة الطريق وضرب البنت بالسيف أطاح رأسها هى والبلاص على وجه الارض (قال الراوي) وكان السبب فى ذلك ان هذه البنت لها حديث عجيب وأمر مطرب غريب مع هذا الكلب تمراز ولكن نذكر كل شيء فى أوانه بعون الله وسلطانه وان تمراز لما ضرب البنت قتلها أراد أن يضرب الغلام بالسيف يلحقه بها فقال له أنا فضه غلام مقلد وقد جئتك من عنده بكتاب فقال له هات الكتاب فناوله الكتاب فأخذه وقرأه وفهم رموزه ومعناه فعند ذلك شال تمراز البنت من يدها بيده اليمين وأخذ رأسها فى شماله وأدخلها الى أمها وقال لها يا خالية البال يا خطبة ان ابوها لم يرضى يزوجها لي قتلته وأنت لم ترضى تزوجها لي فها أنا قتلتها خذيها واطبخيها وكليها يا قبيحة وتركها ومضى مع الغلام فضه وفى الحال جمع رجاله وصبر الى الليل وسار برجاله ونزل من الخليج ولا زال سائر برجاله حتى أقبلوا الى بيت السيد عبد اللطيف وطرق تمراز الباب فصاح

عبد اليطف من بالباب فقال له أنا بيبرس فنزل وفتح الباب فلما نظرهم ترحب بهم وسار قدامهم الى وسط المكان واذا بتمراز أخرج نبوت وضرب النجفة فانكسرت وصاح فى عقب الضربة أنا بيبرس وصاح واحدمن رجاله انا عتمان ابن الحبلة وصاح الآخر انا سقر الهجان والا آخر قال انا حنيش ووقع الخبط في كل من كان هناك وأظلم المكان وأبطل الفقهاء القرآن وقال واحدمن الفقهاء اقرأ اذا زلزلت يا فقيه سليمان فقال والله يا أخي مابقالى حفظ القرآن (ياسادة) وأما تمراز فانه قبض على عبد اللطيف وقلع كركه وجميع ملابسه وبقيت الرجال ينا دون كماذ كرنا وضربوا الفقهاء وأخذوا ملابسهم وعمايمهم ونهبوا ما كان في البيت وطلعوا على صيحة وأى صيحة والفت تمراز الى فضة غلام مقلدوقال له خذ الكرك اعطيه الى سيدك وسلم عليه وقل له ان تمراز قضى الحاجه هذا ما كان مر امر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه بعد ان صلى صلاة العشاء ركب على العادة ليشق البلد واذا بغفير المتولى اطلق الصراخ اشارة ان البلد وقعت فيها حريقة فراح المتولي وسأل من الذى فى برج المتولى أين الحريقة فقال فى معصرة المدابغ فسار الي ان وصل الى المدابغ فرأي حقيقة حريقة والسبب فيها من الغفير كما شرحنا أوقد كبريتا فى اذناب الفيران وادخلهم المعصرة فاوقد الزيوت فلما وصل الوالى مكان النار زاد وهيجها فأمر رجاله يجتهدوا حتي هدموا المعصرة وطفوا تلك النار فكان الوقت الساعة السادسة فقال بيبرس ياعتمان سر بنا الى بيت الشيخ عبد اللطيف الدمشقى فقال له سبقنا اليه الوالى الآخر روح نام فقال له الامير لا بد من المسير اليه فان الله لا يخلف الميعاد ثم سار حتى وصل الى بيت عبد اللطيف فسمعه يقول انا صالحته لكن ما أعلم أنه ابن زنا أما هو اصله مملوك عجمى لعنة الله عليه وسمع الذي يقول آه ياذراعى يبتليك بكسر ذراعك يا عتمان والآخر يقول آه ياركبتى

يبتليك بكسر ركبتك يا عقيرب والآخر يقول آه ياظهري يبتليك بنزع رقبتك ياحرحش وكل من الناس يتظلم من واحد فقال بيبرس ما الذي جرى ياعثمان فقال عثمان اما سمعت انت ضربت عبد اللطيف وأخذت كركه وملابسه وهم يشكوا في حالهم منك ومني والله عالم بنا وان دخلنا عندهم مايجيبو النا الا مأكول ولا مشروب بقينا نعمل ايه اطلع بنا من البوابة لاجل أن نشم الهوى فقال بيبرس طيب ياعثمان سر على بركة الله تعالى اللهم اجرنا من التهمة الباطلة ثم انه بسط يديه وقرأ الفاتحة الى السيدة زينب وطلع من بوابة السليمانية وقصد الي الخلا هو وعثمان هذا ما جري هنا واعجب ما روى فى هذه السيرة العجيبه ان الحرمة أم البنت الذي قطع رأسها تمزار ورماها الى أمها وقال لها يا قبيحة خذى بنتك اطبخيها فان الحرمة لما رأت بنتها قطعتين فلا قدرت تبدىء ولا تعيد لعلمها ان تمراز اذا تكلمت قتلها ولا لها منه نجاة فصارت تبكي وتنوح من كبد مجروح حتي بقت بلا روح ومن جملة ماقالت فى تعديدها هذه الابيات

يا حسرتي زاد البلا ... والنار فى قلبى مشعلا
قد كان بعلي فقير ... يرعى المواشي فى الفلا
ولا له فعل ذميم ... ولا اسامع عاذلا
ولى بنت خليلتى ... ونيسة دون الملا
جار علينا دهرنا ... بغير ذنب نفعلا
وصابنا سهم النيا ... شيخ عرب جاهلا
تمزار لا تبلغ منى ... ولا تنال مأملا
فجعتنى فى ابنتى ... ماذنبها ان تقتلا
وكذلك بعلى هكذا ... قتلته فى الاول
اشكيك للمولى الجليل ... وهو العلي الاعلا
فمن تمدي وافترى ... فخذ بحقى عاجلا

بحق طه المصطفى ازكى البرايا المرسلا
وبالحسن والحسين وأمهم ذات الملا
وأختهم سيدة النسا زينب لها قدر علا
ثم الصلاة والسلام على النبى الافضلا
محمد خير الوري كذا الصحابة الكملا

(قال الراوي) ولما فرغت الحرمة من بكاها وتمديدها وما قالت من شعرها ونثرها فأتاها النوم باذن الحي القيوم فوقفت عليها الست زينب صاحبه القناع الطاهر وهي مقبله اليها تتبختر في حلل الجنة فلما رأتها انبهرت تلك الحرمة من هيبتها من حسن طلعتها ومن ضياء وجنتها فقالت لها ياحرمة لا تخافى فان بنتك شهيدة وسارت الى جنه الفردوس وكتبت سعيدة فقالت لها الحرمة ياسيدتى وانت من تكوني فقالت لها انا صاحبة الاسم الطاهر انا السيدة زينب اخت الحسين وجدي (محمد صلى الله عليه وسلم) سيد الكونين فقالت الحرمة ياسيدتي اليكم اشكو حالى وليس لى صبر يا سيدتى ان رأيت هذا الظلم أمامي وهو قاتل زوجى وابنتي وهذه مصيبتي فقالت لها السيدة زينب أما الذى مات فلا يعود ولا يمكن يحيي الى يوم القيامة واما من جهة هذا الرجل الذى تمدي عليكم وقتل زوجك وابنتك قومى من وقوتك واوضعى ابنتك في فرد خوص وسيرى بها واطلعى من كفر الجاموس الى ان تصلى لمصر فاذا وصلت الى الخليج وقابلك صور مصر هنالك اطلعى من الخليج تجدي باب البوابة انفتح وطالعين لك اولادى وهما بيبرس اغه الولايه وعتمان ابن الحبلة فاعطى لهم الفرد بالقتيلة وهما يخلصون لك حقك من هذا تمراز ولكن اخبريهم انه هو الذى مضي الي بيت عبد اللطيف ونهب منه ما نهب وهذه الليله لا تتهاون حتى تخلص حق المظلومين واجرك على الله رب العالمين (قال الراوي) ثم ان السيدة قالت لها قولي له ان هذه الافعال كلها من مقلد وانه هو الذى حرق المعصرة وعمل

هذه الحيلة لاجل امتناعك من الخط الذى فعلوا فيه هذه الفعال فعند ذلك قامت الحرمة واحضرت فردخوص ووضعت جثت ابنتها وشالتا ونزلت من الخليج ولا زالت سائرة حتي وصلت الي محل الزعفرانى فنظرت الى عثمان وهو مقبل اليها متدانى حى وصلها وحمل الفرد وأخذ الحرمه وقدمهم الي سيده فنظر بيبرس اليها وقال ما هذا ياعثمان قال هذا فردفيه بنت مقتوله وهذه أمها وانت سألها وهي تحكى لك على ما أصابها فقال بيبرس ياسيدتى أنت من أي مكان وماسبب اجتماعك بعثمان ومن قتل هـذه البنت من أولاد الزنى فقـالت الحرمة ياسيدي قصتى عجبة واموری یاسیـدي والله مشـكله بديعة غريبه فاذا اردت ان تسمع منى كلامى تلقى ذهنك وتروق سمعك وتكـثر من الصلاة والسلام على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم وهي ان البنت بنتى والذى قتلها الشيخ تمران شيخ عرب كفر الجـاموس والسبب في ذلك وهو ان زوجي راعيا عنده وهو اسمه سيدي احمـد وانا اسمي حميده ورزقنا الله بهذه البنت سميناها زينب على اسم السيدة زينب رضي الله عنها وطلعت ذلك البنت بديعة في الجمال والقد والاعتدال ولما كبرت واستوفت محاسنها ولاجل الـكائن فى علم الله نظرها شيخ العرب تمراز فقال لزوجى ابعث لى أبنتك تكون لى ضجيعة فقال له ياشيخ العرب هـذا حرام وانمـا اذا اردت وكانت بنتى حلت في عينك خذها بسنه الله ورسوله ولا تفعل القبيح فان هذا منك ماهو مليح فقال له ياكلب انت فـلاح وتمنع عني بنتك فقـال له انا ما منعتها ياشيخ العرب انا أقول لك خـذها بالحـلال فقـال عمري ما أعرف الحـلال ولا الحرام الذي تمجبني آخذها وافسد بها والسـلام فقال له هـذا ياسيدى حرام فضربه بالحسام قتله وأمر بدفنه فكفنوه الخدام وبعد ذلك طلبنى وقال لى جوزك منع عنى ابنته فقتلته وعجلت له منيته فروحى وزينيها وارسليها وان لم تفعلي ذلك قتلتها وفجعت قلبك عليها فقلت له ان الامر بيد الله وكان

هذا احسن فلماصبح رأي بنتي مالثة البلاص من البحر ومقبله فقتلها وجاء بها الى عندي وقال لى خذيها واطبخيها وكليها فقعدت أبكى عليها فأخذني النوم فرأيت السيده زينب وهي تقول لى ان الذي مات مابقى يرجع قومى واوضعها في فرد وانزلى فى الخليج وسيرى الى برالزعفران ترى ولدى بيبرس وعتمان بن الحبله اعطهم البنت واحكى لهم حكايتك وقولى لبيبرس إن الذي دخل الى بيت عبد اللطيف الدمشقى فهو تمراز وكان هذا من تدبير مقلد ومقلد هو الذي حرق المصره لاجل ان يبعدك عن باب الشعريه الي المدابغ حتى ان تمراز عمل شغله ومضى الى محله فحملت ابنتى وأتيت اليك وكان كذلك ورأيتك وسألتنى فحكيت لك وهذه حكايتى والسلام (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب صلوا على النبى الحبيب فلما سمع الامير بيبرس من الحرمة هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام والتفت الى عتمان وقال له ياعتمان انت تعرف كفر الجاموس قال عتمان أعرفه ولكن الوصول الى هناك صعب لانه عليه غفر وهو كلبته اذا رأت أحد طرق الكفر فانها تهبهب عليه لكنه بحس عالى ولما تنبح الكلبه هناك فحل جاموس هو وحش كبير مثل الفيل اذا سمع نبح الكلبه يخرج حالا على الغريب ولا يرجع عنه حتى يقتله واذا كان الوارد على الكفر جماعة فعلى صياح الكلبه ينتبهون أهل الكفر فيرون أصحاب الغائط ولا لأحد عليهم وصول بسبب هاتة الكلبه وهذا الجاموس وأما من جهة معرفة الكفر وأماكنه وضروبه فما أحد يعرفه مثلى فقال له بيبرس وكانك انت خايف من الكلبه أوالجاموس فقال عتمان أخاف منهما الاثنين فقال صقر اللوالى أما من جهة الجاموس علي بقتله ولولا أخاف من العار لقتلت الكلبة لكنه نحن ليس من سيمتنا قتل الكلاب فقال عتمان اذا كنت انت ياابوا اللوالب تقتل الجاموس أنا على قتل الكلبة لانى شب من الشباب قتال الكلاب وأما انت أسد مشروس قتال الجاموس

(ياسادة) فعند ذلك قال الامير قبل كل شيء ياعتمان ارسل الحرمة الى بيت احمد بن أباديس وأوصي عليها وخذ هذه المائة دينار ووصى لها من يجهز بنتها ويواريها التراب وانا وحق مسبب الاسباب وهو الذى لا اله الا هو الكريم التواب لاأرجع حتى تدور يدى علي هذا الكلب تمراز وكذلك اللعين مقلد وأقبض على هذين الاثنين واجعل العبارة واضحة البيان واطفي ما في قلبى من النيران وآخذ لهذه المسكينة بالثار ونجلي عنها الذل والعار فقال عتمان خذ هذه الحرمة ياعقيرب وديها لفزيه الحبله فانها هى التى تكفن بنتها ونحن لا نعرف تكفين ولاشيء ثم ارسلوا الحرمة الى بيت السيدة غزيه فلما وصلت اليها وعرفت أنها من عند ابنها عتمان صعبت عليها حالها وفى الحال أحضرت لها الطعام فابت أن تأكل شيء لانها حزينة فهذا ما كان منها (قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس ومن معه فانهم ساروا فى تلك الليلة الى كفر الجاموس فعند ذلك قال عتمان اصبروا حتى أعمل شغلي وكان عتمان هو ماشيا في الطريق ميل علي المطرية وأخذ جنبا من الملوخية وأعطي لصاحبها محبوب ولما وصل الي كفر الجاموس ملأ الجنبه بالتين وقسم خروف علي اربعة أقسام ووضع فوقه ربع من ذلك الخروف واحتمله على رأسه وسار يزحف علي الارض والفرد فوق ظهره ولما قرب الى الكفر وقف وجعل الفرد على رأسه وسار يمشى قليلا بعد قليل الي أن قارب الكلبة فشمت الكلبة رائحة اللحم وتقربت من الفرد ومدت رقبتها فوطى عتمان رأسه فدلت يدها فوطى عتمان الى تحت وكانت الكلبة شافت اللحم فلم يمكن لها الرجوع فنزلت كلها فى قلب الفرد فوضع يده فى جنبه وقعد في الارض وصار يوضع الفرد من علي رأسه قيلا قيلا حتى خلص نفسه من تحت الفرد وضربها بسكين كانت له فشقها من صدرها الي بين نخذيها ونزلت امعاؤها الى الارض ولكن صاحت ووقعت ميتة على الارض وعند صياحها انتبه خل الجاموش وقصد الى نحو الرجال فصاح

عثمان يا أبوا لولب أنا أخذت حصى فقال المقدم صقر اللوالي كثر الله خيرك يا عثمان ثم أنه وضع يده على قبضة شا كريته وجذبها بهمة قوية وتلقي ذلك الجاموس وهو مقبل عليه وضربه بها بين عينيه ففلق القرنين والمخ والسلسلة الى حد كتفيه فانصرع ووقع ميتا وزاده ضربة على ظهره قسمه نصفين فلما علم عثمان ان الكلبة ماتت والجاموس مشى قدامهم وقال لهم اتبعونى حتي دار تمراز فمشي بيبرس وسقر اللوالى وسقر الهجان وحرحش وتوابعه وعثمان وتوابعه ودخلوا الى دار تمراز فوجدوا الثمانين توابعه وكل واحدمنهم رافع شيله علي رأسه وهذه الشيل الذى اتوابها من دار عبد اللطيف فعندذلك هجم الامير بيبرس علي تمراز وكل اثنين من رجاله قبضوا على واحدمن رجال تمراز ولا أحد قدر يتحرك قط بل أوثقوهم كتاف وقوا منهم السواعد والاطراف واخذوهم بشيلتهم على رؤوسهم وساروا بالجميع ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى دار أحمد بن أباديس السبكى ووضعوا فى رقابهم الحديد بعد الكتاف الشديد والتفت الامير الى عثمان وقال ياعثمان بقي لنا مقلد فقال عثمان وعاوز ايه من مقلد قال ياعثمان اذا مسكت مقلد فهذا هو المقصود من قبل أن يهرب و نتعب بعد ذلك قال عثمان انا الليله أمسكك مقلد بس اتبعنى على بعد المسافة وانا علي افتح لك البرج ثم أن عثمان سار وسار بيبرس علي أثره هو والرجال ولما أقبل عثمان الى باب البرج صفر تصفيرة حرامية فرد عليه مقلد بمثلها وكان هذا التصفير عادة لاولاد الزنا وكان عثمان يعرف ذلك معرفة جيدة فلما صفر قال مقلد لغلامه انزل افتح الباب ياولدى لئلا يكون رجل مطرود من الحا كم وأقبل الى يستجير بي فافتح له قال فضه حاضر ثم نزل وفتح الباب فدخل عثمان وقبض علي فضه وطبق على فضه وطبق يده بالكره على فمه ووقف عثمان وكتف الغلام وقوي منه السواعد والاطراف وصار كل مايصفر مقلد يرد عليه عثمان بمثل مايفعل الى ان دخل بيبرس والجماعة وصعد الامير الى اعلى البرج واذا به يرى مقلد جالسا والكاس والطاس بين

يديه والكرك الذي أرسله له تمراز كرك عبد اللطيف الدمشقي على كتافه فلما رآه مقلد قال يادايم ياحق يامعبود والله اكبر الله اكبر ان هذه من خمور الجنه فعند ذلك ضربه الامير بيبرس بالك الدمشقي أرماه وقال له تدعي بالولايه يا كذاب وأنت أفسق من الذباب وأنت فاسق ظالم مرتاب وتدعي بالصدق وأنت عند الله كذاب أين السبحة التي كنت لابسها في رقبتك فلعنة الله على شيبتك وعلى ذاتك ورؤيتك وأنشد يقول

يا جاهلا يا غافلا يا سالكا بحر الضلال
قضيت عمرك فاسقا البغي طبعك والضلال
أما علمت بأنها دنيا ويعقبها زوال
تركت ما يكتب عليك فرضاً واتبعت المحال
كيف العمل اذا أتيت ما بين أيادي ذو الجلال
لا زاد معك قدمته حسنا وأشياء يقال
واتبعت نفسك سرمدا ورميت روحك بالنكال
وسلكت في سبيل الهوي والله يعلم بالفعال
لوطعتني في ما أقول وتبت توبة الاقتبال
أغارق عقلك والهوي افيه على هذا الخصال

(قال الراوي) ثم أن الامير بيبرس صرخ بأعلا صوته وقال امسكوا هذا المعرص فعند ذلك تقدمت اليه الرجال وأوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف وجروه الى أن وصلوا الى دار احمد بن أباديس السبكى وقرنوه برفقائه ودخل مقلد فى قلب الحبس ونظر الى تمراز وأصحابه وقال لهم يزول الشر يا جدعان فقال له تمراز أهلا وسهلا يا عمى قال لهم وأنتم ما كنتم خلصتم يا جدعان وبعثتم الكرك الى عندي أم الزغرات قالوا له وصلنا الى محلنا وهو وراؤنا يدور علينا احنا قعدنا واذا به هو وجماعته عند اكتافنا وقبضونا فى ساعة ولانعلم من الذي دله علينا فقال مقلد وأنا الآخر

كان واحدمنهم يلاعبني بالتصفير فقال ربما يكون واحد مطرود واذا به ابن الحبله وطلعوا الي وأخذوني وصار الحديث بينهم علي ذلك الحال هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى)اسمع ماجرى من الزناد القادح والبحر المتلاطم السائح مولانا السلطان الملك أيوب ولى الله المجذوب فانه بات واصبح يصلى علي نبى في كفه الورد فتح ظهر الى الديوان وجلس ونظر الى الميامن اطرقت والى المياسر اطرقت والصدر والجناحين ثم قرى القاري وختم ودعي الداعي وختم ورقى الراقي وختم آمنت العساكر أتراك وديلم وعرب وعجم وزعق شاويش الديوان وهو يقول هذه الابيات

الدهر لايبقي على طول الامد وكذا الزمان لا يصفي يوما لاحد
كم من مليك حاز ملكا واسما من بعد تقريب لخالقه سعد
لاتحسبن الله يغفل ساعة الا وينفد حكمه اذا نفد
يعطي الذين تكبروا فى ملكه حتى اذا فرحوا بما او تواخد

(قال الراوي) قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من المهالك سبحان من كل شيء دون وجهه هالك سبحان من عنده كل ملك كمملوك وكل غني كصعلوك ألله ألله يا دايم يا حاج شاهين ما تنظر الى هذه الفعال التي تفعلها الناس الجمال ويعقبها النكال والوبال يا شاهين يواظبوا على كل داهية لكنه أوقع الله كيدهم فى نحرهم هكذا يكون آخر الطلب يا شاهين (قال الراوى) واذا بباب الديوان استد والستار احتج والخواجه عبد اللطيف الدمشقي والخواجات الفقهاء طالعين يقبلون الارض بين يديه والنبي فى القيامه يتبسم في وجه من يصلى عليه وهم ينادون مظلومين ياملك الاسلام وتقدم أمامه عبد اللطيف وانشد يقول صلوا على طه الرسول

ايظلمني الزمان وأنت فيه وتأكلني الذئاب وانت ليث
ويروي من حياضك كل حاد واعطش فى حماك وانت غيث

(قال الراوى) فقال الملك الصالح من الذي ظلمك يارجل ياعبد اللطيف قال عبد اللطيف ظلمنى والى مصر هو الدولاتلى بيبرس وهو يامك جا نى في قلب الخان وضربنى ضربا وجيعا ومن بعد الضرب ياملك صالحته وأخذت بخاطره والتزمت ان اعمل له وليمة واحضره فيها وتوافقنا اناواياه ليقدم الى محلى واذا به دخل على في بيتى ونهب بيتى حتى قلعوا الفقهاء ملابسهم من بعد مارضرضوا الجميع بالضرب وأخذها أخذوراح وهذا الذى جرى ثم احكى للسلطان القصة التى جرت عليه من اولها الى آخرها وبعد ذلك احضر الفقهاء شهدوا بماوقع لهم فى ليلتهم الماضية وكشفوا علي ضربهم الذي في أجسادهم وقالوا ياأمير المؤمنين هكذا يجوز فى دين الاسلام علي حملة القرآن الذين يقرؤن كتاب الله الملك العلام (قال الراوى) هنالك تحرك القاضى من مكانه وهز مقلته ومر لسانه وفرد شيبتة على صدره وجنح طيلسانه وقال القاضى هذا لايجوز ياأمير المؤمنين فهذا ظلم عظيم وان هذا الغلام قد طغي وضل واستطال حتى فعل هذه الفعال فهذا حرام غير حلال ياملك الاسلام وما أي هذا الغلام من بلاد الاعجام ودخل بلدك الا يريد يفسد ملكك وأنا كم من مرة أقول لك على هذا وأنت لم تصدقني ولا علي ماأريد منك توافقنى حتى فشى منه الفساد وظهر في هذه الارض والبلاد وتجاري على ظلم العباد وهذا الغلام يقتل شرعا وفرعا وقرعا ولايمكن بقاؤه فى ارض الاسلام لان ابقاؤه حرام وان كان لايهون عليك قتلة ياملك الاسلام فأنا أدفع لك من مالي وصلب حالى وزكاة عن قلبى ومحبتى في دين الاسلام وفى رضاء الملك العلام خمسين كيسا وثمن خمسين جواد وثمن خمسين مملوك وعليك ياوزير ايبك مثلهم فقال ايبك مثلها ياقاضى كل نوبة ونحن نحطوا مثلهم يروح منا باطلا أما فلوس متاعنا راح ولا بقي عندنا ياقاضى مال قال له القاضي يا وزير النوبة هذه قاطعة الشهوات وبعد ماأفعل هذه الفعال فاننى لاأبالي

بمال ولا بنوال فقال ايبك يحط يا باشاة قال الملك هاتوا الفلوس وثمن المماليك والخيل وجميع المال حتى انظر هذا الولد ما الذى اغراه على هذه الفعال فعند ذلك قال القاضى يا شيخ منصور امضي الى الدار وهات الدراهم فنزل منصور وحضر المال بالمجلس ووضع المال في خزنة الديوان بالكمال وبعد ذلك قال الملك الصالح ياحاج شاهين هات لنا بيبرس الذي فعل هذه الفعال فأرسل الوزير مملوك الي دار بيبرس وصبح عليه وقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة ثم اخذ معه عثمان بعد ما شد له الحصان وركب وطلب الديوان وكان عثمان قد أمر رجاله ان يلحقوه بتمراز ويكون مكتفاً كتافاً شديدا وصحبته رجاله الثمانين والجملة مكتفين ويحضروا البنت المقتوله وأمها ومقلد وغلامه فضه ويلحقوا بهم الى الديوان هذا وقد طلع الامير بيبرس الى الديوان كانه الاسد الغضبان فعند ذلك خدم وسلم وافصح مابه تكلم ودعى للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم ورفع رأسه وقال نعم يا أمير المؤمنين

يا مليكا له فضل صفا ووفا وكل الامم بالمجد والشرفا
امدك الله بالعمر الطويل كما مد نوح بعمر نال فيه الشفا

قال الملك يا بيبرس انت فعلت مع الخواجة هذه الفعال رضربته ونهبت بيته وأخذت ماله حتى ضربت الفقهاء الذين يقرءون عنده القرآن وكان معك عثمان ومشاديده وغلمان وكان سقر اللوالى وسقر الهجان فقال بيبرس خاشا يا ملك الاسلام انا افعل هذه الفعال فقال القاضي يشهدون عليك الخواجات والفقهاء وأهل كتاب الله فقال بيبرس وانما فعلوا هذا ناس من اولاد الزنا الفتاك ودخلوا على الرجل صحيحاً وفعلوا هذه الفعال وبلغني الخبر فى الليل فطلعت أنا ورائهم وأتيت بالاموال والرجال الذي قد فعلوا هذه الفعال حتي انهم قتلوا بنتاً واباها وها أنا أحضرت المقتولة لاجل ان تراها فقال الملك الملك الصالح وهذا الوقت موجودين قال

نعم يا أمير المؤمنين قال له احضرهم قال بيبرس يا عثمان واذا بعثمان طالع الى الديوان وهو يخبط بالنبوت ويغني ويقول يا ليل

أحبكم كلما حمار نهق نصار   وكلما هبهبت جراوتكم فى الدار
يامن على صحن خده مسرجه جنجار   قتلتنى غدر يابو خطمه فول حار

صباح الخير عليكم يا أسطوات من الطاقه للعلاقه ومن الدفه للشابورة منا القائحة في صحائفكم وصحائف كل من علمكم مسك الكفه والجره وضرب الغنشه فى الاصطبل صباح الخير عليك يابو جوطه ياللي عمرك ماذقت اللحم ولا السمن ظفرها يومه اكرام لله تدعى لك وانت تاكل القراقيش والدقه لما تروح لله ما تلحق تقول قال الملك الصالح ياعثمان مااحنش فى كده احنا الناس الحراميه أين هم قال عثمان حاضرين قدمهم ياعقيرب فعند ذلك قدمهم عقيرب وهم تمراز وأصحابه وبعد ذلك قدم مقلد وغلامه فضه وأحضر ايضاً تابوت وفيه البنت المقتولة وأمها بجانبها وقال آدي الذى حضرناهم قال السلطان ايش دول فقال الامير بيبرس هات ياعثمان كل ما كان معهم قال عثمان وادي شيلتهم قال السلطان ايه العباره قال بيبرس اسأل هذه الحرمه قال الملك ياحرمه أيش حكايتك ومن الذي قتل ابنتك فقالت يا سيدي ان الذى قتل ابنتى هو تمراز هذا وقد كان سابقاً قتل زوجي وهو أبو هذه البنت المقتولة والسبب في ذلك انه طالب أن يأخذها للزنا والفساد ثم حكت للسلطان على ما جرى لها من طلب ابنتها وان أبوها لم يرضى فقتله وبعد ذلك طلب البنت منى وقال لى ان لم تزيني لي ابنتك وتجعليها لى ضجيعة والا قتلتها فما رضيت له بالفساد فى بنتي فقتلها كما ترى ثم أعادت عليه جميع ماجرى لها من الاول الى الآخر وقالت فى آخر الكلام وهو الذي توجه الى دار هذا عبد اللطيف ونهبها بواسطة هذا المقدم مقلد والذي كان كان لهم رسول هذا فضه غلام مقلد وان هذا تمراز ماله شغل الا قطع الطريق

ونهب الغادى والبادي وأكل أموال الناس بالباطل والزنا والفساد هو ورجاله الذين تراهم والسلام

(قال الراوي) فلما سمع الملك الصالح هذا الكلام والتفت الى الشيخ عبد اللطيف وقال له يا عبد اللطيف المتاع هـذا متاعك ومالك قال عبد اللطيف نعم يا أمير المؤمنين وانت قلت أن بيبرس هو الذى اخذ مالك ونهبك بغيا اذا كان بيبرس ما حضر مع الغرما ولا فعل ذلك الفعال وانت عملت عليه دعوه وتحضر هؤلاء الفقهاء ليكونوا شهود عليه وهم عدول بالشهادة ودين الاسلام فان له الحكم بالظاهر فكان بيبرس تجري عليه الاحكام بغير ذنب فعله ويروح فيها مظلوم قال عبد اللطيف يامولانا وأنا لا أعلم شيء من ذلك كيف يابيبرس تقول فى ذلك فقال بيبرس يا ملك هـذه الدعوة ما بين يديك ورأيك أولى قال الملك يا عبد اللطيف هذا العمل بين يديك نخذ انت مالك واعطى للفقهاء والضيوف ملابسهم كل ذي حق حقه فعند ذلك تقدمت الفقهاء وأخذوا ملابسهم وصاروا يوبخون فى تمراز وأصحابه ويقولون لهم يا حراميه تجعلوا أنفسكم بأنكم الوالى وجماعته وتضربوا وتنهبوا في الليل ولا تخافوا الله الذي لا اله الا هو قبح الله ذاتكم يا مماقيت ثم أنهم أخذوا ملابسهم والبعض منهم كان له دراهم فى جيبه القاها كما هى ولم يعدم لهم شيئاً وكذلك الخواجات الذين كانوا عندعبد اللطيف ضيوفا وانتهبوا أخذ كل من له شيء وبقا مال عبد اللطيف فقال الملك يا عبد اللطيف انت سبب هذا كله ولكن خذ مالك وانزل روح الى حالك الله تعالى يذهب مالك ما بين يديك فنزل عبد اللطيف والخواجات والفقهاء وان عبد اللطيف هذا يرسل أموالا الي جهة الهند والشام تغرق مراكبه وتنفذ فيه دعوة الملك الصالح والله يقبل دعاء أوليائه انه هو السميع البصير

(قال الراوي) وبعد ذلك قال السلطان يا قاضى قال القاضى نعم قال كيف رأيت بيبرس فى هـذه المرة برىء ولا عليه ذنب ولا يستحق القتل حتى كنا

نملصوا آذانه قال القاضى يا مولانا الحق يعلى ولا يعلى عليـه فقال الملك طيب يا قاضى لـكن انت وابيك دفعتم هـذا المال على قتل بيبرس من غير ذنب عليه وجعلتوه لى رشوة فى نظير ما اقتله تعديا وظلما اذا كان على ذلك انا ما أريد شيئا من ذلك ومعاذ لله ان اقتل نفسا حرم الله قتلها الا بالحق فقال القاضي يا ملك الاسلام نحن ما دفعنا هذا المال الا لاظهار الحق من الباطل والحمد لله يا مولانا الحق ظهر واتضح والباطل خفى وافتضح فقال الملك وهذا المال من يستحقه أما ترجعوه اليكم هذا لا يكون فقال القاضي يا ملك هـذا يكون لبيت مال المسلمين والاخزنة مولانا السلطان فقال الملك أما خزنتي غنية عنه واما بيت مال المسلمين لا يستحق ذلك قال القاضي هذا حق مولانا السلطان يتصرف فيه كيف يشاء قال الملك اذا كان كذلك انا اهبته الى ولدى محمود يا بيبرس خذه يا ولدى ما سمى الا لمن قسم وانت كنت فى هذه الدعوة مظلوم قال القاضى نعم ما فعلت وهو كذلك قال السلطان هاتولى هؤلاء أضرب كل واحد منهم ثلاث ضربات بالضفيرة الخوص فأنهم ظالمين وقاتلين ولذلك مستحقين قال الوزير لاى شيء هذا التعب أهبهم الى الوالى يقاصصهم بما يستحقون قال الملك خذهم يا بيبرس فأخذهم بيبرس ونزل بهم من الديوان وقد شنق مقلد على باب برجة وخوزق غلامه فضة قدام البرج أيضاً وبعـد ذلك نزل الى كفر الجاموس وشنق تمراز هناك فى وسط الـكفر والثمانين اتباعه شنق فى كل كفر من السبعة عشر والعشرين الباقين قطع رؤوسهم فى الخليج الذى جاءوا وراحوا منه لما نهبوا دار عبد اللطيف وكان الامر كذلك واما البنت المقتولة دفنوها فى كفر الجاموس واعطي لامها دوار شيخ العرب تمراز من بعد ما شنقه ووصى عليها أهل الـكفر وقال كل جمعة لابد يأتينى من عندها مطالعة علي كل اخبارها وان احد تعرض لها بسوء وحيات راس السلطان ادفنه فى الارض وهو حياً واردم عليه فقالوا أهل الـكفر يا مولانا نخدمها بالعيون وان الحرمة تقيم فى الـكفر أمينة وأميرة نفسها ولا احد يتعرض لها وعملت خيرات

كثيرة من مال شيخ العرب تمراز ومن جملة ما فعلت سبيل مشهور الى وقتنا يسمى سبيل المرأة ولم يذكر اسمها مع ان اسمها حميدة وان هذا السبل سبيل السيدة حميدة مشهور الى وقتنا هذا هذا ما جرى ها هنا

(قال) ويرجع الفصل الي القاضي صلاح الدين والمعزأ ايبك التركماني وذلك انه لما جري من الامر ما قد جرى وخسر القاضى وايبك اموالهم اغتاظ ايبك غيظا شديدا وقال للقاضى انت أهلكت مالى وأذهبت مني نوالي ولا بلغت من بيبرس آمالي ولكن والله العظيم وبالله العظيم يا قاضى اضربك واحد سيف روح موت علي باب الله اذا كان ما يعملشى واحد تدبير ويكون طيب علي بيبرس حتى يموت قال القاضى اصبر يا أبا أحمد وانا لابد لى من قتل هذا ولد الزنا وتربية الخنا ولابد انت تصير ملك وسلطان ويصير لك عبيد واعوان وهذا الامر ما يفوتك أبدا ولابد من قتل هذا الولد وسوف تدور يدك على ماله وعلى اما كنه فطب نفسا وقر عينا فهدأ روع ايبك واما القاضى فصبر حتى انقضى ذلك النهار ونفض المنديل السلطان وتحولت العالم وان القاضي روح الى منزله والتفت الى غلامه الحاج منصور وقال له يا حاج منصور يا ابنى أعمل معروف ناديلى قراجودة المحتسب فقال له لاي شيء عاوزه قال لاجل مكيدة نعملها على بيبرس لعل المسيح يا ابني يبلغنافيه المأمول قال البرتقش الى كم تتعب نفسك مع عدم الفائدة يا ابى وهذا الولد ما تبلغ منه المقصود والمال الذى حضرته معك من بحيرة ايغرة ضاع أكثر من ثلثه ولا بلغت ارب فقال له يا برتقش ان المال يجبي غيره ولكن انا مرادى قتل بيبرس على اى وجه من قبل ان يعلو قدره قم أنت ناديلى على قراجودة المحتسب لانه نصرانى حتى انى أعلمه علي أمور يهلك بها بيبرس قال له اخاف يهلك قراجودة كما هلك حسن الايبكى على يد بيبرس قال القاضى من يقول هذا الكلام البطال تقول انت بعقلك قوم هات قراجودة قال له سمعا وطاعة ثم ان البرتقش قام الى بيت الامير قراجودة وقال له تفضل اجب القاضي فقال سمعا

وطاعة وسار بصحبته الى ان دخل الى بيت القاضى وقبل يده (يا سادة) فلما حضر الامير قراجودة اجلسه القاضى بجنبه وكان هذا الملعون قراجودة نصرانى وان القاضى يعلمه انه نصرانيا ومطلع الملعون على حاله وقراجـودة يعلم ان القاضى جوان ويعلم قصـده من بيبرس فلما جلس بجانبه قال له القاضى يا أمـير قراجودة هات الميزان حتى انظره فاعطاه الميزان فأرسل القاضى احضر وأحد حداد وعلمه علي مكره ونقب هب الميزان بمنقاب مثل خرق شبك الدخان ووصل محل الخرق بلحام ناري من بعد ما وضع فيه خرق رصاص وبعد النصرانى ما عمل له قب ميزان حكم طلبه قال له بقيت تستاهل البقشيش اجرتك ثم انه اتاه بكاس خمر ووضع له فيه خرقة سم خارق فلما شرب الـكاس ذاب لحمـه من على عظمه فرماه القاضى فى جب عنده فى الدار خوفا ان ينتقل الخبر ثم ان القاضي احضر الميزان الي قراجودة المجتسب وعلمه الى دورانها وقال له اذا اردت ان توزن اسحب القب هكذا يبقى الخردق جهة الصروف فـكل ما كان ينزل فى الـكفة القابلة تصير ناقص فمن ذلك تظهر حجتك مستقيمة ثم قال له فى غداة غد تطلع تصبح على السلطان وتنزل الى حارة بيبرس وتضرب رجالها وحاذر فى الميزان اذا وضعت شيء تحمل الخردق جهة الصروف فقال له سمعا وطاعة وانصرف الى حاله بعد ما اخذ الميزان فهذأ ماكان من هؤلاء

(قال الراوي) واما ماكان من الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فانه بات واصبح يصلى علي من في كفه ألورد فتح وجلس على تخت قلعة الجبل وتكامل الديوان وجلست العساكر جميعا من عادته الجلوس جلس ومن عادته الوقوف وقف وقرأ القاريء وختم ورقى الراقي وختم ودعى الداعى وختم أمنت العساكر اتراك وديلم وعرب وعجم صاح شاويش الديوان يقول

ما زاد نقص وكل متولى معزول ... والدهر كسلم طلوع ونزول
اصبر تؤجر ولا تكن فى الفعل عجول ... ما اسرع ما يقول كل شيئاً كان ويزول

(قال الملك الصالح) سمعنا ولله اطعنا وامورنا فى الله سلمنا من اين كنا حتى اتصلنا ثم اراد الملك يتعاطي القصص ويزيل الغصص ويحكم بالعدل والانصاف كما امر النبي جد الاشراف واذا بالمحتسب وهو الامير قراجودة طالع يقول نعم شاة دولة دائمة انا نازل من شأن شق البلد فقال له الوزير ابيك يا امير قراجودة شق يا ابى البلد علي العدل توجه على باب الله فقال القاضى يا أمين الاجتساب الناس تجارت علي النقص فى الميزان والظلم اوزن طيب واضبط الميزان على الدقة فقال السلطان طاوعه يارجل يا قراجودة ما ينتج حالك انت كمان وتلحق بالسابقين أنزل (ياسادة) فنزل قراجوده وركب وتقدم اليه الخدامين وقالوا له على فين يا أمير قال لهم علي حارة بيبرس هذه شقة غريبة ثم قال امشوا فساروا معه الخدام ولكنهم متكدرين لأنهم يعلموا ما جري للوالى ولا زالوا ساترين حتى وصل المحتسب الى اول دكان فى الحارة المذكورة وكان دكان زيات فقال له المحتسب سلام عليك يا ابي هات صروفك قال له الزيات سمعا وطاعة تفضل هذه فقال له المحتسب هذه صروفك قال نعم قال له كم الرطل فيه قال له الزيات هو فى يدك يزيد على رطل وقيتين قال لما اوزن اشوف ووضع الرطل فصار الرطل مدحرج الخردق فطلعت صروف الزيات فوق ضروف المحتسب فقال له ناقص ارمى الرجل فقال له الزيات يمكن ان الصروف آكلوا منهم الفيران فرمى الزيات وضربه علقة وانتقل الى دكان الزيات الثاني وكذلك الكفتاجي والعطاو والجزارين والخوضارية على هذه القضية حتى دار على اهل الحارة بالتمام وراح الي حال سبيله فقاموا الناس واخذوا بعضهم واخذوا صروفهم وذهبوا الي دار بيبرس وتراموا امامه فقال بيبرس ما الخبر قالوا له يا دولاتلى احنا صروفنا معنا وأنت عارفهم والاسطى عثمان كذلك يعرفهم ولكن امين الاحتساب جلعنا ووزن الصروف ونزل علينا بالكرابيج الى ان شوانا مع إننا ما عندنا نقص يادولاتلى فى عرضك فقال بيبرس انا فى غد اتكلم معه

وهذا مقدر عليكم ولكن سامحوه لاجل خاطري وانا باكر أقول له ما بقاش يكلمكم وارده عنكم قالوا له طيب يا سيدي ورجعوا الى حال سبيلهم فقابلهم عثمان وقال لهم رحتم للجندى لاي شيء قالوا له يا أسطى عثمان المحتسب ضربنا قال لهم عثمان والجندى ما قال لكم قالوا له قال لنا مقدر عليكم قال عثمان طيب مقدر عليكم يا اولاد حارتنا فنزلوا الى حال سبيلهم ولما كان ثاني الايام طلع المحتسب الي الديوان وصبح على السلطان فقال له القاضى يا أمين الاحتساب اجتهد كما فعلت أمس وعليك بها فقال السلطان اسمع كلام القاضى فنزل المحتسب وركب فقالوا له الخدام على اين يا أمير قال على حارة بيبرس ثم انه سار حتى وصل الى دكان الزيات وطلب الصروف فلقاهم بذاتهم لا مبدلين ولا مغيرين وكذلك الكفتاجيه والمطارين والخضارية على هذا المثال فضربهم ضربا شديدا اكثر من أول يوم ومضى الى حاله فقالوا لبعضهم نروح الي صاحب الحارة وهو الامير بيبرس فقال واحد منهم ما كنا عنده البارح وقال لنا مقدر عليكم وان ذهبنا له اليوم يقول مقدر عليكم ايضا فقال لهم الزيات انا عارف الذى يبطل المحتسب ويحرمه دخول الحارة وهو الاسطى عثمان ولكنه يطلب منكم البسيسة فقالوا له صدقت هات لنا ربع قنطار سمن بقري وهات لنا عشرين رطلا عسل نحل واحنا نجيب عشرة شقات عيش من الفرن وهذا شيء قريب وفى الحال كل من كان له طشت فى بيته احضره بدلا من القصاع وعملوا له ما ذكرنا وساروا الى عثمان وكان عثمان جالسا ولم يعلم بشيء واذا بأهل الحاره مقبلين كما ذكرنا وقالوا له يا أسطى عثمان احنا فى عرضك من المحتسب والنفقة هاته موجوده فقال عثمان مرحبا بكم يا أولاد حارتنا لانكم تعرفوا الواجب روحوا ولما يجيكم المحتسب قولو له طقطق شعيرك يا دبور فرجعوا وهم فرحين

(قال الراوى) وأما عثمان فانه التفت الى الجدعان وقال لهم كلوا القصعة يا جدعان لكن الذى يأكل الخروف يحمى أمه فقالوا له سمعاً وطاعة قال

عثمان بس يا جدعان خايف من الجندى ما يسيبنيش ويروح من غيرى بقي تعمل زى النوبة التى فاتت عملت فيهاميت وهذه النوبة اذا مت يسحب الدمشقى ويقومنى واذا ما قمت ينبطني بالدمشقي فلعنة الله على من دمشقه ولكن انا أعمل روحي أعمى ثم ان عثمان غاب وعاد وأحضر بصله ودقها ووضع فيها ملحاً ودعك عيناه فاحمرت وتورمت ودمعت من ساعتها ووقتها ووقفت السياس وهم ينشون عنيه وهو واضع الرفايف على عينيه وكل السياس واقفين يقولون له سلامتك يا اسطى عثمان وهو يصيح باعلى صوته ويقول آه يا عيونى فسمع بيبرس زعيق عثمان فنزل اليه مسرعاً وقال له لا بأس يا عثمان فقال له عثمان عيونى يا جندي فقال بيبرس لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثم قال من هذا كنت اخاف عليك واقول لك ما تكشف رأسك وانت عريان فقال له عثمان يا أشقر نزلت على السبعة مرضات والسبعة دمويات والسبعة سخونات فقال له الله يشفيك وقد بكي عليه

ثم انه اتاه بماء الورد الباش والسكر المكرر وجعل يسقية وكلما سقاه زاد وجعه وينادى آه ولم يزل به الى ان طلع النهار وتركه بيبرس وركب مع الفداوية الاثنين وسار طالب الديوان وترك عثمان فى البيت لاجل مرض عينيه (قال الراوى) ولما كان صبيحة ذلك النهار بات الملك واصبح مثل العادة ظهر وجلس فى الديوان ثم التفت الى الوزير وقال ياشاهين الجماعة تحضروا قال الوزير اي جماعة يا ملك الاسلام فقال له السلطان الخواصين رايحين يقطعوا الخوص (يا سادة) واذا بالمحتسب طالع باس الارض وصبح على الملك فقال له القاضى يا أمين الاحتساب شق مدينة مصر واجتهد فى تصحيح الموازين ليلا ونهاراً وكذلك الاثمان والاسعار كما قلت لك شق مصر وعليك بها فقال السلطان يا شاهين هذا اليوم آخر المواعيد انزل يارجل يامحتسب وطلوع القاضى فيما أمرك به (قال الراوى) فنزل أمين الاحتساب الى باب الديوان وقدموا له الخدام الحصان وقالوا له على فين يا أمير قال لهم على حارة بيبرس فقالوا له يا أمير هي حارة بيبرس انفتح لك فيها مطلب ما

كنا فيها البارح قال لهم لازم من حارة بيبرس قالوا له هذه حارة رجل جبار قال المحتسب اى رجل قالوا له عثمان بن الحبلة قال انا لا اخاف من عثمان ولا من سيده ثم صاح على الخدام فصار من غير مراده هذا ما كان من المحتسب (قال الراوي) واما ما كان من اولاد حارة بيبرس فانهم صاروا يكررون في الكلمه وهي طقطق شعيرك يا دبور الذى علمهم عليها عثمان واما عثمان فانه حط على كل بوابة جماعة من السياس وقال لهم متى رأيتم المحتسب دخل اقفلوا البوابة فقالوا له سمعاً وطاعة ولما كان تمام الترتيب الذي جرى واذا بالامير قراجوده المحتسب أقبل وعند ما عبر من باب الحارة غلقت عليه الابواب فأقبل الى دكان الحاج دلوع الزيات وقال له يا رجل اذا كان الجاموس اسود واللبن ينزل منه ابيض من شأن ايه السمن يبقى اصفر قال له الحاج دلوع هذا صنعة الله يا سامج وانت مالك يا خسيس ماذا يخصك بالسمن البقري احنا ناس قاعدين نبيعوا بالحد والانصاف كما أمر جد الاشراف وانت كل يوم تجي تتملل علينا وتتنقل علينا ولا لك حق ولا انت بيدك حق الا تعلل الكذب وضربتنا وسكتنا لك وصبحت كمان جاى وزاية قال المحتسب انت مالك يا رجل هذا النهار قال له مالى وانت مالك ربنا يميل حالك ويقطع اوصالك اصبر ونحن نوريك مقامك ثم ان الحاج دلوع وضع اصبعه في اذنه وزعق طقطق شعيرك يادبور واذا بكل واحد من الخدام قبضوا عليه خمسة سياس وبعد ذلك ظهر عثمان الي المحتسب وقال له اهلا بالجدع المنقرش قريب القاضى الذى من العطفة الضيقة أيش جابك الى حارتنا يا وجه حمارتنا وكان عثمان طابت عيناه من الرمد فقال اله المحتسب يا عثمان انت اقل من المسخرة فقال عثمان والصراط على شواربك وشوارب ابيك الغليظ يا معرص فعند ذلك شرع المحتسب يده وكان فى يده دبوس فضرب به عثمان فزاغ عثمان عن الدبوس فوقع الدبوس فى دكان واحد حلاق قاعد عنده رجل يريد ان يقلع ضرسه والرجل فاتح حنكه والحلاق يقول له ابن المعيوب واذا بالدبوس وقع على حنكه

ارمى المعيوب والصاغ فقال الحلاق قم روح الى حالك لان الله اراحك من القوي والضمف هات الاجرة وامضى الى البحر اغسل حنكك وروح الى حال سبيلك (قال) وأما عثمان فانه قد هجم على المحتسب وقلعة من جواده وارماه الي الارض وجعل رجله على قفاه وأمر السياس يمسكوا رجليه ويديه ومال عليه بالضرب الوجيع حتى دغدغ اعضاءه وكاد ان يعدمه الحياة ثم انه قلع ملابسه وعراه وكذلك السياس عروا جماعة المحتسب وقدموهم الى عثمان فضربهم كل واحد ثلاثة ضربات بالنبوت وبعد ذلك قام عثمان وركب المحتسب على ظهر جواده بالمقلوب وربط ذيل الحصان فى شواربه وامر خدامه ان يسيروا معه عرايا وامر السياس ان يسوقوهم بالطبلة والزماره ودارت بهم اولاد الحارة وكانت لهم زفة عظيمه وبعد ذلك طلعوا من الحارة وما زاوا معهم حتى ابعدوهم عن عثمان وعادوا عنهم راجعون هذا ما كان من عثمان والسياس (قال الراوي) وأما ما كان من المحتسب فانه سار والناس يضحكون علية حتى صاروا في وسط الطريق واذا بالقاضى وايبك مقبلين ونظروا الى قراجودة قالوا ايه الخبر فتقدم اليه وحكى له وهو يبكى امام القاضى هو الذي عمل له الميزان وقال له افعل كذا وكذا ففعلت كما أمرتني ورحت أول يوم وضربت الناس وثانى يوم كذلك واما النهار هذا كان ثالث يوم طلع لي عثمان وسياس كثيرة ضربونا بالنبابيت وضربوا اتباعنا وربطوا ذيل حصانى فى شواربي وهذا حالنا ثم حدثهم بالعبارة من الاول الى الآخر فقال ايبك الله الله احنا يبقي وزيرنا ابن اخت متاعنا يضرب عليه الناس واحنا موجودين لكن هذا كله منك يا قاضى قال القاضى في غداة غدا يحضروا تابوت ويشيلوا الخدامين ويطلعوا به الى الديوان ويدعوا انه مات وانا على احكم على بيبرس بالقتل ومني ومنك نصيبات ومات بيبرس وساوى من له سنين واوقات فقال ايبك مناسب يا قاضى هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب ولما تقرر الامر بينهم على ذلك مضى كلا منهم الى حال سبيله وكذلك الامير قراجودة قصد بيته والارض

ضاقت في وجهه من الكيد الذي هو فيه واذا بالامير بيبرس مقبل عليه وكان قادماً من الديوان فلما رآه الامير على ذلك الحال قال له يا الاغا من فعل بك هذه الفعال قال له فعل بي ذلك عثمان سائس متاعك وانا ما بقى بيني وبينك الا السلطان انت عامل سياس كثيرة ماسكين الحارة متاعك يضرب علينا كلمت كلام ايه قال له بيبرس يا الاغا ان الحق على انا تعالي ارجع معي وانا ارضى خاطرك واضرب عثمان قدامك وكذلك السياس جميعهم وانت تتفرج عليهم واخلص لك ثيابك وثياب خدامك واعطي لكل واحد من خدامك عشرة محابيب فقال قراجوده يا بشت اذا كان انت خفت على راسك من نعض شاة لاش تخلى سائس متاعك يضرب علينا وحق راس دولاتلي وزير تركماني لازم اعمل دعوة عند السلطان فقال له بيبرس روح اعمل ما تعرف وتركه الامير وسار الي ان أقبل الى الحارة ودخل الى البيت واذا بعثمان جالس علي سلم الركوبة والرفادة فوق عينيه فقال الامير بيبرس يا عثمان انت طيب قال عثمان الحمد لله طيب قال بيبرس قوم تعالى حتى اقول لك قال عثمان يعني سرمدغدغ رابح تقلى عليه قال بيبرس من جاء الى هنا هذا النهار قال عثمان لا احد جاءنا ولا شفنا احد وان كنت تكذبني اسأل اولاد الحارة فقال بيبرس والمحتسب قال عثمان المحتسب صحيح جاء الينا وضربته ماهو الحق عليه اول احنا صروف اولاد حارتنا مضبوطه قال لهم ناقصين بالكذب وضرب الناس وجاءوا وشكولك قلت لهم مقدر عنيكم ضبح ثاني يوم جاء اليهم فجاءني الحاج دلوع وجاب البسيسة المنقة اكلوها الجدعان طلعت له فوجدته يقول للزيات ان الجاموس اسود ولماذا السمن اصفر منين ذلك فنبطه والسلام وادي الحكاية من اولها الى آخرها وان عاد يجى ثاني هنا قطعت بيت منيكه فقال بيبرس هذا ابن اخت الوزير ابيك قال عثمان ايبك اللقيط والله وأقره .هذا والامير بيبرس لم يأخذ من عثمان حق ولا باطل فعند ذلك طلع بيبرس الى اولاد الحارة وقال لهم يا ناس اش كان اصل المحتسب

عبارته مع عثمان قالوا لا شفنا ولا راينا وكان عثمان اوصاهم بعــدم الحديث قال بيبرس انتم ما رأيتم عثمان لما تخاصم مع المحتسب قالوا لا شفنا ولا رأينـا ذلك أبدا ما هو على شأنكم قالوا ما نعمل سيئا مطلقاً ولا شفنا عثمان ولا المحتسب فسكت بيبرس (قال الراوى) ولمـا كان ثانى الايام ظهر الملك وجلس علي كرسى قلعة الجبل ووحد القديم الازل واحدقت رجاله بين يديه ومن عادته الوقوف واقف ومن عادته الجلوس جالس وقرأ القارىء وختم ودعي الداعي وختم آمنت العساكر تراك وديلم وعرب وعجم وزعق شاويش الديوان وانشد يقول صلوا علي الرسول

يا من عجب كل أمر عجيب * الوقت صفا من كدره والغصن رطيب
أثبت سترى اهوال منها الطفل يشيب * اضحكت صفا فسوف تبكي بدمع صبيب

قال الملك الصالح الله اكبر آمنا ولله اطعنا وامرنا الى الله سلمنـا واراد ان يتعاطى الاحكام علي منهج سيد الانام واذا بباب الديوان استـد والستار انهز وطائفة الاحتساب طالعين بالنبوت علي اكتافهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلي الله علية وسلم قال السلطان يا ناس هو باب القرافه صار من هنا فقالوا تعيش رأس مولانا السلطان فى قراجوده المحتسب قال الملك ولمامات جبتوه تدفنوه فى القرافه قالوا له يا ملك هذا مات مقتول قال الملك من الذي قتله على هذه الحالة قالوا يا مولانا قتله الامير بيبرس وعثمان بن الحبله فعند ذلك تحرك القاضى من مكانه وهز ديدبانه وقال يا أمير المؤمنين كم أقول لك مراراً عـديده وأذكرك به تذكاراً واعلمك يامولانا ان هـذا المملوك ما جاءنا من بلاد العجم الا علي خراب هذا الاقليم الاسلامية واذا لم يهلك هذا الغلام يخرب بلاد الاسلام. انصحلك وانت تـكذبنى فى الـكلام ولا تصدقنى ولا تبلغنى المرام حتى انه قتل هذا الرجل المؤمن وان هذا المملوك يقتل قتلة عظيمه وان كانت قتله ينتج منها خسارة علي مولانا السلطـان لانه من مالك فأنا ادفع من مالى

وصلب حالى وزكاة عن قلمى ودوايتى ومحبة ورغبة منى فى دين الاسلام وابتغاء لوجه الملك العلام خمسين كيس فى كل كيس الف دينار وثمن خمسين مملوك وثمن خمسين حصان وانت ياوزير ايبك عليك مثلها قال ايبك نحط مثلها قال السلطان يا شاهين يصح ان وأحد مثل بيبرس يقتل ابن أخت المعزايبك التركمانى وهو ملك ملوك الموصل لا كان ولا استكان هاتوا الدراهم وثمن المماليك والخيل حتى اخلي ابو حديده عوجاء يملص اودانه فقال القاضى يا شيخ منصورهات ألدراهم وهم ثمانون الف دينار وانت يا ايبك احضر المال (يا ساذة) فعندها حضرت الدراهم فقال الملك يا شاهين ارسل لنا بيبرس فارسل الوزير الي الامير رسول من طرفه فسار الرسول الى منزل الامير وقبل يديه وقال له ياسيدي تفضل الى الديوان فقال سمعاً وطاعة ولكن ايش الذى جري فاخبره بان المحتسب قد مات واحضروه في تابوت فالتفت بيبرس الى عثمان وقال له المحتسب مات قال عثمان من موته خدوه ماشى من هنا البارح طيب قال بيبرس هاهومات وكيف رأيك يا عثمان قال ما أعرف أعمل ايه قال بيبرس حارتنا كلها ما حد منها شاهد وانا عليك ما اشهد بشيء وان سألني السلطان اقول له ان عثمان عيان ولا شفنا ولا رأينا فقال عثمان صحيح لا شفنا ولا رأينا فقال بيبرس انا اطلع الي الديوان وان سألني السلطان عنك اقول له عثمان عيان وانت لا تجي الا حتى تبرد الامور قال عثمان طيب فعند ذلك ركب الامير بيبرس وترك عثمان وطلع الي الديوان ولما دخل بيبرس خدم وترجم وافصح ما تكلم ودعا للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم قال الملك يا بيبرس انت قتلت هذا فراجوده المحتسب فقال له بيبرس لاى شيء اقتله لا بيني وبينه معامله ولا مقاربة قال القاضى وعثمان فقال الملك فين عثمان يا بيبرس فاراد ان يقول عيان واذا بالنبوت يخبط فى باب الديوان وعثمان يغني ويقول يا ليل ولا فاكر فى ديوان ولا فى ملك ولا فى شيء مطلق وهو مع ذلك يقول

عليـل عمـاه جرجر　　فلق الـكوز واصبر ايه
وكان معه مال وباع الملك　　وابصر ايه وابصر ايه
ولولا صلبـا معهم　　عشب وابصر ايه
كشفوا عليه التقوه يهوى　　في العيون السود ابصر ايه
طرحوه على الارض　　ضربوه ألف ضربه وصبر ايه

قال الراوى ثم ان عثمان لما فرغ من غناه قال السلام عليكم يا اسطوات من الطاقة للعلاقه ومن الدفه للشابوره قال الملك احنا سياس قال عثمان صباح الخـير عليك يا بوجوطه الفاتحه في صحايفك وصحايف الذي علمك مسك الكفه والجره وضرب المقطيطه في الاسطبل ياشيخ ظفر بطنك ولو في السنة يوم تدعي لك أنت تأكل قراقيش ودقه لما تروح لله ماتلحق تقدر تقول (ياساده) ثم التفت للوزير وقال صباح الخير عليك يابو فرمه ياطرنطش على طرنطشيك ياجدع صباح الخير عليك يا أبيك يالقيط صباح الشر عليك ياقاضى يامنقرش يللى من الحارة الظلمه ياابن القحبة بافتلة زرقا قال القاضى اخرس قتل الله ذاتك قال عثمان جره فى عين خاتك فقال الملك الصالح ياشـيخ عثمان بطل عن الهذيان واخبرني على ماجري بينك وبين أمير الاحتساب قال عثمان اسمع الحـكاية وشوف الحق على من قال الملك قوله قال عثمان عز الله جل الله مافى الملك الا الله انت يامعلم صالح قول معاي لا اله الا الله قال الملك لا اله الا الله محمـد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثمان وعلى القاضى لعنة الله قال الوزير ياعثمان قل الحـكاية بحول الله قال عثمان انت يامعـلم صالح ما كنت انت كتبت الينا فرمانا ما أحد يجي الينا فى حارتنا وان كنت تنكر احلف لى فى أم البيت قال الملك صحيح ممك فرامانى ما أحد يدخل حارتـكم من المجاورين ولا من أهل الحسـبه قال له عثمان ان المنقرش الذى تعرفه أنت دخل وأمين الاحتساب الذى اسمه جرجوس وجاءنا بالميزان ان الذى علمه المنقرش يعنى القاضى وبقى يامعـلم يحط الرطـل ينزل بالكـذب

وقال للناس صروفكم ناقصين وضرب كلا منهم عنقه فدخلوا للجندي وحكوا له فقال لهم مقدر عليكم لكن ساعحره لاجل خاطرى وثانى مرة كذلك وجابوا لي الفته ا كلوها الجدعان واعملت نفسى عيان بميونى حتى ان الاشقر خلاني وطلع الديوان وجاء جرجوس يسأل الناس ويقول لهم الجاموس اسود واللبن أبيض والسمن أصفر لاي شيء والله يامعلم صالح نبطته النبطة التي قال عليها الحكيم ورفيته بالطبل والذكر لما طلعته من الحاره هو وجماعته وبعد ماضربتا يامعلم صالح اخذت عفشه والميزان وهذا الميزان يامعلم صالح وانظر يستحق النبط أم لا فعند ذلك أخذ السلطان الميزان وتفرج عليه وقال ان الذي فعل هذا لايعرف الله ولا رسوله فان هذا شغل المنافقين ثم التفت الى عثمان وقال له وبعد ذلك ايه آخر الحكاية قال عثمان هذه آخر الحكاية يابو قوطه قال الملك لكن يا عثمان هو الضرب برد عليه وبقى قتله ويبقي مات كيف يكون الحيال قال عثمان اذا مات لايلزمنا شيء كما كنت تكلمت انا والجندى لاشفنا ولا رأينا ولكن انا قتلت والسلام ونحن لاشفنا ولا راينا قال السلطان سمعت منك باذني وما بقى ينفعك انكار قال عثمان وانا اعمل ايه قال الملك ياعثمان القاتل يقتل شرعا قال عثمان اذا كان رايح تقتلني انا اكمل عليه بالمره وابقي اعمل ماتعرف ثم ان عثمان مد يده فى حزامه وطلع منه سكينه صلب صنعة أهل الهند وتقدم وأراد ان يفعل به كما فعل بالوالى وكان قراجوده عالم بما فعل عثمان بالوالي وهو مقبل السكين فى يدة فقفز من التابوت برى من التابوت وصار يجرى على وجه الارض فقال الملك الله ياداىم سبحان من يحيي العظام وهى رميم انظر ياشاهين ان الميت قد حيا بقدرة الله عز وجل سبحان القادر على كل شىء ولكن هات الملعون ياعثمان قال عثمان حاضر ياجدع هات ياحرحش جروا السياس فقبضوا عليه وقدموه الي السلطان قال السلطان كيف يا أبيك هذا ابن اختك صحيح ولكن احنا رأينا الوالى فعل دىث الفعال وكان ميتا بالكذب وكمل موته عثمان ورأينا

نصراني ياقاضي وهـذا بقى له جانب من الزيت تكشف عليه ولـكن الله حليم ستار خذ يا أيبك معزول وهاتوا كرك الى بيبرس أمين الاحتساب لبسه ياشاهين لاجل ان يفرح بشبابه كرامة للشيخ عثمان ولكن بقى ياقاضي هـذا يحل في بلاد الاسلام ان الناس تحط الرشاوي على قتـل النفس ظلما وعـدوانا قال القاضي من الذي فعـل ذلك قال الملك أنت وايبك قال القاضي يامولانا احنـا دفعـنا عن اظهار الحق واخفـاء الباطل والآن ظهر الحق واتضـح واختـفى الباطل وانفضح قال السلطان وهذا المال لمن يكون قال القاضي لما نظر السلطان ممزوجا بالغضب فقال ياملك يستحقه بيبرس وهو منا هبـة لاترد قال الملك هيا ياشاهين لبس بيبرس أمـين احتسابيه فعنـد ذلك حضر الكرك واتفرد على اكتاف بيـبرس ونادى على رأسه شاويش الديوان ومماليك الوزير قـد حملوا الاكياس وادخلوها الي دار الامير بيبرس واما بيبرس فانه لما لبس الكرك وصار أمين احتساب نزل على القاضي وأيبك ألف مصيبه ولما طلع الامير بيبرس من الديوان وقال له أهلا وسهلا انت مقفطن ان شاء الله تعالى تـكون مشدود كلاب قال له بيبرس اخرص.يامعرص قال عثمان امالى ان شاء الله تكون أمين طباخه لاجل ان يكون عندنا الاكل كثير قال له الامير ببرس انا أقول لك ياعثمان بطل الكلام قال عثمان اياك عملت شيخ على الحاره فقال بيبرس ياراجل انا اعلا والا أوطا قال له عثمان عملتا يه امال قال له الامير بيبرس لبست أمـين احتسـاب قال عـثمان لبست محتسب قال نعـم قال عثـمان سـبوح قـدوس الخدمة بالفـلوس ما هي بالدبوس اما انا ما بقيت أخدمك ابداً يا سـلام ياواد وان كلـا تفور عثمان يغور قال الامير بيبرس نحن سوى ان سعدنا سوى وان شقينا سوي وأما تخاويت انا واياك على مقام السـيدة زينب ويبقى بيني وبينك عهـد الله بقى الذي غـير ذلك ماهـو قال عـثمان ان كان لابد اعملنى محتسب صغير قال الامير بيبرس انت محتسب صغير ياعثمان قال عثمان وما يصح الا ان

تقول أوليتك يا عثمان ياابن الحبله الذى داركم فى المراغة والقبر الطويل وعندكم عبد اسمه فرج وعلى باب داركم قنديل أنا أولانى الملك محتسب كبير وأنا أوليتك محتسب صغير (يا سادة) فعند ذلك قال الامير بيبرس كما علمه عثمان فلما سمع عثمان قال يا عقيرب قال له نعم قال أنا بقيت محتسب صغير قال له مبارك يا أسطى ثم أن الامير بيبرس نزل من الديوان وركب الحصان وعثمان صبر الى أن ركب الامير وأرسل معه واحد من السياس وحط الكرك على اكتافه وقعد وأمر السياس البعض منهم يزمر والبعض يصفر ويصفق الى أن وصل الى الدار وكان النهار فرغ فبات بالنعيم المقيم الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح صلى بيبرس صلاة الافتتاح وركب وطلع الى الديوان وتقدم الى السلطان وقبل الارض بين يديه وقال يا أمير المؤمنين مولانا السلطان قد أنعم على مملوكه بالولاية سابقا وزاد بانعامه بالاحتسابية لاحقا فهل للمملوك أن يتصرف قال الملك أي منصب أعطيته لك والي فيه وقلد من شئت فى كل مماليك من حد الاوضه الى حد الاوزارية كل منصبا توليت فيه لا تعزل منه قط ولا أحد يتولاه سواك قال القاضي يا مولانا اذا كان تولى الاحتسابية يعطى الولاية لغيره قال الملك لا يمكن أبداً انزل والى مثل ما تشاء ولبسه الولاية ثم التفت على الاحتسابية حتى تنظفها مثل ما نظفت الولاية فعند ذلك أخذ تستور مكرم وكتب له فرمان بختم السلطان انه أمين على الاحتساب ووالى يفعل في مناصبه كيف يشاء ونزل معزور مكرم ووصل الى داره فرأى أرباب الحسبه واقفين له قدام داره فقدموا اليه وقبلوا ركابه ونظر اليهم واذا بواحد حامل ميزان والآخر حامل الصروف فى مقطف وواحد حامل فلقه واثنين كل واحد منهما في يده كرباج والباقى فى يدهم العكاكيز فقال لهم بيبرس أنتم ايش قالوا له يا أمير نحن خدامين الحسبة فقال لهم بيبرس الحسبه أعطاها لي الملك الصالح

وصرت أحكم فيها قالوا له نعم يا أمير ولكن احنا نريد خدمتك و تأكل عيشنا قال لهم عندى خدامي ولا أريد منكم أحد قالوا يادولاتلي أنت ما عليف كلفه لنا فى خدمتنا بل يعود عليك النفع منا لاننا نعرف الاسواق الطوايف لذى تابعوه الى الاحتساب ترتب عليهم العوائد على كل منهم استحقاقه واحنا كنا نأكل عيشنا من جانبك و نبقى ملزومين بكل ماتحتاج اليه مطبختك من سمن ولحم وخضار وحطب وملح وفحم وصابون وماتحتاج اليه فانه يأتيك بالراحة على أيدينا قال بيبرس من أي محل أو من أي جهة يأتى هذا كله قالوا من البيع الذي عليه المرتب ونمسك له بيعه بسببها اذا كان صاحبها معروف والذي ما عليه عوائد فاننا نقبض عليه وتضربوه حتى يقرر على نفسه عوائد واحنا أيضا لنا عليهم عوائد وما يتكلف عليك شيء أبدا فقال لهم الامير بيبرس يا ناس ان هذا الذى تقولون لي عليه فهو شيء حرام والله تعالى أمرنا بالحرام ولا بأكله ولا بظلم الناس ومن يظلم الناس فالله حسبة وانما أنا عندى رأي أحسن من هذا كله فان كنتم ترضوا تتبعوه فى أمان الله قالوا له وما هو الرأي قال هو أنكم تتوبوا الى الله تعالى عن ذلك الفواحش كلها ثم تخدموا عندى وأنا أرتب لكل واحد منكم يوميه عشرة أرغفه من الخبز ونرتب لكل واحد منكم يوميه خمسة دراهم فضه وكل ليلة عند الغروب يأخذ طاسه مسلوقه ويملاها من المطبخه من الطعام الذي يعجبه ولكم الكساوي أنتم وحريمكم والذي له ولد تكون له كسوة مثل أبيه وأمه فى عيد الفطر كسوه للرجل وحريمه تقيم به الى عيد النحر وفى العيد الكبير له ولحريمه كسوتين تقيمه بقية السنة من المركوب الى الطربوش والعمامه ولكن بشرط أنكم تمشون على تقوى الله تعالي واذا بلغني بعد ذلك أن واحد منكم ظلم أحد فما له من يدى خلاص الا بعد ضربه بهذا اللت ثلاثة ضربات واحده على رأسه والثانيه على ظهره والثالثه على صدره فماذا أنتم قائلون قالوا له سمعا وطاعه واحنا يا دولاتلي رضينا بذلك الشرط قال بيبرس يا عثمان خذهم

عندك فى الاسطبل فأخذهم عتهان وأدخلهم الى الاسطبل وضرب كل واحد ثلاثة ضربات بالنبوت من غير ضروره وتابوا عن جميع المحرمات ببركة عتهان ورتب لهم الامير ما ذكرناه وصاروا من توابع الامير بيبرس وبعد ذلك أقام الامير بيبرس ينتظر اصلاح الحال وأمر باصطناع ميزان وكلما يليق للحسابه فبينما هو كذلك واذا بمشايخ الخبز التابعه للحسبه وفي مقدمتهم شيخ الخبازين ويتبعه شيخ الزياتين مع شيخ الجزارين وشيخ الخضاريه وشيخ الكفتاجيه ومثل هؤلاء وسلموا على الامير بيبرس وجلسوا بين يديه وأخرج كل واحد منهم صره وقدمها الى الامير بيبرس وقالوا له يا أمير هذه عادة قال الامير ايش هذا قالوا له المشايخ هذه عوائد اذا تولى علينا مثلك محتسب جديد فان له علينا أن ناتوه بالصره وهذه علينا عاده ثم تقدم اليه شيخا منهم مقدم فى السن وكان هذا أمين الخبازين وقال يادولاتلي ان هذه الصره فهي لغسيل بدلتك والطوائف كلها مثل بعضها وأنا شيخ طائفة الخبازين وقد أتيت لك بالصره لاجل انك تعرفني لاننا كنا سابقا لما كان المحتسب الذى من قبلك كان عمل معدن للعيش على يدي وعلى يد المحتسب مع واحدا من جناب السلطان وجبنا قمحا وطحناه وخبزناه نوافق الكريك اربعة ارغفه بنصف فضه وكان وزن الرغيف الواحد مائة درهم يبقى الذى نصف الفضه اربعمائه درهم وصار علينا تنبيها بموجب ذلك ولكن ياامير بني آدم طماع وهذا كرانا وكل انسان لا بد أن يأكل من كراه ويلبس من كراه ويبني أملاكا من كراه ويعمل افراح ويجمع أمواله هكذا وأنت يادولاتلي تفهم الفاضل بقى نحن نورد العوائد لامين الاحتساب لاجل اذا كان سارح يشق البلد ومسك رغيف ورآه ناقص عن مائة درهم فلم يتكلم بل هو له الصره فقط تأتى اليه فى كل شهر وها أنا عرفتك لاجل أن نبقى تعرفنى فقال بيبرس هل ترى هاته الصره منك فقط بخصوص نفسك أم لك فيها شركة فقال له يا سيدي أنا أجمعها من المعلمين الذين مدورين المخابز فى كل شهر وأقسمها

نصفين آخذ انا نصفها وانت قاحاكم نصفها وهكذا العاده المرتبه من قديم الزمان فقال له بيبرس انت شيخ الخبازين فقط وهؤلاء ايش يكونوا فتقدم شيخ االجزرين وقال يادولاتلي وانا شيخ الجزاوين وان المعدل علينا كان رطل لحم الضان بنصف فضه والماعز ثلاثه ارطال بنصيين والبقري رطلين بنصف فضه وهذه الصره نوديها نظيرا ننا نبيع بالزائد وننقص فى الميزان فيكون بالك ممنا اذا رأيت بيعه لحم وكانت زائده على ثمن التنبيه او ناقصه فى الاوزان تعلم ان ذلك نظير الصبره التى نوديها وتعف عن الذى تمسكه وكذلك قالوا بقية المشائخ الباقيين ومن التطويل كلت الهم وان توابع الحسبه مفهوم امرهم (قال الراوي) فعند ذلك التفت للمشائخ الحاضرين وقال لهم يامشايخ هذا يجوز لكم ان تنقصوا فى الكيل والميزان مع إن الله تعالي انهي عليه وقال فى كتابه العزيز وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم الا به فضلا عن زيادة اثمان الشيء الذى يكون جمل لة معدنا بالعدل والانصاف وكل من يؤمن بالله واليوم الآخر له فيءالك حق وانتم لاى شيء تنقصوا حق الناس وتعطوهم باثمان زائده وتنقصوا فى الموازين والمكاييل فقالوا المشايخ يادولاتلي كانا على هذه الحالة فقال لهم الامير هذا الذى تقولون عليه فانه يعين ارباب المكاييل والموازين على نقص الكيل والميزان ويطمع ارباب البيع والشراء فى زيادة الاثمان ولكن ياجماعه انا عندي رأي احسن من هذا واقول لكم عليه وهو اني بعد صلاة الصبح اشبق البلد قبل اشراق الشمس فان وجدت العيش على مقاعد البياعين ازنه واقلب نظافته وسواده فان وجدت نظيف طايب اوزنه فان وجدته كاملا اتركه وان وجدته نظيف وناقص وزنه فهذا له عندى شغل وان كان كاملا وليس بنظيف كذلك له شغل وان كان كاملا وزنا ونظافة بعير استوي كذلك عليه عندى شغل آخر هذا اذا رأيت العيش نظرا على المقاعد من قبل طلوع الشمس كما ذكرت لك يا شيخ الخبازين وأما

اذا طلعت الشمس ولم أجد المقاعد مملوأة بالعيش فانا سامح مرة وثانيا احرق المعلم على المقعد برغيف فى وجهه واما فى المرة الاخيرة فلم يكن جزاء المعلم فى المقعد الذى على عليه خبز في اشراق الشمس الاصليه على المقعد ذاته واما نقص الميزان الدرهم الواحد خمسمائه كرباج وعدم النظامة تفريق العيش الذى عادم النظافة على الفقراء اوا كسره وارميه للكلاب واما اذا كان ناقص التطييب ارمى خبازه أول مرة واضر به خمسائة كرباج والثانية بالمثل ؤ الثالثة فانى ادخله فى قلب الفرن والقيه الي بيت النار وهذا الكلام طلع من فمي يا شيخ الخبازين وانت سمعته وكذلك الجزاوين اذا رأيت غش في اللحم من واقع الحيوانات وبيع الماعز باسم الضان اوجملى باسم الجاموس فهذا ماله عندي الأنهب جميع اللحم واعطائه للفقراء والكلاب وضرب الجزار الف كرباج وان نقص الميزان اقطع من لحم بدله واكمل به القدر الناقص وأما زياده الاثمان الجديد الواحد بخمسمائه كرباج وكذلك جميع ارباب الحرف التابعة للاحتسابيه على مثل ذلك وان يكون البيع والشراء من قبل اشراق الشمس الى بعد أذان العشاء بساعة ونصف وكل من تأخر عن ذلك لا يلوم الا نفسه واما اذا كال واحد شيخ طائفه من الطوائف التابعة الى الحسابة مديده الى واحد من طائفته واخذ درهم فضه أو أقل أو أكثر على قبول المحتسب اولنفسه فهذا له عندي مقام مثل مقام الحرامى ولا له جزاء الاقطع بده وها انتم يامشايخ سامعين وطوائفكم غائبين ولكن انا اركب غدا واجعل قدامى مناديا ينادى بهذه الكيفيه وأكتب علامات باثمان المبيعات والاوزان والجارى فى الاخذ منكم سابقا باطل وكل من أحضر شيئا معة يرده الى أصحابه والسلام وها انتم سمعتم وقوموا الى حالكم وافعلوا ما أمرتكم (قال الراوي) فقاموا جميع المشائخ ووجوهم اسودت وبقوا فى أشد مايكون من الخوف والقى الله الرعب فى قلوبهم وساروا مع بعضهم فى الكلام فمنهم من يقول

انه استقر بالسر ومنهم من يقول حاف أن تكون حيلة عليه ومتى ماأخذ شيئا فربما
يدري الملك الصالح بذلك والعقلاء قالوا والله ان هذا المملوك لا ينتظر الى شيء من
ذلك ابدا حاذروا على أنفسكم من الاتلاف فقال شيخ الخبازين يارجال وكم مثل
بيبرس وغيره الدنيا فتانه (قال الراوي) وبعد خروجهم قام الامير وركب ونزل الى
ساحة بولاق واطلع على ثمن النمة وعرف مايفرق بعد الطحن والخبز وأجرتهما
وأجرة المعلم والصناع فوجد الاربعمائه درهم بنصف فضه فقال مناسب وكذلك
مشتري الاغنام وحاب خروف وجاموس وماعز وعمل معدل اللحم ولا تم ذلك
النهار حتى كتب اوراق وجعلها فى شوارع البلاد بأثمان المبيعات وان الرطل أربعة
عشر أوقيه يعنى مائه وثمانية وخمسين له رهم تمام والذى ينقص يلزم خلاصه وصار
تنبيه على أرباب المبيعات على هذه الحالات ولما كان فى ثانى الايام صلي بيبرس
صلاة الافتتاح . وركب وسار ولم يزل سائر حتى اتى الى فرن شيخ الخبيزين
وتأمل واذا بالفران يحمى فى الفرن بالوقود فتركه وسار الى جهة المحجر
وعاد فرآه يحمى فتركه وعاد الى جهة الصليبة وعاد بعد نصف ساعه واذا
بالعيش على الاقفاص خارج الفرن فامر أن يأتوه برغيف واذا به خمسة
وثمانون درهم ولكن ناقص التطييب فأمر برد الرغيف الى النار لاجل
تمام استواه حتى اطلعه من الفرن ووضعه فى وسط كفه وطبق عليه وفرد
كفه فالفزد الرغيف معه فقال استوى طيب ولكن الميزان فوضعه في
الميزان واذا به ثمانين درهم فالتفت الامير وقال للريس الذي واقف قدام
الترن لاي شى العيش ناقص فقال الريس ياسيدى انا ريس الخبازين فقط
يأتيني العيش عجين اخبزه ولى عرق يومى أجره وياسيدي ماانا
ملزوم بنقص العيش ولا بوزنه فكل ذلك يختص به القطاع والوزان فقال
احضروهم فأحضرهم له فسألهم عن سبب نقص القطيعه ولماهى موافقه
فى الوزن فقالا له يامولانا نحن اجيرين نشتغل بأجرنا والميزان ميزان المعلم

ونحن نوزن كما يأمرنا فقال لهم أحضروه لي فذهب على ساعة الى المعلم وأحضروه فلما حضر قال له يا شيخ لاى شيء منقص العيش عن الميزان الذى عملته وثانيا تخلي العيش ناقص الاستوى فقال له ياسيدى أنا التنبيه نزل على البارحة ولا عملت ميزان جديد فأرجو من فضلك يا دولاتلي العفو وفي غداة اذا رأيت شيء لم يليق بمقلك افعل خلاصك قال وهو كذلك ثم تركه ومضى شق البلد بالتنبيه شفاها ولما كان ثاني الايام كان أول قدومه على فرن شيخ الخبازين فكان الشيخ واقف والفران الذى على الفرن واقف يقول له أنا ما أقدر أخبز الاعيش على اوزان الحاكم فقال له الشيخ اخبز الذى قدامك وان لم تخبز اطلع وأنا أجيب غيرك فقال أنا أطلع ورزقي على الله قال له اذا لم تخبز أرميك داخل الفرن فقال له وان جاء الحاكم قال له دعه يرميني أنا في الفرن وكان بيبرس يسمع ذلك الكلام فى البدريه والناس داخل الفرن فسار ولم يكلم أحد ولما طلع النهار حضر فوجد العيش كما كان أمس فأمر برفع شيخ الخبازين والقائه فى الفرن فانشوى وبعد ذلك توقع الاسطى عثمان عليه وحلفه بالسيده نفيسه فطلعه لكن النار هلكت أعضاءه فما أقام الا أيام قلائل ومات وشاع الخبر فى مصر بأن المحتسب رجل جبار لما انه وضع شيخ الخبازين فى الفرن وحرقه بالنار أجارنا الله واياكم من ذلك ومن هذا الامر خافوا كل أهل البلد ولا بقى أحد يبيع الا بالكيل المطلق والوزن المطلق وجميع الناس تركوا الباطل واتبعوا الحق وصارت البلد متمشية على طريقة حميدة والبيع بالعدل والانصاف والشري كذلك الى يوم من بعض الايام وكان يوم جمعه فيه يصلون على النبي فمر بيبرس على طريق باب الشعرية واذا عرضه رجل سقي حريم ومعه لحم وخضار متوجها بها الى منزل سيده فقال للخدامين هاتوا لنا هذا الرجل فأحضروه الى بين يديه فلما حضر قال له ما الذي معك فقال معي لحم ضان ومعي خضره وهي باميه فقال له هات حتى أوزنها

فاخذوقال كم رطل اخذت قال له سبعة ارطال لحم قال والباميه قال عشرة ارطال فامر بوضعها فى الميزان فوزنها واذا باللحم خمسة ارطال والباميه سته ارطال فقال له من اى حاره ياشيخ قال له من حارة ايبك التركانى فسار بيبرس وأخذ الرجل معه الى حارة ايبك الى عند الجزار وقال له ياشيخ قال نعم قال له كم رطل لحم الذى اعطيتهم الي هذا الرجل فقال له عارفهم هم خمسة باسم سبعة فقال له اماتخشي من الله تعالى وتتقيه وتبيع بالحلال فقال له ياسيده هذا غلط في الميزان وهذه حكمت غصب عني فقال بيبرس واين هذا الخضرى وكان الخضري بجانب الجزار فقال له ياشيخ كم رطل وزنت هذه الباميه فقال سته باسم عشره فقال ياشيخ ان الجزار ادعي انه غلطان وانت مايكون عذرك فقال عذر الجزار وعذرى سوى فقال كأنكم اكلتم طاطوره سوي وغلطتم فى السنجة سوى فقال الخضري ياسيدي اولا كان امين الاحتساب السابق تحت أمر الوزير ايبك التركانى فما كان احد من الخدم يقدر ان يمر علينا ونحن ساكنين هنا حمانة لمدم حكم أمين الاحتساب علينا وفى نظير ذلك فان لزوم مطبخته اليومى من لحم وأرز وقمح وعسل وسمن وملح وبصل وجميع ماتحتاجه المطبخه لحد الفلفل وكذلك صابون الغسيل علنا وعلى جميع السوق المقيمين بحارة ايبك وهذا كله ياخذه منا السدار الذي على مطبخته المعز ايبك وهو الذي يأمرنا بذلك كله وكيف نعمل اذا أخذ مناماتحتاج اليه المطبخه والمكان فما تجد غير نقص الميزان فقال بيبرس اذا كان هذا قولكم وان الوزير مصروف مطبخته منكم فانتم معذورين وانا فى هذه النوبه أقبل عذركم وفى آخر النهار فان الوزير يحضر من الديوان فاجمعوا بعضكم وادخلوا عليه وقولو اله يادولاتلي ان بيبرس دخل الحاره وحكم علينا ان نوزن الرطل أربعه عشر اوقيه حكم البلد واطلبوا منه حقكم وامنعوا عنه ماكان مرتب عليكم له واما انا سامحتكم هذه

التوبه واما با كر فلم اسامحكم اذا رأيت نقص فى الميزان أو زيادة فى الاثمان اقتص منكم فقالوا اسمعا وطاعة فعند ذلك طلب كمال السبعة ارطال لحم وكذلك الخضرى كمل منه الباميه ومضى الاميرالي حال سبيله (قال الراوي) واما ما كان من امر المسببين فانهم اجتمعوا مع بعضهم وقالوا هيا بنا نتوجه الي حضرة الوزير ايبك ونعلمه بذلك لاجل ان نأخذ منه حقوقنا فلما كان آخر النهار دخلوا على المعز ايبك اهل الحاره جميعا فلما دخلوا قال لهم ايبك الكم يااولاد الحاره فقالوا له يادولاتلى اعلم ان المحتسب القديم كان ابن اختك ولا كان يقيد علينا بطريقة اننا فى حارتك وكان يكرمنا لاجل خاطرك وتبيع وتشترى بخلاصنا واما فى هذه الايام صار المحتسب بيبرس وأنت يادولاتل تعرف احواله وفى هذا النهار دخل علينا فى جارتك ومسك علينا البيع فرأى كل بيعة تخس الثلت فقال لنا ولاى شيء ذلك فقلنا له يادولاتلي بطريق أن مصروف مطبختك علينا من اللحم الى الى الفلفل فشوف يادولاتلى قدر ايش يتكلف مطبخك يوميا هذا كله علينا ونحن من اين نجيبوا ذلك الا اذا كان من نقص الميزان ومن حقوق الناس نسرق منهم ونعطى الى خدامك يادولاتلي وغير ذلك ولا بيدنا حيله وأما اذا اردنا ان نبيع بالحلال ونطيع المحتسب من اين تأكل انت ودارك فلما سمع المعز ايبك ذلك الكلام منهم اغتلظ غيظا شديدا ماعليه من مزيد لانه ماكان يعلم بذلك ابدا وأن الذى متولى مصروف كراره فانه يحاسبه على المصروف مشاهرة فقال لهم ياناس انا ماأخذت منكم شيئا فقالوا جميع ماكان يدخل مطبختك فانه من عندنا بالظلم ولا نأخذ عليه شيئا ابدا غير اننا ننقصه من حق خلق الله تعالي فعند ذلك صاح فى الخزندار والطباخ والكرارجى فحضروا ابين يديه فقال لهم من امركم ان تظلموا الناس وانتم تحاسبونى على كل ماكان يدخل عندى من السوق وتقبضوه من شهريه فماقدروا أن يردوا عليه جواب ولا يبدوا له خطاب فعند ذلك

قال للبياعين قدر ايش أخذوا منكم فقالوا طول عمرنا ومن الذى يقدر يحسب فعند ذلك طيب خاطر المتسببين وأعطى لكل واحد منهم عشرين درهم فضة وقال لهم من الآن لا تبيعوا الا بالعدل والانصاف واذا جاء كم أحد من طرفي وطلب منكم شيئاً لا تعطوه الا بثمنه بالحكم الجاري على الناس فقالوا له سمعا وطاعة وأمر بضرب الخزندار والكرارجى مع الطباخ وزاد عليهم بالضرب الوجيع فبينما هو يضرب فيهم واذا بالقاضي مقبل عليه وهو يقول استغفر الله الغفار الحليم الستار العلى القهار الذى لا اله الا هو مدبر الفلك الدوار ومدبر الليل والنهار اللهم لا تجعل لنا نية فاسدة من الذين يلعبون الكورة والمنقله ولا تجعلنا من الذين يستفسقون الماء من تحت بيضانهم ولا تجعل لنا اولادا يلعبون فى قصور بعضهم شغل الجدة شدوا ارخى السلام عليك ياوزير ايبك ياوزير الزمان شفنا شفاعة يادولاتلي على هذا الشأن فقال ياقاضى اسكت هؤلاء المرضين هتكونى وخرقوا جرمتى انا اعطيهم فلوس كل شهرا كياس هم ياخذوا امتاعنا طالما من الناس فقال له القاضى اعلمنى ما سبب ذلك فعندذلك حكي ايبك للقاضى على القصة من أولها الى آخرها وأطلعه على ظاهر الامور وبواطنها فقال القاضى يبقى أنت يادولاتلى من أجل الولد بيبرس تضرب خدامك قال ايبك ياقاضي احنا قف على رأسك تبقي هتيكة فعند ذلك تبسم القاضي وقال فان هذا الامر الذى كنت اريده وبسبب ذلك فان بيبرس عمره قد دنا وما بقي كلام فانه مات والسلام (قال) فلما سمع أيبك من القاضى ذلك الكلام مال اليه وقال له وباي شيء يموت بيبرس ياقاضى قال له اعلم أن الناس الخدامين مثل الطباخين وغيرهم فهم محتاجون لمثل ذلك الامر وهم منتظرون الي بعض ، على حسب الامر الذي يكون لهم ظهر لا سيما وأنت الوزير ايبك ومثلك من تطمع احبابه أو اتباعه فمن الرأى أن تأمر الناس البياعين أن يكونوا علي حالهم في البيع والشراء والاخذ والعطا واذا جاء الولد بيبرس نكون امرنا ثمانين مملوكا

أن ينزلوا فى الحارة فاذا جاء يقتلوه اشنع قتله واذا حصل جواب من الملك او خطاب فانا على برد الملك فى رأيه برأى يكون من الصواب ويكون باحسن الالفاظ واذا رأيت الامور تعسرت ملك نصيبان ومنا نصيبات هالك بيبرس وشرب كاس الممات ولا بقي كلام مات بيبرس والسلام (قال الراوى) فلما سمع ايبك منه ذلك الكلام انطلا عليه واحضر المماليك الى بين يديه وقال لهم انتم كلكم تكونوا حاضرين فى الحارة فاذا دخل بيبرس وتمال بالسوقيه فاهجموا عليه وقتلوه ولا تخافوا منه ولا تبقوه ولا تخافوا عاقبة امركم فانا ظهركم فقالوا له سمعا وطاعه وطلعوا من قدامه يحضرون كلما يحتاجون اليه من هذه الساعة فهذا ما كان منهم (ياسادة) وأما الامير بيبرس فانه لما ترك الحارة بتاع ايبك فصار يتفكر ما يعمل ايبك فقال ياعثمان يا على ترى مايعمل ايبك فقال عثمان الحق ما على ايبك وانما الحق على القاضى يا أشقر ولكن نظن ان القاضي وايبك يقوموا ويحضروا لك في حارتهم مثل ما عملنا فيهم فى حارتنا يا جدع لكن ليس عنده الا الهياضم وأما احنا من أولاد الشيخ أنا اطلع ثمانين من عندى والثمانين بتوع حرحش يبقى اذا دار البطل بيننا وبينهم هماهياضمه ونحن أولاد قال ل بيبرس اعمل ما تعرف يا عثمان فعند ذلك جمع عثمان الثمانين سايس وحرحش وجماعته وقال لهم تفرقوا فى حارة ايبك وتحت كل دكان اثنين فاذا حضرت انا مع الجندى ورأيتم أحد جاءنا وكان بكل دكان اثنين منكم فيخرجوا الاثنين واحد يمسك المملوك والآخر يمسك صاحب الدكان والعلامة بيني وبينكم لما أقول طرطش يا جدعان تكونو ماسكين ولا احد منكم ينفلت وان قلت وارميش تكونو عندنا جميعا فقالوا سمعا وطاعة وساروا كما امرهم به عثمان فمنهم من عمل فاعل ومنهم من عمل زبال ومنهم من عمل فقير ومنهم من عمل سائل ومنهم من عمل أديب ومنهم من لبس يهودى ومنهم من لبس فلاح ومنهم من لبس فراش وخلاف ذلك وساروا وقد امتلات بهم

الحارة فهذا ما كان منهم (قال الراوي) وإما ما كان من امر المماليك فانهم جهزوا احوالهم وساروا الى الدكاكين وكان الواحد منهم اذا اقبل الى دكان جلس الى جانب صاحبه وقال له سلام عليكم ياباى فيقول له اهلا وسهلا يا اغا مرحبا فيقول المملوك ياباي هات جدل مدمس كمان حط شوية سمن هات واحد عيش كمان هات واحد ليمون فيحط الرجل له فيفطر ثم يقول له ياباى بيع واشتري ما فيش أحد يكلمك ابدا أنا كفيل والآخر هكذا وبعدما يأكلون ويشربون ينامون على جنب الدكان مثل المبنجين من شهر ومنهم من يأتي الى دكان ويأكل فطيره اذا كان صاحبه فطاطري ولا زالوا على مثل هذا المرام يا كرام (قال) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه ركب وهو لا يعلم ما فعل عثمان وسار قاصداً حارة ايبك وقد مسك فى الطريق بياعين كثيرة وكلها ناقصة وكلما سأل عنها يقولون من حاره ايبك فلما الى الحارة أقبل الى دكان الجزار وقال له يارجل أنا نهيتك عن النقص فلاى شيء ترجع اليه ثانيا بعد ماسامحتك المرة الاولي فقال له انت ما يخصك شيء بحارة الوزير أيبك ابدا لانك لاتحكم علينا ولا عليها فقال ايش هذا الكلام ومن الذي يخالف التنبية فقالوا ان الوزير ايبك ما عليه تنبيه ولا يمشي كلام مثلك عليه فاغتاظ الامير وصاح بالرجال وكان معه الاثنين الفداويه فنهضت عند ذلك المماليك الذين لا يبيك فكل من نهض قبض عليه رجل من تحت دكانه والرجل الثانى يقبض على صاحب الدكان هذا والامير بيبرس لا يعلم ان كان هؤلاء نبتوا من الارض أو نزلوا من السماء لانهم متغيرين ملابسهم هذا وقد أرموا المماليك وضربو كل واحد منهم علقه وبعدهم السوقية وبعد أن قضى الشغل من ذلك قال لهم الامير بيبرس هذه النوبة الثانية فان فعلتم المرة الثالثة عرفت اناخلاصى معكم فقال عثمان ياناس فرغ حكم المحتسب الكبير وبقى بحكم المحتسب الصغير فقال له بيبرس ايش تريد تعمل يا عثمان قال له اريد أعمل لهم مثل ماعملنا فى جماعة

مقلدفى بيت ابن اباديس السبكي لاجل اذا وقع منهم واحد تبقي تعرفه بعلامته اذا انتقل من هذه الحارة الى غيرها فقال بيبرس افعل ماتر تدو تركه الامير وسار الى منزله فهذا ما كان من الامير بيبرس (قال الراوي) واما ما كان من عثمان فانه صاح على عقيرب والجماعة الذين صحبته وقال لهم اصلبوا كل واحد على دكانه من اذنه والاذن الاخري علموا فيها السنجه ويكون تعليق السنجة بالدباره والمسمار واخزموهم فى مناخرهم وعلقو البيع الناقص فى خشمهم وادهنوا وجوههم بالعسل حتى يأتى أيبك ويتفرج عليهم وهم على ذلك الحال وينظر ما حل بأهل حارته فيعتبر ثم اصلب المماليك أيضا بعض الكتاف بالخرقة على باب البوابة أربعين يمينا واربعين شمالا واربط سلاحهم بالخرم وعلقه في انوفهم فعندذلك تقدموا الى الجميع وفعلوا كلما أشار عليهم عثمان وبعد ان تهيأ الفراغ من ذلك قال لهم عثمان ان الجدي سار الى القلعه بيسأن أبوجوطه ويرسل لكم المشاعلى يرمى رقابكم جميعا وتركهم بعد ذلك عثمان وخرج طالب سيده ولما سار عثمان وكانوا المسببين سمعوا كلامه الذي قاله فكبر الخوف فى قلوبهم وجعلوا جميع أولادهم يتباكون عليهم وقد زاد بهم الخوف والحزن فكان رجل منهم جزار قلبه صحيح فقال لهم ياجماعة اترضوا ان تكونوا واقفين فى هذه الحاله حتى يجىء المشاعل ويرمى رقابنا أما انا والله هذا لا أرضاه ولا أصبر عليه فقالوا له وكيف العمل ونحن مكتفين ومخزومين فقال لهم ان اذنى اليمين معلقه بالسجنة والاحري معلقة باللحم الناقص وأما أذنى الشمال معقلة بالسمار في درفة الدكان اما ان ينسل المسمار رو ما ان تنشرم أذنى ولا أصبر حتى يجى المشاعلى فيقطع رأسى فقالوا له افعل فعند ذلك تمطع فى أذنه مزقها وطلع يجرى الى بيته وكذلك الخضري وتتابعت بقية الناس فمنهم من طلعت له امرأته أو بنته ومنهم من فعل كما فعل الجزار والبعض منهم امتثل لامر الله تعالى وما زالت دانه

الحالة حالتهم الى آخر النهار حتى أقبل المعز ايبك من الديوان فرأى الحارة كما ذكرنا وأهلها كما وصفنا حتى أقبل ولما عاين ذلك الحال اشتد غمه وزادت عليه حسرته وعرف أن الحق عنده فذهب الى منزله وأحضر الصدار والمشي وضربهم الضرب الوجيع وطردهم من وقته وساعته وأرسل أحضر الناس السوقيه وأمرهم أن يبيعوا بالحلال والحق ويبطلوا الاذي والنقص واذا جاءكم أحد من طرفي فلا تعطوه شيئاً الا مثل غيره من الناس ولو كنت أنا فأنا لا أكره الحق فقالوا له هذا هو الصواب ونزلوا الى حال سبيلهم وباعوا بالحق والانصاف وشاع العدل في الناس جميعهم وقد دعوا له الفقراء والمساكين ولم يبقى أحد يتعرض للمظالم وأخذ بيبرس الدعاء من جميع الاماكن (قال الراوى) ولم يزل الامير على مثل ذلك الى أن هل شعبان المبارك واندرج وصار باقياً على الصيام ثلاثة أيام وقد جاء يوم الشك الذي يكون بعده فطر أوصيام فبينما هو جالس واذا بعثمان دخل عليه وقال له ياجندى بكره رؤية رمضان وان الرؤيه تكون عندك بالخصوص لان الحسبة تحكم على الولاية وهى أشرف منها فقال بيبرس كل عام وأنت في خير يا عثمان تصوم وتفطر فى خير فقال عثمان أدينى طيبه فقال بيبرس ايش تريد قال له عثمان يا أشقر أريد أن أجمل الزايات تشسيع بين الناس وتكون عادة مستمرة فقال له بيبرس افعل يا عثمان ما بدالك فنزل عثمان من وقته وساعته وأرسل الى مشايخ الحرف كل شيخ بحرفته من الحرف التابعة الاحتسابية فانه يحضر أبناء حرفته ويحضر الى بيت احمد بن أباديس السبكى وكل من تأخر يكون جزاءه صلبه على بيته وان كان نفر يتأخر ينضرب خمسماية ويغلق دكانه شهر ويكون حضور المشايخ بأفخر الزينة مع الملابس الفاخرة راكبين على الخيول المسومة وأما أنفار الحرب فانهم يكونوا بالتبديلات المعظمة (قال الراوى) فعند ذلك اجتمعوا المشايخ وكل واحد نبه على طائفته وتوجه الى بيت احمد بن

أباديس السبكى فرأوا الاسطى عثمان فقالوا له ايه الخبر يا أسطى عثمان قال عثمان نريد أن نظاهر الدولاتلى بيبرس فافعلوا كما آمركم به فقالوا سمعا وطاعة وجعلوا المشايخ وأرباب الحرف يحضرون أنفسهم (يا ساده) وأما عثمان فانه سار الى الديوان وطلع الى عند الملك وقال له صباح الخير عليك يا معلم صالح عقبال عندك رايحين نطاهر الاشقر فقال الملك الصالح طيب طهارة مباركة يا شيخ عثمان فقال عثمان وأنت ماتعطيش يامعلم صالح بحاجة قال يلزمنا النقوط اعطوا له الفرس الشهبا بتاعى يركبها والدلق بتاعى يلبسه والطليحيه الخوص يحطها على رأسه وأنت يا عثمان علم بيبرس ركوب الشهبا ويلبس الدلق والطليحية الخوص وأنا كمان أخلي أبو الخير الكلياتى يمشي فى ركابه لاجل خاطرك ياعثمان فقال عثمان خلي بالك يا معلم الصالح أنت عارف فالتفت عثمان الى الاغا شاهين الافرم وقال له يابو فرمه وأنت مافيش عندك حاجه تنقطنا بها فى طهور الجندى قال الوزير يبقى يا عثمان هو الامير الى هذا الوقت بغير طهارة قال عثمان أبوه كان يخاف من الطهارة وهو صغير ولما كبر ما بقاش يخاف من الطهارة فأمر الاغا شاهين بأربعين مملوكا من الخاص بخيلهم وسلاحهم وملبوسهم وأرسل الى الامير بيبرس خمسين قفص سكر وعشرة قناطير شمع ابيض كافوري وأمر الفراشين وكلما يحتاجون من أصناف زينة البيت يكونوا من عند الوزير وأما السيدة فاطمة شجرة الدر زوجة الملك الصالح فانها على مثل هذه الحالة فأمرت بأربعة وعشرون جوادا من خيول الموكب الذي عملتهم من قديم الزمان على سبيل الجهاد أن يمشوا فى ركبة بيبرس وهم بالاتراس المذهبة والسيوف الملوكية هذا وعثمان أمر الفراشين يعلقوا القطع الكبار العالية فى بيت بيبرس وقد كانوا أربعمائة الذى أهداهم الوزير فتعلقوا فى بيت ابن أباديس ورمموا الفراشين من بيت ابن أباديس الى القلعه نجف وثريات بللور وكذلك من القلعه الى بيت القاضي وأرسل عثمان القهوة والشربات الى قاضي مصر ورتب عثمان السر

والحربية ورجع عثمان من وقته وساعته الى بيت ابن أباديس (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب صلوا على طه الحبيب وأما ما كان من الامير بيبرس فانه جالسٌ يقظان ليس ناعس وهو متبسم ليس عابس مثلك يا مؤمن يصلي على نبي أخضر فى يده كل يابس وليلة مولده انشق ايوان كسرى وخمدت نيران فارس واذا بطائفة الخبازين داخلين عليه راكبين الخيول العربية وهم فى أحسن ما يكون من الزينة البهية ونزلوا قدام الدولاتلي بيبرس وسلموا عليه فقال بيبرس ايش الخبر يا ناس فقالوا له ياسيدى عقبال الزواج فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام تعجب ولم يعلم باطن هذا الكلام وبعد هذا أقبلت طائفة الكحكيه وهي فى أحسن زينة بهية را على الجنايب الاعوجيه وهم فرحانين لهاته القضيه نزلوا قدام الامير وقالوا له العاقبة للزواج فى نهار مبارك سعيد فقال لهم سقر اللوالي وسقر الهجان ما تريدون قالوا أتينا لنحضر الفرح الذى للامير وان شاء الله العاقبة للزواج فالتفتوا الفداويه الى الامير وقالوا له يا دولاتلي ان كل من أتى اليك يقول لك العاقبة للزواج ونحن نعرف هذا لا يكون قبل الزواج الا الطهور فأنت الى هذا الوقت بغير طهارة فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام قال علي بعثمان فلما حضر عثمان قال له بيبرس ايه الخبر يا عثمان قال عثمان هذه حسبه جديده ورؤيه جديده وفرح جديد فقال بيبرس وأنت ايش فعلت قال عثمان ما فعلت شيئا أبداً وانما أنت قوم اطلع الى القلعه والذي يأمرك به أبو جوطه اعمله فنهض الامير بيبرس وسار الى القلعه واذا هو بالشيخ أبو الخيرات مقبل فأعطاه الطليحيه الخوص والدلق وقال له ان الملك يأمرك أن تلبسها فقال بيبرس سمعا وألف طاعه ثم لبسهما ودخل على السلطان فقال له انزل يا ولدي العاقبة للزواج فاستحى الامير أن يرد عليه الجواب ثم التفت الى عثمان وقال ما هذا يا عثمان قال عثمان أبو جوطه يبارك لك انزل ولا تاخد على بالك من كلامه فنزل بيبرس الى باب القلعه واذا بالشهبه تقدمت

اليه والمماليك الذين من عنـد الوزير واقفين بين يديه فركب وهو متعجب غاية العجب وسار بالشهبه وهي تقول الله وعثمان يقول الله وأبو الخير بذكر و يقول الله وقد ترتب الموكب وذكرت فيه الصلوات على طه سـيد السادات وكل هذا بمعرفة عثمان هذا وقد اتفق القـاضي وأبيك انهم يفسـدون الزفه و يخسرونها فأرسلوا أربعة من الجاو يشيه بعقل كبار خضر وقد كانوا هؤلاء هم الصـلاح لهـا وقـد زينوها (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك الى ان وصـلوا الي بيت القاضي ونزل بيبرس هناك وجلس الي جانب القاضي وعندما استقر بهم الجلوس حضروا لهم رجلين يشتـكون بعضهم فقال القاضي ما الخبر قال أحـدهم يامولانا اعلم أن هذا الرجـل عليـه عشرة دنانير وقد أوعدني أنه اذا هل الهلال الجديد يعطيني اياهم والهلال قد هل تلك الليلة ومضى شعبان وهل رمضان فقال له القاضي ماتعطي له حقه حيث أن الاهلة فرغت فقال له ان المدة باقي فيها غدا فان كان يريد بينة بأنهم رأوا الهلال يكون ذلك صدقا وان لم يروا الهلال فتكون المدة باقية فعند ذلك أمر القاضي الرجل أن يأتيه بالبينة فشهدوا أربعة بأنهم رأوا الهلال وشهدوا بذلك قال بيبرس حيث ان الليلة صارت من رمضان وقد ثبت علينا الصيام فهذه أيام فضـيلة أطلق سبيل هذا الرجل يمضى الى سبيله وأنا أدفع العشرة دنانير فعند ذلك أطلقه الي حال سبيله ودفع الامير الى الرجل العشرة دنانير وقال له خذها ومر فأخذها وسار فاخذها منه عثمان وأعطاهم الي القاضي وقال له خذهم وقد صارت لك عادة ولك فى كل عام مثل ذلك وكانوا هؤ لاء الاثنين سياس من رجال عثمان وهو الذى علمهم ذلك ثم ان عثمان نادي الى رسول من طرف القاضي بالصيام وركب الامير وسار وركبت طوائف أمين الاحتساب وهم ينادون صيام صيام حكم من شيخ الاسلام وأن غدا من شهر رمضان وصارت عادة الى وقتنا هذا

وصارت الناس يرتبون أمورهم وقد أوقدوا الوقودات وجعلو االناس يهنون بعضهم بعضا باقبال الصيام وصار الشهر من تلك الليلة وكل انسان من المشائخ جعل يسير الي حارته لاجل ان يبشرهم أن غدا يكون من شهر رمضان وقد تمادى المسير بالامير بيبرس ولم يزل سائر الي ان أقبل الى حارة الروم وكان القاضي مقيم هناك منتظر قدوم بيبرس ليدبر عليه المكايد والحيل ولم يعلم بان الله حافظه من كل سوء ولما رآه نهض قائما على الاقدام واستقبله وتبسم فى وجهه وقال له ياسيدى شهر مبارك على العباد بقدومك فشكره الامير بيبرس وترجل له من علي الشهبه اكراما لقيامه فقال له يادولاتي خذ بخاطري واشرب عندي كاس شربات ثم انه صاح على غلامه فأتي اليه بكاس عظيم فناوله للامير فشربه ورد الكاس ففرح القاضي بذلك لعلمه ان الكاس ممزوج بالسم الخارق وأما بيبرس لايعلم شيء من ذلك كله لانه سليم القلب وركب الامير بيبرس قاصدا منزله فبقى القاضي يتعجب ان بيبرس لم يهلك وقال لغلامه يامنصور اتبع أثره وانظر فى أى محل يقع وارجع اعلمنى فقال سمعا وطاعة ثم انه اتبعه الى ان بعد عن محل القاضي وقرب بيته والغلام ينظر اليه أين يقع فما وقع ونظر الى وجهه واذا به زائد الاحمرار فرجع واعلم القاضى انه وصل الى محله سالما فبقى القاضى متعجبا من ذلك (قاو الراوى) وكان السبب فى عدم تأثير السم فى بدن الامير بيبرس وهو كما قدمنا ان الذى بجانب الامير أبو الخير الكلباتى سايس الملك الصالح ولما رأي ذلك تعجب وقال فى نفسه اذا جرى على هذا الولد شيء يصعب على عثمان ابن الحبله ويقول أنا لو كنت مع سيدى لم يصبه شيء ولما ساسه ابوالخير واحدة فاقدر على حمايته وثانيا يعتب على الملك الصالح ويقول لي أنا ما أرسلتك معه الا لتحفظه من عدوه ثم انه لاح السم وانزعه من الكاس سر خفي لا يعلمه الا اصحاب الاسرار لان لله فى خلقه اسرار لا يعلمها الا هو ونجى الامير بيبرس ولم تحصل له الا

السلامة وتبعه غلام القاضي ونظره وهو ماشي كانه ماشرب الا كاس الشفا وعاد الى سيده واخبره وكان فرحان يظن ان بيبرس قد شرب كاس منيته ولما اقبل مبرتقش عليه فوجده يضحك فقال له ايش الخبر يا ابن سيف الروم فقال له وحق المسيح لا اخبرك عن الذي جرى حتى انك تعدلي قفاك واسمعك هذه البشارة الذي عمرك لم تجد بشارة مثلها فعند ذلك مدله جوان قفاه فمكن له عنقيه وقال له ياملعون اذا مات بيبرس من الذي يقطعك في آخر الزمان يبقي علشان خاطرك ينخرم كتاب اليونان اما قرأت انت فى الكتاب ونظرت الى هذه الاسباب أن بيبرس يطرح عليك واحد من الاعراب اسمه شيحه وأنت عارفه لم يحضر فسوف يقطعك في الرميله ويتفرجون الناس عليك في يوم معظم وأنت تظن ان كتاب اليونان قد انخرم والله ماانخرم الا عقلك فقال جوان بس يابرتقش اخبرني ان الكاس الذي انت اعطيته الى بيبرس وانا الذي واضع السم فيه فكيف انه ماحس به ولا اثر فيه فقال له البرتقش فكيف يؤثر السم فيه والي جانبه مثل هذا البطل العظيم ابو الخير الكلباني وهو الذي متولى حفظه في هذه الليله وهو قطب عصره ونتيجة دهره اما تنظر الى شهبة الملك الصالح وهي تذكر الله تعالى وتقدسه فقال له الملعون دعنى من هذا الكلام سوف ادبر أعظم من ذلك يامنصور ولا بد ان اخرب بعقل كتاب اليونان فهذ ما كان من هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الامير بيبرس فأنه سار الي منزله وهو بيت ابن ابادیس السبكى وعادت الطوائف الى أماكنها وانتهى الموكب وصامت المؤمنين اول يوم فى شهر رمضان وكان الامير بيبرس طالعا من البيت يصلى الوقت واذا باثنين اشراف داخلين عليه فلما رأوه تقدموا اليه وسلموا عليه فمنع يده منهم وقال لهم الامير من تكونوا انتم ومن اين أقبلتم فقال له واحد منهم اعلم يادولاتلي اننا من ارض الشام وما اتينا لهذا المكان الا بمعرفتك ومعنا كتابا من عند امك السيده

فاطمة بنت الاقواسي وأنا اسمي السيد حسن وهذا اخي السيد محمد ومعه
أيضا من عند امك كتابا ثم اخرج كل واحد منهم كتابا وسلمه الى الامير
بيبرس فأخذ الكتابين وقرأهم واذاهم من عند السيده فاطمه الاقواسيه
الي بين ايادى ولدي الامير بيبرس من بعد ما يليق من اهداء جزيل السلام
انه قادمين لك من طرفي اثنين وهم من اعيان اهل الشام ولهم عندنا
معرفة قوية زائدة وهم قارئين ومن أهل الصلاح والعفة وانهم قاصدين
الحج الى بيت الله الحرام وزيارة النبي علية الصلاة والسلام فاذا وصلوا الي حضرتك
بالسلامة فأكرمهم غاية الاكرام ووصى عليهم أمير الحج الذي يسافر فى هذا
العام وتكون وصية تمام وهما من عرضي الى عرضك والسلام ختام وأنت
يا ولدي فنحن مشتاقين اليك فلا تقطع مراسلتك الينا أيدك الله بالسعادة والبقا
والدوام من عند أمك فاطمه بنت الاقواسى فلما قرأ ما فى الكتاب من الكلام
فرح بهم وأكرمهم غاية الاكرام وأفرد لهم مكان فيه كلما يحتاجون اليه وقال
لهم اننا نريد امام يصلي بنا في هذا الشهر وهو شهر رمضان المعظم فقال السيد
محمد أنا أكون امامك فقال له أنت تحفظ القرآن قال نعم أحفظه ففرح بهم
وزاد في اكرامهم فبينما هو كذلك واذا بعثمان دخل عليهم ونظر الى هاتين
الاثنين فقال عثمان الى سيده ما سبب هؤلاء الذين عندك فقال له بيبرس
هؤلاء أشراف من أرض الشام وان لهم معرفة بوالدتى السيده فاطمه الاقواسيه
وجابوا لي من عندها كتاب توصيني عليهم لانهم قاصدين الحج الي بيت الله
الحرام قال عثمان حرام ايه من ابن يعرفون الحرام هؤلاء منقرشين من الحارة
الضيقة معرفة القاضى فقال بيبرس اسكت ياعثمان لا تتكلم فى حق الاشراف
فان هؤلاء أقل ما يكون فيهم يقرءون القرآن قال له عثمان انا ابليس ما كان
يقرأ القرآن حتى كان عرف العلم وتعبد فان كنت تطاوعنى لا تصلى معهم
ولا يكون لك فيهم امام فقال له وقد صاح فيه اسكت يارجل فقال عثمان

بخاطرك صلى زي ما يعجبك وانا اصلي مع عقيرب وتركه وسار الى الاسطبل وصار الامير يصلى معهم الي ان انقضى شهر رمضان وأقبل العيد رعيدوا الناس وقدآن أوان الحج فاقبل الامير بيبرس على السيد محمد وقال له يامولاى قد قربت أيام الحج فتحضر فقال له ياولدى جزاك الله عنا كل خيرواني ياولدي رأيت في نفسى داخل على ضعف فى بدنى وتكاسل وانني ليس لى مقدرة على السفر فاذا كان ولا بد أقيم هنا من غير سفر لانى من حين هل شهر العيد ما سكني فى بدنى مرضا شديداً وكل بدنى مادام يزيد ولكن الحمد لله على كل مايريد فان كان العمر فرغ أطلب من الله التواصلى وان كان فى العمر مدة يكون السفر فى العالم القابل فانى لست أقدر أطلع الى الحجاز فى مثل هذه الايام فلما سمع منه الامير بيبرس ذلك الكلام فرح وزاد فى اكرامه هذا وقد طلعت الكسوة وآن الآوان وبرز المحمل وسار طالب الاقطار الحجازية فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي) ولما توجه الحج أقبل السيد محمد على الامير بيبرس وقال له ياولدي مرادى ان أعمرلى دكان في أرض المحروسه أبيع فيه واشترى بشرط ان يكون على طريق الحسين رضي الله عنه لان شغلى شربجي واذا كان دكانى في ذلك المكان لابد لى من الناس البركات والكرامات وكل من زار الكرام لابد يشرب من الشربات فقال له بيبرس سمعا وطاعة ثم اخرج له كيساً من المال وامره فى ساعة الحال بحضور واحد مهندس ومعمارجي الديوان وقال لهم تسيروا معه الى خط الحسين وانظروا أي محل يريد ان كان في أى ملك اشتروه له بما يريد مالكه ورغبوا صاحبه فى البيع حتى ترضوه وابنوا له دكان على ما يعجبه فقالوا له سمعاً وطاعة ثم نزلوا معه وساروا حتى وصلوا الى المقادين فوجدوا قطعة خراب فاشتروها من اصحابها ودخل وتفرج عليها فاعجبته ودفع ثمنها وبعد ذلك أمر بحفر الارض وعمل طابق تحتاني فقال له المهندس لاي شيء هذا الطابق فقال

لاجل ان اخزن فيه الزبيب والتين من العام الي العام فبنوا الطابق ثم بنوا زاوية ودكان بالحجر الصوان وبعد تمام ذلك سار السيد محمد الى الامير بيبرس وقال له اني أريد أن تنبه على الوالي ارآني فى دكانى نصف الليل أو ربعه أو ثلثه أو إخره أو أوله فلايكون له عندى سؤال لانى أريد أن أقيم ليلا ونهارا فى هذا المكان لاجل ان يعرفونى الزوار وابلغ كما أحب وأختار فقال له بيبرس سمعا وطاعة وامر له بالوصية الكاملة وأما السيد محمد الشرباجى فانه احضر أخيه السيد حسن وجعله معه فى الدكان مثل الغلام وصاروا فى قلب الدكان واذا مر عليهم أحد بالليل من زوار أهل البيت وكان قصدهم زيارة الكرام وكانوا مقبلين من ليالى أو من أى مكان فيجدوا الدكان مفتوحا فيقعدون لاجل الراحة ويطلبون منه الشربات فيقول لغلامه هات من القمقم الفوقانى فاذا شربوا من ذلك الشربات اخذهم البنج الخارق فيجرهم وينزلهم في قلب ذلك الطابق وقد دام على ذلك الحال مدة ايام وليالى حتي شاع الخبر فى أرض مصر الخبر وأخذوا غالب أولاد الناس ولا أحد يعلم بذلك وتكلمت الناس فى حق الملك الصالح (ياساده) ولا بقى فى مصر حارة الا وغاب منها النفر والاثنين والثلاثه والاربعة وكثر الكلام من أولاد البلد يوم من بعض الايام أقبل السيد حسن الي نقيب الاشراف وهو يريد زيارة الحسن وكان الوقت وقت الغروب وكان معه غلامه ولما أقبلوا الى الدكان فوجدوه جديداً ووجدوا تلك الزاوية والشربات فطلعوا اليه وقالوا له هات الشربات يابو هاشم فقال لهم سمعا وطاعة والف طاعه ثم انه اجلسهم على الكراسى من داخل الدكان وقال لغلامه هات الشربات ورش عليها من القمقم الفوقاني فأتى لهم ولما شربوا ثقلت رؤوسهم فانقلبوا فانزلهم الطابق وغلق عليهم الباب فعند ذلك شاع الخبر وفشا بأن نقيب الاشراف ابنه قد ضاع ولا روح فلما سمع ابيه ذلك الخبر قال لكيف الحال ثم انه ذهب وجمع جميع

الاشراف وأمرهم بالركوب وركب أمامهم وتوجه بهم الي الديوان .يريد أن يعلم السلطان بفقد ولده وماناله من هذا الامر والشان (قال الراوى) وان الملك جلس يقظان ليس ناعس ضاحك ليس عابس مثلك يامؤمن يصلى علي نبي اخضر فى كفه كل غصن يابس وليلة مولده شق ايوان كسرى وخمدت نار فارس واذا بنقيب الاشراف مقبل وصحبته جميع الاشراف قال الملك ياشاهين الحمدلله الذي سخر لنا من يحرك النار حتى تصير رمادا لاجل أن يأخذ كل ذي حق حقه قال أهلا وسهلا بسلالة سيد الانبياء وسلالة عبدمناف السادات الاشراف الذين طالعون يطلبون طيرهم وتمـام رحمتهم علي غيرهم ياهل ترى ماسبب قدومهم (ياساده) فقال نقيب الاشراف يامولاي ان البلد بقت ضايعة وعدمت أولادنا فهذا ياملك حرام عليك قال الملك وأنامالى بالحرام قال نقيب الاشراف لانك مسرح السماوي يأخذ اولاد الناس قال السلطان وأنا لاي شيء اسرح السماوى على غير فائدة فقال نقيب الاشراف اذا كنت أنت ماسرحت سماوى هـل ترى فى أي جهـة راحت اولاد الناس فقال الملك وعزة الربوبية وتربة حبيب النجار لاانا مسرح سماوى ولاأرضى بهذه الاخبار فقال نقيب الاشراف يامولانا هل ترى أولاد الناس فى أى محل راحوا صعدوا الى السماء أو هبطت بهم الارض فقال السلطان لابد لهم من خـبر كيف الرأى فى هـذه الامور ياوزير شاهين فقال الوزير ياملك لابد أن تنزلوا من يكشف الخبر ويزيل هذه الغمه عن خلق الله تعالى فقال القاضى اما انتم ماعرفتم هاته الـكاينه ولا عرفت من الملزوم بها فانّ هذه لاتلزم الا الوالى وان الولاية من تحت أمر الامير بيبرس يا أمير المؤمنين فقال الملك الصالح نعم هى بسببه لـكنها نافعة منك يا قاضي هات يا شاهين هاته يا أخى خليني أشوف يجري ايه والله اعلم بالسراير فعند ذلك أرسل شاهين رسول الى بيبرس وقبل يده وقال أجب أمير المؤمنين فقال الامير سمعا وطاعة وركب فى الحال وسار الى الديوان ولما تمثل بين

أيادي السلطان خدم وترجم وافصح ما به ترجم ودعى للسلطان بدوام العز والنعم وازلة البؤس النقم فقال السلطان يا أمير بيبرس انت ياسيدي ولايه مصر تحت يدك وهذه الغمة التي صارت على مصر كما ترى من اعداء اولاد الناس حتي قالوا الناس على انا مسرح سماوي وهذه آخر العبارة فلا بد انك تنزل حالا لتزيل هذه الغمة عن خلق الله تعالى وتقبض لى على هذا الغريم والنصر من عند الله العزيز الحكيم فقال بيبرس سمعا وطاعه ونزل فى تلك الساعة ولما خرج من باب الديوان قال له عثمان خبر خير ياجدع فقال له بيبرس يا عثمان ان البلد واقع فيها ساقط على اولاد الناس ووقع الجور والاسراف وعدم اولاد الناس وصار اتلاف وبالجملة فقد ابن نقيب الاشراف وان مولانا السلطان الزمنى بالغريم يا عثمان واين الغريم واين ذهبوا اولاد البلد فى أى مكان فقال له عثمان اسأل السيد محمد والسيد حسن الذين يقرؤن لك القرآن ويصلوا بك فى شهر رمضان الذين انت جعلتهم لك أئمة وهم سبب هذه الغمة فلما سمع بيبرس منه هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال ياعثمان أما تستحى ان تتكلم فى حق الاشراف قال عثمان اشراف ايه انزل شق البلد وحدك ولا لك دعوة بي لانك غضبان وانا اقعد عند الجدعان فتركه بيبرس وصبر الى الليل ثم اختفى ونزل ومعه الاسقار وقال لهم تسيروا انتم من طريق وانا من طريق ويكون الملتقى بيننا فى دكان السيد محمد الشربجى فقالوا له سمعا وطاعة ثم ساروا كما امرهم وجعلوا يطوفون في البلد وكذلك بيبرس فانه مازال يطوف البلد والشوارع وهو يتجسس على الغريم فلم يجد الى ذلك أثر ولا زال كذلك حتى وصل الى دكان السيد محمد الشرباجى وقد كان وصوله نصف الليل بوجد السيد محمد جالس من وراء الدرفة وقدامة شمعة مكوفرة موقودة وهو يتلو فى كتاب الله تعالي ويتضرع الي الله سبحانه وتعالى ويطلب فى النصر والآمال وعلو الدرجة الى الامير بيبرس فلما اقبل

عليه الامير بيبرس فرد عليه السلام وجلس الامير فقال له يا سيدى هذه شقة عظيمة وغريبة لكن من سعادتنا الذى قدمت علينا فى هذه الليلة المباركة فقالى له الامير يا سيدى محمد ان البلد وقع فيها الساقط وان السلطان الزمني فى هذا النهار أن افتش على الغريم وأسعي في كشف هذه الغمة وهاانا انزلت في هذه الليله لعل الله سبحانه وتعالى ييسر لنا كل امر عسير فهل مرت عليك الاثنين المستورة ام لا فقال لا يا سيدي ولكني أسأل الله العظيم رب موسى وابراهيم أن يظفرك سريعا بهذا الغريم فقال بيبرس آمين وبعد ذلك قام السيد محمد سريعا وأحضر كاس شربات وقال يا سيدي تفضل وناوله الكاس فأخذه الامير وشربه فانقلب حالا عقيب البنج فانزله الى الطابق وكان الملعون قصده ان يقتله ويأخذ دماغه ويمضى من حيث اتي ولكن لاجل سلامة الامير لان الله سبحانه وتعالى لم يريد به سوء وكان الملعون طامعا فى سقر اللوالى وسقر الهيجان ليكونوا معه فانزله في الطابق وخرج بعدذلك وجلس فى مكانه واذا بالاتنين مقبلين الى الدكان وهم سقر اللوالى واخيه سقر الهجان فسلمو على السيد محمد وقالوا له هل مر عليك الامير بيبرس قال نعم اتي الى عندي وسأل عنكم وسار يشق البلد وقال لى ان جاءوا اخواني اليك خليهم ينتظرونى عندك حتى أعود سريعا فلما سمعوا ذلك الكلام ظنوه أنه حق وطلعوا الاثنين الي الدكان فاحضر لكل واحد منهما كاس شربات فشربوا فبنجوا وانزلهم الى الطابق بعد أن شد كتافا وأعطاهم ضد البنج ففاق بيبرس فوجد نفسه مكتفا في الطابق والاسقار بجنبه على رأى من قال

داري أساك وأظهر يافتى لطفك ونزه النفس واخلى الهم عن كفك
لو كنت تملك خاتم الملك في كفك يجري القضا رغم عن أنفي وعن أنفك

(قال الراوي) فقال بيبرس الامان الامان من تقلبات الزمان أنا فى أي مكان فقال السيد محمد انت عندى ياشنتهار وزكه وطلع من الطابق

وغلق عليه الباب فعند ذلك سمعوا الاسفار حس الامير بيبرس وكانوا لما نزلوا كان بيد الملعون شمعة ولما طلع بالشمعة بقى المحل ظلام فقالوا له يا دولاتلى أي شيء اوقعك هنا فقال لهم وأي شيء أوقعكم مثلي فقال سقر اللوالى يا دولاتلى والاسم الاعظم لولا رأينا هذا المعرص مقيم عندك وأنت عامله أعز الناس عليك ما كنا وقعنا فى يده ولا كان يقدرأن يقبض علينا يا دولاتلى هذا قضاء والقائل يقول في بعض الاقوال هذه الابيات الحسان

يسلم الجاهل من لفظه ... يجى فيها العالم الماهر
ويسلم الاطمس من حفرة ... يقع فيها البصير الناظر
ما حيلة المرء في نفسه ... هذا الذى قدره القادر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام صلوا على بدر التمام وبعد ذلك صاروا يلومون انفسهم كيف تمت عليهم هذه الحيله وقبض عليهم ذلك الملعون وتارة يتحدثون مع اولاد البلد الذين مقبوض عليهم في ذلك المكان وهم ينتظرون أبواب الفرج من المولى الكريم المنان يقع لهم كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يصلى عليه (ياسادة) واما عثمان ابن الحبلة فانه بات وأصبح فلم يجد لسيده خبر فسحب النبوت وصار الى الديوان مراده ان يحكى للسلطان هذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من الملك الصالح فانه بات واصبح وظهر وجلس على التخت وأحذوا العساكر بين يديه فمن عادته الجلوس جلس ومن عادته الوقوف وقف وقري القاريء وختم ودعي الداعى وختم ورمى الراقى وختم آمنت العساكر ضرب دترك وعجم وزعق شاويش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يرهب الفوت وانشد

الدهر يدور بالناس كما لولب دائر ... والبحر يموز وماؤه يصبح عابر
والعمر غرور يا من اقام تسافر ... الله غيور والملك لله القاهر

(قال) فعند ذلك قال الملك آمنا بالله وسلمنا امرنا الى الله واعتصمنا بحبل الله المتين ثم التفت السلطان الي الوزير وقال ياحاج شاهين جزاؤهم على الله ولكن يا جدع سوف يظير ما كان مغطى وقد قرب الاوان ولكني بس يعني وانا مالى يظلموني الناس ويتهموني وانا في حالى غفلان يعني انا كنت معكم لما بنيتم وهندستم كمان فبينما السلطان كذلك وعتمان طالع يقول ياليل قال الملك لاليل ولا نهار روح ياعتمان قال عتمان أنا اروح وانت تقعد قوم هات لى جندية قال الملك هو جنديك مني يارجل ها انت ياعتمان ان تعديت على تبقى ظالم يا عتمان قال عتمان انا لا اسيبك ومد يده ومسك اكمام السلطان وبكى وقال يا ابو جوطه اطلع السما هاته والا انزل الارض هاته قال الملك حوش ياعتمان ياشاهين انت رجل بطش وعتمان ظالم ولا احد يقدر يتعرض له سبحان من يعلم ما الناس عليه فقال الوزير ياعتمان اخبرني ما الخبر قال عتمان الجندي مثل الدخان طلع ولم يرجع وكان نزوله بالليل ولا أحد يعرف يجيبه الا أبو جوطه واذا ماجاء به انبطه بالنبوت اخليه ما يلحق يقول قول قال له الملك انا اجيبه لك ولكن تروح امامي فقال له عتمان أنا اخاف أن أروح أمامك تهرب قال له الملك الصالح لا أهرب يا عتمان فقال الوزير سيب الملك يا عتمان وهو يجيبه وان سيبته وهرب فالضمانة على قال عتمان تضمن ضمان غريم بالعدالة قال الوزير على ضمان غريم فقال له الملك سيبني وانزل شق البلد .ور على جنديك وان الساعة اربعة من الليل يكون الملتقى بيني وبينك في الدكان المعلوم التي تعرفها أنت وانا ياعتمان قال عتمان انت عرفتها يا معلم صالح فان كنت عرفت الدكان بقيت جدع من الجدعان قال الملك طيب ياعتمان (قال الراوى) فعند ذلك نزل عتمان وصبر الى بعد العشاء وأخذ نفسه وانجر وسار الى أن أقبل ذلك الدكان ولما اقبل عتمان قال في أمان الله يا جدعان هاتوا لي كاس شربات تكون مليحة وخلطوا عليها من القمقم الفوقاني مرادي

اشرب ياجدع واستنى ابو جوطه أحسن من لقاه وحـدى فقام الملعون وملا الكأس وأعطاه الى عتمان فقال عتمان ولا بد أشربه محبه فى الجنـدى ثم شربه فتزحزح وانقلب فكتفوه وانزلوه فى الطابق فبينما بيبرس جالس وعتمان نازل اليه قال له من جاء بك يا عتمان قال عتمان أنا أقول لك انه منقرش يا جدع ولا تصدقني لكن خـذ لك منهم واحـد وان ابو جوطه يسلم عليك وأنا أقول لك ما نصلى معهم وانت تقول لي استحي من هـذا الكلام فى حق الاشراف وأنت لم تسمع كلامي وقـد نسيت وصاية أم البيت والا ما كنت تقدر تخالفني فهذا ما كان من هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من أمر الملك الصالح أيوب فانه بعد ماصلا صلاة العشاء وقرأ أوراده التي عليه قام على حيله وأمر الاغا جوهر الصالحي أن يحضر له الشهبة فلما حضرت وركب وكان معه اثنى عشر كردي من الابطال المعروفة أولهم عز الدين وآخرهم صلاح الدين ولا زال سائر على ظهر الشهبه حتى وصل الى دكان الشربجى وقال له يا عم أنت الذي أخذت الجماعة هل عندك تسقينى أنا الآخر فانى عطشان فقام الشربجى قائم على قـدميه وأحضر كأس وملاه شربات ووضع فى قلبه قطعه من السم الخارق وتقـدم به وفى عزمه يسقى السلطان وقال فى نفسه ان مات هذا ارتاحت الصاري منه ولـما تقدم أمام السلطان قال الملك الصالح يبقى ابوا الخير السايس يبطل الذي كان فى الكأس دكها وأنا اشرب الكأس ده ثم صاح السلطان الله يا دايم واذا بالملعون اختلج وحار فى أمره ووقع منه الكأس فانكسر وانهرق الذي كان فيه فقال السلطان هات يا عم واذا بالملعون تسمر أمام السلطان ولم يقـدر يتحرك فرفع السلطان رأسه وقال تعالي يا حسن وأشار بيده على الذى فى الدكان فتقدم الى ركاب السلطان وقبله وقال يا ملك الاسلام أنا أقول على يدك لااله الاالله محمدرسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له الملك هو أنت كنت نصرانى وأنت لابس عمامة خضراء

وأن النصرانية عمائمهم سود فقال له لا ياأمير المؤمنين بقيت احكي لك على
هذه القصة من أولها الى آخرها وان هذا الملعون اسمه ساجر الأرمني
من بحاير ايفره وهو اخي زغوير الذي كان سرق مال حان السبيلي فكان غلامه
صابور واقف ونظر لقتلته فسار حتى وصل الى بحاير ابفره وخبر ساجر هذا
واخوه شريحه الارمني فساروا الي عامل ملتهم جوان في مصر واعلموه
بحضورهم فكتب لكل واحد منهم كتابا عن لسان السيدة فاطمة بنت لاقواسي
بالوصية عليهم وعملوا انفسهم من اشراف الشام وان مرادهم الحج الى بيت الله
الحرام ولما جاءت أيام الحج وما وجدوا فرصة من عثمان بن الحبلة فطلبوا
من الامير بيبرس هذا الدكان فنتحها لهم بناها كما تري ويقى على هذه المدة
وهو يقبض علي أولاد البلد حتي قبض خمسة وخمسين وبعد ذلك قبض على
الدولاتلي كمال الستة وخمسين وكان مراده أن تكون أنت ومن معك تمام
الستين فيقتلكم اجمعين فلما سمع الملك الصالح هذا الكلام من الغلام قال
انزل ياعز الدين طلعهم من الطابق خلي الولد يخدم ويأكل عيشه على أكل مثال
وخلي الذي يكرهم تكمل كراهته ويطق هو ورفيقه فعند ذلك نزل عز الدين
وقال الله يادايم ومشى الى الدكان فرأى باب الطابق وتقدم فتح الباب ونزل
الغلام الى الامير بيبرس وقبل يده وأعاد اسلامه على يديه وقال له يادولاتلي
بحق مقام السيدة تفوتني قال عثمان يفوتك ازاي ياجدع وأنت بكره تقعد
وتقول دستهم ومنهم هو ابن زني سل مل وأنت ملقوط من الحارة لكن
النافذ نافذ ياجدع فعند ذلك حلهم شمنترى واوقفهم أمام السلطان ياأبي
بيبرس هذا الولد خذه عندك لكن سميه حسن قال بيبرس حسن على
خيرة الله قال الملك اعطى له مالك يشيله لانها جيفة وهو من الكلاب
الجارحة فقال بيبرس أوليته خزندار قال الملك الصالح مبارك
عليك وبعده تقدم عثمان وقال له كتر الله خيرك يا أبو قوطه فقال الملك

وانت كنت فين يا عثمان انت ما انت عارف قال عثمان يا معلم صالح بس نزلت على شان خاطر الجندي قال الملك خذوا بعضكم وروحوا وانت يا حسن مالك دعوه ولا شفنا ولا رأينا كن من كاتمين الاسرار لا تكن من الكاشفين فاننا كلنا شايفين والقضاء لا بد من انفاذه مضمون كلام السلطان يقول لحسن لا تفضح الملعون جوان وبعد ذلك تقدم صقر اللوالى وصقر الهجان وقبلوا ركاب الملك الصالح فقال لهم الملك نحمد الله على سلامتكم يا مقادم فالتفت صقر اللوالى الى الذى واقف قدام الملك واذا به الملعون شاحر الارمنى فقال له ايش هذا يا مولانا قال ما له الا أملص أودانه ياجدع لاني مامعي ضفيرة الخوص لو كانت معي كنت ضربته بها فعند ذلك ضربه صقر اللوالى بالشاكريه أطاح رأسه فراح لعنة الله عليه وبعد ذلك أمر السلطان بهدم الدكان وردم الطابق بعد اطلاع الذين كانوا فيه وما طلع النهار الا والدكان مهدوم والطابق مردوم وأمر السلطان بابقاء جثة شاجر الارمنى بلا دفن حتي يتفرجوا عليه العالم لان الملك كان قد سمع بعض العالم وهم يتكلموا في حقه وأعتقدوا حقيقيا أنه سرح السماوي لفقد هؤلاء الناس الذين كانوا عند هذا اللعين والبعض من الناس يقول ان السلطان ولي من أولياء الله والبعض يقول ولاية مخلبطة والآخر يقول ولاية رزقه والملك يعلم ذلك ولكنه يدعو للناس بالخير وبعد ذلك توجه السلطان الى قلعة الجبل وكذلك الامير بيبرس فانه توجه الي بيته وأخذ معه حسن شمنترى وأصبحت الناس يتفرجون على القتيل المجحوم الذى على باب حارة الروم هذا ما جرى هاهنا (قال الراوى) ويرجع الفضل والكلام الى ما يفعل ايبك التركمانى والقاضى من الاحكام (قال) وان ايبك ركب ثانى الايام عند الصباح وسار طالب الديوان فلما وصل الى حارة الروم ونظر الى ذلك القيل فسأل بعض الناس على سبب قتلته لاى شيء فقالوا له انه نصرانى وهو الذي كان عند بيبرس وكان عامل نفسه من الاشراف وبعد ذلك

عرفوه قتلوه وغفراء الشارع حكوا له على الذى جري فى الليل من أوله الى آخره فاغتاظ غيظا شديداً وقال يلعن النصرانى هـذا اذا مسك بشت ببيرس حطه في طابق وابقاه ماموتوش ولا زال سائر الى الديوان (ياساده) وكان أيضاً القاضى فات ونظر القتيل وأرسل غلامه الحاج منصور لينظر للقتيل فغاب وعاد اليه قال كان شاجر الارمى مات ولا نابنا لاحل ولاربط اثنين مقادم يا أبي من أكبر عياق الروم راحوا أولهم المقدم زغوير وهذا المقدم شاجر قال جوان ياخسارته وصار يغلي بالنار لما سمع هذه الاخبار ولما وقعت عينه على عين ايبك التركماني أمره أن لايفتح ولايغلق لان القاضي كان شاف من ايبك عين الحماقة فبرده وأمره ان لايتكلم فان الصبر خير من هذه العجله وما زالوا ساكتين حتى انقضى النهار ونفض السلطان المنديل وتحولت العساكر كل واحد قصد محله وسار القاضى طالب دار ايبك وكان ايبك قاعد فى الانتظار وقد زادت به النار واذا بالقاضى مقبل وهو يقول أستغفر الله العظيم استغفارا تاما ثم قال السلام عليك ايها الوزير فقالو ايبك السلام علي المؤمنين يا قاضى انت مقلة الزغل كل نوبه تنول عليك مثلها ونهبت مالى وأعطيته الى بيبرس وانا ما بقى عندي فلوس ولا عندى زبره من شأن بيبرس ومشطه برتها وأنت تقول عليك مثليها لبيبرس يامقلة الزغل ثم صاح يامقدم مطراق هات نبوت اضرب قاضى ٤٦ت والا يعمل تدفير كويس كل يوم بيبرس يزيد ونحن ننقص فقال القاضى يامعز ايبك انا فى هذه النوبه تذكرت مكيدة عظيمه قم بنا ندخل للجنينة حتى أريك المكيدة التى لانظير لها قط فطاوعه ايبك ودخلوا الاثنين فى قلب الجنينه فعنـد ذلك طلع القاضى على عجل الساقية الكبيرة والساقيه دائرة واحضر قرطاس وقم ودوايه من النحاس وقال لايبك سوق الثور فقال سمعا وطاعة فصار ايبك يسوق الثور يكتب فى كتاب علي لسان السلطان بالزور والبهتان وصنع له خاتم من الشمع عليه اسم أمير

المؤمنين الملك الصالح وبعد ذلك طوى الكتاب وقال لايبك انظر لي رجل سراح تكون مستغنى عنه لانه اذا راح لاعاد يرجع فقال له وما تريد به قال أرسله الى الجزيرة الى رجل هناك يقال له خضر البحيري قال له سمعاً وطاعة ثم غاب وعاد اليـه برجل سراج قال له السراج ما الذي تريد يا مولانا قال له تأخذ هذا الكتاب مني وتمضى به الى الجزيره وتسأل عن شيخ العرب خضر البحيرى فيدلوك عليـه فاذا وصلت له فقبل يديه وقل له أنا من عنـد الملك الصـالح ومعى كتابا ثم ناوله الكتاب وأنت بعـد ذلك [illegible] ولا عدت تخدم [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] الجزيرة [illegible] وصل الى الجزيرة [illegible] فسار اليه وقبل يده وابداه بالسلام [illegible] لا يعرف [illegible] ذلك صاح عليـه من أين أنت قال له من عنـد السلطان قال له أنت بتـاع الصالح قال نعم قال له ولاي شيء أتيت قال يا شيخ معي مكتوب قال له هات المكتوب فنـاوله اياه

تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع

وأوله خذه واطلع عليه

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة [illegible] السلطان

[illegible]) ملك مصر والشام وتوابع عساكره

[illegible] شيحة جمال الدين وأولاده

[illegible] من الفرسان وماجرى

[illegible] من الاهوال والحيل وهو

يحتوي على خمسين جزء

الجزء التاسع

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١ هـ – ١٩٢٣ م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)

بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى

مطبعة المقاهد بجوار قسم الجمالية بمصر

لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوي)فحله واطلع عليه واذا به خط السلطان وكان البدوى يعرف خط السلطان لأن السلطان كان اذا كتب ترتعش يده والملعون القاضي ما قعد على ساقية الا لاجل ذلك فوجد مكتوبا فيه من أمير المؤمنين الملك الصالح أيوب الى شيخ العرب الامير خضر البحيرى حال وصول جوابي هذا اليك تجمع عربك الذي تعتمد عليهم وتنزل ليلا على الامير شعبان الكردي كاشف الجزيرة وتأخذ ما تحت يده فى داره من متاعه وفرسه وحصانه وترجع تقيم في محلك حتى يأتى الخبر بقتل الكاشف وتطلب أهل الاقليم كاشف غيره فأرسل لك من عندى مملوك من مماليكي لكنه عاصى على فاذا وصل الى الجزيرة وأقام فى دار الكشوفية فتنزل عليه حالا وتقطع رأسه وتنهب كل ما معه من المال والخيل وتقتل كلما معه من الخدام والرجال واذا تمت لك هذه الفعال اعطيك اقاليم الجزيرة اقطاع بلا مال وحامل ذلك الكتاب ترمى رأسه حالا وهذا الكتاب احفظه عندك سنداً علىّ بذلك والسلام على البدر التمام فلما قرأ خضر ذلك الكتاب وفهم ما فيه من الامور والاسباب فسل الحسام القرضاب ثم ضرب حامل الجواب فاستشهد

واكتسب الثواب وبعد ذلك أمر العربان أن يقلعوه هدومه ويدفنوه وعند ذلك أخذوا ملابسه وحصانه وسلاحه وواروه التراب وبعد ذلك صار يجمع في رجاله يقع له كلام وأما ما كان من الامير شعبان الكردى فانه كان من اولياء الله الصالحين فعرف ذلك من كشف الاولياء وعرف ان فى تلك الليلة موته وليس له محيدا عنها فادعي العبيد والمماليك الذين علكهم وعتق الجميع وفرق عليهم نصف ماله واحضر زوجته وكان له معها غلام على يدها عمره ثلاثة أشهر فأعطاها جميع ما تبقى له من الاموال وسيرها الى مدينة مصر بعد أن كتب لها جراب الي الملك الصالح وقال لها لا تظهري هذا الكتاب الا بعد ثلاثة أيام وبعد ماوجه حريمه وخدامه أمر المنادى ينادي فى اقاليم الجيزة بديوان عمومي يحضر فيه الخاص والعام ولما اجتمعت عنده الناس قام على اقدامه وقال يا معشر المؤمنين كل من كان لى عنده شيء فقد سامحته فى الدنيا والآخرة ان كان دينا أو حقا أو اساء لى أو تمدي علىّ فانا سامحته وتركته ولا اطلبه وكذلك انتم كل من كان يعلم أن له حقاً علي فايطلبني حالا ليأخذه ومن تأخر فلا يطلبنى ولو يوم القيامة ولا زال كذلك حتى أعطى لكل ذى حق حقه وسامح الناس وقال في آخر كلامه يا جماعة انى مسافر الى السفر الذي لا بد منه فصار الناس يتعجبون منه ولما كان آخر النهار صلى ما عليه من الفرائض وجلس يذكر الله حتي صلي العشاء وقرأ اوراده بالتمام وبعد ذلك فرش فرشه بيده لانه ما بقي عنده خدم ولا حريم وبعد أن فرش الفراش جدد وضوءه ووقف تحت قبلة الدعاء وهي سماء الدنيا وتضرع الى الله عز وجل وهو يقول صلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم

ولما فنى صبرى رجعت الى الشكوي ۞ وناديت جنح الليل يا كاشف البلوى
على الباب عبداً من عبيدك واقفا ۞ كثير الخطا مذنب يرتجى العفوا
فعامله بالالطاف يامن بفضله ۞ على قوم موسي أنزل المن والسلوى

سألتك بالكتب التي منك أنزلت — وبالمرسلين الامنين من الدعوى
وبالبيت والمسعى والزمزم والصفا — وبالحرمين السالمين من البلوى
وبالمسجد الاقصى وبالجبل الذي — تحط عليه السيئات كما يروى
تهون علينا ساعة القبض عاجلا — بفضلك يامولاي لااحتمل شكوى
وتحفظني من شر خلقك كلهم — ومن شر شيطان ونفس وما تهوى
ولا تحوجني ان اذل لغيرك — بحكم الذي يسوى ومن لم يكن يسوى
وصلى الله بكرة وعشية — على المصطفى من جاءنا بالعلم والتقوى

(قال الراوى) وبعد ذلك نزل الى محله واعتدل الى القبلة وأحسن الشهادتين وقال اللهم بحق سيدنا محمد صاحب الحوض المورود الذى اوعدته أسقنا من يده شربة هنية مروية لا نظما بعدها ابدا (قال الراوي) فقبض الله روحه كنسيم الهوى عليه رحمة الله وبعد ذلك جاءوا واحتاطوا العربان بداره وطلع شيخ العرب خضر البحيرى ونزل على السيد شعبان الكردى فرآه نائم نوم أهل الجنة ومعتدل الى القبلة فضربه بالحسام أطاح رأسه وهذا الذى جري مع انه مات من قبل وصوله اليه ولما اصبح الله الصباح شاع الخبر عند أهل الجيزة بقتل الكاشف ونهب داره على يد عرب الجيزة وشيخهم خضر البحيري فعند ذلك حضرت مشائخ الجيزة والقاضي وقالوا ان هذا ابن عم السلطان ولا بد من اعلام السلطان ثم انهم حضروا تابوت ووضعوه فيه وشالوه على اعناق الرجال وداروا به المشائخ واكابر الجيزة وساروا به الى ديوان قلعة الجبل فهذا ماكان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الملك الصالح فانه بات وأصبح يصلى على نبي في كفه الورد فتح ظهر وجلس على تخت السلطنة وهو تحت قلعة الجبل فوحد القديم الازل واحدقت رجاله بين اياديه والتفت الى الميامن أطرقت والى المياسر أطرقت والصدر والجناجين أطرقت وبعد ذلك قريء القاري وختم ودعى الداعي وختم ورقى الراقى وختم آمنت الدولة

اتراك وعرب وعجم وزعق شاويش الديوان يقول وهو لا يرهب الموت ولا يخاف الفوت وانشد يقول صلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم

يا سائحا فى جهله ونسى عواقب أمره
قم شف لنفسك وانتظر جور الزمان وغدره
الدهر لا يبقى علي أحدو يأمن من مكره
ارجع لربك خاضعا واثني عليه بشكره
واحمده حقا وامتثل لقضائه مع قدره

قال الملك الصالح سمعنا واطعنا وجلس الملك يتعاطى القصص ويزيل القصص ولما تعالي النهار قال الملك الصالح ياحاج شاهين وعزة الربوبيه وتربة حبيب النجار أنا ماكتبت مكتوبا ولا امرت أمراً ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل ونحن لابد لنا من الموت وانما هذا لاحتمال الاوزار وعقاب الخالق في الآخرة وإن الله تعالي يخلص حق المظلوم من الظالم جري القلم على اللوح من القديم بما حكم فلا راد لقضائه اسأل الله الكريم رب العرش العظيم كل من تسبب في اتلاف الصورة البشرية انه لا يموت الا مقطع ويحرق بغائط الكلاب ولا يخرج من الدنيا الا على دين الكفر يا شاهين نهار مبارك انت تعافيت على أضعف الطيور وأنت جيت عليه متشمر غداة يأتيك العقاب هو وكل نسر ماتخاف يا جدع واحده بواحده جزاء(قال الراوى) ولما صار الملك يكرر فى ذلك قال الوزير هل ترى ايش الذي جرى فى هذا النهار فبينما الملك الصالح يصرح فى مثل هذا الكلام واذا بأهل الجيزة طالعين يتولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الملك حق يادايم يامعبود ياعلام الغيوب ان القرافة من هنا فقالوا يامولانا يعيش رأس أمير المؤمنين قال الملك من الذي مات قالوا اشعبان الكردى كاشف الجيزة قال الملك وجئتم به الى هنا لاى شيء مادفنتوه قالوا ياملك مات قتيل قال الملك من الذي قتله قالوا رجلا من العرب يقال له خضر

البحبرى وهو رجل جبار فاجر فقال الملك على شان ايه قتله قالوا ما بينهم شيء ونزل عليه في الليل هو ورجاله وقتلو من غير ذنب فقال الملك الصالح حسبنا الله ولكن هذا ان عمي من الاكراد الايوبيه لكن ادخرته عند الله هو الذى يخلص حقه ثم أمر السلطان بنزوله الى محله بشارع سوق السلاح فقاموا عليه المحازن وكان حريمه كما ذكرنا سبقته فعملوا له ما يليق به وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه فى الحسين ودفنوه فى القرافه ومشى في جنازته الملك الصالح وواروه التراب كما قال بعضهم في المعنى هذه الابيات

ادفن الجسم فى الثرى　　ليس فى الجسم منتفع
انما السر فى الذى　　كان فى الجسم وارتفع
أصله الجوهر النفيس　　والي أصله رجع

قال الراوي وبعد ذلك عملوا السبحة ثلاثة ليالي وختمات وشرع السلطان بارسال كاشف غيره الى الجيزه وقال ياشاهين ان الجيزه بغير كاشف قال الوزير يا مرلانا لا تقعد بغير كاشف لكن اذا أردنا نوسل لها كاشف يكون رجل حربي لان هذا البدوي سطا عليها واذا راح واحد من هنا قتله كما قتل شعبان الكردي ولكن حتى ننظر لها واحد يصلح ونرسله فعند ذلك تحرك القاضى من مكانه وحنح طيلسانه وقال دستور اتكلم بكلمة حسنة ليست بسيئة قاطبة قط قال السلطان يا قاضي أنت ما عندك الا كل سيئة ولكن تكلم حتى نسمع كلامك فقال القاضى ان الذي يصلح بشأن الجيزه ويطهرها من الفساد ويصلح شأن العباد ويرد الاعداء والأضداد فما يكون لذلك يا أمير المؤمنين الا ابنك بيبرس فانه ولد مبارك مسعود ما توجه الي جهة الا ونتج ببركاتك ياملك الاسلام وأنا في نظري ان هذا الغلام له عناية وسعادة ولرب السماء فيه مشيئة وارادة كما قال القائل هذه الابيات

اذا المرء لم يخلق سعيداً من القدم　　وينشر عليه السعد علما ومحمل
فلا خير فيه ان عاش والخير موته　　وخاب الذي رأي وخاب المأمل

(قال) ثم قال القاضي وهذا يهمك يا ملك وله منصور حقا ورأيه موقفا فاذا أراد مولانا الملك أن يرسل الى الجيزة كاشفا فان بيبرس يستحق فقال الملك صدقت ياقاضي ولكن الكشوفية يكن لها واحدغني لانها تحب المال وبيبرس رجل فقير فقال القاضي يا ملك الاسلام اناساعده بأربعين كيسا وثمن أربعين جوادوثمن اربعين مملوكا وعليك يا وزير ايبك مثل ذلك امضي سريعا يا حاج منصور وائتيني بما ذكرت قد مضي الامر وانت يا ايبك وفي الحال حضر المال واستلمه الوزير فقال الملك احضروالنابيبرس فارسل الوزيرالاغا شاهين رسولا من طرفه وقال له كلم الملك فقال سمعا وطاعة ثم أن الامير بيبرس ركب وطلع الى الديوان وتقدم الى رخامة الطلب ونادي نعم يا أمير المؤمنين وقبل الارض وانشد يقول صلوا على الرسول صلي الله عليه وسلم

عبدك وخديمك ببابك واقف ايامن شذا عمره على الناس يفوح
اجي مثل سعدك بين اياديك واقف ولا اولي مثل ضدك اروح

(قال الراوى) فلما نظر السلطان الي الامير بيبرس قال اهلا وسهلا بك يا سيدى بيت الجماعة نقص الاشياء كل واحد دور الله تعالى يذهبها من بين ايديهم لان النوبة أربعنات ولكن يا ولدى اجني الشمره من صاحبها وهم ثمانين كيسا وثمانين مملوك حضروا من عند القاضي وايبك وبقوا لك انت لكن مرادنا انك تروح كاشف علي الجيزة ولكن فيها واحد املص اودانة الفلوس هاهم عند الحاج شاهين خذهم تساعد بهم فان كان غرضك تروح وان كان غرضك ما تروح ها أنت أخذتهم ولا تروح فقال القاضي يا مولانا يأخذ المال ولم يروح ولكن أمر الملك مطاع فقال بيبرس يا أمير المؤمنين أروح ان شاء الله تعالى وانشد يقول صلوا على الرسول

أروح ولم عرضي على يهين ولاني من اهباش الرجال نجيح
فالندل ان سمع الكلام يطنش والجيد اذا سمع الكلام يروح

(قال الراوى) فعند ذلك قال السلطان لبسه يا شاهين قفطان الكشوفية خليني أشوفه أنا وافرح به وكذلك هو الآخر يفرح بشبابه اذا رأى نفسه لابس كسوة جديدة فعند ذلك طلب الوزير كرك من خزنة الامتعة ورماه على اكتاف بيبرس وقال له انت كاشف الجيزه وعليك بتقوى الله العظيم واجتهد فى تنظيف الارض من اولاد الزني ومن العرب الذين قتلوا الكاشف فاجتهد غاية جهدك عسى الله أن يظفرك بهم وينصرك عليهم وقد نادى مناوين الديوان حكم ما أمر ملك الاسلام وخادم حجره قبر النبي المظلل بالغمام فان كاشف الجيزة الامير بيبرس وله عليها الولاية والاحكام بما شاء الملك العلام وطلع بيبرس من الديوان وقد تلقاه الاسطى عثمان فقال له انت مقفطن قال نعم قال عثمان ان شاء الله تكون مشد تراب والا اغات كلاب قال بيبرس ياعثمان انا طالب اعلا والا اوطى أنا لبست كاشف على اقاليم الجيزة قال عثمان ياسلام غارة الله عليك وعلى الذى خلفك سبوح قدوس الخدمة بالفلوس ماهى بالدبوس قال بيبرس على شان ايه قال عثمان أكون كاشفا صغيرا يعني قائم مقام وبالتركى متسلم لر قال بيبرس فى أمان الله خذ هذا الكرك على اكتافك وانا اوليتك كاشف صغير وقائم مقام ومتسلم لر لاجل أن ترتاح ومالى بركة الا انت قال عثمان بقيت انا اسبقك الى الجيزة الى أن تأتى انت علي مهلك أكون أنا مهدت لك الارض قال فعند ذلك ركب بيبرس وراح الى أن وصل الى بيت احمد بن ابادبس السبكى وطلع الي المقعد وجلسوا عنده الصقور وحسن شمنترى خزندار واما عثمان فانه لا يلتفت الى سيدة ولا كان له سيد بل انه احضر السياس الثمانين وكبيرهم عقيرب وركب عثمان علي اعناق السياس ولبس الكوك على اكتافه وساروا السياس أمامه والناس يباركون له وهو فرحان بنفسه وكل من قال له نهارك مبارك يا اسطي عثمان يضربه سبعة ضربات والذي يقول له يامتسلم لر يعطيه سبمه فضة وهذه كانت

من كرامات عثمان الذى يعطيه سبعة فضه يسفى والذي سبعة ضربات وكان به داء يشفيه الله تعالى ولم يزل عثمان سائر بهذا الموكب والسياس مجتمعين به حتي وصل الي الجيزة وعلي اكتافه القفطان فجمع السياس قبل الدخول وقال لهم لم يغيب لنا أحد سايس انا رايح اعمل ملعوب وهو ان كل من جاءنى من المشايخ أقول لكم طرطمش امسكوه وان قلت وارميش ارموه واضربوه حتى أقول لكم شفا سيبوه من تحت الضرب واحبسوه فقالوا سمعا وطاعة واتفقوا على ذلك وسار عثمان الى أن وصل الى الجيزة ودخل الى دار الكشوفيه فجلس عثمان ووقفت السياس بين يديه وقد شاعت الاخبار فى الجيزة بقدوم الحاكم وهو الكاشف الجديد فسارت المشايخ اليه فلما وقعت عينه عليهم وقبلوا الارض بين يديه قال عثمان طرطمش فمسكوهم قال وارميش فرموهم واشار عثمان بادارة العدة على جميع المشايخ فقالوا المشايخ على شان ايه يا كاشف فلم يرد علي احد جواب وبعدها قال شفا فارتفع الضرب وبعد ذلك اشار عثمان فادخلوهم الحبس وقد سجنوهم وكل منهم يقول هذا الحاكم لا يعرف شيء ابدا فباتوا المشايخ في الحبس وقد سجنوهم وكل منهم يقول يا هل تري ما السبب

(قال الراوى) واعجب ما وقع من الاتفاق انه كان موجود فى الجيزة رجل يقال له عثمان الهيضمي واصله من مصر لكن حكمت نفسا بينه وبين عثمان وقال له عثمان ان رأيتك فى مصر قتلتك نخاف من عثمان وطلع اقام فى الجيزة لان عثمان فى مصر وقت ما يراه يضربه ولما كان ذلك اليوم الذي اقبل فيه عثمان بن الحبلة فعرفه عثمان الهيضمى فلم يظهر له نفسه ولما جرى ما جرى من عثمان من ضرب المشايخ أقبل عثمان الهيضمي على المشايخ وهم فى الحبس وقال لهم الذي يرحل لكم هذا الكاشف من الجيزة ايش تعطوه فقالوا له نعطوه عشرة ارادب قمح فقال على ان ارحله لكم ولكن هاتوا واحضروا القمح ثم انه تقدم الى عثمان

وباس يده فقال له عتمان يا هيضمي انت من جاء بك الى هنا فقال له اناتركت اولاد هيضم وتبعت اولاد الشيخ قال عتمان مرحبا بك ياجدع فقال الهيضمى يا جدع أنت اسمك رأس بيت اولاد الشيخ وان جرت عليك حاجة تشمت فينا اولاد هيضم قال عتمان على شان ايه قال له أقول لك يسر قال عتمان قل قال يا اسطى ان خضر البحيري جمع العربان عليك ومراده في الليلة يهجم على دار الكشوفيه مثل ما عمل مع الكاشف القديم وأنا يا أسطي لما سمعت بالخبر ما هان على ذلك ماقبلت من ساعتي هذه واخبرتك وهذا ما عندي من الخبر والسلام والرأى لك فلما سمع عتمان ذلك الكلام صاح بعلو رأسه عرل يا عقيرب ثم نهض من وقته وساعته وركب وسار طالب ارض مصر فبينما هو كذلك واذابالامير بيبرس عارضه في الطريق (قال الراوى) وكان السبب في ذلك ان الامير بيبرس لما علم ان عتمان راح الى الجيزه فلم يمنعه ولم يكدر عليه لانه يعلم انه من أهل الكشف وانما جهز نفسه في الحال وأمر ... أن يحضر النقارات وركبهم على ظهور الجمال وركب الامير ... الاثنين الفداوية وأربعين مملوك والثمانين جماعة عنرحش وركبوا ... الرحيل وسار حتى لاقاه عتمان في الطريق وكان بيبرس قلبه عليه من مكائد الفلاحين فلما عرضه كما ذكرنا قال بيبرس خبر ايه ياعتمان قال أنا يا أشقر عملت انا جندي وضربت المشايخ مثل ما يعمل الكاشف وكانت ... يا جدع بس خربها على الهيضمي قال بيبرس الهيضمي ماله ياعتمان قال عتمان قال لي ان العرب الذى قتلوا الكاشف أرادوا في هذه الليله يقتلوك فقمت وخفت وهربت وهذه حكايتي وأنا جيت منك لهم ما أنت ابن زنا فقال له بيبرس لا بأس عليك ثم سار وأخذه الى أن وصلوا الى الديوان وفرشوا مايليق بمقامه وبعد ما فرشوا الفراشين جلس الامير بيبرس وجلسوا الفداوية عن يمينه وشماله وكذلك الخدامين وقفوا لخدمته وأقام فلم يرى أحد أتى اليه

من المشايخ ولا من كبراء الاقليم فالتفت الى عثمان وقال له أين المشايخ قال له يعني ان المشايخ كان حد منهم قريبي قال هات غفراء الدار فحضروا بين يديه فقال لهم أين المشايخ لم أر أحد منهم جاءني لاى شيء فقالوا يا كاشف أن عدم مجيئهم فانهم جميعا عندك في الحبس فقال لهم وما سبب حبسهم فقالوا له على ما فعل عثمان وكيف انه ضربهم ولا يعلم لاحد منهم ذنب وبعد ما ضربهم حبسهم وبعد ذلك ركب على حصانه وتركهم محبوسين الى هذا الوقت فالتفت الامير الي عثمان وقال له لماذا ضربتهم وحبستهم قال عثمان كنت أشوف الكاشف يضرب الفلاحين والمشايخ فعملت مثله وانا يا أشقر عزلت نفسي انا حبستهم وأنت سيبهم يا جدع ومن هذا الوقت انا أضرب وانت سامح فعند ذلك أمر الامير بيبرس باخراج المشايخ من الحبس واحضارهم الى بين يديه فلما حضروا قالوا يا أمير قد أذانا الاسطى عثمان وما نعلم لنا ذنب فقال بيبرس الحق عليكم كيف ان الامير شعبان يموت عندكم وفى بلدكم والذي قتله رجل بدوي غادر وأنتم قاعدين ولا أحد يسأل ولا تخافوا أن يعيد عليكم هذا الغدار يفعل بكم كما فعل بغيركم من العار والذل والشنار فقالوا له يادولاتلي هذا رجل جبار ومن الذي يقدر يقف له في الطريق أو يصطلي له بنار فقال لهم الامير كان ما كان ولكن من الآن تنبهوا لانفسكم واعلموا أن عثمان ما فعل بكم هذه الفعال الا لاجل عدم التفاتكم ثم ان بيبرس رتب منهم اثنين نظار وقسم أقلم الجيزه قسمين وجعل على كل قسم ناظراً منهم وجعل فى كل قسم اثنين مأمورين وجعل فى كل مأمورية قائمقام ومن تحت أيديهم المشايخ ولكل شيخ واحد معاون وأربعة مشدان ونبه على الفلاحين بعدم الظلم واذا شيخ ظلم فلاح فانه يشتكيه الى قائمقام وان لم ينصفه يشتكي الى المأمور واذا لم ينصفه المأمور يشتكي الى الناظر وان عدم انصاف الناظر يشكي الى الكاشف وانا أخلص له حقه بالعدل والانصاف كما أمر الذي جعل الاشراف عليه

الصلاة والسلام أناء الليل وأطراف النهار وأنا أريد منكم أن تعاونوني على خضر البحيرى الذي قتل الكاشف سابقا لعل الله يوقعه فى يدي وأجازيه على مافعل وانا مرادي ان ابنى حمام وقصر يكون على شاطيء البحر وان شاء الله يكون قريب فقالوا له على بركة الله يادولاتلى وتوجه كل واحد الي حال سبيله ولما كان فى ثاني الايام قام الامير بيبرس من منامه ولذيذ أحلامه وقد قلع بدلة النوم ولبس بدلة الاحكام وهو يحدث نفسه فى بناء الحمام والقصر واذا بالطباخ مقبل عليه وقبل يده وقال له يا أميرأنا رجل غريب واناخذيمك متغرب معك ولكن يادولاتلي ان قتلتني أوضربتني اتعلق بأذيالك يوم القيامة لأني اناصنعتى طباخ ما أنا غفيرفقال له بيبرس ماالذى جرى لك فقال له ياسيدى ان النحاس الذى بالمطبخة انسرق فقال له من سرقه قال يادولاتلى لا أعلم فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياطباخ ابعث فى هـذا الوقت الي مصر واطلب نحاس غيره فبينما الامير يتكلم مع الطباخ واذا بقاضى الجيزه أقبـل وهو راكب على حمارة عالية وعلى ظهر الحمارة فروة وهو على الفروة وقال السلام عليك ايها الامير فقال الامير بيبرس وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فنزل القاضي وتقدم وتزحزح له الاميرمن مكانه وأجلسه الي جانبه وطلب له القهوة فقال له ياسيدي سامحني من القهوة ثم بكى فقال له الامير لاى شيء تبكى يامولانا الشيخ فقال له القاضي انا جيتك مستجبر واسوق عليك بالسيدة زينب غفيرة مصر لانك من زوارها فقال له بيبرس وصلت يامولانا ايش الذى جري عليك فقال القاضي اعلم يامولانا ان لى بنت وليس لى ذرية غيرها ونزلت تملا قلتها من البحر لان البحر قريب من البيت فقبضها رجل يقال له منصور ابو سيفين واخـذها الي بيته قوة واقتدار وهـذا الرجل غدار كافر بالملك الجبار لا يصوم ولا يصلى ولا يعرف حرام ولا حلال بل صنعته قطع الطرقات وسبى المخدرات وهو أخو مقـلد الذي قتلته انت فى مدينة

مصر وكان عاملاله برجا وانت ارحت منه العبادولكن يا أمير مقلد كان قيراط وهذا أربعة وعشرين قيراط وان جميع أولاد الزنى عنده وله قصر على البحر وله خمسة وأربعين عبد كلهم أولاد زنى فدائهم أخذ البنات الابكار ويسلموهم له فاذا فعل بهم الفاحشة يردهم اليهم فيفسقون فيهم بعده ويعرضون عليه ثانى مره فمن اعجبته ابقاها رغما عن الف أهلها ومن لم تعجبه تركها بعدهذا الفساد وان هذا من بعض صفات هذا الملعون

(قال الراوي) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال له يا ابى واين مكانه قال هو مقيم عند الاهرام فى مكان حصين يعني دار ولكن محصنه بالاحجار فنهض الامير بيبرس من وقته وساعته وركب ومعه الاسقار والتباع والسياس وكان معه اربعمائة مملوك كبار ومثلهم اتباع وصقار وسار حتى قرب ذلك المكان التفت الى من حوله وقال لهم انتم تكونوا خارج الدار فاذا تمكنت أنا من الدار وصحت الله أكبر فاحفظوا المكان ولا ينفلت منكم ولا انسان فقالوا سمعا وطاعة ثم سار الاميرأمامهم ومعه بعض المماليك الى ان وصل الى الدار التى لابو سيفين وعبر الامير بيبرس بشدة حميته وثقته بنفسه ولم يزل صاعدا الى ان وصل الى المقعد الذى جالس فيه ابوسيفين فوجدابوسفين جالسا كانه نمر فلمارآه بيبرس عرفه انه متكبرا فقال له السلام عليك ياابى فقال له من غيران يقوم من موضعه العوافي عليك فعند ذلك جلس الامير بيبرس الى جانبه وتعجب فى نفسه فالتفت الى الامير وقال له من تكون يارجل فقال ياشيخ العرب انا كاشف الجيزه الجديدة ولكن يا ابى انا عارف ان الفلاحين قليلين الكيف فتركتهم وجيت الى عندك لاتصاحب معك فقال له اعلم ان الكاشف الذى فى هذا الاقليم القريب والبعيد فانه يكون معى مثل ما يحكم أريدوان لم تعمل بكلامى ولا يدخل أذنيك فلابد من شري ان يوصل اليك فعند ذلك أظهر له الامير بيبرس الخوف والتوجع وقال له ياابى انا من تحت أمرك

ونهيك فقال له مرحباً بك والعدل جالسا وقال له أنت ياولدي بان لي عليك انك تحب الكيف وها أنا عندي بنت بكر عذره جميله أتتني في هذا الوقت وذكروا لي خدامي انها بنت القاضي فدعنا نفعل بها أنا وأنت ونزيل بكارتها حتى يأتوا لنا الغلمان بغيرها فقال له الامير بيبرس يا أبي عمرك كم عام قال له مائة عام وأربعة أعوام فقال له هذه المدة قضيتها في المعاصي اتق الله تعالى وتب اليه ولو عشرة أعوام لعل الله سبحانه وتعالى يقبلك ويرحم هذه الشيبة التي شابت في الفسق والضلال ولم ترجع عن فعل الجهال فلما سمع أبو سيفين هذا الكلام قال له أنت جيت تتوبني بدخولك الى عندي ياعلق الاكراد ثم انه جرد حسامه وضربه ضربة سيار فكان الامير حارسا على نفسه فتلقاه على الدت فانقسم الحسام نصفين وضربه بالدت على دماغه ألقاه الي الارض بعد أن كاد يقضى عليه من شدة تلك الضربة وفي عقب الضربه صاح الله اكبر أنا الامير بيبرس فسمعت الاسقار فكبروا وهم مجردين السيوف وصاح عثمان شد حيلك ياجدع ودخلوا المماليك مع باقي الخدام وقبضوا على العبيد بأجمعهم وجمعوا كل من كان في الدار وكتفوا منصور أبو سيفين ولما تهيأ الفراغ من ذلك الاشغال جلس الامير بيبرس مكان أبو سيفين وأمر باحضار العبيد ثم باحضار خدامين أبو سيفين فلما حضروا أمر بضرب رقابهم فقالوا له لاتفعل أيها الامير فنحن كلنا تائبين على يديك ونكون في خدمتك من وقتنا هذا الى أن نقضي أعمارنا فقال الامير بيبرس مرحبا بكم خذهم يا عثمان واطلقهم ثم أمرهم أن يأتوه ببنت القاضي فقالوا له سمعا وطاعة وفي الحال أحضروها بين يديه فأعطاها خمسين دينار وأمر اثنين من أتباعه أن يصلوها الى أبيها ولما وصلت الى أبيها أخذها وقبلها بين عينيها وسألها عن العرض فقالت له مثل الحليب فحمل يثنى على الامير بيبرس ويدعو له بكل ما يقدر عليه (قال الراوى) وبعد ذلك التفت بيبرس الى منصور أبو سيفين وقال له أنا طالبك أن

تتوب عن الضلال فلم تقبل كلامي ولـكن السعيد من القدم والشقي من القدم لا راد لقضاء الله عز وجل ثم أمر بصلبه على باب الدار فصلبوه وراح لعنه الله عليه وداوت يد الامير بيبرس على الدوار ومافيه من مال و نوال وأمتعه ونوق وجمال وخيل وغير ذلك وأمر ببناء هذه الدار قصراً عظيما وبنا فيهـا أيضاً حمام وكل أهل الجيزه ساعدوه لانهم كبر خوفهم منه وارتعبت قلوبهم لانه قد شاعت سطوته على أهل الجيزه وزادت هيبته عندهم وبعـد ذلك ترك البنائين في أشغالهم وأقام هو في محل حكمه فعند ذلك تقدم له الاسـطى عقيرب وقبل يده وقال له أنا خديمك مدة حيـاتي وأنت الذي مالك رقبتي فالذي أرجوه منك يا أمير تخطب لى بنت الشيخ محمد القاضى فقال له الامير يا عقيرب لو كانت بنتي كنت أعطيها لك وانما أنا أرسل الى أبيها ثم انه فى ساعة الحال أرسل الى أبيها فلما حضر أخبره بطلب عقيرب فقال له سمعا وطاعة فعند ذلك أمهرها الامير ودفع مهرها وشرعوا فى الافراح ثمانية أيام ودخل عقيرب بها فوجدها عذري فتملى منها بالحسن والجمال والقد والبهاء والاعتدال وأزال بكارتها وبلغ المقصود وأكمد كل عدو وحسود (قال الراوي) فعندها اغتاظ عثمان وقال فى نفسه كيف أن عقيرب يتزوج وعثمان يبقى من غير زوجة مع أن عثمان أكبر مقام فعند ذلك دخل على سـيده وقال له شوف يا أشقر اما أن تزوجنى مثل ما زوجت الولد عقيرب والا فلا أخدمك أبداً سـبوح قدوس الخدمه ما هى بالدبوس فقال بيبرس يا عثمان خليك معى لا تتزوج فقال عثمان هذا لا يمكن أنت تقدر على نفسك وأما أنا فلا أقدر فقال له بيبرس روح من هنا الى أمك فى مصر وقل لها اخطبي لي زوجه وهى تخطب لك كما تريد فقال سمعا وطاعه وتركه وسار من الجيزه الى أن أقبل الى أمه الحبلى وقال لها ان الجندي قال لي خلي أمك تخطب لك وأنا جيتك قومى واخطبي لي فقالت مرحبا يا ولدي نهار مبارك فقال لها عثمان أريد أن تخطبي لي بنت تكون بيضه

بترا وتكون تكتب وتقرأ وعلى ذقنها شامة خضرا وعلى خدها وردة حمرا فقالت له سمعا وطاعة وتركته ونزلت وقد خطر ببالها انها لم توجد هذه الصفة التى أخبرها بها عتمان ولم تعلم بانه من أهل الكشف فسارت غزيه الحبله وأخذت معها بعض جيرانها من حارتها ونزلت وصارت تتنقل من مكان الى مكان ومن حارة الى حارة الى أن وصلت الى السيدة زينب فدخلت الى مقام السيده زارتها وقالت لها يا سيدتى خديمك يريد أن يتزوج وبعد ذلك طلعت ودخلت الى حمام السيده ودخلت بين النساء والبنات وتأملت واذا بهما رأت الصفة التي كان طالبها عتمان فقالت غزيه تبارك الله أحسن الخالقين ثم انها تقدمت اليها وقالت لها يا بنت ما اسمك فقالت اسمى خضره فقالت لها وأنت تقرئى قالت نعم انى أقرأ وأبى يقرأ فقالت لها بكر أم ثيب قالت أنا بنت عذرى قالت لها وأين أبيك قالت انا أبى قاضى الجيزه ولي أخ اسمه الشيخ محمد وهو الآن قاضى الجيزه من تحت أبيه وكان له بنت وأخذها أبو سيفين وخلصها له كاشف الجيزه وقتله وتزوج بها عقيرب سائس الكاشف فقالت غزيه الحبله أنا أريد أن أزوجك الى ولدى عتمان سائس الكاشف فقالت لها يا سيدتى أمرى لابى لانى لا أملك نفسى الا برضاه فتركتها غزيه ومضت الى ولدها عتمان وأعلمته بالخبر فقال عتمان وأبيها قاضى الجيزه قالت له نعم فرجع عتمان الى الجيزة ثانيا ودخل على الامير وقال له يا اشقر أمى لقيت لي عروسه وأنت الذى تخطبها لي فقال بيبرس طيب ومن هو أبيها يا عتمان قال أبيها قاضى الجيزه فقال له امضى اليه وانتنى به فقال عتمان سمعا وطاعة وأخذ النبوت وسار الى مكان الشيخ أبو البنت خضره وأقبل اليه ومسكه من خناقه وقال له قم سر معى الى عند القاضى الجندى وصار يضربه بالنبوت وجره حتى قدمه الى بين أيادي الامير بيبرس وهو على تلك الحالة فلما رأى الامير ذلك صاح على عتمان فتأخر وقام الامير الى الشيخ وتلقاه وأجلسه الي جانبه واستعذر اليه من فعل عتمان

وقدم له الشربات فشرب وجعل الامير بيبرس يلوم عثمان على فعاله وهو يقول أنا مافعلت به ذلك الا لاجل أن يحسب حسابي ويكرمني فقال له الامير يامولاى الحق عندنا وأنت تسامحني في جميع مافعله معك عثمان فقال الشيخ الله يسامحك أنت واياه ولما استقر به الجلوس طلب الامير القهوة والشربات ثانيا ومازجه حتى أنه صفى خاطره وراق فقال له الامير بيبرس يا مولانا أنا جئتك خاطباً راغباً فلا تردني خائبا فى ابنتك السيدة المصونة والجوهرة المكنونة السيدة خضرة فقال له يا سيدي مني جارية اليك وأبوها خادم بين يديك قال وكان ظن الشيخ أن بيبرس يخطب البنت لنفسه فقال له يامولاي ماهى لي وانما هى لخديمى الاسطى عثمان فلما سمع ذلك نقض وضوءه وقال يا أمير أنا ليس عندي بنات وما كنت الا أمزح معك فقال له الامير لأى شيء قال له أنا لم كنت أقدر عليه وهو بعيد عني وقد نظرت أنت مافعل بى فكيف اذا كان يناسبنى فقال له الامير يا مولانا لا تخاف من شيء أبداً فقال له اذا كان الامر كذلك يا ولدي فلا بد لك أن تجيء الى منزلي واخطبها مني على رؤوس الاشهاد وهي جارية لك ففهم الامير معنى كلامه وقال له الامير يا مولاي سمعا وطاعة ثم أن الشيخ انصرف من تلك الساعة وعثمان بقي واقفا قدام سيده وقال له كيف رأيت يا دولاتلي فقال له الحق معه يا عثمان ولكن هيا سر بنا الى منزل الشيخ القاضي حتى أخطب لك ابنته ثم أن الامير قام وقال سر يا عثمان قال عثمان ايش نعمل قال له الامير نعقد العقد قال عثمان هو معقود وأشار بيده الى السقف فقال الامير ما هو عند السقف قال عثمان وايش يلزم بلا هتيكة قال بيبرس لا فيها هتيكة هذا العقد بين الزوجة والزوج سنة النبى صلى الله عليه وسلم فقال له عثمان افعل ما بدا لك فعند ذلك نهض الامير وتبعوه الاسقار والمماليك والاكابر من الناس وساروا الى أن وصلوا الى منزل القاضي وكان الامير قبل ذلك أمر

الخزندار حسن شمنتري أن يرسل السكر والحلاوات وكل مايحتاجون اليه من العطورات واللوازم الذي يختص بها عدا الـكلام ولما وصل الامير نهض له القاضى قائما على الاقدام وتلقاه بالتحية والاكرام هوومن معه وفرح بقدومهم الفرح التام وأجلسهم في أعلا المكان وبعد ذلك قرأوا الفاتحة وطلبوا عقد النـكاح فأرسل الشيخ وأحضر رجلا عالما لاجل أن يعقد عقد النكاح فنظر عثمان اليه واذا به أعمى فقال عثمان ان هذا لا يعرف يعقد لانه أعمى ولا يعقد الا الصحيح فقال الامير اسكت يا عثمان هذا رجل صالح ثم تقدم الشيخ وجلس القاضى أبو العروسه بين يديه وعثمان وأقبل عثمان فقال له الشيخ مد يدك فمدها له فظن عثمان انه يقول له مرحب فضرب يده على يد القاضى كادأن يخلع له زنده فقال الامير بيبرس ايش هذا يا عثمان قال هو الذى مد لي كفه وكان رايح يقول لي مرحب قلت له أنا قبله فقال له الامير يا عثمان لا بقيت تفعل هكذا فقال عثمان طيب ثم قام الامير وأجلس عثمان وأخذ يده ووضعها فى يد القاضي وعقد الشيخ عقد النكاح وأمهرها الامير بخمسمائة دينار حكم ما اتفق عليه الشرط وبذل له بعد ذلك في العطا والاحسان وزغرطت النسوان وأعطى الامير الي الرجل الذي عقد العقد خمسين دينار وضربت الطبول وفرح الاسطى عثمان بزواجه فعند ذلك قال الامير بيبرس يا عثمان أنا مرادي أن أعمل لك فرح عظيم ما سبق به أحد غيرك من الناس فقال له عثمان لاى شيء يادولاتلي أنا ما مرادي نعمل شيئا وانما آخذها الى عند أمي غزيه الحبله وهى تزوقها وادخل بها من غير أن يدرى أحد من الناس فقال له الامير لا بد أن تدخل بها هاهنا فقال له عثمان أنا أروح الى مصر واعلم أمى انها تحضر الى هنا مع العروسـه فقال الامير هنا مناسب ثم أعطاه كيسا من الذهب لاجل المصروف وأمره بالمسير الى أمه فسار عثمان طالب مصر وتوجه الامير بمن كان صحبته الى مكانه (ياساده) وأما عثمان سار من حينه مجداً في المسير الى أن وصل الى بيت أمه ودخل عليها

فتلقته وسلمت عليه فقال لها يا أمي قضي الأمر وتزوجت بالبنت خضره والجندى
حلف بالاقسام أن يعمل لى فرحا عظيما وأمرنى أن آتيك لاجل أن تروحي الي
هناك وتزفي على العروسه وتعزمى النساء وانا أعزم الرجال ولازم يا أمي أن
تعزمى الملكة شجرة الدر فقالت سمعا وطاعة ثم تركها عثمان ونزل من هناك
الى سوق السلاح الى شيخ السيوفيه فبينما هو جالس والنبوت بين اكتافه
وقال له آخ قال عثمان الفاتحة وان الاشقر رايح يطاهر اجمع رجالك ولاتترك
منهم أحد وسر الى الجيزه لتحضر الفرح وان تأخرت لا يكون خصمك الا هذا
النبوت فقال له سمعا وطاعة ثم أن عثمان تركه ومضى الى شيخ الجوهرجيه وفعل
معه كذلك وأيضا شيخ السراجين وشيخ البرادعيه ولازال يدور على مشايخ
الحرف شيخا بعد شيخ حتى نبه على جميع الطوائف وما منهم الا من أجاب
بالسمع والطاعة ثم ان عثمان سار الى الديوان فهذا ما كان منه (قال الراوى)
وأما ما كان من الملك الصالح فانه بات وأصبح وصلى على نبي في كفه الورد
فتح ظهر وجلس على تخت قلعة الجبل وحمد القديم الازل تكامل الديوان بالمساكر
والرجال حتى بقى كأنه زهر البستان ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته
الجلوس جلس ثم قرأ القارىء وختم ودعي الداعى وختم ورقى الراقي وختم
آمنت العساكر ترك وعرب وعجم صاح شاويش الديوان وهو لايخاف الموت
ولا يرهب الفوت وأنشد يقول

يا من يحكم فى ملكه وأصبح ما لك انظر فى نفسك كم ملك أصبح هالك
العدل أمان ومن عدل حق سلك والظلم دمار ومن ظلم لا يتمالك

قال الراوى فقال الملك آمنا بالذي لا اله الا هو يا حاج شاهين عطية الله لا يمنعها
مانع لكن ان شاء الله مبروكة عليه وأما الذي يجري بتقدير العزيز العليم
سبحان من يعلم بالحال فقال الوزير نعم يا مولانا السلطان فبينما الملك يترنم
بمثل ذلك واذا بعثمان طالع يخبط بالنبوت على باب الديوان وهو يقول ياليل ياليل

قلبي عشق بنت ترعى فى جزاير مر   بجوز عيون سود ترمى كل فارس مر
طلبت منها الوصال قالت وصالى مر   روح وان هفك الشوق كل ساعة مر

(قال الراوي) قال الملك اهلا وسهلا بالشيخ عثمان فقال له عثمان لا أهلا ولا وسهــلا يامعلم صالح قال له الملك على شان ايه غضبان علينا يا شيخ عثمان قال عثمان الجنــدى ضربني وطردني وحلف على يمــين لاعاد يقبلنى الا اذا عزمتك انت وابو فرمــه وان كنت ماعزمتك ينبطى قال حتي الملكة تروح كمان لاجل تحضر الفرح قال الملك الصالح فرح ايش ياعثمان قال عثمان مرادى نطاهر الجنــدى قال الملك وان جنـديك ياعثمان الى الآن من غــير طهارة قال عثمان نعم وحيــات رأســك قال الملك اذا كان الامــر كذلك نروح أنا والملكة ابنــة عمى لاجل خاطرك ياعثمان فقــال عثمان احنا ما عنــدنا اكل خذ طعامك معك وانت يابو فرمه كمان مثله قال الملك يا حاج شامين أعطيه جميع ما كان يحتاج اليــه من التكرار بتاعنــا قال الوزير سمعاً وطاعــة ثم أن الوزير فتح الكرار وارسل الى فرح عثمان كلما يحتاج اليه الطباخ مع الخــدام من عسل وسكر وارز وبهارات واشربة واغنام مايقوم بالفرح وزيادة وكذلك للفراش شموع مــكوفرة وشمع اسكنــدراني ابيض واصفر واحمر وزيوت للقناديل وأرسل عشرون قطعة نجف بزجالتها التى تخدمها مستوفية الشروط وأما غزية الحبلة أم عثمان فانها طلعت الى السراية وقبلت يد السيــده فاطمة شجرة الدر وأعلمتها بزواج عثمان ففرحت وقالت لا بد اننا نروح ونتفرج على عروسته فهذا ما كان من هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه صار مقيم فى الجيزة وهو منتظر قدوم عثمان حتى يجيب أمه ويحضر من مصر لاجل ان يشرع له فى الفرح فما يشعر الا وفراشين الاغا شاهين اقبلت حالا ومدت صوارى خشب وجعلوها رياحات في الحصاء ونصبوا التريات وكذلك بيت الوسيــة ورسموه بالنجف

وأقبلت الخدام ومعها الطباخين وما يحتاج الكرار وما يحتاج المطابخ وبعد ساعة قدمت فراشين السلطان ونصبوا الوتقات ومدوا المادات وقامت الصوارى وبعد ذلك حضرت فراشين الوزير ايبك فانصرع بيبرس وقام طلع الى محله يأمر خدامه بتصليح المحل فوجد غزية أم عثمان واقفة لاجل تصليح محل الحريم وما تم ذلك النهار حتى بقى بر الجيزة كانه معرض هيمون بالخدام والخيام والسرادقات والاعلام وفى صبيحة ثانى الايام حضرت مشايخ العرب بجمايعها وكل طايفة صحبتها حريمها واولادها ونصبت الخيام هناك قال بيبرس ماحضور السلطان والوزير والدولة لابد يكون الملك له عادة بذلك وأما الطوايف ياهل ترى لاي شيء جايبين من مصر وطالعين الي هنا ثم أن الامير ركب ومر على الطوايف وكل مامر على طايفة يفرحون به ويقولون له نهار مبارك ربنا يتمم بخير قال الامير ايش الخبر قالوا له يا امير نحن عزمنا الاسطى عثمان وامر باحضارنا كما تري فقلنا له سمعا وطاعة وها نحن قد حضرنا قال بيبرس ولاى شيء فعل ذلك قالوا له والله يا سيدى ماندري على شيء فقال الامير بيبرس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هتكنى عثمان ولكن ان شاء الله تعالى يحصل خير ثم أنه أمر المنادى ينادى أن يكونوا الحريمات فى خيام وحدهم من غير رجالهم وكذلك الرجال يكونوا فى خيامهم من غير نسائهم لاجل أن يكونوا ما لكين رشدهم فى لهوهم ولعبهم وطربهم وانشراحهم وقد تم الامر كذلك حتى صار البر مثل البحر العجاج المتلاطم بالامواج من كثرة الخلايق وقد اقاموا فى زهو وانشراح الى تمام الثلاثة ايام وفى اليوم الرابع اقبلت ارباب الملاعيب مثل البهلوانات والحواة والقردة والمغانى والآلات وكل من كان يتعاطي مثل ذلك وطلعت أولاد مصر على حسن ذلك ونصبوا الوطقات والسرادقات وعلقوا الثريات وطلقوا البخور من العود والند والمسك والعنبر والكافور وترتبت منهم الامور واقاموا على هذا المنوال الى أن كان وقت العصر

وإذا بالمدقع قد تكلم من البحر حتى أزعج الجيزة وهذا من كثرة ضربه فتبينوه الرجال وإذا بالذهبية أقبلت بحريم السلطان وقد أقبلت الملكة شجرة الدر ومعها هدية عظيمة يكل عن وصفها اللسان وكذلك حريم الوزير الأكبر الاغا شاهين الافرم وكذلك حريمات الدولة وكل منهم أتى بهدية عظيمة فعند ذلك نهض الامير بيبرس وأمر بضرب الخيام ودوارة المطبخة الكبيرة وبالشربات واصطناع الحلاوات ولما تهيأ الفراغ من ذلك أقبل الوزير الاغا شاهين بكل من كان يعز عليه من المحبين فتلقاه الامير بيبرس وأجلسه وشرع له في الاكرام والانعام ولما كان يوم الخميس أقبل الملك الصالح أيوب وأرباب الدولة والقاضي وأبيك وقد امتلأت الارض بالطول والعرض بما فيها من الخلائق والامم (يا ساده يا كرام صلوا على بدر التمام) فنهض بيبرس والوزير الاغا شاهين وتلقوا الملك والدولة وقد أجلسوهما ودقت الطبول وزمرت الزمور ثم دارت النوبة التركية والنقرات الامانية وكل من أمير ملكيه ولعبت البهلوانات وكان فرح ليس له نظير وقد أقبل عثمان الى سيده فلما رآه سارره في أذنه وقال له أنت من قال لك اعزم السلطان يا عثمان وافعل هذه الفعال فقال له عثمان أنا لما رحت من عندك رأيت أبو قوطه يتفرج في الرميله فلما رآني عرفني وقال لي يا عثمان قلت له نعم ما تريد قال أريد أن سيدك يعزمني عنده فقلت له احنا ما عندنا فرح ولا غيره فحلف بالطلاق الا ان يعزم وقد شرط أن يجيب أكله في يده هو ووزيره فقال الامير هو الملك يحلف بالطلاق قال نعم يا شلباي وحيات نفسك وان كنت زعلان منه أنا أقول له يقوم يروح فقال له الامير يا عثمان احرصا تتكلم بشيء من ذلك قال عثمان المسلم صالح جاب أكله معه والوزير يعني هيا رجعة أبو الفرج هيا أروح أطردهم والسلام فقال له الامير اتق الله ومن الذي أعطى السيدة فاطمة شجرة الدر قال ما يعطيها الا الملك صالح وأنا أروح أطردها قال الامير يا رجل لا تطرد جماعة سادتنا وانا

مماوكهم يبقى العبد يطرد سيده هذا وقد دارت المطابخ ولما كان في يوم الخميس المبارك ليلة الجمعة زفوا عثمان وأدخلوه على العروسة من بعدما جلوها المواشط كما يليق بحريمات زواج الابكار وأقبلت على عثمان كأنها الغزال المطشان أو كأنها غصن بان في كثيب زعفران والمواشط حولها حتى قدموها الى بين أيادي عثمان ونظر عثمان اليها وهي بين يديه فعند ذلك كبش من الذهب كما عرفه سيده الامير بيبرس ووضعه على رأسها وأخذها من يدها وهو فرحان ودخل بها محل الخلوة وكشف عن وجهها فوجدها على رأي من قال هذه الابيات صلوا على سيد السادات صلى الله عليه وآله وسلم

وسيف لحاظ الحب في الغمد ساكن فكم من قتيل مات والسيف مغمد
لانهم ذوي الالحاظ حازوا الشجاعه تذل لها الآساد فى الغاب اذ بدوا
اذا جردوا بان الضيا من جفونهم فما قاصد الا غدا وهو شارد
يفوقون للقلب السليم من الهوى تولع بنا طوعاً وللبحر يورد
لهم سحر الاجفان ان صاب ميتاً يقوم صحيح سالم الجسم راشد

قال الراوي فلما أقبل عثمان تقدمت اليه وقبلت يده وجلست وسط الفراش فجلس بجانبها وجعل يلاعبها الى أن تحكمت التحاكيم وأرادوا أن يجربوا انفسهم في القتال فجرد عند ذلك حسامه واشار اليها به فاشارت اليه بالترس فوقعت معه الحماقة فركب المدفع النضبان على ذلك البرج المشيد وأطلقه واذاقا انهدم السور وزج المدفع فيه حتى أخربه وانحطت رأسه الى قلب القلعة فسالت الدماء ممن كان هناك من أهل الحصن وكان هو الغالب عليها ولما رأت القلعة امتثلت امره فرتب عليها الخراج فدفعت له سبعة أعوام الى قدام يا ساده ولما كان من الامر ما كان ودخل عثمان واخذ وجه زوجته وجامعها فحملت منه من وقتها وساعتها لاجل اراة الله تعالى وبعد ذلك نزل عثمان الى الملك وباس يده والوزير وبد سيده وباس

يد المقدم صقر اللوالى والمقدم صقر الهجان ووقف عثمان عند سيده فى خدمة الملك الصالح أيوب كما هو واجب عليهم ياسادة اسمع ما جري من أمر القاضى وهو الملعون جوان والوزير أيبك الترجماني فانهما كانوا الاثنين بجانب بعضهما في الخيام لانه كان صيوان الوزير أيبك بجانب صيوان القاضي فلما نظروا الى تلك الاحوال ضاق صدر أيبك وكاد أن ينفطر فاقبل القاضى وقال له هذا رجل فلاح خطاف عمايم وعمل مثل هذا الفرح العظيم وأنا اسمى الوزير أيبك والله ما يخرج من يدى اعمل فرح مثل هذا الفرج الذي عمله عثمان الفلاح خطاف العمايم وأنا يا قاضى عندى ضيقة صدر فدبر لى شيئا يكون منهم غمهم وحظى أنا يا قاضى أنا فى عرضك احسن ايبك متاعك يموت فقال له القاضى سمعا وطاعة

وكان الملعون جوان له عياق تأتى اليه من بحيرة ايغرة لاجل يطلعهم على افعاله ومهامه ويقضوا له اشغالة وفى هذه الايام قدم عليه اثنين من العياق فاحدهم اسمة المقدم بحرون والثانى سترون والاثنين عياق اولاد زنا كل واحد منهم يسبق الشهر بعمله وفعله فكتب القاضى كتاب واعطاه لغلامه منصور وهو البرتقش وقال له يا فليونى امضى الى حارة الروم اعطي هذا الكتاب الي الاثنين العياق فأخذه البرتقش ومضى الى حارة الروم فرأي الاثنين العياق فاعطاهم الجواب فعرفوه وقرأوه واذا هو من عند عالم ملة الروم والامر المحتوم الى اولادي عياق بحيرة يغره سترون وبحرون حال وصول كتابى هذا اليكم تلبسوا ملابس اسلام ثم تحضروا الى الجيزة حالا وتنزلوا على السراية التى فيها عثمان وزوجته وأن أمكنكم ذلك اقتلوا عثمان وخذوا زوجته فلما قرأ الجواب على بعضهم قالوا سمعا وطاعة ثم انهم غيروا ملابسهم بملابس الاسلام وتوجهوا الي الجيزة وهم فى صفة الاسلام وانحشروا مع الخدام ومع كثرة الخدام فلم أحد التفت اليهم ولا سأل عنهم فصبروا الى الليل وتمكنوا من السراية وارموا تقة بنسج

فشموها النساء فرجو قلبوا ودخل الملعون بحرون أخذ السيدة خضره وهي عروسة الاسطى عتمان بن الحبلى ووضعها فى جمدان وزر عليها اربعة وعشرين زر وعروة وشالها على كتفيه النبي صلوا عليه وكان الخبر عند الملعون حوان ولما فعلوا ذلك تلقاهم جوان وقال لهم يا اولادى سافروا بها الى قلعة الصخور وخذوا هذا الكتاب اعطوه الي ملك القلعة البب اصطافور يعمل بما فيه وأما انتم اجرتكم عندي كل واحد منكم له ماية سنة زيادة فى عمره واعقد لكم كل واحد ماية عقدة كل ما تفرغ سنة حل عقدة حتي يتم المائة سنة واذا أردت ان تعيدها ثاني مرة يبقي عمرك بيدلا تحل فيه وتربط خلاصك ولا أحد يمنك الا اذجاءت لا تخليك تحل ولا تربط وكان يااولادى اوهبت لكل واحد منكم خمسين فدان فى سقر وعشرة مصاطب في الهاوية وعاهدهم على تلك الاجرة انها تبقى لهم منه واخذوا ذلك البنت وتوجهوا بها الى قلعة الصخور في بلادالروم يسلموها الي الملعون اصطافور يكن لهم معنا كلام اذا اتصلنا اليه تحكى عليه العاشق فى جمال النبي يكثر من الصلاة عليه (قال الراوي) وأما عتمان لاجل عمره كان ذلك الوقت نزل يقبل يد الصالح كما ذكرنا وسيده والوزير وأما لوكان حاضر عندها وكانوا رأوه كان لا بد ان يكشف سترهم ولكن عتمان يعرف جيدا حق المعرفة بأن هذه العروسة تزوج ثم يظهر عليها الحمل ترزق ولد يسمي سيد محمد الغندور ويكون عايق أهل زمانه يكون له معنا كلام ياسادة واما عتمان فانه بات فى خدمة سيده وهو ممتثل لقضاء الله وقدره الى أن اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وسلمت علي قبر النبي زين الفلاح فطلع عتمان الي القصر ينظر وجه عروسته لاجل ان يفرح بها فوجد على رأى من قال

ساروا وسار الربع يندبه السري ان قلت بانوا اين مثلك بانوا

فاسأل منازلهم تجيبك يا فتى　　كانوا بهـا وكأنهم ما كانوا

فرأي جميع النساء مبنجين والعروسة زوجته قد فقدت من دونهم اجمعين فنزل عتمان يجرى وهو يبكي وينوح فقال له الامير بيبرس ما لك يا عتمان فقال عتمان ياجندي العروسه راحت ياحسرتى ما شبعت منها ثم أن عتمان دخل يجري على الصالح وقال خذوها يا معلم صالح فقال الصـالح يعوض الله يا عتمان حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا قاضى هذه حكمة الله لا بيدك ولا بيدي أسأل الله الـكريم رب العرش العظيم بحرمة النبي والملائكة المقربين ان كل من تسبب فى هذا الفعل لا يموت الا على دين الـكفار مقطع على عربة ويحرق فى الرميله بخرا الـكلاب قول آمين يا قاضى فانها سبقت فى علم الله قال القاضى آمنين آمنين ثم أن الملك تودع من بيبرس وقال لعتمان يا عتمان اسكت بقى كن من كتامين الاسرار لا تكن من كشافين الاستار وتودع من بيبرس وتوجه الى المحروسه وكذلك الاغاشاهين وأرباب الدولة جميا وكذلك مشايخ الحرف وأما القاضى والمعز أيبك فانهم حصل لهم العز الشامل وأصبح بر الجيزه غالي لا فيه أحد وأما عتمان بكى على زوجته والامير بيبرس بكى على بكاه فقال المقادم يا دولاتلي هذه الفعلة ما هي فعلة فلاحين قال بيبرس أنا لو كنت أعلم الخصم يا مقادم كنت أخلص حق خديمي ولـكن ما أعلم لي غريم (قال الراوي) ولما كان فى ثانى الايام قام الامير بيبرس صلى فرضه وختم ورده وتذكر مصيبة عتمان وكونه لم تهنا فبكي واذا بعتمان داخل عليه وقال له يا أشقر العروسه عروستى وأنا ما بقيت عاوزها فى هذه الايام وانما حصل شيء أقبح من هذا وهو أن المهارة الذي لك انسرقوا بمـا عليهم ولـكن يا أشقر الذي أخذ أخذ قيمته فقال الامير ياعتمان أنا ما أبكى الا عليك ولـكن ما الذى سرق الخيل وكان فى أى وقت فى النهار والا بالليل فقال له عتمان أنا أحكى لك وحد الله قال الامير بيبرس لا اله الا الله فقال

عثمان اعلم يا جندي اني كنت قاعد فى الاصطبل وكان الوقت في النصف من الليل فدخل عليّ جماعه كلهم عريانين ولكن ما عرفتهم ولا هم من بلدنا ولا من قرايبنا ولا عمرى رأيتهم وحياتك الا النوبة فقلت لحالي لما أشوف رايحين يعملوا ايه ولقيت جماعة منهم ماسكين الباب والباقى مرصوصين جنب بعض فقلت لما أشوف رايحين يعملوا ايه واذا هم صاروا يحلوا الخيل واحد بعد واحد وأنا أنظر اليهم لكن أقول لك الدغرى يا جندى بقيت خايف منهم ولا قدرت أتكلم ولا أتحرك وأنا ساكت لما حلوا الجميع وأنا خايف لا ينبطونى الى أن أخذوهم وطلعوا وراحوا لحال سبيلهم وأنا ساكت لا أتكلم أبداً وهذه حكايتى والسلام (يا ساده) ولما سمع بيبرس ذلك الكلام صار الضياء في عينه ظلام وقال له يا خاين اذا كنت قمت الصياح كنت أنا أدركت وكنت فى تلك الساعة لحقتك فقال خفت أن يهجموا عليّ ويقتلونى فعند ذلك حط يده الامير بيبرس على اللت العشرة أرطال وطلب عثمان فنظر عثمان الى ذلك وشاف الغيظ على وجهه فتركه عثمان وسار يجرى قدامه فعندذلك جرى وراه بيبرس وما زال عثمان يجرى وبيبرس خلفه وقد حمله على ذلك الغضب فبينما هو كذلك اذ أقبل من كبد البر رجل أعرابى وهو مقبل من ذلك الروابى فلما رآه عثمان قال لبيبرس هذا الذى سرق الخيل بالامس فتقدم الامير الى البدوى وقال له يا شيخ أنت من أين والى أين تريد فقال البدوى لعلك أنت الامير بيبرس قال له نعم فقال له يادولاتلي أنت انسرقت خيلك قال نعم فقال له روق ذهنك وريض أنا أعرفك طريق خيلك لكن لما تسمع الحكاية قال الامير قل حكايتك فقال الاعرابي لما تروق ذهنك وتلقى الي سمعك وتكثر من الصلاة على سيدنا محمد فقال بيبرس اللهم صل وسلم عليه فقال له الاعرابي اعلم يا دولاتلى أنا رجل شيخ عرب واسمى علي الخبيرى وأنا رجل عارف بالله تعالى أصلي الخمس أوقات وأصوم رمضان

وأخاف الله وأنا شيخ عرب مثل خضر البحيري ولما شاع الخبر بأنك أخذت الجيزة فاتاني خضر البحيرى وقال لى تعالى معى وعاونى على قتل بيبرس كاشف الجيزة فقلت له لاي شيء تقتله ولاي ذنب فعله معك يستحق أن يقتل فقال ذنب ما عمل وانما اذا قتل تبقى ولاية الجيزه لنا دون غيرنا فقلت له اتركه بلا طمع نفس فارغ أنت شيخ عرب وأنا شيخ عرب نحكم علي العرب والكاشف الذي تحكى عنه لا هو أذانا ولا تعدى علينا ولا عليه لنا شيء اترك سبيله والسلام فقال لا يمكن ذلك ولا بد من قتله فقلت له انا لا أفعل ذلك أبداً فقال أنا له كفوا بنفسى ثم انصرف من عندي وجعل يدبر أمره فلما جن الليل عليه رأيت فى منامي السيدة زينب رضي الله عنها واخبرتنى وقالت لي يا علي قوم اسأل على بيت الامير وأخبره بالقصه من أولها الى آخرها واعلمه بأن خضر البحيرى هو الذي سرق الخيل فانتبهت من منامي وقصدت اليك وقصدي أن أعلمك فبينما أنا سائر وجدتك تجرى خلف عتمان فلما سألتنى حكيت لك بالذى جرى وهذه قصة خيلك والسلام (يا سادة) فلما سمع بيبرس ذلك الكلام تعجب من هذا المرام ورجع عن عتمان وقال والله لقد أخبرتني بما فيه الصواب ولكن وحق مقام السيدة زينب صاحبة القناع الطاهر أن اخذ ربي بيدي فانى أعطيك صنجقية التزام لنفسك اذا أراد الله تعالى ونصرني ربنا على خضر البحيرى ثم اقيدها لك في الرزنامة من بعدك لذريتك فقال له علي علي الخبيري يا دولاتلى اذا أردت ذلك فأنه والله قريب ولا يطلع النهار الا وهو في قبضة يدك أسير فقال له بيبرس وكيف يكو ذلك اعلمني حتى أعرف كيف يكون فقال على الخبيرى اعلم يادولاتلى ان خضر البحيري جامع قبائل العرب من بري البلد وهو من هنا الى نجعه مسيرة ساعة فلذا اردت ذلك انا اركب واخذ معى جماعة من عربى واروح اسلم عليه وأقول له انا رضيت ان اكون معك علي قتل الكاشف ونتعاون سوا لكن تلبس أنت وجماعتك لبس

عرب لاجل اذا شافكم لم يتزاول منكم مره معي انت والفداوية والمماليك
وكلما كان يتبعك وادخل أنا وانت على خضر البحيري واخاطر معك بروحي
والرجال اتباعك واتباعي يحتاطون بالعرب ذات اليمين وذات الشمال وان الله
يعطى النصر لمن يشاء وهو الكبير المتعال فقال له الامير هـذا هو الصواب
والامر الذى لا يعاب ثم أن الامير أخـذ شيح العرب الخبيري ورجع معه
الى بيته وخاواه على الطعـام كما تفعل العرب الكرام وتحالفوا على العهـد
والزمام وقام فى الحال الامير بيبرس لبس ملبوس العرب وكذلك فعل صقر
اللوالى وصقر الهجان وعمـلوا لهم رايات يعرفون بعضهم بها ويتميزون بها
عن غـيرهم وساروا ولم يزالوا سائرين الي أن وصـلوا النجوع وكان خضر
البحيري جامع عربان بكثرة وفي هـذه الليلة يروح الى كاشف الجيزة وتأمل
رأي شيح العرب عل الخبيري قادم عليه فقام لهوتلقاهوفرح بهوا كرم مثواه
وقال له مرحبا بشيح العرب من الذي معك فقال له هـذا شيخ العرب محمود
ففرح به وجلسوا جميعاً وكانوا عربان الخبيري وجماعة بيبرس احتاطوا بالنجوع
من سائر الجهات وكان خضر البحيري عامل جموع افراح وعنده جارية ترقص
فى وسط الرجال فلما استقر بالقوم الجلوس رقصت الجارية قـدر ساعة من
الزمان وبعدها أتت بالرق لتأخذ فيه عوايدها من العرب ثم صاحت وقالت
شويش في صحايف مشائخ العربان وأول الوقوف كانت قدام خضر البحيرى
وكان لهـا الستري بتاعها اسمـه صبح فلمـا وقفت قـدام خضر البحيري
ومدت الطار فد يده وأرمى لها فى قلب الطار جديد مدور وودىمن الذي
كل عشرة ذلك الوقت بدرهم فضـة فصاحت الغازية شويش على حيـاة سيخ
العرب البحيري وبعد ذلك انتقلت الي واحد آخر فاعطاها كوز دره فمدحته
وبعدها واحد آخر اعطاها شوية شمير وهى مع ذلك تمدح كلمن اعطاها ولا
زالت على ذلك حتي انها ملأت الطار شمير وملت حجر صبح نحو عشرين كوز

دره وبنجوه عن قدح شعير ولا يكون معها شيء منقوش من صنف المعاملة الا الجديد بتاع شيخ العرب خضر البحيري فقط وأما باقي المشايخ ما بين شيخ العرب غنضور وبزبود وزعيط ومعيط ونطاط الحيط وزريط كلها مشايخ عرب من مثل هذه الاسماء لم يعطوها الا كيزان دره وكبشات شعير ولما عدت الجميع وأقبلت الى قدام الدولتلي ووقفت ونظرت الي وجهه فى ضوء الشعلة التى بيدها فوجدته على رأي من يقول صلوا على الرسول

ومليح في الجيد يحكى الغزالا ... يبسنى وينموا دلالا
قلت جودلى ببوسه قال لالا ... بتمنيق فان اردت وصالا
لا بغمز العيون والحاجبين ... والنبي لو صاحبتنى الف شهر
وملأت الفلا بالنظم والنسر ... لم تنال منه ولا ضم خصر
لا تظن البقاء يقاد بشعر ... ليس بالشعر تلقى الشعرتين

(قال الراوي) لهذا الكلام المجيب صلوا على طه الحبيب صاحب البردة والقضيب والباقة النجيب الذي كل من صلى عليه لا يخيب وهو يصلى على طه النبي الحبيب فلما نظرته تولعت فيه ووقفت قدامه شوط كبير وهى ترقص وتتعاجب وتصور لها ان هذا طير غريب وتريد ان تسلب نعمته ويعد ذلك وضعت الرق بين يديه وهو ملئان شفير كما ذكر فنظر الى ذلك الشمير وقال لها يا حرة العرب انا ماعندى من هذا الصنف حتى كنت أعطيكى منه فانى أري جابيتك التى جمتها فى سهرتك فما تقوم بعليق حمار قالت له ياسيدى الذى يعطي شيئا يعطي على قدر حاله فقال لها وهو كذلك ثم أن الامير فرغ الرقى فى الارض وحط يده طلع قرطاس ذهب فيه خمسمائة محبوب وفرغه فى قلب الرق وقال لها فى حجرتك فرغيه ولى من باقي جماعتى قالت سمعا وطاعة قال عثمان لما تقول شويش قالت الغازية شويش قول ياصبح شويش على حياة من قال عثمان قول على حياة شيخ

العرب ضابط بن رابط فقالت كذلك ثم انتقلت الي قدام شيخ مقدم سقر اللوالي ففرغ لها كيس فقالت شويش على حياة من قال عتمان قولى على حياة من قال قابض بن قابض وانتقلت الى قدام سقر أخيه ففرغ لها الآخر كيس قالت شوبش على حياة شيخ العرب لاطش بن قاطش فعندذلك قال خضر البحيرى من أين هذه العرب الذي هذه الاسماء اسماؤهم وما هم من جنسى فقال على وبعد ذلك صارت الغزية ترقص لكن صار شغلها كله عند الامير بيبرس فعند ذلك طلبها الامير بيبرس وقفت بين يديه وقالت له يا سيدي دستور من أين أنت قال لها وأنت ليش تسأليني قالت له يا سيدي عطيتك ما هي عطية عرب وملبوسك لبس عرب قال لها عتمان يا قحبه هذا كاشف الجيزة فقالت له انت يا سيدى الامير بيبرس قال لها نعم قالت له ياسيدي ان هذا الجمع الذي تراه من العرب كلهم مجتمعين على قتلك وأنت والله ياسيدي شجرة الكرم وخسارتك في الموت اذا تمكنوا امنك هؤلاء العربان فقال لها بيبرس يابنت وهاأنا بعون الله كفؤ الهم ولو كان بعدد اضعافهم فقالت ياسيدي الكثرة تغلب الشجاعة وأنت وحيد والرأي عندي

نفسك فز بها ان خفت ضيما ... وخلى الدار تنعي من بناها
فانك واجدا أرضا بارض ... ونفسك لم تجد نفسا سواها
وما غلظت رقاب الاسد متى ... بانفسها تولت ما عناها
مشيناها خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطامشاها
ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت بارض سواها

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس منها ذلك الكلام تبسم ضاحكا وقال لها جزاك الله عنى كل خير فانك نصحتيني يا بنت يبقى أنا أخاف من العرب وأهرب منهم وانا باكل عيش السلطان الصالح كيف اخاف من العرب ومرادى أطهر الارض منهم وفى هذا الوقت آخذهم قدامك فى الحديد وهم مكتفين الزندو الايدى ولكن باشاطرة ان أردت أن تساعديني

وتفتحيلى باب الشكل معهم لاجل افرجك أقطع من الدنيا رجاهم قالت له ياسيدي بايش اساعدك قال لها تجيبي عشرة بنات وأنت وأمك تبقا اثنا عشر أنت تكوني كبيرة على خمسة وأمك مثلك وتكون انتم عرب وتتحاربوا وتخلوا الغز تكسر العرب قالت له يا سيدي يقتلوني العرب فقال لها الامير وانا قاعد ليه لما يقتلوكي العرب غير ان هذا طلب شيء وبعد ذلك أنا أقبض على جميع العرب فقالت له سمعا وطاعة قال لها لكن بشرط ان تجرى انت بجماعتك قدام العرب وبعد تردي وتأخذي طرطور أمك وتخلي رأسها عريانة قالت له سمعا وطاعة ثم أن الغزية قامت على قدميها وأحضرت أمها وأمرتها أن تحضر من الغوازى عشرة بنات وقسمت خمسه معها وخمسة مع أمها وجعلت الخمسة التى مع امها عرب والخمسة التى معها غز وكل واحدة من الغز بيدها عصا طويلة فلما كان تلك البنت فانها لبست العرب طواقي وحملت لامها طرطور وتقاتلوا مع بعضهم فقال خضر البحيرى اضربوا الغز يا عرب فهجمت العرب على الغز فتتعتموا الى ورائهم فطمعت فيهم العرب وطلبوهم فردت الغز علي العرب ضربوهم والغازية أخذت طرطور امها على العصا وكذلك البنات أخذت كل واحدة طاقية واحده على عصاة وقاموهم على العصى اشارة إن هؤلاء وؤوس العرب اخذوها علي المزاريق وانها عند العرب شوم الفال ولما نظر خضر البحيرى الى ذلك الحال وكذلك العرب من اليمين والشمال ظهر الغضب على وجوههم وهموا على الغازية يريدون قتلها فأرمت بنفسها في حجر الامير بيبرس فقال له خضر البحيري خلى عنها لا رحم الله ابوها فما تم كلامه حتى ارماه باللت الى الارض قال عثمان مكتتف كون فى غيره يا جندى فصاح في غيره الامير بيبرس فجاوبته الاثنين الفداوية والمماليك وعرب الخبيرية وجماعة حرحش ووقع السيف فى جماعة خضر البحيرى فقتلوا منهم مائتين واربعين وأسروا مع خضر البحيري سبعين وهربوا الباقين وبعد ذلك امر الامير بيبرس اثنين

وهم عثمان وحرحش وصلوا القزية الي مكانها ورجع الاسطى عثمان وقال له انت خليت العرب هؤلاء تعمل بهم ايه والتفت ألى السياس وقال قطعوا رؤوسهم فقطعوهم فقبض عثمان الرؤوس وبعد ذلك التفت بيبرس الى خضر البحيري وقال له من الذي أغراك على سرقة خيلي يا كلب قال خضر البحيري انا الذي أغراني سيدك قال ومن هو سيدي قال له سيدك صالح أيوب فقال له يا كلب أمرك بسرقة خيلي وانت قتلت الكاشف قبلي فقال ان الذي امرني بقتل الكاشف الذي قابلك وقتلك انت كان ونهب مالك وقتل كل من معك من رجالك فهو الصالح أيوب فقال يا كلب يبقى السلطان اذا اراد قتلي انا بعيد عليه لما بعث لك تقتل ابن عمه شعبان الكردى وبعدها تقتلني انا فقال له خضر البحيرى ها هو كتاب السلطان في رأسي فمد يده الامير بيبرس أخذ الكتاب من رأسه ونظر اليه وقراه الي آخره فقال له والذي حضر لك هذا الكتاب قطعت رأسه قال نعم قال بيبرس لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كيف يا عثمان قال عثمان ما هى كتابة ابو قوطه هذه كتابة المنقرش القاضي ولكن انا أصح لك الخبر بس لما يفرجوني عليه يموت ازاى واشوف موته بعيني فعند ذلك تقدم الدولتلي بيبرس وطرح خضر البحيري على وجهه واتكي عليه سلخ كل جلده ملاه تبن بعد ان ملحه وركب له عيون قزاز وجعله كلما نضر اليه يظن انه هو خضر البحيرى وبعد انتهاء الفراغ من ذلك امر بنهب نجع العرب وجميع ما عندهم الا النساء والاولاد ففعل ذلك ورحل الامير بالنصر والظفر الى مكانة عايد منصور وكتب ربع السنجيقه الى شيخ العرب على الخيري واما عثمان ابن الحبله فانه جمع رؤوس القتلى وقطعهم وعباهم فى ستة جنبات على ثلاثة حمير وقام من بدرى وحده من الجيزه وسار بالجنبات الي بيت ابن اباديس السبكى واحضروا مايتين نبوت ورشق كل راس فى نبوت وطلع بباب الصليبه وقال كل من جاء وشال

له كيس ذهب من هنا للقلعه فاجتمعوا الناس واعطي لكل واحد نبوت والراس فوقها وصار كامن حمل نبوت يمشى حتى اجتمعوا مايتين وأوقفهم عثمان ومشى قدامهم وساروا من خلفه (يا ساده) يا كرام واعجب ما وقع واغرب ما اتفق ان رجل فقيه فقير الحال وضاقت عليه الدنيا بما رحبت فأكثر الجلوس في البيت فتضايقت منه زوجته وقالت له وبعد هذا القعاد قم اخرج الى السوق اطلب رزقك من الله تعالي فنهض الفقيه من ساعته وسار الى السوق فبينما هو كذلك اذ اقبل عليه الاسطى عثمان ابن الحبله وقال له السلام عليكم يا سيدنا قال له أهلا وسهلا قال يا سيدنا سير معي وخذ لك كيس ذهب احمله الى الديوان وخذ أجرته محبوب فقال الفقيه سمعا وطاعه يا مفتح الابواب ثم ان الفقيه سار مع عثمان الى بيت ابن اباديس صحبة الناس حمل كل واحد كيس وهو على راس النبوت فامرهم عثمان لا احدا ينظر الي فوق خوفا لا ترصدوا المال ولا احد يرفع راسه فقالوا سمعا وطاعه وساروا بتلك الاكياس وكل من الناس يظن انها مال فلما توسطوا الطريق لعب الشيطان بعقل ذلك الفقيه فقال في نفسه مالى الا ان اروح بذلك الكيس من تلك الحارة وما احد ينظرني وانتفع بما فيه ثم انه صار يتأخر الى ان صار آخر الناس وتداري بجانب حاره وقلب الراس فى حجره وارمي النبوت الى الارض ثم انه طبق حجره وسار الى حال سبيله وظن انه ملك الدنيا بما فيها ولم يزل يجرى ويلتفت خلفه الى ان اتى الى البيب وطرق الباب فقالت زوجته من بالباب فقال افتحي انا الشيخ عمران فقالت له انت ما غبت فقال لها الله تعالى فرجها علينا وقد اتيت اليك بما يسر خاطرك وقال لها احسبي كل الحسبة التي علينا للناس حتى تأتى بأصحاب الديون التى علينا وتدفعى لكل ذي حق حقه وبعد ذلك نعزل من هذا المكان ونشتري لنا مكان غيره فقالت يبقي لقيت لقيه فقال لها أعظم من ذلك فقالت قتلت واحد يهودى صراف واخذت ماله قال لها اعظم

من ذلك قالت له اخبرني ايش الذى عملت فاعاد عليها ما جري له مع عثمان وكيف اخذ الكيس الذهب وهرب فقالت له لا تتحدث ابدا بذلك الكلام خوفاان يسمع كلامنا احد فيعلم عثمان فيأتي اليك ويقتلك ويأخذ الكيس منك ثم قالت له هات المال فمد يده الي حجره بعد ان فتحه فجاءت اطراف أصابعه في حنك القتيل وفى شواربه وذقنه فمنع يده اسرع من البرق الخاطف وتأخر الى ورائه وتلجلج لسانه فقالت له زوجته ياشيخ عمران أين المال قال لها تقدمى انت خديه لانى قد لعبت أعضاءى كلها فتقدمت الحرمه اليها ونظرت الي حجر زوجها وأذا بعينها وقعت على عين القتيل فصاحت بعلو رأسها أنت جايب لنا رأس قتيل لاجل أن يطلع سيطانه علينافى البيت فقال لها يا أم سمعان أكتمي عنى هذا الامر فياليتني ما طلعت من البيت في مثل هذا النهار وياليتنى كنت رحت مع الاسطى عثمان الى الديوان وكنت اخذت الدينار أنتفعت به فقالت له دعنا نسكت ولا نبدي كلام فقال لها وما نصنع بهذه الرأس فقالت له نرميها في الكنيف أو ندفنها فقال لها يطلع لنا شيطانها في البيت فبينما الشيخ مع زوجته فى الكلام واذا بالاسطى عثمان داخل الى البيت فلما رآه الشيخ خاف منه خوفا شديداً فقال له الاسطي عثمان لاتخف من شيء فانى سامحتك ثم انه اخذ الراس منه وقد وضعها فى النبوت كما كانت وقال له احملها فقال له سمعا وطاعه ثم ان الشيخ حمل الرأس وسار مع عثمان الي ان أوقفه بأصحابه وكان السبب فى مجيء عثمان انه لما قارب الديوان عد الرؤوس فوجدهم ينقصون فسأل من الناس فقالوا هرب منا الشيخ عمران الفقيه فقال لابد أنه ظن أنها مال ولكن أين مكانه فاخبروه به وكانوا الناس يعرفوه هو وبيته لان بيت الفقيه دائما مشهور فسار اليه وأتى به وأصحبه بالناس كما ذكرنا وسار عثمان الى الديوان كما وصفنا (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الملك الصالح أيوب ولي الله المجذوب فانه اجلس على تخت قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل تكامل الديوان

بالعساكر والحجاب والوزراء والنواب ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس والتفت الملك الى الميامن أطرقت والى المياسر أطرقت وكذا الصدر والجناحين قرأ القارىء وختم ودعى الداعى وختم ورقي الراقى وختم أمنت العساكر ترك وعرب وعجم وصاح شاويش الديوان وهو لايخاف الموت ولا يرهب الفوت

أيا من له ملك وعز ورفعة   وساد على الدنيا وكل المعالم
تأني ولا تعجل لامر تريده   وكن راحما للناس فالله راحم
وما من يد الا يد الله فوقها   ولا ظالم الا سيبلى بظالم

(قال الراوي) قال الملك آمنا وبالله أطعنا من أين كنا حتي اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجي من الشدائد سبحان رب العزة والجبروت سبحان الحى الذي لا يموت ياحاج يا شاهين ابدانى متسلطه على أبدان والجزاء على الله والقصاص قريب ولكن والله ياحاج ياشاهين انا مظلوم والله ولالي ذنب أبدآ ولكن ياشاهين وعلى الحقيقه هذا الرجل راح مغرور وغرة هذا المؤذى أبليس زمانه وهو والله عاقبته مشومه فبينما السلطان كذلك وعتمان طالع يقول يا ليل

ظن العدي أننا متنا ولا متنا   وتصالحوا في الفرح بطول غيبتنا
أن أذن الله ورحنا لعادتنا   ومنقع الدم نأخذ غنيمتنا

(قال الراوي) فقال الملك الصالح أهلا وسهلا بالاسطي عتمان ابن الحبله قال عتمان لا أهلا ولا سهلا يابو جوطه ياخساره التربيه لم طمرت وكترت الاذيات ولكن يابو جوطه جرى أيه بينك وبين سيدى لما كتبت هذا الكتاب الى خضر البحيرى وأرسلت تأمره بقتل شعبان الكردي وبقتلنا وقتل حامل الجواب لما أنت زعلان علي سيدى ما عندك أحد يقتله مفشش الا الكردى في خضر البحيرى وأن كان سيدى عليه ذنب شعبان الكردي عمل أيه وأيضاً السيار عمل أيه قال الصالح أنا يا عتمان لا وعزة

الربوبية وتربة حبيب النجار لاكتبت هذا الكتاب ابداً فقال عثمان الكتاب هاهو معى الذي أخذه سيدى من خضر البحيرى قبل موته ثم ان عثمان اخرج الكتاب فأخذه الملك وناوله للقاضى وقال له اقرأ الكتاب وسمعني انا والعسكر لاجل مايقال كل انسان يستلم كتابه بيمينه ياما فى القيامة تفضح ناس فأخذ القاضى الكتاب وقرأه واذا هو ما قد جرى وتقدم ذكره من خصوص قتل كاشف الجيزه وارسال بيبرس وقتل حامل الجواب فقال الملك الصالح والله العظيم ما كتبت ولااذنت ولاعلمت باصله ومطلق هذا الكتاب لاأعلم به ابداً ولكن اسأل الله العظيم رب العرش العظيم كل من كتب هذا الكتاب بيده لايميته الله الا على ملة الكفر مقطع على عربيه محروق بمجرى الكلاب قول آمين ياقاضي قال آمين آمين قال الملك الصالح أسأل الله العظيم كل من كان حاضر كتابة هذا الكتاب ويعلمه لايميته ربنا الا قتيل من يد امرأة فى حمام قول آمين يابيبك قال ايبك آمين فتقبل الله سبحانه وتعالى دعاء الملك الصالح (ياساده) ثم ان الملك الصالح التفت الي عثمان وقال له اخبرني بما جري فاخبره عثمان بما جري تفصيلا بالحرف الواحد من أول الامر الى اخره كيف انسرقت الخيل واحكى لبيبرس وجرى ورائه وجرى عثمان واجتمعوا على على الخيبري وراحوا الي نجع خضر البحيري والغازية وموت خضر البحيرى وجماعته وجبت لك يابوا جوطه رؤسهم ثم صاح عثمان على حاملين الرؤس وطلعوا بهم الى الديوان فقال الملك والله لامنصور وعدوه مقهور قال عثمان منصور قهراً عنك والقاضي وانا جبت الرؤس هؤلاء من الجيزه ورايح بهم الى فين ثم أمر الرجال فارموا الرؤس الي باب الديوان والبعض فى وسط الديوان قال الملك ياعثمان روح لسيدك سلم عليه وقل له سنتك فرغت تعالى بقي الى الديوان حتى ان الله يرزقك بمنصب غير هذا ولكن ولايتك الجيزه مادامت تحت أمرك تولى عليها من تشاء من تحت يدك

واحضر الي الديوان سريعاً قال اكتب له مكتوب وترسل انت تعلمه وانا مالى قال السلطان اكتب له ياوزير مكتوب فعند ذلك كتب الوزير الذي نعلم به الدولتلى الامير بيبرس انى مولانا الملك يأمرك انتولى على اقيلم الجيزه من تشاء تحت أمرك وتحضر انت الى الديوان فان الامر لازم لحضورك والسلام وسلم الكتاب الي عثمان فاخذه وتوجه الي سيده يعطيه الكتاب وأما الملك الصالح فانه أمر بدفن الرؤس والتفت الي ايبك والقاضي وقال لهم ان الامير بيبرس نصر الاسلام بازالة هؤلاء العرب من طريق المسلمين وانت ياوزير ايبك وانت ياقاضى واجب عليكم ان تساعدوه قال القاضي وايش الذي نفعل حتى نساعدوه فقال الملك خذوا هذه الرووس ادفنوها فقالوا سمعا وطاعة ولكن ايبك كادت روحه ان تخرج من بين جنبيه من الغيظ فنهض القاضى وايبك واحضروا مقاطف وقدوضعوا الروس بأيديهم في المقاطف وشيلوا خدامهم ونزلوا بهم من الديوان الى قبور الرميله هذا ما كان من هؤلاء ياساده واما ماكان من عثمان فانه سار الي سيده واخبره بماجرى من الملك الصالح وانه يأمرك بالمسير الى عنده بموجب هذا الكتاب الذى اعطانى اياه الوزير فقال بيبرس على الرأس والعين ثم ان بيبرس احضر على الخيبرى ولبسه والى على الجيزه ويكون حفظ البلاد وغفر الاقاليم كله عليه ولبس مملوك من مماليكه وجعله كاشف واوصاه بالعدل والانصاف وترك الجور والاسراف وتوجه الامير بيبرس قاصد مصر حكم مامر السلطان ومازال سائر حتى انه وصل الى بيته وهو بيت ابن باديس السبكي يقع له كلام (قال الراوي) واما ماجري من أمر المعز ايبك التركمانى فانه التفت الي القاضى وهو فى الديوان وقال له ياقاضى لازم الليله هذه تأتى الى عندنا فقال القاضىوهو كذلك ياوزير ولما كان فى آخرالنهاراجتمع القاضى وايبك فى بيت ايبك قالايبك ياقاضيانت ضيعت مالىوانت تقولعليك مثلها

لما مابقي عندنا شيء وكله أخذه بيبرس وانت كل ماتعمل تدبير يطلع وبيبرس يأخـذ الاموال فقال القاضى مالك لم يضيع منه شيء ابداً بل انه فى قرار مكين يابو احمـد فقال ايبك اعمل تدبير يكون مليح لاجل بيبرس يموت قال القاضي وهو كذلك يابو احمـد ثم ان القاضي قال له بنا الى الجنينه فدخلوا الاثنين وطلع القاضي على بير الساقية وايبك يدفع الساقيه والقاضي احضر الورق والدوايه وصار يكتب وايبك يدور الساقية وكلما ينهز القاضى من فوق الساقيه ينقطع الخط حتى صارت الحروف والـكتابه مثل كتابة الملك الصالح لانه يد السلطان كانت ترتعش فى الـكتابة ولما كتب الـكتاب جعل يقرؤه على ايبك واذا فيه خطاب من أمير المؤمنين الملك الصالح الى بين ايادي شيخ العرب نجم البحيري اعلم اننا طلع عندنا غـلام عاصى علينا ونريد ان نعمل على موته فحال وصول جوابنا اليك تقتل الحامل لاجل ان يكون السر بينك وبيننا مكتوم وتنزل على المحلة ليلا وتقتل كاشف الغربيه وهـو حسـان الـكردي وتنهب الوارد على المحلة حتي ان أهـل البلد يأتوا الينا بالاخبار ارسل لك هذا المملوك وهو اسمه بيبرس فحال وصوله الى المحـله تقتله وفى نظير ذلك فانى أعطى لك الغربيه واقليمها أقطاع بلامال وهذا الجواب سنداً علينا بذلك فاحفظه والسلام فلما سمع ايبك ذلك الـكتاب قال له ياقاضى هذا تدبير عظيم قال القاضى هذه افعال تعجز عنها صناديد الرجال ولـكن اذا صح فـكم من تدبير مثله والله تعالى يحميه ثم قال القاضى ائتينى بمملوك من عندك تـكون مستغنى عنه قال سمعا وطاعه ثم انه اتاه بمملوك فقـال له خـذ هذا الـكتاب وسر به الى الغربيه بجهة المحلة الـكبرى لسأل عن نجم شيخ العرب نجم البحيرى من عرب البحيري فاذا عرفته سر اليه واعطه الـكتاب ونظير ذلك انت حر لوجه الله تعالى والذى يعطيه لك نجم الدين البحيرى فانه يكفيك بقية عمرك والسلام فلما سمع المملوك هـذا الـكلام طار عقله من شده الفرح

والاستبشار وقال له سمعاً وطاعة ثم أنه أخذ الكتاب وسار ولو كان له أجنحة لطار ولم يزل سائر وهو فى غاية الاجتهاد ولم يعلم ماقضاه عليه رب العباد الى أن وصل الي المحلة وسأل على نجع شيخ العرب نجم الدين البحيرى فارشدوه اليه ولما وصل الى نجع العرب وسأل عن بيت الشيخ نجم البحيرى فقدموه الى عنده فرآه جالساً بهيئة النمرود وكبر فرعون فلما تمثل بين يديه وسلم عليه ودعا له ولقومه فلم يعرفوا معنى الدعا فاشار عليهم بالكتاب فأخده نجم البحيري وأحضر واحد من المحله يعرف يقرأ فقرأ له بينهما وبعد ما قرأ قال له أصحا تتفاوه بهذا الكلام قال سمعا وطاعه يا شيخ العوب ولما عرف مضمون الكتاب حط يده على سيفه وضرب المملوك جمله نصفين فوقع الى الارض قتيل وفي دماه جديل وراح هذا الي رحمة الله شهيد ولم يقدر أحد ان يسأله عن سبب ذلك من جماعته لشدة سطوته ولم يزل صابر الى الليلة الاتيه ثانى ليله ونزل ليلا على الامير حسان الكردي وقتله واقام فى دار الوسية ليلا وقامت به اولاد الزنا ولما طلع النهار ضرب السيف فى كل من حضر من جماعة حسان الكردي فنهم من مات بالسيف ومنهم من هرب ومنهم من التجأ الى بيوت أهل المحله وأما شيخ العرب نجم البحيرى فانه نادي في المحله وقال يا معشر الناس أنا شيخ العرب نجم الدين البحيري وهذه الغربية كلها بلادي ومن الآن وصاعد لايكون لكم حاكم ولا كاشف الا انا فبيعوا واشتروا حكم ما كنتم اولا ولا لكم بأس واما كاشفكم القديم خذوه وقدموه الى الملك الصالح وقولوا له هذا شعبان الكردي والذى قتله نجم البحيرى (قال لراوي) فلما سمعوا أهل المحله ذلك الكلام قالوا لبعضهم اما هذه جسارة لم يقدر أحد على مثلها ولكن حيث ان الامر كذلك احنا نأخذ هذا الكاشف المقتول ونمضى به الى مصر ونقدمه الى الملك الصالح وان سألنا نخبره بصورة الواقع ثم ان أهله المحله أحضروا تابوت ووضعوا الكاشف المقتول فيه وارسلوا أحضروا اكابر

ولاية الغربية وقد أعلموهم ونزلوا من سمنود وداموا فى البحر الى ان طلعوا
على بولاق وقد طلعوا من البحر ورفعوا التابوت على أعناقهم وساروا طالبين
الديوان هذا ما جري لهؤلاء (يا ساده) وأما ما كان من أمر الملك الصالح
ايوب فانه بات وأصبح مثلك يامؤمن يصلى على نبى في كفه الحصا سبح دخلت
له الاغوات أعلموه ان الديوان تكامل ثم أنه قام يتوكأ على قضيب خيزران حتى
أقبل الى الديوان فأبدي على العساكر فنهضوا له قيام وردوا علية بالفريضة
الشرعية تحية السلام فبسط أياديه وقرأ الفاتحة أم الكتاب واهدي ثوابها الى
ضامن جملة العاجزين والعاوزين ثم الى روح من مضى من الملوك السالفين ومن
يتولي بعده حملته على تخته ثم ان السلطان بعد ذلك جلس على كرسي المملكة
واحدقت رجاله بين أيديه ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس
وتكامل الديوان ثم قرأ القاريء وختم ودعى الداعي وختم ورقى الراقى وختم آمنت
العساكر وصاح شاويش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يرهب الفوت يقول

لاتدعى بالمماليك أو تقول لى ملك من حي سلطان ومالك راح وفات الملك
من ادعى الكبر هالك في بحور الهلك والبين سد مسالك لو كانت سلك

(قال الراوى) قال السلطان آمنا ولله أطمنا ومن أين كنا حتى اتصلنا
سبحان الدائم على الدوام وهو الله لا اله الا هو الملك العلام ياجاج شاهين
هؤلاء الذين ماتوا كذلك ماتوا شهداء منهم للجنان واما الذين يموتوا فيهم
فانهم من أهل النار اللهم اكفنا السوء فريق في الجنة وفريق فى السعير
والله كذاب وانا لا أمرت ولا حكمت فقال الاغا شاهين بس قل لى الخبر
قال الخواص يقول لى أنت عليك كتاب هؤلاء ياشاهين أهل الكتاب مفهومين
يعرفهم اصحاب البصائر ولكن أن الله حليم ستار وقال تعالي (قل موتوا
بغيظكم أن الله عليم بذات الصدور) أن هذه آجال تدانت ايامها ولكل
أجل كتاب بينما الملك يهتف بهذا الكلام والوزير يتعجب واذا بباب الديوان

استد والستار احتجب وعمد الغربية طالعين والتابوت قدامهم وهم من خلفه يقولون نعم يأمير المؤمنين قال الصالح ما لكم يا ناس فقالوا له يعيش رأس مولانا السلطان قال الصالح فى من قالوا له فى الامير حسان الكردى كاشف الغربيه قال وما تدفنوه جايبينه هنا لاى شيء قالوا له لانه مقتول قال ومن قتله قالوا يا أمير المؤمنين هجم عليه نجم البحيري شيخ عرب البحيرة وذبحه فى فرشه ووضع السيف فى توابعه قتلهم ونهب دوار الوسية ونهب المحله وبعد ذلك قال أن الغربية كلها صارت له ولاله فيها معارض يعارضه وقال لنا خذوا الكاشف المقتول ودوه للسلطان قال الملك يا سلام ولكن يا جماعة هذا ابن عمى على كل حال روحوا غسلوه وكفنوه وادفنوه اتوكل به يا حاج شاهين قال سمعا وطاعة وحالا أرسل حضر الحانوتيه غسلوه وكفنوه وواروه التراب رحمه الله جل من لا يموت (قال الراوى) وبعد ذلك قال السلطان بقي يا شاهين الرجل نجم الذي أخذ الغربية وقعد على كرسى المحله بخاطره ياشاهين الملك لله قال الوزير يامللك ترسل من يأخذ منه بالثار ويجلى العار ويخلص منه كرسى الولاية هذه الغربية أقليم واسع فلا نفوته لواحد بدوي أيش يمي قال السلطان يا حاج شاهين ما هى باليد كل من أخذ شيئاً فهو له قال الوزير هذا لا يصح أننا نخلي أقليم الغربية من غير كاشف قال الملك واحنا عندنا كاشف منين للغربية قال الوزير عندنا الامر نولي أي واحد كان ينزل وويخلص البلاد من العرب ويقتل هذا الطاغى فعند ذلك تحرك القاضى من مكانه وتزحزح وهز رأسه وتنحنح وجنح طيلسانه وفتح فاه ونبح وقال دستور يا أمير المؤمنين أتأذن لى أتكلم كلمة حسنة ليست بسيئة قط قال الملك تكلم يا قاضى أما أنت ما عندك الا السيئة قل حتى نسمع قال القاضي ان هذا أقليم الغربية فهو أقليم مشهور ولا ينفع له الا حاكم جسور حتى يخلصه من العرب ويقتل هذا البدوي الغدور فانه لا يصلح فى هذه الامور الا رجل علي

جميع النايبات صبور وهو الامير بيبرس الذى نجمه قد علا وارتقى ورد اعداءه بالخذلة والبؤس والشقا الذى أيده الله بالنصر والنجاح والعز والفلاح وشمس سعده يتلالا على وجهه كالمصباح فان اراد مولانا السلطان يخذل به الاعد على طول المدى والافرأى مولانا السلطان الملك أعلي وأولى فقال السلطان صدقت يا قاضى ولكن بيبرس رجل فقير الحال وهذه الغربية واسعة عليه وهى تحب المال والقدرة فقال القاضي أنا يا ملك أساعده أنا والوزير ايبك أنا أدفع له من مالي وصلب حالى خمسين كيسا وثمن خمسين جواد وثمن خمسين مملوك وعليك يا وزير ايبك مثلها قال ايبك يا قاضى اذا كان بيبرس يعمل كاشف فى غربية احنا نحط مثلها قال القاضي يبقى لوجه الله قال ايبك يا قاضي فلوس متاعنا تروح قال القاضي فى قرار مكين وأنا ضامن لك مالك لم يضيع منه شيء أبداً قوم يا شيخ منصور هات من بيتى هذه الدراهم فذهب منصور أحضر المال وكذلك ايبك احضر لهم الدراهم وصار فى مستودع السلطنة وبعدها قال الملك يا حاج شاهين اطلب لنا الامير بيبرس فقال له سمعاً وطاعة وأرسل فى عاجل الحال الي الامير بيبرس مملوكا من طرفه فلما وصل الي بيت الامير بيبرس قبل يده وسلم عليه كان الامير بيبرس في ذلك الايام قادم من الجيزة ولم يعلم بشيء مما فى الديوان ولما حضر له الرسول من الوزير قام وركب وطلع الى الديوان ووقف على رخامة الطلب ودعى للسلطان بدوام العز علي طول الزمان (ياساده) فقال السلطان تعالي يا سيدى بيبرس أعلم يا ولدي ان الامر قد احتاج لنصرة الاسلام فانه قد ظهر رجل خارجي وطرح سره علينا وقتل كاشف الغربية وكان من الاكراد المتوكلين علي الله وكان هذا بواسطه اهل السوء ولكن لكل أجل كتاب وهذا شيء بقضاء الله وقدرته وحضرة القاضى والوزير ايبك اختاروا ان تكون أنت كاشف على الغربية كما كنت كاشف وتبقى الغربية بلادك والجيزة بلادك ودفع القاضى وايبك مائة كيس ومائة مملوك

ومائه حصان فاترى تأخذهم وتروح او تأخذهم ولا تروح وترسل واحد غيرك قال الامير بيبرس ياملك كيف انى ماأروح اعلم ان خدمتك على فرض كمثل الصلاة والصوم ولاسيما ان كان ازالة غم عن المؤمنين أروح ياملك الاسلام قال الملك ياشاهين لبسه كاشف الغربية واعطى له الكرك شمسيات ذهب لاجل ماأشوفه انا وافرح به وهو الآخر يفرح بشبابه فعند ذلك غاب وعاد الخزندار ووضع قدام الوزير كرك باربع كوش ولربع شمسيات من الذهب فقام الوزير ووضع ذلك الكرك على اكتاف بيبرس وقال له انت كاشف الغربية ثم أمر شاويش الديوان ينادى له بالكشوفيه على أقليم الغربية وقبل يد السلطان وكذلك قبل يد الوزير فقال القاضى نهارك مبارك فقال الامير بيبرس ان شاء الله مبارك قال الملك ياقاضى هذا مقصودك يابيبرس انت منصور مؤيد وطلع الامير بيبرس من باب الديوان فالتقاه عثمان فقال له شايفك مقفطن اياك مشد تراب قال بيبرس ياعثمان تراب ايه قال أمال أغا كلاب قال بيبرس ياعثمان انا لبست كاشف الغربية قال عثمان ياسلام كل ماتملا وتفور عثمان يوطى ويغور انا ما أخدمك الا اذا كنت قائمقام قال بيبرس اوليتك قائمقام فنزل عثمان فرحان يجهز فى أحواله ويتوجه الى المحله (قال الراوي) وأما الامير بيبرس فانه أحضر جماعة النحاسين وأمرهم ان يصطنعوا له عدد من النحاس للطبل يكون اذا ضرب عليه يسمع من بعيد فاصطنعوا له عشرة أجواز نقاقير وسلموهم الي الرحالة الضبالين وبعد ذلك أمر الفراشين ان يطلعوا صيوان سرجيول المهرى فحملوه على الجمال واعرض مماليكه فكان عنده ما يزيد عن الستمائة مملوك فأمر منهم أربعمائه أن يحضروا على خيولهم واسلحتهم وكذلك الاثنين المقادم الفداويه وهم سقر اللوالى وسقر الهجان وظهر الامير فى عرضى لانظير له وبرز أول ليله في شهره وأصبح راكب قاصد المحله يقع له كلام (ياساده) وأما كان من الاسطى عثمان فانه ما توجه الى بلد من بلاد

لا فى موكب سياسى الى ان وصل الى المحله وكما وصل الي بلد من بلاد الغربيه يخرج أهلها يقابلوه فيأمر عثمان ان يحط فى رقبة الشيخ الطوق الحديد ويأخذه معه الي ان أخذ من طريقه مايزيد عن عشرين شيخا ولما وصل ونزل فى دار الوسية وأمر باحضار المشائخ الى بين يديه فلما حضروا ضرب كل واحد عشرين كرباج وقال احبسوهم فحبسوهم فقالت أولاد المحله هذا حاكم جبار هذا الذى يخلص الحقوق من المماطلين (ياساده) واعجب ماوقع وأغرب ما إتفق ان رجلا معلم قماش له عند رجل سريح الف فضه مكسور فيهم له فقال انا أروح للكاشف الجديد وأطلب منه ان يخلص لي حقى ولو يبيعه جاموسه ويعطينى حقى منها ثم انه دخل علي عثمان وقال له يا كاشف انا لى عند واحد مال وأريد أنك ترسل تحضره لى وتخلص حقى منه قال عثمان طيب روح يا عقيرب احضره فراح الرجل وصحبته عقيرب الي شارع المحله فرأى الرجل قاعد على باب الله فقال هذا هو الراجل فأخذه عقيرب وقدمه الى بين ايادى الكاشف قال عثمان ياشيخ اعطى الرجل هذا ماله الذي له عندك فقال له الرجل يا كاشف انا فى عرضك انك تسمع دعوتى بما يرضى الله قال عثمان بس قول قال هو له عندى الف فضه ولكن مقسطهم علي كل جمعه قرش أقوم أدور طول الجمعه ابيع واشتري وادبر واقطع من قوتي لما اجمع له فى يوم الجمعه القرش وأجي أدور عليه فما القاه يكون فاتى السراحه طول النهار وانا أدور عليه لم القاه أقوم آخر النهار اضيع القرش على نفسى وعيالى وهذا الحال حالى لوكان له محصل مخصوص كنت أجى كل يوم المغرب اعطيه خمسة لما يخلص قال عثمان الحق بيدك دخلوا صاحب الدين الحبس وانت يارجل روح لحالك وكل يوم تمالى المغرب اعطى له خمسة فضه والسلام ووضع صاحب الدين فى الحاصل وفي ثاني الايام قعد وقال هاتولى مشائخ المحله واذا بنقاقير ومماليك على ظهور الخيل وموكب وباشات ووصل الخبر الى عثمان قال عثمان

أتعزلنا يا سلام يا عرص ولما دخل الامير على المحله ارتجت البلد لقدومه وبقى له هيبة عظيمة وبعد ما قعد لا أحد جاءاليه ولا أحد راح للمغرب واذا بالرجل جاء ووقف ونادى على صاحب الدين وقال له خذ الخمسة يا عم هذه أول يوم قال الدولاتلي الخبر ايه تعالى يا رجل فتقدم قال له أنت ايه فاحكا له العبارة قال بيبرس طلعوا الرجل فطلعوه وقال له روح ياشيخ أنت كم عليك قال ياسيدي ألف فضه فقال ليلة الخميس ابقى هاتهم هنا لعثمان الاربعين فضه وعثمان يعطيهم له قال عثمان اعطيهم له أنت والسلام قال الدولاتلي طيب روح ياشيخ خلاص هو صاحب الدين كان محبوس قال عثمان ما فيــه الا المشايخ فعند ذلك أمر باطلاقهم وقال لعثمان لأي شيء حبستهم يا عثمان قال عثمان لاجل انهم يخافوا منك ويحسبوا حسابك ويطيعوا أمرك ويجيبوا اخطابك وكان الامير وهو جاي كل ما يفوت علي بلد يسأل على مشايخها فيقولون له أخذهم المسلم هذا وقد قال له سيبهم يا عثمان ثم قال لهم اعلموا يا مشــايخ انه ما فعل معكم هذه الفعال الا لاجل انكم تبينوني وتكونوا معي على قتل الاعداء قالوا له نحن خدامك وبين يديك فرحب بهم وأنعم عليهم وجعل منهم اثنين رؤوس على الاقليم ومن تحتهم أربعة نظار وجعل كل ناظر على قسم وجعل ثمانية قائمقام كل ثنين تحت يد ناظر ومن تحتهم المشايخ ومن تحت المشايخ المشدين وبعد ذلك نزل وصار يشق أراضي المحله فرأى النساء من أهلها الحرمه تمشي ومعها أربعة جدعان أو خمسه فقال بيبرس ياعثمان ايه قال عثمان هذه عادتهم فانهم أهل فسق وضلال والدليل على ذلك مشيهم وهم يتباهوا فى هذه الزينة وهذه عادة أهل هذه البلاد وبعد ذلك نظر بيبرس الى معديه يعدون منها الرجال والنساء واذا برجل أقبل وتجرد من ثيابه حتى بانت سوأتاه وكذلك المرأة وربما قابلوا بعضهما فى المياه فلما نظر الامير الى ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال يا عثمان ارســل من ينادي فى المحله بعدم خروج النساء وعدم نزولهم الى هذه المعديه مع الرجال

بل يكونوا النساء دور والرجال دور قال عثمان أنت تحرج على المـاء فقال له يا عثمان هذا أمر لا يرضى به الله عزوجل فلما صارت المنادات أرادوا أن يرحلوا من المحله فرأى ذلك الامير بيبرس فسأل عن ذلك فقالوا له أهل البلدان الناس يريدون محلا غير هذا يرحلون اليه فانك حرجت عليهم فى المشي والتمدى وهذه عادتهم ولا يمكن قطع رجلهم من تلك المسير والمرور وأنت حرجت عليهم وهذا شيء لا بد منه فقال لهم أمامن خصوص انهم يروموا أن يذهبوا فهذا علي أنا حرام اذا كانوا الناس بسببي يرحلوا من أماكنهم وأفعالهم التى يفعلوها حرام فقالوا له أهل البلد اذا كان ولا بد فابنى لهم قنطرة علي هذه الترعه يمشون من فوقها فقال الامير بيبرس ان شـاء الله وقدرنى ربى بنيت قنطره ولـكن اذا أعانني الله على عدوى نجم الدين البحرى وقتله لا بد أن أبنى قنطره تمشي عليها الناس ان شاء الله قال عثمان أصحاب الارض مايرضوا بذلك قال بيبرس لأى شيء قال له سـوف ترى فقال له ما لك به من حاجة

قال الراوى ولما استقر بالامير الجلوس وأقام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع دخل عليه المشد وقال له يا أمير ابعث معى أحد من طرفك حتى ألم الك العوائد والقدوم بتاع الـكاشف فقال الامير بيبرس مر يا عثمان معه ولم يعلم الامير ما معنى ذلك (يا ساده) ولما سـار معه عثمان أقبل على رجل خضري وكان ذلك الرجل أصله من أرض مصر وتزوج بامرأة ولد منهـا ثلاثة أولاد وضاق به الامر وافتقر فأخذها وسـار بهـا من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان الى أن أتى الى المحله فأخذ له دكان وحنن الله عليـه بمبلغ سبتين فضه فأخذ عدس وزر وملح وبصل وجعل يبيع ويشـترى لاجل عياله فلمـا وضع ذلك الاشـياء عنـده جلس في دكانه وهو يقول يا فتاح يا عليم واذا بالمشـد مقبل عليـه ومعـه عثمان بن الحبله هـذا وقد قال له المشـد هات القدوم متاع الـكشوفية فقال له يا أخى أنا مامعى شيء أبدا وللآن على فيض

الله تعالى فسر الى غيرى حتى يرزقني الله تعالى ولما ترجع أعطيك القدوم فعند ذلك انغاظ المشد منه وضربه كف على وجهه وقال له هات القدوم يا كلب فعند ذلك بكا الرجل بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقال له القدوم كم قال له المشد عشرين فضه فقال له أنا وعيالي أحق بهم نفطر بهم أنا وأولادي ولكن خذ هذه خمسة ان شاء الله نشتري بها كفن للكاشف الجديد والخمسة الثانية تعطيها للحانوتى والمغسل والخمسة الثالثة أجرة الفقهاء وأولاد الكتاب والرابعة أجرة التربية فلما أخذهم أراد أن يعطيهم لعتمان قال عتمان خليهم معك فى يدك تعطيهم الى الكاشف فقال المشد سر بنا لما نلم بقية القدوم قال عتمان لما نودى اللي جبناه ونرجع نلم الباقى ثم أن عتمان أخذ المشد وأخذ الرجل وعياله وسار بالجميع الى عند الامير بيبرس وقال له أنا أقول لك أنت رجل ظالم أظلم أهل الارض تقول أنا عادل اسمع هذه الدعوى ثم قدم اليه المشد وقال له اعطيه خمسه خمسه فلما ناوله أول خمسه قال له قل كما قال ذلك الرجل لاجل أن يسمع الكاشف والا أضربك قال له هذه حق الكفن قال عتمان بتاع مين قال بتاع الكاشف الجديد والخمسة الثانية قال أجرة المغسل والحانوتى ثم انه حسب له كل الحسبه فقال الامير بيبرس من الذى قال هذا الكلام قال له هذا الرجل قال فالتفت الامير الى الرجل وقال له لاى شيء قلت كذا يا شيخ فقال يا سيدي أنا رجل غريب وفقير الحال ومعي ثلاثة من العيال وأنا رأس مالي كله ستين فضه واحكى لبيبرس على قضيته وفقره وغربته وعياله واحكى حكايته من الابتداء الى الانتهاء فلما سمع بيبرس ذلك الكلام قل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله ما أعرف القدوم ولا سمعته الا هنا ولكن نادى يا عتمان القدوم بطال وكل من أخذه ملعون ابن ملعون ثم أن الامير أعطا الرجل كيس فيه ألف دينار وقال له سامحني يا أبي وادعي لي فدعى له بقلب فرحان

واراد الرجل ان ينزل فقال له عثمان اصبر حتى نعطى المشد الكف الذى أعطاه لك ثم انه قدم المشديين اياديه وضربه قلم يساوى رطل دهب ونزل الرجل الي حال سبيله فهدا ما كان منه واما المشد فان عثمان قال له وحق المبرقعة فى مقامها ان أقت فى المحلة لا بد أن أخلى الكاشف يصلبك على البوابة فعندها أخذ عياله وارتحل من المحلة الى سمنود (قال الراوي) واستقام بيبرس فى المحلة مدة عشرة أيام فلما كان في اليوم الحادي عشر واصبح واذا به نظر الى عثمان وهو داخل عليه ولكنه على غير الاستوى فقال الامير مالك ياعثمان قال عثمان انا خايف أقول لك تقوم تفضل تقول لي دسيتهم فى عينك وبطنك قال بيبرس بس قول خبر ايه قال له الخيل انسرقت كلها ولا بقى عندنا ولا حصان وبقيت انا أخدمك على ايه أما المماليك خليهم عندهم وأما الذي راح فهم الركايب بتوعك وانت فقط ولا بقى لك حصان تركبه ولما ما بقى عندك خيل نخدمك على ايه فقال بيبرس اخبرني اولا هل تري كنت فى أي مكان أنت والسياس ياعثمان قال عثمان أنا أحكي لك انا كنت نايم لكن صاحى لم أخذنى نوم فدخلوا على جماعة وثقبوا حيطة الاصطبل وصاروا يطلعوا الخيل واحداً بعد واحد وانا انظر لهم ولا أقدر اتحدث خوفا لا يقتلونى ثم لما أخذوا الجميع ساروا ولم يقولوا خاطرك يا أسطي ما قالوها ولا خافوا لا منك ولا منى فلما سمع بيبرس ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له ما أحد ضيع الخيل الا أنت ياعثمان لانك لو كنت أقمت الصياح كنت انا أدركنك قال عثمان انا خفت لا يقتلونى فقال بيبرس انا ما الزم خيلى الا منك قال عثمان وانا اعمل ايه أسرق لك غيرهم من الناس قال الامير هذا حرام قال عثمان وانا أعمل ايه سر بنا ندور لعل وعسى تنظر أحد نسأله عنهم فقال بيبرس نسأل من ياعثمان وهذه أفعالك كلها خلط في خلط قال عثمان افتش أنا وسيبه عثمان ومشى فالتفت بيبرس وقال له رايح فين يا عثمان قال عثمان رايح نقعد نعمل ايه لا عندك خيل ولا بقيت

أخدمك وتركه ومشى فتبعه الامير بيبرس ولكن يغيظ ولم يزل عتمان يجرى والامير وراه الى أن وجد شياطين البحر بعد ماقطعوا مسافة بعيدة عن المحلة فوقف عتمان وقال له ايش عاوز منى ياجندى هو أنا ضيعت خيلك عامد قصدك تبقبقنى وبكي عتمان فوقف بيبرس جنب عتمان واخذته الرأفة عليه فتأمل بيبرس واذا برجل قالع ملابسه على شاطىء البحر ونزل فيه وقال انت تعلم يارب انى تضايقت وهذه آخر عيشتى في الدنيا

هى نفسى ظلمتها ظلمتني فأنا الآن ظالم مظلوم
حكم ربى بالقضاء كيف ان ربى قضاءه محتوم

(ياسادة) وبعد ذلك أرمى نفسه فى البحر ولكن هو يعرف يعوم ولما ضاق عليه نفسه لطلوع روحه ما هانت عليه نفسه فطلع الى البر وبكي وقال

يا أخا الحزم قد تحير أمري فى أمور على الخليقة تجري
بين عفو ونقمة ضل فكري لست أدرى ولا المنجم يدري

قال الراوى وبعد ذلك أرمي روحه فى البحر قال الامير بيبرس ياعتمان قال نعم قال هات هذا الرجل واما الخيل ربنا يخلف علينا بغيرهم ففرح عتمان وجرد ثيابه ونزل جابه من قلب البحر ولما بقى معه على البر قال له عتمان رايح تغرق نفسك على ايه قال له وانت مالك قال عتمان عليك دين قال له وما يخصك به فعند ذلك جذبه عتمان واوقفه قدام بيبرس فقال له بيبرس ياجدع على ايه تقتل نفسك فقال له ياسيدى من الزمان وتقلبه وانا استحق هذا وانشد

عجبت من الدنيا لنصرة ظلم وتدفع مظلوم وكيد كريم
واعجب من هذا وذاك وهذه رأيت كريما تحت ظل لئيم

ياساده يا كرام ثم قال ياسيدى انا لي حكاية خبر لو كتبت بالابر على أوراق الشجر لكانت عبرة لمن اعتبر فقال الامير سمعنى حكايتك قال حتى تروق ذهنك وتلقى سمعك وتكثر من الصلاة على سيدنا محمد قال بيبرس اللهم صل وسلم عليه فقال ياسيدي انا اسمى محمد الكامل الهجان وانا اصلى من بلاد العجم ومملكتنا اسمها خوارزم العجم

وملكنا يقال له شاه جمك وابى عبد القان وصنعته هجان واسمه كامل الهجان
وانه عند القان معظم مكرم وان هذا القان شاه عمك له ولدان وله بنت وابنه
الكبير يقال له محمود وان هذا محمود جرت عليه الاقدار السابقة فى علم الله تعالى
فالسرق من عند ابيه وهو صغير فصار يبكى عليه ابيه وأمه بطول الزمن الى أن
وصلت اليهم الاخبار بأنه فى مصر عند الملك الصالح ايوب ملك مصر فلما سمع
أبوه ذلك قال لي يامحمد خذ هذه الخزنة من مال وسر بها من أرض العجم واشتري
متجر وتاجر فيه الي أن توصل الي مصر واستنشق أخبار ولدي محمود لانى
قد قل جلدي وعيل صبرى فاذا وقعت به فى أي محل فاشتريه وادفع ثمنه ولا
تأتى الى الا بخبر كافي من خصوص ذلك ولك عندى كلما تتمى فاستلمت منه
الخزانة المال واشتريت بها المتجر وجهزت نفسى للسفر وسرت من لعجم وما
زلت انتقل من بلاد الى بلاد الى أن وصلت الى أرض حلب فبعت مامعى
واشتريت غيرها من مدينة حلب ودخلت بها الى هاهنا فنزلت بمتاجرى فى خان
وأقمت فيه أبيع الدى معى مدة شهر أو اكثر واستعرفوبى أولاد المحله
وصاحبونى وتقربوا الي فى الكلام ثم أنهم سألوني عن محل اقامتى فقلت لهم
أنا رجل غريب من بلاد العجم وقد أتيت الى هنا لاجل التجارة وأنا ابيت
واقيم فى مكانى هذا فقالوا لى هذا الامر لا يتم لك فسر معنا حتى تتفرج على
عرس عندنا ولاجل أن تنظر أفراح بلادنا ونجعل لك الحظ الاوفر فقلت
لهم سمعاً وطاعة ثم أنى سرت معهم الى ذلك الفرح فلما دخلت الى ذلك المكان
وجلست فبينما أنا كذلك واذا اقبلوا الفوازى من النساء وجعلوا يرقصون
ويغنون ويطربون فتأملت واذا ببنت ذات حسن وجمال وقد واعتدال كأنها
الشمس المضيئة الطالعة بالانوار الساطعة لها طرف كحيل وثغر أسيل وشعر طويل
وخصر نحيل وردف ثقيل وهى تتجلا بقامة كأنها غصن بان ولها الفتات كأنها الفتات
الغزلان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات الحسان صلوا على محمد سيد ولد عدنان

ومليحة في قدها فاقت على ما بعدها
سلبت فؤادي مذرأيت انوار حمرة خدها
ياست ومالك كالقنا خضعت لها حسادها
الوجه بدر كامل وبالمحاسن زادها
والعنق عنق غزالة قد راعها صيادها
والصدر لوح مرمر فيه تخالف نهدها
والبطن طيات الحرير اما ترى ما بعدها
صرة حكت حق الزباد والحق حقا قدها
وبينهم شيخ كبير محكوم بين افخاذها
من زاره نال المنا وبلغ مراده عندها
وان جفت عشاقها وابتلو بصدودها
فالهجر حقا قاتلي والقمر عزر قادها

(قال الراوى) محمد كامل الهجان ياسيدى لما رأيت ذلك البنت تعلق بها قلبي وقد احتوت على مجامع عقلى ولبي ولا بقيت املك نفسى وتولع بي الهوى والهيمان ومن شدة ما بي قلت يارب انت تعلم ان النظر الى ذلك حرام ولكن وانشدت

خلقت الجمال لنا فتنه وقلت لنا ياعباد اتقون
فانت الجميل ورب الجمال وكيف عبادك مايعشقون

(ياساده) فعند ذلك سألت الناس الذى انا جالس معهم وقلت ياخوانى ماسم هذه البنت فقالوا لى اسمها حجيج فلما سمعت هذا الاسم جعلت اشكوا حالى لمن يعلم بسرى وسؤالى ولما مكثت مع اولاد الجبلة وانا قاعد معهم في العرس ورقصت تلك البنت وغنت واخذت الطار وارادت ان تلم العادات من الحاضرين فبقى الرجل منهم يرمي لها نصف فضه والاخر يعطي رغيف من دره والاخر يعطيها بيضة دجاجه وهكذا الى ان اقبلت

الي فمددت يدي الى جيبي واخرجت لها كيسامن الذهب وصببته في قلب الطار فلما رأت ذلك فرحت واستبشرت وقالت لى ياخواجه قلت نعم قالت لى ما اسمك قلت لها محمد قالت لى هذا ماهو مقامك تقعد في وسط الاخشان فقلت لها الحب ياعيونى بلانى فقالت ياسيدي انت المنا والمطلوب والرأى ياسيدى ان تروح معى الى بيتى فقلت انالم اعرف بيتك فقالت لى وانت مقيم في أى مكان فقلت لها فى الخان قالت خان التجار فقلت لها نعم فقالت انت تمضى الي محلك وانتظر مرسولى وانا ارسل خادمى يأتى بك الي عندى وآخذ كلما احتاجه منك ان كان عندك فقلت سمعا وطاعة ثم ان بعد ذلك انصرفت من وقتى وساعتى الى الخان فبينما انا كذلك ياأمير واذا بالخادمة التي لها قد اتتنى واسمها عندهم الخلبوصه وقالت لى تفضل أجب سيدتى فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت لها بقجة مزركشة بالقصب وفيها بدلة تساوى مبلغ من الدراهم وناولتها اياها وقلت لها اعطى هذة البقجة الى سيدتك لانى اريد ان تلبسها قدامى فقالت لى سمعا وطاعة ولكن انا الاخري أريد أن تعطيني بدله وانا اعطيك ثمنها فقلت لها على الرأس والعين وناولتها ماطلبت واعطيتها عشرة ذهب وقلت لها اعطي العشرة ذهب الى سيدتك تكلف بهم شمع وسكر وفواكه ولحم ومثل هذه الاشياء وانت خذى ذلك الشريفى الذهب اليك فأخذت ذلك كله منى وسارت امامى وانا خلفها الى البيت فلما دخلت الى البيت قامت لى على الاقدام وتلقتنى واخذتنى بيدها الي صدر المكان واجلستنى فلما نظرت منها ذلك طار عقلي ولابقيت اعلك لي ثم انها جعلت تمازحنى على قدر ما اريد من المباسطة من غير خنا وهي تلعب وترقص وتغنى وتجلس على حجرى حتى هود الليل ولجت في لهو وطرب وسكر ورقص وغير ذلك الى آخر الليل فقلت لها قد طاب النوم ودخل الوقت فقالت لى سمعا وطاعه ثم انها قامت على اقدامها واخذت بيدها كاسا وناولتني ذلك الكاس فشربته من يدها ولم اعلم ماهو ياأمير فما استقر فى جوفى حتى اتانى النوم فنمت من وقتى وساعتى ولم

ازل نائم الى ان حميت على الشمس فاستيقظت من منامى فوجدت حجيجة جالسة أمامى فلما رأيتها قلت لها ماهذا قالت لِي ماهذا اعلم اني غلبت فيك وانا اصحيك واستيقظك من منامك واقول لك قم على حيلك وانت لم ترد على جواب فقلت لها اذا كان اليوم فات غدا يكون الاجتماع وماعلينا من الماضى فقالت لى ارسل الى بعض البدل التى تليق بمقامى فارسلت لها بدله مثلى الذي ارسلتها فى اليوم الماضى وعشرة ذهب واتيت فى الليله الثانية فقامت واستقبلتنى احسن استقبال واجلستنى ولما طاب النوم اتتنى بكاس شربته فنمت الى ان تضاحى النهار وقالت اصحى ياسيدى فلما افقت من منامى فرأيت حجيج قاعدة أمامي فقلت لها قد طاب النوم فقالت لى ياسيدي انت نومك ثقيل وقعدت اصحيك وانبهك فما كنت تقوم فقلت لها يكون الليله الاتيه وهكذا مدة ثلاثة شهور فنظرت فى نفسى ان المال تحرك فيه الذهبان وانا بالحب ولهان فعند ذلك قلت الي حيث القت واملى متعلقة بوصلها ولا يمكن ودمت على ذلك حتى لم يبقى منى متاجرى شىء ابدا ونظرت الى حالى وعلمت فى نفسها انها قد سلبت من جميع اموالى فقالت لى ياخواجه ارسل لى خمسمائه دينار فقلت انا مابقي معي شىء ياحجيج فقالت لي انظر كما كان فانى محتاجه فنزلت اخيرا وبعت بدلتي وبغلتى وما عندي وجمعت كل ما تحصل عندى واعطيتها اياه وما بقى حيلتى شىء ابدا فرحت اخر النهار الى بيتها واذا بالباب مغلوق فى وجهى فطرقت الباب فبعد مده حنت على وفتحت الباب فدخلت وقد سمعت امها تقول لها ان الخواجه مابقت له حيلة اطرديه فعتبت عليها وقالت لها ياحجيج يصح منك هذا بعدان تأخذي مالى ونوالى تطاوعي امك وتتركينى قالت هكذا العاده فلما سمعت منها ذلك بكيت على نفسى فلما نظرت بكائي حنت علي فقالت لى اذا كان ولابد فاجعلك خديمي ان رضيت فقلت سمعا وطاعة ورضيت بالخدمة فقالت للغلام

وهو الخلبوص الذي كان يأخذ مني الذهب ويذل قدامي ويبوس يدي قالت له خذ هذا عندك رهونة فاخذني من يدي ويقول اني اعلمك الخلبصه فما يمكن اتخلص منه ويلحقني الحيا والخجل فيقوم الخلبوص ويضربني ضرب فاحش واقمت عندها الي أن أتانا مهرجان عند شيخ العرب نجم البحيرى وانه عامل له مهرجان وجامع فيه العربان ويروم انه بعد ما يبلغ حظه فانهم ناويين أن يقتلوا كاشف الغربيه ومن شدة عشقي في حجيج أنها كلما سارت أكون معها وتمكن مني الهوى والعشق وضبابة الجوي وقد بليت بعلة لم اجد لها دوى ومن مدة ثلاثة ايام دخلت امها ورأتني اقبلها فذهبت الى نجم البحيرى ووقعت في عرضه وأمرته بقتلي فضمن لها ذلك ولما جرى ذلك كانت حجيج في ذلك النهار متوجه الى نجع نجم الدين البحيرى فلما رآني قام علي بالسيف فجريت قدامه فلما رآني جريت قال قسما بالله ياكلب ان رأيتك في هذه الارض لاجعل لحمك كفته فهربت ولم ارد عليه وتركته وطلعت ها جاعلي وجهي ومن شغفي بالحب أردت الرجوع اليهم بالليل واذا قد وجدت العربان خارجين من عنده وهم عازمين على ضلال ووبال فتبعتهم وهم لا يعلموني ولم يزالوا حتى دخلوا الى الاسطبل بتاع كاشف الغربيه الجديد ونقبوا فيه نقبا فاحشا واطلعوا الخيل وهم خيول عظام ولما تبعتهم في الرجعة خفت ان شيخ العرب اذا وقعت عينه على يقتلني والموت مر ما يصبر عليه عبد ولا حر وعرفت ذلك جيد فقلت في بالي ان ابحث لي على محل ابات فيه ولا واحد اعرفه يحن على ويأويني عنده ومالي ضاع وما بقي لي صد رقط فجعلت الوم نفسي واتأسف علي ماكان مني والكلف التي قد كلفتها على نفسي فسرت ابكي الي ان وصلت الى هذا المكان فقلت في بالي يا محمد غرق نفسك في هذا البحر وارتاح من الدنيا ونزلت ومرامي اقتل نفسي بالغرق وكلما يلم على الماء ويضيق نفسي ارجع اطلع الي ان جاء صاحبك هذا اخذني اليك يا ابن الكرام وقد سألتني عن هذه الاحكام فاحكيت لك كل ما وقع من المرام وهذه حكايتي والسلام

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام قال له وانت محمد كامل الهجان تابع القان شاه جك يا قليل الادب وهل تعرف محمود بن القان الذي تذكر فيه فقال له ياسيدي اعرفه قال له يا محمد انت العشق غير حالك انا محمود بن القان الذى انت جيت فى طلبه لما سمع محمد كامل هذا الكلام فتح عينه الكرام ونظر الى الدولاتلى وا اقال

الغـزال المستهزء غدا تواصل من يعشق
صادف حين وصلق جاء الفال المؤكد بالمنطق

(قال الراوى) ولما نظر محمد كامل الهجان الي وجة الدولاتلى اعلم وتحقق ان هذا ابن سيده طار عقله فرحا ومرحا وقال ياسيدي انا نسيت الذى جري على وان المال الذى راح مني مايقوم بما جرى لى في هذا الوقت فانى اعرف ان المال يفنى وانت المطلوب وانا ياسيدى اذا رجعت الى ابيك باخبار وجودك فما يسألنى على مال بل يعطيني قدره ضعاف وانشد يقول

طيف الخيال من الاحباب اذ بعدوا هم فى ضميرى واحشائي كما عهدوا
الشوق فى باطني والنار موقده . والله لو فتشوا قلبي لما وجدوا
فيه سوي حبكم والله والله

اقف على بابكم استنشق الخبرا والروح تفديكم والسمع والبصرا
اشكي لكم حالتى ما تكشفوا ضررا والله اشكوا أن لو يعلم به احجرا
لرق لى ورثا والله والله

(يا ساده) ثم ان محمد كامل الهجان صار يقع على اقدام الدولاتلى ويقبلها فقال له الامير بيبرس يا محمد المال الذي اخذته منك الغزيه فهو مالى كما تعلم ومال ابى وانت ضيعته وانا اجيبه وهذه الملعونه حجيج انا ازوجها لك اما برضاها واما غضبا عنها لكن انت عليك تعرفني طريق هذا الطاغي نجم البحيرى فانه هو الذى اخذ خيلى ومرامه قتلى وانا مرامى قتله وقتل كل من

كان معه من العربان فقال محمد كامل هو انت يا أمير كاشف الغربية قال نعم قال يا سيدي أنا قد سمعت ان كاشف العربيه اسمه الامير بيبرس وانت يا سيدى اسمك محمود قال له اسمى محمود فى العجم واسمي بيبرس فى العرب امشي أمامى ثم أن الامير بيبرس أخذ محمد كامل الهجان منه الى دار الكشوفية والبسه بدلة مليحة وأمر المماليك أن يتحضروا ويكونوا تحت السلاح وأمر المقادم سقر اللوالى وسقر الهجان كذلك بالاستعداد فقالوا له نحن حاضرين عند الطلب فادعى بجرحش وقال له حضر جماعتك قال نحن كلنا حاضرين فقال عثمان وجماعتي حاضرين عندك فقال بيبرس تسيروا معى حتى اذا وصلنا الى هناك فتتفرقوا وتدوروا بدوائر العرب من الجهات الاربع وكل مائة مملوك يكن فى وسطهم أربعون من جماعة عثمان ومن جماعة جرحش عشرين ولا أحد يتخالف من المماليك ولا من السياس ولا من أولاد العرب وكونوا مستيقظين وأنا والاثنين المقادم تكون من داخل العرب حتى أقبض على نجم البحري فاذا سمعتم التكبير فكل من كان أمامه بدوى يقتله ولا تخلوا أحد ينفلت منكم أبداً فقالوا سمعاً وطاعة

(قال الراوى) وسار الامير كما ذكرنا ومحمد كامل الهجان يدل به فى الطريق كما وصفنا الى أن عبروا الي نجع العرب وقد ساروا يشقوا ويخترقوا العرب الى أن وصلوا الى دار شيخ العرب نجم البحرى ولما وقعت عين الامير عليه أبداه بالتحيه وتحية العرب ما يعرفون سلام فقال له الامير العواف لما عرف أنه ليس من أهل السلام فرد عليه شيخ العرب وقال له العوافين واطمأن من جهته قلبه وظن أنه من بعض العربان الباديات قد أتي لمساعدته فقال له شيخ العرب نجم البحري من انت ياجدع قال أنا شيخ العرب محمود فقال له مرحبابك والكرامه العواف عليك يامحمود قال محمود وانت عليك العوافي ياشيخ العرب .

(قال الراوى) ولما استقر بهم الجلوس حتى رقصت البنات الغازيات وكان سقر اللوالى وسقر الهجان واقفين بالباب واعينهم ترقب الدولاتلي وأما الاربعمائة

مملوك والمائه وستون جدع جماعة عثمان وحرحش فانهم احتاطوا بالعرب وكذلك الخمسة واربعين عبد الذين كانوا لتمراز كانوا صحبة المماليك شاكين السلاح ومستحضرين لقبض الارواح وانهم الجميع احتاطوا بالعرب كما يحتاط السواد بالبياض او النيل بالبلاد او الخاتم بالاصبع او السوار بالمعصم (قال الراوى) ودارت حجيج الغازيه وهي ترقص قدام العرب الي ان مضي من الليل الثالث الاول وبعد ذلك دارت قلم النقوط حكم عادتها من العرب فصار الواحد منهم يضع لها في الرق الذي بيدها بعض من الشعير ويقول لها خدي ياقحبه قولي مخالف الله والآخر يقول خذى ياقحبه قولي عنبطير وآخر يقول خذى ياقحبه ويعطيها بيضه فروجه ويقول لها قولي نزبير وهكذا جميع النقطه التي لمتها منهم شعير ودره وبيض ولا أحد اعطاها شيئا مصورا ابدا حتى جاءت الى عند شيخ العرب نجم البحري وقالت له انا مامك ياشيخ العرب فقال لها ارقصي ياقحبه انعمت عليك بكيله دره قالت شوبش شيخ العرب فعند ذلك تقدمت الى الامير بيبرس ومدت يدها بالرق فأخرج لها كيس من الذهب ووضعه فى الرق فقالت له وقد اخذها الدهش والعجب لما رأت ما اعطاها من الذهب من انت لملك الامير الدولاتلي بيبرس فقال لها نعم انا فقالت له ياسيدى اعلم بان هؤلاء العربان ما تجمعوا الا على قتلك فى هذه الليله ان افترسوا بك فانك انت شجرة الكرم وخسارة قطعها قال بيبرس يا بنت مالك دعوه وانما قولي صحايه شيخ العرب ضابط بن رابط قالت له يقتلني قال لها لا تخافى فان الله الحافظ الناصر وهؤلاء شوية شيوخ عرب وبعد ساعة تجديهم ابدان بلا رؤوس ورؤس بلا ابدان واجعلهم كاغنام المذبح الراقدين اكثر من القيام فقالت له وانا فى امانك قال لها ان شاء الله تعالى تنجى على يدى فعند ذلك قامت حجيج الغازيه وصاحت بعلو صوتها تقول شوبش ياعرب على حياة ضابط بن رابط ما تمت هذه الكلمه حتى قام شيخ العرب نجم البحرى وقال ايش ياقحبه لمن الله ابوك وابو ضابط ورابط ما تعلمي ان هذا قال يافاحشه وجذب حسامه وكان الامير بيبرس

واقف فقالت فى عرضك يادولاتلى فقال ارجع يابز بور العرب لعن الله بدنتك فلما سمع هذه الكلمة نجم البحرى حط يده على سيفه وضرب بيبرس فأخذ الضربه باللت فانكسر سيف البدوى نصفين فضربه الامير باللت على رأسه كظم الارض بجبهته فكان عثمان بجانب بيبرس فقال له مكتف كون فى غيره ياجدع فصاح بيبرس الله اكبر فجاوبته الفداويه والمماليك والعبيد من اليمين واليسار وزاد ظلام الليل فى الاعتكار وارادت العرب اخذ الثار وجردوا كل صارم بتار واوقدت نيران الحرب واشتدت نوائب الضرب وصار كل هين صعب وغنى بين الفريقين الحسام وزاد سواد الليل ظلام وان الامير بيبرس سلم حجيج الى محمد كامل الهجان وقال له سيربها الى مكانى ولعب الامير بيبرس بالسيف اليمانى وقطع الاعناق بحد الهندوانى وشق بضربته الصدور والاماق وذل اهل البغى واهل النفاق وقاما الحرب على قدم وساق وان المماليك هلكوا العرب تحت السيوف الرقاق ولا تنسى فضل الاثنين المقادم الاعيان وماكانت الا وقعة يالها من وقعة وما انتصف الليل حتى عدموا العرب جميعا وما بقى الا قليل والذى تبقى طلب الامان وسلم بنفسه الى الاسر والهوان وساق الجميع الي المحله واجمع الاسرى وامر عثمان ان يفرقهم في المحله وكانو ثمانين أسير فشنقوهم حوالين بوابات المحله واحضر نجم البحرى وقال له يا كلب العرب انت لاى شيء هجمت علي كاشف المحلة قتلته وتجاسرت على الاصطبل نقبته واخذت خيلى ايش الذى غرك على ذلك العمل اما بلغك عنى ماعملت انا بخضر البحيرى وانا كنت كاشف الجيزه وانت ارميت روحك فقال له نجم البحرى يا أمير اناما فعلت ذلك من تلقاه نفسى وانما انا جاءنى جواب من السلطان الملك الصالح ايوب يأمرنى بذلك فقال الامير يا كلب يعنى الملك الصالح عاجز عني حتى ارسل اليك يستنجد بك على قتلى ولكن هات الكتاب واذا به مكتوب فيه كما ذكرنا ولا فى الاعاده افاده فقال الامير بيبرس وعلي موجب هذا الكتاب قتلت الكاشف وقتلت حامل الجواب قال له نعم فعند ذلك امر الامير بتجريده من ملابسه

وعلقه من عرقوب رجليه كما يعلق الجزار الشاة ثم جمع امعاءه كلها عند صدره وربطا على بطنه بوطر نجادي حتى جمع الجلد علي العظم وقد احضر فرد مليان ومادفرن سخن وضربه بالحسام ارمي النصف التحتاني ووضع النصف الفوقاني على فرد الرماد ودورة فى المحله يوم كامل وهو نصف فوق الرماد بالحياة والاخر ميت والمنادى ينادى هذا جزاء من يطاوع الشيطان وينجارى على الحكام ويعمل عليهم كربه فهو يصير له هذا المثال كما فعل هذا الملعون حتي قتل كاشف الغربية وحصل له ذلك المثال وبعد ذلك أمر بنهب جميع متاع العرب من جمال وخيل وحمير ومعيز وبيوت شعر ولا تركوا فيهم غير النسوان فقط ونادي المنادى كل بدوى ان ظهر في المحلة أو في كل ارض الغربية التى عليها كاشف الامير بيبرس لاجزاءه الا ان يصلب فى البلد التى فيها والحاضر يعلم الغايب(قال الراوي) يا كرام وبعد ذلك جلس الامير بيبرس وطلب محمد كامل الهجان وطلب حجيج الغازية وقال لها يا ملعونه اين مالى الذي أخذتيه من محمد كامل الهجان قالت له ياسيدى كل مالك عندى ولا ضاع منه ولا خيط قال لها ياملعونه كان الرجل رايح يموت على يد هذا الملعون فى دم مهدور ولا اعرف طريق مالي ولا اعرف طريق الرحل وتكون مثلك بنت غازية فاحشة ملعونه تضيع الناس على هواها انت تستحقى عندي ان احطك فى زكيبة مع كلب وارميك البحر لكن بعد ما أسألك أول علي ما يرضى الله تعالى ان خالفتينى تبقى تستحقى وان طاوعتينى تكون سبقت لك السعادة باذن صاحب المشيئه والارادة اما من خصوص المال الذى لعبتى على رجل واخذتيه منه فما انا قابله ولا بارك الله فى المال المردود وانما انا قصدى منك تتوبي الى الله تعالى عن الزنا وعن الخنا والفساد وعلي كل من يغضب رب العباد فان من تاب تاب الله عليه وبعد التوبة أزوجك الى خادمى محمد كامل الهجان وامهرك وادفع لك المهر من عندى وادخله عليك بعد ما اعمل فرح عظيم (قال الراوى) فقالت حجيج والله يا سيدى انا عمرى لا طرقنى خنا ولا فساد وانا

بنت عذرة ولا طرقني طارق ابداً وقد أجبتك الى ماتريدوا نالك اطوع من العبيد فعند ذلك أمر بيبرس باحضار قاضي المحله وتوب حجيج توبة ناصحة كاملة وعقد عقده اعلى محمد كامل الهيجان وأمهرها بألف دينار دفعها من عنده وانتهى ذلك الامر وقال الى محمد لاتدخل عليها حتى اعمل لك فرحا في المحلة فاجاب بالسمع والطاعة (قال الراوى) وبعد ذلك التفت الدولتلى الى عثمان وقال له خذ هذا الكتاب وكتب له كتاب مضمونه يقول

ان الذى كتب الكتاب بيده   يقري السلام على الذي يقراه

وعلى الذى يقراه الف تحية   ممزوجة بالمسك حين يراه

من عند العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم الاعتاب مقبل الركاب كاتب الجواب بيبرس عرب محمود عجم الى بين ايادى سيد ملوك بني آدم وظل الله فى العالم أدام ألله دولتكم وامد بالاقبال طلعتكم ووصف بالنصر والظفر اعلامكم ورايتكم وادام رأفتكم ورحمتكم على رعيتكم آمين أما بعد تقبيل اياديكم الكرام والدعاء لكم بطول العمر والدوام وصلنا الى المحله واقمنا فيها الاحكام بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الاشراف وطلبنا الطاغى نجم البحري ومن له العربان الباغين ومحقناهم اجمعين وحق الله بالنصر المبين وقادم لدولتكم رؤوس اعدائكم العاقبة لكل من عاداكم ثم نفيد السياده اننا رأينا مع مطاغى كتاب اطلاع دولتكم عليه يغنى عن شرحه ولكن تعجبنا لما نعلم ان يد الدولة الصالحة لم تقصر عنا حتى تستنصر علينا بذلك الطاغى لا سيما ومن ضمن الامر قتل الكاشف حسان الكردي وقتل حامل الجواب فقلنا حقا ان هذه افعال المنافقين وها قادم لكم الجميع صحبة تابعنا لاجل احاطة مولانا على علوم كل صوره وقعت ادام الله دولتكم والسلام (قال الراوي) واعطا الكتاب لعتمان وعتمان أخذ معه مائتين رأس من رؤوس العرب وانزلهم فى مركب وسار بهم الى ان أتى بولاق وجعل الروس على مائتين جريدة وحملهم على اكتاف الرجال السايرين وقال سيروا الى الديوان ولكم على كل رأس

دينار فشالوا الروس ولم يزالوا سائرين الى قلعة الجبل وحدوا القديم الازل
(قال الراوي) وأما ما كان من الملك الصالح فانه قام من منامه ولذيذ احلامه ولبس ملابسه بالتمام وصلي صلات الافتتاح بالتمام وقرأ أوراده وختمها بالصلاة والسلام عل سيدنا محمد صفوة الملك العلام ونعد ذلك تقدم اليه الاغا جوهر وقال يا أمير المؤمنين الديوان تكامل فقال الملك ما كامل الا سيد المرسلين ثم انه السلطان ظهر وجلس واحدقت رجاله بين اياديه ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس قرأ القاريء وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم أمنت العساكر صاح شاويش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يرهب الفوت

مالك الملوك له قضاء نافذ　　فى خلقه مهما اراد به جري
يا خايفا من القضا كن آمنا　　وابسط يداك الى الذي بسط الثري
ان المقدر كائن لا ينمحي　　ولك الامان من الذى ماقدرا

(قال الراوى) فقال الملك أمنا والله اطمنا من اين كنا حتى اتصلنا ياحج شاهين والله العظيم ما كتبت ولا حضرت وكل من كان فعل ذلك جزاءه على الله فقال الوزير يا ملك ايش الذى كتبت فقال الصالح الرجل الذى يجيب لى الخوض قال أنا كتبت له مكتوب والله يا حج شاهين ما كتبت لاتؤاخذنى فى كلامي فتعجب الوزير من ذلك المرام فبينما هم كذلك واذا رزة عثمان تخبط على الرخام وعثمان طالع يغنى ويقول ياليل

خايف عليك يا غزال البر لا تنصاد　　الا العوازل وراك قاعدين بالمرصاد
قال بلاغوش فروح الجن لى اوصاد　　اما العوازل يكتبوا الميم صاد

صباح الخير عليكم يااسطوات جميعا من الطاقة للملاقة ومن الدفه للشابورة صباح الخير عليك يابوجوطه ياوكال الدقة والقرقيش ظفرها يوم تدعى لك تنك تأكل قرقيش ودفه لما تروح لله ماتلحق تقول فو قال الصالح وانت مالك بس ياعثمان ماحال سيدك قال عثمان تسأل عن سيدى وانت كاتب لنجم البحيرى تقول اقتله هو أحد يابوجوطه يقتل ابن عمه

تكتب لنجم البحري تخليه يقتل حسان الكردى قال السلطان الله بادايم كيف يا عتمان أين هو الكتاب قال هاهو قال اعطيه للقاضى خذ ياقاضى كتابك الذى تعرف خطه اقراه انت والكتاب الذى بخط بيبرس فين ياعتمان قال عتمان مين قال لك عليه قال الصالح اعطيه الى شاهين يقراه فعند ذلك اعطا الكتاب للامير شاهين الوزير قرأه اجهارا على رؤس الاشهاد ولما جاء على قوله قادم لكم الكتاب قال الصالح اخذوه اصحابه يا سيدى وانا مالى بالكتاب والله ما هو من عندي ولا حضرته ولا أمرت بكتابته كتب له شاهين رد الجواب بس لما يسمع القاضى مافى الجواب لاجل يطمئن عليه اقرأ ياقاضى فقرأه القاضى وسمعوه الحاضرون قال الصالح كثر خيرك قوم بقي ادفن الرؤس أنت وأبيك لاجل يبقى لكم ثواب فى ازالة الغمه عن المؤمنين ثم قال السلطان اكتب بقى ياشاهين قول لبيبرس الغربية لك اقطاع تقبض مالك منها لنفسك انت بنفسك وليس فيها منازع ينازعك والسلطان يدعوا لك بخير ويقول لك انى برىء ما كتبت قط هذا الجواب واما الرؤس حضروا ودفنهم القاضى والوزير ابيك فكتب الاغا شاهين كامر السلطان وتوجه عتمان برد الجواب هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من الامير بيبرس فانه شرع فى افراح خديجة محمد كامل الهجانى ويريد زفافه علي حجيج وأمر الفراشين ان يعلقوا الحلق والثريات وكذلك الطباخين ذبحوا الاغنام وكل ما كان فى الغربية من الاعيان حضر فى هذا الفرح ولعبت فيه ارباب الفنون حواة وبهلوانات وغيرهم مما يليق للافراح مده الفرح سبعة ايام تمام وليلة الجمعة دخل محمد كامل علي حجيج فوجدها درة ماثقبت ومطيعة لغيره ما ارتكبت فتملا بازالة بكارتها وبعد ازاله بكارتها على حسب العادة نزل يقبل يد سيده الذي لولاه ما كان بلغ مناه فلما تقدم وقبل يد سيده قال له الدولاتلي يا محمد قال نعم قال له انت فعلت شيئاً تستحق عليه التربية ولولا انت من رائحة أهلى كنت عملت لك ادب طيب ولكن بقى عليك تمحي ما سلف لان حجيج التى تولعت بها صارت فى قبضة يدك ولكن وحياة رأس أبى

السلطان شاه جمك ماعدت تنظر وجه حجيج الابعد ماتأخذ هذا الجواب توصله الى ابي فى ملك خوارزم العجم وتأتينى برد الجواب فمنذ ذلك عض محمد كامل على اصابعه قال الدولاتلي انا أعرف انك بالك طويل واخاف احسن تضحك على كما كنت تضحك على ابى وخذ هذه الف دينار للنفقة فى الطريق وهذه أربع بدل واحده لابى القان شان جمك والثانية لامى الملكة ابق والثالثة الى اخى نقطمر والرابعة الى اختى دور ملك وتسلم الجميع الى ابى وتأتيني منه برد الجواب فقال محمد كامل سمعا وطاعة ثم استلم البلد وطلب هجينة من الامير بيبرس حالا فاحضرها الى بين يديه ووضع البدل في خرجها وأخذ مايحتاج اليه ومايلزمه وقبل يد سيده وأراد ينظر حجيج فقال بيبرس انا حلفت فقال سمعا وطاعه وركب على ظهر الهجين وطلب المسير وقال يامهون العسير يكون له معنا كلام اذا اتصلنا اليه نحكى علية الفاشق في جمال النبي يكثر من الصلاة عليه

تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر واوله

واماما كان من عثمان فانه بعد ماطلع من الديوان

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوي على خمسين جزء

الجزء العاشر

(الطبعة الثانية)

سنة ١٣٤١هـ — ١٣م

(طبعت على نفقة مصطفى افندى السبع)
بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر
لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوي) وأما ماكان من عثمان فانه بعد ماطلع من الديوان علي انه رايح الي سيده فمر علي طريق المحجر فنظر الى المعلم حسن الحجار والمعلم على المهندس فسحب الرزه وتقدم قالوا له الفاتحه قال عثمان لما اقراها لكم آيه قالوا لا ياسيدي نحن حافظينها وانت ايش تريد قال لهم ان الدولاتلي عنده عماره في المحله كبيره ويروم انك تأخذ جميع ماعندك من بنائين وحجاره وتسيروا معي الي المحله قالوا له سمعا وطاعة وفى الحال قاموا معه من تلك الساعة وكل منهم أرسل الى رحاله ونبه عليهم بالسفر الى المحله فاجابوا جميعا بالسمع والطاعة وماتم ذلك النهار حتى ان الجميع بقوا علي ظهور الدواب مستعدين للسفر في البر وما جاء وقت المغرب الا وهم في قليوب ومن الغد توجهوا الجميع فى البر صحبة عثمان ولما وصل عثمان الى المحله دخل على سيده أولا أعطاه رد الجواب الذى من عند الملك الصالح فقراه بيبرس ففرح فقال عثمان انت ماقلت تعمل قنطره للناس يمشوا عليها قال صحيح لما نبعث نحضر المهندسين ونسألهم كيف يكون الحال فى بناء قنطره للطريق قال عثمان وانا جبت لك البنايين والحجارة والمهندس قال الامير مين قال لك هاتهم قال انا قلت لنفسي قال بيبرس على بهم فطلع عثمان احضر لهم المعلم

حسن المهندس وسلم على الامير فرحب به وأمره بالجلوس فجلس وبعد ذلك قال له أنا مرادي ان ابنى قنطرة لهـا ثلاثه عيون وابنى قصر وقيسارية دكا كين ذات الشمال وذات اليمـين ومرامى بذلك السرعة في عمـل ذلك سريعا وها انا أعرف ان هـذا شيء صعب ويلزم له ارباب الخـبرة وها انا احضرتكم لاجل ان تعرفوا اخـلاصكم وتجهزوا أشغالكم فما تولكم قالوا سمعا وطاعة قال الامير مرادى تقوموا معى حتى اتفرج على الارض من هذه الساعة ثم انه أخذ المهندس ومشوا الى ان وصلوا الى البحر الذي يعودون الناس منه فقال الامير هنا مرادي ابنى القنطرة فقال المعلمون له سمعا وطاعة ثم انهم أمروا الاتباع أن ينزلوا يعملوا جسور لمنع الماء ورمى الاساسات وكذلك الحجارين طلعت على الجبل لقطع الاحجار وأيضا نحاتين الحجر كلا منهم حضر عدته وتحضروا تحت قدوم الاحجار وتقدموا لقفله وبضروا فى البحر ذات اليمين وذات الشمال فقال لهم الامير يريد ان ترموا الاساسات وتكون ما كنة وان الشغل أيضا يكون متين وأما من جهة الاجرة والعرق أنا ادفع لكم الطاق اثنين واول ابتداء الشغل من الساعة الاولي من النهار الى الساعة العاشرة والاكل والشرب للفعلا والبنايين والحجارين وجميع الشغالين يكون من مطبخي وأنا على كامل ماتريدوه من لحم ورز وخبز وطعام وغيره فشكروه علي ذلك وقد أمرهم باطلاق الشغل قال عثمان طاوعني واترك البناية ولا تبني هنا شيء أبداً فقال الامير بيبرس لاى شيء ياعثمان قال عثمان فان أصحاب الارض ما يرضوا بذلك أبداً قال له الامير بيبرس دعنا من ذلك الكلام ومن هم أصحاب الارض غير الملك الصالح أيوب وايضا أني أريد عمل مصلحة لا هى مفسدة يا عثمان فمن يكره فعل الخير قال عثمان ابن المرا لا يصدق حتى يري هذا وقد دارت الاشغال بالاجتهاد ورموا الاساسات ودارت البنايات الى آخر النهار وروحوا الناس بعد ذلك الى حال سبيلهم ولما كان من الغد أقبلوا البنايين والمهندسين يريدون البنا

والاجتهاد واذا بالذى بنوه امس مهدود والطين وحده والطوب وحده فتعجب المهندس من ذلك وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومن الذي فعل هذه الفعال ولكن نحن نخبر الدولاتلي بذلك ثم نسامحه فى أجرة الشغالين بالامس فقالوا جميعا هذا هو الصواب ثم أنهم ساروا اليه من ساعتهم فلما وصلوا اليه سلموا عليه وقالوا له ياأمير نحن أتينا لنعلمك وهو ان امبارح لما اجتهدنا ورمينا في الارض الاساس وبنينا وروحنا آخر النهار الى محلاتنا فلما اصبحنا أتينا ثم أشغالنا فرأينا الذى بنيناه بالنهار انهدم بالليل فقال لهم ومن الذي هدمه قالوا الله لا نعلم ياسيدى قال الامير بيبرس لا بأس عليكم الاجرة محسوبة لكم روحوا أنتم دوروا اشغلكم ذلك النهار واذا جن الليل انا الذي أغفر البنيان وأنظر من الذى يهدمه فقالوا له هذا هو الرأي السديد ثم أنهم انصرفوا الى الاشغال وقد وسعوا الجدارات وقد نزلوا فى الارض زيادة فى الجدار وارموا الاساسات الى آخر النهار ارسلوا الي الامير بيبرس فلما حضر نظر الى الاشغال فاعجبته فقال لعثمان أنت والسياس جميعا تغفروا هذه البقعة الى ثانى يوم واذا اتاكم غريم اقبضوا عليه فلا بد انه من اولاد الزنا الذين بالمحلة فقال عثمان لا تتكلم فى ذلك يادولاتلي فالآن تنظره بعينك وان شاء الله تعالى يقابلك وعقيرب يقبض عليه ثم ان عثمان صاح علي عقيرب فلما حضر بين يديه أمره ان يحضر الطائفتين فحضروا وجلسوا في ذلك المكان قال عثمان اصحوا يا جدعان كل من نام منكم ضربه الجندى بالدمشقى فقالوا له سمعا وطاعة ثم انهم باتوا سهاري يقظانين طول الليل الى ان لاح الفجر فتأمل عثمان واذا برجل مقبل لابس ملابس الفقراء وعلى كتفه نبوت وهو سائر مثل نسيم الارياح حتى قارب البنا وأشار بيده عليه فانهدم لوقته وساعته فصاح عثمان امسك يا عقيرب الرجل هد البنيان فتجاروا وراء السياس وعثمان معهم فانفرد قدامهم وهم وراه بالجري فلم يلحقوا له أثر فقالوا يا جدعان شدوا وراه فغطس ما بان

كانه ما كان فلما خفي عن اعينهم عادوا راجعين الى الامير بيبرس وعثمان في اولهم وهو يصيح دوه ياحلاوى دوه قال الامير بيبرس مالك ياعثمان قال عثمان البنيان انهدم قال الامير من الذي هدمه قال عثمان رجل واحد وجرينا وراه كلما قلنا نقبضوه ونجيبوه لك هرب منا كانه مارد وغطس في الارض قال الامير ولاي شيء صبرتم حتى هدمه كنت يا عثمان من اول مادق فيه أول دقة كنت مسكته قال عثمان ماكان يدق هو قال للبنيان انهدم قام البنيان انهدم قال بيبرس من غير دق قال عثمان هذه عيني وهذه عينه ولا كان دق ولا تكلم قال بيبرس أنا أحرص هذا المحل بنفسي امض انت ياعثمان في حالك وكذلك رجالك فأنا لابد من نزولي في هذه الليلة وأشوف ما الخبر فقال عثمان هذا هو الرأى الصواب اغفر انت بنفسك وخل الناس تعرف بعضها جاتك داهية انت واياه سوى ثم ان عثمان تركه وسار الى الاصطبل فامر الدولتلى الشغالين ان يعيدوا البناء كما كان ودار الشغل الى آخر النهار وقد كانوا وسعوا الجدارات عن الاول وانصرفوا آخر النهار وتركوا البناء والامير بيبرس قعد عنده ومادام قاعد حتى صلى صلاة المغرب وبعد ان صلى حضروا له بعض مماليك بالمشا اكل وحمد الله تعالى وأقام حتى أذنت العشا فقام صلى العشا وقعد يقرأ فى كتاب الله وكانت ليلة مقمرة ومتجلى رب العزة والقدرة فبينما هو جالس واذا قد ظهر من تحت البنا كراسى قد اصطفت وجلس عليها اصحابها فقال كبيرهم اهدموا المحله بما فيها واربعة منكم يحملوها ويرموها فى البحر فقالوا له لانقدر على ذلك فان فيها الشيخ الفوال فقال لهم علي به فبينما هم كذلك واذا بالشيخ الفوال مقبل عليهم فقال لهم السلام عليكم ورحمة الله فردوا عليه السلام فجلس ولما استقر به الجلوس قال له كبير القوم اننا أردنا هدم المحله بما فيها وما أكرمناها الا على شان خاطرك فقال لهم قد علمت ذلك وعرفت انه من أجل ذلك البنا ولكن أنا أهدمه ثم انه وضع النبوت فيه ورفعه فوقعت الي الارض وانصرفت الرجال وأراد

ذلك أن ينصرف واذا بالامير تعلق بالنبوت الذى بيده ثم قال من أنت ولاي شيء هدمت البنا فقال الاستاذ يادايم ودفعه بالنبوت فغاب لوقته وساعته وتأمل الامير بيبرس واذا هو وجد نفسه فى واد احفر اقفر متسع الجهات ولم يدر أين هو فسار فيه الى ان انتهى الي شجرة عالية فصعد فوق الشجرة وجلس خوفا على نفسه من الوحوش والهوام التى بتلك الارض فبينما هو كذلك واذا قد اقبل رجل من كبد البر الى تحت الشجرة وكنس الارض ورش المياه تحت الشجرة وبعد ذلك أخذ أحجاراً من الارض وصار يصفهم على هيئة الكراسي فصار مثل الديوان وبعد ذلك نادى وقال بسم الله تفضلوا فان المكان خالى فلما قال ذلك الكلمة واذا قد أقبلت عليه رجال كثيرة ثم جلس كل واحد منهم على حجر من تلك الاحجار فصاروا مثل ديوان الحكم وبعد ذلك أقبل رجل جليل القدر والمقام فلما أقبل نهضوا له جميع الجالسين على الاقدام فسلم عليهم سلام الامراء العظام فردوا عليه سلامه بأدب واحتشام كل هذا يجرى والامير بيبرس جالس فوق ذلك الشجرة وهو ينظر اليهم ويرى (قال الراوي) لهذا الكلام العجيب صلوا على طه النبي الحبيب وكانوا هؤلاء الرجال المقيمين على الكراسي وجالسين فهم أولياء الله الخواص الذين لصطفاهم الله وخصهم بالولاية اللهم نفعنا ببركاتهم وأما الذي قدم عليهم فهو سيدي احمد البدوي رضي الله عنه ونفعنا الله ببركاته دنيا وأخرى (يا ساده) ولما جلس سيدي احمد البدوي على الحجر وكان اكبر الحجارة المرسوصة التفت الي احد الواقفين وقال له يا جوهرى سمعنا الفاتحه في صحايفنا وصحايف اولادنا واخواننا وأعمامنا وتوابعنا والآخذين عنهم والآخذين عنا بسم الله الرحمن الرحيم ثم انه قرأ الفاتحة وقرأوها جميع الحاضرين بصحبته ثم انه قال يا جوهر افتح البسيط ومد قدامنا بساط الطريق فقال له سمعاً وطاعة ثم ان النقيب قام على قدميه وقرأ الفاتحه وقال الحمد لله رب العالمين والصلاة

والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين اعلموا ايها الحاضرين الناظرين السامعين ان هذا القطب الذي قربه الله واصطفاه وهو سيدي احمد البدوى امرني ان افتح بساط الطريق بين ايديكم حقيق ففتحت البساط وقلت كما يليق الحمد لله الذى لا اله الا هو الملك العدل الرؤوف الشفيق والصلاه والسلام على نبيه سيدنا محمد الذى اظهر لنا الاسلام والايمان على صحة التصديق صلى الله عليه وعلى جميع آله واصحابه اولى الفضل والتوفيق ورضى الله تبارك وتعالي عن خليفته أبي بكر الصديق وعن عمر بن الخطاب ضجيعة ونعم الرفيق ورضى الله تعالى عن عثمان بن عفان جامع القرآن حبيب الرحمن عدو الشيطان ورضى الله عن ليث ابن غالب فارس المشارق والمغارب الامام على بن أبي طالب ورضي الله عن الستة الباقين من العشرة الذين بايعوا النبي تحت الشجرة ورضى الله عن آل بيت رسول الله اجمعين بساط الطريق مفتوح وعليه الانوار تلوح لمن يأتي ولمن يروح لمن له حق ولا اتصل اليه اوله جار وجار عليه فليخرج ويبرز الى جانب النقيب في حضرة هذا القطب النجيب وهو سيدى احمد البدوي سلالة سيدنا محمد النبي الحبيب فاسمعوا ما اقوله من الخطاب من كان له خطاب فليحضر الى هذا الباب على يد سيدى احمد البدوي بجمع هؤلاء الاقطاب ليأخذ له حقه من خصمه بالعدل والانصاف وعدم الارتياب لا ظلم اليوم لا أفلح من ظلم ان الله سريع الحساب (ياسادة) فاتم النقيب كلامه واذا بيد امتدت كأنها رقبة جمل ومسكت بيبرس من ظهره ورفعته من على الشجره وقدام السيد البدوي وضعته قال وكانت هذه اليد يد السلطان المحبوب الذى في طبقة الساده المصطفين محسوب وهو الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب وأوقفه على يمين النقيب فلما راه النقيب علي يمينه خرج وقرأ الفاتحة وقال يا سلطان الرجال انا مدحت النبى والاصحاب والاهل والاحباب وفتحت بساط الطريق وناديت على من كان صاحب دعوة أو له حق فظهر لي عن يمينى هذا الشاب فما تقول ياقطب

الاقطاب فقال له شيخ العرب قدمه الي محل الطلب فلما وقف بين يديه تبسم له سيدي احمدو البدي وقال له ماتريد ياشاب فقال الامير بيبرس انا رجل مظلوم فقال له ومن الذي ظلمك فقال الذي ظلمنى رجل فى المحله قال وماظلومتك فقال يا سيدى أنا رأيت ان الناس اذا خاضوا فى المياه من البر الى البر الآخر فيرفعوا اذيالهم فتكشف سوآتهم فعلمت ان هذا يغضب الله ورسوله وأردت ان ابنى قنطرة على ظهر هذه الترعة ليدوسون الناس عليها من غير انكشاف عورتهم وأردت بذلك ثواب لوجه الله تعالي فكلما أبني أساس فيحضر فى الليل رجل من المحله يهدم البناء واصبح أجدد الذي بنيته فى النهار هدم في الليل وهذه ظلومتى ولم اعلم ايش يكون قصد هذا الرجل من مناظره عورات الآدميين ولم يراقب الله رب العالمين وها انا يا سيدى حضرت بين يديك وارجو منك الانصاف فعند ذلك التفت السيد البدوى للنقيب وقال له حضر لى صاحب المحله فصاح النقيب وقال انت فين يا على يا فوال فما تم كلامه حتى اقبل من بعيد وتبوته على كتفه وهو يقول نعم يا سلطان الرجال عند ذلك قال السيد البدوي يا فتى انظر هذا الرجل هو الذى هدم البناء قال نعم يا سيدى هو ذلك فقال السيد البدوى لاي شيء يا فوال فعلت ذلك اتعارض من أراد الله ان يجعل على يديه خيراً ينتفع به المسلمين تمنعه انت عن فعل الصلاح مع ان هذا خارج بلدك في ارض مباح انت تكره فعل الخير ومنع الشر والضير فقال الفوال لا والله يا سلطان الرجال انا فى ذلك لا لى ذنب أبداً وانما اصحاب الارض هم الذين يكرهون ذلك بدليل ان هذه البقعة مكانهم وهم اصحابها ومقيمين بها فقال السيد البدى ومن هم اصحاب الارض ان الارض لله رب العالمين ففال له هم العمار الذي هم الجن الاسلام الكبار والصغار وهم مؤمنون اخيار فمايهون عليهم ارضهم والديار فقال السيد البدوي وعزه الله ان لا بد ان يبنى هذا الشاب القنطرة كظماً وكرماً ولا أحد يعارضه وكل من منعه فأنا له خصما كيف ان

الجان يتحكمون في الارض والمهاد ويمنعون حكام البلاد عن الاصلاح ومنع الفساد امضي الي عندهم وقل لهم ان شيخ العرب السيد البدوى أمر بيبرس أن يبنى القنطرة كنظماً وكرماً وانظرهم ماذا يقولون وعد الى في ساعتك هذه فقال سمعاً وطاعة ثم انه غاب قليلا وعاد اليه قال له يا سيدي انهم اجابوا بالسمع والطاعة غير ان هذا الموضوع سكنا لهم فاذا تركوه باي مكان يسكنون فقال له يسكنون تحت عتبة قبتى من بعد بناها (قال الراوى) وكان السيد البدوى ذلك الايام على قيد الحياة فقال الفوال يا سيدى سمعاً وطاعة لكن على شرط فقال السيد وما هو الشرط قال له يكون البنيان بالافراح تدق فيه نوبة سلطاني كاملة طبول ومزامير من أول الامر الى آخره فقال السيد هذا أمر ما فيه ضرر الفرح طيب ثم التفت الي الامير بيبرس وقال له يا بيبرس طاوعهم علي مايريدون وخذ من استاذك الصالح نوبة كاملة ودع البنايين يبنوا والنوبة تدق حتى يتم البناء فقال الدولتلى سمعاً وطاعة وبعد ذلك التفت السيد للفوال وقال له خذ هذا الشاب ودخله البستان المعلوم امره واوضعه على ما تعلم من الشجرة الذي يأكل منها نصيبه فقال له سمعاً وطاعة ثم ان الشيخ الفوال اخذ بيبرس وسار به قليلا وادخله فى بستان شقايق ونعمان وذنبق وسوسان وروح وريحان وهو جامع جميع الالوان سبحان من خلق الخلق وهو الله لا اله لا هو المظم الديان مدبر الاكوان على رأى من قال صلوا علي باهى الجمال

روض اليها في الاشجار متحملات بالاثمار
والماء على روضه جار جل الذى فجر الانهار
والطير علي الاغصان ينشد ويذكر الملك الغفار

(قال الراوى) فلما رأي الامير بيبرس الي ذلك البستان اعجبه غاية العجب فقال له الفوال تفضل يا أمير هذه الشجرة خذ منها علي قدر ما تأكل

حتى تزهد فنظر بيبرس الى تلك الشجرة واذا هي شجرة نبق فأخذمنها سبع حبات وأ كلهم ناعمين في أكلهم هينين وطعمهم احلامن الشهد وهم بيض مفرحين فقال له الشيخ لك سبعة أخر فأخذ بيبرس سبعة أخر وا كلهم واذاهم حلوين مبيضين غير ان فى ا كلهم شمخين لافيهم لين فقال له الشيخ خذ لك سبعة أخر فاخذ سبعة وأ كلهم واذا لحمهم ملصوق بالنوى ولـكن حلوين فقال له الشيخ خذ سبعة أخر فاخذهم وأ كلهم فاذاهم قليلة حلاوتهم ناقصة عن الاولين ولـكنهم لينين فقال له الشيخ خذ غيرهم فأخذ سبعة أخر وا كلهم واذا هم عضدين يابسين لا لهم حلاوة ولا لين فقال الشيخ خذ سبعة أخر فاخذ واذا هم كماء الصبر مرين فقال الشيخ خذ غيرهم فاخذ سبعة وساريأ كل فيهم فوجد كل واحدة على صفة بين حلو ومالح وحامض ودلع ومر والخامسه مشققة وبها مرض والسادسة منتنة والسابعة ناشفة ورائحتها كالعنبر الخام وبها حلاوة أكثر من الجميع ولم تقبل نفسه من بعد ذلك من الشجره شيئا فقال له قنعت ولا اقبل غير الذي ا كلته فقال له انزل انك أخذت ما تستحق فنزل معه الامير بيبرس وما زال سائر مع الفوال الى قدام السيد فقال له أ كلت قال نعم فقال له اوصف ما أ كلت فقال يا سيدى اولا أ كلت سبع حبات أحلي من الشهد فقال له هم الذى أنت فيهم فقال اكلت سبعه أخر نعم فى الطعم مثلهم ولـكن يا بسين في أ كلهم فقال لهم الذي تجتهد فيهم حتى ترتقي فقـال له وأ كلت سبع أخر لـكن ملصوق لحمهم بنواهم فقال له هم الذي تأخذ فيهم المملـكه فتكون قهراً عن من يكون معه شـور في المجلس وأما الحلاوة فأصدقائك فقال أ كلت سبعة أخر قليلين الحلاوة قال له يتفرق بعض احبـابك ويظهر لك أحباب وأعادى ولـكن انت تنتصر بقدرة الله الذى يعطيك فقـال اكلت سبعه أخر عادمين الحلاوة من اصله فقال نعم ينازعك كافر سارح بارادة الملك القادر ولـكن ينتج على يديك انتفاع اولاد الجن من أهل الايمان بقراءة

القرآن وهذا أيضاً لك فيه صواب ويقتل على يديك وتورث الارض من بعده فقال وسبعة سرين قوي فقال نعم لان فيهم يعارضك كافر جبار وتكون معه فى الحكم ولكن يأمر وينهى بغير الحق ولا تقدر تمنعه وهذا بارادة الله فلا راد لقضائه فقال وسبعة أخر متشكلة فقال آخر سنينك ترى حامض وحلو والسابعة يقضي بك شهيد فى الجهاد كما يشاء رب العباد تنتقل من دار الفناء الى دار البقاء وتجاور الصالحين فقال بيبرس الحمد لله رب العالمين (قال الراوى) ثم ان السيد البدوي قال للاستاذ الفوال خذه ودعه يتوضى ويصلي فى الزاوية فاخذه الفوال ودخل به الى الميضه فقعد وسمي وتمضمض وتنشق وهو ساكت وقال نويت فرائض الوضوء فسمع من ينوى بجانبة ولم يرى شخصا فسكت ولم يبد خطاب حتى تم وضوءه ووصل الى المحراب فسمع الناس وهم يقولون له صلي بنا جماعة يا أمير بيبرس فسمع القائل ينوى جماعة وكانت صلاة العشاء وكل من كان فى هذا المكان صلى خلف بيبرس جماعة فسمع أحد الناس يبلغ وصوته صوت السايس بتاعه عثمان بن الحبلة فبقى الامير بيبرس بين المصدق وبين المكذب حتى انتهى وسلم بيبرس وسلموا المصلحين وختمت الصلاة وتقدم اليه السيد البدوى وصافحه وقال له تقبل الله ياولدى منك الصلاة والجهاد فقبل الامير بيبرس يده فقال له لما اكلت من الشجرة أين النوى قال هاهو معى وكان الفوال أمره بحفظه فقال له تحفظ عليه يا بيبرس لانه ينفع لداء الصرع فقال سمعاً وطاعة وبعدها قال له السيد مليت الميضه قال نعم قال توضيت منها قال نعم فقال له انت ولدي بمقام عهد الله والله علينا من الشاهدين ثم ضمه الى صدره وصافحه ثانيا وقال توجه حيث شئت أعانك الله بالنصر والتأييد على كل كافر عنيد ولكن يا بيبرس اذا بنيت القنطرة وفرغت منها سر الي طنطا عند تل الحدادين وابنى هناك مقام يكون عظيم فقال له سمعاً وطاعة فقال عبد العال وابني لي انا الآخر مقام

الى جانبه الايمن فقال المجاهد وانا ذات اليسار فقال الجوهري وانا الآخر ابني لى مقام على رأس الوادى فقال الفوال وأنا كمان انى لى مقام بالمحله الكبرى فقال سمعاً وطاعة ثم انه تودع منهم الامير بيبرس وقال للفوال ارشدنى ياسيدي على طريق المحله فقال الفول ل ياأمير اعلم ان بينك وبين وادي النيل سفر ماية يوم وأكثر للمجد المسافر فتعجب بيبرس وقال له كيف يكون فقال له أنا أوصلك بما انك ناوي تبنى لى المقام هات يدك فى يدى وغمض عيناك فغمض بيبرس فقال الفوال فتح عيناك ففتح بيبرس عيناه فرأى أبواب المحله فقال له الاستاذ الفوال مقامي يكون فى وسط سوق النيل ومنى عليك السلام وغطس الاستاذ مابان كانه ماكان وأما بيبرس فانه قصد الى أبواب المحله وكان الفجر ظهر واذا بعثمان وهو يقول اتركه ياقرع مرادك يبرطلك ماتعمل حاجه الا بالاجرة اعمل مقام من كيسك وأنت تبني قنطره ياشقر علي شان تبقى تتعب نفسك كل ذلك التعب مقام المقرب ومقام الحنش ومقام لابي اللبد داشيء كثير هما كام نبقه اللى اكلناهم الناس يأكلوا كثير وانت اكلت اثنى عشر حاره وحبة بقا كل مقام ولكن العيب عند الرجل أبو لبد هو الذي وصلك الى هنا ودخلت الجنيسنة ياجدع وصليت بالناس الذين كانوا هناك وقالوا لك ابن لنا كل واحد مقام فقال بيبرس وأنت من الذى وصلك ياعثمان قال عثمان الدنيا كلها خطوة عاجز فقال الامير بيبرس اسكت فقال عثمان واسكت ليه هى سرقة عقيرب كان يبلغ وأنا صليت امام فقال بيبرس دعنا من ذلك ياعثمان ثم ان الامير كتب كتاب يطلب النوبة السلطانى من الملك الصالح وكتب كتاب الى الوزير يطلب المعاونة منه على ذلك وقال ياعثمان خذ هذا الكتاب للملك وهذا للوزير قال عثمان وأبو جوطه ماكان حاضر وهو حيلته ايه تشته منه مامعه الخبز قال الامير سر بلا كلام قال عثمان هات الكتاب فاخذ عثمان الكتاب وتوجه الي مصر هذا جرى (ياساده) وأما ماكان من أمر الملك الصالح ظهر في ذلك اليوم

جلس على تخت مصر يتعاطى الاحكام ولما تكامل الديوان وقرأ القاريء وختم ودعا الداعي وختم ورقى الراقي وختم وآمنت العسا كر عرب وعجم وصاح شاويش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يرهب الفوت

يا من حكم طول الزمان على القرايا والحلل
فلا يغرك ذا المقام وانما الدنيا دول
يا من بدنياه اشتغل وغره طول الامل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

(قال الراوى) فقال الملك الصالح آمنا وأمرنا الي الله سلمنا وعلى الله توكلنا من أين كنا حتى اتصلنا يا شاهين الرجل مد يده على الشجرة وحضروه أهل الواسطة وا كل نصيبه الذى له فى عالم الغيب واجتمع على الجماعة الذين لا قبلهم ولا بعدهم واخذوه في وسطهم ولا بقي أحد يقدر يكلمه منهم أبداً قال وانا أعطيه يطبل طيب قال الوزير ما الذي يطبل قال السلطان الرجل قال بده يفرح فبينما هم في الكلام واذا بعثمان طالع يقول ياليل

رح يا فلان الفلانى من هنا لفلان قل له فلان الفلانى اعترف بفلان
والله لولا المحبة والصفا لفلان لاقتل فلان الفلاني واقرن بفلان

سلام عليكم يا جدعان منا الفاتحة فى صحايفكم من الطاقة للعلاقة قال الصالح أهلا وسهلا يا عثمان قال عثمان يابو جوطه الجندى يسلم عليك وعلى ابو فرمه وأرسلني بكتابات لكم خذ اقرأه يابو فرمه أما كتاب الوزير فقال له الملك حطه في جيبك ولا توريه لاحد ابدا ولالى واما كتابي انا اعطيه للقاضى يقرأه على ويسمعه على رؤوس الاشهاد لاجل ما تسمع الناس فأخذ القاضى الكتاب وحله ونظر فيه واذا فى اوله شعر

محصد القلب حبكم ايد الله مجدكم
لو رأيتم مكانكم فى فؤادي لسركم

قصروا مدة الجفا طول الله عمركم

اما بعد من العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب بيبرس الي بين ايادي أمير المؤمنين وخادم قبر سيد المرسلين خليفة الله فى ارضه القائم بشريعة فرضه وسنة سيد ملوك بنى آدم وظل الله في العالم نعرف السيادة باننا نزلنا على المحله فوجدنا الناس إذا ارادوا يعدون الترعه من الشرق الى الغرب أو من الغرب الى الشرق فيرفعون ثيابهم لمنع المياه فيكشفوا على عورات بعضهم نساء ورجال فتيقنت ان ذلك حرام واللعنة على الناظر والمنظور فانذرت على نفسى انى اذا نصرت على نجم الدين البحيري ابني قنطره فى ذلك المكان رحمة للمؤمنيين ولما نذرت وبلغنى الله ارادتى فاردت ان ابني فانهدم البناء ليلا ثلاث مرات واصحاب الارض يمنعون وبعد ذلك تواسطوا أهل الخير واقمنا الدعوة على يد من تعرفونه فحكم لنا بالبناء بشرط ان تكون النوبه شغاله والمزمار شغال فالمراد تساعدونا بارسال فردة طبل سلطانى ومزمار ملكي امتثالا لامر اصحاب الارض وهذا ما لزم اقدناكم والامر أمركم اطال الله عمركم والسلام على من تظلله الغمام (يا ساده) فلما قرأ القاضي الكتاب وعرف ما فيه ومعانيه نهض على الاقدام ونقض الاحكام وقال ايش أيش يا أمير المؤمنين ان هذا لا يكون ابدا وماتكون النوبة التركى والمزمار الملكي الا لمن يكن في صنجقيه كامله وبيبرس لا يستحق ذلك لانه كاشف والكاشف لا يقوم مقام الصنجقيه فقال الملك ياقاضى والصنجقيه كثير على ولدي بيبرس وعزة الله الا يلبس ولدى صنجق وعتمان نائبه لبسه ياوزير شاهين نيابه عن سيده كرك الصنجقيه وهو يلبس سيده وارسل له نوبه كامله وارسل له رد الجواب فقال الوزير سمعا وطاعه ثم ان الوزير كتب له رد الجواب بامر الملك ان تتمم بناء القناطر بمعرفتك والكلفه على طرف السلطنه ومرسل اليك الكرك تكن صنجق كامل سلطاني أمير مائه مقدم على جيوش الف وهذه النوبة الكاملة من طرف السلطنه قادمة

اليك أؤمر بدفنها كما تحت وتختار وعثمان البسه نيابة عنك وهو يلبسك الكرك والسلام (ياساده) ثم ان الوزير سلم الكتاب الى عثمان وقال له سلم على سيدك ولبسه هذا الكرك وسلم اليه النوبة ثم ان الوزير أدعا الانباشيه بتاعه وأمره أن يحضر أربعين مملوك يكون كبار مبشنين بخيلهم وسلاحهم ويسافروا الى المحله صحبة عثمان هدية من الوزير الى الدولتلى الامير بيبرس وكان الامر كما ذكرنا وأخذ عثمان المماليك وسافر حتي انه قدم الى المحله وكانت المماليك بفراشتهم وخدامهم فلما وصل عثمان الى المحله أقام قريب منها وكان الوزير اركبه على حصان والمماليك بصحبته ولما قرب عثمان من المحله أمر الفراشين ان ينصبوا الخيام فنصبوها وفرشوا الفرشات ووضعوا الكراسى وجلس عثمان على صدر الصيوان وهو لابس هذا الكرك ومومي برأسه الى الارض وقد احدقوا اليه بعض المشايخ ولم يعلموا من هو ثم ان عثمان أمر بضرب النوبة التركى والمزمار الملكي فلما ضربت الطبول رجفت العالم حتى كانه فرح كبير هذا جرى لعثمان (ياساده) وسمع الامير بيبرس الطبول والكاسات والزمور فتعجب غاية العجب وسأل عن ذلك من أهل المحله فقالوا له لا نعلم بشيء من ذلك غير اننا رأينا صنجق أقبل من عند السلطان ولكنه تركى مغلق لا يعرف ولا حرف عربى أبداً ولا يعرف له كلام ومعه خدام ومماليك فقال بيبرس يكون مولانا السلطان استعظم على كون انني طلبت فردة نوبة لاجل بناية القنطرة والنوبة ماتكون الا للصنجق فارسل الى المحله صنجقا من طرفه لولاية الغربية وعزلني أنا ولكن الصواب انني أركب وأكشف هذا الامر بنفسى ثم انه نهض على الاقدام وسار فى نفر قليل ولم يزل سائر الى ان وصل الى ذلك الخيام فامر من معه بالتأخر عنه فتأخروا عنه ودخل بيبرس الي داخل الخيمة الكبيرة ولما قارب الصنجق تمشي بين يديه وقال له باللسان العجمي انت ياأمير أقبلت من عند أمير المؤمنين لاجل أن تتولى مكاني فلم يرد عليه جواب فقال بيبرس فى نفسه

يكون لم يعرف بهذا اللسان ثم انه قال له بالترك كي ما ترديا أميراً نت حضرت صنجق
على الغربية فلم يرد عليه جواب فكلمه بالعربي فلم يرد عليه جواب فتأخر الامير
بيبرس الي ورائه وصبر نحو ساعتين وهو واقف بين يديه حتى انه كل من
الوقوف فقال له ائذن لى ان كنت أرحل أو أقيم وتقدم اليه ومد يده اليه فاعطاه
يده عند ذلك أخذ بيبرس يد عتمان وباسها وتأخر ثم أعاد عليه السؤال فرفع
رأسه وهزها واماً وثانيا الى الارض كل هذا وهو لايدري ولا يعلم بان هذا
عتمان بن الحبله فلما اعياه الامر عن ذلك قال انى أريد الرحيل واذا به صاح عليه
وقال له انت تقول ايش يامفش فقال له الامير انت من فقال له انا عتمان ابن الحبله
الذي بيتنا فى المراغـة والقبر الطويل وعبدنا اسمه فرج علي باب بيتنا قنديل
فقال له يارجل اما تخاف الله تعـالى لأي شيء أتعبتني وأناواقف بين يديك
واتمني عليك وأقبل يديك مرارا وأعيانى الوقوف قال عتمان ومن قال لك أقف
فقال له قم من مكانك ثم صاح فيه قال عتمان خذ المماليك الله يسامحك والطبل هو
عندك وخذ تقفطن جاتك داهيه ثم أرمى له الكرك وأعطاه الكتاب الذي بخط
الوزير واذا به من الوزير الاكبر الى المحب الافخر ولدى الامير بيبرس حضر
عتمان بجوابك وقضينا لك مرادك وأرسلنا لك كرك سنجقية عند ابى
القاضى لانه قال السلطان ان النوبة لاتدق الا علي رأس صنجق فامر السلطان
بارسال الكرك اليك على يد عتمان وان تكون صنجق على اغاضته وقادم لك
النوبة وايضاً أربعين مملوك من عند أبيك يخدموك وذمتهم سالمين فلما قرأ
الكتاب بيبرس فرح فرحا شديداً سجد شكراً لله تعالى ثم قال ياعتمان أنا مالي ومال
القاضى قال عتمان هذا عدو الاسلام وحبيب الكفار فقال الامير يارجل اتق الله
قال عتمان بخـاطرك (قال الراوى) ثم ان بيبرس شرع فى ادارة البنيان
والطبول تدق والزمور كذالك ولـكن مع الاجتهاد نقلت الروايه انها تمت
في أربعة أشهر وتسعة أيام ابتداها ثلاثة عشر في الحجة سنة ٦٠٣ بعد الهجرة

النبويه لانه طلع من العيد الاكبر وأقام فى البناء لغاية اثنين وعشرين من الربيع الآخر سنة ٦٠٤ من الهجرة وطلعت هــذه القنطرة غاية ونهاية وصار لهــا رونق وكل من رآها يقول رحمة الله على من صنعها وبعد ذلك شرع في بناء القام المشهور الى الشيخ على الفوال ولما تم بناءه تحكم ماعلمه الاستاذ وفرغ منه ثم أقام ايام قلايل بالمحلة وأخذ المعارجيه وتوجه الى طنطا ولما وصل اليها دخل الي جامع البوصه وطلع عليه فرأى مولانا السيد البدوى جالس يوحــد الله تعالى فسلم علــيه وقبل يديه فاجلسه الى جانبه وكان عثمان معه فقال له السيد أنا لحظتك يوم الخلوة وكذلك الرجال أصحاب الاحوال وأنت منصور وقد اتخذتك ولدي ولي معك مقابلة سبع مرات أولها قابلتك يوم طعام الــكشك وأنت مريض والثانية يوم الجمعة فى جبل قاف وهذه الثالثة فمديدك أنت ولدى بعقام عهد الله والله علي خلقه من الشاهدين الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا فقال عثمان عشقته ياأقرع فاشار عليه السلطان بيده فوقع الى الارض ولــكن لاحظه السيد بنظرة عظيمة فسار عثمان معه لحظات اربع أولها من السيدة نفيسة العلم والثانية من الخضر عليه السلام والثالثة من الصالح ايوب رضى الله عنه والرابعة من السلطان شيخ العرب السيد احمــد البدوي وله لحظات خــلا ذلك منها لحظة قطب الدايرة ولحظة سيدي عبد القادر ثم غيرها من الابطال ولــكن سوف تذكر كل شيء في مكانه وكون ان عثمان يتم له الولاية ويصير من الخواص المصطفين (ياساده) ثم انه السيد البدوى قال للامير اركب جوادك وسر به الى ارض طنــطا الي أن يقف الجواد وحــده بقدرة الله تعــالى فانزل عنه وتأمل فى الارض تجد خوصة نابته فى الارض مكتوب عليها بقلم القدرة لااله الا الله محمــد رسول الله فاذا رأيت هــذه العــلامة فهناك يــكون مقامى فقال الامير بيبرس سمعا وطاعه فقال عبد العال واجمل

مقامي عن يمينه من داخل الجامع وقال السيد مجاهد وأنا على اليسار وكذلك الجوهري قال وانا على راس الوادي فقال سمعاً وطاعة ثم أشار على عثمان فافاق من غشوته وصار مع سيده وصار قطب عصره ولم يزالوا سائرين الي ان وقف الجواد فنزل الامير بيبرس الي الارض وتأمل واذا به وجد العلامة التي قال له عليها فشرع في البنيان وبنى المقامات والجامع والمأذنتين ووقف لهم الاماكن وعمل واجتهد وقد بلغ في البناء أكثر من نصف سنة وكان الوكيل على البناء سيدي على المليجي الوصال وكان اذا عجبه حجر من الاحجار حذفه الي بلده مليج وهذا والسيد يعلم منه ذلك واذا أتي الي العمارة يقول له وصلت يا وصال (ياسادة) ويقال ان كل الاولياء يجاملون السيد البدوي ويساعدونه في البناء وكل من أتي يكتبه عبد العال والذي يغيب يخبر عنه ويقول فلان لا اتا الينا فكان من جملة من غاب سيدى اسماعيل الانبابي فلما ذكره عبد العال بلغه ذلك من نقيب الاولياء لان السيد أرسله له يقول له لاي شيء ما أتيت فعند ذلك ركب الصخرة وسار بها في البحر فلما رأوه أهل بلده صاروا يقولون له حيدر يا راكب الحجر فدعا عليهم بالحضار كما استهزؤا به وسار الى ان وصل الي السيد احمد البدوى فقال له لاي شيء ما أتيت فقال جيت راكب الصخرة فقال وعزة الله انت راكبها ويدى من تحتها لكن انى أتيت واريد أن تشتغل فقال سمعاً وطاعة لكن بالاجرة ويكون شغلي في القبة فقط قال السيد له وهو كذلك فاخذ سيدي اسماعيل قصرية ووضع فيها النصف طين والنصف طوب وقعد بجانب القبة ودام البنا يعقد حتى تمت القبة ولم تفرغ تلك القصرية وهو واضعها على الاشغال ولما تكاملت عقد القبة ولا بقا شيء فقال يا شيخ العرب احسب لى اجرتى فقدر له السيد سنوى خمسة وعشرين غرشاً وسبعة جدد فقال له هذه اجرتي وأين ثمن التالية فقال له قد جعلت السبعة جدد ثمنها فقال لي عليك ذلك يا شيخ العرب مادامت القبة موجودة فقال لك على ذلك فيقال والله اعلم أن سيدى

احمد البدى يرسلهم فى كل عام الي سيدى اسماعيل الانبابي وذلك ان خادم سيدى اسماعيل يجدهم العام الي العام داخل صندوق النذور ثم بعد تمام ذلك الاحوال استأذنوا سائر الاولياء فى المسير فاذن لهم الاستاذ بالانصراف ودعا لهم وساروا الى حال سبيلهم فهذا ماكان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ماكان من الامير بيبرس فانه لما تهيأ الفراغ من تلك الاشغال شرع فى المولد الكبير وهو المشهور في سائر الاقطار وقد رسمه عشرين يوما ثم ان الامير بعد ذلك سار طالب أرض المحله وذلك بعد ان قرأ الفاتحه واستأذن وسار الى مقام الاستاذ الجوهرى فبناه وأشهره لكل من يراه وسار بعد الاساتذه طالب المحله وتلك الاوطان فبينما هو سائر واذا قد أخذه العطش الظمأ ولم يجد فى مسيره الماء فسار قليل وتأمل واذا به يرى فى طريقه زيرين مليانين بالماء الزلال فصاح بعثمان اسقنى الماء ياعثمان فلم يرد عليه عثمان فصاح به الثانية والثالثة فقال له اعلم ان صاحب الماء رجل بخيل ولم يرض أن يسقيك فقال له لاي شيء ياعثمان أما هو سبيل يشرب منه الغني والفقير والجليل والحقير فقال عثمان سبيل لغيرك وأما انت فمالك عليه سبيل أبداً فصاح فيه املا الكوز انت ولا يخصك شى فقال عثمان جاتك داهيه ابن الخرا لا يصدق حتي يرا ثم تقدم عثمان وملا الكوز وناوله اليه واذا به فارغ فتعجب من ذلك وأخذه الفزع فبينما هو كذلك واذا برجل قد خرج اليه من خلف الابار عليه دلو مرقع وبيده جريدة عليها شوك وله ثلاث ضفائر من الشعر وهو مكشوف الرأس وقال له السلام عليكم يا سيدي بيبرس ماسم الكريم فعند ذلك أخذته الهيبة وتحول من على جواده وأقبل الي عند ذلك الرجل وقبل يده فقال له انت تريد ترتب علينا ترتيب ونحن ناس فقرا على باب الله تعالى وأنت رتبت علينا هذه الشربة لا بد لغيرك أن يفعل مثل فعلك فوعزة الله لاكان ذلك أبداً وان كان ولا بد من شربك الماء فتملا هذا الكوز ذهبا حتى ان الترتيب يكون عليك لا علينا فقل له سمعا وطاعة

ثم ان الامير ملا الكوز ذهبا وكتب بذلك سجل علي كل من يتولى المحله ثم ان الامير شرب وقبل يد الاستاذ وقال ياسيدي ما أنت من عباد الله الصالحين فقال له يارجل أنا الفقير الي الله تعالى عوف ابو اللطيف فقال له سألتك بالله الا ما دعوت لى فقال له الله تعالى ينصرك على الاعداء ويعمر بك البلاد ويرشد بقدومك العباد ففرح الامير بذلك الدعوات وانصرف الى حال سبيله وصارت هذه العادة مرتبة للشيخ ابو اللطيف ولم يزل الامير في سرور وحظ الى ان وصل الي ارض المحلة ونزل فى دار عزه ومحله وقد تذكر ما من الله به عليه فصار يترنم بهذه الابيات

أعانني ربى حتى بلغت ما أري وأعطاني فضلا جميلا زايدا
واسعدني ربي حتى قضيت حاجتي بفضل علي رغم أنوف العدا
والتقيت بآل كرام كلهم من آل بيت النبى محمدا
ونجم سعدي قد تلالا مشرق وعلا فوق السماء رفرقدا
وقتلت خضر ونجم وجيشهم وسقيتهم بهمتى كاس الردى
ولقيتهم وضربتهم وهكتهم وساعدنى سعدي بكل ترشدا
وعلى العمار ربى أعانني من بعد ما كان البنا تهددا
وأثبت قولي وأبطل مقالهم بحكمة قيوم في علاه تمجدا
وقابلت اقواما كرام العطا والتمست منهم كل الندا
وبنيت مارمت حقا من البنا وأوجبوا العفو فى يوم الردى
وعمرت ارضا للثواب وانني نشأت ثوابا يرتجى طول المدى
وبنيت بالمحلة ثم بغيرها قناطر تبلغنى رشادا وسؤددا
وبنيت المقامات لاهلها وعمرتها بذكر الله مع أهل الهدى
ونصرني الرحمن جل جلاله وزادنى فضلا علي رغم العدا
ومن الله أرجو أن يعيننى على الخيرات في طول المدى

وصل يا الهى على المصطفى احمد رسول الله جاء بالهدي
كذا الآل والاصحاب جمعاً بأسرهم ما طلعت الافلاك أو نزل الندا
كنا التابعين لامرهم ولقولهم وكل محبيهم ينجو غدا

(قال الراوي) ولما فرغ بيبرس من مقاله وما أبداه من أقواله جلس فى مكانه يسبح الله تعالى الذي خلقه وصوره وينقش الواح الخط على صدره مدة من الايام فيوم من بعض الأيام بينما هو جالس واذا قد دخل عليه عشرة رجال يقدمهم رجل عالي المقدار فلما وقعت العين على العين قبلوا الارض بين يدي الامير بيبرس وسلموا عليه وقالوا ايها الامير قد جئناك مستغيثين وبك مستجيرين ومما نزل بنا خائفين ولا تردنا خائبين فقال لهم وكيف ذلك ومن انتم ومن أين أقبلتم فقالوا له نحن من بلد يقال لها بطينه ونحن أكابرها وهذا شيخ البلد وما جئنا اليك الا بأمر عجيب وسماع غريب فقال لهم وماهو فقالوا له أعلم ايها الامير انه قد ظهر عندنا غول مهول وذلك الغول على صفة الآدميين شنيع المنظر كريه الخلقة غليظ البشرة كلما مر بشيء يأكله وكلما مر بزرع يقلعه وكل ما رأى شيئاً يفسده ولا يعرف الشبع ولا يدري الجزع وكل من تعرض له فى طريقه أهلكه وقد اجتمعنا عليه مراراً ونحن فى عصبة عظيمة فلا وجدنا به من طاقة فلما أعيانا الامر قال لنا هذا الشيخ ان اردتم ان ينصركم الله تعالي على هذا الغول فيكون ذلك على يد الامير الذي بنا مقام سيدى أحمد البدوي لانه رجل منصور وعدوه مقهور فقلنا له قد نظرت موضع النظر وهذا هو الامر المدبر ثم اننا أتينا اليك ووقفنا بين يديك وعرضنا ذلك القول عليك والسلام (قال الراوي) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام العجيب كاد ذهنه ان يغيب ثم انه التفت الى عثمان وقال له خذ معك اخوتى السقورة الاثنين وسربهم مع هؤلاء العشرة واقبضوا على هذا الغول الميشوم حتى أنظر ما يكون فى هذة الامور فاجاب بالسمع والطاعة ثم أنهم ساروا من

وقتهم وساعتهم وهم مهتمين في حاجتهم الى ان أقبلوا الي بطينه فلما استقر بهم القرار قال عتمان انا لهذا الغول كفية وحق رب البرية فقالوا له السقورة وكيف تصنع قال لهم ان أردتم ان أقبض عليه لكم فاجعلوني فى جلد جمل واربطوا علي وارموني لهذا الغول وانا من داخل الجلد فاذا وجدني يأتي الى عندى فاذا اراد ان يقتلنى فاصيح عليكم واكون قد مسكت يديه وأنتم تدركونى فتهجموا عليه وقد أخذناه والسلام (قال الراوي) فلما سمعوا كلامه ضحكوا عليه وقالوا له يا شيخ عتمان وكيف اننا نوضعك فى الجلد ونرميك الى التلف فى يد العدو ولكن ارح نفسك من هذا الامر قريب وسوف تري من أفعالنا ما يسر كل حبيب ثم ان الاثنين السقورة أمروا المشايخ ان يروحوا فيحضروا الطعام ففي ساعة الحال احضروه وبين أياديهم وضعوه فعند ذلك مزجوه بالبنج الطيارى وقالوا للرجال احملوا هذا الطعام واوضعوه فى طريق هذا الغول ففعلوا ما أمر به ففي ساعة الحال أقبل ذلك الغول وقد كرف رائحة الطعام فاقبل عليه باهتمام وجعل يأكل منه مثل الولهان فما أتى على آخره حتى تمكن البنج من رأسه وضمايره فسقط هاوياً الي الارض ولم يعرف الطول من العرض فابتدر اليه عتمان فوجده بهذا الشان فاوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وقد اجتمعت عليهم الناس وأخذهم من ذلك الفعال الوسواس وقد شاع الخبر فى أهل البدو والحضر بقبض الغول وان الذي قبضه الامير بيبرس كاشف المحله ولا بد ان يقتله ويريح الناس من فعايله (يا سادة) ولم يزالوا به الى ان اتوا به الى الامير وهو كانه البرج الكبير فلما نظر اليه الامير تأسف عليه وحزن وبكي عليه وقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله لو كان هذا عاقلا على نفسه رشيداً فى أمره لكان الاسلام أحق واولى به لانى ارى علامة الشجاعه بين عينيه والفروسية ظاهرة عليه وانما لكثرة هواه موته خير له من حياه ثم ان الامير قال خذوه واقتلوه ولا تبقوه

فتقدم اليه سقر الهجان واوثقه كتاف وقوي منه السواعد والاطراف وعم عينيه وأرماه فى نطعة الدم وأعطاه ضد البنج عطس وافاق لنفسه فوجد نفسه هكذا فتقدم اليه ليقضي عليه فبينما هو علي ذلك واذا قد اقبلت امرأة وهى عابسة الوجه ضايعة الحواس واقبلت حتى وقفت بين يدي الامير وهى تنادي لا تظلمني ايها الامير ولا تتجاوري علي ومامنا الا يقول لا اله الا الله محمد رسول الله انت ياأمير تقتل الاشراف وتسبي الاحرار وتفعل فعال الفجار فقال الامير متعجباً من قولها اعوذ بالله مما ذكرت اخبريني ما السبب فى ذلك وما تكون قصتك وحالك فجعلت تتكلم بهذه الابيات

الله ناصر لكل موحد ومخذل لكل طاغى وظالم
ومبيد أهل الظلم والردا وآخذ للخلق كل المظالم
ومخذل أهل الكفر منه بعدله وآخذ بيد المظلوم المتقادم
فلابد ان يصبح المظلوم فى عزة ولابد للظالم ان يصبح نادم
قد أمر بالعد فى قوله وأمر المختار حقاً بنصر مظالم
وأنتم ولاة الامر من أهل الورى وأنتم طعام الارض والطعم عادم
فخذ بيدى واسمع دعوتى واصغى مقالي وكن لى فاهم
مظلومة من الايام حقاً وغيرها ومنك ايضا ظلومتي ومأثم
هذا شريف الاصل سيد قومه وانه شريف من رجال اكارم
له الفخر والاعزاز فى كل موطن له الشرف العالى فى المقادم
له نسب متصل بخير الوري احمد المختار نبينا الهاشمى
تريد قتله ظلما بغير جناية وتلقى الله يوم القيامة ظالم
من أين تجد سبيلا للنجاة ومن أين تخلص من يد الحاكم
فاعتدل ولا تجور وتعتدي واخشى كريما ولا تكون مخاصم
وقدم بين يديك لله حقه ولا تكون ظلوما فتبقى نادم
أمر الله بالعدل فى قومه وانت على غاية به ومفاهم

كيف تقتل شريفا مفضلا ... وتحرق فؤادي وأنفي راغم
فلي حديث تعجب منه الا كل لورى ... ويحير فيه كل ذي فطنة و تكارم
وهذا سؤالى قد أخبرتك به ... والله ربي شاهد ثم عالم
فأنا التى شتت البين عزوتي ... وأسقاني كؤوس العلاقم

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس كلامها وما أبدته من نثرها و نظامها ود سماع قولها ورق لحالها وأخذ بخاطرها وطيب قلبها وأمرها بالجلوس بين يديه وصبر عليها حتى أفاقت من غشوتها على نفسها وقال لهم اتركوا هذا الرجل حتى نسمع كلام هذه الحرمة فعندها تأخرعنه سقر الهجان ثم أن الامير بيبرس قال لتلك الحرمة اخبريني عن سبب ظلومتك وما تكون قصتك و بليتك فقالت له أريد منك ثلاث روق ذهنك والق سمعك واكثر من الصلاة والسلام على النبي الكريم فقال الامير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم تسليما فقالت له اعلم انه قد ورد ببلدنا رجل من أولاد اسماعيل يقال له المقدم عوض وكان هذا لرجل فقير الحال فأقبل الى المضيفه وبات فيها تلك الليلة وذلك من شدة فقره فبالامر المقدر جاء بعض الفلاحين يشكون الى شيخ البلد ان الغيطان قد سرقت منها الحبوب وكذلك البهائم قد سرقت من البيوت فلما سمع الشيخ منهم ذلك المقال قال لهم ومن فعل منهم هذه الفعال فقالوا له ان البلد التى أقصانا يغورون علينا ويهجموا علينا ويأخذون بهايمنا وهم الآن سائرون بمتاعنا ومواشينا فتحير الشيخ وصار يضرب كف على كف ويقول نحن مالنا طاقة بأهل هذه البلد وما يكون الحل فى ذلك الامر والزلل فتقدم اليه المقدم عوض وقال له هذا لا تخف ولا تحزن ولا تتأسف فأنا قد أكلت من طعامكم وشربت من شرابكم والآن وجب علي اكرامكم وأرد مواشيكم اليكم لانه يقال عيب على راعى الحما وهو قادر اذا ضاع فى البيداء عقال بعير فلابدما أرد لكم ضالتكم واكسر شوكة أعدائكم ثم انه نهض فى أربعة أنفار من أهل البلد

وسار خلف اللصوص ولم يزل سائر والاربعة يدلون به حتى أدرك اللصوص وقد سبقهم واستقبل وجوههم وجرد حسامه وصاح فيهم الله اكبر فتح الله ونصر وصار يضرب فبهم يمينا ويساراً حتى فرق جموعهم فى القفار وقد تعجب منه الا تقار ورد الضالة على أهلها ولم ينقص منها شيء ورجع بعد ذلك ولم يأخذه تعب ولا ملل ولا شقاء ولا فشل فلما استقر قراره وقد فرح به الشيخ والرجال الامارة فتقدموا اليه وقالوا له أيها السيد الكريم والبطل العظيم هل لنا فى جنابك مطمع وزمامك مرتع أن تقيم عندنا وتكون فى أعيننا وتغفر غيطاننا وبعد تناولك منا ما يكفيك من الاجرة وماتقره عينيك فأجابهم الى ذلك وتولى الغفر وآخذ وأعطى وقد صارت البلدة محفوظة بسبب هذا الرجل فلما تكامل ذلك العام جمع ماله من الزراعات والعوائد والخيرات فكان شيء كثير ثم انه أراد الزواج فخطبني من أهلي ففرحوا به وأكرموه بي فقمد عندي وأدى مهرى ودخل بى فحملت منه بذلك الغلام الذي بين يديك وأقام معى بعد الحمل ثلاث سنوات وتوفى الى رحمة الله تعالى وقدر عليه بكاس الممات فأوفيت شهوري ووضعت هذا الغلام فطلع فارس لا يطاق وعلقها مر المذاق ثم انهم اكرمونى واكرموه وذلك لاجل خاطر أبيه الى أن بلغ مبالغ الرجال وصار له قول وأحوال فأقاموه محل أبيه وكل ما أتاه نقتات به أنا واياه فيوم من الايام بينما هو سائر بين البيوت والغيطان فرأى رجل زارع مقاتة خيار فقال له انى لم آخذ شيء على هذا المكان فقال له ذلك الرجل يا سيدى الارض أرض الله والزرع لله والخلق خلق الله والامر أمر الله وأنا لم أحط غفراً أبداً فقال له ولدى وقد سميته ناصر الدين عون صدقت ياشيخ نجم ثم انه تركه ومضى عنه ولكنه أضمر له الخيانة فى سره فلما جن الليل نزل ولدى على مقاتة الرجل وجعل يقطع هذا ويأكل هذا ويقلع هذا حتى أخرب له المقاتة كلها وبعد ذلك أراد الانصراف واذا بالرجل قد أقبل وقال له قد اكلت الخيار ولا أبقيت له آثار ولكن روح بلاك الله بالقحط والاضرار ثم تركه وسار

الى حال سبيله فلا أحد براه ياسيدى ثم أن ولدى أقبل علي وقال لي يا أمي أنا جيعان فقدمت اليه الاكل فصاح أنا جيعان ولم أزل كلما أوضع له شيء يأكله ويصيح أنا جيعان حتى اكل كل ما عندى ثم انه بعد ذلك خرج من عندي وكل مامر بقوم يأكل ماعندهم ورحل الى غيرهم وقد سموه الغول وقد أخافوه أهل البلاد وكل العباد ولم يزل كذلك حتى شاع ذكرك ونصرك الله على خصمك شكوا اليك هذا الامر فأرسلت اليه أحضرته الى بين يديك وأردت قتله وقد شاع في البلدان الامير بيبرس يريد أن يقتل الراجل المستغول فلما بلغني ذلك أتيت اليك وسألتني أخبرتك وهذه حكايتي والسبب وحق من على العرش احتجب (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك الكلام قام الى الحرمة وقبل رأسها وقال لها لا بأس عليك ياسيدتي قومي وروحي الى المكان وسوف ترى ولدك أحسن مما كان بعون الله الملك الديان فعند ذلك دعت له بالنصر والظفر وانصرفت الى حال سبيلها على ذلك الامر وقد حمدت ربها على نجاة ولدها وايقنت بذهاب صبرها ويأسها فهذا ما كان من امرها (قال الراوى) وأما ما كان من أمر ولدها والامير بيبرس فانه يذكر كلام سيدى احمد البدوى سلطان الرجال الكرام لما قال له دع هذا النوي معك فانه ينفع لداء القحط وحق الذى خلقك وقد سبق ذلك في ديواننا الذى تقدم قبل هذا الديوان وكل شيء له أوان) ياساده) ياكرام يا أهل الخيرات صلوا على سيد السادات فأخرج من ذلك سبع نوايات وجمعهما بيده وسحقهما وعجنهما بالعسل النحل الابيض وأمر باحضار فطيرة معجونة بالسمن البقرى وجعل عليها ذلك العسل الممزوج بالنوى وقدمها الى ذلك الرجل فلما اكلها أخذه النوم فنام فلما استيقظ من منامه كان الامير بيبرس عمل له فطيرة أخرى فأكلها ونام وكذلك الثالثة فلما أفاق من النوم قال الامير ائتوه بالطعام فأتوا بالطعام فأكل منه قدر رغيف وقال الحمد لله رب العالمين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أين أنا فقال له الامير أنت عندنا فقال لهم اعلموا يا اخوانى انني قد عافانى الله تعالى من جميع ما أجده من

هذا الجوع فقال له الامير ماعندك داء أبدا هذا وقاموا اليه اولاد اسماعيل وسلموا عليه سلام الاحبة والخليل وقالوا هذا أخينا ومنا وبن عمنا ومن دمنا ولحمنا ثم انهم قلدوه بالسلاح وأنعم عليه ولبسه بدله عظيمة لهاقدر وقيمة وأمر له بتجزين داره وعلو مقامه وذهاب اكداره فاقام فى خدمة الامير أيام وقد بلغ أمه ذلك ففرحت غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح وقبل المقدم ناصر الدين عون يد الامير واستأذنه فى المسير فأذن له فسار الى ماكان عليه من الغفر وقد أبراه الله من الضرر وعافاه من ذلك الامر المنكر فهذا يكون له ذكر اذاهو من اللجج قد طهر وبان أمره واشتهر (قال الراوى) ويرجع النص والكلام العجيب الي مايحصل من اللعين الكئيب القاضي المريب وذلك ان ايبك التركماني جلس في بيته ولما أقبل الليل أرسل الى القاضي أحضره بين يديه فلما حضر قال له يا مقلة الزعل ضيعت مالى وأذهبت مصالحى وصحبتني فقير بين الناس وذلك لاجل هلاك بيبرس ولم يفيد من ذلك شيء واني الآن أريد أن أقتص منك وأمتنع من صحبتك التي ماهي الا خسارة فلما سمع القاضى كلامه ضحك له وقال تأنى ايها الرجل البهلول ولا تكون فى أمرك عجول وسوف افعل ماتقر به عينيك ثم انه أخرج دواة وسطر كتاب وأعطاه الى غلامه منصور وقال له ياولدى قد كبرت علىّ وأكادت أن تنفطر مرارتى ولكن خذ هذا الكتاب وسر به الى سمنود وأعطيه الي قاضى سمنود وأمره أن يعمل بما فيه وهات لي منه رد الجواب ثم انه ساروه فى أذنه وقال له اعلم انه من غلمانى وانه نصراني وانا الذي وليته على ذلك المكان وعلمته على هذا الامر والشان فسار به منصور وقد طوى الارض طي ونهب البر انتهاب حتى وصل الى سمنود وسلم الكتاب للقاضى فحله وقراه واذا في أوله صليب وفى وفى آخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الله الملك القريب المجيب خطاباً من شيخ الاراجيس وخليفه ابلبس التميس النجيس

الـكلب القرنان الملق من واحد وأبعين قسيس من داخل كنيس الى بين أيادى ولدى خناجر اعـلم يا ولدي اني جاءت لى دعوة وقد أخبرنى السيد المسيح والحوا ريون انها تقضى على بدك فحال قراءتك الـكتاب تصبر الى الليل و تسير الى المحله وتسأل على دار الـكاشف الذى بها وهو يقال له الامير بيبرس فاذا دلوك عليـه فانزل واسرقه وسر به الى بين البلدين المحله وسمنود واقطع رأسه واخمد أنفاسه ولك فى نظير ذلك خمسين سنة زياددة فى عمرك ومايه فدان فى سقر شكر يامسيح والسلام (قال الراوى) وكان هذا اللعين خناجر فاجر ابن فاجر يخوض الليل ويركب الخيل ويشن الغارات ويسرق الـكحل من العين والجديد من بين القميصين فلما قرأ الجواب قبله وجعله على رأسه وقال سمعا وطاعه لعالم الملة فسر انت يابرتقش اليه وسلم عليه وقبل ايديه ورجليه وقل له اني فاعل كلما يطلبه منى فرجع البرتقس من عنده فلما وصل الى استاذه أخبره بماجرى ففرح اللعين بذلك فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) وأما ماكان من أمر اللعين خناجر فانه صبر الى الليل وسار الى المحله وعرف المكان وكمن هناك الى ان تنام الناس فهذا ماكان منه

(قال الراوي) واما ما كان من أمر بيـبرس وعثمان نه فا دخل على سيده فرآه جالس يقرأ فى القرآن الشريف فقال عثمان سلام عليكم قال الامير عليـك السلام قال عثمان قم بنا نلعب استغفر مايه قال بيبرس أنا ماألقب فقال عثمان نلعب السيجه قال له لاألعب شـيئاً قال عثمان ياشقر خلينا الليلة بلا نوم ودعنا نقضيها بالسهر والضحك واللعب فقال له اتركنى وأمضى الي حال سبيلك فقال عثمان انت الاخر جادتك داهيه من عندالله ولكن مدركاك الالطاف الخفية ثم صاح عثمان بعلو صوته يانفيسة العـلم احضري له وتركه ونزل الى حال سبيله فهذا ما كان من عثمان (قال الراوى) وأما ماكان من أمر الامير بيبرس فانه بعد ان فرغ من القراءة تخفف من ملابسه ودخل

الي محل نومه فنام وتوكل على العليم العلام الرحيم الرحمن ولم يدر ما كتب له من قديم الزمان على رأى من قال هذين البيتين صلوا على سيد الثقلين

امنتم وتحكمتم واغتررتم بمهلة وامنتم الدهر وهو خؤون
خذوا حذركم من نكبة الدهر انها اذا لم تكن كانت فسوف تكون

(قال الراوى) فلما استقر به المنام نزل عليه اللعين وقد اقبل وافرد على وجها منديل مطبق بالبنج الطيار فالقى النوم على النوم واقتلع به بعد ذلك ولم يزل ساير الى بين البلدين ثم انه القاه الى الارض واوثقه كتاف وتشبحه فى الارض واعطاه ضد البنج عطس فقال الحمد لله رب العالمين اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أنا فى أى مكان فقال له اللعين أنت عندي يا كناس يا مرفوص فقال له الامير ايش انت قال له انا ايش ابصرا انا ايش انا خناجر عايق بلاد الروم قال له ومالك ومالي ومن سلطك على قال له سلطني عالم الملة جوان وقد اكرانى على قتلك قال اذا كان هو اكراك على قتلي بعشرة آلاف انا اعطيك عشرين ولك مني الامان قال له يا كناس اعطانى مائة سنة زيادة فى عمرى وعشرين فدان في سقر والوادى الاحمر وأنت ايش رايح تعطيني قول كلمتك عند المنتار قال له تأخر عنى حتى اطلب الفرج من صاحب الفرج قال اللعين من أين يجى لك الفرج يا كناس وقد وقعت فى ضيق الانفاس وما بقى لك من يدى خلاص قال له تأخر يا ملعون حتى اطلب الفرج ممن لا تراه العيون فجعل اللعين يهزأ به ويقول تعالى اليه ياسيدى فرج ثم تأخر اللعين عنه والامير رفع طرفه الى السماء قبلة الدعاء وقال

الهى أنت العليم بما قد نزل بى من المصايب
وأنت القدير على الامر كله وقد حارت الافكار من كل حاسب
ففضلك لا يحصيه كل الورى لا ولا يعدونه كل الكواتب
ففرج عنى كربتى مع شدتي وما بليت به من نكايب

واصرف عني الهم والغم كله وأرسل لي فرجاً غير ذاهب
وكف عني ذا اللعين وكيده وابليه يامولاى بالمصايب
لأنه عندي شديد كافر من نسل قوم لئام كواذب
انى توسلت اليك بخير الورى طه رسول الحبيب الغالب
عليه صلاة مع سلام دائما ماطلعت الاثمار من كل جانب
كذا الآل والاصحاب كامل جمعهم هم السادات الكرام الاطايب

(قال الراوي) فاتم الامير دعاءه وتضرعه الى مولاه حتي صرخ اللعين صرخة مرعبة ادوى منها البر الاقفر وقال في صراخه واى كانه الليث الغضنفر فتأمل الامير رأى اللعين وقع الى الارض قتيل وفي دماه جديل يختبط بيداه ورجلاه وبعد قليل بطل حسه وخمد نفسه وعجل الله بروحه الي النار وبئس القرار هذا وقد تعجب الامير من ذلك غاية العجب ولم يقف على حد السبب (قال الراوي) وكان لذلك سبب عجيب وامر مطرب بديع غريب نريد أن نسوقه على الترتيب حتى ان المستمع يلذ ويطيب بعد الف صلاة والف سلام ترضي النبي الحبيب الذى من صلي عليه فليس يخيب وكيف يخيب وهو يصلي على النبي الحبيب وذلك ياأخوانى ان الله من كرمه واحسانه وفضله ولمتنانه يخلق الفرج من قلب الضيق ويخلق اليسر من العسر فتأملوا ياأهل التحقيق وانظروا هذا الفرج الذي قد خرج من عين الضيق وذلك ان اللعين خناجر لما ان تأخر عن الامير بيبرس حين طلب الفرج فبالامر المقدر والبلاء المحرر حصره البول حصرا قويا فاراد اللعين ان يريق الماء في ذلك البرية مثل اقرانه وهو واقف فلم ينزل منه الماء ابدا واخذه الحصر بزيادة فجلس على كفيه و راق الماء فى شق هناك فخرج من ذلك الشق ثعبان كانه قضيب البان ولدغ اللعين فى محاشمه فصاح الصيحة التى ذكرناها وعجل الله بروحه الى النار فهذا ماكان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ماكان من أمر الامير بيبرس فانه صبر حتي مضت عليه اكثر من

ساعة وهو على تلك الحالة فى البر وحيد وقد المه الكتاف فبينما هو كذلك اد نظر رجلا فى البر وهو راكب على حماره ويقول لها سيرى يامباركه بأذن الله تعالى فسارت الى أن اقبلت الى ناحية الامير بيبرس ووقفت بقدة الله تعالي الملك القدير وأمتنعت من المسير فقال لها سيري يامباركه فلم تنتقل ابدا فقال لها انت تعبتى من السير ومن ركوبى عليك ولكن انا اخفف عنك ثم انه نزل عن ظهرها وخلع البردعه عنها ووضعها على رأسه وبعد ذلك ركب على ظهرها وقال لها الآن خففت عنك سيرى يقى فتعجب الامير من فماله كل العجب وصاح كيف خففت عنها وها انت والبردعه عليها فالتفت اليه وقال له وايش تكون انت قال له رجل من خلق الله تعالى فقال له ولاى شيء لنت هنا قال له ادركني فأنى رجل مظلوم وفعلو بى العدا ماترى فدنا منه وحل كتافه وقال له قم باذن الله تعالي واركب الحمارة حتي اني أوصلك الى دارك وآخذ الاجرة قال له الامير سمعا وطاعة ثم انه اركبه وسار ماشى خلفه وهو لا يعلم من هو ولم يزل سائر الى أن اتى دواره فما صدق الامير أن يصل الى هناك حتى تحول عن الحمار وصعد الى مكانه وترك الحمار وقد القي الله عليه النسيان لانه كان تعبان من السهر وما قد اعتراه من ألم الكتاف فنام حتي طلع النهار فلما صلى الامير صلاة الصباح وجلس يقرأ ورد الافتتاح وقد طال المطال على صاحب الحمار فقال للحماره اطلعى الى الامير بيبرس وانطقي بقدرة الله الواحد الاحد وقولى له هات اجرتنا فطلعت الحماره الى المقعد ونطقت وقالت له صاحبى يريد الاجرة فلما سمع كلام الحمارة نهض على الاقدام وتذكر الشيخ الذي خلصه واركبه الحمارة فنزل مهرولا الى ان أقبل عليه فقبل يده واعتذر اليه وطلب منه السماح فسامحه وقال له سامحك الله تعالى فقال له الامير ما تريد قال أريد أن تبني لى مقاما بارض مليج وانى انا قد سرقت الطوب من العمارة الكبيرة التى كانت بطنطا لاني كنت اذا اعجبني حجر

حذفته الي بلدى وأريد الآن انك تبنى لى مقام وتسميه باسمي انا الفقير الى الله تعالى على المليجى وترتب لى مولداً يكون قبل مولد السيد بجمعه واحدة وتكون هذه اجرتي منك وأما اجرة الحمارة فانت ترتب لها شيئا بمعرفتك كما تريد فقال له قد رتبت لها ستة فدادين من الطين من غير مال فى كل عام على كل من يلبس كاشف بالغربية ولا احد يأخذ لهم ملك ابداً فسميت حمارة الشناوية لان ذلك الطين كان بارض الشناويين من تلك الموضع ثم ان الامير أجاب الاستاذ الي ذلك وارسل المهندسين والبنايين وشرع في المقام والمسجد المظيم الموجود الي الآن وبنا له مأذنتين وبعد الفراغ من هذه الاشغال شرع له فى المولد ورتب له تراتيب وخيرات وكتب الطين للحماره وذلك لاجل أن الله نجاه من عدوه فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين جوان فانه مقيم ليلا في مكانه واذا برسول أيبك قد أقبل عليه وقال له أجب سيدى فقام اللعين ودخل عليه وهو يقرأ فى القرآن ويسبح الرحمن ويدعو للاسلام فتزحزح له أيبك واجلسه بجانبه فلما استقر به الجلوس قال له الى الآن ما شاع عن بيبرس خبر ولا سمعنا عنه شيء وانت أوعدتنى بهلاكه وارسلت مكتوبا فما كان من أمره فقال له اعلم انى ارسلت اليه من يقتله فى كتابي الذي ارسلته ثم ارسلت بعد ذلك من يكشف لنا خبره ويقف على اثره وما أقول الا أنه قد قتل بين البلدين ولا بقيت تراه بالعين فبينما هم فى هذا الكلام واذا بالرسول الثانى الذي ارسله القاضى قد اقبل وهو على حالة مزعجة فقبل يد القاضى وقال له ما عندك من الاخبار فقال له اعلم انى سرت كما امرتني الي المكان الذى عنه عرفتنى فلم أر بيبرس فيه ولا وقعت له على جلية أثر بل وجدت الرجل الذى أرسلت اليه الكتاب طريحا هناك على التراب نهشته الوحوش والذئاب والدود قد تناثر من لحمه

عاينت ذلك تركته وأقبلت اليك وأخبرتك بما رأيت والسلام (ياساده) فلما
سمع أبيك والقاضي ذلك عظم لديهم وكبر عليهم وكادوا أن يهلكوا أنفسهم بايديهم
وجعل أبيك يسب القاضي و يلومه و يقول ماهذه الفعال الذى فعلتها وما هي
الا و بال علينا وأنت السبب في ذلك ووالله لقد كنت أنت السبب في هلاك
أموالى وتعبي واشتغالى ولابد ان أقتلك بيدى وأقتل بعدك نفسي وأستريح
من هذا العنا والتعب ياأخسر القضاة يامقلة الزغل الله أعلم انك جاور ياكلب
قال فلما سمع القاضي ذلك منه ضحك له وجعل يصبر صو يلاطفه و يقول له تأنى
ولا تعجل فسوف تري ولا بد ان يكون جميع مايملكه بيبرس لك وتحت
يدك وكل ماصرفته أنت فهو مقيد عندي فى القرار المكين لاتخف لاتخف
واعلمك أيضا أنه قد خطر ببالى شيئا آخر وهو ان شاء الله تعالى فيه الصلاح
لنا وسوف أطلعك عليها وأعلمك به فقم بنا الآن من هاهنا ثم ان
جعل يده فى يد أبيك بمكره ودهاه وأخذه وسار الى ان دخل
البستان وهم الاثنين من غير زيادة هذا وقد جلس اللعين علي الساقية
وأمر أبيك بأن يدورها فسار أبيك يدور الساقية والقاضي يسطر في كتاب
فلماتهيأ الفراغ من كتابة الكتاب قال لابيك ارسل هذا الكتاب مع
فراجو ابن أختك الذى كان محتسب بارض مصر وسلم اليه مخلة ملآنة
حديد قال له ومايصنع بذلك فقال له اسمع ماقد سطرت فى كتابي
هذا ثم قرأه عليه واذا فيه الصلاة والسلام علي من تظله الغمام خطابا
من أمير المؤمنين ووارث النبيين وخادم الفقراء والمساكين الي بين أيادى
بيبرس ساعة وصول تابعنا فواجو اليك توضع نفسك فى الحديد وتسلم نفسك
اليه وتسير معه الى عندنا لان عليك دعوة فى الديوان ونريد ان تحققها
فان كان لك الحق فلا باس عليك وان كان عليك الحق فاما ان نسامحك

أو تقتص منك بالشريعة المحمدية والحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام على نبي تظلله الغمام ثم ان اللعين القاضي قال لايبك أريد منك شيئا آخر قال له وما هو قال تأتني برجل صايغ يكون غريب من هذه االبلد وذلك أريد منه اصطناع ختم يشبه ختم الملك فقال سمعا وطاعة ثم انه أرسل الى رجل من مصر القديمة ليلا وأحضره وقال له أجب مولانا القاضي في كل ماأمرك به فقال سمعا وطاعة ماتريد يامولانا فقال له ياولدي اعلم انك دخلت ديارنا وقد وجب اكرامك علينا ثم ان اللعين أخرج له كيسا من الذهب ووضعه بين يديه وقال له خذ هذا فهو مني اليك هدية واعلم ياولدي انني قد وقعت في مصيبة عظيمة وذلك ان بعض الاعداء سرقوا ختم الملك الصالح نجم الدين أيوب وقد تهموني به وأريد انك تصنع لي ختما مثله وهيئته وشكله بعد ذلك أتحايل علي من يضعه في محله ويكون تاريخه من يوم مملكته لاجل ان لايشعر بذلك أحدا من أهل دولته ويبقى لك الثواب في نجاتي من هذا الرجل وأيضا لك عندي ماتريده من الاموال ففرح الصايغ بذلك وقال له سمعا وطاعة واصطنع له ماطلب من تلك الساعة فاخذه منه وأخرج كيساً آخر من الذهب وجعله بين يدي الرجل وقال له ياولدي أريد منك ان تكتم سري ولا تبح لاحد بأمري وعلى ذلك تعاهدني وتأكل عيشي لاجل ان يكون ذلك مكتوما بيننا ولا أحد يشعر به منك ولامنا ثم ان القاضي صاح يامنصور أين الطعام فأحضره له في الحال فوضعه بين يدي هذا الرجل فأكل الرجل أول لقمة والثانية واذا به قد تناثر لحمه وسقط شعره وخرجت روحه من بدنه فامر القاضي بالقاه في جب هناك في قلب الدار فهذا ما كان منه (قال الراوى) وأما ما كان من أيبك فانه قال للقاضي وما تريد أن تفعل بهذا الختم فقال له تختم به هذا الكتاب ونجعله عندنا لاجل المهمات الصعاب فقال له أيبك ماهذا صواب والرأي عندي أنك بعد ختم الكتاب تكسر هذا الختم لانه ربما يشيع عنا

ذلك فيكون سبباً لهلاكنا فاجابه بالسمع والطاعة وختموا الكتاب وكسروا الختم وأهلكوا الصايغ فهذا ماكان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأماما كان من أمر ايبك فانه قال للقاضي ولأي شيء كتبت ذلك الكتاب فوق الساقيه قال له اعلم انه اذا رآه بيبرس لا يشك فيه ويظن انه خط الملك بيده لان الملك يده ترعش فدائما تعوج الخط فاذا نظر بيبرس أوغيره فلايشك فيه ابداً لاسيما هذه الطرة الملكى فلما سمع ايبك ذلك فرح واتسع صدره وانشرح وقال والله هذا تدبير جامد بس اياك يصح هذا مثل الرز الذي بالمجوة تأكل منه فلا تشبع قال له القاضي ارسل الي قراجوا فارسل اليه ايبك فلما حضر قال له سر ياقراجوا من هاهنا الى الغربية وتدخل على سبيل العجله وتعطيه ذلك الكتاب بغير مهلة فاذا قرأه فلابد أن يعمل بما فيه فيسلم فى نفسه اليك ويحط روحه فى القيود والاغلال فاذا سرت به الى خارج الفلاة فاقتله هناك وان أحداً قام لك دعوة أو تكلم بكلمة فالعمد على قال سمعاً وطاعة ثم انه أخذ الكتاب والخلاة وركب الجواد وسار ولم يزل يجد في المسير الى ان عبر الى المحله فدخل على الامير بيبرس وهو كانه النمرود بن كنعان فلما رآه الامير نهض له على الاقدام وسلم عليه سلام الاحباب الكرام فقال له اعلم انى ما أتيت اليك على سبيل العجلة فخذ هذا الكتاب واعمل بما فيه فاجابه الى ذلك وأخذ الكتاب وحله وقراه واذا هو بالخط الملكى والختم الملكى فقبله الامير وقراه واذا هو عما قد ذكرناه فقال الامير السمع والطاعة لله ولرسوله ولأمير المؤمنين هذا وقد قال الامير لقراجو انزل ياسيدى حتى انك تستريح من تعب السفر وأنا أجهز نفسي وأسير معك على الاثر فقال له انا على عجل من أمري فقال له سمعا على رأسنا وعيوننا ولكن بعد ان تأكل من زادنا ويصمى لك وداذنا ثم انه ماذال به حتى نزله وأجلسه وخرج بعد ذلك الى عثمان وأعاد عليه ما جرى فقال عثمان هذا رجل منقرشن واعلم انه قريب القاضي فقال له

يا عتمان دعنا من ذلك كله وأنا ما عملت ذنبا ولا غيره حتى ان الملك يرسل يقبض عليّ ويأمرني بانى أسلم نفسى الى هذا الرجل فقال عتمان اعلم ان هذا منقرش قريب القاضي وان طاوعتنى أقتله ولا تسمع كلامه فقال ياعتمان هذا أمر الملك الصالح لابد منه وان من الرأي ان اسير معه فقال عتمان لا اخليك تسلم نفسك لخصمك أبداً والرأي عندي انى أركب أنا هذه البرغه وأسير الى الملك واستقصي الخبر وآتى على سبيل العجله فان كان هذا الامر صحيح فعلنا وامتثلنا وان كان هذا الامر غير صحيح دبرنا على قد ما نراه من الرأى والسلام فقال له الامير ياعتمان لقد نظرت موضع النظر وقلت بالصواب وأتيت بما لا يعاب ثم انه ناوله الكتاب فأخذه وركب البرغة وسار يطوى الارض والمهمه حتى أقبل الى مصر هذا كله يجري والامير يصانع قراجوا ويمازجه ويسامره ويباسطه فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) وأما ماكان من أمر عتمان فانه لم يزل سائر الى ان دخل الي ارض مصر فى وقت الغروب فقصد الي البساتين ودخل علي الاغا شاهين من غير دستور وصاح عتمان ياليل قال الوزير أهلا ومرحبا بالشيخ عتمان قال عتمان لا أهــلا ولا سهلا يابو فرمه احنا عملنا معك ايش من السيئات انت وأبو جوطه حتي ترسل لنا هذه الورقة قال له والله يا عتمان ما أعلم بشيء من ذلك أبداً ولــكن حدثنى ما الخبر فاعاد عليه القصة من أولها الي آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها ثم ناوله الـكتاب فقراه وقال يا عتمان هذه القضيه لا وردت فى الديوان ولا أعلم ان كان الملك كتب هذا أم لا ولــكن قم بنا يا عتمان حتى نمتحن الملك ونسمع كلامه فركب الوزير فى عاجل الحال وركب عتمان وساروا من خلف قلعة الجبل وقرع الوزير باب السر قالوا الغفر من بالباب قال الوزير شاهين ففتحوا له الباب فدخل هو وعتمان وساروا الى قاعة مبيت السلطان فرأوا بابها مغلوق فوقفوا خلف الباب وظنوا ان الملك نام فبينما هم كذلك واذا بالملك متوجها الى القبلة وهو يقول

اللهم انى امسيت اشهدك وأشهد حملة عرشك وملا ئكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا انت وحدك لاشريك لك وان محمداً عبدك ورسولك الى آخره ثم ان الملك بعد ان تم الدعاء قال جزاهم على الله و الله العظيم انا ما كتبت ولاأرسلت ولاأمرت ولا اعلم بشيء من ذلك أبداً ولكن قد أوهبت قراجوا الى بيبرس مالا ودما ولا أحد يطالبه بديته والمؤمن عند قوله ان قال صدق وان قيل صذق وان الأخ لايخون نويت أصلى العشاء الحاضره لله العظيم الله اكبر فلما سمع الامير شاهين ذلك التفت الى عثمان وقال له سر بنا لان هذه القضيه لا بقت تحتاج الى سؤال غير هذا أبداً وان الملك قد اخبرنا بها كما سمعنا بآذاننا فسر الى سيدك وسلم عليه واخبره بذلك وأمره ان يقتل قراجوا وهذا خطي وختمى له على ذلك فقال عثمان حياك الله انت وأبو جوطه فى هذه القتله ثم أخذ الكتاب وجواب الوزير وسار ولم يزل سائر بطول ليلته حتى لاح الفجر وقد أتى الى باب المحله ونزل عن البرغه واذا بها قد سقطت الى الارض ميتة فاغتاظ عليها عثمان وصعبت عليه وكبرت لديه وأحضر السياس فغسلوها وكفنوها ودفنوها فى مقام هناك يقال له مقام البرغا وشرع فى المحزنه ودخل على سيده وهو يبكي فلما رآه الامير باكيا ظن ان كلام قراجوا صحيح فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ثم قال ماذا عملت ياعثمان فقال له خذ هذه التذكرة من الوزير فحلها واذا فيها خطابا من الوزير الاكبر الى بين أيادي ولدى المحب الافخر الامير بيبرس اعلم ان الملك لا كتب ولاحجب ولايعلم بشيء من ذلك القضية وهذه القصة زور محال وقد أوهب لك قراجو مالا ودما وحق من سلمت عليه الغزالة فلما سمع الامير ذلك فرح واستبشر والتفت الى عثمان وقال له لاى شيء يكون بكاك فاعاد عليه ماجرى من أمر البرغا وما أصابه من التعب والشقا وكيف انه غسلها وكفنها ودفنها فقال له دعنا من ذلك كله واشترى غيرها ثم ان الامير نهض في عاجل الحال ودخل على قراجو وقال له

من الذي أرسلك الينا قال له أما قريت الكتاب الذى أرسلني به أمير المؤمنين فسر الآن معى كما أمرت فقال يا نذل الرجال ويا نذل الانذال، هل يليق مثلك الكذب والضلال والخيانة والمحال فى حق الملوك الكبار ثم جذبه الى الارض أرماه وكاد أن يعدمه الحياة ثم أنه ضربه بالسوط حتى كاد أن يسقيه كاس الموت ثم قال لعثمان خذه الى عندك واكرمه حتى اذا تضاحيا النهار اصلحناه وأخذنا بخاطره لاننا قد اقتصينا منه بفعاله ولكن ينبغى اكرامه لاجل ايبك خاله قال عثمان هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم أن عثمان أخذه الى الاصطبل وأمر السياس مدوه وجعل يضربه بالرزه حتى أعدمه الحياة وأسقاه كاس فناه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (يا ساده) فبينما عثمان كذلك واذا الامير قد دخل عليه وتأمل واذا به يري قراجوا قتيل، عفير قال يا عثمان من فعل به هذا الامر الخطير قال له أنت الذي فعلت قال أنا سلمته اليك بالحياة قال عثمان قد كثرت عليه الضرب مات قال الامير هل ضربته أنت ياعثمان قال عثمان أنا ضربته اكثر مما ضربته انت قال الامير وماذا يكون الرأى قال له روح أنت وأنا مثل ما أعرف أعمل والله انى كانت عندى اليرغا أحسن من قراجوا وأحسن من خاله ايبك وسوف أحرق عظمه لانه قريب القاضى ثم قال له هل تريد أن تسلخه وتخرجه رجل من رجل قال نعم فتقدم الامير اليه وسلخه ودبغ جلده وحشاه وركب له العيون الفزاز وبعد ذلك قال عثمان سلم الي قراجوا ده وروح أنت الي حال سبيلك فتركه الامير وسار الي مكانه هذا وعثمان قد أخذه وركبه جواده الذى قد أتى راكبه وربط رجلاه على بطن الجواد وركبه وسار به طالب أرض مصر ولم يزل سائر الى أن أتى الى درب الركنى لعند بيت الوزير ايبك وقال له ها هو بيت قريبك وركه ومضى الى حال سبيله فهذا ما كان من أمر عثمان (قال الراوى) وأما ما كان من أمر ايبك والقاضى فان القاضى كان تلك الليلة عند ايبك وهم يتحدثون فى

أمر قراجوا والقاضي يقول زمان بيبرس مات وانقضت أيامه وفات وسوف يصير المال و بيت احمد بن أباديس لراسك يا أبا احمد والعلم الشريف وإلا أكون بريئاً منه يوم القيامة فبينما هم على مثل ذلك الحساب الخارم واذا بالجواد قد حك برأسه الباب وذلك لما رآه مقفول وهو متردد على ذلك المكان فجعل يحك الباب برأسه حكا قويا قال ايبك من بالباب قال القاضي خبيب من الاحباب ولا بد انه الامير قراجوا لان قلبي حدثني بذلك فقم بناحتي نكشف الخبر بأنفسنا دون غيرنا فنهضوا الاثنين وفتحوا الباب فدخل الجواد الى داخل الباب قال القاضي مرحبا بالامير قراجوا ماذا فعلت فلم يرد عليه جواب فتأخر القاضي وقال لايبك قم انت اليه لانه رأي نفسه كبير وكانه فعل ذلك الامر فلذلك لم يرضى يريحني في الكلام دونك أنت واياه وانظر ماجرى من الامر فتقدم ايبك وكلمه بالتركي فلم يرد عليه وبالعربى فلم يجبه فتقدم الى عنده ودفعه بيده فوقع الى الارض فتحقق ايبك انه قد مات وانقضى نحبه وفات فبكى عليه بكاء شديداً ما عليه من مزيد ولطم وجهه وخدوده وقال لعن الله القاضي ومشورته فما هي الا وبال علينا وكأننا ما عملنا هذا التدبير الا على هلاك صاحبنا فلما تحقق القاضي ذلك كاد أن يهلك ولكنه أظهر الجلد وأخفى الكمد وقال لو عملناها بليا ما أقبلت كذا وقد صح الامر وذهب الشر واذا كان غداً أوضمه فى تابوت وأمر من يحمله واطلع الديوان وقدم الدعوة للسلطان وقل لا يحل من الله آنا بعثت ابن أختي وأرسلته بجمع المال من النواحي والبلدان فاعترضه بيبرس وفعل معه ذلك الفعال وشهد أربعة من الناس انه سار في لم المال وأنا أحمل لك على قتل بيبرس وقد مات واسترحنا منه وفات والسلام فلما سمع الوزير ايبك من القاضي ذلك الهذيان اجابه على ذلك الشأن وقال عسى أن تبلغ المراد من هذا القرنان فهذا ما كان من هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر الملك الصالح فانه لما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من بطاح الى بطاح وسلمت على زين الملاح ظهر الملك وجلس على كرسي قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل وقد تكامل الديوان وجلست العساكر والرجال قرأ القارىء وختم ودعى الداعي وختم ورقى الراقي وختم صاح شاويش الديوان يقول

يا من يطول عزه وبقاه   الملك يفنى ويبقى وجه الله
ان كل من عليها هالك   ولا يبقى على الدوام الا الله
يا طامعاً في الدنيا   ارجع ثم اخشى الاله
وتأمل فى الامور ترى   الملك والعزة كلها لله

(قال الراوى) فقال الملك الصالح آمنا من أين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من المهالك يا حاج شاهين الجزاء على الله هذا النهار طالعه سعيد فقال الوزير يا فتاح يا عليم فبينما الملك يدندن في مثل ذلك واذا بباب الديوان استد والستار احتجب وجماعة يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله فقال الملك حق يا دايم يا علام الغيوب يا ناس باب القرافة من هنا فقالوا تعيش رأسك مولانا السلطان قال الملك في من قالوا فى ابن أخت الوزير ايبك التركمانى قال الملك كل شيء هالك الا وجهه ولكن لاي شيء ما دفنتوه فعند ذلك نهض ايبك على الاقدام وارمى قاووقه من على رأسه وقال خدمه يولك يا بعض شاه أنا ما بقيت أخدم أبداً لا يحل من الله بيبرس يقتل ابن أختي ولا يرعى حرمتي ولا يخشى بأسي وسطوتي قال الملك هل عندك بينة عليه بذلك يا ايبك قال نعم ثم انه ارسل احضر البينة فشهدوا بين يدى السلطان انه سافر يجمع مال الاطيان الى خاله فاعترضه بيبرس وقتله فلما أدوا الشهادة نهض القاضى على أقدامه وهز اكمامه وحرك لسانه وجنح طيلسانه وقال القاضي حلت المهاجرة

من هذه البلد وبدا الاسلام غريبا كما كان مبتداه لا يحل من الله يا أمير المؤمنين أنا كم أقول لك ذلك القول مراراً وأعيده لك تذكاراً واجهاراً وأقول لك هذا الغلام أتى من بلاد العجم دسيسة يريد يفسد ملكك وأنت لا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله هذا يقتل قتلة بعد قتلة وان كانت قتلته تصعب على مولانا السلطان أنا أعطى من مالي وصلب حالي وزكاة عن قلبي ومحبة في دين الاسـلام والمسلمين مائة كيس ومائة مملوك ومائة جواد وعليك يا وزير ايبك مثلها أي هـذا المبلغ المذكور قال ايبك مثلك الضفر الذي قطموه لك بالقرمة يا خابن يا كلب وأنا مالى أحط يا قاضى ابن أختي يموت وأنا أحط الفلوس فقال الملك يا سيدى ايبك يد على يد تساعد وهذا ولد أختك تحط والا لا فقال ايبك أحط يا بعض شاه فقال الملك هاتوا الدراهم والمماليك والخيل فأحضروا جميع ذلك فى الحال قال الملك ومين بقي يأتينا بالامير بيبرس فبينما هو يقول كذلك واذا بعثمان طالع من باب الديوان وهو يقول يا ليل

يا منية القلب سد عيني ترى عينيك   يابن الحلال خذني حداك راعي لك
وقدمى مجـرور وسارى لك   ودمعى سد بالدمع ناعى لك

قال الملك أهلا وسهلا بالشيخ عثمان قال عثمان لا أهلا ولا سهلا يا خائن العهود يابن القحبه احنا عملنا فيك ايش من السيئات يا ابو قوطه لما انك أرسلت لنا هذا الـكتاب مع ابن الخاطية ده قال الملك أنا وعزة الله ما أرسلت ولا أمرت ولا كـتبت ولا ختمت ولـكن هات الـكتاب فناوله اليه وأخذه وقال خذ يا قاضي هذا الـكتاب اقراه أسـمعه أنا والرجال لاجل ما يقال كل انسان يستلم كتابه بيمينه فأخذ القاضي الـكتاب وقرأه كما قدمنا ذكره وقال القاضي أشهد أن لا اله الا الله وأشـهد أن محمدا رسـول الله هذا شيء ثقيل يا أمير المؤمنين قال الملك ياقاضى الذي يكذب على الملوك ويزور عليهم ويأخذ معه الحديد من غير ان يأذن له أحد ماهو خائن قال

قال الملك والخائن لا يكون له فى الاسلام حظ أبدا وان قلبي يحدثني ان هذا الرجل غير مسلم وانه كافر على غير الاستقامة فقم يا قاضى واكشف لنا عليه فقال سمعاً وطاعة ثم تقدم اليه القاضى ولمس بيده وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بدني اقشعر يا أمير المؤمنين هذا نصرانياً والعلم الشريف قال الملك الله يا دايم تعالى ياايبك هذا ابن أختك وكيف انه نصراني يبقى أناديواني كله نصارى واسلامهم باطل ولكن العرق دساس اكشفوا لنا على كامل العسكر وكل من كان فى هذا الديوان حتى تظهر الكفار من الاسلام فأجابوا الملك بالسمع والطاعة واحتاس القاضى وكركبت بطنه وخاف أن يكشفوا عليه فذهب الى بيت الخلا وما عاد الا بعد الكشف وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله قال الملك أين كنت يا قاضى قال اعلم أيها الملك انى لا رأيت لي قلب أن أنظر الي تلك الفعال وان قلبي رقيق وأخاف انى اذا رأيت شيئاً مثل هذه الفضائح يقشعر بدني من رقة قلبى فخرجت حتى انقضى الحكم قال الملك سبحان من يعلم بك اجلس نحن ناس على باب الستار سمينا بالاحرار كاتمين الاسرار تعالى يا ايبك أنت ومن كان من عيلتك لا بد أن يكون نصرانى ولكن ينبغى لك أن تكشف على سائر رجالك ثم أن الملك أمر بمدايبك فمدوه فقام الملك وضربه ثلاث ضربات بالضفيرة الخوص وقال له ان انت اشتريت عبد أو مملوك أو جاءتك جارية أو مملوك على سبيل الهدية فلا بد أن تكشف عليهم قال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ويقال ان محل الضرب سار يدمى ويقيح فى رجل ايبك الى أن مات به ثم أن الملك قال لهما خذوا هذا الكافر ارموه فى ترب النواويش وأنت يا قاضى عملت الفلوس والمماليك والخيل أنت وايبك على قتل بيبرس عنوة والا على اظهار الحق من الباطل قال القاضى من كبد الغيظ على اظهار الحق من الباطل قال الملك والحق ظهر وبان واشتهر قال القاضى صار مثل الشمس المضيئة قال الملك بقوا لمن يا قاضى قال لبيت مال المؤمنين قال الملك يا وزير الزمان

بيبرس كان مظلوما فى هذه القضية قال نعم قال الملك قدأوهبت له ذلك كله فى نظر ظلومته يتساعد به على فقره هبة كريم لا يرد فى عطاه قال ايبك الفاتحه هذا وقد أمر القاضى باصراف الشهاد الى حال سبيلهم بعدأن سامحهم الملك لما علم من مكائد القاضي وضلاله وقال الملك خذ يا عتمان المال والمماليك والخيل وسر من هنا الى سيدك وسلم عليه وأمره أن يولي بعض علمانه على الغربية ويعود الينا فقد فرغت سنته قال عتمان سمعاً وطاعة ونزل طالب سيده فهذا ما كان منه ثم أن الملك نفض المنديل وانفض الديوان ونزلت العساكر والرجال فهذاما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه لما وصل اليه عتمان وأعلمه بما جرى من ذلك الشأن ولي على المحله واحد من المماليك وأوصاه بالعدل والاحسان وأن يحاسب على المال سنة بسنة فأجابه الى ذلك وسار الامير بيبرس طالب أرض مصر الى أن دخل اليها وكان ذلك وقت الغروب فسار الى بيت الوزير احمد بن أباديس السبكي وعتمان معه فهذاما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من أمر الملك الصالح أيوب ولي الله المجذوب فانه بات وأصبح مثلك يصلي على من له الورد فتح دخلت الاغوات أعلموه بأن الديوان تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ظهر الملك وجلس على تخت تكامل الديوان قرأ القارىء وختم ودعى الداعى وختم ورقي الراقى وختم صاح چاويش الديوان يقول

الملك لله العزيز الدايم	لم له شريك في الورى من خلقه
بل تعالى بالانفراد وبالبقا	له المجد والتسليم فى جميع أموره
ومن سلم الامر اليه لقد نجا	وسلمه الرحمن من شرور قضائه
ومن عليه بالاخلاص من كل شدة	وعمه بالخير من سوابغ فضله

قال الملك الصالح آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجي من الشدائد والمهالك ثم أن الملك أراد أن يتعاطى القصص ويزيل الغصص حكم ما أمر

مولانا جد الاشراف واذا بباب الديوان احتجب والستاير اهتزت واذا بسيار يقبل الارض وهو يقول

وقفت ببابك أيها السلطان   طالباً منك كشف الضر والهوان
فاصغ لدعوتي واعتنيها   مادمت أنت كاشف الاحزان
قد جارت اللئام علينا   وأنت منصور من الديان
فانصرنا عليهم بعزم قوي   فرب الانام مجزيك بالقرآن

قال فلما سمع الملك كلامه وما قاله من نظامه قال له من أين والى أين قال من حلب الشام الذى قالت سائر المدن عيدى وأنا في تحت عزي بين سعيد وسعدي قال الملك وما الذى معك من الاخبار فأخرج اليه كتاب ففضه الملك وقرأه وفهم رموره ومعناها واذا فيه خطاب من باشة حلب الى بين أيادى أمير المؤمنين أيده الله بالنصر والعز والتمكين اننا مقيمين يوم تاريخه واذا بالغبار قد علا وثار وسد منافس الاقطار عن رجال مجربين وفوارس للحروب طالبين وهم كرة كاملة اثنين وثمانين الف فارس مع الفان هلاوون بن منكتمر فأغلقنا الابواب وأقمنا الحصارات ومنعناهم بالمدافع فحط اللعين بجيوشه على حد رمى النار وقد تضايقنا من الحصار فأرسلنا هذا الكتاب بقي فى شريف علمك ادركنا أو أرسل الينا من يدركنا والسلام على نبي تظلله الغمام (قال الراوى) فلما سمع الملك ما فى الكتاب التفت الى الاغاشاهين وقال له يا راجل ياشاهين حلب دي ايش يابو فرمه امرأة والا رجل قال له بلد يا أمير المؤمنين قال الملك خليهم يأخذوها قال الوزير اذا أخذوها يأخذوا الشام بعدها قال الملك دعهم يأخذوها قال الوزير يأخذوا ما وراءها من البلدان مثل تابوك وغزه وقطية قال الملك دعهم يأخذوا ما يشاءون ويملكوا ما يطلبون فالارض والامر لله الواحد القيوم قال له الوزير ان أخذوها يأخذوا مصر وهي فيها الامام الشافعي فقال الملك وقد امتزج بالغضب لا وعزة الله الابدية لم أدعهم يأخذونها لان فيها رجال مخبورة

وأبطال مشهورة وفيها الرجل الذى فرسه عرجة وسيفه خشب وترسه جميز وهو أنا ولكن ما يكون من الرأى يا شاهين فقال له أنا أخبرك وأنت تعمل على قدر ما تراه فقال الملك يا قاضى ومن يرد عناهذه المصيبة ويدفع عناهذه النكبة فقال القاضي وقد ظهر له الكلام يا مولانا السلطان هذا رجل جبار وبطل مغوار وقد بلغني انه فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق وعنده من الرجال ما لا يحصى عددهم الا الواحد المتعال والذى أعرفه أنا انه لم يدفع عنك هذا العار ويأخذ لك بالثار الا الولد المحفوظ المنصور الامير بيبرس الذى سعادته تضي على وجهه كالصباح فقال الملك ومن يأتينا به من المحله فبينما هو على مثل ذلك واذا بالامير بيبرس طالع من باب الديوان وهو يقول

تصبح كل يوم فى نعمة   وفضل كثير عميم متزايد
وأعطاك الاله العظيم مهابة   على جميع أعداك الحواسد
ونجاك ربى العظيم بفضله   ودفع عنك جميع الشدائد
وأيدك الله كل لحـة   وخصك بالنصر المرشد

(قال الراوى) فلما رآه الملك وسمع كلامه صاح الملك ودندن وقال الله الله يا حج شاهين انظر الى ذلك التوفيق العظيم الذى لا يبلغه الا من كانت له سعادة من الرحمن الرحيم ثم أن الملك صاح به وقال اللهم عمر بك الارض والبلاد اللهم أهلك ضدك اللهم ارفع سعد قل آمين يا قاضى قال القاضى آمنين آمنين هذا وقد سلم الوزير عليه وقال له خذ اقرأ ذلك الكتاب فقرأه بما قدمناه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال له الملك يا سيدى بيبرس ان القاضي قال لنا انه لم يكسر هذه الركبة وينصرنا باذن الله على ذلك المصيبة الا أنت وانى قد أردت أن أرسل اليك فماذا أنت قائل قال الامير أنا لها ان لذن لي الملك لاني تحت اذنه وكلمته ومهما أمرنى به فعلته فلو أمرني

ان اقتل نفسي فعلت ذلك فقال الملك يا ولدي تعمل معروف وتسير الى ذلك المكان فقال سمعا وطاعة فقال الملك يا قاضي ان ولدى اجاب الى ذلك ولكن أن الركبه لها كلفة وبيبرس فقير الحال فقال القاضى أنا أساعده من مالى وصلب حالى وزكاة عن قلبي ومحبة فى دين الاسلام والمسلمين بخسين جوادا وخمسين كيسا وخمسين مملوكا وعليك ياوزير ايبك مثلها امض يا ابا أحمد فقال ايبك وانا مالي بذلك يا قاضي قال الملك طاوعه يا ايبك يد على يد تساعد فأجاب بالسمع والطاعة وأرسلوا أحضروا ذلك كله فى تلك الساعة فقال القاضي يامولانا السلطان اعلم ان هذا الرجل هلاوون رجل عنيد وبطل صنديد ومعه ابطال كثيرة وفوارس غزيرة وانا أريد من محبتي الي ولدك بيبرس أن يكون له في ذلك الامر معين وهو ان الوزير ايبك يسير معه وعلى خصمه يساعده لاني أخاف عليه من العدا ويبلغ برفقته دفع الردى لان الناس الاقدمين يقولون يد على يد تساعد قال الملك تروح يا ايبك قال ايبك أروح يابعض شاه وأكون خديم لولدك بيبرس لاني يحصل لي غاية الشرف برفقة هذا الغلام فقال الملك ياحاج شاهين لبسهم والله أعلم بما فى القلوب فالبس الامير بيبرس صاري عسكر ولبس ايبك معاونا له فنزلوا الاثنين من الديوان وكان الامير بيبرس قد حاز جميع مارسم به القاضي ونزل فى موكب عظيم وايبك كأنه خادم من الخدام هذا وقد تكلمت أولاد مصر فى الاثنين فقال واحد لآخر ياأخي ان ايبك نزل معاون لبيبرس على قتل النصارى التى عند كوم الضبع قال له الآخر جاتك داهيه رمت رقبتك أنت وايبك سوى هو بيبرس عاوز مساعدين وايش يكون ايبك والاغيره والا الملك والاغيره جنب الامير بيبرس هذا وقد صار الامير يرمي سلام وايبك يرمى سلام والناس يتكلمون فيقول الرجل لبيبرس عليك السلام والاسم الاعظم منصور وسعادتك قابلة وخصمك مقهور واذا رمى ايبك السلام يقولون عليك السلام آنست ربنا يرجعك لام احمد

بجبر خاطر ولايحرمك من هذه المسكينة والثانى يقول آنستنا بشقك فيها ولآخر يقول روح داهيه لاترجعك للبلاد هذا وقدتكلمت الناس بمثل ذلك الى ان اقبل كل من الاثنين الى منزله فاما ايبك فانه صبر الى ان رحل النهار وأقبل الليل فحضر القاضى من الديوان واجتمع عليه فقال ايبك ولأى شيء يا قاضى أرسلتنى مع خصمى هذا الي ذلك العدو فقال القاضي اردت بذلك بلوغ الآمال وكيد الفجار وخطر ببالى انك تظفربه في ليل أونهار أوعلى غفلة منه فتهزق دمه وسوف أدبر أنا تدبيراً اخر غير هذا فلاتشغل نفسك وتتعب سرك بسبب ذلك فقال له سمعاً وطاعة ومازالوا فى مثل ذلك حتى ذهب الظلام وبرز ايبك الى العدلية وأحضر الفراشين والطباخين وقال لطباخه اعلم ان السفر يحب الاكل الكثير فعليك بكثرة البقسماط والدمنبيش حتى انك تكفى المماليك وتشبعهم قال سمعا وطاعة ثم ان ايبك أمر باحضار أربع مدافع فأمربهم الى العدلية هذا او بيبرس يجهز نفسه ورجاله ويأمرهم بالطعامات والحلويات وماأشبه ذلك فبينما هو يجهز ذلك وقدرأى الاربع مدافع الذى لايبك وقال فى نفسه ولاى شيء يفعل ايبك هذه الفعال ومن الذى أمره وايش يكونو الاربع مدافع (ياساده) فبينما يحدث نفسه بذلك واذا بعثمان قد أقبل عليه وسلم عليه وقال له لقد جئتك بشيء عجيب وأمر غريب ما سمعت به أبداً يادولتلي فقال له وقد تعجب منه يا عثمان كيف ذلك فقال عثمان اعلم انى لما اردت أن أشد الحصان اليك وقد سمع بالسفر والرحيل فشرد مني في وسط بيت احمد بن اباديس السبكى فتبعته حتي أقبل الى المناخ ووقف الى جانبه فتقدمت اليه واذا به يحفر في الارض برجله اليمين وهذا دليل على النصر والبشارة واللقايات فحفرت مكان حفره فظهرت لي من الارض طابقة بدرج نازل الي أسفل فخفت من ذلك فانهض معى وانظر مافيها فعندها نهض الامير بيبرس الى ذلك المكان فكشف الامير ونزل واذا من داخلها ثمان مائة مدفع والف سيف مسقط لايعلوها الصدا أبداً وجبخانة كاملة من البارود

وفيه من الزرد والعدد وآلة السلاح والخود مالايقع عليه عدد فلما رأى الامير ذلك لم يتمالك نفسه دون انه سجد على وجه الارض شكراً لربه الذي فرج عنه ما كان به نزل وأزال عنه ما فى ضميره قد حصل ثم أمر باخراج المدافع فأخرجوها الى مكان آخر وأخذ منها أربعة وعشرين مدفعا وأخذ لهم ما يكفيهم من البارود وأخذ مائة بشت من الزرد ومائة سيف مسقط وترك الباقين الى الاحتياج وسار طالب العدلية وهو ينشد ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

لك الحمد ياذا المجد والجود والعلا ... تباركت تعطى من تشاء من الفضل
لك المجد ربي كل وقت وساعة ... سرا واعلانا منى ومن نسل
لك اللطف بالناس حقا جميعهم ... كما تفضلت بالاحسان ثم بالفضل
كما فرجت عنى مصيبتى ... انت القدير على ماتشاء من الفضل
الهي كما انعمت من جود تكرما ... تجود لي بنصر وتعفو عن الزلل
وأحمينى من عدو معاند ... واجبر لكسري فى قول وفي عمل
وخذ بيدي يارب فضلا ومنة ... وأيدنى وابلى عداى منك بالذل
وصل على المختار ثم على الآل ... والاصحاب الآخرين والاول

(قال الراوى) ولم يزل يترنم ويثنى على الله تعالى بمثل ذلك والناس يدعون له بالنصر حتى وصل الى العدلية وقد صفت المدافع ونصبت السرادق وجلس الامير وفرق السيوف على أربابها ولم يعط ايبك منها شيئاً فكادت مراوته أن تنفطر هذا ولما كان وقت الظهر طلعت الاطبخة من عند ايبك الى مماليكه وهي كما ذكرنا العدس وطلعت صفرة الامير بيبرس وهي كما ذكرنا اطعمة فاخرة فأكلوا وطربوا وانشالت الاواني وقد اجتمعت المماليك ببعضها وجعلوا يتحدثون فى أمر المدافع والسلاح وفعل ايبك وفعل بيبرس ثم أنهم انتقلوا من كلام الى كلام حتى اتصلوا الي حديث الطعام فجعلوا مماليك ايبك يتشاكون ومماليك بيبرس يتشاكرون فقالوا لهم مماليك ايبك

والله ما عندنا غير العدس فقالوا لهم أقيموا معنا وكلوا مما نأكل فان الخير كثير وأميرنا غير بخيل فامتثلوا ذلك وأقاموا مع بعضهم وتركوا أشغالهم ومنازلهم وأقاموا معهم لما وجدوا كلامهم صحيح فلما كان وقت العشا أخرجوا الطباخين الطعام فلم يروا من يأكل وبقى على حاله فشكوا لايبك ذلك فاغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وصبر الى أن طلع النهار وعاد الى للديوان واشتكي ذلك للملك الصالح وقال يابعض شاه ان المماليك بتوعي أخذهم بيبرس فأرسل الملك أحضره وسأله فقال يا مولانا السلطان اسأل المماليك فأرسل الملك اليهم واذا بهم تعصبوا جملة واحدة وقالوا ياأمير المؤمنين نحن لا نفارق الدولتلي الامير بيبرس أبداً ولو سقينا كأس الردى وان اغصبتنا الى أيبك قتلناه وبعد ذلك قتلنا أنفسنا وذلك لانه يطعمنا العدس والبصارة والبقسماط قال الملك يا أيبك اعلم ان هذه ركبة واحدة وانتم سواء مع بعضكم وكذلك هم الآخرين مع بعضهم والرأي عندى انك تترك هذا الامر حتى تتم الركبة واذا رجعتم بالسلامة يكون لنا حديث خلاف ذلك ثم أن الملك قال يا أيبك لا تأخذ على خاطرك وخذ معك الامير قلاوون واتباعه الخمسة وثلاثين أمير فأجابوا بالسمع والطاعة وفرح أيبك بذلك غايه الفرح لانه يعلم أن قلاوون وجماعته يبغضون الامير بيبرس هذا وقد تودعوا الجميع من الملك والوزير وساروا حتى وصلوا الى العدليه فقال لهم الامير بيبرس انتم تسيروا قدام والا أنا أسير قدام قالوا له نحن الذي نسير قدامك حتى اذا طلع علينا العدو نكون لك الفدا ونفديك بأرواحنا من الردى فشكرهم الامير على ذلك لانه سليم القلب ولم يعلم أن قولهم هذا بخلاف ما أضمروه في قلوبهم وقد ألبسهم الله من سرائرهم ونياتهم وقد كانت المسافة بينهم وبين الامير بيبرس يوماً كاملا فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من أمر اللعين القاضي

فانه بعد سيرهم سطر كتاب وختمه وأعطاه الى البرتقش وقال له سر بهذا الكتاب الى العريش وسلمه الي الملك فرنجيل ودعه يعمل بما فيه قال سمعاً وطاعة ثم أخذه وسار يجد المسير ليلا ونهاراً الى أن وصل الي قلعة العريش وكان بها ملك عنيد وذيل يقال له الملك فرنجيل فبينما هو جالس واذا بالبرتقش دخل عليه فقام وتلقاه وبالسلامة هناه وسأله عن استاذه قال له يدعو لك وأنت فى باله ففرح اللمين بذلك وقال يابختى الذى عالم الملة لم ينسانى وأنا فى باله ثم بعد ذلك ناوله الكتاب فحله وقرأه واذا فيه أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الملك القريب المجيب خطابا من عالم الملة المسيحية بلاه الله بكل رزيه وبليه الذى بين أيادى ولدى فرنجيل اعلم أنى قد أرسلت الملك بيبرس الذى قد كان قتل ولدك في أول دخوله الي مصر وانه جائز من على أرضك وقلعتك وقد أخبرني المسيح بأن قتله على يدك فاذا وصل اليك كتابي هذا فاكمن اليه حتى يجوز على أرضك واخرج عليه واقتله وانهب ما معه من المال والنوال وذلك الثواب من المسيح ففرح اللمين بذلك وجعل الكتاب على رأسه وأعطاه رده الي البرتقش وقال له سلم لي على عالم الملة واعلمه اني فاعل كل ماذكره فأخذ الجواب البرتقش وسار ولم يزل سائر حتى أقبل الى مصر ودخل على القاضي وأعلمه بما صار من الامور والاخبار وأعطاه رد الجواب ففرح به وظن أنه بلغ المراد (قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر اللمين فرنجيل فانه اكمن بخمسة آلاف فارس وجعل ينتظر قدوم بيبرس لاجل أن يأخذ منه بالثار ويجلى عن نفسه العار فبينما هو كذلك واذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار عن الوزير ايبك وقلاون ومن بصحبتهم ولم يعلموا ماقد خبى لهم في عالم الغيب هذا ولما تقاربوا من قلعة العريش واذا بالمكمنين قد خرجوا عليهم من أربع جهات المكان واحتاطوا بهم وساروا ينادون بأخذ الثار وجلى العار فعند ذلك انكسرت

شوكة الاسلام وكبسوهم اللئام لانهم كانوا سائرن على غير أهبة من أمرهم وقدقبضوا عليهم باليدوا وثقوهم كتاف وقووا سواعدهم والاطراف وصاح فرنحيل منطار لا سبيطة ولا طامة فقالوا له ياملك الزمان نحن لا بيننا وبينك ثار ولا لك علينا دم فقال لهم واين بيبرس فقالوا له ماهو معنا ولا رضينا بصحبته وانا له أعداء واعلم أنه سيأتى على أثرنا فدونك واياه وخذ ما تريد منه فلما سمع اللعين كلامهم أمر بتجريد ثيابهم ونهب أموالهم وجعلهم عبرة لمن كان ينظرهم وأمر بضربهم فضر وهم الضرب الوجيع ثم أنه أمر الرجال أن يردوهم على أعقابهم فعادوا من حيث أتو منهزمين والى نحو بيبرس طالبين فبينما الامير سائر واذا بالوزير أيبك دخل عليه ومعه قلاوون وهم على هذه الحالة فلما رآهم الامير بيبرس صعب عليه وكبر الامر لديه واغتم لاجلهم غاية الغم وقال لهم من فعل بكم هذه الفعال وأورثكم النكال فقالوا له يا حبيبنا نزل علينا اللعين ملك العريش فرنحيل فى خمسة آلاف فارس وهجم علينا بهم وفعل بنا ماتراه وذلك انه سألنا عنك وقال هل عندكم خبر عن بيبرس فقلنا له انه فى غاية الصحة والسلامة واننا كلنا اتباعه وخدمه ونوابه فلما سمع منا ذلك الكلام انزل بنا الهوان ونهب مالنا وجردنا من ملابسنا وقال لنا اذهبوا الى أميركم واعلموه بما وقع لكم حدثوه وان لم تذهبوا قطعت أعماركم واسقيتكم كأس بواركم فخرجنا ونحن لا نصدق بالنجاة لان العدو كثير والجم غفير وهذا ماجري والسلام (قال الراوي) ولما سمع الامير بيبرس منهم ذلك الكلام قال لهم لاتخافوا والاسم الاعظم الاكرم الامجد لا بد لي من النزول على العريش ولم انتقل منه حتي آخذ لكم بالثار واجلى عنكم ذلك العار وآخذ جميع مالكم و أخلصه لكم من اعدائكم ثم انه صاح بخزنداره فقبل الارض بين يديه فقال له اخرج كساوي الى هؤلاء فأخرج لهم الكساوى فلبسوا واطمأنت قلوبهم وأخذ الامير بخاطرهم وعاشت أرواحهم وسار الامير بيبرس حتى أقبل الى القلعة وحط عليها وقد احتاط بها كما احتاط النيل بالبلاد أو البياض بالسواد أو الخاتم بالاصبع

فقال فرنجيل لمن حوله من البطارقة ارموا عليهم النار فرموا عليهم بالمدافع فخط الامير على حد زمى النار وبات بمن معه فهذا ما كان من هؤلاء (ياساده) واما ما كان من أمر اللعين فرنجيل فانه جمع البطارقة اليه وقال لهم اعلموا ان عالم الملة دعالي و بشرني بالنصر على هذا الغلام ولولا ذلك ما فعلت الذى فعلت وفي غداة انا عازم على الحرب والقتال والضرب والنزال فماذا أنتم قائلون فقالوا له كل من خالف أمرك منا كفر وعن دين المسيح بدل وغير لانك مأمور من عالم الملة المسجيه ونحن كلنا لك الفدا و نفديك بأرواحنا من الردى فشكرهم اللعين على ذلك وجعل يفرق عليهم العدد والخيول والزرد وقد باتوا على ذلك حتي اصبح الله الصباح واضاء الكريم بكوكبه ولاح وفتحت ابواب القلعة ونزلت البطارقة كأنهم قطع الغمام ويقدمهم اللعين فرنجيل وقدأمر بدق طبول الحرب فعند ذلك نهض الامير بيبرس على الاقدام وحضر له الجواد فركب بنفسه وانحدر الى حومة الميدان ولعب انداب وابواب وقال هل من مبارز هل من مناجز من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفني فابى خفا أنا الامير الدولتلي بيبرس محمود العجمى الخوارزمى الضربندى انا الذي قاتل ابن فرنجيل واسقيته الشراب النكيل وكان الامير يومئذ راكب على جواد اصفر عالي من الخيل مضمر بغره كالقنديل ومعرفه كالمنديل واذا طلب لحق واذا طلب لم يلحق عريض الكفل مثلث الحجل اغر اكحل كما قال فيه الشاعر المفضل هذه الابيات

جوادى في الخيول شاع ذكره ما مثله فى الخيول جميعها
يسبق هبوب الريح اذا جرا ولم تدركه الخيول عند هلوعها
يفوق بريق البرق فى جريانه ويسبق نزول الماء في انيابها
فراكبه يأمن من طعن العدى لايري سوأمن شرور وخصومها
بل اذا رأي الطعن مقبل زاغ منه بجنبها وعينها
واذا رأي راكبه وقد عيا نجا به فى برها وفلاتها

ما رات العيون قط مثله ولا ركب الركاب كل خيولها

(قال الراوي) ثم أن الامير لعب على ذلك الجواد انداب وابواب وجرد في يده السيف القرضاب وهجم على ميمنة الكفار وغاص فيهم فقتل اربع رجال وهجم على الميسرة وغاص فيهم فقتل خمسة ابطال واعتدل بعد ذلك الى حومة المجال وانشد وقال هذا المقال صلوا على باهي الجمال

انا الفارس الصنديد بيبرس الذى شاع ذكرى في سائر الاقطار
انا قاتل الكفار حقا باسرهم وشتت جمع الكفر بالبتار
واليوم تنظروا ما يحل بجمعكم وتروا منى فارسا كرار
وانا قاتل تومة اللعين بهمتى وسألحق فرنجيل به على الاثار
هلموا الى بكامل جيشكم انا قابض الارواح على البتار
ان لم تردوا علينا كل ما أخذتم ابليتكم منى بمحنة وضرار
ولا بد لى أن املك ارضكم واجعلكم ملقى على الاحجار
وأخذ بالثار منكم عنوة بحد سنان الفيصل البتار

(قال الراوى) فلما سمع اللعين فرنجيل ذلك من الامير بيبرس ورأي فعاله وما قتل من البطارقة وكيف ذكر ولده فى شعره صاح اللعين بعلو صوته واى عليه يابطارقة خذوا منه بالثار واجلوا عن نفسكم العار فعند ذلك هجمت اللئام فى وسيع الآكام واحتاطوا بالامير من كل جانب ومكان (ياساده) فلما عاين ذلك الامير بيبرس منهم فتبسم لهم واستقبلهم مثل ما تتلقى الارض العطشانه اوايل النيل السعيد ثم انه تكبب وارتمى واكحل المبغضين بكحل العما وقرأ آيات معظما وخاضت الخيول فى الدما وقد عضت على الالجما وهو ينادى الله اكبر الله اكبر فتح الله و نصر وخذل اللئام ومن كفر بالدين محمد القمر هذا وقد ادركوه المماليك وا كابر دولته الاايبك وجماعته هذا وقد وقعت الرؤس كالاكر والكفوف مثل اوراق الشجر وزجر الشجاع وبربر وانهزم الجبار وادبر وطارت الرؤس من

على ابدانها وقد وقعت الجند من على خيولها وتقطعت الاوصال من مفاصلها وصار
المنادي لا يعرف اصيلها من دنيئها هذا وقد سال العرق وازور الحدق ووقع السيف
وحرق وظلم وماشفق وتمنى الجبان انه لم يخلق وثبت الشجاع وزعق هذا والامير
يضرب فيهم شمال ويمين وقد اتسع عليه المجال وصار واهل الكفر يتحايدون عليه فى
التلال ولم يزل على ذلك الحال حتى قربت الشمس من الزوال (ياساده) يا كرام وقد نظر
اللعين فرنجيل فرأي انه فى ذلك الامر ذليل لانه رأى الامير بيبرس وضرباته ونظر
الي حملاته وطعناته وهو يقتل هذا ويصرع هذا وكلما قتل انسان يزاداد نشاط فلما
عاين ذلك كبر فى عينيه واوقع الله الرعب فى قلبه فولى الادبار وركن الى الفرار وكان
أول من انهزم هذا اللعين فرنجيل وهو لا يصدق بالنجاة من ذلك البلاء الذي
نزل به واعتوا (ياساده) ولما رأت الكفار الى ملكها قد انهزم وانهدر كنه
وانصرم ولوا على اثره الادبار وركبوا الى الفرار وهم لا يصدقون بالنجاة ومازلوا
فى هزيمتهم والامير خلفهم حتى ادخلهم الى قلعتهم فلما دخلوا اليها اغلقوا الابواب
ولما جلس اللعين في قلعته وقرقراره وهو لا يصدق انه يري نفسه سالم من العطب
جمع اللعين خواصه وساير أهل مملكته وجلاسه وقال لهم ما الذى فقدمنا فحسبوا
القتلى واذاهم الفين انسان غير المجروحين من المنهزمين وقال لهم الرأى عندى اننا
نرد لهم كامل ما اخذناه منهم ونكتفى شرهم لا ننا مالنا طاقة بهم وان نزلنا
اليهم ثانى مرة لا بد لهم ان يهلكونا ويسقونا كأس دمارنا فقال له وكيف ذلك
وقد أمرك عالم الملة وانت لا يصح لك المخالفة لامره فقال لهم اللعين دعونا من
ذلك فاني قاتلت انا وانتم على قدر جهدنا وأيضاً اننا ماقدرنا عليه وهو ولد
بتيت يعنى صغير وكان وحيد فيكف نقدر عليه وهو رجل كبير وله رجال كثير
وانا أقول ان هذا الرجل ان رأي المسيح قدامه لا بد انه يقاتله ولم يخشاه
فكيف ان اطاوع عالم الملة واضيع نفسى بلا شيء (قال الراوى) فلما سمعوا
الكفار كلامه انكسرت شوكتهم وضعفت همتهم وقالوا له أفعل ما بدالك فنحن

لايخالف مقالك ثم انهم اخضروا جميع ماأخذوه من الامتعة والاموال وارسلوه الي الامير بيبرس في عاجل الحال مع أربعة أنفار فلما وصلوا الى الامير بيبرس قبلوا الارض بين يديه وقالوا له خذ متاع أتباعك وارحل عن ارضنا وبلادنا فعند ذلك أخذ الامير منهم ذلك وقد دعى يا يبك ورفقائه وأعطاهم جميع ما لهم وماكان ذهب منهم ولم يسألهم عن تأخرهم فى الحرب والقتال ولم يبد لهم في مثل ذلك مقال ثم أن الامير التفت الى الاربعة الذين أتو بالمال وقال لهم أن كان ولا بد من رحيلى فأمروا فرنجيل أن يرسل الى خزنة مال بالتمام والكمال فاني وحق دينى لا أرحل الا بما ذكرت فامر أن يعطيوا له الاموال فأخذ الامير المال وسار طالب أرض الشام فلما تقارب منها قال لايبك ورفقاه تسيرون خلف أم أمام فقالوا له أنت تكون أمامنا لانك على كل حال كبيرنا ونحن نسير خلفك وعلى أثرك وها نحن كلنا خدامك وتباعك فقبل الاميرمنهم ذلك وسار طالب أرض الشام وكانت قد تسابقت الاخبار الى باشت الشام بان بيبرس قد أقبل وكان كما ذكرنا قبل هذاالديوان ان بينهماعداوة فعند ذلك أمر بغلق أبواب الشام فى وجه الامير الهمام فاغلقوها وقال لهم لا تفتحوها لاحد الاباذنى فأجابوه الحراس بالسمع والطاعة (ياساده) وقد شاع فى البلدان أن بيبرس قد أقبل من مصر الى الشام وقد أغلقت الابواب لاجل قدومه هذا وقد وصلت الاخبار الى أم الامير بيبرس السيدة فاطمة فصعب ذلك عليها وكبر لديها وقالت كله لايخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أنها لبست بدلة خروجها ونزلت من بيتها وأقبلت الي البوابين وكانو أثنين أحدهم يقال أبوا الخير والثاني أبو البشر وكان بالاتفاق الدور على محمد بن جمعة أبو الخير فسارت اليه وقالت له نحن قد علمنا ما أمر به الحاكم ولكن أريد منك شيئا وهو أسهل ما يكون وذلك أنك تفتح لى الباب ليلا حتى أخرج الى ولدى وأسلم عليه وأعود الى مكانى ثم ناولته شيئا من الحطام فأجابها الى سؤالها بالسمع

والطاعة ثم أن السيدة رجعت من تلك الساعة وجعلت تجهز نفسها وما تريد أن تقابل به ولدها فهذا ما كان من أمرها (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه قد أقبل الي الشام واذا به وجدا بوابها قد أغلقت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم حط برجاله من خرجها (قال الراوى) فلما أقبل الليل وحلب سهيل فتحت الابواب وقد خرجت السيدة فاطمة من الابواب وسارت الى ولدها وقد زاد لهيبها وصعب عليها فعال باشة الشام (باسادة) ولم نزل تجد المسير حتى وقعت العين على العين ونظروا الي بعضهم الاثنين فقام الي أمه وسلم عليها سلام الاحباب وسلمت عليه الاخرى وجعلوا يتشا كون ألم الفراق والهوى والبعد والجوى فصارت تشكي اليه بهذه الابيات

دع المقادر تجري فى اعنتها ولا تبين الا خالي البال
لا يعجبن الله فى أمر يدبره اقام السطيح وهد الشامخ العالى

يا ولدي لا تفتكر فيما فعل باشة الشام وكيف أنه اغلق دونك الابواب وسلم امرك لله ودع هذا الحساب ثم انها جعلت تحدثه وتمازجه الي أن قالت له اعلم يا ولدي ان الله تعالى مجيب السائلين وقاضى حوائج الطالبين وذلك يا ولدى اني طلبت منه دعوة وقد بلغها الى فقضاها لي حسب ماطلبت وأجاب سؤالى وذلك لما سرت من عندى وأنت متوجه الى مصر قلت يا رب يا سامع الدعاء لا تدعنى أراه الا وهو صاري عسكر يحكم على عشرين الف فارس فاستجاب الله دعائى وأنا أسأله ان ينصرك على من تعادى فقبل الامير يدها وباسها وفرح واستبشر بقولها هذا وقد قالت له يا ولدى خذ هذه الخزنة مال استعين بها على فقرك وعلى الجهاد فى طاعة رب العباد فقبلها منها وتودع بعد ذلك منها ورجعت الى محلها وكانوا قد تذكروا نائب الشام وما فعل من غلق الابواب فقال لها الامير دعيه يفعل ما خطر بباله ويفعل الله ما يريد فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من أبو الشر فانه لما علم أن أبو

الخير فتح الابواب الى السيدة فاطمة أخذه الحسد والغيرة وقال لا بد أن اخبر بذلك باشة الشام ثم نهض من وقته وساعته وقبل الارض بين يديه وقال له اعلم أن أبو الخير فتح الابواب ليلا الي السيدة فاطمة الاقواسية وخالف أمرك وقد أعطت خزنة مال لبيبرس ومائة دينار الى ابو الخير قال فلما سمع ذلك اغتاظ غيظاً شديداما عليه من مزيد ثم اضمر الشر فى قلبه الى أبوا الخير وقال حتى يرحل بيبرس عن بلدي وشكر أبو الشر على هذه الفتنة فهذا ما كان من هؤلاء هذا والامير بيبرس رحل طالب ارض حلب وسار قاصدا اليها (ياسادة) وبعد رحيلة اقبل الوزير ايبك ونزل على ابواب الشام وبلغت الاخبار الى باشة الشام بوصول الوزير أيبك فأمر بفتح الابواب فطلع اليه وسلم عليه واجلسه هو ومن معه ولما استقر بهم الجلوس قال ايبك هل مر عليك البشت العلق بيبرس فقال له نعم واغلقت الابواب دونه وحلفت انه لم يدخل بلدي ابد ما دمت على قيد الحياة فقال ايبك احسنت فيا فعلت ثم أن عيسى الناصر قال له اعلم ان السيدة فاطمه قد خرجت اليه وأعطته خزنة مال فقال ايبك هي مرأة شرموطة لاى شيء تعطى بيبرس دوننا ارسل هات لنا منها نحن الآخرين خزنة مال فقال عيسى هذا هو الصواب ثم انه أرسل اليهاق عاجل الحال يقول لها مثل ما اعطيتي ولدك خزنة مال هاتي الي ايبك خزنة مال وان لم تعطيني ذلك اخرجي عن بلدى الي غيرها قال فلما سمعت ذلك اغتاظت غيظا شديد ماعليه من مزيد ثم انها في عاجل الحال احضرت العلماء واعادت عليهم الحديث فقالوا ولاى شيء يطلب المال من غير شيء وركبوا من ساعتهم وساروا الي عيسي فلما وقعت العين على العين قالوا له لاى شيء تأخذ من السيدة فاطمة خزنة مال انت شريكها في مالها او تأخذ مالها نهبا ومظلمة فعند ذلك تلجلج لسانه ولم يرد عليهم جواب يقوله فاعادوا عليه الكلام فقال لهم اعلموا يا سادتنا انى طلبت منها خزنة مال علي سبيل القرضة والسلف لان سيدى

ايبك طلب منى خزنة مال وانامامعى فاحببت انافترض له منها فقالوا له إذا كان ولابد منذلك فيكون شروط ثلاثة أولهم أن يكون ذلك برضاها الثاني ان يكون لاجل معلوم تأخذها منك في وقت ارادتها الثالث انيكونوا مكتوبين عليك بحجة شرعية ونحن نشهد عليك بذلك فقال ايبك اكتب ما اضرك من حبرك الاورقك فكتب الحجة وختمها وقدانطلقوابهاالىالسيدة فاطمة فاخذتها عندها وأرسلت اليه الخزنه المال فاخذها وسلمها الى ايبك فاخذها وفرقها على قلاون ومن معه ثم ارتحلوا ولم يدر عيسى كيف تكون عاقبة هذا الامر فلما ارتحل أيبك سار على اثره وقد ظن ان بيبرس سبقه فى السير فهذا ماكان منه

(قال الراوى) وأما ماكان من أمر بيبرس فانه نزل بجيشه فى الخلا وسار متوجهاً الىاخوانه أولاد اسماعيل ولم يزل ساير حتي انه وصل اليهم فلما وقعت العين على العين وسلموا على بعضهم ولسان الحال يقول صلوا على الرسول

فلا تحسب اننا ننسا جمالك ساعة وروحى لقد بلغت على الطراقيا

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنون كل الظن ان لا تلاقيا

ثم انهم أكرموه غاية الاكرام وأراد الرحيل فأقسموا عليه ان لا يرحل حتى يأكل الضيافة عندهم فأقام (يا ساده) فبينما هوكذلك واذا بعثمان أقبل اليه وأخذه بعيداً عن الرجال وناوله كتاب وقال له هذا الكتاب قد أتى اليك من عند امك السيدة فاطمة فقال ياعثمان قدعرفت باطن الكتاب وقلبي يحدثني بأن ايبك وباسة الشام جاروا عليها وظلموها والا ماكانت أرسلت هذا الكتاب على أثري والرأى عندى انك تكتم هذا الامر ولم تبده لأحد من البشر خصوصا هؤلاء الرجال لانهم لايعرفون العين وانهم مثل المراكب شرهم على مقدمهم فقال عثمان صدقت ولكن أكتم انت السر فقال له سمعاً وطاعة ثم جلس بيبرس فى مكانه ولم يبد كلام الى أحد من الانام

(قال الراوي) وكان السبب فى ذلك انالسيدة فاطمة لما فعلوامعها ذلك

الفعال وأخذوا منها خزنة المال كتبت ذلك الكتاب واسلته مع سيار من عندها قالت له سر خلف الامير وادركه عند أولاد اسماعيل وأعطه هذا الكتاب بينك وبينه لانه كان حدثني انه سايراليهم حين كان عندي فسار حتى أدركه الاسطى عثمان فأخذ منه الكتاب وقد عرف انه من عند السيدة فاطمه الى ولدها فأخذ الكتاب وسار به الى سليمان الجاموس وقال له ثم معي وأخاف أن أطلعك عليه تبيح به فقال له والاسم الاعظم لا اتكلم الا اذا تكلمت انت فأعرض عليه الكتاب واذا فيه من عند السيدة فاطمة الى بين أيادي ولدي بيبرس اعلم انه بعد ما توجهت من عندنا اقبل ابيك وأخذ مني خزنة مال بواسطة باشة الشام على سبيل الرهن واخذت عليهم بذلك حجة يكون في شريف علمك وبعد أن قرأه طواه وأعطاه الى عثمان فأخذه وسلمه لسيده كما ذكرنا وحدثه بما وصفنا وعاد الامير الى مكانه كما شرحنا وعدنا الى سياق الحديث باذن من يحيي ويميت فقال له سليمان الجاموس نقيب الرجال ياأخينا نحن لا بيننا من يكتم ولا مايقسم فالذي أخبرك به عثمان فقال له الامير ان عثمان يأمرني بالرحيل فقلت له حتى نأكل الضيافه فقالوا له بالاسم الاعظم ما أعطاك كتاب فقال نعم أعطاني كتاب فنظر الى عثمان نظرة الغضب وكان عثمان قد أطلع الرجال على الكتاب قبل أن يعطيه الى سيده فقال عثمان هذه عيني وهذه عينه بالاسم الاعظم أنا وريتكم الكتاب فقال سليمان والاسم الاعظم وريتنا اياه قال عثمان اخيه على ان بقيت أقل لك على شيء قال سليمان أنا ماقلت حتى انك بدأت بالكلام وقلت ولكن يا دولتلي لاى شيء تفعل هكذا وتكرم من لا يكرمك وتبقي من لا يبقي عليك فوالاسم الاعظم ان اقل انسان من رجالنا يقدر على أعظم من هذا الرجل ولولا يقال انه مؤمن لا رسل اليه من يعذبه أو يقتله فقال الامير دعونا من ذلك كله واتركو أمره فكل انسان منه لربه قال فسكتت الرجال على مضمر منها (قال الراوى) فلما ولى النهار

وأقبل الليل بالاعتكار التفت المقدم سليمان الجاموس الي ولده الفهد وأشار له بعينه فعرف المقصود وفهم المعني فخرج من وقته وساعته ولم يعلم أحداً من الرجال الى أين توجهه فلما كان الثلث الاول من الليل أقبل الفهد ومعه جمدان حامله فوضعه بين أيادي والده فقال الامير بيبرس ماهذا ياأخي ياسليمان فقال له اعلم ان عندنا نخلة تطرح فى كل عام مرتين وقد أتينا بشيء منها لانها قد طرحت فى ذلك الاوان فافتح لنا هذا الجمدان حتى يرى ذلك أعيان فتقدم الامير وفك الزرارات ومد يده وأخرج ماكان داخل الجمدان واذا به باشة الشام فلما رآه قال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ثم انه قال لهم ولأى شيء فعلتم هذه الفعال وأتيتم بهذا الرجل الى هذا المكان فقالوا له والاسم الاعظم انلم يرد الخزنة مال والا أهرقنا دمه وان تكلم معنا عجلنا عليه فناه وجعلنا موته بين بديك فلما سمع الامير مقالهم علم انه اذا لح عليهم قتلوه فمكث على مضض خوفا عليه (ياساده) ثم انهم اعطوه ضد البنج أفاق وقال أين أنا قالوا له انت عندنا ياخناس من الذى أمرك بأخذ خزنة المال من السيدة فاطمه الأقواسيه فقال لهم اعماو انني لم يكن لي ذنب فى ذلك أبداً وهذا كله من فعال ايبك وجماعته فلعن الله حضرته هو ورفقته فما أشنع شورته فقالوا له ولاى شيء أغلقت الابواب في وجه أميرك وسيدك الامير بيبرس فلو أطاعنا لكنا حكمناه على ما أراد من البلاد غصباً عن الملك الصالح وغيره فما تكون انت حتى تفعل هذه الفعال وتنهب أحبابنا وتأخذ مالهم فى غيابنا ولكن وحق الاسم الاعظم ان لم ترد المال الذى أخذته من السيدة فاطمه والا نفعل بك كل ما نريد فقال سمعا وطاعه فقالوا له ومن يضمنك فى ذلك فقال الفهد ولد سليمان الجاموس الضمان على الله وعلي فلو طلبتوه أحضرته اين ماكان فى أى وقت كان ولا أبالى بأهل الشام فقال المقدم سليمان خذه يا ولدي وأوصله

الى مكانه وا كرمه وعظم شأنه ونظر اليه بأعيانه فعرف الفهد مقال والده بالاشارة ثم انه سار به الى بعض الغابات وعطف به هناك وشبحه شبحة تقشعر الابدان منها ويفر الاسود عنها وأعطاذ ضد البنج عطس فقال اشهد ولا اجحد بدين محمد انا فين قال الفهد انت عندي ياخناس ثم انه تركه وغاب عنه قليل وعاد ومعه شيء من لباليب الاشجار ثم تقدم الى عيسى وعراه ونزل عليه حتى اكاد أن يعدمه الحياه وما زال به حتى غشي عليه وصبر عليه حتى أفاق ثم بنجه وحله من الوثاق وسار به الي محل آخر وفعل به مثل مافعل ولم يزل ينتقل من مكان الى مكان حتى ضربه سبع علقات حتى كاد أن يشرب كأس الممات ثم رده الى محله وقال له والاسم الاعظم ان لم ترد ما أخذته من المال والا أتيت اليك وقطعت رأسك وخمدت أنفاسك فقال له سمعا وطاعة ثم تركه وهو على مثل ذلك الحالة وعاد عنه وهو لايصدق بانصرافه لانه أورثه كأس تلافه فهذا ماكان من أمر هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من أمر باشة الشام فانه لما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح طلع الى سرايته واحضر المال من خزنته وأرسل أحضر السيده الاقواسيه وسلم اليها المال الذي اخذه منها فى عاجل الحال وقال لها ياسيدتي لاتؤاخذيني بما فعلت لاني كنت أجهل قدرك وما اعلم ان خلفك من يخلص لك حقك ثم انه نسي ان يأخذ الحجة منها الذى كتبت عليه فاخذت المال وسارت الي منزلها وأقام هو في مكانه ولم تعلم هي ما الذى جرى له فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه بعد ان فرغ من العزومه وأرسل الجواب الى والدته برد الجواب فارسلت اخبرته بأنها قد خلصت منه وأخذت المال ففرح بذلك وارتحل طالب أرض حلب ولم يزل ساير يجد السير حتى لحق بالامير قلاون والوزير ايبك وكانوا قد سبقوه الي حلب ونزلوا هناك وأقاموا يأكلون ويشربون من مطابخهم مدة ثلاثة ايام وقد أقبل الامير الي ذلك

المكان واذا به يري اللئام قد احتاطوا بالارض والبلاد وكان ايبك يظن ان بيبرس هرب في وسيع الوهاد ولما استقر الجلوس بالامير دقت الطبول والا نقرة والزمور فأمر الامير أن ينادي في عساكره بأخذ الاهبة للقتال وان يصطفوا يمينا وشمال ففعلوا ما أمروا به فى عاجل الحال هذا وقد ترتبت اللئام وخرج اليهم فارس الى الميدان وبرز باسانه فلما رآه الامير بيبرس صاح على بالجواد فتملقوا به الرجال وقالوا له نحن لك الفدا فاقسم بالله ان لا يبرز الي الميدان أحد غيره ثم ان الامير ركب الجواد وتقلد بالسيف والرمح واعتد اعتداد ونزل الي حومة المجال ولعب في جوانبه حتى حير عقول الشجعان والابطال وتمايل الامير طربا واهتز على الجواد عجباً وأنشد وجعل يقول هذه الابيات

اليزم يوم الشدايد	ويوم لحرت فى وسيع الغدافد
فابرزوا الى ياعصبة العدا	سأهلك منكم كل كافر ومياند
وأطكنكم طحن الحصيد بجمعكم	وأسقيكم كاس المهالك من يد
الآن تنظروا فارسا وغضنفرا	بيبرس الهامات بمشيده ومساعد
ويخمد الانفاس من اشباحها	ويترككم صرعى فوق أعلا الجلامد
أنا بيبرس والفارس الذي	يفزع من شخصى كل قرم معاند
أنا الهمام الذكه شاع ذكره	بين العباد فى كل موقد
أنا حامى الاسلام فى اللقا	أنا مفدى الاسلام يوم تشرد
واني أنا الفاك فى جميع الوري	وجميع اللئام عنى تبعد
واليوم أبليكم بكل بلية	وآخذ الاموال منكم باليد
وارجع منشوراً مجبوراً مؤيداً	ولى النشر من رب كريم مرشد
عليه توكلى فى الامور جميعها	عليه ترشدى وتهدي وتعمد
توسلت اليه بسيد الورى	طه رسول الله نبيتا الماجد
عليه مني صلاة مع سلاما دائما	ماهب ريح وما نزل الند

كذا الآل والاصحاب حقاباسرهم ماغرد القمري فوق غصن تفرقة

(قال الراوي) وكان يومئذ الامير معتقل بسف طويل مليح صقيل ماحاز ملك ولا رجل فاضل كما قال في حقه الشاعر هذه الابيات

حسام ابتر من الهند اصله قد فاق جميع السيوف باسرهم
له حد يلقط الرمل من الحصا له ضرب مهيل في جيوشهم
اذا تجرد من غمده فكانه البرق قد لاح في اقطارهم
ياله من حسام شاع ذكره بين الانام قد كان حديثهم

(قال الراوي) وكان الجواد الذي هو راكبه جواد أصفر عالى عن الخيول مضمر ماحازه غيره ولامثله من الخيول بين الاصفر حجل القوايم طويل الدعايم كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

جواد أصفر ذات غرة ماحازه في الوري كسري ولا قيصر
محجل أغر خفيف ذا رونق له غرة مثل الهلال اذا بدر
اذا غالب الرياح أفاتها والبر له مثل المبيت اذا قصر

(قال الراوي) ولما توسط الميدان ولعب بالسيف اليماني استقبل ذلك الفارس الذي كان نزل اليه واندفع كانه الاسد عليه وضربه بالحسام أطاح رأسه عن الهام فوقع قتيل وفي دماه جديل وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فابتدر اليه أخ المقتول وكان رجلا مهول وقال اللعين حتى رأي أخاه ما بقالي معيشه سواه ثم انه ما لحق أن ينزل الى لقاه حتى ان الامير ألحقه بأخيه فنزل اليه عشرون فارس فاستقبلهم كانه النمر الداحس وأفناهم في الابالس ولم يزل على ذلك الحال حتى انه قتل خمسين من الرجال فلما نظرت اللئام الى ذلك الاحوال دقوا طبل الانفصال فانفصلت الطايفتين ورجعوا عن بعضهم وقد شكر الامير أصحابه على فعاله ولما كان ثاني الايام أراد الامير البراز فاقسموا عليه رجاله أن لا ينزل الى الميدان ثم انهم ابتدروا ونزلت المماليك وقد فتكوا بالكفار الصعاليك ولم يزالوا يقابلوا ويطاعنوا مدة سبعة أيام كل هذا يجري وايبك وجماعيه

يأكلوا على السماط بتبسطوا غاية الانبساط ولا يباشروا حرب ولا قتال ولا يسألوا عن بزال ولا جدال فلما عاين الامير بيبرس منهم ذلك وقد مضى عليهم سبعة أيام ولم يبدوا كلام فاغتاظ الامير بيبرس من فعالهم وماقدضمروا عليه من أمورهم فصبر عليهم حتي امتد السماط وأراد ايبك أن يمد يده واذا بالامير بيبرس قبض علي يده وقد أكاد أن يخلعها من زنده وقال له أنت لم تستحق الاكل من ذلك الطعام وما يستحقه الا المجاهدون فى اللئام وأما أنت أكلك منه حرام وكذلك من معك من اللئام فعند ذلك غضب ايبك وتأخر عن الاكل وتأخروا أيضاً جماعته وامتنعوا من حين سمعوا كلمته ثم انهم ظهروا للامير المكر والخديعة وقد اضمروا الخيانة الشنيعة وذلك انهم صبروا لما أقبل الليل بالاعتكار واتفق الرأي بينهم أن يكتبوا كتابا الي القان هلاون فكتبوا الكتاب وقالوا لبعض الرجال سر بهذا الى هلاون وأئتينا منه برد الجواب فسار الرجل حتى توسط الطريق واذا بعثمان مقبل اليه وقد قبض عليه وأخذ برقبته ويديه وقال له الى أين أنت سائر فقال له يا أسطى عثمان اني أريد أن أقضي حاجة سيدي ايبك فقال عثمان وعزة الله اذا لم تقل لي علي الصحيح والا اضربك بالرزة أقطع بها خبرك ثم انه جرد الرزه فصاح الرجل أنا في عرضك يا شيخ عثمان تأن عليّ وأنا أعلمك بالحال ثم انه أخرج الكتاب وناوله إياه فأخذ الكتاب وسار به الى سيده والرجل بصحبته فلما دنا من سيده أشار اليه فنهض بيبرس وسار الى عثمان فابتعد به عن الرجال وأعطاه ذلك الكتاب فحله وقراه

(تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادي عشر)

وأوله واذا فيه خطابا من ايبك وقلاون

الى بين أيادي هلاون

رقم الايداع بدار الكتب ١١٢١١/١٩٩٥

I.S.B.N 977-01-4642-0